

تراثنا

صنعة الإنشاء

في

صناعة الإنشاء

تأليف

أبي العباس أحمد بن علي الفلّيشندي

١٨٤١ هـ - ١٤١٨ م

الجزء السادس

نسخة مصورة عن الطبعة الاميرية
ومذيلة

يتصوبات واستدراكات وفهارس تفصيلية
مع دراسة وافية

وزارة الثقافة والإرشاد القومي
المؤسسة المصرية العامة
للتأليف والترجمة والطباعة والنشر

**Collection of Prof. Muhammad Iqbal Mujaddidi
Preserved in Punjab University Library.**

پروفیسر محمد اقبال مجددی کا مجموعہ
پنجاب یونیورسٹی لائبریری میں محفوظ شدہ



تراثنا

صناعات
الإنتاج

في

صناعة الإنشاء

تأليف

أبي العباس أحمد بن علي الفلقشندي

١٤١٨ هـ - ١٨٢١ م

الجزء السادس

نسخة مصورة عن الطبعة الاميرية
ومندوبة

بتصويبات واستدراكات وفهارس تفصيلية
مع دراسة واقية

وزارة الثقافة والآثار والصون
المؤسسة المصرية العامة
للتأليف والترجمة والطباعة والنشر

صفحة

- المهييع الثانى - فى ذكر الألقاب والنعوت المستعملة عند كتاب الزمان
 وبيان معانيها، وهى نوعان ٥
- النوع الأول - الألقاب الإسلامية؛ وهى صنفان ٥
- الصنف الأول - المذكرة؛ وهى ضربان ٥
- الضرب الأول - الألقاب المفردة المختصة فى اصطلاح الكتاب باسم
 الألقاب ٥
- » الثانى - المركبة المعبر عنها فى اصطلاح الكتاب بالنعوت ... ٣٥
- الصنف الثانى - (وكتب خطأ الضرب الثانى) من الألقاب المفردة المؤنثة ٧٥
- » » - (لعل الصواب النوع الثانى كما نبه عليه) من الألقاب المفرعة
 على الأصول ألقاب من يكتب إليه من أهل
 الكفر ... وهى على ضربين ٧٨
- الضرب الأول - الألقاب المذكرة؛ وهى نمطان ٧٩
- النمط الأول - المفردة ٧٩
- » الثانى - الألقاب المركبة ٨٣
- الضرب الثانى - من ألقاب أهل الكفر الألقاب المؤنثة ٩٥
- الجملة السابعة - فى تفاوت الألقاب فى المراتب؛ وهى قسمان ... ٩٧
- القسم الأول - ما يقع التفاوت فيه فى الصعود والهبوط؛ وهو نوعان ٩٧
- النوع الأول - « » « بحسب القلة والكثرة ... ٩٧
- الثانى - ما يقع فيه التفاوت فى العلو والهبوط بحسب ما يقتضيه
 جوهر اللفظ أو ما وقع الاصطلاح عليه؛ وهو صنفان ٩٨

صفحة

- الصفى الأول - الألقاب المفردة؛ وهى على أربعة أنماط ٩٨
- النمط الأول - التوابع ٩٨
- » الثانى - ما يقع التفاوت فيه بحسب حقوق ياء النسب
وتجرده منها ٩٩
- » الثالث - ما يقع التفاوت فيه بصيغة مبالغة غير ياء النسب ... ١٠١
- » الرابع - » فيه التفاوت بحسب ما فى ذلك اللقب من
أقتضاء التشريف لعلو متعلقه ورفعته ١٠١
- الصفى الثانى - الألقاب المركبة؛ وهى على ضربين ١٠٢
- الضرب الأول - ما يترتب بعضه على بعض لقباً بعد لقب؛ وله اعتباران ١٠٢
- الاعتبار الأول - أن يشترك فى رعاية الترتيب أرباب السيوف والأقلام
وغيرهم؛ وهو على ثلاثة أنماط (صوابه أربعة) ... ١٠٢
- النمط الأول - ما يضاف إلى الإسلام ١٠٢
- » الثانى - » إلى الأمراء والوزراء ونحوهم ١٠٥
- » الثالث - » إلى الملوك والسلاطين ١٠٦
- » الرابع - » لأمير المؤمنين ١٠٨
- الاعتبار الثانى - أن يختص الترتيب فى الألقاب بنوع من المكتوب
له؛ وهو أربعة أنماط ١٠٩
- النمط الأول - ما يختص بأرباب السيوف ١٠٩
- » الثانى - » بالوزراء ومن فى معناهم ١١١
- » الثالث - » بالقتضاء والعلماء ١١١
- » الرابع - » بالصلحاء ١١٢

صفحة

- القسم الثاني - مما تتفاوت فيه مراتب الألقاب ما يقع التفاوت فيه
 بالتقديم والتأخير؛ وهو نوعان ١١٥
- النوع الأول - الألقاب المفردة؛ وهي على ستة أنماط ١١٥
- النمط الأول - « التي تلي الألقاب الأصول ١١٥
- « الثاني - ما يلي العالي أو السامي من الألقاب ١١٦
- « الثالث - ما يلي لقب الوظيفة ١١٧
- « الرابع - ما يقع قبل لقب التعريف ١١٧
- « الخامس - « فصلا بين الألقاب المفردة والمركبة ١١٨
- « السادس - ما ليس له موضع مخصوص من الألقاب
 المفردة ١١٨
- النوع الثاني - مما تتفاوت فيه مراتب الألقاب بالتقديم والتأخير
 الألقاب المركبة؛ وهي على ثلاثة أنماط ١١٩
- النمط الأول - ما يلي لقب التعريف ١١٩
- « الثاني - ما يقع في آخر الألقاب المركبة ١١٩
- « الثالث - ما بين أول الألقاب المركبة وبين آخرها ١٢٠
- الجملة الثامنة - في بيان محل اللقب المضاف إلى الملك ولقب
 التعريف الخاص به ١٢٠
- « التاسعة - في ترتيب جملة الألقاب الفروع على الألقاب الأصول
 على قدر طبقاتها؛ وهي قسمان ١٢١

صفحة

- القسم الأول - الألقاب الإسلامية ١٢١
- الضرب الأول - « المتعلقة بالخلافة وما يلتحق بها » وهي
ثلاثة أنواع ١٢٢
- النوع الأول - ألقاب الخلفاء ١٢٢
- « الثاني - « ولاية العهد بالخلافة ١٢٣
- « الثالث - « إمام الزيدية باليمن ١٢٣
- الضرب الثاني - الألقاب الملوكية ، وهي نوعان ١٢٣
- النوع الأول - « التي أصطلح عليها للسلطان بالديار المصرية ١٢٣
- « الثاني - « التي يكتب بها عن السلطان لغيره من الملوك ؛
وهي على ثلاثة أصناف ١٢٥
- الصف الأول - ألقاب ولاية العهد بالسلطنة ١٢٥
- « الثاني - « الملوك المستقلين بصغار البلدان ١٢٥
- « الثالث - « المكتوب إليهم من الملوك عن الأبواب
السلطانية ، وهي نمطان ١٢٦
- النمط الأول - ما يصدر بالألقاب المذكورة ١٢٦
- « الثاني - « المؤنثة ١٢٩
- الضرب الثالث - من الألقاب الإسلامية ، الألقاب العامة لسائر
الطوائف ، وهي ثمانية أنواع ١٣٠
- النوع الأول - ألقاب أرباب السيوف من أهل المملكة وغيرهم ... ١٣٠
- « الثاني - من الألقاب الإسلامية الألقاب الديوانية ١٤٦

صفحة

- النوع الثالث - من الألقاب الإسلامية ألقاب أرباب الوظائف الدينية ... ١٥٤
- » الرابع - من الألقاب الإسلامية ألقاب مشايخ الصوفية وأهل الصلاح ... ١٦١
- » الخامس - ألقاب التجار الخوارجية ... ١٦٥
- » السادس - من الألقاب الإسلامية ألقاب أرباب الصناعات الرئيسية كرياسة الطب ... ١٦٨
- » السابع - من الألقاب الإسلامية ألقاب الحاشية السلطانية ... ١٧٠
- » الثامن - « النساء ... ١٧١
- القسم الثاني - « المرتبة » أهل الكفر به وهي على ثلاثة أضرب ... ١٧٣
- الضرب الأول - ألقاب متديتهم به وهي نوعان ... ١٧٣
- النوع الأول - « بطارقة النصارى ... ١٧٣
- » الثانى - « رؤساء اليهود ... ١٧٤
- الضرب الثانى - ألقاب ملوكهم وتختص بالنصارى به وهي نمطان ... ١٧٤
- النمط الأول - الألقاب المذكورة ... ١٧٤
- » الثانى - « المؤنثة ... ١٧٩
- الضرب الثالث - ألقاب نواب ملوكهم وخصالتهم به وهي على نوعين ... ١٨٠
- النوع الأول - « النواب ... ١٨٠
- » الثانى - « الكخاصلة ... ١٨٠

صفحة	
	الجملة العاشرة - في ذكر ألقاب تقع على أشياء متفرقة قد جرت
١٨٣	في عرف الكتاب، وهي على ضربين
	الضرب الأول - فيما يجرى من ذلك مجرى التفاؤل، ويختلف باختلاف
١٨٣	الأحوال والوقائع ويتنوع إلى أنواع
	» الثاني - ما يجرى من ذلك مجرى التشريف، ويختلف أيضا
١٨٦	باختلاف الأحوال، ويتنوع أنواعا
	الباب الثاني - من المقالة الثالثة في مقادير قطع الورق وما يناسب
١٨٩	كل مقدار منها من الأقلام، وفيه فصلان
	الفصل الأول - في مقادير قطع الورق، وفيه طرفان
١٨٩	الطرف الأول - « « « في الزمن القديم
	» الثاني - في بيان مقادير قطع الورق المستعمل في زماننا
١٩٠	(زمن المؤلف)، وفيه ثلاث جمل
	الجملة الأولى - في مقادير الورق المستعمل بديوان الإنشاء بالأبواب
١٩٠	السلطانية بالديار المصرية
	» الثانية - في مقادير الورق المستعملة بدواوين الإنشاء
١٩٢	بالممالك الشامية
	» الثالثة - في مقادير قطع الورق الذي تجرى فيه مكاتبات
١٩٣	أعيان الدولة
	الفصل الثاني - من الباب الثاني من المقالة الثالثة في بيان ما يناسب
	كل مقدار من مقادير قطع الورق المتقدمة الذكر
١٩٤	من الأقلام الخ، وفيه طرفان

صفحة

- الطرف الأول - فيما يناسب كل مقدار منها من الأقلام ١٩٤
- » الثاني - في مقادير البياض الواقع في أول الدرج وحاشيته وبعده
- ما بين السطور في الكتابة ١٩٥
- الباب الثالث - من المقالة الثالثة في بيان المستندات وكتابة الملخصات
- وكيفية التعيين به وفيه فصلان ١٩٧
- الفصل الأول - في بيان المستندات : وهي التوقيع على القصص
- وما يجري مجراها ؛ وهو على ضربين ١٩٧
- الضرب الأول - السلطانيات ؛ وهي صنفان ١٩٧
- الصنف الأول - ما يصدر عن متولى ديوان الإنشاء ١٩٧
- » الثاني - ما يصدر عن غير صاحب ديوان الإنشاء ١٩٩
- الضرب الثاني - ما يتعلق بالكتب في المظالم ؛ والنظر فيه من وجهين ٢٠٢
- الوجه الأول - فيما يتعلق بالقصص ٢٠٢
- » الثاني - فيما يتعلق بالنظر في المظالم وما يكتب على القصص ؛
- وهو ستة أنواع ٢٠٤
- النوع الأول - ما يرفع إلى السلطان في آحاد الأيام ٢٠٦
- » الثاني - ما يرفع لصاحب ديوان الإنشاء ٢٠٦
- » الثالث - ما يرفع من القصص بدار العدل عند جلوس السلطان
- للحكم في المواكب ٢٠٧
- » الرابع - ما يرفع منها للنائب الكافل إذا كان ثمّ نائب ٢٠٨
- » الخامس - ما يرفع من القصص إلى الأتابك إذا كان في الدولة
- أتابك عسكري وهو الأمير الكبير ٢٠٨
- » السادس - ما يرفع منها للدوادار ٢٠٩

صفحة	
	الفصل الثاني - في التعيين وكيفية كتابة صاحب ديوان الإنشاء على
٢١٠	الرقاع والقصص
٢١٢	الطرف الثاني - في كتابة الملخصات والإجابة عنها
	الباب الرابع - من المقالة الثالثة في الفواتح والخواتم واللاواحق
٢١٧	وفيه فصلا
٢١٧	الفصل الأول - في الفواتح، وفيه ستة أطراف
٢١٧	الطرف الأول - في البسملة
٢٢٤	» الثاني - في الحمدلة
٢٢٦	» الثالث - في التشهد في الخطب
	» الرابع - في الصلاة والسلام على النبي صلى الله عليه وسلم
٢٢٧	وعلى آله وصحبه في أوائل المكتب
٢٢٩	» الخامس - في السلام في أول الكتب
٢٣١	» السادس - في أما بعد
٢٣٢	الفصل الثاني - في الخواتم واللاواحق، وفيه سبعة أطراف
٢٣٢	الطرف الأول - في الاستثناء بالمشيئة بأن يكتب إن شاء الله تعالى
٢٣٤	» الثاني - في التاريخ
٢٦٢	» الثالث - في المستندات
٢٦٥	» الرابع - في الحمدلة في آخر الكتاب
	» الخامس - في الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم في آخر الكتاب
٢٦٧	وما يتحقق بذلك

- الطرف السادس - في الحسبة في آخر الكتاب ٢٦٩
- » السابع - في اللواحق ٢٧١

المقالة الرابعة

- في المكاتبات ، وفيها بابان ٢٧٤
- الباب الأول - في أمور كلية في المكاتبات ، وفيه فصلان ٢٧٤
- الفصل الأول - في مقدمات المكاتبات ، وفيه ثلاثة أطراف ٢٧٤
- الطرف الأول - في أصول يعتمدها الكتاب في المكاتبات ٢٧٤
- » الثاني - في بيان مقادير المكاتبات وما يناسبها من البسط والإيجاز ٣١٥
- » الثالث - في أمور تختص بالأجوبة ٣٢٣
- الفصل الثاني - من الباب الأول من المقالة الرابعة ، في ذكر أصول
المكاتبات وترتيبها وبيان لواحقها ولوازمها ، وفيه طرفان ٣٢٧
- الطرف الأول - في ذكر أصولها وترتيبها ٣٢٧
- » الثاني - في ذكر لواحق المكاتبات ولوازمها ٣٤٥
- الباب الثاني - من المقالة الرابعة ، في مصطلحات المكاتبات الدائرة
بين كتاب أهل الشرق والغرب والديار المصرية في كل
زمن من صدر الإسلام إلى زمننا (زمن المؤلف) ،
وفيه ستة فصول ٣٦٥
- الفصل الأول - في الكتب الصادرة عن النبي صلى الله عليه وسلم ،
وفيه ثلاثة أطراف ٣٦٥
- الطرف الأول - في ذكر ترتيب كتبه صلى الله عليه وسلم في الرسائل
على سبيل الإجمال ٣٦٥

- صفحة
- الطرف الثاني - في كتبه صلى الله عليه وسلم إلى أهل الإسلام ... ٣٦٧
- » الثالث - « « « « الكفر للدعاية
- إلى الإسلام ... ٣٧٦
- الفصل الثاني - من الباب الثاني من المقالة الرابعة في الكتب الصادرة
- عن الخلفاء به وهي على قسمين ... ٣٨٣
- القسم الأول - المكتبات إلى أهل الإسلام به وفيه تسعة عشر |
- أطراف ... ٣٨٣
- الطرف الأول - في الكتب الصادرة عن الخلفاء من الصحابة
- رضي الله عنهم ... ٣٨٣
- » الثاني - في الكتب الصادرة عن خلفاء بني أمية ... ٣٨٩
- » الثالث - « « « « بنو العباس ببغداد »
- وولادة العهد بالخلافة به وفيه ثلاث جمل ... ٣٩٢
- الجملة الأولى - في بيان ترتيب كتبهم في الرسائل على سبيل الإجمال ٣٩٢
- » الثانية - في الكتب العامة ... ٣٩٥
- » الثالثة - في الكتب الخاصة مما يصدر عن الخلفاء ... ٤١٥
- الطرف الرابع - في الكتب الصادرة عن خلفاء بني العباس في الديار
- المصرية بعد مصير الخلافة إليها ... ٤٢١
- » الخامس - في الكتب الصادرة عن الخلفاء الفاطميين بالديار
- المصرية ... ٤٣٢
- » السادس - في الكتب الصادرة عن خلفاء بني أمية بالأندلس ٤٤٣

- صفحة
- الطرف السابع - في الكتب الصادرة عن الخلفاء الموحدين ... ٤٤٣
- » الثامن - في الأجوبة ... ٤٤٧
- » التاسع - في الكتب الصادرة عن ولاية العهد بالخلافة ... ٤٥٦
- » العاشر - من المكاتبات عن الخلفاء : المكاتبات إلى أهل الكفر ٤٥٧
- الفصل الثالث - من الباب الثاني من المقالة الرابعة في المكاتبات
الصادرة عن الملوك ومن في معناهم مما الجارى عليه
الحال ؛ وهو على قسمين ... ٤٦٤
- القسم الأول - المكاتبات الصادرة عن الملوك إلى أهل الإسلام ؛
وفيه أطراف ... ٤٦٤
- الطرف الأول - في مكاتبتهم إلى النبي صلى الله عليه وسلم ... ٤٦٤
- » الثانى - في المكاتبات الصادرة عن الأمراء من العمال وأمراء
السرايا إلى الخلفاء من الصحابة رضوان الله عليهم ... ٤٧٧
- » الثالث - في المكاتبات الصادرة عن الأمراء من العمال وأمراء
السرايا أيضا إلى خلفاء بنى أمية ... ٤٧٨
- » الرابع - في المكاتبات الصادرة عن الملوك ومن في معناهم
إلى خلفاء بنى العباس ... ٤٨٠
- » الخامس - في المكاتبات الصادرة إلى الخلفاء الفاطميين بالديار
المصرية ... ٥٢١
- » السادس - في المكاتبات الصادرة عن الملوك ومن في معناهم
إلى خلفاء بنى أمية بالأندلس ... ٥٢٤
- » السابع - في المكاتبه الصادرة إلى خلفاء الموحدين بالمغرب ٥٢٦

صفحة	
	الطرف الثامن - في المكاتبات الصادرة عن الأمراء من العمال وأمراء
٥٥٨	السرايا في صدر الإسلام إلى من في معناهم
	» التاسع - في المكاتبات الصادرة عن الملوك ومن في معناهم
	إلى الملوك ومن في معناهم على ما كان عليه مصطلح
٥٥٩	أهل المشرق



(تم فهرس الجزء السادس من كتاب صبح الأعشى)



صنعة الإنشاء

في
صناعة الإنشاء

تأليف

أبي العباس أحمد بن علي الفلّيشندي

١٨٤١ هـ - ١٤١٨ م

الجزء السادس

نسخة مصورة عن الطبعة الاميرية
ومذيلة

بتصويبات واستدراكات وفهارس تفصيلية
مع دراسة وافية

صنعة الأندلس

الجزء السادس

بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِیْمِ

وصلی اللہ وسلم علی سیدنا محمد وآلہ وصحبہ

المہیِّع الثانی

فی ذکر الألقاب والنعوت المستعملة عند کُتَّاب الزمان، و بیان معانیہا،
ومن ینقع علیہ کل واحد منها من أرباب السیوف وغيرہم
(وہی نوعان)

النوع الأول

(الألقاب الإسلامیة، وہی صنفان)

الصنف الأول

(المذکورة، وہی ضربان)

الضرب الأول

(الألقاب المفردة المختصة فی اصطلاح الکُتَّاب باسم الألقاب)

وہذہ جملة منها مرتبة علی حروف المعجم لیسہل استخراجہا .

حرف الألف

(الأتابکی) وھو من ألقاب أمير الجیوش ومن فی معنایہ، کالنائب الکافل ونحوہ،
وھو بالأتابک أخص . وقد تقدم معنی الأتابک فی الکلام علی ألقاب أرباب الوظائف،

وَأَنَّ أَصْلَهُ بِالطَّاءِ فَقُلِبَتْ تَاءً فِي الْأَسْتِعْمَالِ ، وَأَنْ يَمَعْنَاهُ «الْأَبُ الْأَمِيرُ» وَحِينَئِذٍ فَتَكُونُ النَّسَبَةُ فِيهِ لِلْبَالِغَةِ . نَعَمْ إِنْ نُسِبَ إِلَيْهِ غَيْرُهُ مِنْ أَتْبَاعِهِ كَانَتْ النَّسَبَةُ إِلَيْهِ حَقِيقَةً عَلَى بَابِهَا .

(الْأَتَقِيُّ) مِنْ أَلْقَابِ مَلُوكِ الْمَغْرِبِ الَّتِي يُكْتَبُ إِلَيْهِمْ بِهَا مِنَ الْأَبْوَابِ السُّلْطَانِيَّةِ ، مِضَاهَاةً لِمَا يُوجَدُ فِي مَكَاتِبَاتِهِمْ مِنَ الْأَلْقَابِ . وَهُوَ أَفْعَلُ التَّفْضِيلِ مِنَ التَّقْوَى .

(الْأَثِيرُ) بِالْثَاءِ الْمُنْتَهَاةً مِنْ أَلْقَابِ أَرْبَابِ الْأَقْلَامِ : مِنْ الْقَضَاةِ وَالْعُلَمَاءِ وَالْكُتَّابِ وَنَحْوِهِمْ ، وَرَبَّمَا اسْتُعْمِلَ فِي أَلْقَابِ الصُّلَحَاءِ أَيْضًا . وَأَصْلُهُ فِي اللُّغَةِ الْمُخَالِصِ ، وَحِينَئِذٍ فَيُصَلِّحُ أَنْ يَكُونَ لِقَبًا لِكُلِّ مَنْ نُسِبَ إِلَى الْمُخَالِصَةِ مِنْ أَرْبَابِ السُّيُوفِ وَالْأَقْلَامِ جَمِيعًا ، وَالْأَثِيرِيُّ نَسَبَةٌ إِلَيْهِ لِلْبَالِغَةِ .

(الْأَثِيلُ) بِالْمِثْلَةِ أَيْضًا مِنْ أَلْقَابِ أَرْبَابِ الْأَقْلَامِ كَالْأَثِيرِ ، وَمَعْنَاهُ فِي اللُّغَةِ الْأَصِيلُ . وَمِنْهُ قِيلَ مَجْدٌ مُؤْتَلٌ وَأَثِيلٌ أَيْ أَصِيلٌ . وَحِينَئِذٍ فَيُصَلِّحُ أَنْ يَكُونَ لِقَبًا لِكُلِّ ذِي أَصَالَةٍ مِنْ أَرْبَابِ السُّيُوفِ وَالْأَقْلَامِ ، وَالْأَثِيلِيُّ نَسَبَةٌ إِلَيْهِ لِلْبَالِغَةِ .

(الْأَجَلُّ) يَكُونُ فِي الْأَصْطِلَاحِ مِنْ أَلْقَابِ السُّلْطَانِ كَمَا يَقَالُ السُّلْطَانُ السَّيِّدُ الْأَجَلُّ وَيَكُونُ مِنَ أَلْقَابِ السَّامِيِّ بِغَيْرِيَاءٍ فَمَا دُونَهُ فَيَقَالُ : «السَّامِيُّ الْأَمِيرُ الْأَجَلُّ» وَنَحْوَ ذَلِكَ ، وَهُوَ مِمَّا يُنْكَرُ عَلَى كُتَّابِ الزَّمَانِ : لِاسْتِعْمَالِهِ فِي الْأَعْلَى وَالْأَدْنَى عَلَى مَاسِيَاتِي بَيَانِهِ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى . عَلَى أَنْ هَذَا اللَّقْبُ فِي الدَّوْلَةِ الْفَاعِطِيَّةِ كَانَ هُوَ أَعْلَى الْأَلْقَابِ وَأَرْفَعَهَا قَدْرًا ، حَتَّى قَالَ ابْنُ شَيْبَةَ فِي «مَعَالِمِ الْكِتَابَةِ» : «إِنَّهُ مَحْظُورٌ عَلَى غَيْرِ الْوَزِيرِ . وَقَدْ كَانَتْ الْوِزَارَةُ فِي زَمَانِهِمْ بِمِثَابَةِ السُّلْطَنَةِ فِي زَمَانِنَا ، فَتَصَرَّفَ فِيهِ الْكُتَّابُ حَتَّى اسْتَعْمَلُوهُ فِي أَدْنَى الرَّتَبِ أَيْضًا ، وَالْأَجَلِيُّ نَسَبَةٌ إِلَيْهِ لِلْبَالِغَةِ .

(الأخَصُّ) من ألقاب أرباب السيوف ، والكُتَّابُ يستعملونه في أدنى الألقاب مما تَسْقُطُ فيه ياءُ النسب : من السامى بغير ياءٍ من دونه ، على أن معناه رفيع : لأخذه من الخُصُوصية : وهى الأفراد بالشيء ، وكان الأحقُّ أن يكون مختصاً بالألزام المقرين دون غيرهم ، والأخصى نسبةٌ إليه للبالغة .

(الأخويُّ) من الألقاب المختصة في الغالب بالمكاتب الإخوانية ، وربما وقعت في المكاتب الملوكية إذا كان قدرُ المَلِكين المتكاتبين متقارباً ، وهو نسبةٌ إلى الأخوة ، وكأنه جعله أخاه حقيقةً .

(الأريب) من ألقاب أرباب الأقلام . وهو في اللغة العاقل ، ومنه قيل للدَّهَاءِ إربُّ بكسر الهمزة وإسكان الراء لأنَّ الدَّهَاءَ من جملة العقل ، والأريبُ نسبةٌ إليه للبالغة .

(الأرقى) من ألقاب ملوك المغرب . وهو مأخوذٌ من الرقى : وهو الارتفاعُ والعلوُّ في الدرَج .

(الأزكى) من ألقاب ملوك المغرب أيضاً . وهو مأخوذٌ من الزكاة : وهى الزيادة ، كأنه نسبته إلى الزيادة في الرفعة ونحوها .

(الأسرى) بالسين المهملة من ألقاب ملوك المغرب . وهو مأخوذٌ من السرو وهو سخاءٌ في مروءة ، ومنه قيل لمن أشتمل على ذلك سرى ، وبه نسب من نسب «سرى الدين» .

(الأسفهلار) بسينين مهملتين بينهما فاء ثم هاء من ألقاب أرباب السيوف ، وكان في الدولة الفاطمية لقباً على صاحب وظيفة تلي صاحب الباب ، على ما تقدم

بيانه في الكلام على ترتيب الدولة العاطمية في المقالة الثانية . ومعناه «مُقدِّم العسكر» وهو مُركَّب من لفظين : فارسي ، وتُركي ، فأُسِّفَه بالفارسية بمعنى 'المقدم' ، وسِلَّار بالتركية بمعنى 'العسكر' ، والعامَّة تقول لبعض من يقف بباب السلطان من الأعوان (أسياسلار) بالباء الموحدة ، وكأنهم راعوا فيه معنى 'المقدم' في الجملة ، والباء تعاقب الفاء في اللغة الفارسية كثيرا ، ولذلك قالوا : أَصْبَهَان وَأَصْفَهَان بالباء والفاء جميعا ، والأُسْفَهْسِلَارِي نسبةٌ إليه للبالغة . وقد ذكر المقر الشهابي بن فضل الله في بعض دساتيره أن هذا اللقب يختصُّ بأمراء الطَّبَلْخَانَاهُ ، على أنه قد تُرِكَ أَسْتَعْمَالُهُ في زماننا ، وكأنهم كرهوا مشاركة بعض الأعوان فيه فأضربوا عنه لذلك ، أو لم يفهموا معناه فتركوه .

(الأسنى) من ألقاب ملوك المغرب . وهو مأخوذ من السَّناء بالمد : وهو الرفعة ؛ ويجوز أن يكون من السَّنا بالقصر : وهو الضياء .

(الأشرف) من ألقاب المقام والمقر في مصطلح كُتَّاب الزَّمان على ما تقدم ذكره ؛ وربما وقع أيضا في ألقاب ملوك المغرب . وهو أفعال التفضيل من الشرف بمعنى العلو .

(الأضعد) من ألقاب ملوك المغرب ، وهو أفعال التفضيل من الصُّعود ضدَّ الهبوط .

(الأصيل) من ألقاب أرباب الأقاليم غالبا . وربما وقع في ألقاب أرباب السُّيوف إذا كان لصاحب اللقب عرَاقَةٌ . نَسَب ؛ وهو فعيل من الأصيل بمعنى الحَسَب ، والأصيل نسبةٌ إليه للبالغة . قال في "عرف التعريف" : ويختصُّ بمن تَلَاثَةُ في الرِّبَاسَةِ ، ابنٌ عن أبي عن جدِّ .

(الأضخم) من ألقاب ملوك المغرب ، وهو مأخوذ من الضخامة ؛ والمراد بها هنا العظمة . وهي في أصل اللغة الغلظ وأستعملت في العظمة تجوزاً .

(الأعز) من ألقاب ملوك المغرب ؛ وقد يستعمل في ألقاب من لم يثبت فيه ياء النسب من السامى بغير ياء فما دونه كالأخص : فيقال « الأعز الأخص » ونحو ذلك ؛ وهو أفعال التفضيل من العز .

(الأعظم) من ألقاب السلطان ، يقال فيه « السلطان الأعظم » ويقع في ألقاب ملوك المغرب أيضا . وهو أفعال التفضيل من العظمة : وهي الكبرياء .

(الأعلى) من ألقاب ملوك المغرب . وهو أفعال التفضيل من العلو : وهو الارتفاع .

(الأعلم) من ألقاب ملوك المغرب . وهو أفعال التفضيل من العلم الذي هو خلاف الجهل .

(الأفخم) من ألقاب ملوك المغرب . وهو أفعال التفضيل من الفخامة : وهي العظمة والقوة .

(الأفضل) من ألقاب السلطان ؛ ويستعمل في ألقاب ملوك المغرب أيضا وهو أفعال التفضيل [من الفضل] بمعنى الزيادة ، والمراد الزيادة في الفضيلة .

(الأكل) من ألقاب السلطان أيضا ؛ ويستعمل في ألقاب ملوك المغرب وفي ألقاب من لم يثبت فيه ياء النسب من السامى بغير ياء فما دونه ؛ والأكل نسبة إليه للبالغة .

(الإمام) من ألقاب الخلفاء كما يقال في المكاتبات عنهم « من عبد الله ووليه الإمام الفلانى » وقد تقدم أن أول من تلقب به « إبراهيم بن محمد » أول من بويع له

بالخلافة من بني العباس، ويقع أيضا في ألقاب أكابر العلماء . وأصل الإمام في اللغة الذي يُقْتَدَى به ؛ ولذلك وقع على المجتهدين كالأئمة الأربعة أصحاب المذاهب المشهورة : وهم الشافعي، ومالك، وأبو حنيفة، وأحمد . والإمامية نسبة إليه للبالغة .

(الأئمة) من ألقاب ملوك المغرب ؛ وربما كُتِبَ به للتجار ونحوهم في ألقاب الصِّدْرِ الأَجَلِّ . وهو أفعال التفضيل من المجد : وهو الشرف أو الأصالة .

(الأميري) من ألقاب أرباب السيوف . قال في "عرف التعريف" : وَيُكْتَبُ به لِكِبَارِ وَإِنْ كَانُوا مِنْ أَرْبَابِ الأَقْلَامِ . وَذَكَرَ فِي دُسْتُورِهِ آخِرَ أَنَّهُ يَكْتَبُ به لِنَقِيبِ الأَشْرَافِ وَلَا يُكْتَبُ له القَضَائِيُّ أصْلا وَإِنْ كَانَ مِنْ أَرْبَابِ الأَقْلَامِ ؛ وَقَدْ تَقَدَّمَ لِقَبِ الأَمِيرِ مَجْرَدًا عَنْ يَاءِ النِّسْبِ وَأَصْلُهُ المَأخُودُ مِنْهُ فِي الكَلَامِ عَلَى ألقَابِ أَرْبَابِ الوِظَائِفِ فَاغْنَى عَنْ إِعَادَتِهِ هُنَا . وَاعْلَمْ أَنَّهُمْ لَمْ يَسْتَعْمَلُوا فِيهِ النِّسْبَةَ لِنَفْسِ الإِمْرَةِ فَلَمْ يَقُولُوا فِي النِّسْبَةِ إِلَيْهِ الإِمْرِيَّ كَمَا قَالُوا فِي النِّسْبَةِ إِلَى القَضَاءِ القَضَائِيَّ .

(الأمين) من ألقاب التجار الخوارجية وألقاب الخدام المعروفين في زماننا بالطواشية ، خُصُّوا بذلك لِأَثْمَانِ التِّجَارِ عَلَى الجَوَارِي والمَمَالِكِ فِي حَالِ جَلْبِهِمْ إِلَى المَلُوكِ ، وَأَثْمَانِ الخُدَّامِ عَلَى الحَرِيمِ والمَمَالِكِ بِأَبْوَابِ المَلُوكِ ، وَهُوَ مَاخُودٌ مِنَ الأَمَانَةِ ضِدَّ الخِيَانَةِ ؛ وَالْأَمِينِيُّ نِسْبَةٌ إِلَيْهِ للبالغة .

(الأوحد) يقع في الألقاب السلطانية ، ويكون من ألقاب أرباب الأقاليم لمن لا تثبت الياء في ألقابه من السامي بغير ياء فما دونه ، وفيه ما تقدم في الكلام على

(١) بياض بالأصول ولعله لكبار الأمراء ، أو الوزراء .

الأجل من الاعتراض على الكتاب في جمعهم الأعلى والأدنى في لقب واحد،
والأوحدى نسبة إليه للمبالغة .

حرف الباء

(البارعُ) من ألقاب أرباب الأقلام، وهو فاعلٌ من البراعة : وهي النهضة
بالشيء والتقدم فيه ؛ والبارعُ نسبة إليه للمبالغة .

(البليغُ) من ألقاب أرباب الأقلام ، وأحسن ما يقع في ألقاب دوى البلاغة
من الكتاب ونحوهم ، وهو فعيل من البلاغة : وهي تأدية كُنْهِ المراد بإيجاز لا يُخل ،
وإطناب لا يُمل ؛ والبليغُ نسبة إليه للمبالغة .

حرف التاء

(التقيُّ) من ألقاب ملوك المغرب يقال التقيُّ الزكيُّ ونحو ذلك ؛ وربما استعمل
بالديار المصرية في ألقاب أرباب الأقلام وأهل الصلاح ؛ وهو مأخوذ من التقوى
كما تقدم في الأتقي .

حرف الجيم

(الجليلُ) من ألقاب مَنْ يُكتب له الحاجُّ كقَدَمِي الدولة ونحوهم ، ويقال فيه :
«الحاجُّ الجليلُ» ونحو ذلك ؛ والجليلُ في أصل اللغة العظيمُ ، وكان مقتضى الوضع
أن يكون لأعلى من هذه الرتبة .

حرف الحاء المهملة

(الحاجُّ) من ألقاب مقدمي الدولة ومهتاريّة البيوت ومن في معناهم وإن لم
يكن قد حجَّ ، وإن كان موضوعُ الحاجِّ في العرف العامِّ إنما هو لمن حجَّ البيتَ
وإنما أصطلح لهم على ذلك حتى صار كالعالم عليهم .

(الحافظُ) من ألقاب المحدثين ؛ وأصله من الحفظِ ضدَّ النسيان ، وأختصَّ بالمحدثين لأحتياجهم إلى كثرة الحفظ لمتون الأحاديث وأسماء الرجال ونحو ذلك ؛ والحافظي نسبةٌ إليه للبالغة .

(الحافلُ) من ألقاب ملوك المغرب ، ومعناه الكثير الجمع ، أخذاً من قولهم وإِدِ حافلٌ إذا كثُر سِيه .

(الحاكم) من ألقاب القضاة . قال أبو جعفر النحاس في "صناعة الكتاب" : وأصله من الحكمة بفتح الكاف : وهي حديدةٌ مستديرةٌ في اللجام تمنع الدابة من الجري والشباب ؛ سُمِّي بذلك لأنه يردُّ الناس عن الظلم ؛ وأكثر ما يستعمله كُتَّاب الزمان في عنوان المكاتبات في تعريف المكتوب إليهم ، وفي أثنائها في وصف المكتوب بسببه ؛ والحاكمي نسبةٌ إليه للبالغة .

(الحائزُ) من ألقاب ملوك المغرب ، وهو فاعل من الحيازة ؛ وهي الحياطة ، والمراد الحائز للملك ، أو الحائز للفضائل ونحو ذلك .

(الحبر) من ألقاب أكابر العلماء - وهو بفتح الحاء وكسرها لغتان ، والذي اختاره ابن قتيبة في "أدب الكاتب" الكسر ، وبه سُمِّي الحبر الذي يُكتب به ، ولكن الجازي على السنة الناس الفتح ؛ والحبري نسبةٌ إليه للبالغة .

(الحجِّيُّ) بضم الحاء وكسر الجيم المشددة وفي الأخرى النسب من ألقاب أكابر القضاة والعلماء ، وهو منسوب إلى الحجَّة بحذف تاء التانيث منه على قاعدة النَّسَب ، كما تُحذف من طلحة ونحوه على ما هو مقرر في علم النحو . وبعضُ جهلة الكُتَّاب يثبت فيه تاء التانيث مع النسب فيقول الحجِّي وهو خطأ . ثم النسبة فيه

حقيقية لأن المنسوب إليه وهو الحجة غير من له اللقب، ويجوز أن تكون للبالغة بأن يجعل صاحب اللقب هو نفس الحجة تجوزاً وهو أبلغ.

(الحسيب) من ألقاب الشرفاء من ولد علي بن أبي طالب كرم الله وجهه من فاطمة رضي الله عنها، أخذاً من الحسب: وهو ما يعده الإنسان من مفاخر آباءه على ما ذكره جماعة من أهل اللغة ولذلك أختص في الاصطلاح بالشرفاء، إذ كان آباؤهم أعظم الناس مفاخر، لكن قد ذكر ابن السكيت في "إصلاح المنطق" أن الحسب يكون في الرجل وإن لم يكن له آباء لهم شرف؛ وعلى هذا فلا يختص هذا اللقب بذوى الأنساب التي فيها عراقة، والحسيب نسبة إليه للبالغة.

حرف الحاء المعجمة

(الخاصع) من ألقاب الصوفية وأهل الصلاح، وربما استعمل في العلماء، بل ربما استعمل في أرباب السيوف إذا كان المكتوب له متصفاً بذلك، بل ربما استعمل في ألقاب بطا ركة النصارى من الباب وغيره. على ما سيأتي ذكره في موضعه إن شاء الله تعالى. والخاصع في اللغة الخاضع والمتدلل، والخاصع نسبة إليه للبالغة.

(الحواجا) من ألقاب كبار التجار الأعاجم من الفرس ونحوهم. وهو لفظ فارسي، ومعناه السيد، والحواجي زيادة كاف نسبة إليه للبالغة، وكان الكاف في لغتهم تدخل مع ياء النسب.

(الخير) بفتح الحاء وتشديد الياء المشاة تحت، من ألقاب أهل الدين والصلاح. وهو في أصل اللغة خلاف الشرير، ثم غلب استعماله فيمن غلب عليه الخير، والخيري نسبة إليه للبالغة، وقل أن يستعمله الكتاب إلا باثبات الياء في آخره.

حرف الذال المعجمة

(الذَّخْر) بضم الذال وإسكان الخاء من ألقاب أرباب السيوف ، وربما أُطلق على غيرهم . وأصله في اللغة لما يُذخَرُ من النفائس ، وهو مصدر ذَخَرْتُ الشيءَ أَذخَرُهُ ، وكثيرا ما يُغلَطُ فيه فيجعل بالذال المهملة . وممن وقع له الوهم في ذلك الشيخ جمال الدين الأسنوي في "طبقات الفقهاء" فأورد صاحب "الذخائر" في الدال المهملة ؛ والذخري نسبة إليه للبالغة ، وأكثر ما يستعمله الكتاب كذلك .

حرف الراء المهملة

(الرَّبَّانِي) من ألقاب الصوفية وأهل الصَّالِح ، وربما لُقِّب به العالم فيقال «العالم الربَّاني» قال الجوهري ، وهو المُنَالَهُ والعارف بالله تعالى . قال تعالى : ﴿ كُونُوا رَبَّانِينَ ﴾ .

(الرَّحَلَة) بضم الراء من ألقاب أكابر العلماء والمُحَدِّثين ، والرَّحَلَة في اللغة ما يُرْحَلُ إليه ، لُقِّب بذلك لأنه في حَيَّزَاتٍ يُرْحَلُ إليه للأخذ عنه . أما الرَّحَلَة بالكسر فالأرتحال ؛ والرَّحَلِيّ بالضم أيضا نسبة إليه للبالغة .

(الرَّئِيس) بالهمزة على وزن فَعِيلٍ من ألقاب عِلْيَةِ الناس وأشرافِهِمْ ، ويقال : فيه رَيْسٌ على وزن قِيمَ قاله الجوهري . وأصله من الرِّياسَة وهي رِفْعَةُ القدر وَعُلُوُّ الرُّتْبَة ؛ والرَّئِيسِيُّ نسبة إليه للبالغة ، وغالب ما يستعمله الكتاب كذلك ، وهو من ألقاب أرباب الأقلام من العلماء والكتاب .

حرف الزاي

(الزَّاهِدُ) من ألقاب الصوفية وأهل الصَّالِح . وهو في اللغة خلافُ الرَّاغِبِ ، والمراد هنا مَنْ أَعْرَضَ عن الدنيا فلم يَتَمَسَّكْ إليها ، والزَّاهِدِيّ نسبة إليه للبالغة .

(الرَّعِيْمِيُّ) من ألقاب أكابر أرباب السيوف، كُنُوب السلطنة ومن في معانهم؛ وهو نسبة إلى الرِّعِيمِ بمعنى السيد والكافِلِ وَكَأَنَّهُ بولايته على القوم سادهم أو كفَلَهُمْ وتولاهم ولم يستعملوا فيه الرِّعِيمِ بغير ياء : لأنه إذا كان مختصا بكار أرباب السيوف دون أدانهم، وجب إثبات الياء للمبالغة.

(الرَّزَكِيُّ) من ألقاب المتدينين من أرباب الأقلام وغيرهم، يقال التقيّ الرزكيّ ونحو ذلك . وهو في أصل اللغة بمعنى الزاكي وهو الزائد وقد تقدم مثله في الأزكيّ في حرف الألف .

حرف السين المهملة

(السالِك) من ألقاب الصوفية وأهل الصلاح، وهو فاعل من السلوك، والمراد سلوك سبيل الرشاد الموصل إلى الله تعالى، والسالكيّ نسبة إليه للمبالغة .

(السامي) من ألقاب المجلس، وقد تقدمت الإشارة إليه في الكلام على الألقاب الأصول وأنه ينقسم إلى الساميّ بالياء والسامي بغير ياء فليراجع منه .

(السَّفِيرِيُّ) قال في "عرف التعريف" : وهو من الألقاب الخاصة بالدوّادار، على أنى قدر أيته في بعض الدساتير الشامية قد كُتِبَ به لبعض التجار الخواجكية لسفارتهم بين الملوك وترددهم في الممالك لجلب الممالك والحوارى ونحو ذلك وهو منسوب إلى السفير : وهو الرسول والمصلح بين القوم نسبة مبالغة ولم يستعمله الكتاب مجردا عن الياء : لأنه إذا كان خاصا بهدين ورتبتهما عليه لا يليق بها حذف الياء لم يناسب استعماله مجردا عنها .

(السلطانيّ) من ألقاب الملوك فيثبت في ألقاب المقام الشريف ونحوه، فيقال المقام الشريف العالى السلطانيّ ونحو ذلك ؛ وهو منسوب إلى السلطان وقد تقدم الكلام عليه في الكلام على أرباب الوظائف .

(السيد) من الألقاب السلطانية يقال السلطان السيد الأجل ونحو ذلك ، ويقع
 في اللغة على المالك والزعيم ونحوهما ، والسيدى نسبة إليه للبالغة ، وهو من الألقاب
 الخاصة بالجناب الشريف فما فوقه . قال في "عرف التعريف" ولا يكتب به عن
 السلطان لأحد .

حرف الشين المعجمة

(الشاهنشاه) من الألقاب الملوكية المختصة بالسلطان وأكابر الملوك . وهو لفظ
 فارسي معناه بالعربية «ملك الأملاك» وقد ورد النهى عن التسمي به . وفي الحديث
 أنه صلى الله عليه وسلم قال : "إن أخنع أسم عند الله رجل تسمى ملك الأملاك .
 لا ملك الأملاك إلا الله" . قال سفيان بن عيينة : معناه شاهنشاه ، ولذلك يحذفه
 المتدينون من الكتاب من الألقاب السلطانية ، وقد أشار إلى ذلك في "التثقيف"
 في مكتبة صاحب المغرب .

وأعلم أنه كان قد وقع في تلقيب الملوك بهذا اللقب نزاع بين العلماء في سلطنة
 السلطان "جلال الدولة" السلجوقي في سنة تسع وعشرين وأربعمائة كما حكاه ابن
 الاثير في تاريخه "الكامل" وذلك أن السلطان جلال الدولة كان قد سأل أمير المؤمنين
 (القائم بأمر الله) الخليفة يومئذ في أن يخاطب بملك الملوك فامتنع ، فكتب فتوى
 للفقهاء في ذلك . فكتب القاضي أبو الطيب الطبري ، والقاضي أبو عبد الله الصيمري .
 والقاضي ابن البيضاوي . وأبو القاسم الكرخي بجوازه ، ومنع منه أفضى القضاة
 أبو الحسن الماوردي ، وجرى بينه وبين من أفتى بجوازه مراجعات ، وخطب
 لجلال الدولة بـ «ملك الملوك» وكان الماوردي من أخص الناس بجلال الدولة .
 وكان يتردد إلى دار المملكة كل يوم فلما أفتى في ذلك بالمنع ، أنقطع ولزم بيته خائفاً .

وأقام منقطعا من شهر رمضان إلى يوم النحر، فاستدعاه جلال الدولة، فحضر خائفاً فأدخله عليه وحده، وقال له: قد علم كل أحد أنك من أكثر الفقهاء مالا وجاهاً وقرباً منا وقد خالفتهم فيما خالف هواي، ولم تفعل ذلك إلا لعدم المحاباة منك وأتباع الحق، وقد بان لي موضعك من الدين ومكانك من العلم، وجعلت جزاء ذلك إكرامك بأن أدخلتك إلى وحدك، وجعلت إذن الحاضرين إليك، ليتحققوا عودى إلى ما يحب. فشكره ودعاه وأذن لكل من حضر للخدمة بالانصراف.^(١)

(الشريف) من ألقب المقتر والجناب، من حيث إنه يقال المقتر الشريف والجناب الشريف، وذكر في "عرف التعريف" أنه مختص بالأشراف أبناء فاطمة من على رضي الله عنهما، وكأنه يريد في الألقاب المطلقة التي لا تلي المقتر والجناب وهو فعيل من الشرف وهو العلو والرفعة، قال ابن السكيت: ولا يكون إلا لمن له آباء يتقدمونه في الشرف بخلاف الحسيب ومن هنا جعله الكتاب أعلى رتبة من الكريم لأشتماله على قدر زائد لا يعتبر في الكريم من عرقه الأصل وشرف المحتد، والشريفة نسبة إليه للمبالغة.

(الشهير) من ألقاب ملوك المغرب، ومعناه المشهور الظاهر، والمراد هنا من أشهر علوقه ورفعته.

(الشيخ) من ألقاب العلماء والصلحاء وأصله في اللغة الطاعن في السن، ولقب به أهل العلم والصلاح توفيراً لهم كما يوقر الشيخ الكبير والشيخى نسبة إليه للمبالغة.

حرف الصاد المهملة

(الصاحب) من ألقاب الوزراء. قال في "عرف التعريف": وهو مختص بأرباب الأعلام منهم دون أرباب السيوف. وهو في أصل اللغة اسم للصديق،

(١) أورد ابن الأثير هذه العبارة في كتابه الكامل (ج ٩ ص ١٧١).

وأول من لُقِّبَ به من الوزراء كافي الكُفَاة إسماعيلُ بنُ عباد، وذلك أنه كان يصحب الأستاذَ ابنَ العميد، فكان يقال له بذلك «صاحبُ ابنِ العميد» ثم غلب عليه حتى استُعمل فيه بالألف واللام، ثم صار لقباً على كل من ولي الوزارة بعده . على أن كُتِبَ الإنشاء بالممالك الشامية يلقَّبون العلماء من قضاة القضاة ومن في معنهم بذلك، وهم على ذلك إلى الآن ، بخلاف كُتِبَ الديار المصرية ، فإنهم يقصرونه على الوزراء دون غيرهم كما تقدمت الإشارةُ إليه . والصاحبي نسبةٌ إليه للبالغة . وهو المستعمل عند كُتِبَ الإنشاء، وبغير الياء في العرف العام .

(الصالح) من ألقاب أهل الصَّلاح والصُّوفية يقال الشيخُ الصالحُ ونحو ذلك . وهو مأخوذ من الصَّلاح ضدَّ الفساد، ولم يستعملوه بإثبات ياء النسب فلم يقولوا الصالحِي ، وكأنهم تركوا ذلك خوفاً من الالتباس بالنسبة إلى البلد المعروف أو غيره .

(الصَّدر) من ألقاب التجَّار ونحوهم . والمراد من يكون صدرًا في المجالس، وصدر كلِّ شيء في اللغة أوله، وعبر عن صدر المجلس بأوله لأنه في الحقيقة أولُ المجلس وكل جانب من جانبيه تلوُّله، والصَّدرِي نسبةٌ إليه للبالغة .

حرف الطاء

(الطاهر) من ألقاب ملوك المغرب، والمراد المتَّزَّه عن الأدناس .

حرف الظاء

(الظَهيري) من ألقاب كبار أرباب السُّيوف كأعيان الأمراء من نواب السلطنة وغيرهم، وهو نسبةٌ إلى الظهير بمعنى العون للبالغة، ومنه قوله تعالى :

﴿ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴾ ولم يستعملوه مجردا عن ياء النسب لأختصاص المظاهرة بأكابر أرباب السيف، وهو بغير الياء لا يقع إلا على الأدوان منهم .

حرف العين

(العابد) من ألقاب الصوفية وأهل الصلاح . وهو فاعل من العبادة وهي الطاعة . وربما استعمل في أرباب السيف والأقلام أيضا : لآتصاف متصفيهم بذلك أو وقوعه أولا على متصفيهم ثم لزومه من بعده من أهل تلك المرتبة كما في نائب الشام ، حيث كتب ليُدْمَر الخوارزمي في نيابته بذلك ، ثم لزم من بعده من نواب الشام والنائب الكافل على ما سيأتي ذكره في المكاتبات إن شاء الله تعالى .

(العادل) من ألقاب السلطان ، وهو خلاف الجائر ، وذلك أعلى ما وُصف به الملك ونحوه من ولاة الأمور : لأن العدل به تقع عمارة الممالك ، والعدل نسبة إليه للبالغة ، وهو من ألقاب أكابر أرباب السيف من النواب ونحوهم .

(العارف) من ألقاب أكابر أهل الصلاح ، وهو خلاف الجاهل ، ومنهم من يفرق بينه وبين العالم بأن المعرفة قد يتقدمها جهل والعلم لا يتقدمه جهل ، ولذلك لم يُطلق اسم العارف على الباري سبحانه وتعالى بخلاف العالم فإنه يُطابق عليه ، والعارف نسبة إليه للبالغة .

(العاضد) من ألقاب ملوك المغرب ، وهو في أصل اللغة اسم للمعين ، يقال عَضَدْتُهُ أَعْضُدُهُ إِذَا أَعْتَمْتَهُ .

(العالم) من ألقاب السلطان ، وهو خلاف الجاهل . ثم هو في الحقيقة إنما هو من ألقاب العلماء إلا أنهم نعتوا به الملوك تعظيما ، إذ العلم كل أحد يزاحم على

الأتصاف به ، والعالمى نسبة إليه للبالغة . وهو من الألقاب المشتركة في الاصطلاح بين أرباب السيوف والأقلام وإن كان المختص بها في الحقيقة العلماء .

(العالمى) من الألقاب التي يشترك فيها أرباب السيوف والأقلام ، ويوصف به المقام والمقر والجناب والمجلس في إحدى حالتيه ، وهو من العلاء بالمد وهو الشرف . يقال على بكسر اللام يعلى بفتحها إذا شرف ، ومنه قيل في على ونحوه «علاء الدين» ويحتمل أن يكون من العلو في المكان يقال فيه علا بفتح اللام يعلو علوا ، وسيأتي معنى الفرق بينه وبين السامى وإن كان بمعناه في اللغة .

(العامل) من ألقاب أهل الصلاح ، والمراد المحيد في العمل المجتهد في العبادة ، والعالمى نسبة إليه للبالغة ، وهو من الألقاب المشتركة بين أرباب السيوف والأقلام كالعالمى .

(العريق) من ألقاب ذوى الأصالة ، وأكثر ما يقع على أرباب الأقلام ، والمراد من له عرابة في كرم الأصل ، والعريق نسبة إليه للبالغة .

(العزیز) من ألقاب ديوان الخلافة ، يقال فيه «الديوان العزیز» على ما سيأتي بيانه في المكتبة إلى أبواب الخلافة ، وربما استعملوه في الولد فقالوا الولد العزیز ، ولم يستعملوه مضافا إلى ياء النسب .

(العُضد) من ألقاب أرباب السيوف ، وهو في الأصل اسمٌ للساعد : وهو ما بين المرفق والكتف ، واستعمل في المعين والمساعد لقيامه في المساعدة مقام العضد الحقيقي من الإنسان ، ثم الأوضح فيه فتح العين مع ضم الضاد ، ويجوز فيه كسر الضاد وإسكانها مع الفتح أيضا وضم العين مع إسكان الضاد ، والعُضدى نسبة إليه للبالغة .

(العَوْنِيُّ) من الألقاب المختصة بأكابر أرباب السيوف ، وهو نسبة إلى العَوْن وهو الظهيرُ على الأمرِ المعاوَنُ عليه . ولم يستعملوه مجرداً عن ياء النسب لوقوع العَوْنِ على الواحد من أعوانِ صاحب الشرطة ونحوه

(العَلَّامَةُ) بالتشديد من ألقاب أكابر العلماء . قال الجوهري : وهو العالمُ للغاية ، وَقَلَّ أن يُستعملوه إلا في ألقاب المكتوب بسببه ونحو ذلك ، وحذف الهاء منه لغةً ، وليست بمستعملة بين الكُتَّاب أصلاً ، والعلَّامى نسبة إلى العَلام أو العَلَّامة للمبالغة . قال في "عرف التعريف" : ويختص بالمفتي .

حرف الغين المعجمة

(الغازى) من ألقاب أرباب السيوف . وهو من الأسماء المنقوصة كالتقاصى ونحوه ، وَقَلَّ أن يُستعمل إلا في ألقاب السامى بغير ياء فما دونه .

(الغَوْثُ) بالثاء المثلثة من ألقاب الصوفية ، وهو عندهم لقب على القطب الذى هو رأس الأولياء ، وأصله فى اللغة من قول الرجل واغوثاً ، وَقَلَّ أن تستعمله الكُتَّاب بل لم يستعملوه مضافاً إلى ياء النسب أصلاً .

(الغِيَاثِي) من ألقاب أرباب السيوف . وأكثر ما يُستعمل فى الملوك ، وهو فى اللغة الأسم من استغاثني فأغثته . وأصله الغوثاى بالواو فقلبت الواو ياء لأنكسار ما قبلها .

حرف الفاء

(الفاتح) من ألقاب ملوك المغرب ، وهو فاعلٌ من الفتح بمعنى المنصر . والفتح فتح الأمصار وتملكها .

(الفاضل) من ألقاب أرباب الأعلام ، وأكثر ما يقع في ألقاب العلماء ، وربما وقع في ألقاب الكُتَّاب ، وهو خلاف الناقص ، والمراد زائد الفضل ، وبه لقب القاضي الفاضل « عبد الرحيم اليبسائي » الكاتب المشهور ، والفاضل نسبة إليه للبالغة .

(الفائز) من ألقاب ملوك المغرب ، وهو فاعلٌ من الفوز بمعنى النجاة أو الظفر ، وقد يُسَاحَّح في التلقيب به فإن الفوز يطلق على الهلاك أيضا على ما هو مقرر في كتب اللغة ، ومثل ذلك يجبُ اجتنابه لما فيه من الاشتراك بين المحمود والمذموم ، إلا أنه غلب استعماله في النجاة حتى إنه لم يرد في القرآن إلا بمعناها ، ولذلك عول الكُتَّاب على استعماله .

(الفقيه) من ألقاب العلماء وهو اسم فاعل من فقه بضم القاف إذا صار الفقه له سجيّة ، ككرم إذا صار الكرم له سجيّة . قال المسيلي في شرح مختصر ابن الحاجب : وإنما يقع على المجتهد دون المقلد ، أما إطلاقه على فقهاء المكاتب ونحوهم فعلى سبيل المجاز . على أن الكُتَّاب بالديار المصرية لم يستعملوا هذا اللقب إلا في القليل النادر ، بل كثير من جهلة الكُتَّاب وغيرهم يستصغرون التلقيب به ويعتونه نقصا ، وإنما يعظم به جدّ التعظيم أهل المغرب ، والفقهي نسبة إليه للبالغة ، وهو مستعمل في ألقاب العلماء .

(الفريدي) من ألقاب أكابر العلماء ، وهو نسبة إلى الفريد بمعنى المنفرد للبالغة ، والمراد المنفرد بما لم يُشاركه فيه غيره ، ولم يستعملوه مجردا عن ياء النسب .

(١) كذا بالاصول ولعله السبكي انظر شرح مختصر ابن الحاجب في كشف الظنون .

حرف القاف

(القاضوى) من ألقاب أرباب الأقاليم ، وهو نسبة إلى القاضى للبالغة ، ثم فى الحقيقة كان يجب أن يختص بالقضاة الذين هم حكام الشريعة دون غيرهم ، إلا أنه توسع فيه حتى استعمل فى غيرهم من ألقاب أرباب الأقاليم .

(القُدوة) بكسر القاف وضمها لغة من ألقاب العلماء والصلحاء ، وهو بمعنى الأسوة . يقال : فلان قُدوة يُقتدى به ، والقُدوى نسبة إليه للبالغة ، وحذفت منه تاء التانيث المبدلة من الهاء على قاعدة النسب عند النحاة ، وكثير من جهلة الكُتاب يُثبتون فيه تاء التانيث مع النسب فيقولون القُدوتى ، وهو خطأ كما تقدم فى الكلام على المجة فى حرف الحاء .

(القَضَائِمِي) من الألقاب التى يستعملها بعض الكُتاب فى ألقاب من أجمع له رياسة السيف والقلم ، وهو نسبة إلى القضاء والأمير تشبيهاً بمذهب من يرى النسبة إلى المضاف والمضاف إليه جميعاً فيقول فى النسبة إلى عبد شمس عبشمى ، وإلى عبد الدار عبدرى ، ونحو ذلك ، وهو مذهب مرجوح على ما تقدم بيانه فى المقالة الأولى فى الكلام على النحو ، والأحسن فيه النسبة إلى كل منهما على أنفراده ، فيقال القضاى الأميرى ، أو الأميرى القضاى ، وعلى العمل به فاللائق بعلو الرتبة أن يقال القاضيمى ليكون مراباً من القاضوى والأميرى ، إذ كان القاضوى فى المعنى أبلغ من القضاى لما فى القاضوى من البالغة على ما تقدم بيانه .

(القَضَائِي) من ألقاب أرباب الأقاليم ، وهو نسبة إلى القضاء فلا مبالغة فيه . (القطب) من ألقاب الصوفية وأهل الصلاح ، وهو عندهم عبارة عن رأس الأولياء الذى عليه مدارهم كما تقدم فى الغوث ، وقل أن يستعمله الكُتاب .

ولم يستعملوه مضافاً إلى ياء النسب فيما وقفتُ عليه أصلاً . والقُطْبُ في أصل اللغة كوكبٌ بين الجدي والفرقدين يدور عليه الفلك فيما قاله الجوهري . والتحقيق أنه نقطة متوهمة بالقرب من هذا الكوكب على ما هو مقرر في علم الهيئة ، ولذلك قيل لسيد القوم الذي عليه مدار أمرهم قُطْبُ بنى فلانٍ ، ومن هنا عبروا عن مدار الأولياء بالقُطْب . وقل أن يستعمله الكُتَّاب ، ولم يستعملوه مضافاً إلى ياء النسب فيما وقفتُ عليه .

(القَوَامِي) بفتح القاف من ألقاب أرباب السيوف . وهو نسبةٌ إلى القوام وهو العدل . ومنه قوله تعالى : ﴿ وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا ﴾ ولم يستعملوه مجرداً عن ياء النسب .

حرف الكاف

(الكافِل) من الألقاب المختصة بنائب السلطنة بالحضرة ، يقال فيه النائب الكافل ونحو ذلك ، والكافل في اللغة الذي يكفل الإنسان ويعوله ، ومنه قوله تعالى : ﴿ وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا ﴾ ولُقِّبَ بذلك لأنه يكفل الرعية ويعولهم ، والكافلي نسبة إليه للبالغة . قال في "عرف التعريف" : وهو مختص بنائب سلطان أو وزير كبير . وذكر في دستور آخر أنه لا يكتب به لغيرهما .

(الكَئِيم) من الألقاب المشتركة بين أرباب السيوف والأقلام ، وهو في الأصل لخلاف الصغير ، والمراد هنا الرفيع الرتبة ، والكئيمي نسبة إليه للبالغة .

(الكَرِيم) من ألقاب المقرِّ والحنَّاب ، ويشترك فيه أرباب السيوف والأقلام . والكريم خلاف اللئيم فيما يقتضيه كلام الجوهري حيث قال : الكرم نقيض اللؤم . وحينئذ فيكون المراد بالكريم الخالص من اللؤم ، ومن ثم جعل دون الشريف

في الرتبة، إذ في الشرف قدر زائد على ذلك، وهو اعتبار ثبوت رفعة القدر، بل اعتبار ذلك في آباءه أيضا كما قاله ابن السكيت على ما تقدم ذكره في الكلام على لقب الشريف، ويوضح ذلك أن الفقهاء قالوا يستحب في الزوجة أن تكون نسبية فحمله بعضهم على الصحيحة النسب احترازا بذلك عن بنت الزنا، وحمله آخرون على العراقة في النسب، والأول في معنى الكرم الذي لم يعتبر فيه سوى خلوصه من اللؤم، والثاني بمعنى الشريف الذي اعتبر فيه قدر زائد، ثم هو فعيل من كرم بضم الراء إذا صار الكرم له سجية كما تقدم في الفقيه.

(الكفيلي) من ألقاب أكابر نواب السلطنة، وهو أعلى من الكافل، لأن صيغة فعيل أبلغ من صيغة فاعل على ما هو مقرر في علم النحو والتصريف.

حرف اللام

(الليبي) من ألقاب أرباب الأقلام، وهو فعيل من اللب وهو العقل، والليبي نسبة إليه للبالغة.

(اللوذعي) بالذال المعجمة من ألقاب أرباب الأقلام، وهو الذكي القلب.

حرف الميم

(الماجد) من ألقاب أرباب الأقلام غالبا، وربما أطلق على غيرهم، وهو مختص بذوى الأصالة فقد قال ابن السكيت إن المجد لا يكون إلا بالآباء، والماجد نسبة إليه للبالغة.

(المالكي) من الألقاب المختصة بأكابر أرباب السيوف والأقلام. قال في "عريف التعريف": ولا يكتب به عن السلطان لأحد، وهو نسبة إلى المالك الذي هو خلاف المملوك للبالغة، ولم يستعملوه مجردا عن ياء النسب.

(الْمُشَاغِرُ) بالشاء المثلثة من ألقاب السلطان ، والمراد القائمُ بسدِّ الثغور : وهي البلادُ التي في نحرِ العدو ، أخذًا من الثَّغْر وهو السَّن ، لأنه كاللباب على الخلق الذي يمتنع الوصول إليه إلا منه ، والمُشَاغِرِي نسبةٌ إليه للمبالغة ، وهو من ألقاب أكابر أرباب السيوف كُنُوب السلطنة ونحوهم .

(المتصرفي) من ألقاب الوزراء ومن في معانهم ، والمراد من ينفذ تصرفه في الأمور ، ولم يستعملوه مجزداً عن ياء النسب .

(المجاهد) من الألقاب السلطانية ، والمراد المجاهد في سبيل الله تعالى ، وربما استعمل في ألقاب السامى من غير ياء فما دونه كما تقدم في الغازى ، والمجاهدى نسبةٌ إليه للمبالغة ، وهو من ألقاب أكابر أرباب السيوف كُنُوب السلطنة ونحوهم .

(المجتهد) من ألقاب العلماء ، والمراد به في الأصل من يستنبط الأحكام الشرعية من الكتاب والسنة والإجماع والقياس ، وقيل أن يستعمله الكتاب والمجتهدى نسبةٌ إليه للمبالغة ، وأكثر استعماله كذلك .

(المحترم) من ألقاب العامة من يلقب بالصدر الأجل ، فيقال : «الصدر الأجل الكبير المحترم» ونحو ذلك .

(المحقق) من ألقاب العلماء ، وربما استعمل في ألقاب الصوفية ، والمراد أنه باتى بالأشياء على حقائقها لحدة ذهنه وصحة حديثه ، والمحققى نسبةٌ إليه للمبالغة .

(المختار) من ألقاب أرباب السيوف غالباً ، ويختص بالسامى بغير ياء فما دونه ، وهو اسم مفعول من الاختيار ، بمعنى أن الملوكة وأرباب الأمور يختارونه ، على أن اسم الفاعل منه أيضاً المختار كلفظ المفعول على السواء وإنما تُرشد إليه الترائن .

(المُخْدُوم) من الألقاب المختصة بالمكاتب، والمراد مَنْ هو في رتبة أن يكون مَخْدُوماً لعلو رتبته وسمو محله، والمخدومي نسبة إليه للبالغة. قال في "عرف التعريف": ولا يُكْتَبُ به عن السلطان لأحد.

(المُدَبَّرِي) من ألقاب الوزراء وَمَنْ في معانهم كُتِبَ السِّرَ ونحوهم، وهو نسبة إلى المدبّر بكسر الباء الموحدة: وهو الذي ينظر في الأمر وما تؤول إليه عاقبته، ولم يستعملوه مجزداً عن ياء النسب.

(المُدَقِّق) من ألقاب العلماء، وهو الذي يُنعم النظر في المسائل ويدققه، والمدققى نسبة إليه للبالغة.

(المُرَابِط) من الألقاب السلطانية، وهو مُفَاعِلٌ من الرِّبَاط: وهو ملازمة نُغْرِ العدو، والمُرَابِطِي نسبة إليه للبالغة. وهو من ألقاب أرباب السيوف، كُنُوبِ السلطنة ونحوهم.

(المُرَبِّي) من ألقاب الصوفية، والمراد مَنْ يربّي المريدين ويسلكهم ويعرفهم الطريق إلى الله تعالى.

(المُرْتَضَى) من ألقاب أرباب السيوف والأقلام، ويختص بالسامى بغيرياء فما دونه، والمراد مَنْ يرضاه ولاة الأمور ويختارونه.

(المُرْشِد) من ألقاب ملوك المغرب، وربما استعمل في ألقاب الصوفية، والمراد مَنْ يُرشدُ الناس إلى الحق ويهديهم السبيل، والمرشدي نسبة إليه للبالغة.

(المُسَدِّدِي) من ألقاب أرباب السيوف وألقاب الوزراء وَمَنْ في معانهم، وهو بفتح الدال المشددة نسبة إلى المسدّد، وهو اسم مفعول من السدّاد بالفتح: وهو

الصَّوَابِ وَالْقَصْدِ مِنَ الْقَوْلِ وَالْعَمَلِ . وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ بِالْكَسْرِ عَلَى أَنَّهُ أَسْمُ فَاعِلٍ مِنْهُ بِمَعْنَى أَنَّهُ يُسَدَّدُ غَيْرَهُ ، وَلَمْ يَسْتَعْمَلُوهُ مَجْتَرِدًا عَنْ يَاءِ النِّسْبِ .

(الْمَسَلِّكُ) بِتَشْدِيدِ اللَّامِ الْمَكْسُورَةِ مِنْ أَلْقَابِ الصُّوفِيَّةِ ، وَهُوَ أَسْمُ فَاعِلٍ مِنْ تَسْلِيكِ الطَّرِيقِ وَهُوَ تَعْرِيفُهَا ، وَالْمُرَادُ تَعْرِيفُ الْمُرِيدِينَ الطَّرِيقَ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى ، وَأَصْلُ التَّسْلِيكِ إِدْخَالُ الشَّيْءِ فِي الشَّيْءِ ، وَمِنْهُ قِيلَ لِلْحَيْطِ سَلَكٌ ، لِقَبْ بِذَلِكَ إِدْخَالَهُ الْمُرِيدِينَ فِي الطَّرِيقِ ، وَالْمَسَلِّكِيُّ نِسْبَةٌ إِلَيْهِ لِلْبَالِغَةِ .

(الْمُشِيدِي) بِتَشْدِيدِ الْيَاءِ الْمَكْسُورَةِ مِنْ أَلْقَابِ كَبِيرِ أَرْبَابِ السُّيُوفِ ، كُنُوتِ السُّلْطَنَةِ وَنَحْوِهِمْ . وَهُوَ نِسْبَةٌ إِلَى الْمُشِيدِ فَاعِلٍ مِنَ التَّشِيدِ وَهُوَ رَفْعُ الْبِنَاءِ ، وَمِنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿ وَقَصِيرٌ مَشِيدٌ ﴾ أَي مَرْتَفِعٌ ، وَالْمُرَادُ أَنَّهُ يُشِيدُ قَوَاعِدَ الْمَمْلُوكَةِ وَيَرْفَعُهَا ، وَلَمْ يَسْتَعْمَلُوهُ مَجْتَرِدًا عَنْ يَاءِ النِّسْبِ إِذْ لَا يَلِيقُ بِالْأَذْنِينَ .

(الْمُشِيرِي) مِنْ أَلْقَابِ الْوُزَرَاءِ وَأَكْبَرِ الْأُمَرَاءِ وَمَنْ ضَاهَاهُمْ مَنْ يُؤْخَذُ رَأْيُهُ فِي الْأُمُورِ . قَالَ فِي "عَرَفِ التَّعْرِيفِ" : وَلَا يُسْمَعُ بِهِ لِأَحَدٍ مِنْ أَرْبَابِ السُّيُوفِ مَا لَمْ يَكُنْ مَقْدَمَ أَلِفٍ ، وَهُوَ نِسْبَةٌ إِلَى الْمُشِيرِ : وَهُوَ الَّذِي يُؤْخَذُ رَأْيُهُ . وَأَخْتَلَفَ فِي أَصْلِهِ الْمَأْخُودُ مِنْهُ فَقِيلَ : مِنْ شُرْتِ الْعَسَلِ إِذَا اسْتَخْرَجْتَهُ مِنْ كَوَارِثِ النُّحْلِ ، لِأَنَّ الرَّأْيَ يُسْتَخْرَجُ مِنَ الْمُشِيرِ . وَقِيلَ مِنْ شُرْتِ النَّاقَةِ إِذَا عَرَضَتْهَا عَلَى الْحَوْضِ لِأَنَّ الْمُسْتَشِيرَ يَعْضُضُ مَا عِنْدَهُ عَلَى الْمُشِيرِ ، وَلَمْ يَسْتَعْمَلُوهُ مَجْتَرِدًا عَنْ يَاءِ النِّسْبِ لِأَنَّهَا عَنْ رَتْبَةِ الْكَبِيرِ .

(الْمُظَاهِرِ) مِنْ أَلْقَابِ مُلُوكِ الْمَغْرِبِ ، وَمَعْنَاهُ الْمُعَاوَنُ أَخْذًا مِنَ الْمُظَاهَرَةِ : وَهِيَ الْمُعَاوَنَةُ .

(الْمُظَفَّرِ) مِنَ الْأَلْقَابِ السُّلْطَانِيَّةِ . أَخْذًا مِنَ الظَّفَرِ وَهُوَ النَّصْرُ ، وَالْمُظَفَّرِيُّ نِسْبَةٌ إِلَيْهِ لِلْبَالِغَةِ ، وَهُوَ مِنْ أَلْقَابِ كَبِيرِ أَرْبَابِ السُّيُوفِ .

(المُعْرَق) بضم الميم وإسكان العين وكسر الراء من ألقاب ملوك المغرب، والمراد به من أَعْرَقَ في الكَرَم . على أن المُعْرِق قد يُطْلَق في اللغة على المُعْرِق في اللُّوم أيضا فهو من الأضداد، ومثل ذلك يُجْتَنَب في التلقيب .

(المُعَزَّز) بزائين معجمتين الأولى منهما مشددة مفتوحة من ألقاب ملوك المغرب، وهو اسمٌ مفعول من العَزَّ خلاف الذَّلَّ، ومنه قراءة من قرأ (ويعززه ويوقروه) بزائين معجمتين .

(المُعْظَم) بفتح الظاء المشددة من ألقاب ملوك المغرب أيضا، وهو اسمٌ مفعول من العَظْمَة وهي الجلالة، وربما أُسْتُعْمِل في ألقاب بعض ملوك الكُفْر على ماسياتي ذكره فيما بعد إن شاء الله تعالى .

(المُفَخِّم) بفتح الخاء المعجمة المشددة من ألقاب ملوك المغرب، وهو مأخوذ من الفَخَامَة وهي الضخامة .

(المُفَوِّد) بفتح الواو المشددة من ألقاب البُلَغَاء من الكُتَّاب وغيرهم . وهو البليغ اللِّسَنُ والمُفَوِّهُ نسبة إليه للبالغة .

(المُفِيد) من ألقاب العلماء، وهو اسمٌ فاعِلٍ من الإفادة وهي إنالة الشخص مالم يكن حاصلًا عنده؛ والمُفِيدُ نسبة إليه للبالغة .

(المُقَدِّم) بفتح الدال المشددة من ألقاب أرباب السيوف . ويختص بمقدمي الألوْف من الأمراء، والمراد أنه مُقَدِّم على مضاهيه من الأمراء والأجناد، ولم يستعملوه مجردا عن ياء النسب .

(المُقَرَّب) بفتح الراء المشددة من ألقاب الخُدَّام والخَوَاجِكِيَّة، والمراد أنه مقربٌ عند الملوك ومن في معناهم، وهو من القُرب خلاف البُعد؛ والمقربى نسبة إليه للبالغة .

(المُكْرَم) بفتح الراء المشددة من ألقاب ملوك المغرب . وهو مُفْعَل من الكرامة .

(المَلِكِي) بفتح اللام من ألقاب المَلِك وألقاب أتباعه المنسوبين إليه من الأمراء والوزراء ومن في معناهم؛ وهو نسبةٌ إلى المَلِك بكسر اللام وإنما فُتِحَت لامه في النسب بحراً على قاعدة النسب في تَمَر فإنه ينسب إليه تَمَرِي بفتح الميم على ما هو مقرَّر في علم النحو . على أن كثيراً من كُتَّاب الزمان يغلطون فيه فيكسرون لامه في النسب أيضاً وهو خطأ . ثم النسبة إن كانت في حق المَلِك نفسه كقولهم في ألقاب المَلِك المَلِكِي ، فالنسبة فيه للبالغة ، وإن كانت في حق أحدٍ من أتباعه كقولهم في حق بعض الأمراء ونحوهم المَلِكِي الفلاني فالنسبة فيه على حقيقة النسب .

(المُسَجَّد) بفتح الجيم المشددة من ألقاب ملوك المغرب . وهو مُفْعَل من المَجْد وهو الشرف . وقد تقدَّم في الكلام على الماجد عن ابن السكيت أنه يكون المَجْد للرجل وإن لم يتقدَّمه شرفُ آباء .

(المُنْهَدِي) بكسر الهاء المشددة من ألقاب أكابر أرباب السيوف ، نسبةٌ إلى المُنْهَد : وهو الذي يمهد الممالك ويدوِّخها ، والنسبة فيه للبالغة ، ولم يستعملوه مجرداً عن ياء النسب .

(١) المقول في كتب اللغة عن ابن السكيت أن المجد والشرف لا يكونان إلا بالآباء والحسب والكرم يكونان للرجل وإن لم يكن له آباء كرام وقد نقل المؤلف نفسه هذا المعنى في غير هذا الموضع فتنبه .

(الْمُتَخَبُّ) من ألقاب التُّجَّارِ الحَوَاجِكِيَّةِ : وهو المختار ، والمتخنى نسبةً إليه للبالغة .

(الْمُنْفِذِيُّ) بكسر الفاء المشددة وبالذال المعجمة من ألقاب الوزراء ومَنْ في معانهم نسبة إلى المنفذ : وهو الذى له معرفة بتنفيذ الأمور ووضع الأشياء في مواضعها ، والنسبة فيه للبالغة ، ولم يستعملوه مجرداً عن ياء النسب .

(الْمُنْصِفِيُّ) من ألقاب الوزراء وولاة الأمور نسبةً إلى المُنْصِفِ : وهو الذى يُنْصِفُ المظلوم من الظالم ، والنسبة فيه للبالغة ، ولم يستعملوه مجرداً عن ياء النسب .

(الْمَنْصُورُ) من الألقاب السلطانية ، يقال منه «المؤيد المنصور» ونحو ذلك ، ومعناه ظاهر ، والمنصوري نسبة إليه للبالغة ، وهو من ألقاب أ كابر أرباب السيوف كُتُوبِ السلطنة ونحوهم .

(الْمُؤْتَمِنُ) من ألقاب الخُدامِ والتُّجَّارِ الحَوَاجِكِيَّةِ ، والمراد أن الخُدامَ يُؤْتَمِنُونَ على الحرِيمِ والمَمَالِكِ فى الحَضْرَةِ والتُّجَّارَ يُؤْتَمِنُونَ على المَالِكِ والحَوَارِي فى السَّفَرِ . أو يُؤْتَمِنُونَ على أخبار المَمَالِكِ وأحوالها ، فلا يُخْبِرُونَ عن مملكة بمملكة أخرى إلا بما فيه السَّدَادُ .

(الْمَوْلَى) من ألقاب الكُتَّابِ ، وأكثَرُ ما يجرى ذلك فى تعيين كاتب السرِّ ونحوه . فيقال : «المولى فلان الدين» والمراد هنا السيد ، والمولى نسبةً إليه للبالغة . وهو من ألقاب أ كابر أرباب السيوف والأقلام . قال فى «عُرْفِ التعريف» : ولا يُكْتَبُ به عن السلطان لأحد . على أن المولى لفظٌ مشتركٌ يقع فى اللغة على السيد كما تقدم ويعبر عنه بالمولى من أعلى ، ويقع على المملوك والعتيق ويعبر عنه بالمولى من أسفل ، ويقع على المنضم إلى القبيلة من غير أنفسها ، كما يقال فى الإمام

البُخَارِيُّ « الجُعْفِيُّ مَوْلَاهُمْ » بمعنى أنه ليس من صُلبِ القَيْسِلةِ ، ويُطْلَقُ عَلَى غير ذلك أيضا . وَإِذَا كَانَ مُشْتَرَكًا بَيْنَ الْمَوْلَى مِنْ أَعْلَى وَالْمَوْلَى مِنْ أَسْفَلِ فَكَانَ الْأَحْسَنُ الْإِضْرَابَ عَنْهُ .

(المؤيد) بفتح الياء المشددة من الألقاب السلطانية ، وبالكسر من ألقاب السامى بالياء فما دونه ، والمراد أنه يؤيد الملك وينصره ، وكلاهما مأخوذ من الأيد وهو القوة ، والمراد أن الله تعالى يؤيده ويقويه ، ومنه قولهم في الدعاء: «أيده الله تعالى» أى قواه ، والمؤيدى بالفتح من الألقاب الملوكية نسبة إلى المؤيد بالفتح للمبالغة ، وبالكسر من ألقاب أكابر أرباب السيوف نسبة إلى المؤيد بالكسر للمبالغة .

(الملاذى) بالذال المعجمة من ألقاب الوزراء ومن في معناهم من ولاة الأمور . وهو منسوب إلى الملاذ بمعنى الملجأ نسبة مبالغة ، ولم يستعملوه مجزدا عن ياء النسب .

حرف النون

(الناسك) من ألقاب الصوفية وأهل الصلاح ، ومعناه العابد أخذًا من النُك وهو العبادة ، والناسكى نسبة إليه للمبالغة . وهو من ألقاب الصلحاء أيضا ، وربما كتبت به لأرباب السيوف والأقلام إذا كان فيهم من ينسب إلى الصلاح .

(النبوى) من ألقاب ديوان الخلافة وما في معناه من متعلقاتها ، يقال فيه : «الديوان العزيز النبوى» ونحو ذلك . ويقع أيضا في ألقاب ولاة العهد بالخلافة ، وربما وقع في ألقاب الأشراف . وهو نسبة إلى النبوة لانتساب الخلافة العباسية إلى العباس عم النبي صلى الله عليه وسلم ، وانتساب الأشراف إلى أبنته فاطمة رضى الله عنها .

(النَّسِيب) من ألقاب الشرفاء أبناء فاطمة من علي بن أبي طالب رضي الله عنهما، والمراد العريق في النسب؛ لقبوا بذلك لأنهم أعرق الناس نسباً، لانتسابهم إلى بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم. ومن خصائصه صلى الله عليه وسلم جواز نسبة أولاد بناته إليه بخلاف غيره، على ما هو مقرر في كتب الفقه. وقد أوضحت ذلك في كتابي المسمى بـ«الغيوث الهوامع» في شرح جامع المختصرات ومختصر الجوامع» في أوائل النكاح؛ والنسبي نسبة إليه للمبالغة.

(النَّصِير) من ألقاب أرباب السيوف لمجلس السامى بالياء فمن دونه. وهو بمعنى الناصر إلا أنه أبلغ منه، لأن صيغة فعيل أبلغ من صيغة فاعل على ما تقدم؛ والنصيري نسبة إليه للمبالغة في نصره.

(النَّظَامِي) من ألقاب الوزراء ومن في معناهم، وهو نسبة إلى النظام وهو صورة الاجتماع والألتام، ومنه نظم اللؤلؤ وغيره؛ والمراد أنه يكون به انتظام الأمور والتأتمها، وحينئذ يكون النسب فيه على حقيقته، لأنه نسبة إلى غير صاحب اللقب؛ ويجوز أن تكون النسبة فيه للمبالغة على معنى أن صاحب اللقب قد جعل عن النظام تجوزاً، ولم يستعملوه مجرداً عن ياء النسب.

(النَّوِينِي) بضم النون وفتح الواو وسكون الياء المثناة تحت ونون في الآخر من ألقاب كفال الممالك بالممالك القانية: كائب السلطنة. وأمراء الأوس، والوزير ونحوهم فيما كان عليه مملكة إيران إلى آخر مملكة أبي سعيد؛ والنويني نسبة إليه للمبالغة. قال في «التتقيف»: وهو بمثابة الكافلي في ألقاب الثواب. قال: وهو نعت يستعمل دائماً لأهل تلك البلاد ولا يستعملون الكافلي أصلاً.

(١) أي أطلق عليه النظام.

حرف الهاء

(الهُمَام) من ألقاب أرباب السُّيوف ، والمراد الشُّجاع ، والهُمَامِي نسبة إليه للبالغة .

حرف الواو

(الوَالِدِيّ) من ألقاب المُسَيَّنِّين من الأَكابر ، وهو نسبة إلى الوالد ، وكأنه جعله والدًا له فتكون النسبة إليه على حقيقة النسب ، لأن النسبة فيه ليست إلى صاحب اللقب نفسه ، وربما قُصِدَ بذلك الوالد حقيقة ، وأكثر ما يقع هذا اللقب في المكاتبات .

(الْوَرِيع) من ألقاب النُّصُوفِيَّةِ واهل الصلاح ، وربما لُقِّبَ به أربابُ السُّيوف والأقلام أيضًا إذا اتصفوا بذلك ، والمراد من يَتَنَزَّهُ عن الوقوع في الشُّبهات . وهو في اللغة التقي ، يقال منه وَرِعَ وَرِعًا بِكسر الراء فيهما وَرَعًا فهو وَرِعٌ ، والْوَرِيعِيّ نسبةٌ إليه للبالغة .

(الْوَزِيرِيّ) من الألقاب الخاصة بالوزراء ، من أرباب السُّيوف والأقلام . وهو نسبة إلى الوزير ، وقد تقدّم معناه وأشتقاقه في الكلام على ألقاب أرباب الوظائف .

(الْوَالِدِيّ) من ألقاب الأحداث من الرؤساء ، وهو نسبة إلى الولد ، كأنه جعله ولدًا له ، وربما وقع على الولد حقيقة ، وأكثر ما يقع في المكاتبات كما تقدّم في الوالديّ .

(١) في الاصل تنسب وهو تصحيف ظاهر .

حرف اللام ألف

(الألمعي) من ألقاب الأذكياء . قال الجوهرى : ومعناه الذكى المتوقد .

حرف الباء

(اليميني) من ألقاب الدوادار وكاتب السر والحاجب . قال في "عرف التعريف" ولا يقال لغيرهم ، وهو نسبة إلى اليمين كأنه يمين السلطان الذى يتناول به الأشياء ، وإلا فمجلس كاتب السر بدار العدل عن يسار السلطان . والدوادار والحاجب قائمان أمامه .

الضرب الثانى

(المركبة المعبر عنها فى اصطلاح الكتّاب بالنعوت)

(وهذه جملة منها مرتبة على حروف المعجم أيضا)

حرف الألف

(أتابك العساكر) من نعوت الأمير الأتابك ومن فى معناه كالنائب الكافل ومن فى رتبته . وذكر فى "عرف التعريف" أنه مما يختص بالنائب الكافل . وقد تقدم ذكر معنى الأتابك فى الكلام على الألقاب الأصول والعساكر جمع عسكر وهو الجيش .

(إسكندر الزمان) من الألقاب السلطانية ، والمراد بالإسكندر هنا الإسكندر ابن فيلبس اليونانى ، وهو الذى يؤرخ بظهوره على القرس وغلبته إياهم على ماسياتى فى الكلام على التاريخ فى أواخر هذه المقالة .

كَانَ مَلِكًا عَظِيمًا مَلِكَ الشَّامِ، وَبَيْتَ الْمَقْدِسِ، وَالْعِرَاقَيْنِ، وَالسَّنْدَ، وَالهِندَ،
وَبِلَادَ الصِّينِ، وَالثَّبَّتَ، وَخِرَاسَانَ، وَبِلَادَ التُّرْكِ؛ وَذَلَّتْ لَهُ سَائِرُ الْمُلُوكِ؛ وَهَادَاهُ أَهْلُ
الْغَرْبِ، وَالْأَنْدَلُسِ، وَالسُّودَانَ؛ وَهُوَ الَّذِي بَنَى مَدِينَةَ الْإِسْكَانْدَرِيَّةِ، وَيُقَالُ: إِنَّهُ
ذُو الْقَرْنَيْنِ الَّذِي ذَكَرَهُ اللَّهُ تَعَالَى فِي كِتَابِهِ الْعَزِيزِ. قَالَ الْمُؤَيَّدُ صَاحِبُ حِمَاةٍ فِي تَارِيخِهِ:
وَالصَّحِيحُ أَنَّ ذَا الْقَرْنَيْنِ مَلِكٌ عَظِيمٌ كَانَ قَبْلَ الْإِسْكَانْدَرِ بَزْمَنٍ طَوِيلٍ .

(أَثِيرُ الْإِمَامِ) مِنْ ألقَابِ أربَابِ الأَقْلَامِ غَالِبًا، وَهُوَ أَثِيرٌ بِمَعْنَى مَأْثُورٌ، وَالْمُرَادُ
أَنَّ الْإِمَامَ يُؤَثِّرُهُ عَلَى غَيْرِهِ فَيَقْدِمُهُ عَلَيْهِ .

(اِعْتِضَادُ صِنَادِيذِ الزَّمَانِ) مِنْ ألقَابِ أربَابِ السُّيُوفِ؛ وَقَدْ يَكْتُبُ بِهِ لِبَعْضِ
الْمُلُوكِ . وَالْاِعْتِضَادُ الْاِسْتِعَانَةُ، يُقَالُ: اِعْتَضَدْتُ بِفُلَانٍ إِذَا اِسْتَعْنَيْتُ بِهِ، وَالصَّنَادِيذُ
جَمْعُ صِنْدِيدٍ وَهُوَ الشُّجَاعُ .

(اُكْرَمُ نُجَبَاءِ الأَبْنَاءِ فِي الْعَالَمِينَ) مِنْ ألقَابِ الرُّؤَسَاءِ مِنْ أربَابِ الأَقْلَامِ، وَأُكْرَمُ
أَفْعُلُ التَّفْضِيلِ مِنَ الْكَرَمِ خِلَافِ اللُّؤْمِ، وَالنُّجَبَاءُ جَمْعُ نَجِيبٍ وَهُوَ الْكَرِيمُ .

(أَجْمَلُ البُلَغَاءِ فِي الْعَالَمِينَ) مِنْ ألقَابِ أربَابِ البَلَاغَةِ مِنَ الكُتَّابِ وَغَيْرِهِمْ،
وَمَعْنَاهُ ظَاهِرٌ .

(الذَّبَابُ عَنْ حَوْزَةِ الْمُؤْمِنِينَ) مِنْ ألقَابِ مُلُوكِ الْمَغْرِبِ، وَيَصْلُحُ لِكُلِّ مَلِكٍ
مُسْلِمٍ يَقُومُ بِفَرْضِ الْجِهَادِ . وَالذَّبَابُ الدَّافِعُ، وَالْحَوْزَةُ بَفَتْحِ الحَاءِ الْمَهْمَلَةِ وَالزَّيْ
الْمَعْجَمَةُ النَّاحِيَةُ .

(الْقَائِمُ فِي مَصَالِحِ الْمُسْلِمِينَ) مِنْ ألقَابِ مُلُوكِ الْمَغْرِبِ . ذَكَرَ فِي "التَّعْرِيفِ"
أَنَّهُ يُكْتُبُ بِهِ إِلَى صَاحِبِ تُوُسٍ . وَيَصْلُحُ لِكُلِّ مَتَّصِفٍ بِذَلِكَ مِنْ مُلُوكِ الْإِسْلَامِ،
وَمَعْنَاهُ ظَاهِرٌ .

(المجاهد عن الدين) من ألقاب ملوك المغرب، ومعناه ظاهر أيضا .
 (المعنى ملوك آل ساسان، وبقايا فراسياب وخاقان) من ألقاب عظماء ملوك الأعاجم .
 وقد ذكره في "التعريف" في ألقاب صاحب الهند . والمعنى بتشديد الفاء المكسورة
 الماحي للأثر، يقال عفت الريح كذا بالتشديد إذا درسته ومحت أثره، وشدد للبالغة .
 وآل ساسان ملوك الأكَسرة وهم الطبقة الرابعة من ملوك الفرس
 الساسانية إلى أن غلبهم الإسلام وأتزع الملك من أيديهم ، يُنسبون إلى جدتهم
 ساسان : وهو ساسان بن أردشير بهمن بن كيبستاسف من ملوك الطبقة الثانية
 فيهم ، على ما سيأتي بيانه في الكلام على مكتبة ملوك إيران، في المقالة الرابعة
 إن شاء الله تعالى .

وفراسياب بفاء في أوله ثم سين مهملة بعدها ياء ثم ألف وباء موحدة ملك عظيم
 من ملوك الترك، ويقال إن أصله من أبناء ملوك الفرس، وهو فراسياب بن طوج
 ابن أفريدون، من الطبقة الأولى من ملوك الفرس، وإن ابن عمه منوشهر غلب
 عليه بعد أن قتل أباه طوجا ففر إلى بلاد الترك وتزوج منهم، وأنتهت به الحال
 إلى أن ملكهم وعظم ملكه فيهم .

وخاقان بجاء معجمة وقاف ونون ملك من ملوك الترك أيضا كان في زمن
 كسرى أنوشروان فيما يقتضيه كلام أبي هلال العسكري في كتابه "الأوائل" حيث
 ذكر أنه كان بينه وبينه حرب .

(المواقف المقدسة) من ألقاب الخلفاء في مخاطباتهم في المكتبات ونحوها،
 والمراد الأماكن التي يقف فيها الخليفة، كني بها عن الخليفة تنويها عن التصريح
 بذكره، والمقدسة المطهرة، والمراد طهارتها عن الأدناس الدينية .

(إمام الأئمة) من ألقاب العلماء ، وربما قيل «إمام الأئمة في العالمين» .

(إمام البلغاء) من ألقاب أهل البلاغة من الكُتَّاب ومن في معناهم

(إمام المتكلمين) من ألقاب العلماء ، وهو بأهل المعقول أليق لإطلاق علم الكلام على أصول الدين ، وإنما سُمِّيَ بذلك لأنه لما وقع القول بخلق القرآن في صدر الإسلام ممن وقع كثرة الكلام والخوض في ذلك فأُطلق على أصول الدين علم الكلام وبقى علماً عليه .

(أوحد الأشراف) من ألقاب الشرفاء ، وربما قيل «أوحد الأشراف في العالمين»

أو «أوحد الأشراف الطاهرين» أو «أوحد الأشراف الماجدين» ونحو ذلك .

(أوحد الأصحاب) من ألقاب الوزراء من أرباب الأقلام ومن في معناهم ككاتب

السِّرِّ ونحوه وإن كان الصاحب يختص بالوزير في عُرف [كُتَّاب الديار المصرية^(١)] على ما تقدم .

(أوحد الأكابر) من ألقاب التجار الخوارجية ، وربما كُتِبَ به لغيرهم من

الرؤساء ، وربما قيل «أوحد الأكابر في العالمين» .

(أوحد الأمة) من ألقاب العلماء ، وربما أُطلق على غيرهم .

(أوحد الأمناء في العالمين) من ألقاب الكُتَّاب ، والأمناء جمع أمين وهو

خلاف الخائن .

(أوحد الأئمة العلماء في العالمين) من ألقاب العلماء ، وربما اقتصر على أوحد

العلماء .

(١) بياض بالأصول والنصح من لقب الصاحب المتقدم في الألقاب المفردة .

(أوحدُ البُلغَاءِ) من ألقاب أرباب الأَقلامِ، وربما قيل «أوحدُ البُلغَاءِ في العالمين»
ينحو ذلك والبُلغَاءُ جمعُ بَلِغٍ وقد تقدم معناه .

(أوحدُ الرُّؤَسَاءِ) وربما قيل «أوحدُ الرُّؤَسَاءِ في العالمين» أو «أوحدُ الرُّؤَسَاءِ
في الأَنامِ» ونحو ذلك، ومعناه ظاهر .

(أوحدُ الحُفَاطِ) من ألقاب المَحَدِّثِينَ، وربما قيل «أوحدُ الحُفَاطِ في العالمين»
ونحو ذلك .

(أوحدُ الخُطَبَاءِ في العالمين) من ألقاب الخُطَبَاءِ .

(أوحدُ العُلَمَاءِ الأَعْلَامِ) من ألقاب العُلَمَاءِ، وربما قيل «أوحدُ العُلَمَاءِ في العالمين» .

(أوحدُ الفُضَلَاءِ) من ألقاب العُلَمَاءِ، وربما أُسْتُعْمِلَ في غيرهم من أرباب الأَقلامِ،
وربما قيل «أوحدُ الفُضَلَاءِ المُفِيدِينَ» أو «أوحدُ الفُضَلَاءِ العَارِفِينَ» ونحو ذلك .

(أوحدُ الكُبرَاءِ) من ألقاب التُّجَّارِ الحَوَاجِرِيَّةِ، ويجوز أن يُسْتَعْمَلَ في غيرهم .

(أوحدُ الكُتَّابِ) من ألقاب الكُتَّابِ سواء كُتَّابِ الإنِشَاءِ وغيرهم .

(أوحدُ المتصَرِّفِينَ) من ألقاب الوُزَرَاءِ وَمَنْ في معناهم .

(أوحدُ المُجَاهِدِينَ) من ألقاب أرباب السُّيُوفِ .

(أوحدُ المحقِّقِينَ) من ألقاب العُلَمَاءِ .

(أوحدُ المتكَلِّمِينَ) من ألقاب العُلَمَاءِ، وهو بَعَامَاءُ المَعْقُولِ أَنَسَبُ .

(أوحدُ المُفِيدِينَ) من ألقاب العُلَمَاءِ .

(أوحدُ المُلُوكِ والسلاطين) من الألقاب السلطانية .

(أوحدُ الوُعَاطِ) من ألقاب أهل التذكير والوعظ .

(أَوْحَدُ الْوَقْتِ) من ألقاب أرباب الأقاليم ، وربما قبل «أوحد الوقت والأوان» والوقت معروف ، والأوان الحين ، ويجمع على آونة مثل زمان وأزمنة .

حرف الباء

(بَرَكَةُ الْأَنَامِ) من ألقاب الصُّلَحَاءِ ، وقد تُسَمَّعَلُ للعلماء أيضا .

(بَرَكَةُ الدَّوْلَةِ) من ألقاب الصُّلَحَاءِ أيضا ، وقد يقال «بركة الدول» على الجمع ، وربما كُتِبَ به لأرباب الأقاليم من العلماء وغيرهم . والمراد بالدولة المملكة القائمة ، وأصلها من الدولة في الحرب ، وهي النَّصْر والغلبة .

(بَرَكَةُ الْمُسْلِمِينَ) من ألقاب الصُّلَحَاءِ ، وقد تُسَمَّعَلُ لأهل العلم أيضا .

(بَقِيَّةُ الْأَكْبَرِ) من ألقاب بقايا البيوت الرئيسة من أهل الأقاليم وغيرهم ، وربما قيل «بقية الأكبر في العالمين» .

(بَقِيَّةُ الْبَيْتِ النَّبَوِيِّ) من ألقاب الأشراف ، وبه يُكْتَبُ إلى إمام الزيدية باليمن .

(بَقِيَّةُ السَّلَفِ) من ألقاب العلماء والصلحاء ، وربما قيل «بقية السلف الصالح» أو «بقية السلف الكرام» والمراد بالسلف الآباء المتقدمون ، أخذًا من قولهم سلف إذا مضى ، وربما أُطْلِقَ على مَنْ تَقَدَّمَ فِي صَدْرِ الْإِسْلَامِ مِنَ الصَّحَابَةِ وَالتَّابِعِينَ .

(بَقِيَّةُ السُّلَالَةِ الطَّاهِرَةِ) من ألقاب الأشراف ، وقد يقال فيه بَقِيَّةُ السُّلَالَةِ الطَّاهِرَةِ الزَّكِيَّةِ ، وربما أُطْلِقَ على غيرهم . وبذلك يُكْتَبُ لصاحب تونس لأدعائه أنه من نسل أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه . والسُّلَالَةُ فِي الْأَصْلِ مَا اسْتُلَّ مِنَ الشَّيْءِ ، والمراد هنا النُّطْفَةُ لأنها مستلَّة من الإنسان .

(بقيّة الملوك والسلاطين) من ألقاب مَنْ له سلفٌ في الملك، كصاحبِ حصنِ كَيْفَا من بقايا الملوك الأيوبيّة .

(بقيّة الأصحاب) من ألقاب الوزراء أرباب الأقاليم ومن في معناهم .

(بقيّة شجرة الفخار) من ألقاب ذوى الأصلالة العريقين في النسب، وبه يُكتب لابن الأحمر صاحب الأندلس .

(بهاء الأعيان) من ألقاب أرباب الأقاليم، والبهاء الحسن، والأعيان جمع عين تجمّع على أعيين وعيون وأعيان، والمداد هنا الحيار، إذ عين كلّ شيء خياره .

(بهاء الأنام) من ألقاب أرباب السيوف غالباً، وربما أُطلق على غيرهم؛ والأنام الخلق .

(بهاء العصابة العلوية) من ألقاب الأشراف، وبه يُكتب لأميرى مكة والمدينة المشرفين، والعصابة بالكسر الجماعة من الناس وتجمّع على عصاب . والعلوية نسبة إلى أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب رضی الله عنه

حرف التاء المثناة من فوق

(تاج العلماء والحكام) من ألقاب القضاة، والتاج ما يوضع على الرأس وهو معروف .

(تاج الأمان) من ألقاب التجار الخواجكة، ويصلح لكتاب الأمان أيضاً .

(تاج المتصرفين) من ألقاب الوزراء ومن في معناهم .

(تاج الفضلاء) من ألقاب أرباب الأقاليم . ورأيتُ في بعض الدساتير الشامية

« تاج الفضلاء المنشئين » وهو مناسب لمن هو في أول نشأته وأبنداء رياسته، وحدّاثه سنّه .

(تاج المِلاّة) من الألقاب التي يشترك فيها أربابُ السيوف والأقلام جميعًا .
والمِلاّة في أصل اللغة الدينُ والشريعة ، والمراد هنا مِلاّةُ الإسلام . والألف واللام فيها
للعهد الذهني .

حرف الثاء المثلثة

(ثِقّةُ الدُّول) من ألقاب الثُّجَّار الخَوَاجِكِيَّة ، وربما قيل «ثِقّةُ الدولتين» والثِقّةُ
في اللغة الأمينُ ويخصُّ ذلك بالتُّجَّار لترددهم في الممالك ، ويحسنُ أن يلقَّب به
المتردِّدون في الرسائل بين الملوك .

حرف الجيم

(جامعُ كاتبةِ الإيمان) من الألقاب السلطانية .
(جامعُ طُرقِ الواصفين) من ألقاب الصُّوفِيَّة وأهل الصَّلَاح . وربما قيل
«جامعُ الطُّرق» ويصلحُ أن يكون من ألقاب العلماء أيضا .
(جمالُ الإسلام) من ألقاب العلماء ، وربما قيل جمال الأكارم من ألقاب التُّجَّار
الخَوَاجِكِيَّة ، وقد يستعمل لأرباب الأقلام والجمال في اللغة الحسن .
(جمالُ النُّبِيَّة) والمراد نُزْرِيَّةُ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لأنَّ النُّزْرِيَّةَ تشمل أولاد
البنات . وقد عتد الله تعالى عيسى عليه السلام [من نُزْرِيَّةِ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَام]^(١)
وهو ابن بنته .
(جمالُ الصُّدُور) من ألقاب أربابِ الأقلام ، والصُّدُور جمع صدر ، والمراد
صُدُور المَجَالِسِ .

(١) الربادة لتسمي الكلام ومقوطلها سهو من النسخ .

- (جمال الأئمة) من ألقاب العلماء، وربما قيل «جمال الأئمة العارفين» .
- (جمال البارعين) من ألقاب أرباب الأقلام، والبارعين جمع بارع وهو الناهض .
- (جمال البلغاء) من ألقاب كُتَّاب الإنشاء ونحوهم .
- (جمال الطائفة الهاشمية) من ألقاب الشرفاء، والطائفة في أصل اللغة اسم للقطعة من الشيء . قال ابن عباس وتطلق على الواحد فما فوقه، والهاشمية نسبة إلى هاشم : وهو هاشم بن عبد مناف جد النبي صلى الله عليه وسلم .
- (جمال العترة الطاهرة) من ألقاب الشرفاء أيضا، وربما أقتصِر على جمال العترة فقط . وعترة الرجل نسله وأهله الأذنون، والمراد عترة النبي صلى الله عليه وسلم .
- (جمال العصبة الفاطمية) من ألقاب الشرفاء أيضا، والعصبة بفتح العين والصاد واحدة العصبات، وهي في أصل اللغة البنون والقراة للأب . قال الجوهري : سُموا عَصَبَةً لأنهم عَصَبُوا بالشخص بمعنى أنهم أحاطوا به : ولأنهم طَرَفُوا، والأب طَرَفٌ، والعم جانب، والأخ جانب . والمراد هنا أبناء فاطمة رضي الله عنها وهم أحد أفراد العصبة . ولا يجوز أن يقال العصبة بضم العين واسكان الصاد : لأن المراد بذلك الرجال ما بين العشرة والأربعين كما قاله الجوهري . وبنو فاطمة رضي الله عنهم قد أُربِرَ عن العدد في الشرق والغرب .
- (جمال العلماء) من ألقاب أهل العلم .
- (جمال الفضلاء) من ألقاب أرباب الأقلام من العلماء والكُتَّاب، وربما قيل «جمال الفضلاء المقيدون» ونحو ذلك ويختص حينئذ بالعلماء .
- (جمال الكُتَّاب) من ألقاب كُتَّاب الإنشاء وغيرهم من الكُتَّاب .
- (جمال المملَكة) من ألقاب الكُتَّاب .

- (جَمَالُ الْوَرَعِيِّينَ) من ألقاب الصوفية وأهل الصلاح .
- (جمالُ أهل الإفتاء) من ألقاب أكابر العلماء .
- (جَلالُ الإسلام) من ألقاب أرباب الأقاليم ، ويصلح أن يكون لقباً لبعض الملوك ، وبه يكتب لإمام الريدية باليمن ، وربما قيل « جلال الإسلام والمسلمين » .
- (جَلالُ الأصحاب) من ألقاب الوزراء ومن في معانهم .
- (جَلالُ الأَكابر) من ألقاب أرباب الأقاليم ، وبه يكتب لناظر الخاص .
- (جَلالُ الحُكَّام) من ألقاب أكابر القضاة ، والجلال في اللغة العظمة .
- (جَلالُ العِترَةِ الطاهِرَةِ) من ألقاب الشرفاء ، وبه يكتب أميرى مكة والمدينة المشرفين .
- (جَلالُ العَلَماءِ في العالمين) من ألقاب أهل العلم ، وربما قيل « جلال العلماء العالمين » ونحو ذلك .
- (جَلالُ الكُبراءِ) من ألقاب أكابر أرباب الأقاليم .
- (جَلالُ الأُسرةِ الزاهِرَةِ) من ألقاب الأشراف . والأُسرة بضم الهمزة الرَّحْمَةُ ، والمراد رَمُطُ بنى هاشم ، والزاهرة المضيئة ، وبه سُمي الكوكب المعروف بالزهرة .
- (جَهَبَةُ الحُدَّاقِ) من ألقاب الكُتَّابِ ، وربما قيل « جَهَبَةُ الحُدَّاقِ المَصْرِفِيِّينَ »^(١) والجَهْبَةُ بفتح الجيم وإسكان الهاء ونجح الموحدة النَّقَادُ لِلذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ ، ولذلك يقال للصيرفي جَهْبَدُ ، والمراد هنا أنه ينقُدُ الأُمُ . ويستخرج جَهْدُها من رَدِيئِها كما يفعل الصيرفي .

(١) ضبط في القاموس الفيروزبادي بالكسر ثم نال شارحه كزبرج .

حرف الحاء المهملة

(حَاكِمُ الْحُكَّامِ) من ألقاب قضاة القضاة .

(حَاكِمُ أُمُورِ وُلَاةِ الزَّمَانِ) من ألقاب أرباب السُّيُوفِ ، وربما كُتِبَ به لبعض الملوك .

(حَافِظُ الْأَسْرَارِ) من ألقاب كَاتِبِ السَّرِّ .

(حُجَّةُ الْأُمَّةِ) من ألقاب قضاة القضاة وأكابر العلماء ، والحُجَّةُ في اللغة البرهان ومنه قوله تعالى : ﴿ وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَى قَوْمِهِ ﴾ والأُمَّةُ في أصل اللغة الجماعة ، والمرادُ هنا أُمَّةُ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، والمعنى أنه تقوم به الحجَّةُ لأهل الإسلام على غيرهم .

(حُجَّةُ الْأَئِمَّةِ) من ألقاب أكابر العلماء ، والأئِمَّةُ جمع إمام ، وقد تقدم أنه الذي يُقْتَدَى به .

(حُجَّةُ الْبُلْغَاءِ) من ألقاب أرباب الأقلام ، وهو بالكُتَابِ أَمْسٌ

(حُجَّةُ الْعَرَبِ) من ألقاب النُّحَاةِ وَاللُّغَوِيِّينَ وَمَنْ فِي مَعْنَاهُمْ ، كأنهم يحتجُّونَ به لِلْفَتِيمِ .

(حُجَّةُ الْمَذَاهِبِ) من ألقاب أكابر العلماء ، وربما قيل « حُجَّةُ الْمَذْهَبِ » إذا أُريدَ مَذْهَبُهُ خَاصَّةً ، وهو دون الأول .

(حُجَّةُ الْمُفْتِينَ) من ألقاب أكابر العلماء ، والمراد بِالْمُفْتِينَ مَنْ هُمْ أَهْلُ الْفُتُوى فِي الْأَحْكَامِ الشَّرْعِيَّةِ .

(حِرْزُ الْإِمَامِ) من ألقاب الوزراء وَمَنْ فِي مَعْنَاهُمْ مِنْ حَفَظَةِ الْأَمْوَالِ . وَالْحِرْزُ فِي اللُّغَةِ الْمَوْضِعُ الْحَصِينُ ، وَالْمُرَادُ بِالْإِمَامِ السُّلْطَانُ وَمَنْ فِي مَعْنَاهُ .

(حُسَامُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ) من ألقاب أرباب السيوف كُنُوبِ السُّلْطَنَةِ وَنَحْوِهِمْ . وَالْحُسَامُ مِنْ أَسْمَاءِ السُّيُوفِ ، سُمِّيَ بِذَلِكَ أَخْذًا مِنَ الْحَسْمِ وَهُوَ الْقَطْعُ .

(حَسَنَةُ الْأَيَّامِ) من ألقاب أكابر أرباب الأقلام من الوزراء والقضاة وَمَنْ فِي مَعْنَاهُمْ . وَالْحَسَنَةُ خِلَافُ السُّيُوفِ ، وَالْمُرَادُ أَنَّ الْأَيَّامَ أَحْسَنَتْ بِالْأَمْتَانِ بِهِ . وَقَدْ ذَكَرَ الْقَاضِي « شَهَابُ الدِّينِ بْنُ فُضْلِ اللَّهِ » فِي بَعْضِ دَسَائِيرِهِ أَنَّهُ يَصْلِحُ نِكَلٌ مَنْ لَهُ سَلَفٌ فِي الْكِتَابَةِ ، وَهُوَ بَعِيدُ الْمَأْخِذِ .

(حَكَمُ الْمُلُوكِ وَالسُّلْطَانِينَ) من ألقاب قضاة القضاة، والحكم بمعنى الحاكم .

حرف الخاء المعجمة

(خَادِمُ الْحَرَمَيْنِ الشَّرِيفَيْنِ) من الألقاب السلطانية، والمراد حرم مكة المشرفة، المدينة النبوية الشريفة على ساكنها أفضل الصلاة والسلام والتحية والاكرام .
(خَالِصَةُ الدَّوْلَةِ) من ألقاب الوزراء، والخالصة في اللغة بمعنى الخاصة . يقال هذا لي خالصة يعني خاصة . ومنه قوله تعالى : ﴿ خَالِصَةً لَكَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ وعليه [حمل] قوله تعالى : ﴿ وَقَالَ الْمَلِكُ أَتُؤْمِنُ بِهِ أَسْتَخْلِصُهُ لِنَفْسِي ﴾ .

(خَالِصَةُ الْمُلُوكِ وَالسُّلْطَانِينَ) من ألقاب أرباب الأقلام . قال في « عُرْفِ التَّعْرِيفِ » : وَهُوَ فِي حَقِّ مَنْ لَمْ يَكُنْ حَاكِمًا فِي مَقَامِ حَكْمِ الْمُلُوكِ وَالسُّلْطَانِينَ لَمْ يَكُنْ حَاكِمًا .

(خَالِصَةُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ) من ألقاب أرباب الأقلام .

(خَالِصَةُ الْإِمَامِ) من ألقاب الصُّوفِيَّةِ ، وربما جعل من ألقاب العلماء أيضا ، والمراد بالإمام الخليفة أو السلطان .

(خَالِصَةُ سَلَفِ الْأَنْصَارِ) من الألقاب التي يُكْتَبُ بها لابن الأحرر صاحب الأندلس : لأنه يذكُر أنه من ذرية « سعد بن عبادة » الأنصاري رضي الله عنه ، ويصحح لكل من وافقه في ذلك ، وكان الأحسن أن يقال خالصة بدل خالصة ، لما تقدم من أن المراد بالخالصة الخاصة . والمراد بالأنصار أنصار النبي صلى الله عليه وسلم وهم الأوس والخزرج الذين هاجر إليهم النبي صلى الله عليه وسلم بالمدينة .
(خَطِيبِ الْخُطَبَاءِ) من ألقاب أكابر الخطباء ، وربما كُتِبَ به نقضاة القضاة ، إذا أُضيف له خطابة جليلة ، كخطابة جامع القلعة بالديار المصرية ، وخطابة الجامع الأموي بدمشق .

(خَلْفِ الْأَوْلِيَاءِ) من ألقاب أولاد الصالحين .

(خَلِيفَةُ الْأُمَّةِ) من ألقاب الشيعة ، والمراد من يعتقدونه من الأئمة المعصومين كالإمامية ونحوهم . وبه يُكْتَبُ لإمام الزيدية باليمن .

(خَلِيلُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ) من ألقاب أولاد السلطان ، وربما كُتِبَ به لبعض الملوك ، وانخيل بمعنى الصديق .

(خُلَاصَةُ الْخِلَافَةِ الْمَعْظَمَةِ) من ألقاب بعض الملوك ، وانخلاصة الذي خلص من الثقل ونحوه . ويقال فيه خلاص أيضا بغيرها .

(خُلَاصَةُ سَلَفِ الْقَوْمِ) من ألقاب الصوفية وأهل الصلاح ، والقوم يختص في اللغة بالرجال دون النساء قال تعالى : ﴿ لَا يَسْخَرُونَ مِنْ قَوْمٍ ﴾ ثم قال : ﴿ وَلَا نِسَاءً مِنْ نِسَاءٍ ﴾ .

(خَيْرَةُ الْإِسْلَام) من ألقاب أهل الصَّلاح فيما ذكره في "عُرْفُ التَّعْرِيفِ":
ويصلح لأهل العلم أيضا . والخَيْرَةُ الْأَسْمُ من قولك آخْتَارُ فُلَانٌ فُلَانًا ، والمراد أنَّ
الإسلامَ آخْتَارَهُ .

حرف الدال المهملة

(دَلِيلُ الْمُرِيدِينَ إِلَى أَوْضَحِ الطَّرِيقِ) من ألقاب مشايخ الصُّوفِيَّةِ ، والمراد بِالْمُرِيدِينَ
طُلَّابُ الطَّرِيقِ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى .

(دَاعِي الدُّعَاةِ بِالْبَرَاهِينِ الظَّاهِرَةِ إِلَى اسْتِعْلَامِ الْحَقَائِقِ) من ألقاب العلماء .

حرف الذال المعجمة

(ذُخْرُ الْإِسْلَامِ وَالْمُسْلِمِينَ) من ألقاب المُلُوكِ ، وبه يُكْتَبُ لصاحبِ تُونُسِ
وملكِ التُّنُورِ . والذُّخْرُ في اللغة مصدر ذَخَرْتُ الشَّيْءَ أَذْخَرُهُ بفتح الخاء إذا جمعته
ذخيرةً .

(ذُخْرُ الْأُمَّةِ) من ألقاب أكابر أرباب السيوف كُنُوبِ السُّلْطَنَةِ ونحوهم .
(ذُخْرُ الدَّوْلَةِ) من ألقاب أرباب السيوف ، وقد يقع في ألقاب الصُّلَحَاءِ
والعلماء .

(ذُخْرُ الْغَزَاةِ وَالْمُجَاهِدِينَ) من ألقاب أرباب السيوف أيضا .
(ذُخْرُ الطَّالِبِينَ) من ألقاب الصُّلَحَاءِ والعلماء ، والمراد طَالِبُو الْوَصُولِ إِلَى الْحَقِّ
أونحو ذلك .

(ذُخْرُ الْمُسْلِمِينَ) من ألقاب الملوك ، وبه يُكْتَبُ لإمام الزيدية باليمن فيما ذكره
في "التعريف" .

- (ذُخْرِ الْمِلَّةِ) من ألقاب أرباب السيوف، وقد تقدم معنى المِلَّةِ .
 (ذُخْرِ الْمَمَالِكِ) من ألقاب بعض الملوك . وربما قيل ذُخْرِ الْمَمْلَكَةِ .
 (ذُخْرِ الْمُوَحِّدِينَ) من ألقاب أكابر أرباب السيوف كالنائب الكافل ونحوه ،
 وجعله في "عرف التعريف" خاصاً بالكافل دون غيره .
 (ذُخْرِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ) من ألقاب الملوك، وهو دُونَ خَلِيلِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ .

حرف الراء المهملة

- (رَأْسُ الْبُلْغَاءِ) من ألقاب أكابر كتّاب الإنشاء ككتاب السّرو من يجرى مجراه .
 (رَأْسُ الصُّدُورِ) من ألقاب أكابر أرباب الأقلام في الجملة من أهل العلم
 والكتّاب ومن يجرى مجراهم . والمراد رأس صدور المجالس .
 (رَأْسُ الْعُلَمَاءِ) من ألقاب أكابر أرباب الأقلام من العلماء والوزراء ومن
 في معانهم ، ويصلح لكلّ عليّ القدر في الجملة ، وبه يُكْتَبُ إلى إمام الزيدية باليمن .
 (رُحْلَةُ الْحُفَّازِ) من ألقاب المُحدِّثين ، وقد تقدم أن الرُّحْلَةَ بضم الراء ما يرْحَلُ
 إليه ، والحُفَّازُ جمع حَافِظٍ ، والمراد حِفْظُ الْحَدِيثِ .
 (رُحْلَةُ الْقَاصِدِينَ) من ألقاب كبار أرباب الأقلام ، وهو بأهل الكرم والجود
 أخص ، والمراد من يُقْصَدُ بالترحال إليه .
 (رُحْلَةُ الْمُحْصِلِينَ) من ألقاب العلماء . والمراد من يُرْحَلُ إليه لتحصيل العلم
 بالأخذ عنه .
 (رُحْلَةُ الْوَقْتِ) من ألقاب العلماء والمراد من آنفرد في الوقت بالرحيل إليه
 لأخذ العلم عنه .

(رَضِيَ-الدولة) من ألقاب الكُتَّاب، والمراد من يُرَضِيهِ أعيانُ الدولة بالتقريب .
ثم الظاهر أنه بكسر الضاد بمعنى مَرْضَى- عند أعيان أهل الدولة . ويجوز أن يكون
بفتح الضاد على جعله هو نفس الرضا تجوزا .

(رَضِيَ- أمير المؤمنين) من ألقاب أرباب الأقاليم . والكلام فيه كالللام
في الذي قبله .

(رُكْنُ الإسلام والمسلمين) من ألقاب أكابر أرباب السيوف . وبه كان يُكْتَب
للنائب الكافل على ما هو مذکور في "التعريف" والرُّكْن واحد الأركان وهو معروف .
(رُكْن الأمة) من ألقاب الملوك . وبه يُكْتَب لملك التكرور .

(رُكْن الملوك والسلاطين) من الألقاب الملوِكِيَّة وما في معنى ذلك من أرباب
السيوف . ونقل في "التثقيف" أنه كُتِبَ به لبعض مشايخ التصوف ثم أنكره
وقال : الأولى أن يكون بدله (بركة الملوك والسلاطين) وما ذكره واضح . على أنه
في "عرف التعريف" قد أورده في ألقاب الصلحاء . وكأنهم راعوا في ذلك أنه
رُكْن لهم من حيث البركة والدعاء إلا أن الأول أظهر .

(رُكْن الأولياء) من ألقاب أهل الصلاح على أن المراد أولياء الله تعالى ويجوز
أن يكون من ألقاب أرباب السيوف وأرباب الأقاليم أيضا على معنى أن المراد
أولياء الدولة .

(رئيس الكبراء) من ألقاب الوزراء من أرباب الأقاليم ومن في مناصبهم . وأهل
الشام يستعملونه في أكار أرباب الأقاليم من قضاة القضاة ونحوهم . وقد تقدم
المراد بالصاحب في الكلام على الألقاب المفردة .

(١) أي في حرف الصاد المهملة وهذه الجملة غير مناسبة لشرح هذا اللقب .

حرف الزاي، المعجمة

(زعيم الجنود) من ألقاب أ كابر أرباب السُّيُوف كالنائب الكافل ، والزَّعيمُ الكفيل . والمراد هنا التَّكْفُلُ بالجنود والقيامُ بأمرها . ويجوز أن يكون بمعنى السيد ، يُقال لسيد القوم زعيمهم ، والأوَّلُ أليقُّ بالمقام ، والجنود جمع جُند وهم الأعوان على ما تقدّم .

(زعيم الجيوش) من ألقاب أ كابر أرباب السُّيُوف كُنُوب السلطنة ونحوهم ، والجيوش جمع جيش وهو العسكر .

(زعيم الموحدين) من ألقاب صاحب تُوُس على تخصيص الموحدين ، والمراد بالموحدين فيه أتباع المهدي بن تومرت الذين من بقاياهم ملوك تُوُس ، كان المهديُّ المذكور قد سماهم الموحدين تعريضا بدم بن كان قبله ببلاد المغرب ممن يدعى التجسيم على ما سياتي ذكره في الكلام على مكتبة صاحب تُوُس في المقالة الرابعة إن شاء الله تعالى . ويجوز أن يراد بالموحدين هنا عامة أهل الإيمان ويكون المراد بالموحدين جميع المؤمنين . ويصح وقوع هذا اللقب حينئذ على غير صاحب تُوُس من الزاد ونحوهم ، بل إنك يُكتب به تلك التكرور على ما ذكره في "التعريف" .

(زعيم المؤمنين) من الألقاب التي يُكتب بها لإمام الزيدية باليمن . ويصح وقوعه على غيره من ملوك المسلمين أيضا كما في « زعيم الموحدين » إذا جعل عامًّا في حق كل موحد على ما تقدم بيانه .

(زعيم جيوش الموحدين) من ألقاب أ كابر أرباب السيف ، كُنائب السلطنة بجلب ، وبه يُكتب لصاحب حصن كيفا فيما ذكره في "التعريف" .

(زَيْنُ الْإِسْلَامِ وَالْمُسْلِمِينَ) من ألقاب أرباب الأقاليم ، والزَّيْنُ في اللغة تَقِيضُ الشَّيْنِ .

(زَيْنُ الْأَعْيَانِ) من ألقاب أرباب الأقاليم ، والأعيانُ جمعُ عَيْنٍ . وقد تقدم الكلام عليه .

(زَيْنُ الْأَكْبَرِ) من ألقاب التُّجَّارِ الْخَوَاجِكِيِّةِ وَمَنْ فِي مَعْنَاهُمْ .

(زَيْنُ الْأَنْبِيَاءِ) من ألقاب صِغَارِ أرباب السُّيُوفِ ، وربما كُتِبَ بِهِ لغيرهم .

(زَيْنُ الْأَئِمَّةِ) من ألقاب العلماء ، وربما قيل « زَيْنُ الْأَئِمَّةِ الْعُلَمَاءِ » .

(زَيْنُ الْبَلْغَاءِ) من ألقاب الْكُتَّابِ وَنَحْوِهِمْ .

(زَيْنُ الْحُكَّامِ) من ألقاب الْقُضَاةِ .

(زَيْنُ الذُّوَابِ الْمَاشِيَّةِ) من ألقاب الشُّرَفَاءِ ، والذُّوَابُ بِالذَّالِ الْمَعْجَمَةِ جَمْعُ

ذُوَابَةٍ بِالْهَمْزِ : وَهِيَ مَا يُرْخَى مِنَ الشَّعْرِ . قَالَ الْجَوْهَرِيُّ : وَكَانَ الْأَصْلُ ذَاتِبٌ

[لِأَنَّ الْأَلْفَ الَّتِي فِي ذُوَابَةٍ] كَالْأَلْفِ الَّتِي فِي رِسَالَةٍ حَقَّقَهَا أَنْ تُبَدَّلَ مِنْهَا هَمْزَةٌ

فِي الْجَمْعِ ، وَلَكِنَّهُمْ اسْتَقْلَوْا أَنْ تَقَعَ أَلْفُ الْجَمْعِ بَيْنَ الْهَمْزَتَيْنِ فَأَبْدَلُوا مِنَ الْأَوَّلِ

وَأَوَّلِ . وَإِنَّمَا اخْتَصَّ هَذَا اللَّقْبُ بِالشُّرَفَاءِ لِأَنَّ مِنْ صَمِيمِ عَرَبِ الْحِجَازِ ، وَعَادَةُ

عَرَبِ الْحِجَازِ إِرْخَاءُ الرِّجَالِ الذُّوَابِ .

(زَيْنُ الزُّهَادِ) من ألقاب الصُّوفِيَّةِ وَأَهْلِ الصَّلَاحِ .

(زَيْنُ الْعِبَادِ) من ألقاب أهل الصَّلَاحِ أَيْضًا .

(زَيْنُ الْعِتْرَةِ الطَّاهِرَةِ) من ألقاب الشُّرَفَاءِ ، وَبِهِ يُكْتَبُ لِأَمِيرِي مَكَّةَ وَالْمَدِينَةَ .

وقد تقدم معنى العترة .

(زين الكُتَّاب) من ألقاب كُتَّاب الإنشاء وغيره .

(زين المجاهدين) من ألقاب أرباب السيوف ، وربما قيل « زين الأمراء

المجاهدين » وربما كُتِبَ به لبعض صغار الملوك ، كصاحب دُنُقَلَّة ونحوه .

(زين المُنْشِئِينَ) رأيتُه في بعض الدساتير الشامية في ألقاب الكُتَّاب ونحوهم .

وهو صالح لكل حَدِّ مَرَقٍّ في العلوِّ .

حرف السين المهملة

(سِدَادُ الثُّغُورِ) من ألقاب الوزراء ، وهو بكسر السين وتخفيف الدال بعدها .

بمعنى أنه الذي تُسَدُّ به الثُّغُورُ ، أخذًا من سِدَادِ القارورة وهو ما يُسَدُّ به فَمُّها ، ومنه

قول الشاعر :

أضاعوني وأى فتى أضاعوا * ليوم كريمة وسدادِ نغر

ويحكى أنَّ المأمون نطق بمثل ذلك بفتح السين بحضرة النضر بن شميل فردده

عليه فأمر له بثمانين ألف درهم ، فكان النضر يفتخر بذلك ويقول : أخذتُ

بإفادة حرفٍ واحدٍ ثمانين ألفَ درهمٍ .

(سفير الأمة) من ألقاب الدَّوَادِرِ وكتاب السِّرِّ ، وقد تقدم معنى السِّفير .

(سفير الدولة) من ألقاب المذكورين .

(سفير الممالك) من ألقاب من تقدم ، وربما قيل « سفير المملكة » .

(سفير الملوك والسلاطين) كذلك .

(سلطان الإسلام والمسلمين) من الألقاب السلطانية .

(سلطان الأوان) من الألقاب السلطانية الجلييلة .

(سُلْطَانُ البَيْسِطَةِ) من الألقاب السلطانية، والبَيْسِطَةُ الأرض أخذًا من البَسْطَةِ وهي السَّعَة ومنه قيل : تَبَسَّطَ فلانٌ في البلاد إذا سار فيها طولًا وعَرْضًا .

(سُلْطَانُ العَرَبِ والعَجَمِ والتُّرْكِ) من الألقاب السلطانية أيضا . وهو غير مخترع الوضع لأن العَجَمَ في اللغة يقع على من عدا العرب في الجملة ولا يختص بالفرس على ما هو المعروف بين العامة وهو مقصودهم هنا، والتُّرْكُ من جملة العجم فكان يكنى أن يقال سلطان العرب والعجم، وإنما حملهم على ذلك زيادة الإطراء والمدح .

(سَلِيلُ الأَطْهَارِ) من ألقاب الشرفاء، والسَّلِيلُ الولد، والمراد بالأطهار المرءون من الأدناس .

(سَلِيلُ الإكْبَارِ) من ألقاب أولاد الأكابر والرؤساء .

(سَلِيلُ الطَّيِّبِينَ) من ألقاب أرباب الأقلام من ذوى الأصالة .

(سَلِيلُ المُلُوكِ والسلاطين) من ألقاب أولاد الملوك ومن مضى له سلف في الملك .

(سَيِّدُ الأُمَرَاءِ المَقْدَمِينَ) من ألقاب الأُمَرَاءِ مَقْدَمِي الألُوفِ، في الرتبة المتوسطة .

(سَيِّدُ الأُمَرَاءِ فِي العَالَمِينَ) من ألقاب أكابر أرباب السيوف كتواب السلطنة

نحوهم، وربما كُتِبَ به لبعض الملوك عن الأبواب السلطانية .

(سَيِّدُ الرُّؤَسَاءِ فِي العَالَمِينَ) من ألقاب أكابر أصحاب الأقلام ككاتب

السِرِّ ونحوه .

(سَيِّدُ العُلَمَاءِ والحُكَّامِ فِي العَالَمِينَ) من ألقاب القُضَاةِ .

(سَيِّدُ الكُبَرَاءِ فِي العَالَمِينَ) من ألقاب أكابر أرباب الأقلام كناظر

الخاص ونحوه .

(سيد الوزراء في العالمين) من الألقاب الخاصة بالوزراء .
 (سيدُّ أمراء العالمين) من ألقاب النواب المتوسطين .
 (سيف الإسلام والمسلمين) من ألقاب أرباب السيوف ، وربما كُتِبَ به
 لبعض الملوك .

(سيف الحق) من ألقاب العلماء وأهل النظر .
 (سيف الخلافة) من الألقاب الملوكية ، وبه يُكْتَبُ لملك التكرور .
 (سيف المناظرين) من ألقاب العلماء ، والمراد بالمناظرين أهل البحث
 والجدل ، أخذًا من النظر وهو الفكر المؤدى إلى الدليل .
 (سيف النظر) بمعناه أيضا .

(سيف أمير المؤمنين) من ألقاب أرباب السيوف كُنُوتُها السلطنة ، وهو
 في الرتبة المتوسطة .

(سيف جماعة الشاكرين) من الألقاب الخاصة بصاحب تونس ، وهذا اللقب
 رأيتَه واردا في "التثقيف" ولم أعرف له معنى ، وسألت «قاضي القضاة ولي الدين
 ابن خلدون» هل يعرف لذلك معنى؟ فقال : لا .

حرف الشين المعجمة

(شرف الأصفياء المقربين) من ألقاب كبار التجار الخواجكة .
 (شرف الدول) من ألقاب بعض الملوك ، ويصلح لغير الملوك أيضا .
 (شرف الأمراء في العالمين) من ألقاب أرباب السيوف ، وربما قيل شرف
 الأمراء الأشراف في العالمين إذا كان شريفا . أو شرف الأمراء العريبان في العالمين

إذا كان غير أمير عرب ، وربما قيل «شرفُ الأمراء المقدمين» إذا كان مُقدِّم ألف ، وقد يُقتصر على شرفِ الأمراء فقط .

(شرفُ الرؤساء في العالمين) من ألقاب أكابر أرباب الأقلام كوزير الشام ونحوه ، وربما أقتصر على «شرفِ الرؤساء» ويكون من ألقاب التجار الخواجكية ونحوهم .

(شرفُ الصلحاء في العالمين) من ألقاب أهل الصلّاح .

(شرف العلماء العالمين) من ألقاب أكابر العلماء كقضاة القضاة ونحوهم ، وربما قيل «شرفُ العلماء في العالمين» .

(شرفُ الكُتّاب في العالمين) من الألقاب الكتابية .

(شرف الملوك والسلاطين) من الألقاب الملوكية .

(شمس الأفق) من ألقاب أكابر أرباب الأقلام ، وهو بالعلماء أليق ، لأن بهم يحصل النور كما يحصل بالشمس . وهو ما يُتخيل أنطباق السماء على الأرض بالنظر في كل ناحية فيه . وأصل الأفق الناحية ومنه قيل للنواحي آفاق ، وإنما خصّ الشمس هنا بالإضافة للأفق لأنها عند مطلعها تكون في النظر أعظم صورة .

(شمس الشريعة) من ألقاب أكابر العلماء ، والمراد بالشريعة هنا شريعة الإسلام . استعيرت الشمس لها لمشابتها لها في النور .

(شمس العصر) من ألقاب العلماء والصلحاء ونحوهم .

(شمس المذاهب) من ألقاب العلماء الأكابر ، والمذاهب جمع مذهب وهو ما يذهب إليه المجتهد ، وأصله في اللغة لموضع الذهب .

(شيخُ المشايخ) من ألقاب العلماء وأهل الصَّلاح ، وربما قيل « شيخُ شيوخ الإسلام » .

(شيخُ الملوك والسلاطين) من ألقاب المُستنَّين من الملوك . وهذا اللقب رأته في كتاب وَقَفَ عن الملك الكامل محمد بن العادل أبي بكر بن أيوب ، بعث به نجمُ الدين أيوبُ والدُ السلطان صلاح الدين يوسف .

(شيخُ شيوخ العارفين) من ألقاب الصُّوفية وأهل الصَّلاح ، ومرادهم بالعارفين العارفون بالله تعالى .

حرف الصاد المهملة

(صالحُ الأولياء) من ألقاب إمام الزيدية باليمن ، ويصلح لأهل الصَّلاح أيضا .
(صدرُ المدرِّسين) من ألقاب العلماء .

(صدرُ مِصرَ والشام) من ألقاب أكابر العلماء كقضاة القضاة ونحوهم ، وإنما خصَّ هذان القطران بالذكر لكثرة علمائهما ، وربما قيل « صدرُ مصرَ والعِراقِ والشام » وربما اقتصر على صدر الشام فقط إذا كان برسم وظيفة في الشام ونحو ذلك .

(صَفوةُ الدَّولة) من ألقاب مَنْ في معنى الوزراء كخاطر الخاص ونحوه .

(صَفوةُ الصُّلحاء) من ألقاب أهل الصَّلاح .

(صَفوةُ الأتقياء) من ألقاب الصُّلحاء أيضا .

(صَفوةُ الملوك والسلاطين) من ألقاب أرباب الأقاليم كخاطر الشام ونحوه .
وربما كتب به للتجار الخَوَاجِكِيَّة .

(صَلاحُ الإسلام) من ألقاب الصُّوفية والعلماء .

(١) لعله كخاطر الخاص أو ناظر الجيش .

(صلاح الإسلام والمسلمين) من ألقاب أكابر أرباب الأقلام ، كالوزراء
ومن في معانهم .

(صلاح الدول) من ألقاب بعض الملوك ، وبه يكتب لصاحب تونس .
ويصلح أيضا لأكابر أرباب الأقلام من الوزراء وغيرهم .

(صلاح الملة) من ألقاب العلماء والصلحاء .

حرف الضاد المعجمة

(ضياء الإسلام) من ألقاب العلماء والصلحاء ، ور بما قيل « ضياء الإسلام والمسلمين »
والضياء خلاف الظلام . وهو مخصوص بما كان مضيئا لذاته ، بخلاف النور فإنه يقع
على ما هو مكتسب النور ، ولذلك قال تعالى : ﴿ جَعَلَ الشَّمْسُ ضِيَاءً وَالْقَمَرُ نُورًا ﴾
فخص الضياء بالشمس لأن نورها لذاتها ، والنور بالقمر لأن نوره مكتسب من
الشمس ، على ما هو سقرر في علم الهيئة .

(ضياء الأنام) من ألقاب من تقدم ذكره .

حرف الطاء المهملة

(طراز العصابة العلوية) من ألقاب الأشراف كأميرى مكة والمدينة المشرفين .
والطراز في أصل اللغة علم الثوب . قال الجوهري : وهو فارسي معرب ، كان
صاحب اللقب يجعل علما لتلك الطائفة كما جعل الطراز علما للثوب .

حرف الظاء المعجمة

(ظل الله في أرضه) من الألقاب السلطانية ، والظل ما يحصل عن الشاخص
في ضوء الشمس ، والمراد أن الخلق يستظلون بالسلطان من حر الجور كما يستظل

المستظلل بظل الشجرة ونحوها من حر الشمس . وقال ابن قتيبة في "أدب الكاتب" أصل الظل الستر ومنه قولهم : أنا في ظلك أي في سترك . ثم آسم الظل مخصوص بما قبل الزوال ، أما بعد الزوال فإنه يسمى فيثا لأنه يرجع من جهة الغرب إلى جهة الشرق أخذاً من قولهم فاء إذا رجع .

(ظهير الملوك والسلاطين) من ألقاب أكابر أرباب السيوف كنواب السلطنة .
(ظهير أمير المؤمنين) من ألقاب أرباب السيوف أيضاً ، وربما كتبت به لبعض الملوك كصاحب الأندلس ونحوه .

(ظهير الإمامة) من ألقاب بعض الملوك ، وبه يكتب إلى صاحب التكرور .

حرف العين المهملة

(عاقِدُ البُودِ) من ألقاب النائب الكايل ونحوه ، والعاقِدُ فاعل من العَقَدَ تَقْرِيسُ الحِلِّ ، والبُودُ جمع بُودٍ - بفتح الباء - يسكن النون - وهو العلم الكبير قال الجوهري وهو فارسي معرب .

(عز الإسلام) من ألقاب بعض الملوك ، وبه يكتب إلى ملك التكرور .
(عز الإسلام والمسلمين) من ألقاب الرتبة الوسطى من نواب السلطنة ومن في معناتهم ، وربما كتبت به لبعض الملوك .

(عُدَّة الدنيا والدين) من ألقاب الملوك ، وبه يكتب لصاحب تونس .
والعُدَّة بالضم في اللغة ما أعدته لحوادث الدهر من المال والسلاح ونحو ذلك وهو المراد هنا ، وربما أطلق على نفس الأستعداد .

(عُدَّة الملوك والسلاطين) من ألقاب أصاغر أرباب السيوف .

(عَضُدُ الْمُلُوكِ وَالسَّلَاطِينِ) من ألقاب متوسّطي أرباب السيوف ، وقد تقدّم أن أصل العَضُد لما بين الساعد والكُتِف .

(عَضُدُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ) من ألقاب أكابر أرباب السيوف من نواب السلطنة وغيرهم . وربما كُتِبَ به إلى بعض الملوك كملك للتشكُّور .

(عَلمُ الدَّوْلَةِ) من ألقاب الأمراء والوزراء ومن في معناهم . وقد تقدّم معنى العَلم ومعنى الدولة .

(عَلمُ الزُّهَادِ) من ألقاب الصُّوفِيَّةِ وأهل الصَّلاح . وقد تقدّم أن المراد بالعلم الرأية وبالزُّهد الإقلاعُ عن الدنيا .

(عَلمُ العُلَمَاءِ الأَعْلَامِ) من ألقاب أكابر أهل العلم ، وربما قيل «علم المُفسِّرين» أو «علم النُّحاة» ونحو ذلك .

(عَلمُ المَهْدَاتِ) من ألقاب إمام الزيدية باليمن ، ويصلح لأكابر العلماء والصلحاء . والمهداة جمع هادٍ وهو المرشد .

(عَلمُ الأَعْلَامِ) من ألقاب العلماء والصلحاء ، ويصلح لأرباب السيوف أيضاً .

(عِمَادُ الحُكَّامِ) من ألقاب أكابر القضاة . وربما قيل «عِمَادُ الحُكَّامِ البَارِعِينَ» أو «عِمَادُ الحُكَّامِ فِي العَالَمِينَ» ونحو ذلك . وأصل العِمَادِ فِي اللُّغَةِ الأَبْنِيَّةُ الرِّفِيعَةُ واحداً عِمَادَةٌ . ومنه قيل فلان طويل العِمَادِ كأنَّ بِناءَهُ بِالرَّتْفَاعِ صارَ عَلماً لِرَأْيِيهِ .

(عِمَادُ العَرَبِ) من ألقاب أكابر أمراء العربان . كأَمِيرِ آلِ فَضْلِ ونحوه .

(عِمَادُ الدَّوْلَةِ) من ألقاب الأمراء وأكابر الوزراء ونحوهم .

(عماد الملة) كذلك .

(عماد المملكة) نحوه ، وهو دونه في الرتبة .

(عماد المحدثين) من ألقاب علماء الحديث النبوي على صاحبه أفضل الصلاة

والسلام ، وبه يكتب لقضاة القضاة ومن في معانهم .

(عمدة الملوك والسلاطين) من ألقاب صغار أرباب السيوف ، وهو دون

عمدة الملوك والسلاطين والعمدة في اللغة ما يعتمد عليه .

(عون العساكر) من ألقاب ناظر الجيش ونحوه ، والعون في اللغة الظهير والمعاون .

(عون جيوش الموحدين) من ألقاب بعض الملوك ، وبه يكتب لملك التكرور .

ويصلح لكبار أرباب السيوف من أهل المملكة أيضا .

(علاء الإسلام والمسلمين) من ألقاب العلماء والصلحاء ويصلح لأرباب

السيوف أيضا .

والعلاء بالفتح والمدة مصدر علا في الشرف ونحوه يعلى بفتح اللام^(١) .

(عين المملكة) من ألقاب أرباب الأقلام ونحوهم .

(عين الأعيان) نحوه .

حرف الفين المعجمة

(غمرة الزمان) من ألقاب أرباب الأقلام ، والغمرة في أصل اللغة بياض في جهة

الفرس فوق الدرهم ، شبه بالغمرة في وجه الفرس لظهورها وتحسين الفرس بها .

(نموت الأنام) من ألقاب كبار أرباب السيوف كالنائب الكافل ونحوه .

وقد تقدم معنى النموت .

(١) قوله بفتح اللام أي فيما روي لغة في على يعل من باب تعب أنظر المختار .

(غِيَاثُ الْأَنَامِ) من ألقاب أكابر الملوك كصاحب الهند ونحوه . وقد تقدم معنى الغِيَاثِ .

(غِيَاثُ الْأُمَّةِ) نحوه .

حرف الفاء

(فَاتِحُ الْأَقْطَارِ) من الألقاب السلطانية ، والذاتُ فاعِلٌ من الفتح وهو معروف ، والأقطار جمع قُطْرٍ وهو الناحية والجانب ، والمراد نواحي الممالك .

(فَارِسُ الْمُسْلِمِينَ) من ألقاب أكابر أرباب السيوف ، ذكره ابن شيث من كتاب الدولة الأيوبية في " معالم الكتابة " .

(نَخْرُ الْأَنَامِ) من ألقاب أرباب الأقاليم ، ويجوز أن يكون من ألقاب أرباب السيوف أيضا .

(نَخْرُ الْأُسْرَةِ الزَاهِرَةِ) من ألقاب الشرفاء كأميرى مكة والمدينة المشرفين ، وأسرة الرجل بضم اضمزة رثطه .

(نَخْرُ الْأَعْيَانِ) من ألقاب التُّعَّارِ الْخَوَاجِكِيِّةِ ، ريمراج يُغيرهم من الرؤساء أيضا .

(نَخْرُ الرُّؤَسَاءِ) من ألقاب التُّجَّارِ الْخَوَاجِكِيِّةِ .

(نَخْرُ السَّلَالَةِ الزَاهِرَةِ) من ألقاب الأشراف ، كأميرى مكة والمدينة المشرفين ، والسَّلَالَةُ الزَاهِرَةُ تقدم الكلام على معناها .

(نَخْرُ الصُّدُورِ) من ألقاب أرباب الأقاليم ، ويرى بما كُتِبَ به للتُّجَّارِ الْخَوَاجِكِيِّةِ .

(نَخْرُ الصُّلَحَاءِ) من ألقاب الصُّوفِيَّةِ واهل الصَّلَاحِ .

- (فخر العبَّاد) من ألقاب أهل الصَّلاح أيضا .
- (فخر المجاهدين) من ألقاب أرباب السيوف .
- (فخر المُحدِّثين) من ألقاب أصحاب الحديث .
- (فخر المدرِّسين) من ألقاب العلماء، وبه يُكْتَب لقُضاة القُضاة ونحوهم .
- (فخر المُفيدين) من ألقاب العلماء أيضا .
- (فخر الملوك والسلاطين) من ألقاب بعض الملوك .
- (فخر الشَّجرة الزكيَّة) من ألقاب الشرفاء، والمراد شجرة تُسبِّمهم الشريف .
- (فخر النَّسب العَلَوِيّ) من ألقاب الشرفاء أيضا، وبه يُكْتَب لإمام الزيدية باليمن .
- (فردُّ السالِّكين) من ألقاب أهل الصَّلاح .
- (فردُّ الزمان) من ألقاب العلماء والصلحاء .
- (فردُّ الوُجود) من ألقاب العلماء وأهل الصَّلاح .
- (فرعُ الشَّجرة الزكيَّة) من ألقاب الشرفاء .

حرف القاف

(قامعُ البِدعة) من ألقاب أكابر العلماء، وربما قيل «قامعُ البِدع» وقد يقال «قامعُ البِدع ومُخَفِّي أهلها» والقامع فاعلٌ من قَمَعه إذا ضَرَبه بالمِقْمَعَةِ : وهي مِحْجَنٌ من حديد يُضْرَب به على رأس الفيل، والبِدعة واحدة البِدع : وهي خلاف السُّنَّة النبويَّة وما عليه الجماعة .

(قُدْوَةُ الْأَوْلِيَاءِ) من ألقاب أهل الصلاح .

(قُدْوَةُ الْبَارِعِينَ) من ألقاب أرباب الأقلام ، وهو بالكُتَّابِ أَلِيْقٌ ، والْبَارِعُ المَاهِرُ .

(قُدْوَةُ الْبُلَفَاءِ) من ألقاب أرباب الأقلام . وهو بِكُتَّابِ الْإِنشَاءِ وَمَنْ

في معنَاهُمْ أَخْصُّ .

(قُدْوَةُ الْخَلَفِ) من ألقاب العلماء وأهل الصلاح ، وَالْخَلَفُ فِي اللُّغَةِ الَّذِي يَجِيءُ

بعد غيره ويقوم مقامه ، والمراد خَلَفُ مَنْ سَلَفَ مِنْ عُلَمَاءِ الْأُمَّةِ أَوْ صَالِحِيهَا .

(قُدْوَةُ الْعِبَادِ) من ألقاب أهل الصلاح ، وربما قيل « قُدْوَةُ الْعِبَادِ وَالزُّهَادِ »

أو نحو ذلك .

(قُدْوَةُ السُّلَمَاءِ) من ألقاب أكابر أهل العلم ، وربما قيل « قُدْوَةُ الْعُلَمَاءِ الْعَامِلِينَ »

ونحو ذلك .

(قُدْوَةُ الْفِرَقِ) من ألقاب العلماء ، والمراد فِرْقُ أَهْلِ الْحَقِّ مِنْ أَرْبَابِ الْمَذَاهِبِ

وَالْعَقَائِدِ الصَّحِيحَةِ ، وَالْفِرْقُ جَمْعُ فِرْقَةٍ .

(قُدْوَةُ الْفُضَلَاءِ) من ألقاب أكابر العلماء ، وَالْفُضَلَاءُ جَمْعُ فَاضِلٍ وَهُوَ خِلَافُ

النَّاقِصِ .

(قُدْوَةُ الْكُتَّابِ) من ألقاب أكابر الكُتَّابِ ، كَالَّذِينَ ذَرَأَ مِنْ أَرْبَابِ الْأَقْلَامِ

وَمَنْ فِي مَعْنَاهُمْ مَنْ كَاتَبَ السِّرَّ وَنَحْوَهُ .

(قُدْوَةُ الْمُجْتَهِدِينَ) من ألقاب كبار العلماء ، وقد تقدم في الألقاب أنَّ الاجتهادَ

عِبَارَةٌ عَنْ آسِنْبَاطِ الْأَحْكَامِ الشَّرْعِيَّةِ مِنَ الْكُتَابِ وَالسُّنَّةِ وَالْإِجْمَاعِ وَالْقِيَاسِ .

(قُدْوَةُ الْمُحَقِّقِينَ) من ألقاب أكابر العلماء ، وقد تقدم معنى التحقيق .

(قُدوةُ المُسلِّكين) من ألقاب الصُّوفيةِ وأهل الصِّلاح، والمراد بالمُسلِّكين المعترفون الطريقَ إلى الله تعالى كما تقدّم بيانه .

(قُدوةُ المُشْتَغِلين) من ألقاب أهل العلم، والمرادُ الأشتغالُ بالعلم .

(قُدوةُ الموحِّدين) من الألقاب الخاصّة بصاحب تُوسّ : لوقوع الموحِّدين في اصطلاحهم على أتباع المهديّ بن تُوسّ بن تُوسّ الآن من بقاياهم كما تقدّم .

(قَسِيمُ أميرِ المؤمنين) من الألقاب السلطانية، وهو فعيلٌ بمعنى فاعلٍ فيكون معناه يُقاسم أمير المؤمنين، والمراد مقاسمته الأمر .

(قُطْبُ الزهَّاد) من ألقاب أهل الصِّلاح، والقُطبُ تقدّم معناه .

(قُطْبُ الأَوْلِيَاء) من ألقابهم أيضا، والأولياءُ جمع وليٍّ وهو خلاف العدو، والمراد أولياء الله تعالى .

(قِوَامُ الأُمَّة) من ألقاب الوزراء ومَن في معانهم، والقِوَامُ بالكسر نظامُ الشيء وعمادُه ومِلاكُه، يقال فلانٌ قِوامُ أهل بيته، ومنه قِوَامُ الأمر بمعنى نظامه .

(قِوَامُ الجُمهور) قال في "عرف التعريف" : هو من ألقاب الوزراء، والجُمهور من الناس جُلُهم، أخذًا من الجُمهور وهي الرملةُ المجتمعةُ المشرفةُ على ما حولها .

(قِوَامُ الدَّولة) من ألقاب الكُتَّاب وهو بالكسر أيضا .

(قِوَامُ المَصالح) من ألقاب أكابر الكُتَّاب من الوزراء ومَن في معانهم، وهو بالكسر أيضا، والمصالح جمع مصلحة وهي خلاف المفسدة .

(قِوَامُ الإسلام) من ألقاب الصوفيةِ وأهل الصِّلاح، وهو بالكسر كالذي قبله .

حرف الكاف

(كافِلُ السُّلْطَنَةِ) من ألقابِ بَكَارِ النَّوَابِ كُتَّابِ دِمَشْقَ ، وقد تقدّم معنى الكافل في الكلام على ألقابِ أربابِ الوظائف .

(كافِلُ الممالك الإسلامية) من ألقابِ النَّائِبِ الكافل : وهو النَّائِبُ بحضرة السلطان .

(كَافِي الدَّوْلَةِ) من ألقابِ الوُزَرَاءِ وَمَنْ فِي مَعْنَاهُمْ ، وَالكَافِي أَسْمُ فَاعِلٍ مِنَ الكِفَايَةِ .

(كَتْرُ التَّقْوَى) من ألقابِ الصوفية وأهل الصلاح ، والكَتْرُ فِي أصل اللغة المائلُ المدفُونُ ، استعير لصاحب اللقب لأنه كالشيء المكنوز لذلك الباب .

(كَتْرُ الطالِبِينَ) من ألقابِ العلماء .

(كَتْرُ العلماء) من ألقابِ أهل العلم وربما قيل « كَتْرُ المُفَسِّرِينَ » أو « كَتْرُ المُتَفَقِّهِينَ » ونحو ذلك .

(كَتْرُ المُسَلِّكِينَ) من ألقابِ الصوفية وأهل الصلاح .

(كَهْفُ الأُسْرَةِ الزَاهِرَةِ) من ألقابِ الشرفاء ، وَالكَهْفُ المَلْجَأُ ، ومنه قولهم : فُلَانٌ كَهْفٌ . والأصل في الكهف البيت المنقور في الجبل ويجمع على كُهُوفٍ ، وقد تقدّم الكلام على الأُسْرَةِ والزَاهِرَةِ .

(كَهْفُ الكُتَّابِ) من ألقابِ أكابر الكُتَّابِ كالوزير من أرباب الأقسام وكاتب السرّ وَمَنْ فِي مَعْنَاهُمْ .

(كَهْفِ الْمَلَّةِ) من ألقاب أكابر أرباب السيوف كُنُوب السلطنة ونحوهم .

(كَوَكَبُ الْأُسْرَةِ نَزَاهِرَةٌ) من ألقاب الأشراف كأميرى مكة والمدينة المشرفين
والكوكب واحد الكواكب وهو يقع على النجوم والشمس والقمر .

(كَوَكَبُ الذَّرِّيَّةِ) من ألقاب الشرفاء أيضا، والمراد الذرية العلوية .

حرف اللام

(لِسَانُ الْحَقِيقَةِ) من ألقاب الصوفية ، واللسان هنا جارحة الكلام ، والحقيقة
خلاف المجاز، وهي في الأصل عين الحق ، والمراد هنا معرفة الأمر على ما هو عليه .

(لِسَانُ الْحِفَاظِ) من ألقاب المحدثين والوعاظ ، والمراد المتكلم عنهم ، يقال فلان
لسان القوم إذا كان متكلمًا عنهم ؛ ويجوز أن يكون المراد اللسان الذي هو جارحة
الكلام ويكون المعنى 'آتهم للكلام كما أن اللسان آلة الكلام للتكلم ، ويجوز أن يكون
من اللسان بمعنى اللغة ، كما في قوله تعالى : ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا لِسَانِ قَوْمِهِ﴾
ويكون المعنى أنه المترجم عنهم والمتكلم بلغاتهم المختلفة .

(لِسَانُ الدَّوْلَةِ) من ألقاب كاتب السر ومن في معناه ، واللسان فيه يحتمل
المعنيين .

(لِسَانُ السُّلْطَنَةِ) من ألقاب كاتب السر .

(لِسَانُ الْمُتَكَلِّمِينَ) من ألقاب العلماء ، والمتكلمون يجوز أن يراد بهم كل متكلم
في الجملة تعميما للحدح ؛ ويجوز أن يراد العلماء بعلم الكلام وهو أصول الدين ،
لأن أصحابه هم أرباب النظر الدقيق والبحث لدقة متعلقه ، وهو الظاهر .

(لسانُ الممالك) من ألقاب كُتِّبَ السرّ، والممالك جمع مملكة وهو موضع الملك، والمعنى أنه يتكلم بلسان ملوك الممالك .
(لسانُ ملوك الأمصار) من ألقاب كاتب السرّ .

حرف الميم

(مالكُ زمام الأدب) من ألقاب البلغاء من الكُتَّاب ونحوهم، ويصلح لكاتب السرّ ومن في معناه .

(مانحُ الممالك والأقاليم والأمصار) من الألقاب السلطانية، والمانحُ المعطى، والممالك تقدم بيانه، والأقاليم جمع إقليم، وله معنيان أحدهما واحد الأقاليم السبعة التي تُسمّى الحكماء، ممتدة في طول الأرض ما بين المغرب والمشرق . والثاني الواحد من الأقاليم العرفية : كمصر والشام والعراق وما أشبه ذلك وقد مرّ القولُ فيهما .

(متعمدُ المصالح) من ألقاب الوزراء ومن في معنائهم، والمراد بالمتعمد المتقصد .

(مجدُ الإسلام) من ألقاب صغار أرباب السيوف .

(مجدُ الإسلام والمسلمين) من ألقاب متوسطيهم .

(مجدُ الأمراء) من ألقاب أصاغر أرباب السيوف كأمرء العشرين ونحوهم .

(مجدُ الرؤساء) من ألقاب التجار الخواجكية .

(مجلُّ الغياهب) من ألقاب أكابر العلماء، والمجلُّ بالتشديد الكاشف، يقال :

جَلَّ الأمر إذا أوضحه وكشفه، ومنه جَلَّوت السيف ونحوه إذا كَشَفْتَهُ من الصدأ،

والغياهبُ جمع غَيَّب وهو الظلمة الشديدة، يقال : فرسٌ أَدْمٌ غَيَّبٌ إذا أَشْتَدَّ

سَوَادُهُ .

(مَجْدُ الصُّدُورِ) من ألقاب التُّجَّارِ الحَوَاجِكِيَّةِ .

(مُجَمَّلُ الأَمْصَارِ) من ألقاب أكابر أرباب الأقاليم ، والمجمل فاعلُ الجَمَالِ ،
والأَمْصَارُ جمعُ مَصِيرٍ وهو الإقليم .

(مُجَهِّدٌ نَفْسَهُ فِي رِضَا مَوْلَاهُ) من ألقاب الصوفية وأهل الصلاح [والمرادُ به]
المُعْمِلُ نَفْسَهُ لِلغَايَةِ . يقال : أَجَهَّدَ جَهْدَكَ فِي هَذَا الأَمْرِ أَيْ أَبْلَغَ غَايَتَكَ ، والمرادُ
بِالمَوْلَى هُنَا الخَالِقُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى .

(مُحْيِي السُّنَّةِ) من ألقاب العلماء والصلحاء .

(مُحْيِي العَدْلِ فِي العَالَمِينَ) من الألقاب السلطانية .

(مُدَبِّرُ الحَيُوشِ) من ألقاب ناظر الجيش .

(مُدَبِّرُ المَمَالِكِ) من ألقاب الوزراء ، وربما قيل «مُدَبِّرُ الدَّوْلَةِ» والمُدَبِّرُ فاعلُ
التدبيرِ ، وقد تقدم معناه في الكلام على المُدَبِّرِيِّ فِي جَمَلَةِ الألقاب المفردة .

(مُدَبِّرُ أُمُورِ السُّلْطَنَةِ) من ألقاب الوزراء وكُتَّابِ السِّرِّ وغيرهم .

(مُذَكِّرُ القُلُوبِ) من ألقاب الخطباء والوعاظ ، والمُذَكِّرُ فاعلُ التذكير وهو الأَخْذُ
بِالذِّكْرِ ، ومنه قوله تعالى : ﴿ وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَ تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ .

(مُذِلُّ البِدْعَةِ) من ألقاب علماء السنة ، والمُذِلُّ تَقْيِضُ المِعْزِ .

(مُذِلُّ حِزْبِ الشَّيْطَانِ) من ألقاب العلماء والصلحاء ، والحِزْبُ الطائفةُ ،
وحِزْبُ الرَّجُلِ أَصْحَابُهُ .

(مُرَبِّي المُرِيدِينَ) من ألقاب الصلحاء .

- (مُرْتَبِ الْجُيُوشِ) من ألقاب ناظر الجيش .
- (مُرْتَضَى الدَّوْلَةِ) من ألقاب الكُتَّابِ ، والمُرْتَضَى بمعنى المرَضَى المقبول .
- (مُرْتَضَى الملوِك والسلاطين) من ألقاب ارباب السيوف والأقلام جميعا .
- (مُسْتَعْدِمُ أربابِ الطَّيْلِ والعَلَمِ) من ألقاب النائب الكافل ونحوه .
- (مُشِيدُ الممالك) من ألقاب الوزراء وَمَنْ في معناهم ، والمُشِيدُ فاعلُ التشييد وهو رَفَعَ البناء .
- (مُشِيرُ الدَّوْلَةِ) من ألقاب الوزراء وَمَنْ في معناهم ، والمُشِيرُ الذي يُشِيرُ على غيره بالرأى .
- (مُشِيرُ السُلْطَنَةِ) مثله .
- (مُشِيرُ الملوِك والسلاطين) مثله .
- (مُظْهِرُ أنبَاءِ الشريعةِ) من ألقاب العلماء ، وهو بضم الميم وإسكان الظاء على أنه فاعلٌ من الظُّهُورِ ، والأنباء جمعُ نَبَأٍ وهو الخبرُ ، والمراد أنه يُظْهِرُ أخبارَ الشريعةِ وَيُدَيِّعُهَا ، ويجوز أن يكون بفتح الميم على أنه هو نفس المَظْهِر وهو أبلغ .
- (مُعِزُّ الإسلامِ والمسلمين) من ألقاب النائب الكافلِ وَمَنْ في معناه .
- (مُعِزُّ السُّنَّةِ) من ألقاب العلماء ، والسُّنَّةُ خلافُ البِدْعَةِ .
- (مُعِينُ الحَقِّ وناصِرُهُ) من ألقاب الحُكَّامِ من أرباب السيوف وغيرهم .
- (مُفْتِيُ المسلمِينِ) من ألقاب العلماء .
- (مُفِيدُ البُلَغَاءِ) من ألقاب أهل البلاغة من الكُتَّابِ وغيرهم .

(١) الأولى من الإظهار .

- (مُفِيدُ الطَالِبِينَ) من ألقاب العلماء .
- (مُفِيدُ الْمَنَاحِجِ) من ألقاب الوزراء ، والمناجِح جمع منجَح أخذوا من النَّجَاح وهو الظَّفَر بالخَوَاجِج .
- (مُفِيدُ أَهْلِ مِصْرَ وَالْعِرَاقِ وَالشَّامِ) من ألقاب العلماء .
- (مُفِيدُ كُلِّ غَادٍ وَرَاحٍ) من ألقابهم أيضا .
- (مُقَرَّبُ الْحَضْرَتَيْنِ) من ألقاب التُّجَّارِ الْخَوَاجِكِيِّةِ إِذَا كَانَ مَرْتَدًّا بَيْنَ مَمْلَكَتَيْنِ .
- (مُقَرَّبُ الدَّوَلِ) من ألقاب التُّجَّارِ الْخَوَاجِكِيِّةِ ، وهو أعمُّ من الأَوَّلِ .
- (مَلْجَأُ الْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ) من ألقاب النَّائِبِ الْكَافِلِ وَنَائِبِ الشَّامِ عَلَى مَا اسْتَقَرَّ عَلَيْهِ الْحَالُ آخِرًا .
- (مَلْجَأُ الْمُرِيدِينَ) من ألقاب الصُّوفِيَّةِ وَأَهْلِ الصَّلَاحِ .
- (مَلِكُ الْبَحْرَيْنِ) من الألقاب السلطانية ، والمرادُ بِبَحْرِ الرُّومِ وَبِحْرِ الْقَلْزُومِ : لِأَنَّهُمَا يَتَقَارَبَانِ بَيْنَ مِصْرَ وَالشَّامِ عَلَى الْقُرْبِ مِنَ الْعَرِيشِ .
- (مَلِكُ الْبُلْغَاءِ) من ألقاب أهل البلاغة من الكُتَّابِ وَغَيْرِهِمْ .
- (مُمَلِّكُ الْمَمَالِكِ وَالنُّخُوتِ وَالتَّيْجَانِ) من الألقاب السلطانية أيضا ، والمرادُ بِالنُّخُوتِ هُنَا نُهُوتُ الْمَلِكِ ، يَرِيدُ أَنَّهُ مَمْلُوكُ الْمَلُوكِ مِنْ تَحْتِ يَدِهِ .
- (مُمَهِّدُ الدَّوَلِ) من ألقاب أكابر أرباب السيوف كُنُوبِ السُّدُنَةِ وَنَحْوِهِمْ ، وَرَبَّمَا كُتِبَ بِهِ لِبَعْضِ الْمَلُوكِ أَيْضًا ، وَقَدْ تَقَدَّمَ الْكَلَامُ عَلَى التَّمْهِيدِ عِنْدَ الْكَلَامِ عَلَى الْمُمَهِّدِيِّ فِي جَمَلَةِ الْأَلْقَابِ الْمَفْرُودَةِ .

(مُنْبَه الخَوَاطِر) من ألقاب الخطباء والوُعاظ ، والمُنْبَه الموقظ ، والخَوَاطِر جمع خَاطِر .

(مُنْجِد الملوك والسلاطين) من ألقاب النائب الكافل ، وبه يُكْتَب لإمام الزيدية باليمن . والمُنْجِد المَعِين أَخْذاً من قولهم آسْتَنْجِدُنِي فلانٌ فَأَنْجِدْتُهُ أَي آسْتَعَانَ بِي فَأَعْتَتْهُ .

(مُنْشَى العلماء والمُفْتِينَ) من ألقاب أكابر العلماء .

(مُنْصِف المظلومين من الظالمين) من الألقاب السلطانية .

(مَوْرِد الجُود) من ألقاب الكرماء .

(مَوْصَل السالكين) من ألقاب الصوفية والصلحاء .

(مَوْصَح الطَّرِيقَة) من ألقاب الصوفية والصلحاء أيضاً ، وربما قيل «مَوْصَح الطَّرِيق» وقد تقدم أن المراد الطريقُ إلى الله تعالى .

(مُوَلَّى الإِحْسَانِ) من الألقاب السلطانية ، والمراد بالمُوَلَّى المُنِيل .

(مُؤَمِّن الأرض المحيطة) من الألقاب السلطانية أيضاً ، وكأنهم يريدون الأرضَ المُحِيطةَ لا تساعها ، ويكون المرادُ أرضَ المملكة ، وإلا فالأرضُ محوطةٌ من حيثُ استدارةُ الماءِ عليها لا مُحِيطةٌ بغيرها .

(مَلَأُ الطالِبِينَ) من ألقاب العلماء والصلحاء ، والمراد المَلْجَأُ .

(مَلَأُ العِبَادِ) من ألقاب الصلحاء . وفيه نظر لأن العباد لا يلونون إلا بالله تعالى ولا يَلْجِئُونَ إلا إليه .

(مَلَأُ الكُتُبِ) من ألقاب أكابر الكُتَّاب ، ككاتب السر ونحوه .

(مؤيد الحق) من ألقاب أرباب السيوف وغيرهم ، والمؤيد المقوى أخذاً من الأيد وهو القوة .

(مؤيد الملة) من ألقاب العلماء .

(مؤيد أمور الدين) كذلك . وبه يكتب لإمام الزيدية باليمن .

حرف النون

(ناصر الملوك والسلاطين) من ألقاب التجار الخواجكية .

(ناصر السنة) من ألقاب العلماء .

(ناصر الغزاة والمجاهدين) من ألقاب أكابر أرباب السيوف كالنائب الكافل ونحوه، وربما كتب به لبعض الملوك كملك التكرور ونحوه .

(ناصر الشريعة) من ألقاب العلماء، والشريعة ما شرعه الله تعالى من الدين . يقال شرع لهم شرعاً، وأصله من الشريعة التي هي مورد الماء .

(ناشر لواء العدل والإحسان) من الألقاب السلطانية .

(نجل السلطنة) من ألقاب أولاد الملوك ، والمراد أنه ولد في السلطنة .

(نجل الأكارب) من ألقاب ذوى الأصالة ، والنجل النسل . يقال نجله أبوه إذا ولده .

(نسب الإمام) من ألقاب الشرفاء كاميرى مكة والمدينة المشرفين ، والنسب

القريب . يقال فلان نسب فلان أى قريبه ، وذلك أن مرجع بنى العباس والعلويين إلى بنى هاشم .

(نسب أمير المؤمنين) مثله .

(نَصْرُ الْغَزَاةِ وَالْمَجَاهِدِينَ) مِنْ ألقَابِ أَكْبَرِ أربَابِ السُّيُوفِ كُنُوبِ السُّلْطَنَةِ
وَنَحْوِهِمْ ، وَهُوَ عِنْدَهُمْ [فَوْقَ] نَاصِرِ الْغَزَاةِ .

(نَصِيرُ الْغَزَاةِ وَالْمَجَاهِدِينَ) كَذَلِكَ ، وَهُوَ عِنْدَهُمْ دُونَ الْأَوَّلِ وَفَوْقَ الثَّانِي ، وَفِيهِ
كَلَامٌ يَأْتِي ذِكْرُهُ .

(نِظَامُ الدَّوْلَةِ) مِنْ ألقَابِ أَكْبَرِ أربَابِ السُّيُوفِ وَالْكِتَابِ ، وَقَدْ تَقَدَّمَ الْكَلَامُ
عَلَى النَّظَامِ فِي الْألقَابِ الْمَفْرَدَةِ .

(نِظَامُ الْمَمَالِكِ) مِنْ ألقَابِ الْوُزَرَاءِ وَكُتَّابِ السِّرِّ وَنَحْوِهِمْ .

(نِظَامُ الْمَنَاجِحِ) مِنْ ألقَابِهِمْ أَيْضًا .

(نُورُ الزُّهَادِ) مِنْ ألقَابِ الصُّوفِيَّةِ وَأَهْلِ الصَّلَاحِ .

حرف الهاء

(هَمَامُ الدَّوْلَةِ) مِنْ ألقَابِ أربَابِ السُّيُوفِ وَقَدْ تَقَدَّمَ فِي الْكَلَامِ عَلَى الْألقَابِ
الْمَفْرَدَةِ أَنَّ الْهَمَامَ بِمَعْنَى الشَّجَاعِ .

حرف الواو

(وَارِثُ الْمَلِكِ) مِنْ الْألقَابِ السُّلْطَانِيَّةِ .

(وَليُّ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ) مِنْ الْألقَابِ الَّتِي يَشْتَرِكُ فِيهَا أربَابُ السُّيُوفِ
وَالْأَقْلَامِ : كَالْوُزَرَاءِ وَقُضَاةِ الْقُضَاةِ وَكَاتِبِ السِّرِّ وَمَنْ فِي مَعْنَاهُمْ ، وَالْوَلِيُّ فِي اللُّغَةِ
خِلَافُ الْعَدُوِّ .

حرف اللام ألف

(لاِبِسُ تَوْبِ الْفَخَّارِ) من ألقاب أكابر أرباب الأقاليم .
 (لاِفَتْ الْغَوَاةُ إِلَى طَرِيقِ الرَّشَادِ) من ألقاب الصلحاء والوعاظ ، واللاِفَتْ
 الصارِفُ ، يقال لَفَّتْ وَجْهَهُ عَنِ إِذَا صَرَفَهُ ، وأصل اللَّفَّتْ اللَّيْ ، والغَوَاةُ جمع غَاوٍ
 وهو الضَّالُّ ، يقال غَوَى يَغْوِي غِيًّا إِذَا ضَلَّ فهو غَاوٍ .

حرف الياء

(يَمِينُ الْمُلُوكِ وَالسُّلْطَانِ) قال في " عرف التعريف " : يَخْتَصُّ بِالذَّوَادِرِ
 وكاتب السِّرِّ ، وقد تقدّم الكلامُ على معنى ذلك في الكلام على اليميني في الألقاب
 المفردة ، وأن المراد يمينُ السلطان التي يتناولُ بها ، وإلا فمجلس كاتب السِّرِّ عن يسار
 السلطان والذَّوَادِرُ واقِفٌ أمامه .

. (يَمِينُ الْمَمْلَكَةِ) مثله .

. (يَمِينُ الدَّوْلَةِ) كذلك .

الضرب الثاني

(من الألقاب المفردة المؤنثة ؛ ولتأنيثها سببان)

السبب الأول

(الجمع)

بأن يجمع شيء من الألقاب المذكورة المفردة أو المركبة ، فننتقل من التذكير إلى
 التأنيث ، فإنَّ الجموع كلها مؤنثة على ما هو مقرر في علم النحو . ويتأتى ذلك

في المطلقات، مثل أن يجمع في صدر المطلق بين المقر الكريم والجناب الكريم والجناب العالی والمجلس العالی؛ ثم يُتبعها بالألقاب التي تليق بها مما يأتي ذكره، فيأتي بتلك الألقاب مجموعة بلفظ التانيث مفردة ومركبة . مثل أن يكتب إلى المقر والجناب الكريمين، والجنابات العالیه، والمجلس العالی الأميریه، الكبيریه، العالیه، العادلیه، المؤيديه، الزعيمیه، العونیه، الفيائیه، المئاغريه، المرابطیه، الممهديه، المشيدیه، الظهيريّه، الكافليه، الفلانيه، إعزاز الإسلام والمسلمين، سادات الأمراء في العالمين، أنصار الغزاة والمجاهدين، زعماء الجيوش، مقدمى العساكر، ممهدى الدول، مشيدى الممالك، عمادات الملة، أعوان الأمة، ظهيري الملوك والسلاطين، سُيوف أمير المؤمنين، ونحو ذلك .

وَأَعْلَمُ أَنَّ هَذِهِ الْأَقْبَابَ كُلَّهَا مِنْ جَمَلَةِ الْأَقْبَابِ الْمَفْرَدَةِ وَالْمَرْكَبَةِ الْمَتَقَدِّمِ ذِكْرَهَا، فَيَسْتَفْنَى عَنْ بَيَانِ مُشْكَلِهَا وَتَعْرِيفِ أَحْوَالِهَا هُنَا آكْتِفَاءً بِمَا تَقَدَّمَ، إِلَّا أَنَّ مِنَ الْأَقْبَابِ الْمَجْمُوعَةِ مَا يَقُومُ لَفْظُ الْإِفْرَادِ مَقَامَهُ بِأَنْ يَكُونَ اللَّقْبُ اسْمَ جِنْسٍ، مِثْلَ عَضُدٍ وَمَجْدٍ وَنَحْوِ ذَلِكَ مِمَّا لَا يَجُوزُ جَمْعُهُ لِأَنَّهُ يُقْصَدُ بِهِ الْجِنْسُ . فَيَجُوزُ لِلْكَاتِبِ حِينَئِذٍ أَنْ يَأْتِيَ بِذَلِكَ بِلَفْظِ الْجَمْعِ وَلِفْظِ الْإِفْرَادِ الَّذِي مَعْنَاهُ الْجَمْعُ . وَقَدْ أَشَارَ إِلَى ذَلِكَ الْقَاضِي شِهَابُ الدِّينِ بْنِ فَضْلِ اللَّهِ فِي "التعريف" فِي الْكَلَامِ عَلَى الْمَطْلُوقَاتِ . فَقَالَ عِنْدَ ذِكْرِهِ أَعْتَضَادَ الْمُلُوكِ وَالسَّلَاطِينِ : وَيَجُوزُ فِيهِ أَعْتَضَادُ الْمُلُوكِ وَعَضُدُ الْمُلُوكِ، إِطْلَاقًا لِلْأَفْرَادِ عَلَى الْجَمْعِ .

السبب الثاني

(تأنيث اللقب الأصل الذي تفتزع عليه الألقاب الفروع . وله حالتان)

الحالة الأولى - أن يكون اللقب الأصل لمؤنث غير حقيق كالْحَضْرَة وَالْيَدِ
وَالْبَاسِطَة . فتأني الألقاب المفرعة عليها مؤنثة بناء على أن الصفة تتبع الموصوف
في تذكيره وتأنيثه ، على ما هو مقرّر في علم النحو . أما نعوت الحضرة فمثل أن
يقال : « الْحَضْرَةُ الشَّرِيفَةُ ، الْعَلِيَّةُ ، السَّنِيَّةُ ، الْعَالِمِيَّةُ ، الْعَامِلِيَّةُ ، الْعَادِلِيَّةُ ، الْأَوْحِدِيَّةُ ،
الْمُؤَيَّدِيَّةُ ، الْمُجَاهِدِيَّةُ ، الْمُرَابِطِيَّةُ ، الْمُتَاغِرِيَّةُ ، الْمُظْفَرِيَّةُ ، الْمَنْصُورِيَّةُ ، وَمَا أَشْبَهَ ذَلِكَ »
وأما نعوت الباسطة فمثل أن يقال : « الْبَاسِطَةُ الشَّرِيفَةُ ، الْعَالِيَةُ ، الْمَوْلُويَّةُ ،
الْأَمِيرِيَّةُ ، الْكَبِيرِيَّةُ ، الْعَالِمِيَّةُ ، الْعَادِلِيَّةُ ، الْمُؤَيَّدِيَّةُ ، الْمُحْسِنِيَّةُ ، السَّيِّدِيَّةُ ، الْمَالِكِيَّةُ ،
الْفَلَانِيَّةُ » وفي معناها نعوت اليد . وألقاب هذه الحالة كلّها في معنى ما تقدم من
الألقاب المذكورة لا تختلف الحال فيها إلا في التذكير والتأنيث ، وأنه ليس فيها ألقاب
مركبة ، فيستغنى بما تقدم عن ذكر معانيها وأحوالها أيضا .

الحالة الثانية - أن يكون اللقب الأصل لمؤنث حقيق ، كالْدَارِ وَالسَّتَارَةِ
وَالْجِهَةِ إِذَا كُنِيَ بِهَا عَنِ الْمَرْأَةِ فِي الْكِتَابَةِ إِلَيْهَا مِثْلُ أَنْ يُقَالَ : « الدَّارُ الْكَرِيمَةُ »
و « السَّتَارَةُ الرَّفِيعَةُ » و « الْجِهَةُ الْمَصُونَةُ » ونحو ذلك ، فتتبعها الألقاب المفرعة
عليها أيضا في التأنيث إلا أن لها معاني تخصها . وهي على ضربين : مفردة ومركبة
كما تقدم في المذكورة ، وإن لم تبلغ شأوها في الكثرة . فأما المفردة فكالشريفة ،
والكبرى ، والعالية ، والمعظمة ، والمكرمة ، والمحجبة ، والمصونة ، والخاتونية ،
والخوند . وربما قيل الوالدية إذا كانت والدة حقيقة أوفى مقامها ، والولدية إذا كانت
بنا حقيقة أو قائمة مقامها ، والحاجية إذا كانت حاجة ونحو ذلك .

ثم الألقاب المفردة تارة تكون مجردة عن ياء النسب، كالألقاب المتقدم ذكرها؛ وقد تلحقها ياء النسب للبالغة في التعظيم فيما تدخل فيه ياء النسب في المذكر، مثل أن يقال: المعظمية والمكرمية، والمحجبية، وما أشبه ذلك. وهذه الألقاب أكثرها منقول عن المذكر، فيستغنى عن ذكر معانيها وأحوالها؛ وفيها ألقاب لم يتقدم ذكر مثلها في المذكر كالمحجبية، وهو مأخوذ من الحجاب كأنها محجوبة عن أن يراها الناس؛ ومنها المصونة وهو مأخوذ من الصيانة، وهي جعل الشيء في الصون وقاية له عن مثل النظر والمس ونحو ذلك؛ ومنها الخاتون، وهو لفظ تركي معناه السيدة؛ ومنها الخوند، وهي لفظة عجمية بمعنى السيادة أيضا.

وأما المركبة فمثل جلال النساء، وسيدة الخوانين في العالمين، وشرف الخواتين، وجميلة المحجبات، وجميلة المصونات، وقرينة الملوك والسلاطين، وسليمة الملوك والسلاطين، إذا كانت بنتا لسلطان أو في معناها، وكريمة الملوك والسلاطين إذا كانت أخت سلطان. ومعاني هذه الألقاب ظاهرة معلومة.

(١) الصنف الثاني

(من الألقاب المفرعة على الأصول ألقاب من يكتب إليه من أهل الكفر، مما أصطلح عليها لمكاتباتهم)

وأعلم أنه لم يكن ملك من ملوك الكفر ممن يكتب له عن الأبواب السلطانية غير النصراني؛ لأنه لم يكن لغيرهم من أهل الملل بالتقرب من هذه المملكة مملكة قائمة، بل اليهود ليس لهم مملكة قائمة في قطر من الأقطار بعد غلبة الإسلام، إنما يُردون الجزية حيث حلوا، إذ يقول تعالى في حقهم: ﴿ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذَّلَّةُ أُنْمَأْمَ تُهْمِفُوا إِلَّا بِحَبْلٍ مِنْ اللَّهِ وَحَبْلِ مِنَ النَّاسِ﴾.

(١) لعل الصواب "نوع الثاني" وبالجملة فالترجم كثيرا ما يقع فيها السهو مما من النسخ أو المؤلف فتنبه.

ثم من يلقب من أهل الكفر في المكاتبات إن كان من متدينتهم كالإبواب
والبطرك، ناسبه من الألقاب ما فيه معنى التنسك والتعبد؛ وإن كان من الملوك
ناسبه ما فيه معنى الشجاعة والرياسة والقيام بأمر دينه وتحمله أعباء رعيته
وما في معنى ذلك . فقد ثبت في الصحيحين أن النبي صلى الله عليه وسلم كتب
إلى هرقل : " من محمد رسول الله إلى هرقل عظيم الروم " وفي كتب السيرة أنه
صلى الله عليه وسلم كتب إلى كسرى : " من رسول الله إلى كسرى عظيم فارس "
وأنه كتب إلى المقوقس : " من محمد رسول الله إلى المقوقس عظيم القبط " فعبّر
عن كل من الملوك الثلاثة بعظيم قومه لمناسبة ذلك لهم .

وبالجملة فالألقاب التي تكتب إليهم على ضربين :

الضرب الأول

(الألقاب المذكرة ، وهي نمطان)

اللفظ الأول

(المفردة)

وأكثر ما تبنى على صفات الشجاعة وما في معناها . وهذه جملة منها مرتبة على
حروف المعجم أيضا ، مقفاة عليها .

حرف الألف

(الأسد) من الألقاب التي أصطلح عليها بمعنى الشجاعة ، وهو في الأصل للحيوان
المفترس ، ثم استعمل في الرجل الشجاع مجازاً لعلاقة ما بينهما من الشجاعة .

(الأصيل) من الألقاب التي أصطلح عليها لملوكهم أيضا، وقد تقدم في الكلام على الألقاب الإسلامية نقلا عن "عرف التعريف" أنه يختص بكل من له ثلاثة آباء في الرياسة، وحينئذ فيكون هنا مختصا بمن له ثلاثة آباء في الملك، على أنهم الآن لا يقفون مع ذلك بل يراعون من له أدنى نسب .

(الإنجالوس) من الألقاب التي أصطلح عليها لملوكهم، وهي لفظة يونانية معناها الملك واحد الملائكة، وإنما كتبت إليهم بذلك مضاهاة للكتب الواردة عنهم، ولعل الكاتب لم يعلم معنى ذلك، وكذلك غيرها من الألقاب التي في معناها .

حرف الباء

(البالوغس) من الألقاب التي أصطلح عليها لملوكهم، وهي لفظة يونانية أصلها البالي لوغس، ومعناها «الكلمة القديمة» .

حرف الجيم

(الجليل) من الألقاب التي أصطلح عليها لملوكهم، ومعنى الجليل في اللغة العظيم، لكن قد استعمل في ألقابهم في المكاتب لملوكهم . فيقال «الملك الجليل» والمراد الجليل بالنسبة إلى ملوك الكفر، وإلا فالكافر لا يوصف بالعظمة . وكان الأحسن أن لا يكتب به إليهم، لاسميا وهو اسم من أسمائه تعالى .

حرف الخاء المعجمة

(الخاشع) من الألقاب التي أصطلح عليها لمتديناتهم : كالپاپ والبطرك . وقد تقدم في الألقاب الإسلامية أنه يكون من ألقاب الصلحاء والصوفية، وأن معنى الخاشع المتذلل .

(الْحَطِير) من الألقاب التي أُصْطَلِحَ عليها لملوكهم ، والْحَطِير في اللغة الكبير الجليلُ القدير ، ومنه قولهم : أمرُّ له خَطَرُ أي مقدار كبيرٌ .

حرف الدال المهملة

(الدُّوقِس) بضم الدال وكسر القاف من الألقاب التي أُصْطَلِحَ عليها لملوكهم . وقد يقال (الضُّوقِس) بالضاد بدل الدال ، وهي لفظة يونانية أصلها دقستين . ومعناها المشكور .

حرف الراء المهملة

(الرُّوحَانِي) من الألقاب التي أُصْطَلِحَ عليها للتدنيين منهم ، وهو بضم الراء نسبة إلى الروح التي بها مناط الحياة للمخلوقين ، ومنه نُسِبَ إلى الملائكة والجنِّ رُوحَانِي ، وبالفتح نسبة إلى الروح بمعنى الرائحة ، والمعنى الأول أقرب إلى مراد الكتاب .

حرف السين

(السَّمِيدَع) من الألقاب التي أُصْطَلِحَ عليها لملوكهم . قال الجوهرى : وهو بضم السين وقال في "كفاية المتحفظ" بفتحها ، ومعناه السيد ، وكان المراد سيد قومه وزعيمهم .

حرف الضاد المعجمة

(الضَّرْغَام) من الألقاب التي أُصْطَلِحَ عليها لملوكهم ، وهو من أسماء الأسد ، لُقِّبَ به ملوكهم لما فيه من معنى الشجاعة .

حرف الغين المعجمة

(الغَضَنَفْرُ) بفتح الغين والضاد المعجمتين وسكون النون وفتح الفاء من أسماء الأسد، أصطلح الكُتَّابُ على تلقيبهم بذلك لما فيه من معنى الشجاعة كالأسد والضُرغام . على أنه قد يُطَلَقُ في اللغة على الرجل الغليظ كما حكاها الجوهري . ولا بأس باستعمال الألفاظ التي لها كامل ناره^(١) في المكاتبات إلى الكُفَّار .

حرف القاف

(القِدَّيسُ) بكسر القاف من الألقاب التي أصطلح عليها لمتدينتهم من الباب والبَطْرِيْرُكُ ونحوهما، وأصله من التقديس وهو التزييه .

حرف الكاف

(الكَّرَّارُ) بتشديد الراء من الألقاب التي أصطلح عليها لملوكهم، والكَّرَّارُ صيغةٌ مبالغة من الكَرَّ خلافِ الفَرِّ . والمراد أنه يَرْجِعُ في المحاربة على قرنه المرة بعد المرة ولا ينهزمُ عنه .

(الكَيْنِيوسُ) من الألقاب التي أصطلح عليها لملوكهم، وهو لفظ رومي معناه

(٢)

حرف الميم

(المتَبَلُّ) من الألقاب التي أصطلح عليها لمتدينتهم، ومعناه المنقطع عن الدنيا .
(المتَخَتُّ) بفتح الخاء المعجمة المشددة من الألقاب التي اصطلح عليها لملوكهم، والمراد أنه ممن يجلس مثله على تخت الملك لاستحقاقه له .

(المتَوَجُّ) بفتح الواو المشددة من الألقاب التي أصطلح عليها لملوكهم والمراد أنه ممن يلبس التاج لاستحقاقه له .

(١) كذا في الاصول بالاهمال مع اشارة التوقف والمراد الألفاظ التي تحتل المعظم وغيره .

(٢) بيض له في الاصول وأورده في الضوء ولم يفسره .

(الْمُحْتَشِم) من الألقاب التي أصطلح عليها لتجار الروم والفرنج ، والمراد بالاحتشم هنا الرئيس الذي له حشم وهم خولُه وخدمه . وأصل الحشمة في اللغة الغضب ، وسمى خولُ الرجل وخدمه حشما لأنهم يَغضَبون له ؛ وبعضهم يُطلق الاحتشم على المستحي وعليه عُرِفَ العامة وهو المراد هنا ، وأنكره ابن قتيبة وغيره حتى قال النحاس إنه لا يُعرف احتشم إلا بمعنى غضب وإن كان الجوهرى قد حكاه .

(الْمُعَزَّز) من الألقاب التي أصطلح عليها لملوكهم [وهو اسم مفعول من العز] خلاف الذل .

(المجد) من الألقاب التي أصطلح عليها لملوكهم^(١) وهو مُفَعَّلٌ من المجد . وقد تقدم الكلام عليه في الألقاب الإسلامية .

حرف الهاء

(الهَمَام) من الألقاب التي أصطلح عليها لملوكهم ، وقد تقدم في الألقاب الإسلامية ان معناه الشجاع .

النمط الثاني

(من الألقاب التي يُكْتَبُ بها لملوك الكفر الألقاب المركبة)

وهذه جملة منها مرتبة على حروف المعجم أيضا .

حرف الألف

(آخر ملوك اليونان) من الألقاب التي أصطلح عليها لملوكهم ، وهي تصلح لكل ملك ينتسب إلى اليونان أو قام مقامهم في الملك . واليونان أمةٌ معروفة مشهورة ، وكانت مملكتهم أولا في الجانب الشرقي من الخليج القسطنطيني المعروف الآن ببلاد

(١) الزيادة يقتضها الكلام كما لا يخفى على المتأمل .

الروم ثم ملكوا بعدها العراق، والترك، والهند، وبلاد أرمينية، والشام، ومصر، والإسكندرية. ومنهم أكثر الحكماء والفلاسفة. وكانت دولتهم من أعظم الدول؛ وأختلف في نسبهم: فنقل ابن سعيد عن البيهقي وغيره من المحققين أنهم من ولد أفريقش بن يونان، بن علجان، بن يافث، بن نوح عليه السلام. والمنقول عن التوراة أن يونان هو ابن يافث لصلبه، وأسمه فيها ياقان بقاء تقرب في اللفظ من الواو فعربت يونان. وخالف كثير من المؤرخين فنسبوا يونان إلى عابر بن فالغ، فجعله أخا لقحطان جد العرب العاربة، وأنه خرج من اليمن مغاضبا لأخيه قحطان فنزل ما بين الأفرنجة والروم وأختلط نسبه بنسبهم. وقيل: بل اليونان من جملة الروم من ولد صوفر بن العيص، بن إسحاق، بن إبراهيم عليه السلام.

(أسوة الملوك والسلاطين) من الألقاب التي أصطلح عليها لملوكهم، والإسوة بكسر الهمزة وضمها بمعنى القدوة ومنه قولهم: لي في فلان إسوة يعني قدوة، وكأنهم جعلوه إسوة لملوك الكفرة يقتدون به وإلا فلا يجوز إطلاق ذلك على الملوك من حيث هم لدخول ملوك الإسلام فيهم.

(العادل في ملته) من الألقاب التي أصطلح عليها لملوكهم، وقد تقدم معنى العادل والملة في الكلام على الألقاب الإسلامية.

(العادل في مملكته) من الألقاب التي أصطلح عليها لملوكهم، وقد تقدم معنى العادل، والمملكة في الأصل موضع الملك ثم أطلقت على الرعية مجازا.

(الريد أرغون) من الألقاب التي أصطلح عليها لبعض ملوكهم ممن يملك البلاد المعروفة بأرغون، وقد ذكر في "الروض المعطار" بلاد أرغون. وقال: هو اسم بلاد غرسية بن شانجة، تشمل على بلاد ومنازل وأعمال، ولم يذكر في أي حيز هي

ولا في أي قُطر . وقد رأيت هذا اللقب في "التعريف" : للمقر الشهابي بن فضل الله في ألقاب صاحب القسطنطينية وفي "التثيف" لابن ناظر الجيش ، في ألقاب الأذفونش صاحب طليطلة من الأندلس ، ويحتاج إلى تحقيق من يملك هذه الطائفة منهما فيكتب به إليه . والرید في لغتهم بمعنى الملك كما تقدم في الكلام على رید أفرنس في ألقاب الملوك .

(المنصف لرعيته) من الألقاب التي أصطلح عليها لملوكهم ، والرعية من يسوسه الملك ، سموا بذلك تشبيها لهم بالغنم وله بالراعي .

(أوحده الملوك العيسوية) من الألقاب التي أصطلح عليها لملوكهم . ويصلح للملكانية واليعقوبية جميعا : لأنه لم يقيد بمذهب من مذاهب النصارى .

(أوحده ملوك اليعقوبية) من الألقاب التي أصطلح عليها لملوك الحبشة : لأن ملكها من طائفة اليعقوبية .

حرف الباء

(بطل النصرية) من الألقاب التي أصطلح عليها لملوكهم ، وهو صالح لكل واحد منهم ، ومعنى البطل في اللغة الشجاع ، سمي بذلك لأنه يبطل حركة قرنه .

(بقية أبناء التُّخوت والتيجان) من الألقاب التي أصطلح عليها لملوكهم ، وهي تصلح لكل منهم أيضا من الملكانية واليعاقبة جميعا .

(بقية الملوك الأغرريقية) من الألقاب التي أصطلح عليها لبعض الملوك من بقايا طائفة الأغرريقية من اليونان ، وهم طائفة من اليونان تنسب إلى أغريقش بن يونان المقدم ذكره ، وهم اليونان الأول . وقد ذكره في "التعريف" في ألقاب ملك الكرج . ولعله أطلع على أنه من بقايا هذه الطائفة . وهو مما يحتاج إلى تحرير .

(بِقِيَّةِ سَلَفِ قَيْصَرَ) من الألقاب التي أُصطلحَ عليها لبعض ملوكهم من أنتسب إلى القياصرة ملوك الروم أو قام مقامهم . وقَيْصَرُ اسمٌ قديمٌ لكل من ملك الروم ، وأصل هذه اللفظة في اللغة الرومية جاشريجيم وشين معجمة فَعَرَّبَتْ قَيْصَرَ ؛ ولها عندهم معنيان : أحدهما الشيء المشقوق عنه ، والثاني الشَّعْر . وأختلف في أول من لُقِّبَ بذلك منهم فقيل : أغانيوش قَيْصَرَ ، أولُ الطبقة الثانية من ملوك الروم : ماتت أمه وهو حَمَلٌ فَشَقَّ بطنها وأخرج فسَمِيَ بذلك لما فيه من الشق عليه ، وقيل يوليوش قَيْصَرَ ، وهو الذي ملك بعد أغانيوش المقدم ذكره ، وقيل أغشطش قَيْصَرَ وهو الذي وُلِدَ المسيحُ عليه السلام في زمانه ، فقد قيل إنه الذي ماتت أمه وهو حَمَلٌ فَشَقَّ جوفها وأخرج فسَمِيَ بذلك ، وقيل لأنه وُلِدَ وله شَعْرٌ تامٌ فسَمِيَ قَيْصَرَ لوجود الشعر فيه حينئذ .

حرف الجسيم

(جامع البلاد الساحلية) من الألقاب التي تصلح لكل ملك [مملكة] متسعة على ساحل البحر كصاحب القسطنطينية ونحوه .

حرف الحاء المهملة

(حافظ البلاد الجنوبية) من الألقاب التي أُصطلحَ عليها لملك الحبشة من النصارى . على أنه يصلح لغيره من ملوك السودان أيضا ممن أخذ في الجنوب من المسلمين وغيرهم .

(حامل راية المسيحية) من الألقاب التي أُصطلحَ عليها لملوكهم ، وهي تصلح لكل ملك كبير من ملوك النصارى ، والمراد بالمسيحية الملة المسيحية ، فحذف

الموصوف وأقيمت الصفة مقامه ، يريدون ملة المسيح وهو عيسى عليه السلام .
وأختلف في [سبب] تسميته بالمسيح : فقيل لأنه كان ممسوح القدمين بمعنى أنه لا أنحص
له . وقيل لأنه مسح الأرض بالسياسة ، وقيل غير ذلك . أما تسمية الدجال بالمسيح
فلأنه ممسوح العين لأنه أعور . وقيل لأنه يمسح الأرض بالسيف فيها .

(حامى البحار والحلجان) من الألقاب التي تصلح لكل من مملكته منهم على
البحر ، والبحار جمع بحر ، وأصله في اللغة الشق ، ومنه سميت البحيرة المذكورة
في القرآن : وهي الناقة التي تُشقُّ أذنها فترسل فلا تُعارض ، والحلجان جمع خليج
وهو الجندول الصغير ، والمراد ما يتشعب من البحر تخليج القسطنطينية وجون
البنادقة ونحوهما .

(حامى حماة بنى الأصفر) من الألقاب التي تصلح لملوك الروم والفرنج بالممالك
العظام : كصاحب القسطنطينية وغيره ، والمراد بنى الأصفر الروم فإنهم من ولد
صوفر بن العيص ، بن إسحاق ، بن إبراهيم عليه السلام ، والمؤرخون يعبرون عن
صوفر بالأصفر . وإنما خصه بحماية الحماة تفخيماً له فإنه إذا حمى الحماة كان بحماية
غيرهم أجدراً .

حرف الخاء المعجمة

(خالصة الأصدقاء) من الألقاب التي أصطلح عليها لملوكهم ، والمراد بالخالصة
هنا من ليس في صداقته شائبة .

(خلاصة ملوك السريان) من الألقاب التي تصلح لكل من ينسب إلى بقايا
السريانيين من الملوك . والسريان أقدم الأمم في الخليفة ، وكانوا يدينون بدين
الصابئة ، وينسبون إلى صابئ بن إدريس عليه السلام . قال ابن حزم : ودينهم

أقدم الأديان على وجه الأرض، ومدار مذاهبهم على تعظيم الروحانيات والكواكب.
وكانت منازلهم أرض بابل من العراق . قال المسعودي : وهم أول ملوك الأرض
بعد الطوفان .

حرف الذال المعجمة

(ذُحْرُ مَلُوكِ الْبِحَارِ وَالْحُلُجِ) من الألقاب التي تصلح لكل ملك منهم على ساحل
البحر، وقد تقدم معنى الذُحْر والْبِحَار، وَالْحُلُجُّ هي الخُلجان، وقد تقدم معناها .
(ذُحْرُ الْأُمَّةِ النَّصْرَانِيَّةِ) من الألقاب التي تصلح لجميع ملوك النصرانية من
الْمَلِكَايَةِ وَالْبَعَاثِيَّةِ . وقد تقدم معنى الذُحْر وَالْأُمَّةِ فِي الْكَلَامِ عَلَى الْأَلْقَابِ
الْإِسْلَامِيَّةِ .

حرف الراء المهملة

(رَضِيَ الْبَابُ بِأَلِفٍ رُومِيَّةٍ) يجوز أن يكون بفتح الراء وكسر الضاد بمعنى مَرْضَى
الباب . ويجوز أن يكون بكسر الراء وفتح الضاد بمعنى أنه يُجْعَلُ نَفْسَ رِضَا الْبَابِ
وهو أبلغ . وهو من الألقاب التي أُصْطَلِحَ عَلَيْهَا لِمُلُوكِهِمْ . وقد تقدم في الألقاب
الأصول معنى الْبَابِ . وَرُومِيَّةٌ أَسْمٌ رُومِيَّةٌ لِي بِهَا الْبَابُ مَقِيمٌ . إضافة إليها لإقامته بها .
وقد مرّ القول عليها في الكلام على المسالك والممالك في المقالة الثانية . وتأتي الإشارة
إليها في الكلام على مكاتبة الباب في المقالة الرابعة إن شاء الله تعالى .

(رُكْنُ الْأُمَّةِ الْعِيسَوِيَّةِ) من الألقاب التي أُصْطَلِحَ عَلَيْهَا لِكِبَارِ مَلُوكِهِمْ كَمَلِكِ
الْحَبَشَةِ وَمُخُودٍ . وَيَصْلُحُ لِلْمَلِكَايَةِ وَالْبَعَاثِيَّةِ جَمِيعًا .

حرف الشين المعجمة

(شِبِّهِ مَرِيحًا مَعْمَدَانِ) من الألقاب التي تصلح ل كبار ملوكهم ، ومَرِيحًا بفتح الميم وسكون الراء المهملة وضم الياء المثناة تحت وبعدها جاء مهملة ونون . ومعنى مَرَّ السيد ، وَيَحِنَّا بلغتهم يحيي ، والمراد شبيه السيد يحيي ، والمعمدان بيمين مفتوحتين بينهما عين مهملة صفة عندهم ليحيي فهم يزعمون أن مريم عليها السلام خرجت بعيسى عليه السلام من الشام إلى مصر وعادت به إلى الشام وهو ابن اثنتي عشرة سنة . فلقاه يحيي عليه السلام وهو ابن خالته ، فغمسه في نهر الأردن ، وهو عندهم أصل ماء المعمودية الذي لا يصح عندهم تنصُرُ نصراني إلا به فأطلقوا على يحيي عليه السلام المعمدان لمعنى ذلك ، وكأنه شبهه به من حيث إنه أصل المعمودية بزعمهم .

حرف الصاد المهملة

(صَدِيقُ الْمُلُوكِ وَالسَّلَاطِينِ) من الألقاب التي أصطلح عليها لملوكهم ، والمراد أن فيه صداقةً وودًا لملوك الإسلام وسلاطينهم .

حرف الضاد المعجمة

(ضَابِطُ الْمَمَالِكِ الرُّومِيَّةِ) من الألقاب التي أصطلح عليها لصاحب القسطنطينية . وهو نظير حافِظ البلاد الجنوبية لملك الحبشة .

حرف الظاء المعجمة

(ظَهِيرُ الْبَابِ بَابًا رُومِيَّةً) من الألقاب التي أصطلح عليها لملوكهم ، وقد تقدم معنى الباب والبابا .

حرف العين المهملة

(عِزُّ الْمِلَّةِ النَّصْرَانِيَّةِ) من الألقاب التي أصطلح عليها لأكابر ملوكهم .
 (عِمَادُ نَبِيِّ الْمَعْمُودِيَّةِ) من الألقاب التي أصطلح عليها لكبار ملوكهم ، والعماد
 في اللغة الأبنية الرفيعة ، يذُكَّرُ وَيُؤنَّثُ . وقد مرَّ بيانُ معنى المعمودية في حرف الشين .

حرف الفاء

(فَارِسُ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ) يصلح لمن يكون مجاورا للبر والبحر من الملوك كأصحاب
 الجزائر ، وقد يصلح لغيرهم أيضا .
 (فَخْرُ الْمِلَّةِ الْمَسِيحِيَّةِ) من الألقاب التي أصطلح عليها لملوكهم ، وتصلح للملكانية
 واليعاقبة منهم .

حرف الميم

(مُتَبِّعُ الْخَوَارِيِّينَ وَالْأَخْبَارِ الرَّبَّانِيِّينَ وَالْبَطَارِكَةِ الْقِدِّيسِينَ) من ألقاب عطاء
 ملوكهم ، والمراد بالخواريين أصحاب عيسى عليه السلام الذين بعثهم إلى أقطار
 الأرض للإشارة به وللدعاية إلى الله تعالى ، وعنهم أخبر تعالى بقوله :
 ﴿ قَالَ الْخَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ ﴾ وهم اثنا عشر نفسا أسماؤهم يونانية .
 أحدهم - بطرس ، ويقال له شمعون الصفا ، وهو الذي بشر بالقدس
 وأنطاكية وما حولها .

والثاني - أندراوس ، وهو الذي بشر ببلاد الحبشة والسودان .

والثالث - يعقوب بن زيري . وهو الذي بشر بمدينة
 (١)

(١) بياض في الأصول .

- والرابع - يُوحنا الإنجيلي . وهو الذي بشر ببلاد أفسس وما معها .
 والخامس - فيلبس . ولم أقف على موضع بشارته .
 والسادس - برتلوما . وهو الذي بشر في الواحات والبربر .
 والسابع - توما ويعرف بتوما الرسول . وهو الذي بشر في السند والهند .
 والثامن - متى . وهو الذي بشر بأرض فلسطين ، وصور ، وصيدا ،
 ومصر ، وقرطاجنة من بلاد المغرب .
 والتاسع - يعقوب بن حلقا . وهو ممن بشر ببلاد الهند أيضا .
 والعاشر - سمعان ويقال شمعون الصفا . وهو الذي بشر بشمشاط وحلب
 ومنبج وبزنية : وهي القسطنطينية .
 والحادي عشر - بولس ويقال له تداوس ، وهو الذي بشر بدمشق وبالقدس
 أيضا وبلاد الروم والجزائر ورومية .
 والثاني عشر - يهوذا الأشخريوطي : وهو الذي خرج عن طاعة المسيح ودلَّ
 عليه اليهود ليقتلوه فلقى الله تعالى شبه المسيح عليه فأمسكه اليهود وقتلوه وصلبوه
 ورفع الله تعالى المسيح إليه ، وليس هذا من المراد بالحواريين هنا : لأنه قد خرج عن
 دائرتهم . فلفظ الحواريين مأخوذ من الحور وهو شدة البياض ، سموا بذلك لصفائهم
 وتفانيهم في اتباع المسيح عن الدخيل ، وقيل لأنهم كانوا في الأول قصارين يبيضون
 الثياب .
 والأخبار جمع جبر - بفتح الحاء وكسرهما وهو العالم .
 والربانيون جمع رباني وقد تقدم معناه في الألقاب الإسلامية .
 والبطاركة جمع بطرك وقد تقدم الكلام عليه في الألقاب الأصول وأن أصله
 بطريرك ، وأنه يقال فيه فطرك بالفاء بدل الباء ، وكان لهم خمسة كراسي : كرسى برومية ،

وهو الذي قعد فيه الباب، وكرسى الإسكندرية: وهو الذي استقر لبطرك يعقوبية الآن، وكرسى بيزنطية وهي القسطنطينية، وكرسى أنطاكية وكان فيه بطرك النسطورية، وكرسى بالقدس وهو أصغرهما عندهم .

(محي طرُق الفلاسفة والحكماء) من الألقاب التي أصطلح عليها لصاحب القسطنطينية لأن مملكته منبع حكام اليونان وفلاسفتهم . والفلاسفة جمع فيلسوف بكسر الفاء وهي لفظ يوناني مركب من مضاف ومضاف إليه . معناه محب الحكمة . فلفظ فيل بمعنى محب . وسوف بمعنى الحكمة ، وهم يطلقون الفلسفة على من يحيط بالعلوم الرياضية . وهي : الهيئة والهندسة والحساب واللحون وغيرها . والحكماء جمع حكيم ، وهو من يُحسِن دقائق الصناعات ويُتقنها أو من يتعاطى الحكمة ، وهي معرفة أفضل الأشياء وأفضل العلوم ، وأول ما صارت الحكمة فيهم في زمن بختنصر ، ثم اشتهرت فيهم بعد ذلك ، ولذلك عُبر بالفلاسفة القدماء إشارة إلى أول زمن الحكماء .

(مَحْوَلُ التُّخُوتِ وَالتَّيْجَانِ) من الألقاب التي أصطلح عليها لصاحب القسطنطينية لعظم مملكته في القديم والحديث . والمُحْوَلُ المَمْلَكُ ، والتُّخُوتُ جمع تُخْتٌ وهو كُرْسِي المَلِكِ الذي يجلس عليه الملك في مجلسه العام ، والتَّيْجَانُ جمع تاج وهو الذي يُوضَع على رأس الملك إذا جلس على تخته ، والمعنى أنه يُعطى الملوك الممالك من تحت يده لسعة مملكته وعظمتها ، وقد كانت القسطنطينية قبل غلبة الفرنج وقوة شوكتهم مُلكاً عظيماً .

(مَسِيحُ الأَبْطالِ المَسِيحِيَّةِ) من الألقاب التي أصطلح عليها لأكابِر مُلُوكِهِم كصاحب القسطنطينية . أضاف المَسِيحَ إلى الأبطال ثم وصفها به جمعاً له بين رتبتي الشجاعة والتدين بدينه .

(مُصَافِي الْمَسْلَمِينَ) من الألقاب التي أُصْطَلِحَ عليها لملوكهم، والمُصَافِي مفاعل من الصِّفَاءِ، والمراد أنه صافى النية للمسلمين والمسلمون صافوا النية له .

(مُعِزَّ النَّصْرَانِيَّةِ) من الألقاب التي أُصْطَلِحَ عليها لأكابرمملوكهم، والمراد بالنصرانية ملة النصرانية. حذف الموصوف وأقام الصفة مقامه، والنصرانية في الأصل منسوبة إلى الناصرة وهي القرية التي نزلها المسيح وأمه عليهما السلام من بلاد القدس عند عودهما إلى مصر، وقيل مأخوذة من قوله تعالى حكايةً عن عيسى عليه السلام ﴿مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْخَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ﴾ .

(مُعَظَّمُ الْبَيْتِ الْمُقَدَّسِ) من الألقاب التي أُصْطَلِحَ عليها لملوكهم، وربما زيد فيها فقيل «مُعَظَّمُ الْبَيْتِ الْمُقَدَّسِ بِعَقْدِ النِّيَّةِ» لموافقة الروى في السجعة التي تقارنها، ويصلح لكل ملك من ملوكهم لأن جميعهم يعتقدون تعظيم البيت المقدس، والبيت المقدس معروف، والتقدیس التنزيه والتطهير .

(مُعَظَّمُ كَنِيسَةِ صِهْيُونِ) من الألقاب المختصة بملك الحبشة لأنه يعقوبى، وكنيسة صهيون بالإسكندرية: وهي كنيسة بطرك اليعاقبة الآن، ومعتقدهم أنه لا يصح ولاية ملك منهم الا باتصال من هذا البطررك، على أنه في ابتداء البطرركية في زمن الخواريين لم يكن بكرسى الإسكندرية أحد من الخواريين، إنما كان بها مرقص الإنجيلي تلميذ بطرس الخوارى صاحب كرسى رومية، والنصارى يومئذ على طريقة واحدة قبل ظهور الملكية واليعقوبية، فلما افترق دين النصرانية إلى الملكية واليعاقبة وغيرهم، كانت بطركية الإسكندرية يتداولها الملكية واليعقوبية تارة وتارة بحسب انتقال الملوك والميل إلى كل من المذهبين، ثم استقرت آخرًا في بطرك اليعاقبة إلى زماننا، وتبعه ملوك الحبشة لانتعالم مذهب اليعاقبة، كما تبع الروم والفرنجية الباب

برومية : لانتحالم مذهب الملكانية ، وسيأتى الكلام على طرف من ذلك فى الكلام على مكاتبة ملك الحبشة إن شاء الله تعالى .

(مَلِكُ مُلُوكِ السُّرِيَانِ) من الألقاب التى أُصْطَلِحَ عليها لصاحب القسطنطينية لعظمته عندهم ، وقد تقدم ذكر السُّرِيَانِ فيما قبل .

(مُؤَادُ الْمُسْلِمِينَ) من الألقاب التى أُصْطَلِحَ عليها لملوكهم ، وهو بتشديد الدال أخذاً من المَوَدَّةِ .

(مُؤَيِّدُ الْمَسِيحِيَّةِ) من الألقاب التى أُصْطَلِحَ عليها لملوكهم ، والمُؤَيِّدُ المقوى ، والمراد بالمسيحية الملة المسيحية كما تقدم بيانه ، وربما قيل «مُؤَيِّدُ الْعَيْسَوِيَّةِ» : والأمر فيهما كذلك .

حرف النون

(نَاصِرُ الْمِلَّةِ الْمَسِيحِيَّةِ) من الألقاب التى أُصْطَلِحَ عليها لأكابر ملوكهم ، وقد تقدم معنى هذه الألقاب فى مواضعها .

حرف الواو

(وَارِثُ التَّيْجَانِ) من الألقاب التى أُصْطَلِحَ عليها لملوكهم . وقد تقدم معنى التَّيْجَانِ ، والمراد أنه أنتقل إليه الملك وراثته من آبائه .

(وَارِثُ آبَائِهِ فِي الْأَسِرَّةِ وَالتَّيْجَانِ) من الألقاب التى أُصْطَلِحَ عليها لمن يكون عريقاً فى الملك ، وهو قريب من اللَّقَبِ الذى قبله .

(وَارِثُ الْقِيَاصِرَةِ الْعُظْمَاءِ) من الألقاب التى أُصْطَلِحَ عليها لصاحب القسطنطينية التى هى قاعدة القياصرة ، وقد تقدم أول من سُمِّيَ قيصر فيما سلف من الألقاب .

الضرب الثاني

(من ألقاب أهل الكفر الألقاب المؤنثة: بأن يكون اللقب الأصل مؤنثاً

فتبعه الألقاب الفروع في التانيث. ولها حالتان)

الحالة الأولى - أن يكون اللقب الأصل لمؤنث غير حقيق كالْحَضْرَة مَثَلًا ،
فترد ألقابه مؤنثة ، وفي الغالب إنما يقع التانيث في اللقب الأول ثم ينتقل إلى
الألقاب المذكورة ، مثل أن يقال : « الحَضْرَة الْعَالِيَة أَوْ السَّامِيَة أَوْ الْعَالِيَة ، حَضْرَة
الْمَلِكِ الْجَلِيلِ » ويؤتى بما يناسبه من الألقاب بعد ذلك ، وربما أتى للحَضْرَة بِلَقَبَيْنِ
فأكثر طلباً للتفخيم ، ثم يُعَدَّلُ إلى الألقاب المذكورة ، مثل « الْحَضْرَة الْعَالِيَة الْمَكْرَمَة »
ثم يقال « حَضْرَة الْمَلِكِ الْجَلِيلِ » وما أشبه ذلك .

الحالة الثانية - أن يكون اللقب الأصل لمؤنث حقيق - بأن يكون لامرأة كما إذا
كانت مَلِكَةً في بعض ممالكهم ، على قاعدة الأعاجم في إسناد الملك إلى بنات الملوك ،
فيؤتى بألقابها المفردة والمركبة مؤنثة ، فيكتب مثلاً « الْمَلِكَة الْجَلِيلَة الْمَكْرَمَة الْمَبْجَلَة
الْمَوْقِرَة الْمَفْخَمَة الْمَعْرُزَة فَلَانَة الْعَادِلَة فِي مَمْلَكَتِهَا ، كَبِيرَة دِينِ النَّصْرَانِيَة ، نُصْرَة الْأُمَّة
الْعِيسَوِيَة ، حَامِيَة الثُّغُور ، صَدِيقَة الْمُلُوكِ وَالسَّلَاطِينِ » وما أشبه ذلك ، ومعاني هذه
الألقاب معلومة مما تقدم .

قلت : قد أتيت من ألقاب أهل الإسلام وألقاب أهل الكفر : المفردة
والمركبة على ما تضمنه "التعريف بالمصطلح الشريف" للمقر الشهابي بن فضل الله ،
و"عُرف التعريف" في الإخوانيات له ، و"تثقيف التعريف" للقاضي تقي الدين
أبن ناظر الجيش إلاماشرده عنه القلم . مع ما ضمته إلى ذلك مما وجدته في غيرها من

الديساتير المجموعة في السلطانيات والإخوانيات المصرية والشامية جارياً على عُرفهم
 مما استعمله أهل الزمان ومن قاربه ؛ والكاتب الماهر إذا فهم أصلها وعرف
 طرقها، اخترع ماشاء من الألقاب والنعوت ؛ والضابط في وضع الألقاب أن يراعى
 فيها أحوال المكتوب له ، فيؤتى منها بما يناسب حاله في الوظيفة والرياسة وسائر
 أوصاف المدح اللائقة به ؛ فيؤتى لصاحب السيف بالألقاب المقتضية للشجاعة
 والبسالة ؛ مثل المجاهدي والمثاغري والمرابط وما أشبه ذلك . وربما أضيف
 له بعض الألقاب المقتضية للعلم والصلاح ، كالعالمي والعالمي ونحو ذلك ، لأشترك
 الناس في المدح بمثل ذلك . ويؤتى للعالم والقاضي ونحوهما بالألقاب المقتضية
 للعلم كالعالمي والمحقق والمدقق ونحو ذلك . وربما أضيف إليها الألقاب المقتضية
 للصلاح لتمدح العلماء به . ويؤتى للصوفية وأهل الصلاح بالألقاب المقتضية للصلاح
 والتعبد كالعابدي والزاهدي ونحوهما . ويؤتى لكُتاب الإنشاء بالألقاب المقتضية
 للبلاغة كالبلّغ والمفوهي ونحوهما . ويؤتى للنساء بالألقاب المقتضية للصيانة والعفة
 كالمصونة والمحجبة وما أشبههما . ويؤتى لأهل الكفر من الملوك ونحوهم بما لا حرج
 فيه على الكاتب ؛ كالشجاعة وما في معناها ، والتقدم على ملوك طائفته وأهل ملته
 وما في معنى ذلك . فإن اجتمع في شخص واحد أوصاف متعددة من المادح
 جمعت له . على أن أكثر ما يستعمله الكُتاب من الألقاب غير موجودة في صاحبها ،
 وإنما هي ألقاب حفظوها لرتب معينة لا يسعهم الإخلال بشيء منها وإن كانت كذبا
 محضاً و﴿ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴾ . وقد كان في القديم قاعدة مستقرة : وهو أنه
 لا يلقب أحد بلقب ولا يُكنى بكنية إلا أن يكون الخليفة هو الذي يلقب بذلك
 أو يكنى .

الجملة السابعة

(في تفاوت الألقاب في المراتب ، وهي قسمان)

القسم الأول

(ما يقع التفاوت فيه بالصعود والهبوط ، وهو نوعان)

النوع الأول

(ما يقع التفاوت فيه بحسب القلة والكثرة ، وله حالتان)

الحالة الأولى - أن يكون المكتوب إليه من أتباع المكتوب عنه ، كقواب السلطنة فيما يكتب عن الأبواب السلطانية من مكاتبات وولايات ، فزيادة الألقاب وكثرتها في هذه الحالة علو وشرف في حق المكتوب إليه ، لأنها من باب المدح والإطراء ، ولا شك أن كثرة المدح من المتبوع للتابع أعلى من قلته ، ولذلك تقع الإطالة في ألقاب كبار القواب والاختصار في صغارهم ، وتأتي في غاية الاختصار في نحو ولاية النواحي ومن في معناهم .

الحالة الثانية - أن يكون المكتوب له أجنبياً عن المكتوب عنه ، كالملوك الذين تكتب إليهم المكاتبات عن السلطان ، فقلة الألقاب في حقه أرفع لأن الإكثار من ذلك يرى أنه من باب الملق المذموم بين الأكارب في المكاتبات فوجب تجنبه كما يجب تجنب المدح وكثرة الدعاء ، ولذلك يقع الاختصار في الألقاب فيما يكتب لهم عن السلطان إجلالاً لقدرهم عن رتبة رعاياه الذين يكثر من ألقابهم .

النوع الثاني

(ما يقع فيه التفاوت في العلو والهبوط بحسب ما يقتضيه جوهر اللفظ
أو ما وقع الاصطلاح عليه . وهو صنفان)

الصنف الأول

(الألقاب المفردة . وهي على أربعة أنماط)

النمط الأول

(التوابع)

وهي التي تلي الألقاب الأصول كالتي تلي المقام والمقر والجناب والمجلس ؛ فيلي
المقام لفظ الأشرف ولفظ الشريف ولفظ العالی ، فالمقام يقال فيه « المقام
الأشرف العالی » و « المقام الشريف العالی » و « المقام العالی » . ويلى المقر
لفظ الأشرف ولفظ الشريف ولفظ الكريم ولفظ العالی ، فيقال « المقر الأشرف
العالی » و « المقر الشريف العالی » و « المقر الكريم العالی » و « المقر العالی » .
ويلى الجناب لفظ الكريم ولفظ العالی ، فيقال « الجناب الكريم العالی »
و « الجناب العالی » . ويلى المجلس لفظ العالی والسامى ، فيقال « المجلس العالی »
و « المجلس السامى » . والألفاظ التي تتبع وهي الأشرف والشريف والكريم
والعالی والسامى بعضها أرفع من بعض على الترتيب . فالأشرف أرفع من الشريف ،
لأن أشرف أفعّل تفضيل يقتضى الترجيح على غيره كما هو مقدر في علم النحو ؛
والشريف أرفع رتبة من الكريم لما تقدم عن ابن السكيت أن الكرم يكون في الرجل
وإن لم يكن له آباء شرفاء ، والشرف لا يكون إلا لمن له آباء شرفاء . ومقتضى ذلك
ترجيح الشريف على الكريم لاقتضائه الفضل في نفس الشخص وفي آبائه . بخلاف

الكرم ، ولذلك آختر الشرف لأبناء فاطمة رضى الله عنها دون الكرم . والكريم
أرفع رتبة من العالى ، لأن الكريم يحتمل أن يكون من الكرم الذى هو خلاف اللؤم
ويحتمل أن يكون من الكرم الذى هو خلاف البخل وكلاهما مقطوع بأنه صفة
مدح ، وإن الأقرب إلى مراد الكتاب المعنى الأول . والعالى يحتمل أن يكون
من على بكسر اللام يعلى بفتحها علاء بفتح العين والمد إذا شرف ؛ ويحتمل أن
يكون من علا يعلو علوا إذا ارتفع فى المكان ، وليس العلو فى المكان مما يدل على
صفة المدح إلا أن يستعار للارتفاع فى الشرف فىكون صفة مدح حينئذ على
سبيل المجاز وإن كان مراد الكتاب هو المعنى الأول ؛ وما كان مقطوعا فيه بالمدح
من الجانبين أعلى مما يكون مقطوعا فيه بالمدح من جانب دون جانب . وقد
أصطلحوا على أن جعلوا العالى أرفع رتبة من السامى ، وهو مما أنكر على واضعه ،
إذ لافرق بينهما من حيث المعنى ، لأن السموى بمعنى العلو . والذى يظهر أن الواضع
لم يجهل ذلك ولعله إنما جعل العالى أرفع رتبة من السامى وإن كان بمعناه لأن
العالى لفظ واضح المعنى يفهمه الخاص والعام ، فىكون المدح به أعم باعتبار من
يفهمه ، بخلاف السامى فإنه لا يفهم معنى العلو منه إلا الخاصة ، فىكون المدح به
أخص لأقتصار الخاصة على معرفته دون العامة .

النمط الثانى

(ما يقع التفاوت فيه بحسب حقوق ياء النسب وتجرده منها)

قد تقدم أن الألقاب المفردة منها ما تلحق به ياء النسب ومنها ما يتجرد عنها ،
وأن الذى تلحقه ياء النسب منها ما هو منسوب إلى شىء خارج عن صاحب
اللقب كالقضائى فإنه منسوب إلى القضاء الذى هو نفس الوظيفة ، فىكون النسب

فيه على بابيه ، ومنه ما هو منسوبٌ إلى صاحب اللقب نفسه كالأميرى فإنه نسبةٌ إلى الأمير وهو عين صاحب اللقب فدخلت فيه ياء النسب للمبالغة ، كما في قولهم لشديد الحمرة أحمرى على ما تقدم بيانه .

وبالجملة فقد أصطلحوا على أن يكون ما لحقت به ياء النسب أرفع رتبة مما تجرد عنها ، سواء كان منسوباً إلى نفس صاحب اللقب أو غيره ، فيجعلون الأميرى أعلى رتبة من الأمير ، والقضائى أرفع رتبة من القاضى ، ثم يجعلون المنسوب إلى نفس صاحب اللقب أرفع رتبة من المنسوب إلى شئٍ خارج عنه ، ومن أجل ذلك جعلوا القاضوى أرفع رتبة من القضائى . أما كون ما لحقت به ياء النسب أرفع رتبة من المجرد عنها فظاهرٌ : لأن المبالغة تقتضى الرفعة ضرورةً ، وأما كون المنسوب إلى شئٍ آخر غير المنسوب إليه يقتضى الرفعة وإن لم يكن فيه مبالغةً ، فللاحاق بما فيه المبالغة استطراداً ، لئلا يلتبس الحال في النسبتين على الضعيف الفهم فلا يفرق بين ما هو منسوب إلى هذا وبين ما هو منسوب إلى ذلك . على أنهم لم يقفوا مع الحكم في كون ما دخلت عليه ياء النسب أرفع مما لم تدخل عليه فقد استعملوا الأجل ونحوه في الألقاب السلطانية التى هى أعلى الألقاب ، فقالوا «السلطانُ الأجلُ العالمُ العادلُ» إلى آخر ألقابه المفردة من غير إلحاق ياء النسب بها ، ثم استعملوا مثل ذلك في ألقاب السامى بغير ياء ، فما دونه مما هو أدنى الألقاب رتبةً . وكأنهم اكتفوا بمكانة السلطان من الرفعة عن المبالغة في ألقابه بإلحاق ياء النسب ، من حيث إن المعروف لا يحتاج إلى تعريف .

(١) أى التى للمبالغة كما يفيد التعليل بعد .

النمط الثالث

(ما يقع التفاوت فيه بصيغة مبالغة غير ياء النسب)

فيكون أرفع رتبةً لمعنى المبالغة كما في الكفيل فإنه أرفع رتبةً من الكافلي ، لأن صيغة فعيل أبلغ في المعنى من صيغة فاعل من حيث إن فعيلاً لا يصاغ إلا من فعل بضم العين إذا صار ذلك الفعل له سجيّة ، كما يقال كرم فهو كريم وعظم فهو عظيم وحلم فهو حلیم ، بخلاف فاعل ، ومن أجل ذلك كان لفظ فقيه أبلغ من لفظ فاقه لأن فاقه يصاغ من فقه بكسر القاف إذا فهم ، ومن فقه بفتحها إذا سبق غيره إلى الفهم . وقفيه إنما يصاغ من فقه بضمها إذا صار الفقه له سجيّة كما مرّ القول عليه في الكلام على الفقيه والفقهي في الألقاب الإسلامية المفردة .

النمط الرابع

(ما يقع فيه التفاوت بحسب ما في ذلك اللقب من اقتضاء

التشريف لعلو متعلقه ورفعته)

كالمهديّ والمشيديّ ، فإن المراد مهّد الدول ومشيّد الممالك على ما مرّ في الألقاب المركبة ، فإن من ينهى في الرتبة إلى تمهيد الدول وتشييد الممالك فلا نزاع في أنه من علو الرتبة بالمكان الأرفع ، وكذلك ما يجرى هذا المجرى كالمديريّ بالنسبة إلى الوزراء ومن في معناهم ، والمحقق بالنسبة إلى العلماء ، والأصلي بالنسبة إلى العريق في كرم الأصل ونحو ذلك .

الصف الثاني

(الألقاب المركبة، وهي على ضربين)

الضرب الأول

(ما يترتب بعضه على بعض لقباً بعد لقب، وله اعتباران)

الاعتبار الأول

(أن يشترك في رعاية الترتيب أرباب السيوف والأقلام وغيرهم،

وهو على ثلاثة أنماط)

النمط الأول

(ما يضاف إلى الإسلام، وله ثلاثة أحوال)

الحال الأول - أن يكون ذلك في ألقاب أرباب السيوف . وقد أصطلح المقرئ الشهابي بن فضل الله على أن جعل أعلاها ركن الإسلام والمسلمين فذكر ذلك في المكتبة إلى النائب الكافل، ومكاتبته يومئذ بالجناب الكريم؛ ثم أبدل الكتاب ذلك بعده بمعز الإسلام والمسلمين، وجعلوه مع المكتبة إليه بالمقر الكريم على ما استقر عليه الحال آخر في المكتبة إلى النائب الكافل ونائب الشام؛ وجعلوا دون ذلك عز الإسلام والمسلمين فأوردوه مع الجناب الكريم والجناب العالي على ما استقر عليه مصطلحهم في السلطانيات . وجعل في "عرف التعريف" في الإخوانيات عز الإسلام والمسلمين أعلى الألقاب فأورده في ألقاب المقر الشريف، ثم طرده فيما بعد ذلك من المقر الكريم والمقر العالي ولم يعده إلى ما بعد؛

ثم جعل دُونَهُ مجد الإسلام والمسلمين ، فأورده مع المجلس العالى مُطلقاً مع الدعاء وصَدَرَتْ ، ثم جعل دُونَ ذلك مجد الإسلام فقط من غير عطف المسلمين عليه ، فأورده في المجلس السامى بالياء والسامى بغير ياء ، ولم يَعُدْهُ إلى مجلس الأمير بل أعاضه بمجد الأمراء على ما سيأتى ذكره ، وتابعه على ذلك في التثقيف .

الحال الثانى - أن يكون ذلك في ألقاب الوزراء من أرباب الأقاليم ومن في معانهم ككاتب السر ، وناظر الجيش ، وناظر الخاَص فمن دُونَهُم من الكُتَّاب . وقد ذكر المقر الشهابى بن فضل الله في بعض دساتيره السامية أن أعلاها لهم ركن الإسلام والمسلمين ، وجعل في "عرف التعريف" أعلاها للوزراء صلاح الإسلام والمسلمين ، ولمن في معنى الوزراء عز الإسلام والمسلمين ، أو جلال الإسلام والمسلمين وأورد ذلك مع المقر الشريف وما بعده : من المقر الكريم ، والمقر العالى ، والجناب الشريف ، والجناب الكريم . وجعل دُونَ ذلك مجد الإسلام مجرداً عن عطف المسلمين عليه ، وأورده مع المجلس العالى ، والمجلس السامى .

أما تخصيص صلاح الإسلام والمسلمين بالوزراء ، وعز الإسلام والمسلمين و جلال الإسلام والمسلمين بمن في معانهم فلا أن الصلاح فيه معنى السداد والقصد ، والعز والجلال فهما معنى العظمة والهيبة ، ولا شك أن وظيفة الوزارة التي مناطها تدبير الملك بالصلاح أجدر به على أنه إذا حصل الصلاح تبعته العظمة والهيبة ضرورة . وأما كون جلال الإسلام والمسلمين أعلى من مجد الإسلام ، فلا مرين أحدهما أن الجلال بمعنى العظمة والمجد بمعنى الشرف والعظمة أبلغ من الشرف لما في العظمة من نفاذ الكلمة . والثانى أن الإضافة في جلال الإسلام والمسلمين في المعنى إلى شيئين وفي مجد الإسلام إلى أحدهما .

الحال الثالث - أن يكون في ألقاب القضاة والعلماء ، وقد جعل في "عُرف التعريف" أعلاها حُجَّة الإسلام أوضياء الإسلام ، فأوردهما مع الجناب الشريف الذي هو عنده أعلى الرُتب لهذه الطائفة ، وجعل دُونَ ذلك بهاء الإسلام فأورده مع الجناب الكريم ، وجعل دُونَهُ مَجْد الإسلام فأورده مع المجلس العالى والسامى بالياء وبغير ياء .

أما كون حجة الإسلام وضياء الإسلام أعلى رتبة من مجد الإسلام فلأن الحجة في اللغة بمعنى البرهان وهو الدليل القاطع ، وبه تتقرر قواعد الإسلام ومبانيه ، والضياء في أصل اللغة خلاف الظلمة ، ثم استعير للهداية وما في معناها ، ولاشك أن الوصف بهذين الأمرين أبلغ من الوصف بالمجد الذي هو بمعنى الشرف .

الحال الرابع - أن يكون في ألقاب الصلحاء ، وقد جعل في "عُرف التعريف" أعلاها صلاح الإسلام وأورده مع الحضرة ، ومع الجناب الشريف ، والجناب الكريم ، وجعل دُونَهُ جلال الإسلام وأورده مع الجناب العالى ، ودونه ضياء الإسلام وأورده مع المجلس العالى ، وجعل دونه جلال الإسلام فأورده مع المجلس السامى بالياء فما دُونَهُ .

أما كون صلاح الإسلام والمسلمين أعلى من جلال الإسلام والمسلمين فقد تقدم بيانه . وأما كون جلال الإسلام والمسلمين أعلى من ضياء الإسلام والمسلمين فلأن الجلال معناه العظمة وهي أعلى من الضياء على ما فيه من التعسف .

النمط الثاني

(من الألقاب المركبة ما يُضاف إلى الأُمراء والوزراء ونحوهم ،
من أرباب المراتب السنية ، وهو على الأحوال الأربعة
المتقدمة الذكر فيما يُضاف إلى الإسلام)

الحال الأول - أن يكون في ألقاب أرباب السيوف . قد جعل
في "عرف التعريف" أعلاها سيّد الأُمراء في العالمين ، وأورده مع المقتر الشريف ،
والمقرّ الكريم ، والمقرّ العالی . وجعل دونه سيّد الأُمراء المقدمين ، وأورده
مع الجنب الشريف ، والجنب الكريم ، والجنب العالی . ودونه شرف الأُمراء
المقدمين ، وأورده مع المجلس العالی والدعاء . ودونه شرف الأُمراء في الأنام ،
وأورده مع السامى بالياء . ودونه زين الأُمراء المجاهدين ، وأورده مع السامى
بغير ياء . ودونه مجد الأُمراء ، وأورده مع مجلس الأمير .

والذى في "التثقيف" بعد سيّد الأُمراء في العالمين سيّد أُمراء العالمين ، وأورده مع
الجنب العالی . ودونه شرف الأُمراء في العالمين ، وأورده مع المجلس العالی والدعاء .
ودونه شرف الأُمراء المقدمين ، وأورده مع صدرت العالی . ودونه شرف الأُمراء
فقط ، وأورده مع السامى بالياء . ودونه نحر الأُمراء ، وأورده مع السامى بغير ياء .
ودونه مجد الأُمراء ، وأورده مع مجلس الأمير . ولا يخفى ما بينهما من الاختلاف .
ولا مشاحة في الاصطلاح بعد فهم المعنى ، ولا نزاع في أن الترتيب الذى
في التثقيف أحسن . وإذا تأملت ذلك وعرضته على ما تقدم من التوجيه في النمط
الأول ظهر لك حقيقة ذلك .

الحال الثاني - أن يكون في ألقاب الوزراء ومن في معناهم . فقد ذكر
في "عرف التعريف" أن أعلاها للوزراء سيّد الوزراء في العالمين ، ولن في معناهم

من كاتب السر ونحوه سيّد الكبراء في العالمين ، وأورد ذلك مع المَقَرّ الشريف ،
والمَقَرّ الكريم ، والمَقَرّ العالی ، والجناب الشريف ، والجناب الكريم ، والجناب العالی ،
وجعل دونه لمن دون هؤلاء من الكُتّاب نحر الأنام ، وأورده في المجلس العالی
والدعاء مع ما بعده .

الحال الثالث – أن يكون من ألقاب القضاة والعلماء .

وقد جعل في ”عرف التعريف“ : أعلاها شرف الأنام . وأورده مع الجناب
الشريف الذي جعله أعلى المكاتبات لهم ، ومع الجناب الكريم والجناب العالی
وجعل دونه نحر الأنام ، فأورده مع المجلس العالی بالدعاء . ودونه بهاء الأنام ، وأورده
مع صدرت والعالی ، ومع السامی بالياء والسامی بغير ياء .

الحال الرابع – أن يكون من ألقاب الصلحاء وقد جعل في ”عرف التعريف“
أعلاها خالصة الأنام ، وأورده مع الحضرة الشريفة التي جعلها أكبر رتبهم ،
ومع الجناب الشريف ، والجناب الكريم ، والجناب العالی ، وجعل دونه شرف الأنام
وأورده مع المجلس العالی . ودونه زين الأنام ، وأورده مع السامی بالياء وبغير ياء .

النَّمَط الثالث

(من الألقاب المركبة ما يُضاف إلى الملوك والسلاطين .

وهو على الأحوال الأربعة المتقدمة الذكر)

الحال الأول – أن يكون من ألقاب أرباب السيف . وقد ذكر
في ”عرف التعريف“ أن أعلاها ظهير الملوك والسلاطين ، وأورده مع المَقَرّ الشريف
والمَقَرّ الكريم ، والمَقَرّ العالی ، والجناب الشريف ، والجناب الكريم ، والجناب العالی .

وجعل دُونَهُ عَضُدَ الْمُلُوكِ وَالسَّلَاطِينِ ، وَأوردَهُ مَعَ الْمَجْلِسِ الْعَالِيِّ وَالْمَجْلِسِ السَّامِيِّ بِالْيَاءِ . وَدُونَهُ عُمْدَةُ الْمُلُوكِ وَالسَّلَاطِينِ ، وَجَعَلَهُ مَعَ مَجْلِسِ الْأَمِيرِ . وَالَّذِي فِي "التثقيف" إيراد ظهير الملوك والسلاطين مع المَقْتَرِ الْكَرِيمِ وَمابَعْدَهُ إِلَى آخِرِ الْمَجْلِسِ الْعَالِيِّ ، وَجَعَلَ عَضُدَ الْمُلُوكِ وَالسَّلَاطِينِ مَعَ السَّامِيِّ بِالْيَاءِ ، وَعُمْدَةَ الْمُلُوكِ وَالسَّلَاطِينِ مَعَ السَّامِيِّ بِغَيْرِ يَاءٍ ، وَعُدَّةَ الْمُلُوكِ وَالسَّلَاطِينِ مَعَ مَجْلِسِ الْأَمِيرِ .

وَالْحَاصِلُ أَنَّهُ فِي "التثقيف" زَادَ رُتَبَتَيْنِ فِي ظَهِيرِ الْمُلُوكِ وَالسَّلَاطِينِ ، فَجَعَلَهُ فِي الْمَجْلِسِ السَّامِيِّ مَعَ الدِّعَاءِ وَمَعَ صَدَرَتْ ، عَلَى أَنَّ التَّحْقِيقَ أَنَّ عَضُدَ الْمُلُوكِ وَالسَّلَاطِينِ أَعْلَى فِي الْحَقِيقَةِ مِنْ ظَهِيرِ الْمُلُوكِ وَالسَّلَاطِينِ ، لِأَنَّ الْعَضُدَ عُضْوٌ مِنْ أَعْضَاءِ الْإِنْسَانِ : وَهُوَ مَا بَيْنَ الْمِرْفَقِ وَالكَتِفِ ، وَالظَّهِيرَ خَارِجٌ عَنْهُ ، وَمَا كَانَ مِنْ نَفْسِ الْإِنْسَانِ كَيْفَ يُجَعَلُ مَا هُوَ خَارِجٌ عَنْهُ أَرْفَعَ مِنْهُ بِالنِّسْبَةِ إِلَى ذَلِكَ الشَّخْصِ ؟ .

أَلْحَالُ الثَّانِي - أَنْ يَكُونَ مِنَ ألقَابِ الْوُزَرَاءِ وَمَنْ فِي مَعْنَاهُمْ . وَقَدْ جَعَلَ فِي "عُرْفِ التَّعْرِيفِ" أَعْلَاهَا ظَهِيرَ الْمُلُوكِ وَالسَّلَاطِينِ أَيْضًا ، وَأوردَهُ مَعَ الْمَقْتَرِ الشَّرِيفِ ، وَالْمَقْتَرِ الْكَرِيمِ ، وَالْمَقْتَرِ الْعَالِيِّ ، وَالْجَنَابِ الشَّرِيفِ ، وَالْجَنَابِ الْكَرِيمِ ، وَالْجَنَابِ الْعَالِيِّ ، وَجَعَلَ دُونَهُ صَفْوَةَ الْمُلُوكِ وَالسَّلَاطِينِ ، وَأوردَهُ مَعَ الْمَجْلِسِ الْعَالِيِّ فَمَا دُونَهُ .

أَلْحَالُ الثَّلَاثِ - أَنْ يَكُونَ مِنَ ألقَابِ الْقُضَاةِ وَالْعُلَمَاءِ . وَقَدْ جَعَلَ فِي "عُرْفِ التَّعْرِيفِ" أَعْلَاهَا لِلْقُضَاةِ حَكَمَ الْمُلُوكِ وَالسَّلَاطِينِ ، وَلِغَيْرِهِمْ مِنَ الْعُلَمَاءِ خَالِصَةَ الْمُلُوكِ وَالسَّلَاطِينِ ، وَهُوَ عِنْدَهُ لِلْجَنَابِ الشَّرِيفِ فَمَا فَوْقَهُ . وَدُونَهُ بَرَكَةَ الْمُلُوكِ وَالسَّلَاطِينِ ، وَأوردَهُ مَعَ الْجَنَابِ الْكَرِيمِ ، وَالْجَنَابِ الْعَالِيِّ ، وَالْمَجْلِسِ الْعَالِيِّ ، مَعَ الدِّعَاءِ . وَجَعَلَ دُونَهُ صَفْوَةَ الْمُلُوكِ وَالسَّلَاطِينِ ، وَأوردَهُ فِي صَدَرَتْ وَالْعَالِيِّ فَمَا دُونَ ذَلِكَ .

الحال الرابع - أن يكون في القاب الصلحاء . ولم يزد في "عرف التعريف" على أنه يُكْتَب لهم بركة الملوك والسلاطين ، وحينئذ فيقتصر عليها لجميعهم ممن يستحق ذلك بحسب ما يقتضيه حال المكتوب بسببه .

النمط الرابع

(من الألقاب المركبة ما يضاف لأمر المؤمنين ، وهو على الأحوال

(١) الأربعة المتقدم ذكرها)

الحال الاول - أن يكون من ألقاب أرباب السيوف ، وأعلاها قسيم أمير المؤمنين ، وهو من الألقاب الخاصة بالسلطان كما تقدم ذكره في موضعه . ودونه خليل أمير المؤمنين ، وهو من ألقاب أولاد الملوك وألقاب بعض الملوك الأجانب المكتوب إليهم عن الأبواب السلطانية . ودونه عضد أمير المؤمنين ، وهو أعلى ما يُكْتَب لنواب السلطنة عن الأبواب السلطانية ؛ وجعله في "عرف التعريف" مع المقر الشريف خاصة . ودونه سيف أمير المؤمنين ، وأورده مع المقر الكريم والمقر العالی ؛ ودونه حسام أمير المؤمنين ، وجعله في "عرف التعريف" مع الجناب الشريف والجناب الكريم والجناب العالی ؛ ولم يُورد بعد ذلك لقباً بالإضافة إلى أمير المؤمنين بل اقتصر على ما يضاف إلى الملوك والسلاطين . وأما في التثقيف فجعله مع المقر الكريم والمقر العالی . ودونه حسام أمير المؤمنين ، وأورده مع المجلس العالی والدعاء ، ولم يُورد فيما بعد ذلك لقباً بالإضافة إلى أمير المؤمنين .

والحاصل أنه في "عرف التعريف" زاد رتبة فيما يضاف إلى أمير المؤمنين ، وهي حسام أمير المؤمنين .

(١) كذا في الاصول ولم يذكر الحال الرابع وهو ألقاب الصلحاء فتأمل .

الحال الثاني - أن يكون من القاب الوزراء ومن في معناهم . ولم يزد في "عُرْف التعريف" على ولي أمير المؤمنين ، وأورده مع المقر الشريف ، والمقر الكريم ، والمقر العالي والجناب الشريف ؛ ويحسن أن يجيء مع الجناب الكريم خالصة أمير المؤمنين ، ومع الجناب العالي صفى أمير المؤمنين أو صفوة أمير المؤمنين ، ولا يُضاف إلى أمير المؤمنين مع المجلس العالي فما دونه شيء من الألقاب آكتفاءً بما يُضاف إلى الملوك والسلاطين كما تقدم في أرباب السيوف .

الحال الثالث - أن يكون من ألقاب القضاة والعلماء . فقد جعل في "عُرْف التعريف" أعلاها ولي أمير المؤمنين ، وجعله مع الجناب الشريف فما فوقه . ويحسن أن يجيء مع الجناب الكريم خالصة أمير المؤمنين ، ومع الجناب العالي صفى أمير المؤمنين أو صفوة أمير المؤمنين ، كما تقدم في الوزراء ومن في معناهم ومن دونهم من الكُتَّاب .

الاعتبار الثاني

(في الألقاب المركبة أن يختص الترتيب في الألقاب بنوع من

المكتوب لهم ، وهو أربعة أنماط)

النمط الأول

(ما يختص بأرباب السيوف ، وله حالان)

الحال الأول - أن تقع الإضافة فيه إلى الغزاة والمجاهدين . وقد جعل المقر الشهابي بن فضل الله في " التعريف " ناصر الغزاة والمجاهدين أعلاها ، فأورده في المكاتبه إلى نائب الشام ، والمكاتبه إليه يومئذ دون المكاتبه إلى النائب الكافل ؛

وهو خلاف مقتضى تركيب لغة العرب لما تقدم من أن صيغة فعيل أعلى من صيغة فاعل ، ولذلك جعلوا الكفيل أعلى من الكافل على ما تقدم بيانه . وحينئذ فيكون نصير الغزاة والمجاهدين أعلى من ناصر الغزاة والمجاهدين على خلاف ما ذكره .

أما في "سرف التعريف" فإنه أعرض عن ذكر الألقاب المضافة إلى الغزاة والمجاهدين مع المقتز الشريف الذي هو أعلى الألقاب لأرباب السيوف من الثواب ومن في معناهم ، وأتى بعده مع المقتز الكريم بنصير الغزاة والمجاهدين ، ثم أتى بعده مع الجناب الشريف إلى آخر المجلس العالى بنصرة الغزاة والمجاهدين ، بفعل نصير الغزاة أبلغ من نصرة الغزاة : لما في نصير من لفظ التذكير وفي نصرة من لفظ التأنيث ، والتذكير أعلى رتبة من التأنيث ، ثم أتى مع السامى بالياء بذخر الغزاة والمجاهدين ، ثم مع السامى بغير ياء بزین الأمراء المجاهدين على وصف الأمراء بالمجاهدين دون عطف المجاهدين على الأمراء ، ثم مع مجلس الأمير بزین المجاهدين .

وجعل في "التثيف" أعلاها ناصر الغزاة والمجاهدين تبعاً "للتعريف" وأورده مع المقتز الكريم ، ودونه نصرة الغزاة والمجاهدين ، وأورده مع الجناب الكريم وما بعده إلى آخر المجلس العالى ، ثم أتى مع السامى بالياء بأوحد المجاهدين ، ومع السامى بغير ياء ومجلس الأمير بزین المجاهدين ، والحال في ذلك قريب .

الحال الثانى - أن يكون اللقب مضافاً إلى الجيوش . وقد جعل في "التعريف" أعلاها أتاك الجيوش ، وأورده في ألقاب النائب الكافل ، وجعل دونه زعيم الجيوش وأورده في ألقاب نائب الشام ، وهو يومئذ دون النائب الكافل ، ثم جعل دونه زعيم جيوش الموحدين ، وأورده في ألقاب نائب حلب . وعلى نحو من ذلك جرى في "عرف التعريف" فجعل أعلاها زعيم الجيوش وأورده مع المقتز الشريف ،

والمَقْتَرُ الكَرِيمُ والمَقْتَرُ العَالِي ؛ وَدُونَهُ زَعِيمٌ جُيُوشِ المُوَحِّدِينَ ، وَأوردَهُ مع الجَنَابِ الشَرِيفِ والجَنَابِ الكَرِيمِ والجَنَابِ العَالِي ؛ ولم يُوردْ شيئاً في هذا المعنى فيما بعد ذلك ، وعلى نحو ذلك جرى في التثقيف .

النمط الثاني

(ما يختص بالوزراء ومَن في معناهم : من كاتب السر ونحوه
فَمَنْ دُونَهُم مِّنَ الكُتَّابِ)

وقد ذكر في "عرف التعريف" أن أعلاها للوزراء سيّد الوزراء في العالمين ، ولمن في معناهم سيّد الكبراء في العالمين ، وأورد ذلك مع المَقْتَرِ الشَرِيفِ والمَقْتَرِ الكَرِيمِ والمَقْتَرِ العَالِي والجَنَابِ الشَرِيفِ والجَنَابِ الكَرِيمِ والجَنَابِ العَالِي ؛ وجعل دُونَهُ لَمَنْ دُونَهُم مِّنَ الكُتَّابِ شَرَفَ الرُّؤَسَاءِ ، وَأوردَهُ مع المجلس العَالِي ؛ ولا شك أنه يجيء بعده أُوْحَدُ الكُتَّابِ أو شَرَفُ الكُتَّابِ مع المجلس السامى بالياء ، ثم جَمَالَ الكُتَّابِ للسامى بغير الياء فما دُونَهُ .

النمط الثالث

(ما يختص بالقضاة والعلماء)

وقد جعل في "عرف التعريف" أعلاها سيّد العلماء والحُكَّامِ ، ولغيرهم أُوْحَدُ العُلَمَاءِ الأَعْلَامِ ، وجعله للجَنَابِ الشَرِيفِ فما فوقه ، ثم للجَنَابِ الكَرِيمِ ، والجَنَابِ العَالِي ؛ وجعل دُونَهُ تاجَ العُلَمَاءِ والحُكَّامِ ، أو شَرَفَ العُلَمَاءِ والحُكَّامِ ، وَأوردَهُ مع المجلس العَالِي ، ودُونَهُ جَمَالَ العُلَمَاءِ أُوْحَدَ الفُضَلَاءِ ، وَأوردَهُ مع السامى بالياء ؛ ودُونَهُ جَمَالَ الأَعْيَانِ مع السامى بغير ياء فما دُونَهُ .

التمط الرابع

(ما يختص بالصلحاء)

وقد جعل في "عرف التعريف" أعلاها لهم شيخ شيوخ العارفين، وأورده مع الحضرة الطاهرة، وجعل دون ذلك أوحد المحققين، فأورده مع الجناب الكريم؛ ودونه أوحد الناسكين، فأورده مع الجناب العالی .

قلت : وليس وُضِعَ هذه الألقاب على الترتيب في العلو والهبوط راجعاً إلى مجرد التشبه من غير تقصُّ لعلو أو هبوط يدلُّ عليه جوهر اللفظ ، بل لا بد أن يكون لتقدم كلِّ لقبٍ منها على الآخر ورفعتِه عليه في الرتبة سببٌ يقتضيه اللفظ وتوجُّبه دلالتُه الظاهرة أو الخفية . وما وقع فيها مما يخالف ذلك فلعدم تأمل الواضع لذلك ، أو وقوعه من بعض المدَّعين الظانين أن القلم في ذلك مطلق العنان ، يتصرف في وضعه كيف شاء من غير نظرٍ إلى ما يوجب تقديمًا ولا تأخيرًا . ومما يوضح ذلك ويبيِّن أنه إذا اعتبرت الألقاب المضافة إلى الإسلام المتقدمة الذكر في أرباب السيوف مثلاً ، رأيت أعلاها ركن الإسلام والمسلمين ، على ما هو مذکور في "التعريف" وغيره من سائر دساتير المقرِّ الشهابيِّ بن فضل الله ، وأعلاها على ما ذكره في "التثقيف" معز الإسلام والمسلمين ، ودون ذلك في الرتبة عز الإسلام والمسلمين ، ودونه مجد الإسلام والمسلمين ، ودونه مجد الإسلام فقط من غير عطف ، على ما تقدم ذكره .

أما كون ركن الإسلام والمسلمين أعلى من عز الإسلام والمسلمين ، فلأن ركن الشيء في اللغة جانبُه الأقوى ، وقد قال الأصوليون : إن الركن ما كان داخل الماهية . وحينئذ فيكون ركن الشيء بعضاً منه بخلاف العز فإنه معني من المعاني خارج عنه ، وما كان بعضاً للشيء كان أخص به مما هو خارج عنه .

وأما وجه إبدالهم رُكن الإسلام والمسلمين بمِعز الإسلام والمسلمين فلأن
 في الرُكن معنى العِزِّ والقُوَّة ، وقد فسره قوله تعالى حِكَايَةً عن لُوطٍ عليه السلام :
 ﴿ أَوْ آوَى إِلَى رُكْنٍ شَدِيدٍ ﴾ بِالْعِزِّ وَالْمَنَعَةِ ، فُجِعِلَ الْمِعْزُ لِهَذَا الْاِعْتِبَارِ فِي الْأَلْقَابِ قَائِمًا
 مَقَامَ الرُّكْنِ .

وأما كَوْنُ عِزِّ الإسلام والمسلمين أعلى من مَجْدِ الإسلام والمسلمين ، فلأن العِزَّ
 أجدى في النَّفْعِ مِنَ الْمَجْدِ ، فقد تقدم أن ابن السكيت قال : إن المجد لا يكون
 إلا بشرف الآباء ، ولا نزاع في أن العِزَّ في تعارف الملوك أكثر جدوى وأوفر نفعاً
 في تحصيل المقاصد . وقد ذكر أبو جعفر النحاس في "صناعة الكتاب" أن الكتاب
 في الزمن القديم كانوا يجعلون الدعاء بالعِزِّ عِقبَ الدعاء بطول البقاء ، فإنه يكون بالعِزِّ
 مَصُونًا عَالِيًا آمِنًا غَنِيًّا .

وأما كَوْنُ مَجْدِ الإسلام والمسلمين أعلى من مَجْدِ الإسلام ، فلأن الشيء كلما تعدى
 فعله إلى غيره كان أرفع رتبةً ، ومجد الإسلام والمسلمين يتعدى إلى شيئين : وهما
 الإسلام والمسلمين ، ومجد الإسلام لا يتعدى إلا إلى شيء واحد : وهو الإسلام .
 فلذلك إذا اعتبرت الألقاب المضافة إلى أمير المؤمنين ، رأيت أعلاها في أرباب
 السيف قسيم أمير المؤمنين ، ودونه خليل أمير المؤمنين ، ودونه عضد أمير المؤمنين
 ودونه سبف أمير المؤمنين ، ودونه حسام أمير المؤمنين .

أما كَوْنُ قَسِيمِ أمير المؤمنين أعلى من خَلِيلِ أمير المؤمنين ، فلأن القسيم بمعنى
 المُقَاسِمِ ، والمراد أنه قاسم أمير المؤمنين الملك وسأهمه في الأمر فصاراً فيه مشتركين ،
 و خليل أمير المؤمنين ماخوذ من الخلة بضم الخاء وهي الصداقة ، وفرق بين من يقاسم

(١) كذا في الأصول والظاهر وكذلك إذا اعتبرت الخ عطفاً على أنك إذا اعتبرت الخ المتقدم

في الصفحة قبل .

الخليفة فيصير عديله في الأمر، وبين من يكون خليه وصاحبه . على انه قد تقدم
أن الملوك قد أربت بأنفسها عن هذا اللقب لاستبدادهم بالملك وأستيلائهم عليه .

وأما كون خليل أمير المؤمنين أعلى من عضد أمير المؤمنين ، فلأن العضد ليس
المراد منه العضو الحقيقي الذي هو بين الكتف والمرفق ، وإنما أستير للناصر وكأنه
ينصره بنفسه كما ينصره عضده ، ومثل هذا الوصف لا يكون إلا للرتب ، بخلاف
الخليل والصديق فإنه لا تكاد رتبته عند الشخص تحط عن رتبة نفسه .

وأما كون عضد أمير المؤمنين أعلى من سيف أمير المؤمنين ، فلأن العضد وإن
قصد به الناصر فإنه منقول عن العضو للناصر كما تقدم وعضو الإنسان عنده
في العزة وقوة النصر فوق سيفه في ذلك .

وأما كون سيف أمير المؤمنين أعلى من حسام أمير المؤمنين - وإن كان الحسام
متضمنا لوصف القطع الذي هو المقصود الأعظم من السيف من حيث إنه مأخوذ
من الحسم : وهو القطع - فلأن السيف مأخوذ من ساف إذا هلك كما صرح به
الشيخ "جمال الدين بن هشام" في شرح قصيدة كعب بن زهير ، ولا شك أن معنى
الإهلاك أبلغ من معنى القطع : لأن القطع قد يقع في بعض البدن مما لا يتضمن
الإهلاك ، وهذا مما يجب التنبه له فإنه ربما توهم أن الحسام أبلغ من السيف
لتضمن وصف القطع كما تقدم .

وبالجملة فلا سبيل إلى استيعاب جميع ما يرد من هذا الباب بالتوجيه : لأن ذلك
يؤدي إلى الإسهاب والملل . والقول الجامع في ذلك أنه ينظر إلى الألفاظ الواقعة
في الألقاب وما تقتضيه من أصناف المدح ، وما تنتهي إليه رتبها فيه من أعلى

(١) لعله ربأت بانفسها أي ترفعت أو زمت بانفسها أي شمنت .

الدرجات أو أوسطها أو أدناها فيرتبها على هذا الترتيب ، ويوجهها بما يظهر له من التوجيه على نحو ما تقدم . كما إذا اعتبرت رتبة الجلال والجمال فإنك تجد الجلال أعلى رتبة : لأن معنى الجلال العظمة ، ومعنى الجمال الحسن ، ولا نزاع في أن العظمة أبلغ وأعلى موقعا من الحسن . وكما إذا اعتبرت الضياء والبهاء ، فإن الضياء يكون أبلغ لأن الضياء معناه النور الذاتي وهو متعدى النفع عام الفضيحة ، والبهاء معناه الحسن وهو قاصر على صاحبه . وفيما ذكر إرشاد إلى ما لم يذكر .

القسم الثاني

(مما تفاوت فيه مراتب الألقاب ما يقع التفاوت فيه بالتقديم

والتأخير ، وهو نوعان)

النوع الأول

(الألقاب المفردة ، وهي على ستة أنماط)

النمط الأول

(الألقاب التي تلي الألقاب الأصول)

وهي التي تلي المقام والمقر والجناب والمجلس : كالأشرف والشريف والكريم والعالى والسامى : فلاشرف يلى المقام والمقر ، فيقال : المقام الأشرف ، والمقر الأشرف ، والشريف يلى المقام والمقر والجناب ، فيقال : المقام الشريف ، والمقر الشريف ، والجناب الشريف . والكريم يلى المقر والجناب ، فيقال : المقر الكريم ، والجناب الكريم . والعالى يلى المقام والمقر والجناب والمجلس ، فيقال : المقام العالى ، والمقر

العالی ، والجناب العالی ، والمجلس العالی . والسامی بلی المجلس خاصة ، فيقال :
المجلس السامی . والعالی بلی الأشرف والشريف والكریم ، فيقال : الأشرف العالی ،
والشريف العالی ، والكریم العالی .

النمط الثاني

(مايلي العالی أو السامی من الألقاب)

وهو اللقب الذي يميز نوع المكتوب له . كالأميرى لارباب السيوف ،
والصاحبي للوزراء من أرباب الأقلام ، والقضائي والقاضي لسائر أرباب الأقلام ،
والشيعي للصوفية وأهل الصلاح ، والصديري للتجار ومن في معناهم . مثل أن
يقال : المقر الكريم العالی [الأميري]^(١) والجناب العالی الصاحب ، أو الجناب العالی
القاضي ، أو المجلس العالی ، أو المجلس السامی الشيعي ، أو المجلس السامی
الصديري . وما أشبه ذلك . والمعنى في وضع هذه الألقاب في هذا الموضع أن يدل
أول لقب يذكر بعد اللقب الأصل وتابعه على الوظيفة كما تدل براعة الاستهلال
على صورة الحال في المكاتب أو الولاية أو غيرها ، وربما كان المحل مما يقتضي
التلقيب بالمولوي فيقدم لقب المولوي على لقب الوظيفة . مثل أن يقال : المقر
الشريف العالی المولوي الأميري ، فإن كان اللقب الأصل مضافاً لمجلس الأمير
أو مجلس القاضي أو مجلس الشيخ أو مجلس الصدر . قام المضاف إليه مقام لقب
الوظيفة ، فيقوم الأمير من مجلس الأمير مقام الأميري ، والقاضي من مجلس القاضي

(١) الريادة منية وقد أخذناها من الضر. للولف .

مقام القضاة ، والشيخ من مجلس الشيخ مقام الشيخ ، والصدر من مجلس
الصدر مقام الصدرى . ثم لا يُنعت بعد ذلك في هذه الحالة إلا بالأجل ، ويؤتى
بعده بما يناسبه من الألقاب .

النمط الثالث

(ما يلي لقب الوظيفة)

وهو الكبير أو الكيرى ، فيؤتى به تلو اللقب الدال على الوظيفة مثل أن يقال :
المقر العالى الأميرى الكيرى ، أو الجنب العالى القضاة الكيرى ، أو المجلس
السامى الكيرى إذا كان بالياء ، أو الكبير إذا كان بغير الياء .

النمط الرابع

(ما يقع قبل لقب التعريف الذى هو الفلانى أو فلان الدين)

وهو اللقب الدال على الوظيفة دلالة خاصة ، كالكافلى والكفيلى للنواب ،
والوزيرى للوزراء ، والحاكى للقضاة . فإن كان المكتوب له نائب سلطنة كتب
له قبل الفلانى الكافلى أو الكفيلى بحسب ما يقتضيه الحال ، وإن كان حاكما كتب
الحاكى . قال فى "التثيف" : وإن كان وزيراً كتب فى آخر ألقابه الوزيرى .
والذى ذكره فى "عُرف التعريف" أن الوزيرى يلى لقب الوظيفة ، فإذا كان
الوزير من أرباب السيوف كتب الأميرى الوزيرى ، وإن كان من أرباب
الأقلام كتب الصاحبى الوزيرى . وما ذكره فى "التثيف" متجه فيما إذا كان
الوزير صاحب قلم ، فإن التعريف فى الوظيفة يُعرف أولاً ن قوله الصاحبى .

وما ذكره في "التعريف" ظاهرٌ فيما إذا كان الوزيرُ من أرباب السيوف، فإنه يتعين تقديم الوزيرِ فيذكر بعد الأميرِ ليدل من الأبتداءِ على الوظيفة، إذ مطلق الإمرة لا يدلُّ على وزارة ولا عدها، فلو أُتُّر إلى آخر الألقاب لما عُرف أنها ألقابُ وزيرٍ إلى حين ذكر هذا اللقب، وإنما رُتِّب هذا الترتيب ليدلُّ باللقب الذي هو أول الألقاب بعد العالی أو السامی على حال صاحب تلك الألقاب هل هو من أرباب السيوف أو الأقلام أو غير ذلك، وباللقب الذي هو آخر الألقاب المفردة على وظيفته الخاصة به .

النمط الخامس

(ما يقع فصلًا بين الألقاب المفردة والمركبة)

وهو لقب التعريف كالفُلَانِيَّ وَفُلَانُ الدین ، فقد جعلوه فاصلاً بينهما .

النمط السادس

(ما ليس له موضعٌ مخصوصٌ من الألقاب المفردة)

وهو ما بين اللقب الذي يقع به التمييز بين الأميرِ ونحوه، وبين اللقب الذي قبل لقب التعريف كالعالمیّ والعالیّ ونحوهما، فالقلم في ذلك مطلق العنان بالتقديم والتأخير على ما يقتضيه الحال بحسب ما يراه الكاتب .

النوع الثاني

(مما تتفاوت فيه مراتب الألقاب بالتقديم والتأخير الألقاب المركبة المعبر عنها بالنعوت، وهي على ثلاثة أنماط)

النمط الأول

(ما يلي لقب التعريف الذي هو الفلاني أو فلان الدين)

وهو ما يضاف إلى الإسلام مثل ركن الإسلام والمسلمين وعز الإسلام والمسلمين وما أشبه ذلك ، فقد أصطلحوا على أن يكون ذلك أول الألقاب المركبة ، وتوجيهه ظاهر لأن المضاف يشرف بشرف المضاف إليه ، ولا أشرف عند أهل الإسلام من الإسلام فوجب تقديم ما يضاف إليه على غيره .

النمط الثاني

(ما يقع في آخر الألقاب المركبة)

ويختلف الحال فيه باختلاف حال المكتوب له ، فإن كان ممن يكتب له المجلس السامي بغير ياء فما دونه جعل آخر الألقاب فيه ما يضاف إلى الملوك والسلاطين ، مثل أن يقال : صفوة الملوك والسلاطين ، أو اختيار الملوك والسلاطين وما أشبه ذلك . وإن كان ممن يكتب له السامي بالياء فما فوقه جعل آخر الألقاب فيه ما يضاف إلى أمير المؤمنين : مثل عضد أمير المؤمنين ، وولي أمير المؤمنين ، وخالصة أمير المؤمنين ، وما أشبه ذلك على ما تقتضيه رتبة المكتوب له . والمعنى فيه أن حسن الاختتام بالإضافة إلى الملوك والسلاطين الذين هم ثاني رتبة الخلافة .

النمط الثالث

(ما بين أول الألقاب المركبة وبين آخرها)

فقد أصطلحوا على أن يكون المقدم منها مما يقتضى تقديم المكتوب له على أبناء جنسه . مثل : سيّد الأمراء في العالمين ، وسيّد العلماء والحكّام في العالمين ، وما أشبه ذلك ؛ ثم في حقّ كل أحد من أرباب الأقلام والسيوف بحسب ما يقتضيه حاله على نحو ما تقدم في الكلام على ما تفاوت رتبته بالعلو والهبوط .

الجملة الثامنة

(في بيان محل اللقب المضاف إلى الملك ولقب التعريف الخاص به
الواقع تلو اللقب الملوّك ، مثل الملكيّ الناصريّ الزينيّ
وما أشبه ذلك ؛ وله ثلاثة أحوال)

الحالة الأولى - أن يكون ذلك في ألقاب السلطان نفسه ، كما يقع في التقاليد والمناشير ونحوهما . فوضعه بعد رسم بالأمر الشريف ، أو خرج الأمر الشريف ، مثلاً ، أن يكتب رسم بالأمر الشريف العالي المولوي السلطانيّ الملكيّ الناصريّ الزينيّ ، أو - فلذلك رسم بالأمر الشريف الفلانيّ الفلانيّ ، أو خرج الأمر الشريف العالي المولويّ السلطانيّ الملكيّ الفلانيّ الفلانيّ ، وما أشبه ذلك .

الحالة الثانية - أن يكون اللقب المضاف إلى الملك في ألقاب المكتوب له ، كما لو كتبت في تقليد أو نحوه . ومحلّه بعد ذكر اسم المكتوب له بعد الألقاب ، مثل ان يقال بعد انتهاء الألقاب : فلان الظاهريّ أو الناصريّ ونحو ذلك ، ولا يقال له الملكيّ حينئذ .

الحالة الثالثة - أن يكون في ألقاب المكتوب عنه كما يُكْتَب في أول المكاتبات المَلِكِيُّ الفلاني، وقد أَصْطَلَحُوا على أن يُكْتَب ذلك تحت جَرَّةِ البسْملةِ على ما سيأتي بيانه إن شاء الله تعالى .

الجملة التاسعة

(في ترتيب جملة الألقاب الفروع على الألقاب الأصول
على قدر طبقاتها، وهي قسمان)

القسم الأول

(الألقاب الإسلامية)

واعلم أن ترتيب الألقاب تارة يسكون في السُّلْطَانِيَّاتِ ، وتارة يكون في الإخْوَانِيَّاتِ وما يُكْتَب عن النُّوَابِ . وقد كانوا في الأيام الناصرية « محمد بن قلاوون » يستعملون في الإخْوَانِيَّاتِ وما يُكْتَب عن النُّوَابِ النُّعُوتَ المَرْكَبَةَ كما في السُّلْطَانِيَّاتِ ، لا يَفْرِقُ بينهما إلا ما في الإخْوَانِيَّاتِ وما في معناها من الألقاب التي لا تصلح للسلطانيات، كالمولوي والسيدى والمخدومي ونحوها . أما الآن فقد وقع الأقتصارُ فيها على المفردات دون المركبات، وصارت المركبات مخصصةً بالسلطانيات .

ثم الألقاب الإسلامية الفروع المرتبة على الألقاب الأصول على سبعة
أضرب :

الضرب الأول

(الألقاب المتعلقة بالخلافة وما يلتحق بها، ومبناها على الاختصار؛
وهي ثلاثة أنواع)

النوع الأول

(ألقاب الخلفاء، وهي صنفان)

الصنف الأول - أن تكون لنفس الخليفة . فكان يقال فيها في الزمن القديم
« عبد الله فلان أمير المؤمنين » [فإن كان اسم الخليفة عبد الله كالمأمون كرر الاسم
مرتين : مرة للاسم العام ومرة للقب الخلافة ، فيقال : « عبد الله عبد الله
أمير المؤمنين »] ثم زيد فيها الكنية بعد ذلك ، فقيل « عبد الله فلان أبو فلان
أمير المؤمنين » ثم زيد لفظ الإمام فقيل « عبد الله فلان أبو فلان [الإمام]
الفلاني - بلقب الخلافة مثل المتوكل على الله ونحوه - أمير المؤمنين » ثم زيد ووليّه
بعد عبد الله . فقيل : « عبد الله ووليّه فلان أبو فلان الإمام الفلاني أمير المؤمنين »
وعو ما استقر عليه الحال آنحرا .

الصنف الثاني - أن تكون الألقاب للديوان في مكتبة أو غيرها . والذي
أصطلح عليه أن يقال « الديوان العزيز المولوي السدي النبوي الإمامي
الفلاني » بلقب الخلافة .

(١) الزيادة عن ضوء الصبح للزلف ج ١ ص ٣٦٩ تمام الفائدة .

النوع الثاني

(ألقابُ وُلاةِ العهد بالخلافة)

وهي « الجَانِبُ الشَّرِيفُ ، المَوْلَوِيُّ ، السَّيِّدِيُّ ، النَّبَوِيُّ ، الفُلَانِيُّ » بلقبه المنسوب إلى الخلافة . وربما قيل فيه الجَنَابُ بدل الجَانِبِ ، وبقية الألقاب على ما تقدم .

النوع الثالث

(ألقابُ إمامِ الزيدية باليمن)

وهي « الجَنَابُ الكَرِيمُ ، العَالِي ، السَّيِّدِيُّ ، الإِمَامِيُّ ، الشَّرِيفِيُّ ، النَّسِيبِيُّ ، الحَسِيبِيُّ ، الفُلَانِيُّ » بلقب التعريف « سَلِيلُ الأَطْهَارِ ، جَلَالُ الإِسْلَامِ ، سَيْفُ الإِمَامِ ، بَقِيَّةُ البَيْتِ النَّبَوِيِّ ، نَخْرُ الحَسَبِ العَلَوِيِّ ، مُؤَيِّدُ أُمُورِ الدِّينِ ، خَلِيفَةُ الأُمَّةِ ، رَأْسُ العَلِيَاءِ ، صَالِحُ الأَوْلِيَاءِ ، عِلْمُ الهُدَاةِ ، زَعِيمُ المُؤْمِنِينَ ، ذُنُرُ المُسْلِمِينَ ، مُنْجِدُ المُلُوكِ وَالسُّلَاطِينِ » .

الضرب الثاني

(الألقابُ المُلوِكِيَّةُ ، وهي نوعان)

النوع الأول

(الألقابُ التي أصطلح عليها للسلطان بالديار المصرية على ما الحالُ مستقر

عليه ، وقد ذكر فيها في التعريف مذهبين)

المنعِبُ الأَوَّلُ - أن يقال « السُّلْطَانُ السَّيِّدُ الأَجَلُّ المَلِكُ الفُلَانِيُّ العَالِمُ العَادِلُ المُجَاهِدُ المُرَابِطُ المُنَاغِرُ المُؤَيِّدُ المَظْفَرُ المَنْصُورُ الشَاهِنشَاهُ فُلَانُ الدُّنْيَا

والدين، سلطان الإسلام والمسلمين، محيي العدل في العالمين، وارث الملك، ملك العرب والعجم والترك، ظل الله في أرضه، القائم بسنته وفرضه، إسكندر الزمان، مملك أصحاب المناير والأسرة والتيجان، واهب الأقاليم والامصار، ميسد الطغاة والبغاة والكفار، حامى الحرمين الشريفين والقبلتين، جامع كلمة الإيمان، لواء العدل والإحسان، سيد ملوك الزمان، أبو فلان فلان، ابن السلطان الشهيد الملك الفلاني، والد الملوك والسلاطين، أبي فلان فلان» .

أما في "التثقيف" فإنه ذكر ذلك بزيادةٍ وتغيير، وتقديم وتأخير - فقال : «السلطان الأعظم، المالك الملك الأشرف السيد الأجل العالم العادل المؤيد المجاهد المرابط المठाغر المظفر الشاهنشاه ناصر الدنيا والدين، سلطان الإسلام والمسلمين، محيي العدل في العالمين، منصف المظلومين من الظالمين، وارث الملك، سلطان العرب والعجم والترك، فاتح الأقطار، مانح الممالك والامصار، إسكندر الزمان، مولى الإحسان، جامع كلمة الإيمان، مملك أصحاب المناير والتخوت والتيجان، ملك البحرين، مسلك سبل القبلتين، خادم الحرمين الشريفين، ظل الله في أرضه، القائم بسنته وفرضه، سلطان البسيطة، مؤمن الأرض المحيطة، سيد الملوك والسلاطين، ولي أمير المؤمنين، أبو فلان فلان بن فلان» . وذكر أن الغالب أن تُحذف الشاهنشاه، لأن معناها ملك الأملاك، وقد تقدم النهي عن التسمي بذلك. ثم قال : والواجب أن يكون بدل ولي أمير المؤمنين، قسيم أمير المؤمنين .

المذهب الثاني - أن يُكتب المقام الشريف أو الكريم أو العالی مجرداً عنهما، ويُقتصر على المفردة دون المركبة . مثل أن يُكتب «المقام الشريف العالی،

المولوى، السلطانى، الملىكى، الفلانى، ابو فلان فلان». قال فى "التعريف":
والى هذا ذهب المتأخرون من الكتاب؛ ثم قال: وأنا على الأول أعمل.

النوع الثانى

(اللقاب التى يكتب بها عن السلطان لغيره من الملوك،
وهى على ثلاثة اصناف)

الصف الأول

(ألقابُ ولاة العهد بالسلطنة)

«وهى المقام العالى، العالمى، العادى، الملىكى، الفلانى، الفلانى - بلقب
الملك واللقب المتعارف». قال فى "التثيف": فإن كان أخا للسلطان زيد فيه
الأخوى، أو ولدا زيد فيه الولدى.

الصنف الثانى

(ألقابُ الملوك المستقلين بصغار البلدان)

كما كان صاحب حماة فى الدولة الناصرية «محمد بن قلاوون» وكان يكتب له:
«المقام الشريف العالى السلطانى الملىكى الفلانى، بلقب الملك». وربما كتب
له قبل لقب الملك «الأصلى» لعراقته فى الملك.

الصنف الثالث

(ألقابُ المكتوب إليهم من الملوك عن الأبواب السلطانية، وهي نمطان)

النمط الأول

(ما يُصدَّر بالألقاب المذكرة. وهي على أربع طبقات)

الطبقة الأولى - ما يُصدَّر بالمقام. وأعلىها «المقام الأشرف» كألقاب صاحب الهند، وهي: «المقام الأشرف العالی المولوی السلطانی الأعظمی الشاهنشاهی العالمی العادلی المجاهدی المثناعیری المظفری المؤیدی المنصوری إسکندر الزمان، سلطان الأوان، منبع الكرم والإحسان، المعنى آل ساسان، وبقايا فراسياب و خاقان، ملك البسيطة، سلطان الإسلام، غياث الأنام، أوحده الملوك والسلاطين» .

ودونه «المقام الشريف» كألقاب الشيخ حسني الكبير صاحب بغداد كان . وهي: «المقام الشريف العالی الكبيری السلطانی العالمی العادلی المجاهدی المؤیدی المرابطی المنصوری المملکی الفلانی الفلانی - بلقي الملک والتعارف .

ودونه «المقام العالی» كألقاب القان ببلاد أذربك فيما ذكره في «التثقيف» وهي: «المقام العالی السلطانی الكبيری المملکی الأكرمی الفلانی - بلقب التعريف - فلان الدنيا والدين مؤيد الغزاة والمجاهدين قاتل الكفرة والمشركين، ولي أمير المؤمنين» . وكألقاب صاحب المغرب فيما ذكره في «التعريف» وهي: «المقام العالی السلطانی السيد الأجل العالم العادل المجاهد المرابط المثناعير المؤيد المظفر المنصور على أعداء الله أمير المسلمين، قائد الموحدين، مجهز الغزاة والمجاهدين، مجتهد الجنود، عاقد البثود، مالى صدور البرارى والبحار،

مَرْغِزِعِ اسِرَةِ الْكُفَّارِ ، مُؤَيِّدِ السَّنَةِ ، مُعِزِّ الْمَلِكِ ، شَرَفِ الْمُلُوكِ وَالسَّلَاطِينِ ، بَقِيَّةِ السَّلَفِ الْكَرِيمِ ، وَالنَّسَبِ الصَّامِمِ ، رَبِيبِ الْمَلِكِ الْقَدِيمِ ، أَبُو فُلَانٍ فُلَانٍ .

الطبقة الثانية - ما يُصَدَّرُ بِالْمَقَرِّ ، وَأَعْلَاهَا فِيمَا رَأَيْتَ «الْمَقَرَّ الْكَرِيمِ» كَأَلْقَابِ صَاحِبِ هَرَاةٍ فِيمَا ذَكَرَهُ فِي "التعريف" وهي : «الْمَقَرَّ الْكَرِيمِ ، الْعَالِي الْعَالِيَّ الْعَادِلِيَّ الْمَجَاهِدِيَّ الْمُؤَيِّدِيَّ الْمُرَابِطِيَّ الْمُنَاغِرِيَّ الْأَوْحِدِيَّ الْفُلَانِيَّ ، شَرَفِ الْمُلُوكِ وَالسَّلَاطِينِ . خَلِيلِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ» . وَأَلْقَابِ صَاحِبِ كَرْمِينَانَ (١) [مِنْ بِلَادِ الرُّومِ] فِيمَا ذَكَرَهُ فِي "التثقيف" وهي : «الْمَقَرَّ الْكَرِيمِ الْعَالِي الْمَلِكِيَّ الْأَجَلِّيَّ الْعَالِيَّ [الْعَادِلِيَّ] الْمَجَاهِدِيَّ الْمُؤَيِّدِيَّ الْمُرَابِطِيَّ الْمُنَاغِرِيَّ الْمُنْظَفِرِيَّ الْمَنْصُورِيَّ الْفُلَانِيَّ ، عِزِّ الْإِسْلَامِ وَالْمُسْلِمِينَ ، نَجْرِ الْمُلُوكِ وَالسَّلَاطِينِ ، نَصِيرِ الْغُرَاةِ وَالْمَجَاهِدِينَ ، زَعِيمِ الْجِيُوشِ مَقْدَمِ الْعَسَاكِرِ ظَهِيرِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ» .

ودونه «الْمَقَرَّ الْعَالِي» كَأَلْقَابِ صَاحِبِ مَالِيٍّ مِنْ بِلَادِ التُّكْرُورِ فِيمَا ذَكَرَهُ فِي "التعريف" وهي : «الْمَقَرَّ الْعَالِي السَّلْطَانِيَّ الْجَلِيلِ الْكَبِيرِ الْعَالِمِ الْعَادِلِ الْمَجَاهِدِ الْمُؤَيِّدِ الْأَوْحِدِ ، عِزِّ الْإِسْلَامِ ، شَرَفِ مَلُوكِ الْأَنْامِ ، نَاصِرِ الْغُرَاةِ وَالْمَجَاهِدِينَ ، زَعِيمِ جِيُوشِ الْمُوَحِّدِينَ ، جَمَالِ الْمُلُوكِ وَالسَّلَاطِينِ ، سَيْفِ الْخِلَافَةِ ، ظَهِيرِ الْإِمَامَةِ ، عَضُدِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ» .

الطبقة الثالثة - ما يُصَدَّرُ بِالْجَنَابِ . وَأَعْلَاهَا «الْجَنَابِ الْكَرِيمِ» كَأَلْقَابِ مَلِكِ التُّكْرُورِ فِيمَا ذَكَرَهُ فِي "التثقيف" أنه استقر عليه الحال ، وهي : «الْجَنَابِ الْكَرِيمِ ، الْعَالِي الْمَلِكِ الْجَلِيلِ الْعَالِمِ الْعَادِلِ الْمَجَاهِدِ الْمُؤَيِّدِ الْمُنَاغِرِ الْمُرَابِطِ الْعَابِدِ الْخَائِشِعِ النَّاسِكِ الْأَوْحِدِ فُلَانٍ ، ذُخْرِ الْإِسْلَامِ» . وَأَلْقَابِ مَلِكِي الْبَرْتُو وَالكَانَمِ فِيمَا ذَكَرَهُ

(١) الزيادة عن الضوء .

في "التعريف" وهي: «الجناب الكريم العالی الملك الجلیل الكبیر العالم العادل
الغازی المجاهد الهمام الأوحّد المظفر المنصور عز الإسلام». ثم بقية الألقاب
من نسبة ألقاب ملك التكرور .

الطبقة الرابعة - ألقاب المجلس . وأعلها « المجلس العالی » كألقاب صاحب
حصن كيفا فيما ذكره في "التعريف" وهو : « المجلس العالی المملکی الفلانی الأجلّ
العالیّ العادلّ المجاهدی المؤیدّی المرابیّی المناغریّ الأوحّدی الأصبلیّ
الفلانی - بلقب التعريف - عز الإسلام والمسلمین ، بقية الملوك والسلاطين ،
نصیر الغزاة والمجاهدين ، زعيم جيوش الموحدين ، شرف الدول ، ذخر الممالك ، خليل
أمیر المؤمنین أو عضد أمیر المؤمنین » على مخالفة فيه فيما أورده في "التثقیف" تأتي
في المكاتبه إليه .

ودونه المجلس السامی بالياء - كألقاب صاحب أرزن ، وهي « المجلس السامی المملکی
الفلانی - بلقب الملك - الأصبلیّ الكبیریّ العالیّ المجاهدیّ المؤیدّیّ المرابیّی
الأوحّدیّ الفلانی - بلقب التعريف - عز الإسلام ، شرف الملوك في الأنام ،
بقية السلاطين ، نصرّة الغزاة والمجاهدين ، ولیّ أمیر المؤمنین » .

ودونه المجلس بغير ياء في ألقابه كألقاب صاحب دنقلة إذا كان مسلما ،
فيما ذكره في "التعريف" وهي : « المجلس الكبیر الغازی المجاهد المؤیدّ الأوحّد
العضد ، مجد الإسلام ، زين الأنام ، نحر المجاهدين ، عمدة الملوك والسلاطين »
ولم يذكر فيه السامی ولا لقباً مضافاً إلى الملك ، وهو المملکیّ إلا أنهم أوردوه
في عدة الملوك .

قلت وأكثر هذه الألقاب يؤتى فيها بالألقاب المختصة بالملك : إما في المفردة كالملكي - الفلاني ، وإما في المركبة مثل « بقية الملوك والسلاطين » ونحو ذلك ، تدل على أن المكتوب له ملك فيمتاز عن غيره . وربما أُتِيَ فيها بالألقاب الإمارية دون الملوكية لوقوع اصطلاح أهل تلك المملكة على ذلك . كما يُكتب في ألقاب صاحب تونس « أمير المؤمنين » لأدعائه الخلافة ، وفي ألقاب صاحب فاس « أمير المسلمين » أتباعا ليوسف بن تاشفين صاحبها في القديم ، إذ كان أول من تلقب بذلك حضوراً عن أن يتلقب بأمر المؤمنين ، لأختصاصه بالخلافة كما سيأتي الكلام عليه في المكاتبه إليه إن شاء الله تعالى .

النمط الثاني

(ما يصدر بالألقاب المؤنثة ، وهي الحضرة)

ويختلف الحال فيها باختلاف الممالك . فالألقاب القان بمملكة إيران على ما كان عليه الحال في أيام السلطان أبي سعيد وما قبله « الحضرة ، الشريفة ، العالمة ، السلطانية ، الأعظمية ، الشاهنشاهية ، الأوحديّة ، القانية ، الفلانية » . قال في « التعريف » ولا يخلط فيها الملكية لموانها لديهم وإن كان صاحب « الثقيف » قد أثبت فيها الملكية أيضا على ما سيأتي في الكلام على المكاتبه إليه في موضعه إن شاء الله تعالى . وألقاب صاحب تونس فيما ذكره في « الثقيف » « الحضرة ، العلية ، السنية ، السرية ، المظفرية ، الميسونة ، المنصورة ، المصونة ، حضرة الأمير العالم » إلى آخر الألقاب المذكورة .

الضرب الثالث

(من الألقاب الإسلامية الألقاب العامة لسائر الطوائف مما يكتب به
عن الأبواب [السلطانية] ، وهي ثمانية أنواع)

النوع الأول

(ألقاب أرباب السيوف من أهل المملكة وغيرهم : من الأمراء والعربان
والأكراد والتتركان ، وهي على خمس درجات)

الدرجة الأولى

(درجة المقر ، وفيها ثلاث مراتب)

المرتبة الأولى - مرتبة المقر الشريف . وهو مختص في عرف الزمان
بما يكتب عن نواب السلطنة .

وصورتها على ما أورده في "عرف التعريف" : « المقر الشريف ، العالى -
المولوى ، الأميرى ، الكبيرى ، العالمى ، العادلى ، المهدي ، المشيدى ، الزعيمى -
المقدمى ، الغوثى ، الفيائى ، المرابطى ، المثناعرى ، الظهيرى ، المالكى ، المخدومى ،
الفلانى ، عز الإسلام والمسلمين ، سيد الأمراء فى العالمين ، زعيم الجيوش ، مقدم
العساكر ، عون الأمة ، غياث الملّة ، ممدد الدول ، مشيد الممالك ، ظهير الملوك
والسلاطين ، عضد أمير المؤمنين » .

المرتبة الثانية - مرتبة المقر الكريم . وهي مستعملة فى السلطانيات وما يكتب
عن النواب .

فأما في السُّنَطَانِيَّاتِ فصورتها على ما أورده في "التثقيف" في الألقاب المستقرّة
 للنائب الكافل ونائب الشام : «المقرُّ الكريم ، العالى ، الأميرى ، الكبيرى ،
 العالمى ، العادلى ، المؤيدى ، الرعى ، الفوئى ، الغياثى ، المئاغرى ، المرابطى ،
 المهدي ، المشيدى ، الظهيرى ، العابدى ، الناسكى ، الأتابكى ، الكفيل ،
 الفلانى ، معز الإسلام والمسلمين ، سيدُ أمراء العالمين ، ناصرُ الغزاة والمجاهدين ،
 زعيمُ جيوش الموحدين ، مهددُ الدول ، مشيدُ الممالك ، عمادُ الملة ، عونُ الأمة ،
 ظهير الملوك والسلاطين ، عضدُ أمير المؤمنين » .



وأما فيما يكتب عن الثواب فقد ذكر في "التعريف" أن ألقابها من نسبة
 ما تقدم في ألقاب المقر الشريف .

وصورتها على ما أورده شهاب الدين الفسارقي في دُستوره عن نائب الشام :
 «المقرُّ الكريم ، العالى ، المولوى ، الأميرى ، الكبيرى ، العالمى ، العادلى ، المؤيدى ،
 المهدي ، الفوئى ، المقدمى ، الذخرى ، الغياثى ، الفلانى ، معز الإسلام والمسلمين ،
 سيدُ الأمراء فى العالمين ، زعيمُ جيوش الموحدين ، مقدمُ العساكر المجاهدين ، دُخر الدولة
 بهاء الملة ، مهددُ المملكة ، ظهير الملوك والسلاطين ، عضدُ أمير المؤمنين » .

وصورتها على ما أورده الصّلاح الصفدى في دُستوره عن نائب الشام ايضاً :
 «المقرُّ الكريم ، العالى ، المولوى ، الأميرى ، الكبيرى ، العالمى ، العادلى ،
 المؤيدى ، المجاهدى ، الذخرى ، العضدى ، النصيرى ، المقدمى ، الفوئى ،
 الغياثى ، الفلانى ، رُكنُ الإسلام والمسلمين ، سيدُ الأمراء فى العالمين ، نصره
 الغزاة والمجاهدين ، عيَّات الملة ، كهف الأمة ، دُخر الملوك والسلاطين » .

ثم قال : وإن كان المكتوبُ إليه نائبَ سلطنة زيد في ألقابه « الممهّديّ » ،
المشيديّ ، الزعيميّ ، المدبّرِيّ ، الكافليّ ، الفلانيّ » .

وصورتها على ما أورده غيره : « المَقْتَرُ الكَرِيمُ ، العَالِي ، المَوْلَوِيّ ، الأَمِيرِيّ ،
الكَبِيرِيّ ، العَالِمِيّ ، العَادِلِيّ ، الفَوْثِيّ ، الغِيَاثِيّ ، الذُّخْرِيّ ، الزَّعِيمِيّ ، الفُلَانِيّ ،
عِزُّ الإِسْلَامِ والمُسْلِمِينَ ، سَيِّدُ الأَمْرَاءِ فِي العَالَمِينَ ، جَمَالُ الدَّوْلَةِ ، ذُخْرُ المِلَّةِ ، زَيْنُ
المَمْلَكَةِ ، عَيْنُ السُّلْطَنَةِ ، سَفِيرُ الأُمَّةِ ، ظَهِيرُ المُلُوكِ والسُّلْطَانِينَ ، عَضُدُ أَمِيرِ المُؤْمِنِينَ » .

وصورتها على ما رأيتُه في بعض الدساتير عن نائب حلب : « المَقْتَرُ الكَرِيمُ ، العَالِي ،
المَوْلَوِيّ ، الأَمِيرِيّ ، الكَبِيرِيّ ، العَالِمِيّ ، العَادِلِيّ ، المُوَيْدِيّ ، الذُّخْرِيّ ، المُشِيدِيّ ،
الزَّعِيمِيّ ، الظَّهِيرِيّ ، الفُلَانِيّ ، عِزُّ الإِسْلَامِ والمُسْلِمِينَ ، سَيِّدُ الأَمْرَاءِ فِي العَالَمِينَ ،
نَاصِرُ الغُرَاةِ والمُجَاهِدِينَ ، زَعِيمُ الجِيُوشِ ، مَقْدَمُ العَسَاكِرِ ، عَوْنُ الأُمَّةِ ، ظَهِيرُ المُلُوكِ
والسُّلْطَانِينَ » .

المرتبة الثالثة - مَرْتَبَةُ المَقْتَرِ العَالِي . وقد ذكر في " عرف التعريف " أن
ألقابها من نسبة ما تقدم في المَقْتَرِ الشَّرِيفِ . وذكر الصَّلاح الصَّفْدِيّ في دُستوره
عن نائب الشام في ألقابه ما تقدم له في ألقاب المَقْتَرِ الكَرِيمِ ثم قال : إلا أنه لا يقال
فيه الذُّخْرِيّ .

وصورتها على ما رأيتُه في توقيع نقيب الأشراف بحلب عن النائب بها : « المَقْتَرُ
العَالِي ، الأَمِيرِيّ ، الكَبِيرِيّ ، النَّقِيبِيّ ، الشَّرِيفِيّ ، الحَسِبِيّ ، النَّسِيبِيّ ، العَرِيقِيّ ،
الأَسْبِينِيّ ، الفَاضِلِيّ ، العَالِمِيّ ، الحُجِّيّ ، القُدْوِيّ ، النَّاسِكِيّ ، الزَاهِدِيّ ، العَايِدِيّ ،
الْفُلَانِيّ ، عِزُّ الإِسْلَامِ والمُسْلِمِينَ ، جَلالُ العُلَمَاءِ العَامِلِينَ ، جَمَالُ الفُضَلَاءِ البَارِعِينَ ،
مُحِجَّةُ الأَمْرَاءِ الحَاكِمِينَ ، زَيْنُ العِتْرَةِ الطَاهِرَةِ ، شَرَفُ الأُسْرَةِ الزَاهِرَةِ ، مُحِجَّةُ العِصَابَةِ

الهاشمية، قُدوة الطائفة العلوية، نُجبة الفرقة الناجية الحسينية، شرف أولى المراتب،
نقيب أولى المناقب، ملاذ الطلاب الراغبين، بركة الملوك والسلاطين» .

الدرجة الثانية

(درجة الجَنَاب، وفيها ثلاث مراتب)

المرتبة الأولى - مرتبة الجَنَاب الشريف . وليست مستعملة في السلطانيات،
وهي مستعملة فيما يُكْتَب عن النُّوَاب .

وصورتها على ما أورده في "عرف التعريف" : « الجَنَاب الشريف العالِي »
المَوْلَوِيّ، المجَاهِدِيّ، المؤيّدِيّ، الممهّدِيّ، الذُّخْرِيّ، الأُوْحِدِيّ، العَوْنِيّ،
الظّهيريّ، الفلانيّ، عِزُّ الإسلام والمسلمين، سِيدُ الأُمراء المقدمين، نُصْرَةُ النُّزاة
والمجاهدين، عمادُ الملة، عونُ الأمة، ذُخْرُ المِلَّة، ظهير الملوك والسلاطين، سيفُ
أمير المؤمنين» .

المرتبة الثانية - مرتبة الجَنَاب الكريم . وهي مستعملة في السلطانيات
وما يُكْتَب عن النُّوَاب .

فأما في السلطانيات فصورتها على ما أورده في "التعريف" في ألقاب النائب
الكافل في الزَّمن المتقدم : « الجَنَاب الكريم العالِي، الأَمِيرِيّ، الأَجَلِيّ، الكَبِيرِيّ،
العالِيّ، العادليّ، المؤيّدِيّ، الممهّدِيّ، المشيّدِيّ، الزَّعِيمِيّ، الذُّخْرِيّ، المقدمِيّ،
العَوْنِيّ، الغِيَاثِيّ، المرابطِيّ، المُشَاغِرِيّ، المظفَرِيّ، المنصوريّ، الأتابكيّ، رُكْنُ
الإسلام والمسلمين، سِيدُ الأُمراء في العالمين، أتابك الجُيُوش، مقدّم الحساكر،
زعيم الجُنُود، عاقد البُنُود، ذُخْرُ الموحّدين، ناصرُ الغزاة والمجاهدين، غِيَاثُ الأُمَّة،

عون الملة ، مشيد الدول ، كافل الممالك ، ظهير الملوك والسلاطين ، عضد أمير المؤمنين .

وصورتها على ما أورده في "التثقيب" في ألقاب النائب الكافل أيضا على ما كان الحال عليه أولا : «الحناب الكريم العالى ، الأميرى ، الكبيرى ، العالمى ، العادلى ، المؤيدى ، الزعيمى ، العونى ، الغياثى ، المثناعرى ، المصرايطى ، الممهدى ، المشيدى ، الظهيرى ، الكافلى ، الفلانى ، مؤيد الإسلام والمسلمين ، سيد أمراء العالمين ، ناصر الغزاة والمجاهدين ، زعيم جيوش الموحدين ، مقدم العساكر ، مهّد الدول ، مشيد الممالك ، عماد الملة ، عون الأمة ، كافل السلطنة ، ظهير الملوك والسلاطين ، عضد أمير المؤمنين .»

وصورتها على ما أورده في "التعريف" في ألقاب نائب الشام على ما كان الحال عليه أولا : «الحناب الكريم العالى ، الأميرى ، الأجلّى ، الكبيرى ، العالمى ، العادلى ، المؤيدى ، الممهدى ، المشيدى ، العونى ، الغياثى ، الذخرى ، الزعيمى ، المقدمى ، الظهيرى ، الكافلى ، الفلانى ، عز الإسلام والمسلمين ، سيد الأمراء فى العالمين ، نصرّة الغزاة والمجاهدين ، زعيم الجيوش ، مقدم العساكر ، عون الأمة ، غياث الملة ، مهّد الدول ، مشيد الممالك ، ظهير الملوك والسلاطين ، عضد أمير المؤمنين .»

وصورتها على ما أورده في "التثقيب" فى المكاتبه لنائب الشام على ما كان عليه الحال أيضا : «الحناب الكريم العالى ، الأميرى ، الكبيرى ، العالمى ، العادلى ، المؤيدى ، الزعيمى ، العونى ، الغياثى ، المثناعرى ، المرباطى ، الممهدى ، المشيدى ، الظهيرى ، الكافلى ، الفلانى ، عز الإسلام والمسلمين ، سيد الأمراء فى العالمين ، نصرّة الغزاة والمجاهدين ، زعيم جيوش الموحدين ، مقدم العساكر ،

ممهد الدول ، مشيد الممالك ، عماد الملة ، عون الأمة ، ظهير الملوك والسلاطين ، سيف أمير المؤمنين .

وصورتها على ما أورده في "التثقيف" في المكتبة إلى أحد الأمراء الأتوس بمملكة إيران في دولة السلطان أبي سعيد : «الجناب الكريم العالی ، الأمیری ، الكبیری ، العالی ، العادلی ، المؤیدی ، الزعیمی ، العونی ، الفیائی ، المشاغیری ، المرابطی ، الممهدي ، المشیدی ، النوینی ، الفلانی ، عون الإسلام والمسلمين ، سيد الأمراء في العالمين ، ناصر الغزاة والمجاهدين ، زعيم جيوش الموحدين ، ممهد الدول ، عماد الملة ، عون الأمة ، كافي الدولة القانية ، كافل المملكة الشرقية ، أمير التوامين ، أمير الأتوس ، ظهير الملوك والسلاطين ، عضد أمير المؤمنين .»

وصورتها على ما أورده في "التثقيف" في ألقاب ابن المظفر اليزدي : «الجناب الكريم العالی ، الأمیری ، الكبیری ، العالی ، العادلی ، المؤیدی ، العونی ، الزعیمی ، الممهدي ، المشیدی ، الظهیری ، الفیائی ، المشاغیری ، المرابطی ، النوینی ، الفلانی ، عز الإسلام والمسلمين ، سيد الأمراء في العالمين ، ناصر الغزاة والمجاهدين ، زعيم جيوش الموحدين ، مقدم العساكر ، ممهد الدول ، مشيد الممالك ، عماد الملة ، عون الأمة ، حاكم أمور ولاية الزمان ، موضح قوانين العدل والإحسان ، اعتضاد صناديد الأوان ، مستنيب ملوك العجم ، مستخدم أرباب الطبل والسلام ، ظهير الملوك والسلاطين ، سيف أمير المؤمنين .»



وأما فيما يكتب عن النواب وما كان يكتب به في الإخوانيات في الزمن المتقدم ، فقد ذكر في "عرف التعريف" أن ألقابه من نسبة ما تقدم في ألقاب الجناب الشريف .

وصورتها على ما أورده القاضي شهاب الدين الفارقي في دُستوره عن نائب الشام :
 « الجَنَابُ الكَرِيمُ العَالِي ، المَوْلِيُّ ، الأَمِيرِيُّ ، الكَبِيرِيُّ ، العَالِمِيُّ ، العَادِلِيُّ ،
 العَضُدِيُّ ، النَّصِيرِيُّ ، المُوَيَّدِيُّ ، المَقْدَمِيُّ ، الذُّخْرِيُّ ، الفَلَانِيُّ ، مَجْدُ الإِسْلَامِ والمُسْلِمِينَ ،
 شَرَفُ الأَمْرَاءِ فِي العَالَمِينَ ، نُصْرَةُ الغَزَاةِ والمُجَاهِدِينَ ، ظَهْرُ المُلُوكِ والسُّلْطَانِينَ » .

وصورتها على ما أورده الصَّلاح الصَّفْدِيُّ في دُستوره عن نائب الشام : « الجَنَابُ
 الكَرِيمُ العَالِي ، المَوْلِيُّ ، الأَمِيرِيُّ ، العَالِمِيُّ ، العَادِلِيُّ ، العَوْنِيُّ ، الغِيَاثِيُّ ،
 الظَّهْرِيُّ ، المَقْدَمِيُّ ، الفَلَانِيُّ ، عِزُّ الإِسْلَامِ والمُسْلِمِينَ ، شَرَفُ الأَمْرَاءِ فِي العَالَمِينَ ،
 نَاصِرُ الغَزَاةِ والمُجَاهِدِينَ ، ظَهْرُ المُلُوكِ والسُّلْطَانِينَ » .

المرتبة الثالثة — مرتبة الجَنَابِ العَالِي ، وهي مستعملة في السلطانيات وما يكتب
 عن النَوَابِ وما كان في الإخوانِيَّاتِ قديمًا .

فأما في السلطانيات فلها رتبتان :

الرتبة الأولى — مع الدعاء بمضاعفة النعمة .

وصورتها على ما أورده في " التعريف " في ألقاب نائب حلب على ما كان الحال
 عليه أولاً : « الجَنَابُ العَالِي ، الأَمِيرِيُّ ، الأَجَلِيُّ ، الكَبِيرِيُّ ، العَالِمِيُّ ، العَادِلِيُّ ،
 المَهْدِيُّ ، المَشِيدِيُّ ، العَوْنِيُّ ، الذُّخْرِيُّ ، الزَّعِيمِيُّ ، المَقْدَمِيُّ ، الظَّهْرِيُّ ، السُّرَابِيُّ ،
 المُنَاغِرِيُّ ، الفَلَانِيُّ ، عِزُّ الإِسْلَامِ والمُسْلِمِينَ ، سَيِّدُ الأَمْرَاءِ فِي العَالَمِينَ ، نَصِيرُ الغَزَاةِ
 والمُجَاهِدِينَ ، زَعِيمُ جِيُوشِ المُوَحَّدِينَ ، عِمَادُ الأُمَّةِ ، دُخْرُ الدَّوْلَةِ ، ظَهْرُ المُلُوكِ
 والسُّلْطَانِينَ ، سَيْفُ أَمِيرِ المُؤْمِنِينَ » .

وصورتها على ما أورده في " التثقيف " في ألقاب نائب طرابلس ومن في رُتبته :
 « الجَنَابُ العَالِي ، الأَمِيرِيُّ ، الكَبِيرِيُّ ، العَالِمِيُّ ، العَادِلِيُّ ، المُوَيَّدِيُّ ، العَوْنِيُّ ،

الزَّعِيمِيّ، الممهَّديّ، المشيّدِيّ، الظَّهيريّ، الكافليّ، الفلانيّ؛ عِزُّ الإسلام
والمسلمين، سيّدُ أمراء العالمين، نُصرةُ الغُزاة والمجاهدين، زعيمُ جيوش الموحّدين
مقدّمُ العساكر، مَهْدُ الدَّوْلِ، مشيّدُ الممالك، عمادُ المِلَّةِ، عونُ الأُمَّة، ظهيرُ الملوك
والسلاطين، سيفُ أمير المؤمنين» .

وصورتها على ما أورده في "التثقيف" في ألقاب قطلوبغا إيناق أحد أمراء الأُلوس
بلاد أذربك : «الجناب العالی، الأميريّ، الكبيرِيّ، العالیّ، العادليّ، المؤيديّ،
العونِيّ، الزعيمِيّ، الممهَّديّ، المشيّدِيّ، الظهيريّ، النويِّيّ، الفلانيّ؛ عِزُّ الإسلام
والمسلمين، سيّدُ الأمراء في العالمين، نُصرةُ الغُزاة والمجاهدين، زعيمُ الجيوش، مقدّمُ
العساكر، كهفُ المِلَّةِ، دُخْرُ الدَّوْلَةِ، ظهيرُ الملوك والسلاطين، سيفُ أمير المؤمنين» .

الرتبة الثانية - مع الدعاء بدوام النعمة .

وصورتها على ما أورده في "التثقيف" في ألقاب مقدّم العسكر بغزة ومن في رتبته :
«الجناب العالی، الأميريّ، الكبيرِيّ، العالیّ، العادليّ، المؤيديّ، الأوحديّ،
النصيريّ، العونِيّ، الهمامِيّ، المقدمِيّ، الظهيريّ، الفلانيّ؛ عِزُّ الإسلام والمسلمين،
سيّدُ الأمراء في العالمين، نُصرةُ الغُزاة والمجاهدين، مقدّمُ العساكر، كهفُ المِلَّةِ،
دُخْرُ الدَّوْلَةِ، عمادُ المملكة، ظهيرُ الملوك والسلاطين، حُسامُ أمير المؤمنين» .

وصورتها على ما أورده في "التثقيف" في ألقاب مهاي : أحد الحكام ببلاد أذربك كان :
«الجناب العالی، الأميريّ، الكبيرِيّ، العالیّ، المُجاهديّ، المؤيديّ، الذُخريّ،
النصيريّ، الهمامِيّ، المقدمِيّ، النويِّيّ، الفلانيّ؛ عِزُّ الإسلام والمسلمين،
سيّدُ الأمراء في العالمين، نُصرةُ الغُزاة والمجاهدين، مقدّمُ العساكر، دُخْرُ الدَّوْلَةِ،
عَضُدُ الملوك والسلاطين، حُسامُ أمير المؤمنين» .



وأما ما يكتب عن النواب وما كان يكتب في الإخوانيات قديما، فقد ذكر في "عرف التعريف" أن ألقابه من نسبة ماتقدم في ألقاب الجناب الشريف .

وصورتها على ما أورده الصّلاح الصّفديّ في دُستوره عن نائب الشام في الرتبة الأولى منها: «الجنابُ العالى، الأميرى، الأجلّى، الكبيرى، المؤيدى، المجاهدى، العونى، المقدّمى، الاسفَهسَلارى، الظّهيرى، الفلانى، مجد الإسلام والمسلمين، شرفُ الأمراء المقدّمين، نُصرةُ الغزاة والمجاهدين، عَضُدُ الملوك والسلاطين» .

وصورتها على ما أورده في "التذكرة الآمدية" عن نائب الشام أيضا في الرتبة الثانية من هذه المرتبة: «الجنابُ العالى، الأميرى، الكبيرى، العَضدى، الذُخرى، النَّصيرى، المؤيدى، المقدّمى، الظّهيرى، الفلانى، مجد الإسلام والمسلمين، شرفُ الأمراء في العالمين، نُصرةُ الغزاة والمجاهدين، ظهيرُ الملوك والسلاطين» .

الدرجة الثالثة

(درجة المجلس وفيها ثلاث مراتب)

المرتبة الأولى

(مرتبة المجلس العالى)

وهي مستعملة في السلطانيات وما يكتب عن النواب وما كان يكتب في الإخوانيات قديما .

فأما في السلطانيات فلها رتبتان :

الرتبة الأولى - مع الدعاء للمجلس .

وصورتها على ما أورده في "التثقيف" في ألقاب نائب الكرك : «المجلسُ العالى ،
الأميرى ، الكبرى ، العالمى ، المجاهدى ، المؤيدى ، المقدمى ، الأوحدي ،
النصيرى ، الهمامى ، الظهيرى ، الفلانى ، عز الإسلام والمسلمين ،
شرفُ الأمرء فى العالمين ، نصرَةُ الغزاة والمجاهدين ، مقدمُ العساكر ، كهفُ الملة ،
ذخرُ الدولة ، ظهيرُ الملوك والسلاطين ، حُسامُ أمير المؤمنين » .

وصورتها على ما أورده في "التثقيف" أيضا فى ألقاب وزير القان ببلاد أذربك :
«المجلسُ العالى الأميرى ، الكبيرى ، الذخرى ، الأوحدي ، الاكلى ، المتصرفى ،
العونى ، الوزيرى ، الفلانى ، مجد الإسلام والمسلمين ، شرفُ الأمرء والوزراء
فى العالمين ، بحالُ المتصرفين ، أوحُدُ الأولياء المقربين ، ذخرُ الدولة ، مشيرُ الملوك
والسلاطين » .

وصورتها على ما أورده فى "التثقيف" أيضا فى ألقاب حافظ أنحى على باشاه :
«المجلسُ العالى ، الأميرى ، الكبرى ، العالمى ، المجاهدى ، المؤيدى ، الأوحدي ،
النصيرى ، العونى ، الهمامى ، المقدمى ، الظهيرى ، النوينى ، الفلانى ، عز الإسلام
والمسلمين ، شرفُ الأمرء فى العالمين ، نصرَةُ الغزاة والمجاهدين ، زعيمُ الجيوش ،
مقدمُ العساكر ، كهفُ الملة ، عمادُ الأمة ، ظهيرُ الملوك والسلاطين ، حُسامُ
أمير المؤمنين » .

وصورتها على ما أورده فى "التثقيف" فى ألقاب أمير مكة المشرفة : «المجلس
العالى ، الأميرى ، الكبيرى ، الشريفى ، الحسينى ، النسبى ، العالمى ، المجاهدى ،

المُقَدِّمِ ، الأَوْحَدِيِّ ، النَّصِيرِيِّ ، العَوْنِيِّ ، الهَمَامِيِّ ، الظَّهِيرِيِّ ، الأَصِيلِيِّ ،
العَرِيقِيِّ ، الشَّهَابِيِّ ؛ عِزِّ الإِسْلَامِ وَالْمُسْلِمِينَ ، شَرَفِ الأَمْرَاءِ الأَشْرَافِ فِي العَالَمِينَ ،
نُصْرَةِ الغَزَاةِ وَالْمَجَاهِدِينَ ، كَهْفِ المِلَّةِ ، عَوْنِ الأُمَّةِ ، نَخْرِ السُّلَالَةِ الزَاهِرَةِ ، زَيْنِ العِتْرَةِ
الطَاهِرَةِ ، بَهَاءِ العِصَابَةِ العَالَوِيَّةِ ، جَمَالِ الطَّائِفَةِ الهَاشِمِيَّةِ ، ظَهْرِ المُلُوكِ وَالسُّلَاطِينِ ،
نَسِيبُ أمير المؤمنين .

وصورتها على ما أورده في "التثقيف" في ألقاب أمير آل فضل من عرب
الشام : « المجلس العالى ، الأميرى ، الكبرى ، العالمى ، المجاهدى ، المؤيدى ،
الأوحدى ، النصيرى ، العونى ، الهمامى ، المقدمى ، الظهيرى ، الأصيلى ، الفلانى ؛
عز الإسلام والمسلمين ، شرف الأمراء العربان فى العالمين ، نصرة الغزاة والمجاهدين ،
مقدم العساكر ، كهف الملة ، ذخر الدولة ، عماد العرب ، ظهير الملوك والسلاطين ،
حسام أمير المؤمنين . »

الرتبة الثانية — المجلس العالى مع صدرت .

وصورتها على ما أورده في "التثقيف" في ألقاب نائب الرجة ومن في رتبته :
« المجلس العالى ، الأميرى ، الكبرى ، العضدى ، الذخرى ، النصيرى ، الأوحدى ،
المؤيدى ، العونى ، الهمامى ، المقدمى ، الظهيرى ، الفلانى ؛ مجد الإسلام والمسلمين ،
شرف الأمراء المقدمين ، نصرة الغزاة والمجاهدين ، مقدم العساكر ، ذخر الدولة ،
كهف الملة ، ظهير الملوك والسلاطين . »



وأما فيما يكتب عن الثواب وما كان يكتب فى الإخوانيات أولاً ، فصورتها على
ما أورده فى "عُرف التعريف" : « المجلس العالى ، الأميرى ، الاسفهلارى ،

الأجلّيّ ، الكبيريّ ، المجاهديّ ، المؤيديّ ، النصيريّ ، الظهيريّ ، الفلانيّ ،
مجد الإسلام والمسلمين ، زينُ الأُمراءِ المقدمين ، نُصرة الغزاة والمجاهدين ،
عَضُدُ الملوك والسلاطين .

وصورتها على ما أورده الصّلاحُ الصّفديّ في دُسُتوره عن نائب الشام "المجلس
العالى ، الأميريّ ، الأجلّيّ ، الكبيريّ ، المؤيديّ ، المجاهديّ ، الاسفَهسَلاريّ ،
العَوْنِيّ ، الظّهيريّ ، الفلانيّ ، مجد الإسلام والمسلمين ، شرفُ الأُمراءِ المقدمين
نُصرة الغزاة والمجاهدين ، عَضُدُ الملوك والسلاطين .

وصورتها على ما أورده في "التذكرة الآمديّة" عن نائب الشام : «المجلس العالى ،
الأميريّ ، الكبيريّ ، العَضُدِيّ ، النصيريّ ، المؤيديّ ، المجاهديّ ، الذُّخْرِيّ ،
مجد الإسلام والمسلمين ، شرفُ الأُمراءِ المقدمين ، ذُخْرُ الغزاة والمجاهدين ،
عَضُدُ الملوك والسلاطين .

المرتبة الثانية

(مرتبة المجلس السامى بالياء)

وهو مستعمل في السلطانيات وغيرها .

فأما في السلطانيات ، فصورتها على ما ذكره المقرّ الشهابيّ بن فضل الله في بعض
دساتيره في توقيع نقيب الأشراف : «المجلس السامى ، الأميريّ ، الكبيريّ ،
العالىّ ، المجاهديّ ، المؤيديّ ، الشريفيّ ، الحسيبيّ ، النسبيّ ، الذُّخْرِيّ ،
النصيريّ ، الأوحديّ ، الأصيليّ ، عز الإسلام ، زين الأنام ، نسيب الإمام ،
شرفُ الأُمراءِ ، نقيبُ الثّقباءِ ، جمالُ العِترة الطاهرة ، جلالُ الأسرة الزاهرة ، ذُخْرُ
الغزاة والمجاهدين ، ظهيرُ الملوك والسلاطين ، وليّ أمير المؤمنين .

وصورتها على ما أورده في "التثقيف" في ألقاب الكُشَّاف بالوجهين القبلي والبحري بالديار المصرية : «المجلس السامي ، الأميري ، الكبيرى ، الذُخْرَى ، النَّصِيرَى ، الأُوْحِدَى ، المؤيِّدَى ، الفلانى ، مجد الإسلام ، بهاء الأنام ، شرفُ الأُمراء ، أوحدُ المجاهدين ، عضدُ الملوك والسلاطين» .

وصورتها على ما رأيتُه في بعض المراسم لأمير آل مران من عرب الشام : «المجلس السامي ، الأميري ، الكبيرى ، المجاهدى ، المؤيِّدَى ، العَضُدَى ، الذُخْرَى ، النَّصِيرَى ، الأُوْحِدَى ، الأَصِيلَى ، العَرِيقَى ، مجد الإسلام ، بهاء الأنام ، شرفُ الأُمراء ، زينُ القبائل ، نحر العِشائر ، ملاذُ العرب ، عضدُ الملوك والسلاطين» .

وصورتها على ما أورده في "التثقيف" في ألقاب وزير الشيخ أويس ببغداد : «المجلس السامى ، الأَجَلَى ، الكبيرى ، الأُوْحِدَى ، المقْدَمَى ، المتخَيِّ ، الفلانى ، مجد الإسلام ، بهاء الأنام ، شرفُ الرؤساء ، أوحدُ الأعيان ، صَفْوَةُ الملوك والسلاطين» .

وصورتها في ألقاب أمراء العرب : «المجلس السامى ، الأميري ، الكبيرى ، الذُخْرَى ، المؤيِّدَى ، الفلانى ، مجد الإسلام ، بهاء الأنام ، زينُ القبائل ، نحر العِشائر ، عمادُ الملوك والسلاطين» .



وأما فيما يُكْتَب عن التُّوَاب ونحوهم ، فصورتها على ما أورده في "عُرف التعريف" : «المجلس السامى ، الأميري ، الأَجَلَى ، الكبيرى ، المؤيِّدَى ، العَضُدَى ، النَّصِيرَى ،

الأوحدى، الهمامى، الفلانى، مجد الإسلام، زين الامراء فى الانام، دُخر الغزاة
والمجاهدين، عَضُدُ الملوك والسلاطين» .

وصورتها على ما أورده شهابُ الدين الفارقى فى دُسْتُوره عن نائب الشام :
«المجلس السامى، الأميرى، الأجلّى، الكبيرى، العَضُدى، النَّصيرى، المؤيِّدى،
الفلانى، مجد الإسلام، جمالُ الأُمراء، نُصرةُ الغزاة والمجاهدين، عَضُدُ الملوك
والسلاطين» .

وصورتها على ما أورده الصَّلاحُ الصَّفدى فى دُسْتُوره عن نائب الشام أيضا :
«المجلس السامى، الأميرى، الأجلّى، الكبيرى، المؤيِّدى، المجاهدى، العَضُدى،
النَّصيرى، الهمامى، الفلانى، مجد الإسلام، شرفُ الأُمراء، نُصرةُ الغزاة،
عمدةُ الملوك والسلاطين» .

المرتبة الثالثة

(مرتبة المجلس السامى بنير ياء)

وهى مستعملة فى السلطانيات وغيرها .

فأما فى السلطانيات، فصورتها على ما أورده فى "التثقيف" فى ألقاب الولاة
الطَّبليخاناه بالوجهين القبلى والبحرى : المجلس السامى، الأمير، الأجل، الكبير،
الغازى، المجاهد، المؤيد، الأوحد، المرتضى، فلان الدين، مجد الإسلام،
بهاء الأنام، نخرُ الأُمراء، زينُ المجاهدين، عمدةُ الملوك والسلاطين» .

وصورتها على ما رأيتُه فى بعض نُسخ التَّوابع : ترتيب الشيخ شهاب الدين
محمود الحلبي : «المجلس السامى، الأمير، الأجل، الكبير، الحسيب، النَّسيب،

الطاهر، الكامل، العالم، العامل، الفاضل، الزاهد، الورع، الزكي، التقى،
فلان الدين، جلال الإسلام، شرف السادة الأشراف، نخر العترة الطاهرة،
زين السلالة الزاهرة، نقيب نُبلاء الشرفاء، مجد العصابة العلوية، جمال العصابة الفاطمية،
صدر الأئمة العلماء، مجتبي الدولة، بهاء الملة، خالصة الملوك والسلاطين» .

وصورتها على ما في ألقاب النائب بالينبع : « المجلس السامى، الأمير، الأجل،
المجاهد، المؤيد، الشريف، الحسيب، النسيب، مجد الإسلام، بهاء الأنام،
زين العترة، نخر الأسره، جمال الدرّيه، نخر الشجرة الزكية، عمدة الملوك والسلاطين» .
وصورتها على ما أورده في «التثقيف» في ألقاب أكابر عربان آل فضل من
عرب الشام : « المجلس السامى، الأمير، الأجل، الكبير، النازى، المجاهد، المؤيد،
الأوحد، الأصيل، فلان الدين، مجد الإسلام، بهاء الأنام، نخر القبائل،
زين العشائر، عماد الملوك والسلاطين» .



وأما فيما يكتب عن النُواب ومن في معناهم، فنصورتها على ما أورده
في «عرف التعريف» : « المجلس السامى، الأمير، الأجل، الكبير، الغازى،
المجاهد، المؤيد، فلان الدين، مجد الإسلام، زين الأعراء، نخر الأنام، نخر الغزاة
والمجاهدين، عضد الملوك والسلاطين» .

وصورتها على ما أورده في «التذكرة الآمدية» عن نائب الشام : « المجلس السامى،
الأمير، الأجل، الكبير، المؤيد، المجاهد، العضد، النصير، فلان الدين، مجد الأعراء،
شرف الخواص، زين الغزاة، عُدّة الملوك والسلاطين» .

الدرجة الرابعة

(درجة مجلس الأمير)

وهي مستعملة في السلطانيات وغيرها على مرتبة واحدة .

فأما في السلطانيات ، فصورتها على ما أورده في "التثقيف" في ألقاب الولاية العشرات بالوجهين القبلي والبحري : « مجلس الأمير ، الأجل ، الكبير ، الغازي ، المجاهد ، المؤيد ، الأوحده ، المرتضى ، فلان الدين ، مجد الأمراء ، زين المجاهدين ، عُدّة الملوك والسلاطين » .



وأما فيما يُكْتَب عن الثواب ومن في معناهم ، فصورتها على ما أورده في "عرف التعريف" : « مجلس الأمير ، الأجل ، الكبير ، الغازي ، المجاهد ، المرتضى ، فلان الدين ، فخر الأمراء ، زين المجاهدين ، عُمدة الملوك والسلاطين » .
وصورتها على ما أورده الفارقي في دستورهِ عن نائب الشام : « مجلس الأمير ، الأجل ، الكبير ، الأخص ، الأكل ، الغازي ، المجاهد ، المرتضى ، المختار ، فلان الدين ، مجد الأمراء ، زين الغزاة ، عُدّة الملوك والسلاطين » .

وصورتها على ما أورده في "التذكرة الآمديّة" : « مجلس الأمير ، الأجل ، الكبير ، المؤيد ، المجاهد ، الأعزّ ، الأخص ، الأكل ، المجتبي ، المختار ، فلان الدين ، مجد الأمراء ، زين الغزاة ، عُدّة الملوك والسلاطين » .

الدرجة الخامسة

(درجة الأمير مجردا عن مضاف إليه)

وأكثر ما يأتي ذلك في الولايات أو فيمن يُكْتَبُ بسببه كتابٌ وما أشبه ذلك .

وصورتها في السلطانيات : « الأميرُ الأجلُّ » وربما زيد على ذلك فقيل :

« الكبيرُ الغازي » .

وصورتها في غير السلطانيات على ما أورده في " التذكرة الآمدية " : « الأميرُ ،

الأجلُّ ، الأخصُّ ، الأكملُّ » .

النوع الثاني

(من الألقاب الإسلامية الألقابُ الديوانية ، وهي أيضا على خمس درجات)

الدرجة الأولى

(درجة المقر)

وليست مستعملة في السلطانيات جملة لأنه لا يُكْتَبُ لأحدٍ من هذا النوع

عن السلطان بالمقر ، وهي مستعملة فيما يكتب عن النواب ومن في معناهم ،

ولها ثلاث مراتب :

المرتبة الأولى - مرتبة المقر الشريف . وصورتها على ما أورده

في "عرف التعريف" في ألقاب الوزراء من أرباب الأقاليم ، : « المقر الشريف ،

العالي ، المولوي ، الصاجي ، الوزيري ، المنفذي ، العالمي ، المهدي ، المشيدي ،

العَوْنِيّ، الغِيَاثِيّ، المَالِكِيّ، المَخْدُومِيّ، الفَلَانِيّ، صَلاَحُ الإِسْلَامِ والمُسْلِمِينَ،
سَيِّدُ الوُزَرَاءِ فِي العَالَمِينَ، رَئِيسُ الأَصْحَابِ، قِوَامُ الأُمَّةِ، نِظَامُ المِلَّةِ، مَدَبِرُ الدَّوْلَةِ،
ذُحْرُ المَمَالِكِ، ظَهِيرُ المُلُوكِ والسَّلَاطِينِ، وَوَلِيّ أميرِ المُؤْمِنِينَ .

وصورتها على ما أورده في "عرف التعريف" أيضا في ألقاب غير الوزراء
من الكُتَّابِ : «المَقَرَّ الشَّرِيفُ، العَالِي، المَوْلَوِيّ، القَضَائِيّ، السَّيِّدِيّ،
العَالِمِيّ، العَادِلِيّ، المَهْدِيّ، المَشِيدِيّ، العَوْنِيّ، الغِيَاثِيّ، المَالِكِيّ، المَخْدُومِيّ،
الفَلَانِيّ، صَلاَحُ الإِسْلَامِ والمُسْلِمِينَ، سَيِّدُ الرُّؤَسَاءِ فِي العَالَمِينَ، رَئِيسُ الأَصْحَابِ،
قِوَامُ الأُمَّةِ، نِظَامُ المِلَّةِ، زَيْنُ الدَّوْلَةِ، ذُحْرُ المَمَالِكِ، ظَهِيرُ المُلُوكِ والسَّلَاطِينِ،
وَوَلِيّ أميرِ المُؤْمِنِينَ .»

وصورتها على ما رأيتُه في بعض الدساتير عن نائب الشام في ألقاب بعض كُتَّابِ
السَّرِّ العُلَمَاءِ : «المَقَرَّ الشَّرِيفُ، العَالِي، المَوْلَوِيّ، القَاضِيّ، الكَبِيرِيّ، العَالِمِيّ،
العَامِلِيّ، العَلَامِيّ، الأَكْمَلِيّ، الأَفْضَلِيّ، المُفِيدِيّ، الفَرِيدِيّ، القُدْوِيّ، المَحْقَقِيّ،
المُسَلِّكِيّ، الأَصِيلِيّ، العَرِيقِيّ، المَدَبَرِيّ، المَشِيرِيّ، الِيمِينِيّ، السَّفِيرِيّ، المَالِكِيّ،
المَخْدُومِيّ، الشَّيْخِيّ، العَلَامِيّ، ضِيَاءُ الإِسْلَامِ والمُسْلِمِينَ، سَيِّدُ العُلَمَاءِ والرُّؤَسَاءِ
والمَشَائِخِ فِي العَالَمِينَ، رَئِيسُ الأَصْحَابِ، نَجْرُ الكُتَّابِ، حَسَنَةُ الأَيَّامِ، بَقِيَّةُ السَّلَفِ
الكَرَامِ، صَدْرُ مِصْرَ والشَّامِ، لِسَانُ السَّلْطَنَةِ، سَفِيرُ المَمْلَكَةِ، شَيْخُ شُيُوخِ العَارِفِينَ،
جَامِعُ طُرُقِ الوَاصِفِينَ، صَدْرُ المُدَرِّسِينَ، مَشِيرُ المُلُوكِ والسَّلَاطِينِ، وَوَلِيّ أميرِ
المُؤْمِنِينَ .»

المرتبة الثانية - مَرْتَبَةُ المَقَرَّ الكَرِيمِ . قال في "عرف التعريف" : والألقاب
فيها من نِسْبَةٍ ما تقدم في ألقاب المَقَرَّ الشَّرِيفِ .

وصورتها على ما أورده الصَّلاحُ الصَّفديّ في دُستوره عن نائب الشام :
«المَقَرّ الكريم، العالی، المَوْلوی، القَضائی، العالِمی، القَوامی، النِّظامی، المُدبّری،
المُشیری، المَلادِی، الفلانی، جلالُ الإسلام والمسلمین، سیدُّ الأکابر فی العالمین،
عونُ الأُمَّة، دُخر المِلَّة، مدبّر الدَّول، جمال المالك، حسنةُ الوجود، خالصةُ
الملوک والسلاطین» .

المرتبة الثالثة — مرتبةُ المَقَرّ العالی . وقد جعلها في " عرف التعريف " من
نسبة ماتقدم من ألقاب المقتر الشريف أيضا .

وصورتها على ما رأيت في بعض الدساتير عن نائب الشام فيما كتبت به للقاضي
شرف الدين عبد الوهاب بن أبي الطيب كاتب السر بالشام : « المَقَرّ العالی ،
المَوْلوی ، القَضائی ، الکبیری ، العالی ، الفاضلی ، الکاملی ، البارعی ، الأوحدي ،
الماجدي ، القوامی ، النِّظامی ، المُفَوِّهی ، الرِّیسی ، الأثیری ، الأثیلی ، الأصيلی ،
العریقی ، الفلانی ، عزُّ الإسلام والمسلمین ، شرفُ الرؤساء فی العالمین ، أوحُدُ
الفضلاء الماجدين ، حُجَّةُ المُنتَشئين ، صدرُ الرؤساء ، رأسُ الصدور ، عينُ الأعيان ،
خالصةُ الملوک والسلاطین» .

الدرجة الثانية

(درجة الجناب، وفيها ثلاث مراتب)

المرتبة الأولى — مرتبةُ الجناب الشريف . وهي مستعملةٌ في غير السلطان دون
السُّلْطانيات . قال في " عرف التعريف " : وهي من نسبة الألقاب المتقدمة
في المَقَرّ الشريف .

(١) عبارة الضو، ج ١ ص ١٨٠ «وهي مختصة بما يكتب عن التواب دون السلطانيات . وهي أوضح .

المرتبة الثانية — مرتبةُ الجَنَابِ الكَرِيمِ . وجعلها في "عرف التعريف" من نسبة ما تقدم في المقر الشريف .

وصورتها على ما أورده الصَّلاحُ الصَّفَدِيُّ في دُستوره عن نائب الشام: «الجَنَابِ الكَرِيمُ العَالِي ، المَوْلَى ، القَضَائِي ، العَالِمِي ، الأَوْحِدِي ، الرَّئِيسِي ، الأَجَلِّي ، الأَثِيرِي ، البَارِعِي ، المَاجِدِي ، الفَلَانِي ، مُجَدُّ الإِسْلَامِ والمُسْلِمِينَ ، شَرُفُ الرُّؤَسَاءِ فِي العَالَمِينَ ، جَمَالُ الأَكْبَارِ ، نَخْرُ الأَعْيَانِ ، أَوْحَدُ الكُتَّابِ ، خَالِصَةُ المُلُوكِ والسُّلْطَانِينَ» .

وصورتها على ما رأيتُه في بعض الدساتير عن نائب الشام في توقيع بِاسْمِ شِهَابِ الدِّينِ أبن أبي الطيب بِكِتَابَةِ الدَّسْتِ بِالشَّامِ : « الجَنَابِ الكَرِيمِ ، العَالِي ، المَوْلَى ، القَضَائِي ، الكَبِيرِي ، العَالِمِي ، العَامِلِي ، البَارِعِي ، الكَامِلِي ، المَاجِدِي ، القَوَامِي ، النَّظَامِي ، الرَّئِيسِي ، الأَصِيلِي ، العَرِيقِي ، الأَوْحِدِي ، الفَلَانِي ، جَلَالُ الإِسْلَامِ والمُسْلِمِينَ ، أَوْحَدُ الرُّؤَسَاءِ فِي العَالَمِينَ ، تَاجُ الفُضَلَاءِ المُنتَشِئِينَ ، جِهْدُ الحُدَّاقِ المُتَصَرِّفِينَ ، سُلَالَةُ الأَتْقِيَاءِ العَارِفِينَ ، خَالِصَةُ المُلُوكِ والسُّلْطَانِينَ » .

المرتبة الثالثة — مرتبة الجَنَابِ العَالِي ، وهي مستعملة في السلطانيات وغيرها .

فأما في السلطانيات ، فصورتها على ما أورده في "التثقيف" في ألقاب الوزارة بالديار المصرية : « الجَنَابُ العَالِي ، الصَّاحِبِي ، الكَبِيرِي ، العَالِمِي ، العَادِلِي ، الأَوْحِدِي ، الأَكَلِي ، القَوَامِي ، النَّظَامِي ، الأَثِيرِي ، البَلِغِي ، المُنْفِذِي ، المَسَدَدِي ، المُتَصَرِّفِي ، المَمَهَّدِي ، العَوْنِي ، المَدْبَرِي ، المُشِيرِي ، الوَزِيرِي ، الفَلَانِي ، صِلَاحُ الإِسْلَامِ والمُسْلِمِينَ ، سَيِّدُ الوُزَرَاءِ فِي العَالَمِينَ ، رَئِيسُ الكُبَرَاءِ ، كَبِيرُ الرُّؤَسَاءِ ، أَوْحَدُ الأَصْحَابِ ، مَلَاذُ الكُتَّابِ ، قَوَامُ الدَّوَلِ ، نِظَامُ المُلْكِ ، مُفِيدُ

المناجيج، معتمد المصالح، مرتب الجيوش، عماد الملة، عون الأمة، مشير الملوك
والسلاطين، ولي أمير المؤمنين» .



وأما في غير السلطانيات، فصورتها على ما رأيتها في بعض الدساتير عن نائب الشام
في القاب كاتب دامت بالشام: «الجناب العالي، القضاة، الكبرى، العالي،
الفاضل، الأكل، الداعي، الأوحدي، القوامي، النظامي، المفوهي، الرئيسي،
المساجدي، الفلاني، مجدد الإسلام والمسلمين، شرف الرؤساء في العالمين،
أولاد الفضلاء المساجدين، قدوة البلغاء، جمال الكتاب، زين المنتهين، خالصة
الملوك والسلاطين»

الدرجة الثالثة

(درجة المجلس، وفيها ثلاث مراتب)

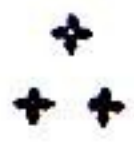
المرتبة الأولى - مرتبة المجلس العالي، وهي مستعمدة في السلطانيات وغيرها.
وأما في السلطانيات، فصورتها على ما أورده في "التشريف" في القاب كاتب السر
بالأبواب السلطانية: «المجلس العالي، القاضوي، الكبرى، العالي، العادل،
العلمي، الإفضلي، الأكل، البغوي، المسددي، المنقدي، المشيخي، العوني،
المشيري، الجيني، السفيري، الأصيلي، العريفي، الداعي، صلاح الإسلام
والمسلمين، سيد الرؤساء في العالمين، قدوة العلماء العالمين، جمال البلغاء،

أوحد الفضلاء ، جلال الأصحاب ، كهف الكتاب ، يمين المملكة ، لسان الساطنة ،
سفير الأمة ، سليل الأكارم ، مشير الملوك والسلاطين ، ولي أمير المؤمنين .

وصورتها على ما أورده في " التثيف " في ألقاب ناظر الخواص الشريفة :
« المجلس العالی ، القاضوی ، الكبیری ، العالی ، الفاضلی ، الأوحدی ، الأکلی ،
الرئیس ، البلیغی ، البارعی ، القوامی ، النظامی ، الماجدی ، الأمیری ، المنفدی ،
المسددی ، المتصرفی ، الفلانی ، جمال الإسلام والمسلمین ، سيد الرؤساء فی العالمین ،
قوام المصالح ، نظام المناجیح ، جلال الأكارم ، قُدوة الكتاب ، رئیس الأصحاب ،
عماد الملة ، صفوة الدولة ، خالصة الملوك والسلاطين ، ولي أمير المؤمنين . »

وصورتها على ما أورده في ألقاب وزير دمشق إذا صرح له بالوزارة : « المجلس
العالی ، الصاحبی ، الوزیری ، الأصیلی ، الكبیری ، العالی ، العادلی ، المؤیدی ،
الأوحدی ، القوامی ، النظامی ، الماجدی ، الأثیری ، المشیری ، الفلانی ،
صلاح الإسلام والمسلمین . سيد الوزراء فی العالمین ، رئیس الكبراء ، كبير الرؤساء ،
بقية الأصحاب ، ملاذ الكتاب . عماد الملة ، خالصة الدولة ، مشير الملوك والسلاطين ،
خالصة أمير المؤمنين . »

وصورتها على ما أورده في ألقابه إذا لم يصرح له بالوزارة ، بل كان ناظر النظائر
بالمملكة الشامية : « المجلس العالی ، القضاة ، الكبیری ، العالی ، العاملي ،
الأوحدی ، الرئیس ، الأثیری ، القوامی ، النظامی ، المنفدی ، المتصرفی ، الفلانی ،
مجد الإسلام والمسلمین ، شرف الأمراء فی العالمین ، أوحد الفضلاء ، جلال الكبراء ،
حجة الكتاب ، صفوة الملوك والسلاطين ، خالصة أمير المؤمنين . »

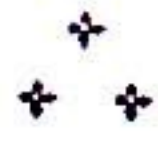


وأما في غير السلطانيات، فصورتها على ما أورده في "التذكرة الآمدية" في بعض التواقيع من ترتيب المقرّ الشهابي بن فضل الله بكتابة الدّست بالشام: «المجلس العالی، القضائي، الأجلّ، الكبيرى، الرئيسى، العالمى، العاملى، البارعى، الأوحدى، المساجدى، الأثيرى، الأئبلى، الأفضلى، الأصيلى، الفلانى، مجد الإسلام، بهاء الأنام، شرف الرؤساء، أوحّد الكبراء، صدر الأعيان، جمال الكُتاب، جلال الحُساب، صفوة الدولة، خالصة الملوك والسلاطين».

المرتبة الثانية - مرتبة المجلس السامى بالياء، وهى مستعملة في السلطانيات وغيرها.

فأما في السلطانيات فلم يذكر صورتها في "التثقيف"

وصورتها على ما رأيتُه في بعض الدساتير: «المجلس السامى، القضائي، الأجلّ، الكبيرى، العالمى، الفاضلى، الكافلى، الرئيسى، الأوحدى، الأصيلى، الأثيرى، البليغى، الفلانى، مجد الإسلام، شرف الرؤساء، نحر الأنام، زين البلغاء، جمال الفضلاء، أوحّد الكُتاب، نحر الحُساب، صفوة الملوك والسلاطين».



وأما في غير السلطانيات، فصورتها على ما رأيتُه في "التذكرة الآمدية" في توقيع بكتابة الدرّج عن نائب الشام: «المجلس السامى، القضائي، الأجلّ، الكبيرى، العالمى، الفاضلى، الكاملى، البليغى، الأصيلى، الرئيسى، الفلانى، مجد الإسلام، شرف الرؤساء، جمال البلغاء، مرتضى الملوك والسلاطين».

المرتبة الثالثة - مرتبة المجلس السامى بغير ياء، وهى مستعملة في السلطانيات

وغيرها.

فأما في السلطانيات، فلم يذكر لها صورة في "التثقيف" أيضا .
 وصورتها على ما رأيت في "التذكرة الآمدية" في توقيع شريف بكتابة الدرّج :
 المجلس السامي، القاضي، الأجل، الكبير، الصدر، الرئيس، الأوحد، البارع،
 الكامل، الأصيل، الفاضل، فلان الدين، جمال الإسلام، بهاء الأنام،
 شرف الأكابر، زين الرؤساء، أوحد الفضلاء، زين الكتاب، صفوة الملوك
 والسلاطين .



وأما في غير السلطانيات، فصورتها على ما رأيت في "التذكرة الآمدية" في توقيع
 كريم عن نائب الشام بكتابة الدرّج بالشام، ترتيب مؤلف "التذكرة" المذكورة :
 «المجلس السامي، القاضي، الأجل، الكبير، الفاضل، البارع، الكامل، الأوحد،
 الرئيس، الأثير، فلان الدين، مجد الإسلام، شرف الصدور، أوحد الفضلاء،
 زين الكتاب، جمال الحساب، صفوة الملوك والسلاطين» .

الدرجة الرابعة

(درجة مجلس القاضي، وهي مستعملة في السلطانيات وغيرها)

فأما في السلطانيات، فلم يُورد لها في "التثقيف" أيضا صورة .
 وصورتها على ما يقتضيه عرف الديوان : «مجلس القاضي، الأجل، الكبير،
 الفاضل، الأوحد، الأثير، الرئيس، البليغ، العريق، الأصيل، فلان الدين،
 مجد الإسلام، بهاء الأنام، شرف الرؤساء» .



وأما في غير السلطانيات، فعلى نحو ذلك .

الدرجة الخامسة

(١) درجة القاضي، وهي مستعملة في السلطانيات [وغيرها]

وصورتها فيما : « القاضي الأجل » وربما زيد في تعظيمه فقيل « الكبير الصدر الرئيس » ونحو ذلك .

النوع الثالث

(من الألقاب الإسلامية ألقاب أرباب الوظائف الدينية .

وهي على خمس درجات أيضا)

الدرجة الأولى

(درجة المقر)

وهي مختصة بغير السلطانيات، لأنه لا يكتب لأحد من أهل هذا النوع عن السلطان بالمقر أيضا، بل قال في «عرف التعريف» : إنه لا يكتب به لأحد من هذا النوع في غير السلطانيات أيضا ولكن رأيت مستعملا فيما يكتب عن الثواب بالممالك . وهي على ثلاث مراتب :

المرتبة الأولى — مرتبة المقر الشريف .

وصورتها على ما رأيت في بعض الدساتير في توقيع عن نائب الشام للقاضي جمال الدين إبراهيم بن العديم ببعض الأنظار والتداريس بالشام : «المقر الشريف، العالي، السوأي، القاضوي، الكبير، العالمي، العادلي، الأصيلي، العريبي، القوامي، النظامي، الإمامي، العلامي، القدوي، المفيد، الشيعي، الصاحبي»

الحاكمي، المحسني، الفلاني، جمال الإسلام والمسلمين، سيد الفضلاء العاملين،
 قدوة العلماء في العالمين، لسان المتكلمين، برهان المناظرين، صدر المدرسين،
 جلال الطالبين، بقية السلف الكرام الدارجين، بركة الملوك والسلاطين، خالصة
 أمير المؤمنين» .

المرتبة الثانية - مرتبة المقر الكريم .

وصورتها على ما رأيت في بعض الدساتير عن نائب الشام في توقيع ببعض الوظائف
 الدنيئة بدمشق : « المقر الكريم العالی، المولوي، القضائي، الصاحب، الإمامي،
 العالمي، العالمي، العلامي، المفيد، الفريدي، البليغي، الأوحدي، المحقق،
 القوامي، النظامي، العريفي، الحاكمي، المحسني، الفلاني، جمال الإسلام
 والمسلمين، جلال العلماء العاملين، أوجد المتكلمين، أكمل البلغاء في العالمين، قدوة
 المحققين، بركة الملوك والسلاطين» .

المرتبة الثالثة - مرتبة المقر العالی .

وصورتها على ما رأيت في بعض الدساتير عن نائب حلب بتدريس بها : « المقر
 العالی، المولوي، الشيخي، الكبير، الإمامي، العالمي، العلامي، المفيد،
 القدوي، الفريدي، المحقق، القوامي، النظامي، الحاكمي، الفلاني، علاء الإسلام
 والمسلمين، أوجد الفضلاء العارفين، رحمة الطالبين، نخبة المحققين، جمال العلماء
 في العالمين، خالصة الملوك والسلاطين» .

الدرجة الثانية

(درجة الجَنَاب)

وقد جعلها في "عرف التعريف" أعلى ما يُكْتَب لهذا النوع ، وهي على ثلاث مراتب :

المرتبة الأولى - مرتبةُ الجَنَاب الشريف . وهي مختصة بغير السلطانيات .
 وصورتها على ما أورده في "عرف التعريف" « الجَنَابُ الشريفُ العالی ،
 المولوی ، القضائي ، السیدی ، الإمامی ، العالی ، العاملی ، العَلَامی ، الكاملی ،
 الأصیلی ، الأوحدي ، المفیدی ، القُدوی ، الفريدي ، الحُجّي ، المجتهدی ، الفلانی ،
 حُجّة الإسلام (أَوْضِيَاء الإسلام) شرف الأنام ، أثير الإمام ، صدر الشام ، سيد العلماء
 والحكّام ، أو أُوحدُ العلماء الأعلام ، بقیة السلف الكرام ، شيخ المذاهب ، مجلّي
 الغياهب ، قُدوة الفرق ، رئيس الأصحاب ، مفتي المهنة ، مؤيد الملة ، شمس الشريعة ،
 سيف النظر ، مفيد الطالبين ، لسان المتكلمين ، ولي أمير المؤمنين » .

فإن كان حاكما قبل الفلانی « الحاکمی » وقبل ولي أمير المؤمنين « حَكَم
 الملوك والسلاطين » .

المرتبة الثانية - مرتبة الجَنَاب الكريم . وهي مختصة بغير السلطانيات أيضا .
 وصورتها على ما رأيت في بعض الدساتير الشامية في توقيع القاضي جمال الدين
 ابن أبي جرادة الحنفی ببعض الوظائف الدينية : « الجَنَابُ الكريم العالی ، المولوی ،
 القضائي ، الكبيری ، الصاحبی ، الإمامی ، العالی ، الفاضلی ، الكاملی ، الأريبي ،
 اللبیبی ، الأصیلی ، العریقی ، القوامی ، النظامی ، الفلانی ، جمال الإسلام والمسلمين ،
 أُوحد الفضلاء في العالمين ، أكل نُجباء الأبناء العالمين ، خالصة الملوك والسلاطين » .

المرتبة الثالثة - مرتبة الجناب العالى . وهي مستعملة في السلطانيات وغيرها .
فأما في السلطانيات ، فصورتها على ما استقر عليه الحال في ألقاب قاضي القضاة
الشافعي بالديار المصرية : « الجناب العالى ، القاضوي ، الشيخي ، الكبرى ،
العالمي ، العالمي ، الأفضلي ، الأكملي ، الأوحدي ، البليغي ، الفريدي ، المفيدي ،
النجدي ، القدوي ، الحجي ، المحققي ، الورعي ، الخاشعي ، الناسكي ، الإمامي ،
العلامي ، الأصيلي ، العريبي ، الحاكمي ، الفلاني ، جمال الإسلام والمسلمين ،
شرف العلماء العاملين ، أوجد الفضلاء المفيدين ، قُدوةُ البلغاء ، حُجَّةُ الأُمَّة ، عمدةُ
المحققين ، نخر المدرسين ، مفتي المسلمين ، جلالُ الحُكَّام ، بركةُ الدولة صدر مصر
والشام ، معز السنة ، مؤيد الملة ، شمسُ الشريعة ، رئيسُ الأصحاب ، لسانُ المتكلمين ،
حكَمُ الملوك والسلاطين ، وليُّ أمير المؤمنين » .



وأما في غير السلطانيات ، فصورتها على ما رأيت في بعض الدساتير في توقيع عن
نائب الشام ببعض الوظائف الدينية لبعض العلماء : « الجنابُ العالى ، الشيخي ،
الكبرى ، العالمي ، الفاضلي ، الكاملي ، الأوحدي ، الماجدي ، القوامي ، النظامي ،
الفلاني ، ضياءُ الإسلام والمسلمين ، أوجدُ الفضلاء العارفين ، جلالُ الأئمة
في العالمين ، خالصةُ الملوك والسلاطين » .

الدرجة الثالثة

(درجة المجلس وفيها ثلاث مراتب)

المرتبة الأولى - مرتبة المجلس العالى، وهى مستعملة في السُلطانيات وغيرها، فأما في السلطانيات، فصورتها على ما أورده في "التثقيف" في ألقاب القضاة الثلاثة بالديار المصرية غير الشافعي: «المجلس العالى، القاضوى، الكبيرى، العالمى، العالمى، العاملى، الأفضلى، الأكملى، الأوحدي، البليغى، الفريدى، المفيدى، النجيدى، القدوى، المحجى، المحققى، الإمامى، الأصيلى، العريقى، الحاكمى، الفلانى، جمال الإسلام والمسلمين، سيد العلماء العاملين، أوجد الفضلاء المفيدين، قُدوة البلغاء، حُجَّة الأمة، عمدة المحدثين، نحر المدرسين، مفتى المسلمين، جلال الحُكَّام، حَكَم الملوك والسلاطين».



وأما في غير السلطانيات، فصورتها على ما أورده في "عرف التعريف": «المجلس العالى، القضاى، الأجلى، الإمامى، الصُدري، الرئيسى، الفقيهى، العالمى، العلامى، الكاملى، الفاضلى، الأوحدي، الفلانى، مجد الإسلام، نحر الأنام، تاج العلماء والحُكَّام (أو شرف العلماء والحُكَّام) جمال الأئمة، أوجد الأئمة، صدر المدرسين، خالصة الملوك والسلاطين».

المرتبة الثانية - مرتبة المجلس السامى بالياء، وهى مستعملة في السلطانيات وغيرها.

فأما في السلطانيات، فلم يذكر لها في "التثقيف" صورة.

وصورتها على ما رأيت في بعض التواقيع : « المجلس السامى ، القضاى .
الكبرى ، العالمى ، الفاضلى ، الأوحدى ، الرئيسى ، المفيدى ، البليغى ، القدوى .
الأثيرى ، مجد الإسلام والمسلمين ، جمال العلماء العاملين ، أوحده الفضلاء ، صدر
المدرسين ، عمدة المفتين ، خالصة الملوك والسلاطين » .

وصورتها على ما رأيت في بعض تواقيع بعض الخطباء « المجلس السامى ، القضاى .
الشيخى ، الإمامى ، العالمى ، العاملى ، العابدى ، الزاهدى ، الخاشعى ، الناسكى .
الخطيبى ، الفلانى ، ضياء الإسلام والمسلمين ، أوحده الخطباء فى العالمين ، جمال الأئمة
الفصحاء البارعين ، لسان البيان ، ترجمان الزمان ، بركة الملوك والسلاطين » .



وأما فى غير السلطانيات ، فصورتها على ما أورده فى "عُرف التعريف" :
« المجلس السامى ، القضاى ، الأجل ، الإمامى ، الصدرى ، الفقيهى ، العالمى ،
الكاملى ، الفاضلى . الفلانى ، مجد الإسلام ، بهاء الأنام ، جمال العلماء ، أوحده
الفضلاء ، شرف النبلاء ، صفوة الملوك والسلاطين » .

المرتبة الثالثة — مرتبة المجلس السامى بغيرياء ، وهى مستعملة فى السلطانيات
وغيرها .

فأما فى السلطانات فلم يذكر لها صورة فى "التثقيف" .

وصورتها على ما رأيت فى بعض التواقيع : « المجلس السامى ، القاضى ، الأجل ،
الكبرى ، الصدرى ، الرئيسى ، العالمى ، الفاضل ، الكامل ، فلان الدين ، مجد الصدور .
زين الأعيان ، مُرتضى الملوك والسلاطين » .



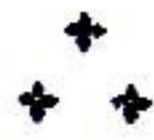
وأما في غير السلطانيات ، فصورتها على ما ذكره في "عرف التعريف" :
«المجلس السامي ، القاضي ، الأجل ، الكبير ، العالم ، الفاضل ، الكامل ، الأوحد ،
الأثيب ، البارع ، فلان الدين ، مجد الإسلام ، بهاء الأنام ، نحر الصدور ،
جمال الأعيان ، مرتضى الدولة ، صفة الملوك والسلاطين» .

الدرجة الرابعة

(درجة مجلس القاضي ، وهي مستعملة في السلطانيات وغيرها)

فأما في السلطانيات فلم يذكر لها صورة في "التثقيف" .

وصورتها على ما رأيت في بعض التوابع : «مجلس القاضي ، الأجل ، الكبير ،
العالم ، الفاضل ، الأوحد ، الكامل ، الصدر ، الرئيس ، مجد الإسلام ، بهاء الأنام ،
زين الأعيان ، نحر الصدور ، مرتضى الملوك والسلاطين» .



وأما في غير السلطانيات فعلى نحو من ذلك .

الدرجة الخامسة

(درجة القاضي ، وهي مستعملة في السلطانيات وغيرها)

وصورتها فيهما : «القاضي ، الأجل» وربما زيد في التعظيم نحو «الكبير الصدر
الرئيس» ونحو ذلك .

النوع الرابع

(من الألقاب الإسلامية ألقاب مشايخ الصوفية وأهل الصلاح ،
وهي على خمس درجات)

الدرجة الأولى

(درجة المقرّ، وليس لها استعمال في السلطانيات ؛ وفي غير السلطانيات
لها ثلاث مراتب)

المرتبة الأولى - مرتبة المقرّ الشريف .

وصورتها : « المقرّ الشريف ، العالى ، المولوى ، الشيخى ، السيدى ، الإمامى ،
العالمى ، العالمى ، الكافى ، الفاضلى ، الورعى ، الزاهدى ، العابدى ، الناسكى ،
السالكى ، الخاشعى ، المسلكى ، المحققى ، المدققى ، الفلانى ، صلاح الإسلام
والمسلمين ، جمال الأصفياء العاملين ، خالصة الأنام ، صفوة الأتقياء ، قطب العباد ،
الملك على الحقيقه ، والملك لأزمة الطريقه ، بقية السلف ، قُدوة الخلف ،
مفيد الطالبين ، أوحد المحققين ، ركن الملوك والسلاطين ، ولى أمير المؤمنين » .

وقد تقدم أن الأحسن فى اللقب المضاف إلى السلاطين هنا « بركة الملوك
والسلاطين » .

المرتبة الثانية - مرتبة المقرّ الكريم ، وألقابها من نسبة الألقاب المتقدمة .

المرتبة الثالثة - مرتبة المقرّ العالى ، وألقابها نحو ذلك .

الدرجة الثانية

(دَرَجَةُ الْجَنَابِ ، وفيها ثلاثُ مراتب)

المرتبة الأولى - مرتبةُ الجنابِ الشريفِ . وهي مختصةٌ بغير السلطانيات .
 وصورتها : «الجنابُ الشريفُ ، العالی ، المولوی ، الشيخی ، الإمامی ، العالی ،
 العاملی ، الكافلی ، الفاضلی ، الزاهدی ، العابدی ، الخاشعی ، الناسکی ، الورعی .
 جلالُ الإسلامِ ، سيفُ الإمامِ ، قُطْبُ الزُّهَادِ ، عَمُّ العِبَادِ ، أوحدُ الناسکینِ .
 فَرْدُ السالکینِ . بركةُ الملوكِ والسلاطينِ » .

المرتبة الثانية - مرتبة الجنابِ الكريمِ . وهي مختصةٌ بغير السلطانيات أيضا .
 وصورتها على ما رأيتُه في بعض التواقيع عن نائبِ الشام : «الجنابُ الكريمِ .
 العالی ، الشيخی ، العالی ، العاملی ، العلامی . الأوحدي ، القُدوی ، العابدی ،
 الناسکی ، الخاشعی ، المسلكی ، المربی ، الربانی ، الأصیلی ، الفلانی ، مجدُ الإسلامِ .
 حسنةُ الأيامِ ، قُدوةُ الزُّهَادِ ، ملاذُ العِبَادِ ، جمالُ الورعینِ ، مربیُ المریدینِ .
 أوحدُ المسلكینِ ، خَلَفُ الأولیاءِ . بركةُ الملوكِ والسلاطينِ » .

المرتبة الثالثة - مرتبة الجنابِ العالی . وهي مختصةٌ بغير السلطانيات .
 وصورتها على ما رأيتُه في بعض التواقيع عن نائبِ الشام : «الجنابُ العالی ،
 الشيخی ، العالی ، العاملی ، الأوحدي ، العابدی ، الناسکی ، الورعی ، الزاهدی .
 الخاشعی ، المسلكی ، الأصیلی ، الفلانی ، مجدُ الإسلامِ . بهاءُ الأنامِ ، قُدوةُ العِبَادِ .
 جمالُ الزُّهَادِ ، أوحدُ المسلكینِ ، بركةُ الملوكِ والسلاطينِ » .

الدرجة الثالثة

(درجة المجلس ، وفيها ثلاث مراتب)

المرتبة الأولى - مرتبة المجلس العالى ، وهى مستعملة فى السلطانيات وغيرها .
فأما فى السلطانيات ، فصورتها على ما أورده فى "التثقيف" فى ألقاب شيخ
الشيوخ بخانقاه سرياقوس : « المجلس العالى ، الشيخى ، الكبرى ، العالمى ،
العاملى ، السالكى ، الأوحدي ، الزاهدى ، العابدى ، الخاشعى ، السكى ،
المفيدى ، القدوى ، الإمامى ، النظامى ، الملاذى ، جلال الإسلام والمسلمين .
شرف الصلحاء فى العالمين ، شيخ شيوخ الإسلام ، أوجد العلماء فى الأنام ،
قدوة السالكين ، بركة الملوك والسلاطين . »

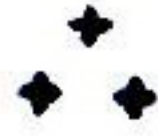
✦
✦

وأما فى غير السلطانيات ، فصورتها على ما أورده فى "عرف التعريف" : « المجلس
العالى ، الشيخى ، الأجلى ، الإمامى ، العالمى ، العاملى ، الزاهدى ، العابدى ،
الورعى ، الخاشعى ، الناسكى ، القدوى ، الفلانى ، خير الإسلام ، شرف الأنام .
زين العباد ، نور الزهاد ، ذخ الطالبين ، كثر التقى ، ملجأ المریدين ، بركة الملوك
والسلاطين . »

المرتبة الثانية - مرتبة المجلس السامى بالياء ، وهى مستعملة فى السلطانيات وغيرها .
أما فى السلطانيات ، فصورتها على ما أورده فى "التثقيف" فى ألقاب الشيخ
شمس الدين الطوضى ممن كان يكتب إليه قديماً : « المجلس السامى ، الشيخى ،
الأجلى ، العالمى ، الساملى ، الكاملى ، الفاضلى ، الزاهدى ، الورعى ، العابدى ،
الخاشعى ، الناسكى ، القدوى ، الأوحدي ، الفلانى ، مجد الإسلام ، ضياء الأنام . »

بقية السلف الكرام ، نحر الصلحاء ، أوجد الكبراء ، زين الزهاد ، عماد العباد .
قدوة المتورعين ، دُخر الدول ، ركن الملوك والسلاطين » .

وصورتها على ما رأيت في بعض التواقيع الشريفة : « المجلس السامى ، الشيخى ،
الكبرى ، الأوحدي ، الأكلبي ، العابدى ، الخاشعى ، الناسكى ، جمال الإسلام .
زين الأنام ، صفوة الصلحاء ، نحر العباد ، بركة الملوك والسلاطين » .



وأما في غير السلطانيات ، فصورتها على ما ذكره المقر الشهابى بن فضل الله
في بعض التواقيع عن نائب الشام : « المجلس السامى ، الإمامى ، العالمى ، العالمى ،
الخاشعى ، الورعى ، الناسكى ، السالكى ، العارفى ، القدوى ، البليغى ، الأصيلى ،
الشيخى ، الفلانى ، مجد الإسلام ، شرف العلماء ، قدوة الفضلاء ، نحر الصلحاء ،
جمال النساك ، قدوة السالك ، أوجد العارفين ، بركة الملوك والسلاطين » .

المرتبة الثالثة - مرتبة المجلس السامى بغير ياء ، وهى مستعملة فى السلطانيات
وغيرها .

فأما فى السلطانيات فلم يُورد لها صورة فى "التحيف" .

وصورتها على ما رأيت فى بعض التواقيع الشريفة : « المجلس السامى ، الشيخ ،
الصالح ، الزاهد ، العابد ، الورع ، الخاشع ، الناسك ، السالك ، فلان الدين ،
مجد الصلحاء ، زين المشايخ ، قدوة السالكين ، بركة الملوك والسلاطين » .



وأما فى غير السلطانيات ، فصورتها على نحو من ذلك

الدرجة الرابعة

(درجة مجلس الشيخ)

وهي مستعملة في السلطانيات وغيرها .

ولم يورد لها صورة في "التثقيف" . وصورتها على ما في بعض الدساتير: «مجلس الشيخ، الصالح، الزاهد، العابد، الناسك، السالك، فلان الدين، مجد الصلحاء، زين المشايخ، بركة الملوك والسلاطين» .

الدرجة الخامسة

(درجة الشيخ)

وهي «الشيخ، الصالح، الورع، الزاهد» ونحو ذلك .

النوع الخامس

(ألقاب التجار الخواجكية، والمستعمل فيه أربع درجات)

الدرجة الأولى

(درجة الجناب)

ولم أرفها غير مرتبة الجناب العالی فیما عدا السلطانيات .

وصورتها على ما رأيت في بعض الدساتير الشامية فيما كتب به لبعض الخواجكية: «الجناب العالی، الصدرى، الكبرى، المحترمي، المؤتمني، الأوحدي، الأكلبي، الرئيسي، العارفي، المقرني، الخواجكي، الفلاني، مجد الإسلام والمسلمين» .

شرف الأَكابر في العالمين ، أُوحدُ الأَمناء المقربين ، صدرُ الرؤساء ، رأسُ الصُدُور ،
عينُ الأعيان ، كبيرُ الخَوَاجِكِيَّة . ثِقَّةُ الدولة ، مؤتمنُ الملوك والسلاطين . . فإن اتفق
أن يُكْتَبَ لاحد من الخَوَاجِكِيَّة بأعلى من الجَناب العالی ، كُتِبَ له من نظير هذه
الألقاب وأعلى منها .

الدرجة الثانية

(درجة المجلس ، وفيها ثلاثُ مراتب)

المرتبة الأولى — مرتبة المجلس العالی ، وهي مختصة بغير السلطانيات .

وصورتها على ما رأيتُه في بعض الدساتير الشاميَّة : « المجلسُ العالی ، الصُدْرِيّ ،
الرئيسيّ ، الكبيريّ ، المحترميّ ، المؤتمنيّ ، الأُوحدِيّ ، الأَكليّ ، المقربِيّ ، الخَوَاجِكِيّ ،
الفلانيّ ، مجدُ الإسلام ، شرفُ الأَكابر ، أُوحدُ الأَمناء ، صدرُ الرؤساء ، زَيْنُ الأعيان ،
ثِقَّةُ الدولة ، مؤتمنُ الملوك والسلاطين » .

المرتبة الثانية — مرتبةُ المجلس السامِيّ بالياء ، وهي مستعملة في السلطانيات

وغيرها .

فأما في السلطانيات ، فصورتُها على ما ذكره في "التثقيف" في ألقاب خَوَاجَا
عَسَافِ بنِ مُسَافِر ، ونظامِ الدِّينِ الإِسْعَرِدِيّ : « المجلسُ السامِيّ ، الصُدْرِيّ ،
الكبيرِيّ ، الكاملِيّ ، المَاجِدِيّ ، الأُوحدِيّ ، المقربِيّ ، المنتخِبِيّ ، الأَمِينِيّ ، الأَثِيرِيّ ،
الخَوَاجِكِيّ ، الفلانيّ ، مجدُ الإسلام ، زَيْنُ الأَنام ، شرفُ الرؤساء ، أُوحدُ الكُبراء ،
تَاجُ الأَمناء ، نَحْرُ الأعيان ، مُقَرَّبُ الحضرتين ، مؤتمنُ الدَّول . صفوةُ الملوك
والسلاطين » .

+ +

وأما في غير السلطانيات، فصورتها على نحو من ذلك .

المرتبة الثالثة - مرتبة المجلس السامي بغيرياء، وهي مستعملة في السلطانيات وغيرها .

فأما في السلطانيات، فصورتها على ما أورده في "التثيف" في ألقاب بعض الخوارجية: «المجلس السامي، الصدر، الأجل، الكبير، الكامل، الماجد، الأوحد، المقرب، المنتخب، الأمين، الأثير، الخوارجاء، فلان الدين، مجد الرؤساء، زين الأكاره، مجد الصدور، جمال الأعيان، مقرب الدولة، صفوة الملوك والسلاطين» .

+ +

وأما في غير السلطانيات فعلى نحو من ذلك .

الدرجة الثالثة

(درجة مجلس الصدر، وهي مستعملة في السلطانيات وغيرها)

فأما في السلطانيات، فصورتها على ما ذكره في "التثيف": «مجلس الصدر، الأجل، الكبير، المحترم، المقرب، الأوحد، فلان الدين» .

+ +

وأما في غير السلطانيات، فلا تخرج عن ذلك .

الدرجة الرابعة

(درجة الصَّدر ، وهي مستعملة في السلطانيات وغيرها)

فأما في السلطانيات فصورتها على ما أشار إليه في "التثقيف" : « الصَّدرُ ،
الأجلُّ ، الكبيرُ ، المحترمُ ، المقربُ ، الأوحدُ ، فلان الدين » .



وأما في غير السلطانيات ، فلا تبعُدُ من ذلك .

النوع السادس

(من الألقاب الإسلامية ألقابُ أرباب الصناعات الرئيسية ،

كرياسة الطب ، ورياسة الكحالين ، ورياسة الجراحية ،

ونحو ذلك ، والمستعمل فيه درجتان)

الدرجة الأولى

(درجة المجلس ، وفيها ثلاث مراتب)

المرتبة الأولى - مرتبة المجلس العالی ، وهي مستعملة في السلطانيات وغيرها .

فأما في السلطانيات ، فكألقاب رئيس الأطباء ، وهي « المجلس العالی » . [القضائي^(١) ،

العالمی ، الفاضلی ، الكاملي ، الأوحدي ، الفلاني ، جمال الإسلام والمسلمين ،

سيد الرؤساء في العالمين ، أوحد الفضلاء المقربين ، خاصة الملوك والسلاطين^(١)] .

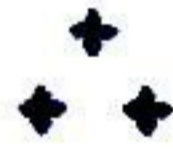
(١) بعض هذه العبارة في الاصول ، فنقلنا من ضوء الصبح للزلف .



وأما في غير السلطانيات فعلى نحو من ذلك .

المرتبة الثانية - مرتبة المجلس السامى ، وهى مستعملة فى السلطانيات وغيرها .

فأما فى السلطانيات ، فصورتها : « المجلس السامى ، الصدرى ، الأجلّى ، الكبيرى ، الرئيسى ، الفلانى » .



وأما فى غير السلطانيات فعلى نحو منه .

المرتبة الثالثة - مرتبة المجلس السامى بغيرياء ، وهى مستعملة فى السلطانيات وغيرها .

فأما فى السلطانيات ، فصورتها : « المجلس السامى ، الصدر ، الأجل ، الكبير ، الرئيس ، المحترم » .



وأما فى غير السلطانيات ، فعلى نحو ذلك .

الدرجة الثانية

(درجة الصدر . وهى مستعملة فى السلطانيات وغيرها)

وصورتها فيما : « الصدر الأجل » فإن زيد فى تعظيمه ، قيل : « الكبير المحترم » .

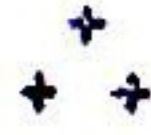
النوع السابع

(من الألقاب الإسلامية ألقاب الحاشية السلطانية ، كـمِهتارية البيوت ،
ومهندس العماثر ، ورئيس الحزاقة ونحوهم ، وفيه درجتان)

الدرجة الأولى

(درجة مجلس الصّدر . وهي مستعملة في السلطانيات وغيرها)

فأما في السلطانيات ، فصورتها على ما ذكره في " التثقيف " في ألقاب المهندس
والرئيس : « مجلس الصّدر ، الأجل ، الكبير ، المحترم ، المؤمن ، فلان الدين » .
وفي ألقاب مهتارية البيوت : من مهتار الشّراب خاناه ، والطّشت خاناه ، والفراش
خاناه ، وإخوان سلاار ونحوهم : « مجلس الصّدر ، الأجل ، الكبير ، المحترم ، المؤمن ،
الحاج فلان » .



وأما في غير السلطانيات ، فكذلك أو أزيد .

الدرجة الثانية

(درجة الصّدر ، وهي مستعملة في السلطانيات وغيرها)

وصورتها فيهما : « الصّدر الأجل » فإن زيد في رعايته قيل بعد ذلك :
« الكبير المحترم » .

النوع الثامن

(من الألقاب الإسلامية ألقاب النساء ، وفيه درجتان)

الدرجة الأولى

(درجة الجهة ، وفيها مرتبتان)

المرتبة الأولى – مرتبة الجهة الشريفة ، وصورتها على ما ذكره في "التثيف"^(١)
في ألقاب إلى بنت الملك الناصر محمد بن قلاوون عن والدتها : «الجهة الشريفة ،
العالية المحجبة ، المصونة ، الولدية ، العصمية ، عصمة الدين ، جلال النساء ، شرف
الخواتين ، سيلة الملوك والسلاطين» .

وصورتها على ما ذكره في "التثيف" أيضا في المكاتبه إلى أم أنوك :
زوجة السلطان الملك الناصر عنه : «الجهة الشريفة ، العالية ، المعظمة ، المحجبة ،
المصونة ، الكبرى ، خوند خاتون ، جلال النساء في العالمين ، قرينة الملوك
والسلاطين» .

وصورتها على ما ذكره في المكاتبه إلى أخت السلطان الملك الناصر حسن عنه :
«الجهة الشريفة ، العالية ، المكرمة ، المحجبة ، المصونة ، الكبرى ، الخاتون ،
جلال النساء في العالمين ، جميلة المحجبات ، جيلة المصونات ، كريمة الملوك
والسلاطين» .

(١) سقط لفظ إلى من الضوء وهو أوضح .

وصورتها على ما ذكره في ألقاب الستِّ حَدَقَ : «الجهة الشريفة، العالية،
الكبرى، المحجّبة، المصنّوية، الحاجّة الوالديّة، جلالُ النساء في العالمين، بركةُ
الدولة، والدةُ الملوك والسلاطين» .

وصورتها على ما رأته في بعض الدساتير في ألقاب والدةِ الأشرافِ شعبانِ
آبنِ حسينِ : «الجهة الشريفة، العالية، الكبرى، المعظمة، المحجّبة، العِصميّة،
الخاتونيّة، جلالُ النساء في العالمين، سيّدةُ الخواتين، جميلةُ المحجّبات، جليّةُ
المصنّونات، والدةُ الملوك والسلاطين» .

المرتبة الثانية - مرتبة الجهة الكريمة .

وصورتها على ما أورده في "التثقيف" في ألقاب دلشاه : زوج الشيخ حسن الكبير
بغداد : الجهة الكريمة . المحجّبة، المصنّونة، العِصميّة، الخاتونيّة، المعظمة، سيّدةُ
الخواتين، زينةُ النساء في العالمين . جميلةُ المحجّبات، جليّةُ المصنّونات، قرينةُ نُوَيْنِ
الملوك والسلاطين .

الدرجة الثانية

(درجة الدار . وهي على نحو المرتبتين المتقدمتين في الألقاب السابقة)

الدرجة الثالثة

(درجة الستارة وهي لا تكاد تخرج عن مقام من المرتبتين المتقدمتين)

القسم الثاني

(من الألقاب المرتبة ألقاب أهل الكُفْر ، وهي على ثلاثة أضرب)

الضرب الأول

(ألقاب متدينهم ، وهي نوعان)

النوع الأول

(ألقاب بطارقة النصارى)

وصورتها على ما أورده في "التثقيف" في ألقاب الباب برومية : «الباب ، الجليل ، القديس ، الروحاني ، الخاشع ، العامل ، أباً رومية ، عظيم الملة المسيحية ، قدوة الطوائف العيسوية ، مملك ملوك النصرانية ، حافظ البحار والخُلجان ، ملاذ البطارقة والأساقفة والقُسوس والرهبان ، تالي الإنجيل ، معرف طائفته التحريم والتحليل ، صديق الملوك والسلاطين» .

وصورتها على ما ذكره في "التثقيف" في ألقاب البطريرك بالديار المصرية : «البطريرك الجليل ، القديس ، الخاشع ، قدوة النصرانية» . ثم قال : ومن نسبة ذلك . وصورتها على ما رأيت في بعض التواقيع له : «الحضرة السامية ، الشيخ ، الرئيس . المبجل ، المكرم ، الكافي ، المعزز ، المفخر ، القديس . شمس الرياسة ، عماد بني المعمودية ، كنز الطائفة الصليبية ، اختيار الملوك والسلاطين» .

وصورتها على ما رأيت في بعض الدساتير الشامية عن نائب الشام للبطريرك بها : «البطريرك . المحتشم ، المبجل ، العارف ، الحبر ، فلان . العالم بأمور دينه ، المعلم لأهل ملته ، ذخر الملة المسيحية ، كنز الطائفة العيسوية ، المشكور بعقله عند الملوك والسلاطين» .

النوع الثاني

(ألقاب رؤساء اليهود)

وصورتها على ما رأيت في بعض التواقيع لرئيس اليهود بالشام من إنشاء القاضي محيي الدين بن الزكي في سنة ست وعشرين وستمائة : «الرئيس، الأوحُد، الأعز، الأخص، الكبير، شرف الطائفة الإسرائيلية فلان» .

الضرب الثاني

(ألقاب ماوآكلهم وتختص بالنصارى . وهو نمطان)

النمط الأول

(الألقاب المذكورة . وهي على ثلاثة أنواع)

النوع الأول

(ما يُصَدَّرُ بالألف واللام ، وهي على خمس مراتب)

المرتبة الأولى - مرتبة الحصرة العالية .

وصورتها على ما أورده في "التعريف" في ألقاب ملك الحبشة : « الحصرة العالية . حصرة الملك جليل . الهمام . الضرغام . الأسد . الغضنفر . الخطير . الباسل . السميدع . العالم في ملته . العادل في مملكته . المنصف لرعيته . المتبع لما يحب في أفضيته . عز الأمة النصرانية . ناصر الملة المسيحية . ركن الأمة العيسوية . عماد بني العمودية . حافظ البلاد الجنوبية . متبع الحواريين . والأخبار السريانيين .

والبطارقة القديسين ، معظّم كنيسة صهيون ، أوحده ملوك اليعقوبية ، صديق الملوك والسلاطين .»

وصورتها على ما أورده في "التعريف" أيضا في ألقاب صاحب القسطنطينية :
 « الحضرة العالية . المكرمة . حضرة الملك اجليل ، الخطير ، الهمام ، الأسد ،
 الغضنفر ، الباسل ، الضرغام . المعرق ، الأصيل ، المجد ، الأثيل ، البلااوس ،
 الريدأرغون ، ضابط المالك الرومية . جامع البلاد الساحلية ، وارث القياصرة القدماء ،
 محي طرق الفلاسفة والحكماء . العالم بأمور دينه ، العادل في سنته . معز النصرانية .
 مؤيد المسيحية ، أوحده ملوك العيسوية . مخول الثخوت ، والتيجان . حامى البحار
 والخلجان ، ملك ملوك السريان ، عماد بني المعمودية ، رضى الباب بابا رومية . ثمة
 الأصدقاء ، صديق المسلمين . أسوة الملوك والسلاطين فلان .»

المرتبة الثانية - مرتبة الحضرة العلية .

وصورتها على ما أورده في "التعريف" في ألقاب ملك الكرج : « الحضرة العلية .
 حضرة الملك اجليل ، الهمام ، الباسل ، الضرغام . السميذع . الكرار ، الغضنفر .
 المتخت ، المتوج ، العالم في ملته . العادل في رعيته . بقية الملوك الاغريقية . سلطان
 الكرج ، ذخر ملوك البحار والخلج ، حامى حمى القرمات ، وارث آباءه في الأسرة
 والتيجان ، سياج بلاد الروم و إيران . سليل اليونان . خلاصة ملوك السريان .
 بقية أبناء الثخوت والتيجان ، معز النصرانية ، مؤيد العيسوية ، مسيح الأبطال المسيحية ،
 معظّم البيت المقدس بعقد النية ، عماد بني المعمودية . ظهير الباب بابا رومية ،
 مواد المسلمين ، حاصية الاصدقاء المقرين ، صديق الملوك والسلاطين .»

المرتبة الثالثة - مرتبة الحضرة السامية .

وصورتها على ما أورده في "التعريف" في ألقاب الأدفونش صاحب طليطلة وإشبيلية من الأندلس : «الحضرة السامية ، الملك الجليل ، الهمام ، الأسد ، الباسل ، الضرغام ، الغضنفر ، بقية سلف قيصر ، حامي حماة بنى الأصفر ، المنع السلوك . وارث لذريق وذراري الملوك ، فارس البر والبحر ، ملك طليطلة ومايلها من البلاد الأندلسية ، بطل النصرانية ، عماد بنى المعمودية ، حامل راية المسيحية ، وارث التيجان ، شبيه مريخنا المعمدان ، محب المسلمين ، صديق الملوك والسلاطين » .

المرتبة الرابعة - مرتبة الحضرة المكرمة .

وصورتها على ما رأته في بعض الدساتير الشامية في ألقاب صاحب قبرس : «الحضرة المكرمة ، حضرة الملك الجليل ، البطل ، الباسل ، الهمام ، السميدع ، الضرغام ، الغضنفر ، القمقام ، مؤيد الملة المسيحية ، عماد بنى المعمودية ، ذخر الملة النصرانية ، حامي الجزائر القبرسية ، مواد المسلمين ، صديق الملوك والسلاطين ، الملك فلان » .

المرتبة الخامسة - مرتبة الحضرة الموقرة .

وصورتها على ما ذكره في "التثيف" في ألقاب الأدفونش المقدم ذكره : «الحضرة الموقرة ، الملك الجليل ، المكرم ، المبجل ، الخطير ، البطل ، الباسل ، الهمام ، الضرغام ، الريدأرغون ، نصر النصرانية ، نخر الأمة العيسوية ، ذخر الملة المسيحية ، حامي الثغور ، ممتلك السواحل والبحور ، عماد بنى المعمودية ، ظهير بابا رومية ، ملاذ الفرسان ، جمال الثخوت والتيجان ، صديق الملوك والسلاطين » .

النوع الثاني

(ما يُصدَّر بحضرة مع الإضافة)

وصورتها على ما ذكره في "التثيف" في ألقاب صاحب القُسطنطينية :
«حضرة الملك، الجليل، المكرم، المبجل، الأسد، الخطير، البطل، الباسل، الهمام،
الضُّرغام، فلان، العالم في ملته، العادل في أهل مملكته، عز الأمة المسيحية، كثر
الطائفة الصليبية، جمال بني المعمودية، صمصام الملوك اليونانية، حسام المملكة
المالوصية، صاحب أمصار الروس والعلان، معز اعتقاد الكرج والسريان، وارث
الأسرة والتيجان، الحاكم على الثغور والبحور والخلجان، الدوقس الانجالوس
الكينيوس البالوغس، صديق الملوك والسلاطين» .

وصورتها على ما ذكره في "التثيف" في ألقاب ملك الكرج : «حضرة الملك
الجليل، المكرم، الخطير، الباسل، القمقام، القديس، الروحاني، فلان، عز الأمة
المسيحية، كثر الطائفة الصليبية، نخر دين النصرانية، ملك الجبال والكرج والجرجان،
صديق الملوك والسلاطين» .

وصورتها على ما رأيت في بعض الدساتير في ألقاب ملك الكرج أيضا : «حضرة
الملك الجليل، العالم في ملته، العادل في مملكته، المتوج من الله فلان، سيد ملوك
النصرانية، أكبر زعماء الملة المسيحية، ضابط الممالك الكرجية، خليل^(١)
الملوك والسلاطين» .

وصورتها على ما ذكره في "التعريف" في ألقاب مملك سبيس قبل فتحها :
«حضرة الملك الجليل، البطل، الباسل، الهمام، السמידع الضرغام، الغضنفر

(١) ياض بالاصول بقدر كلمة .

فلان، نخر الملة المسيحية، دُخر الامة النصرانية، عماد بنى المعمودية، صديقُ الملوك
والسلاطين» .

وصورتها على ما ذكره في "التثقيف" في ألقاب ممتلك سيسى المذكور أيضا :
« حضرةُ الملك الجليل، المكرّم، المبجل، المعزّز، الهام، الباسل، فلان، عزّ دين
النصرانية، كبير الطائفة الصليبية، عماد بنى المعمودية، صديق الملوك والسلاطين» .

وصورتها على ما ذكره في "التثقيف" أيضا في ألقاب صاحب البندقيّة :
« حضرةُ الدوك الجليل، المكرّم، الخطير، الباسل، الموقر، المفخّم، فلان،
نخر الملة المسيحية، جمال الطائفة الصليبية، دوك البندقيّة والمانسية، فلان،
زين بنى المعمودية، صديق الملوك والسلاطين» .

وصورتها على ما أورده في "التثقيف" في ألقاب ملك السّرب والبُلغار : «حضرة
الملك الجليل، المكرّم، المبجل، الهام، الضّرغام، الباسل، الدوقس، الأثنجالوس،
الكينيوس، فلان، عماد النصرانية، مالك السّرب والبُلغار، نخر الامة العيسوية،
دُخر الملة المسيحية، فارس البحور، حامى الحصون والثغور» .

وصورتها على ما أورده في ألقاب ملك مونغراد : «حضرة الملك الجليل، المكرّم،
البطل، الهام، الأسد، الضّرغام، فلان، مجد النصرانية، نخر العيسوية، عماد بنى
المعمودية، جمال الطائفتين الرومية والفرنجية، ملك منفرد، وارثُ التاج،
مُعزّ الباب» .

وصورتها على ما أورده في ألقاب لدوك البندقيّة غير ما تقدم : «حضرة المحتشم،
الجليل، المبجل، الموقر، المكرّم، المفخّم، الباسل، الضّرغام، فلان، عزّ الملة
المسيحية، جمال الطائفة العيسوية، دُخر الملة الصليبية، صديق الملوك والسلاطين» .

النوع الثالث

(ما يُصَدَّرُ بِالْمَلِكِ وَمَا فِي مَعْنَاهُ)

وصورته على ما ذكره في "التثقيف" في ألقاب ملك الحبشة : «الملك الجليل ،
المكرم ، الخطير ، الأسد ، الضرغام ، الباسل ، فلان ، العالم في ملته ، العادل في مملكته ،
حطى ملك أممرا ، أكبر ملوك الحبشان ، نجاشى عصره ، سند الملة المسيحية ،
عضد دين النصرانية ، عماد بنى المعمودية ، صديق الملوك والسلاطين» .

وصورتها على ما ذكر في "التثقيف" في ألقاب دوك البندقية غير ما تقدم : «الدوك
الجليل ، المكرم ، المبجل ، الموقر ، البطل ، الهمام ، الضرغام ، الفضنفر ، الخطير ،
مجد الملة النصرانية ، نخر العيسوية ، عماد بنى المعمودية ، معز بابا رومية ، صديق
الملوك والسلاطين فلان» .

النمط الثاني

(من ألقاب ملوك الكفر [الألقاب المؤتة])

وصورتها على ما أورده في "التثقيف" في ألقاب صاحبة بابل : «الملكة الجليلة ،
المكرمة ، المبجلة ، الموقرة ، المفخمة ، المعززة ، فلانة ، العالمة في ملتها ، العادلة
في مملكتها ، كبيرة دين النصرانية ، نصيرة الملة العيسوية ، حامية الثغور ، صديقة
الملوك والسلاطين» .

الضرب الثالث

(ألقاب نواب ملوكهم وكأصلتهم ومن في معنى ذلك . وهو على نوعين)

النوع الأول

(ألقاب النُواب)

وصورتها على ما ذكره في "التثقيف" في ألقاب النائب بالأبواب : «النائب الجليل ،
المبجل ، الموقر ، القديس ، الروحاني» والنُوت من نسبة ألقاب ممتلك سييس .
وصورتها على ما ذكره في "التثقيف" في ألقاب صاحب دُنُقلة : «النائب الجليل ،
المبجل ، الموقر ، الأسد ، الباسل ، فلان ، مجد الملة المسيحية ، كبير الطائفة
الصليبية ، غرس الملوك والسلاطين» .

النوع الثاني

(ألقاب الكناصلة)

وصورتها على ما ذكره في "التثقيف" في ألقاب الكُنُصل بانكفا كألقاب ممتلك
سييس المنقولة عن التثقيف فيما تقدم .

وصورتها على ما أشار إليه في "التثقيف" في ألقاب المُطران نائب الباب بالاصة :
وهي قُبرس نحو ما تقدم في ألقاب البَطرك بالديار المصرية . قال : ويزاد عليه
«المُطران فلان» ويقال في نُعوته «ناصر الملوك والسلاطين» .

وصورتها على ما رأيت في بعض الدساتير الشامية في ألقاب إبراهيم كرى : أحد كتاب
الفرنج عن نائب دمشق : «المُحتمس ، الكبير ، الخول ، الأسد ، المهام ، الفضنفر» .

(١) كما في الأصول بدون نقط .

مؤاد المسلمين، متبع الحواريين، جمال العيسوية، أوحد بنى المعمودية، صاحب الملوك والسلاطين» .

قلت : قد تبين بما تقدم من الألقاب والنعوت الإسلامية وألقاب أهل الكفر ونعوتهم أنها ليست واقفة عند حد، بل هي راجعة إلى اصطلاح الكتاب واختيارهم في زيادة الألقاب وتقصها، والإتيان بلقب دون لقب، مع رعاية المناسبة لكل مقام وما يحتمله من الألقاب، إلا أن ذلك (أصولاً يرجع إليها) وقوانين يوقف عندها، إذا اعتمدها الكاتب ومشى على نهجها ونسج على منوالها، أصاب سواء الثغرة من الصناعة، وطبق المفصل بالمفصل في الإتيان بالمقصد، ومتى أهملها وفرط في مراعاتها ضل سواء السبيل، وخرج عن جادة الصواب : ﴿وَمَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ﴾ .

الأصل الأول - أن يقف على ما رتبته البلغاء من أرباب الصنعة من الألقاب والنعوت لكل صنف من ذوى الألقاب والنعوت : لأهل الإسلام وأهل الكفر . ويجرى ذلك منه مجرى الحفظ والاستحضار، ليسهل عليه إيرادُه في موضعه، ولا يشد عنه شيء منها عند الاحتياج إليه . وقد تقدم من ذلك جملة مستكثرة يهتدى بنجمها، ويستضاء في ظلمة اللبس بضوئها .

الأصل الثانى - أن يعرف ماهو من الألقاب والنعوت حقيقى لصاحب اللقب الذى يستعمله فيه : كالعالمى - لأهل العلم، والعايدى - لأهل الصلاح، والعايدى - للحكام من أرباب السيوف وغيرهم، وما هو منها مجازى : كالعالمى - لأرباب السيوف والكتاب حيث لا أتصاف لصاحب اللقب بالعلم، والأصيلى - لمن ليس له آباء في الرياسة ولا عرَاقَةٌ في النسب، ونحو ذلك مما يجرى هذا المجرى .

الأصل الثالث - أن يعرف الألقاب الخاصة ببعض دون بعض، كالشريفى، والحسبى، والنسبى، للأشراف أولاد فاطمة رضى الله عنها، والكافى - لنائب

السلطنة أو وزير كبير، والنوَّينيّ لأمير التّوامين بالشرق، والمدبريّ للوزير ونحوه من ناظر الخاص ومن في معناه، والمشيريّ لمن يؤخذ رأيه من أكابر أرباب السيوف والأقلام، والسفيريّ للحاجب والدوّادار وكاتب السرّ، واليمينيّ للدوّادار وكاتب السرّ، والعريقيّ لذي العراقة في النسب، والأصيليّ لمن له ثلاثة آباء في الرياسة .

وكذلك النعوت كوالد الملوك والسلاطين لمن يكون له أولاد من الملوك، وولد الملوك والسلاطين لأولاد الملوك، وعضد الملوك والسلاطين للأمرء ونحوهم، وكافل الممالك للنائب الكافل، وسفير الدولة ولسان المملكة للدوّادار وكاتب السرّ، ويمين الملوك والسلاطين لها أيضا، ووالدة الملوك والسلاطين لمن يكون من أولادها ملك، وكريمة الملوك والسلاطين لمن يكون من إخوتها سلطان، وقريينة الملوك والسلاطين لمن تكون زوجة ملك، وصديق الملوك والسلاطين، أو مواد الملوك والسلاطين لملوك الكُفر، وقريين الملوك والسلاطين لنوَّابهم، ونحو ذلك مما يجرى هذا المجرى : فيوقع كلّ لقب أو نعت منها في موضعه ولا يجاوزه إلى غيره . وأنت إذا تأملت ما تملّف من ترتيب الألقاب والنعوت على الأصول المتقدمة، ظهر لك منها ما تستعين به على ترتيبها وإيقاعها مواقعها .

الأصل الرابع - أن يعرف الألقاب والنعوت الرفيعة المقدار، فيلحقها بما يناسبها من الألقاب الأصول، كالحاق العالِم والعاذِل ومهدّ الدول ومُشيد الممالك وما شاكل ذلك بالمقرّ والجناب الكريم ونحو ذلك . ويعرف الألقاب النازلة، فيخرج منها ما يجرد عن الباء ويلحقه بالسامى بغير الباء فما دونه كالعضد والذئروما أشبه ذلك .

الأصل الخامس - أن يعرف مراتب الألقاب في التقديم والتأخير، مثل أن يعلم أن الشريف والكريم يليان المقرّ والجناب، والعالِم يليهما، ثم العالی يلي المقرّ

والجناب والمجلس ، والسامى بلى المجلس حيث لا يلبه العالى . وأن النعت المضاف إلى أمير المؤمنين مثل عضد أمير المؤمنين ، وسيف أمير المؤمنين ، وحسام أمير المؤمنين ، يكون آخر النعوت . وأن المضاف إلى الملوك والسلاطين مثل عضد الملوك والسلاطين ، وظهير الملوك والسلاطين ، يكون قبله المضاف إلى أمير المؤمنين إن كان في رتبة يثبت فيها ما يضاف إلى أمير المؤمنين ، وإلا يكون المضاف إلى الملوك والسلاطين هو آخر الألقاب . وأن يعلم أن لقب التعريف : وهو الفلاني أو فلان الدين يكون واسطة بين الألقاب والنعوت ، فاصلاً بينهما . وأن لقب الوظيفة كالكافلي والحاكمي وما أشبههما يكون قبل لقب التعريف غالباً على ما تقدم بيانه ، فيضع هذه الألقاب في مواضعها ولا يخرجها عنها ، بخلاف ما يجوز فيه التقديم والتأخير من الألقاب والنعوت .

الجملة العاشرة

(في ذكر ألقاب تقع على أشياء متفرقة قد جرت في عرف الكتاب . وهي على ضربين)

الضرب الأول

(فيما يجري من ذلك مجرى التفاؤل ، ويختلف باختلاف الأحوال والوقائع ، ويتنوع إلى أنواع)

النوع الأول

(ما يوصف بالنصر ، كالجيوش والعساكر والقلاع والبريد ونحو ذلك)

فيقال في الجيوش والعساكر : «الجيوش المنصورة» ، والعساكر المنصورة» ويقال في القلاع المنصورة «وقلعة دمشق المنصورة وقاعة حلب المنصورة» ونحو ذلك ،

وكذلك يقال « القلاع المنصورة » على الجمع تَفَاؤُلاً بحصول النّصر لها، ويقال في البريد: « البريد المنصور » على ما أصطلح عليه كُتّاب الزمان. على أن في وصف البريد بالمنصور نظراً : لأنه إنما وُضِع ليوصل الأخبار ونحو ذلك ، وكان الأحسن أن يوصف بالسعيد ونحوه اللهم إلا أن يُراد أنه ربما وصل به خبر النصر على العدو، وهو من أهم المهمات ، وكأنه وُصِف بأشرف متعلقاته .

النوع الثاني

(ما يوصف بالحِراسة ، كالمُدن والثغور)

فيقال في المُدن « مِصر المحروسة » و « القاهرة المحروسة » و « دمشق المحروسة » و « حلب المحروسة » ونحو ذلك . ويقال في الثغور « الثغر المحروس » و « ثغر الإسكندرية المحروس » و « ثغر رشيد المحروس » و « ثغر دمياط المحروس » و « ثغر أسوان المحروس » ونحو ذلك تَفَاؤُلاً بوقوع الحِراسة لها . على أنه لو وُصِفَت القلاع أيضاً بالحِراسة فقيل « القلعة المحروسة » و « القلاع المحروسة » ونحو ذلك لكان له وجهٌ ظاهر . وبكل حال فكل ما كان محلّ خوف مما ينبغي حِراسته والأحتفاظ به ، حَسُن وصفه بالحِراسة . وقد رأيت مَنْ يذكر ضابطاً لذلك في البلاد: وهو أن كل مدينة مُسَوَّرة يُقال فيها محروسة وإلا فلا ، وهو بعيد، والظاهر ما قدّمنا ذكره .

النوع الثالث

(ما يُوصف بالعمارة، كالداووين)

وهي المواضع التي يجلس فيها الكُتَّاب على ما تقدم بيانه في مقدمة الكتاب وغير ذلك . فيقال : «الديوان المعمور» و«الداووين المعمورة» تفاؤلا بأنها لاتزال معمورة بالكتاب، أو بدوام عِزِّ صاحبها وبقاء دولته .

النوع الرابع

(ما يوصف بالسعادة، كالداووين أيضا)

فيقال : «الديوان السعيد» و«الداووين السعيدة» تفاؤلا بدوام سعادتها بدوام سعادة صاحبها .

النوع الخامس

(ما يُوصَفُ بالقَبُول)

كالضحايا المقبولة تفاؤلا بأن الله تعالى يتقبلها، وهو في الحقيقة بمعنى الدعاء، كأنه يقال تقبلها الله تعالى .

النوع السادس

(ما يُوصَفُ بالبرِّ، كالصدقة والأحباس)

فيقال في الأحباس : «الأحباس المبرورة» وفي الصدقة «الصدقة المبرورة» تفاؤلا بأنها تكون جارية مجرى البر الذي يلحق به الثواب . وكتاب الجيش ونحوهم يستعملون ذلك في وصف الرزقة أيضا : وهي القطعة من الأرض تُرصد لمصالح المسجد أو الرباط أو الشخص المعين . فيقولون : «الرزقة المبرورة» لجرانها مجرى الصدقة .

النوع السابع

(ما يوصف بالخذلان ، كالعدو ونحوه)

نَبَّأَ : « الْعَدُوُّ الْمَخْذُولُ » عَلَى الْإِجْمَالِ وَ « فَلَانٌ الْمَخْذُولُ » بِالتَّصْرِيحِ بِاسْمِهِ
 « وَأَنْبَأَ الْكُفْرَ الْمَخْذُولُونَ » وَنَحْوُ ذَلِكَ تَفَاؤُلًا بِأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى يُوقِعُ بِالْعَدُوِّ الْمَخْذُولَانَ
 كَرِيهًا بِهِ .

الضرب الثاني

(ما يجسرى من ذلك مجسرى التشریف ، ويختلف أيضا
 باختلاف الأحوال ، ويتنوع أنواعا)

النوع الأول

(ما يوصف بالعز ، كالكتاب بمعنى القرءان)

فَيُقَالُ فِيهِ : « الْكِتَابُ الْعَزِيزُ » وَمَنْ ثَمَّ يَقُولُونَ فِي قَارِئِ الْقُرْءَانِ : « مِنْ حَمَلَةِ
 كِتَابِ اللَّهِ الْعَزِيزِ » وَرَبَّمَا وُصِفَ بِذَلِكَ الدِّيَوَانُ أَيْضًا ، كَمَا يُقَالُ فِي دِيَوَانِ الْخِلَافَةِ :
 « الدِّيَوَانُ الْعَزِيزُ » عَلَى مَا تَقَدَّمَ ذِكْرُهُ فِي الْكَلَامِ عَلَى الْأَلْقَابِ .

النوع الثاني

(ما يوصف بالشریف ، كالمُصْحَفِ وَالْعِلْمِ)

فَيُقَالُ فِي الْمُصْحَفِ : « الْمُصْحَفُ الشَّرِيفُ » وَفِي الْعِلْمِ « الْعِلْمُ الشَّرِيفُ » وَلِذَلِكَ
 يَقُولُونَ « فَلَانٌ مِنْ طَلَبَةِ الْعِلْمِ الشَّرِيفِ » وَنَحْوُ ذَلِكَ ، وَكَذَا فِي الْأَمَاكِينِ الرَّفِيعَةِ .

مكة والمدينة النبوية والقدس . فيقال : « مكة المشرفة » و « المدينة الشريفة » و « القدس الشريف » والحرم الشريف تارة لحرم مكة وتارة لحرم المدينة . فإذا جمعا قيل : « الحرمين الشريفان » وربما أطلق في عُرف الكُتّاب الحرمان على القدس الشريف ومقام الخليل عليه السلام ، وهو مراد المقر الشهابي بن فضل الله في كتابه « التعريف » في قسم الوصايا بناظر الحرمين الشريفين دون حرم مكة والمدينة المشرفتين . وقد اصطلح كُتّاب الزمان على أن وصفوا أكثر ما يُضاف إلى السلطان بالشريف ، فيقولون فيما يصدر عن السلطان من عهد وتقليد وتوقيع ومرسوم ومثال وتذكرة : « عهد شريف » و « تقليد شريف » و « توقيع شريف » و « مرسوم شريف » و « مثال شريف » و « تذكرة شريفة » ونحو ذلك .

النوع الثالث

(ما يُوصف بالكريم ، كالقرءان)

فيقال : « القرءان الكريم » والأصل فيه قوله تعالى : ﴿ إِنَّهُ لَقُرْءَانٌ كَرِيمٌ ﴾ وقد اصطلح كُتّاب الزمان على أن جعلوه دون الشريف في الوصف ، فوصفوا به ما يصدر عن دون السلطان من أكابر الدولة من الثواب والامراء والوزراء : من توقيع ومرسوم ومثال وتذكرة ونحو ذلك . فيقولون « توقيع كريم » و « مرسوم كريم » و « مثال كريم » و « تذكرة كريمة » . وقد تُوصف به المكاتبة أيضا فيقال : « إن مكاتبة الكريمة وردت » ونحو ذلك ، وقد ورد في التنزيل : ﴿ إِنَّمَا أَنزَلْنَاهُ بِاللَّيْلِ إِلَىٰ كِتَابٍ كَرِيمٍ ﴾ على أنه قد تقدم أنه كان ينبغي أن يكون أرفع رتبة من الشريف لورود التنزيل بوصف القرءان به .

النوع الرابع

(ما يُوصَفُ بِالْعُلُوِّ، وهو في معنى الكرم في اصطلاحهم)

فيقال : « توقيحٌ عالٍ » و « مرسومٌ عالٍ » ونحو ذلك ، وقد يُوصَفُ به الرَّأْيُ .
فيقال : « الرَّأْيُ العالِي » وقد يُوصَفُ به أمرُ السلطان أيضا من ذى الرتبة الرفيعة ،
مثل كتابة الوزير على المراسيم الشريفة ونحوها « أمثلُ الأمرِ العالِي » .

النوع الخامس

(ما يُوصَفُ بالسعادة)

كـ « الرَّأْيُ السَّعِيد » و « الآراءُ السعيدة » وربما وصف بذلك الديوان فقيل
« الديوانُ السعيد » ونحو ذلك .

النوع السادس

(ما يُوصَفُ بالبركة ، كالكتب)

فيقال : « كُتُبٌ مباركة » وقد يُوصَفُ به المنزل فيقال : « منزلٌ مبارك »
وقد يوصف به الأمر لمن دون العالی ، فيقال : « يتقدم أمره المبارك » وكذلك
لمكتبة . فيقال : « إن مكاتبته المباركة وردت » ونحو ذلك .

الباب الثاني

من المقالة الثالثة

(في مقادير قطع الورق ، وما يناسب كل مقدار منها من الأقلام ،

ومقادير البياض في أول الدرج وحاشيته ، وبعد ما بين السطور

في الكتابات ، وفيه فصلان)

الفصل الأول

(في مقادير قطع الورق ، وفيه طرفان)

الطرف الأول

(في مقادير قطع الورق في الزمن القديم)

قد ذكر محمد بن عمر المدائني في كتاب "القلم والدواة" أن الخلفاء لم تنزل تستعمل القراطيس امتيازاً لها على غيرها من عهد معاوية بن أبي سفيان . وذلك أنه يكتب الخلفاء في قراطيس من ثلثي طومار ، وإلى الأمراء من نصف طومار ، وإلى العمال والكتاب من ثلث ، وإلى التجار وأشباههم من ربع ، وإلى الحسّاب والمسّاح من سدس . فهذه مقادير لقطع الورق في القديم : وهي الثلثان والنصف والثلث والرابع والسدس ، ومنها أستخرجت المقادير الآتي ذكرها . ثم المراد بالطومار الورقة الكاملة ، وهي المعبر عنها في زماننا بالقرخة ، والظاهر أنه أراد القطع البغدادي لأنه الذي يحتمل هذه المقادير . بخلاف الشامي ، لاسيما وبغداد إذ ذاك دار الخلافة . فلا يحسن أن يقدر بغير ورقها مع آسئاليه على كمال المحاسن . وقد تقدم في الكلام على آلات الكتابة في المقالة الأولى بيان الخلاف في أول من صنع الورق .

الطرف الثاني

(في بيان مقادير قَطْع الورق المستعمل في زماننا، وفيه ثلاث بحلي)

الجملة الأولى

(في مقادير الورق المستعمل بديوان الإنشاء بالأبواب السلطانية

بالديار المصرية، وهي تسمى مقادير)

المقدار الأول - قَطْع البَغْدَادِيّ الكامل، وعَرَضُ دَرَجِه عَرَضُ البَغْدَادِيّ
بِكَمَالِه : وهو ذراعٌ واحد بذراع القَمَاشِ المِصْرِيّ، وطولُ كُلِّ وَصَلٍ مِنَ الدَّرَجِ
المذكور ذراعٌ ونصفٌ بالذراع المذكور. وفيه كان تُكْتَبُ عُهُودُ الخلفاء وبيعتهم.
وفيه تُكْتَبُ الآن عُهُودُ أكابر الملوك، والمكاتبُ إلى الطبقة العُلْيَا من الملوك،
كأكابر القانات من ملوك الشُّرُق .

المقدار الثاني - قَطْع البَغْدَادِيّ الناقص . وعَرَضُ دَرَجِه دون عَرَضِ
البَغْدَادِيّ الكامل بأربعة أصابع مطبوقه^(١) . وفيه يُكْتَبُ للطبقة الثانية من الملوك،
وربما كُتِبَ فيه [للطبقة العُلْيَا] لإعواز البَغْدَادِيّ الكامل .

المقدار الثالث - قَطْع الثلثين من الورق المِصْرِيّ . والمراد به ثُلثا الطُّومار
من كامل المنصوريّ، وعَرَضُ دَرَجِه ثُلثًا ذراع بذراع القَمَاشِ المِصْرِيّ أيضا .
وفيه تُكْتَبُ مناشيرُ الأمراء المقدمين، وتقاليدُ النُوابِ الكِبَارِ والوزراءِ وأكابر القَضَاةِ
ومن في معانهم . ولم تجر العادةُ بكتابة مكاتبية عن الأبواب السلطانية فيه .

(١) الزيادة من الضوء المعنى ليم الكلام .

المقدار الرابع - قَطْعُ النِّصْفِ . والمراد به قَطْعُ النِّصْفِ مِنَ الطُّومَارِ الْمَنْصُورِيِّ ؛ وَعَرَضُ دَرَجِهِ نِصْفُ ذِرَاعٍ بِالذِّرَاعِ الْمَذْكُورِ . وَفِيهِ تُكْتَبُ مَنَاشِيرُ الْأَصْرَاءِ الطَّبْلَخَانَةِ ، وَمَرَاثِمُ الطَّبَقَةِ الثَّانِيَةِ مِنَ النَّوَابِ ، وَالْمَكَاتِبُ إِلَى الطَّبَقَةِ الثَّانِيَةِ مِنَ الْمُلُوكِ .

المقدار الخامس - قَطْعُ الثَلَاثِ . والمراد به ثَلَاثُ الْقَطْعِ الْمَنْصُورِيِّ ؛ وَعَرَضُ دَرَجِهِ ثَلَاثُ ذِرَاعٍ بِالذِّرَاعِ الْمَذْكُورِ . وَفِيهِ تُكْتَبُ مَنَاشِيرُ أَصْرَاءِ الْعَشْرَاتِ ، وَمَرَاثِمُ صِغَارِ النَّوَابِ ، وَالْمَكَاتِبُ إِلَى الطَّبَقَةِ الرَّابِعَةِ مِنَ الْمُلُوكِ .

المقدار السادس - الْقَطْعُ الْمَعْرُوفُ بِالْمَنْصُورِيِّ . وَعَرَضُهُ تَقْدِيرُ رُبْعِ ذِرَاعٍ بِالذِّرَاعِ الْمَذْكُورِ . وَفِيهِ تُكْتَبُ مَنَاشِيرُ الْمَمَالِكِ السُّلْطَانِيَةِ وَمَقَدِّمِي الْحَلَقَةِ ، وَمَنَاشِيرُ عَشْرَاتِ التُّرْكَمَانَ بِبَعْضِ الْمَمَالِكِ الشَّامِيَةِ ، وَبَعْضُ التَّوَاقِعِ وَمَا فِي مَعْنَى ذَلِكَ .

المقدار السابع - الْقَطْعُ الصَّغِيرُ ، وَيُقَالُ فِيهِ قَطْعُ الْعَادَةِ . وَعَرَضُ دَرَجِهِ تَقْدِيرُ سُدْسِ ذِرَاعٍ بِالذِّرَاعِ الْمَذْكُورِ . وَفِيهِ تُكْتَبُ عَادَةُ الْمَكَاتِبِ لِأَهْلِ الْمَمْلُوكَةِ وَحُكْمَاهَا ، وَبَعْضُ التَّوَاقِعِ وَالْمَرَاثِمِ الصَّغَارِ ، وَالْمَكَاتِبُ إِلَى حُكْمِ الْبِلَادِ بِالْمَمَالِكِ ، وَمَا يَجْرِي هَذَا الْمَجْرَى . وَقَدْ كَانَ هَذَا الْقَطْعُ وَالَّذِي قَبْلَهُ فِي أَوَّلِ الدَّوْلَةِ التُّرْكِيَّةِ طُولُ كُلِّ وَصَلٍ مِنْهُ شَبْرَانٌ وَأَرْبَعَةُ أَصَابِعٍ مَطْبُوقَةٌ فَمَا حَوْلَ ذَلِكَ .

المقدار الثامن - قَطْعُ الشَّامِيِّ الْكَامِلِ . وَعَرَضُ دَرَجِهِ عَرَضُ الطُّومَارِ الشَّامِيِّ فِي طُولِهِ ؛ وَهُوَ قَلِيلُ الْأَسْتِعْمَالِ بِالذِّيَّوَانِ ، إِلَّا أَنَّهُ رُبَّمَا كُتِبَ فِيهِ بَعْضُ لِكَاتِبَاتِ ، كَمَا كُتِبَ فِيهِ عَنِ الْأَشْرَفِ شَعْبَانَ بْنِ حُسَيْنٍ لَوَالِدَتِهِ حِينَ سَافَرَتْ إِلَى الْحِجَازِ الشَّرِيفِ .

المقدار التاسع - القَطْع الصغير . وهو في عَرْض ثلاثة أصابع مطبوقَةٌ من الورق المعروف بورق الطَّيْر، وهو صِنْف من الورق الشامي رقيقٌ للغاية . وفيه تُكْتَب ملطفات الكُتُب وبطاقق الحمام .

الجملة الثانية

(في مقادير الورق المستعملة بدواوين الإنشاء بالممالك الشامية :

دمشق ، وحلب ، وطرابلس ، وحمّاء ، وصَفدَا ، والكرك .

في المكاتب والولايات الصادرة عن النواب بالممالك ،

وهي لا تُخْرَج عن أربعة مقادير)

المقدار الأول - قطع الشامي الكامل : وهو الذي يكون عَرْضُه عَرْض الطومار الشامي الكامل في طوله على ما تقدم فيه . وفيه يُكْتَب عن النواب لأعلى الطبقات من أرباب التّواقيع والمراسيم ليس إلا .

المقدار الثاني - قطع نصف الحموي . وعَرْض دَرَجُه عَرْض نصف الطومار الحموي ، وطوله بطول الطومار . وفيه يُكْتَب للطبقة الثانية من أرباب التواقيع والمراسيم الصادرة عن النواب .

المقدار الثالث - قطع العادة من الشامي . وعَرْض دَرَجُه سدس ذراع بذراع القماش المصري في طول الطومار أو دُونَه . وفيه يُكْتَب للطبقة الثالثة من أرباب التواقيع والمراسيم الصادرة عن النواب وعامة المكاتب الصادرة :

عن التَّوَابِ إِلَى السُّلْطَانِ فَمَنْ دُونَهُ مِنْ أَهْلِ الْمَمْلَكَةِ وَغَيْرِهِمْ ، إِلَّا أَنْ نَائِبَ الشَّامِ وَنَائِبَ الْكُرْكِ قَدْ جَرَتْ عَادَتُهُمَا بِصُدُورِ الْمَكَاتِبَاتِ عَنْهُمَا فِي الْوَرَقِ الْأَحْمَرِ دُونَ غَيْرِهِمَا مِنَ التَّوَابِ .

المقدار الرابع - قَطْعُ وَرَقِ الطَّيْرِ الْمُقَدَّمِ ذَكَرَهُ فِي آخِرِ الْمَقَادِيرِ الْمُسْتَعْمَلَةِ بِالْأَبْوَابِ السُّلْطَانِيَّةِ بِالْدِيَارِ الْمِصْرِيَّةِ . وَفِيهِ تُكْتَبُ الْمَلَطَّفَاتُ وَالْبَطَائِقُ عَلَى مَا تَقَدَّمَ .

قلت : هذه مقادير قطع الورق بالديار المصرية والبلاد الشامية . أما غير مملكة الديار المصرية من الممالك ، فالحال فيها يختلف في مقادير الورق المستعمل بدواوينها . فأما بلاد المشرق فعلى نحو المقادير المتقدمة . وأما بلاد المغرب والسودان وبلاد الفرنج ، فعادة كتابتهم في طومار واحد ، يزيد طولُه على عرضه قليلا ، ما بين صغير وكبير بحسب ما يقتضيه حال المكتوب .

الجملة الثالثة

(في مقادير قطع الورق الذي تجرى فيه مكاتبات أعيان الدولة

من الأمراء والوزراء وغيرهم بالديار المصرية

والبلاد الشامية)

وهو قطع العادة من البلدى بالديار المصرية ، ومن الشامى بالبلاد الشامية .

الفصل الثاني

من الباب الثاني من المقالة الثالثة

(في بيان ما يناسب كل مقدار من مقادير قطع الورق المتقدمة الذكر
من الأقلام ، ومقادير البياض الواقع في أعلى الدرج وحاشيته ،
وبعد ما بين السطور في الكتابة . وفيه طرفان)

الطرف الأول

(فيما يناسب كل مقدار منها من قطع الورق من الأقلام)

قد ذكر المقر الشهابي بن فضل الله في كتابه " التعريف " في آخر القسم الثاني
ما يناسب كل مقدار من مقادير الورق المستعملة بديوان الإنشاء بالديار المصرية
من أقلام الخط المنسوب فقال : إن لقطع البغدادي قلم مختصر الطومار ، ولقطع
الثخين قلم الثلث الثقيل ، ولقطع النصف قلم الثلث الخفيف ، ولقطع الثلث قلم
التوقيعات ، ولقطع العادة قلم الرقاع . ومن ذلك يعلم ما يناسب كل قطع من مقادير
القطع المستعملة بدواوين الإنشاء بالممالك الشامية . فيناسب الشامي الكامل قلم
التوقيعات : لأنه في مقدار قطع الثلث البلدي أو قريب منه ، ويناسب نصف
الحموي والعادة من الشامي قلم الرقاع ، لأنهما في معنى القطع المنصوري والعادة
بالديار المصرية . أما قلم الجناح لكتابة بطائق الحمام به . وأما ما كان يكتب به الخلفاء

(١) عبارة الضوء للزلف ج ١ ص ١٥٤ : ١٦٠ " ويناسب قطع الحموي والعادة من الشامي قلم الرقاع

لانهما في معنى العادة ، ويناسب ورق الطير الذي تكتب فيه البطائق والمطلقات قلم الفبار ولذلك يسميه بعض

الكتاب قلم الجناح الخ " وهي واضحة .

أسماءهم في الزمن القديم وبه يكتب الملوك أسماءهم الآن ، فقلم الطومار : وهو القلم
الجليل الذي لأقلم فوقه . وقد تقدم الكلام على هذه الأقلام في بيان ما يحتاج إليه
الكاتب في أواخر المقالة الأولى .

الطرف الثاني

(في مقادير البياض الواقع في أول الدرّج ، وحاشيته

وبعد ما بين السطور في الكتابة)

أما مقدار البياض قبل البسملة ، فيختلف في السلطانيات باختلاف قطع الورق ،
فكلما عظم قطع الورق ، كان البياض فيه أكثر : فقطع البغدادي يُترك فيه ستة أوصالٍ
بياضا ، وتكتب البسملة في أول السابع ؛ و قطع الثلثين يُترك فيه خمسة أوصال ؛
وقطع النصف يُترك فيه أربعة أوصال ؛ و قطع الثلث يُترك فيه ثلاثة أوصال ؛ و قطع
المنصوريّ والعادة تارة يُترك فيه ثلاثة أوصال ، وتارة يُترك فيه وصلان ، بحسب
ما تقتضيه الحال . و قطع الشاميّ الكامل في معنى قطع الثلث ؛ و قطع نصف الحمويّ
والعادة من الشاميّ في معنى القطع المنصوريّ والعادة في البلديّ . وربما اجتهد
الكاتب في زيادة بعض الأوصال وتقصانها بحسب ما تقتضيه الحال . وفي المكاتبات
الصادرة عن سائر أرباب الدولة مصرّاً وشاماً يُترك في جميعها قبل البسملة وصل
واحد فقط . وفي كتابة الأذنيّ إلى الأعلى يُترك بعض وصل .



وأما حاشية الكتاب ، فبحسب اجتهاد الكاتب فيه في السعة والضيق . وقد رأيت
بعض الكُتاب المعتبرين يقدر حاشية الكتاب بالربع من عرض الدرّج ، وهو اعتبار
حسن لا يكاد يخرج عن القانون .



وأما بُعد ما بين السطور ، فيختلف باختلاف حال المكتوب واختلاف قطع الورق : ففي السلطانيات كلها على اختلاف قطع الورق فيها تكتبُ البسمة في أول الفصل بعد ما يُترك من أوصال البياض في أعلى الدُّرَج بحسب ما تقتضيه الحال ؛ ثم يُكتب تحت البسمة سطرٌ ملاصقٌ لها بحسب ما يقتضيه وضعُ القلم المكتوب به في القُرب والبُعد ، بحسب الدقة والغلظ ؛ ثم يُكتب السطر الثاني في آخر الوصل الذي كُتبت البسمة في أوله ، بحيث يبقى من الوصل ثلاثة أصابع مطبوقة أو نحوها في القطع الكبير ، وقدرُ إصبعين في القطع الصغير ، وما بينهما بحسبه .

وقد قدر صاحبُ «مواد البيان» البياض الباقي بين السطر الأول والثاني أيضا .^(١) وهذا إنما يُقارب في القطع الكبير . وقد ذكر ابن شيث في «معالم الكتابة» . - وكان في آخر الدولة الأيوبية فيما أُظنُّ - أن مقدار ما بين كل سطرين يكون ثلاثة أصابع أو أربعة أصابع . والذي جرت به عادةُ الكُتَّاب في زماننا أنه يكون في قطع العادة والمنصوري في كل وصل من أوصال الزمان ثلاثة أسطر ، وفيما عداه سطران . وربما وقع التفاوت في القطع الصغير بحسب الحال حتى يكون في التواقع التي على ظهور القصص ونحوها بين كل سطرين بُعد بيت العلامة قدرُ إصبعين ؛ وربما توصلت الأسطر كما في اللطفات ونحوها .

أما ما يُكتب عن النواب من الولايات والمكاتب من سائر أعيان الدولة ، فدُونَ السلطانيات في مقدار خلو موضع العلامة ، وهو ما بين قدر خمس أصابع مطبوقة ونحوها ؛ وقدرُ [بُعد] السطور فيما بُعد بيت العلامة من قدرِ إصبعين إلى مادونهما .

(١) عبارة الضوه نقلا عن مواد البيان " بين السطر الأول والثاني بقدر شبر " .

(٢) لعله من أوصاله أي العادة أو المنصوري . انظر الضوه ص ٤١٧ .

الباب الثالث

من المقالة الثالثة

(في بيان المستندات ، وكتابة الملخصات ، وكيفية التعيين . وفيه فصلان)

الفصل الأول

(في بيان المستندات : وهي التوقيع على القصص ومايجرى مجراه ،

وما يحتاج فيه إلى كتابة المستندات ، وهو على ضربين)

الضرب الأول

(السلطانيات ، وهي صنفان)

الصنف الأول

(ما يصدر عن متولى ديوان الإنشاء : كولايات النواب والقضاة وغيرهما

من أرباب الوظائف ، والتواقيع التي تكتب في المسامحات

والإطلاقات ، ومكاتب البريد الخاصة بالأشغال السلطانية ،

وأوراق الطريق وما يجرى مجرى ذلك)

وجميعها معدودة بنظر صاحب ديوان الإنشاء . فما كان منها جليل الخطر
كولايات النواب والقضاة وأكابر أرباب الوظائف والمكاتب المتعلقة بمهمات
السلطنة ، فلا بد من مخاطبة صاحب ديوان الإنشاء فيها واعتماد مايرز به أمره .
وما كان منها حقيراً بالنسبة إلى مخاطبة السلطان فيه استقل فيه بما يقتضيه رأيه .

ثم من ذلك ما يكتب به صاحب الديوان رقاعاً لطيفة بخطه ويعينها على الكاتب
الذى يكتبها وتدفع إليه لتخاد عنده شاهداً له ، كالولايات والمسامحات والإطلاقات

والمكاتبات المتعلقة بأمور المملكة ونحو ذلك . ومن ذلك ما يبرز به أمر صاحب الديوان مشافهة فيكتبه من غير شاهد عنده ، وذلك في الأمور التي لا درك فيها على الكاتب ، كتقاليد النواب وبعض المكاتبات ، إذ لا تهمّة تلحق كاتب الإنشاء في مثل ولاية نائب كبير أو قاض حفييل : لأن مثل ذلك لا يخفى على السلطان ، فأشبهه خطاب صاحب الديوان فيها الكاتب خطاب السلطان صاحب الديوان حيث لا شاهد عليه إلا الله تعالى ، بخلاف الأمور التي يلحق كاتبها الدرك ، فإنه لا بد في كتابتها من تخليد شاهد . وكان الواجب أن لا يكتب حقيراً ولا جليل إلا بشاهد من صاحب الديوان ، فإن الأمور تترام وتكثر ، والإنسان معرض للنسيان ، وربما عرض إنكار بسبب ما يكتبه الكاتب ونسيه صاحب الديوان فيكون الكاتب قد عرض نفسه لأمر عظيم . ولا يقاس الكاتب على صاحب الديوان في عدم أخذه شاهداً بخط السلطان ، فإن صاحب الديوان هو المتصرف حقيقة ، والسلطان وكل جميع أمور المملكة إليه ، فلا يتهم في شيء منها ، بخلاف الكاتب .

وقد ذكر أبو الفضل الصوري في "تذكرته" أن المكتوب من الديوان إن كان مكتوبة فالواجب أن يكون عنوانها بخط متولى الديوان ، وإن كان منشوراً فالواجب أن يكون التاريخ بخطه ليُدل على أنه وقف على المكتوب وأمضى حكمه ورضيه ، ويكون ذلك قد قام مقام كتابة اسمه فيه . ثم قال : وقد كان الرسم بالعراق - وفيه الكتاب الأفاضل - أن يكتب الكتاب ما يكتبون ثم يقولون في آخره : « وكتب فلان بن فلان » باسم متولى ديوان الرسائل . وما ذكره عن أهل العراق قد ذكر نحوه جعفر النحاس في "صناعة الكتاب" ، إلا أنه قد جعل بدل اسم متولى الديوان اسم الوزير [فقال] ويكتب في آخر الكتاب « وكتب فلان بن فلان » باسم الوزير واسم غيره . وقد رأيت نسخاً عدة من سجلات الخلفاء الفاطميين بالديار المصرية

مستشهداً فيها باسم الوزير علي النهج المذكور . على أنه كان الواجب أن يكون
الاستشهاد في آخر كل كتاب باسم كاتبه الذي يكتبه ليُعلم من كتبه ، فإن الخطوط
كثيرة التشابه ، لاسيما وقد كثُر كُتَّاب الإنشاء في زماننا وخرجوا عن الحد ، حتى إنه
لم يعرف بعضهم بعضاً فضلاً عن أن يعرف خطه . وقد كان كُتَّاب النبي صلى الله
عليه وسلم إذا سجَّلوا عنه سجِّلاً أو نحوه كتب الكاتب في آخره «وكتب فلان
ابن فلان» . وهذه الرقعة التي كتبها النبي صلى الله عليه وسلم لتيم الدارِى بإقطاع
قرى من قرى الشام موجودة بأيدى التميميين إلى الآن مستشهداً فيها بخط أمير المؤمنين
علي بن أبي طالب كرم الله وجهه . وإنما عدَّلوا عن اسم الكاتب نفسه إلى اسم
متولى الديوان أو الوزير استصفاً للكاتب أن يستشهد للكاتب باسمه فيما يكتب به
عن الخليفة . قال أبو هلال العسكري في كتابه «الأوائل» : وقد قالوا إن أول
من كتب في آخر الكتاب «وكتب فلان بن فلان» أبي بن كعب رضي الله عنه .

الصنف الثاني

(ما يصدر عن غير صاحب ديوان الإنشاء : كالأمر التي يكتب بها من

الدواوين السلطانية غير ديوان الإنشاء وتلمس الكتب من

ديوان الإنشاء على مقتضاها ، كالمكتبات الخاصة بتعلقات

شئ من الدواوين المذكورة ، وبعض التواضع

التي أصلها من ديوان الوزارة)

ويُحصَر ذلك في أربعة دواوين :

الديوان الأول - ديوان الوزارة : وهو أعظمها خطراً . وأجلها شراً .

وقد جرت العادة أنه إذا دعت الضرورة إلى كتابة كتاب من ديوان الإنشاء يتعلّق بديوان الوزارة أن تُكتب به قائمة من ديوان الوزارة في ورقة ديوانية بما مثاله : « رَسِمَ بالأمر الشريف - شرفه الله تعالى وعظمه - أن يُكتب مثالُ شريف إلى فلانِ الفلاني بكذا وكذا » . وكيفية وضع هذه القائمة أن يكون السطرُ الأولُ في رأس الورقة من الوجه الأول منها، وآخره « شرفه الله تعالى وعظمه » وبينه وبين السطر الثاني قدرُ إصبعين معترّضين بياضا، وباقي السطور مسترسلة متقاربة بقلم الرقاع، ويكتب الوزير في البياض الذي بين السطر الأول والثاني بقلم الثلث ما مثاله : « يُكتب » . ويوجه بالقائمة إلى ديوان الإنشاء صحبة مدير من ديوان الوزارة أو غيره، فيكتب على حاشيتها يُكتب بذلك، ويُعيّن على بعض كُتاب الإنشاء فيكتب مثلا بما فيها، ويخُدّ القائمة عنده شاهداً له، وربما خُدّت بديوان الإنشاء في جملة ما يخُدّ في الأضابير شاهداً لديوان الإنشاء، والأول هو الأليق .

وإن كان الذي يُكتب من ديوان الوزارة توقيعاً باطلاقاً أو نحوه مما أصله من ديوان الوزارة، كتب الوزير على حاشية قصة صاحبه ما مثاله « يكتب بذلك، أو يُوقّع بذلك » وتبعث إلى ديوان الإنشاء فيكتب عليها صاحب ديوان الإنشاء بالتعيين . ثم إن كان التوقيع مُلصقاً بقصة فذاك، وإلا خلد الكاتبُ القصة شاهداً عنده على ذلك، وربما كُتب بالإطلاقات من ديوان الوزارة مُربعات بخطّ مُستوفي الصحبة .

الديوان الثاني - ديوان الخاص :

وهو في كتابة الأمثلة الشريفة على مامر من كتابة القائمة ليخرج المثل على نظيرها، على ما تقدم في ديوان الوزارة . فتكتب القائمة على الحكم المتقدم من غير فرق،

ويكتب ناظر الخاص عليها نظير كتابة الوزير السابقة ، ويوجه بها إلى ديوان الإنشاء فيكتب عليها بالتعيين كما تقدم ، ويخدد الكاتب القائمة عنده شاهداً له ، أو يُخَلدُ بديوان الإنشاء على ما تقدم في ديوان الوزارة . ولا يُكْتَبُ من ديوان الخاصّ توابعُ بإطلاقات ونحوها بل تُكْتَبُ بها مراسيمُ مربعة في ورقٍ شامئٍ بنخطٍ مباشرٍ ديوان الخاصّ .

الديوان الثالث - ديوان الإستدارية :

وحكمه في ذلك حكم ديوان الخاصّ من غير فرق ، ويكتب الإستدَار عليها كما يكتب الوزير وناظر الخاص ، ويبعث بها إلى ديوان الإنشاء ، فيجرى الحكم فيها على ما تقدم في الديوانين المذكورين .

الديوان الرابع - ديوان الجيش :

والذي يرد إلى ديوان الإنشاء منه ابتداءً هي المربعات التي تُكْتَبُ بالإقطاعات لتخرج المناشير على نظيرها .

وصورتها أن يُكْتَبُ في نصف فرخة مكسورة في القطع البلديّ بعد البسملة الشريفة مأمثاله « المرسوم بالأمر العالي ، المولويّ ، السلطانيّ ، الملكيّ ، الفلانيّ ، الفلانيّ ، أعلاه الله تعالى وشرفه ، وأنفذه وصرفه ، أو أعلاه الله تعالى وأسماءه ، وشرفه وأمضاه ، أن يُقَطَّع باسم فلانٍ الفلانيّ - أحدِ الأمراء المقدمين ، أو الطبلخانات ، أو العشرات ، أو الخمسات - بالمكان الفلانيّ ، أو أحدِ الممالك السلطانية ، أو مقدمي الحلقة ، أو أجناد الحلقة ، بالمكان الفلانيّ المرسوم استقراره في أمراء العشرات ، أو الطبلخانات ، أو المقدمين ، أو نحو ذلك - مرسوم له به الآن من الإقطاع » .
فإن كان أميراً قيل بعد ذلك : « لخاصته ولمن يستخدمه من الأجناد الجياد للخدمة الشريفة ، والبرك التام ، والعدة الكاملة ، بمقتضى المثال الشريف ، أو الخطّ

العالي الكافلي، أو بمقتضى الإشهاد المشمول بالخط الشريف، أو الخط الكافلي على نظير ما تقدم « أو « بمقتضى المربعة المكتبة من المملكة الفلانية المشمولة بالخط الشريف » إن كان أصله مربعة من بعض الممالك وما أشبه ذلك . فإن كان أميرا ذكرت عتته على ما سيأتي في الكلام على المناشير في المقالة الخامسة . ثم يقال : « حسب الأمر الشريف » ويكمل التاريخ « والحمد لله ، والصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم » ويُنعث بها إلى ديوان الإنشاء فيكتب عليها صاحب الديوان بالتعيين على بعض كُتاب الإنشاء ، فيكتبها ويخلد المربعة شاهداً عنده .

الضرب الثاني

(ما يتعلق بالكُتب في المظالم ، والنظر فيه من وجهين)

الوجه الأول

(فيما يتعلق بالقِصص)

وهي تُرفع إلى ولاة الأمور بحكاية صورة الحال المتعلق بتلك الحاجة ، وسميت قصصاً على سبيل المجاز، من حيث إن القصة أسم للمحكى في الورقة لا لنفس الورقة . وربما سُميت في الزمن القديم رقاعاً لصغر حجمها ، أخذاً من الرقعة في الثوب .

ثم الذي يجب في هذه القِصص الإيجاز والاختصار مع تبليغ الغرض المطلوب والقرب من فهم المخاطب ، فإنها متى كانت خارجة عن الحد في الطول ، أدت إلى الإضجار والسامة المنفرين للرؤساء . وربما كان في ذلك حرمان الطالب ودفعه عن حاجته : إما للإعراض عنها استئقلاً ، وإما لعدم فهم المقصود منها لطولها واختلاط بعض مقاصدها ببعض . وأما كونها مبلغة للغرض المطلوب وفهم المخاطب ،

فلانها إذا كانت بصدد الاختصار المجحف والتعقيد، نبأ عنها فهم الرئيس ومجها سمعه :
فإما أن يعرض عنها فيفوت على صاحبها المطلوب، وإما أن يسأل غيره عن معناها
فيكون سبباً لتزله عن عزّ الرياسة إلى ذلّ السؤال، وكلاهما غير مستحسن .

وقد جرت العادة في مثل ذلك أن يخلّى من أول الورقة قليلاً ، ويجعل لها هامش
بحسب عرضها ، ويتبدأ فيها بالبسملة ثم يكتب تحت أول البسملة : « المملوكُ
فلان يقبل الأرض ، وينهي كذا وكذا » إلى آخر إنهائه : ثم يقال : « وسؤاله كذا
وكذا » فإن كان السؤال للسلطان قال : « وسؤاله من الصدقات الشريفة كذا وكذا »
وإن كان السؤال لغير السلطان قال : « وسؤاله من الصدقات العميمة كذا وكذا » .
ثم إن كان المسؤل كتاباً : فإن كان عن السلطان قال : وسؤاله مثلاً شريفٌ بكذا
وكذا ، وإن كان عن غير السلطان قال : « مثلاً كريمٌ بكذا وكذا » ثم يقول إن شاء
الله تعالى ، ويحمد الله تعالى ويصلى على النبي صلى الله عليه وسلم ويحسب . وربما
كتب « المملوك فلان » بحاشية القصة ، خارجاً عن سمت البسملة . وربما أبدل
لفظ المملوك بلفظ الفقير إلى الله تعالى . ويقال حينئذ بدل « يقبل الأرض »
« يتهدى إلى الله تعالى بالأدعية الصالحة » أو « يواصل بالأدعية الصالحة »
ونحو ذلك .

وقد جرت العادة في كتابة القصص أن صاحبها إن كان أميراً ونحوه كتب تحت
البسملة « الملكي الفلاني » بلقب سلطانه ، مخلياً بياضاً من جانبيها . على أنه قد
تصدى لكتابة القصص من لا يفرق بين حسنها وقبيحها ، ولا ينظر في دلالتها ،
ولا يراعى مدلولها . وذلك كسنة الزمان في أكثر أحواله .

قلت : وقد جرت عادة أكثر الناس في القِصص أنه إذا فرغ الكاتب من كتابة القِصة يقطع قليلا من زاويتها اليمنى من الجهة السفلى ، مستندين في ذلك إلى كراهة الترتيب .

(١)

ومن غريب ما يُحكى في ذلك أن بعض الوزراء قال يوما يجلس وأنا وليت الوزارة رابع ربيع الأول سنة أربع وأربعين وأربعمائة - فقال له بعض جلسائه : إن تفاعلت أنت به فقد تطيرنا نحن به . ولا شك أن مستندهم في ذلك التشاؤم بالترتيب في القرآن النجومى ، ولا يُعول عليه . وقد ورد أن حوض النبي صلى الله عليه وسلم في القيامة زواياه على الترتيب ، ولولا أن الترتيب أحسن الأشكال لما وُضع عليه حوض النبي صلى الله عليه وسلم .

الوجه الثاني

(فيما يتعلق بالنظر في المظالم ، وما يكتب على القِصص ،

وما ينشأ عنها من المساءلات وغيرها)

وهو أمر مهم ، به يقع إنصاف المظلوم من الظالم ، وخلاص المحق من المبطل ، ونصرة الضعيف على القوى ، وإقامة قوانين العدل في المملكة . وقد نبه أبو الفضل الصورى في "تذكرته" على جلالته هذا القدر وخطره ، ثم قال : ومن المعلوم أن أكثر المتظلمين يصلون من أطراف المملكة ونواحيها . وفيهم الحرم والمنقطعات

(١) بياض في الأصول بقدر كلمتين .

والأيتام والصعاليك ، وكل من يفد منهم معتقداً أنه يصير إلى من ينصره ويكشف
ظلامته ويُعديه على خصمه . فيجب أن يتلقى كل منهم بالترحاب واللطف ،
ويُنَدَّب لهم من يحفظ رقاعهم ويتنجز التوقيع فيها من غير آلتماس رشوة ولا فائدة
منهم ، وأن تكون التوقيعات لهم شافية في معانيها ، مستوعبة لكشف ظلاماتهم ،
مؤذنة بإنجاح طلباتهم .

قال أبو هلال العسكري : في كتابه " الأوائل " : كان المهدي يجلس للظالم
وتُدخل القِصص إليه ، فارتشى بعض أصحابه بتقديم بعضها ، فاتخذ بيتاً له شبكاً
حديداً على الطريق تُطرح فيه القِصص ، وكان يدخله وحده فيأخذ ما يقع بيده من
القِصص أولاً فأولاً فينظر فيه لئلا يُقدم بعضها على بعض .

قال : وقدم عليه رجل فتظلم فأنصفه فاستخفه الفرح حتى غشي عليه ، فلما أفاق
قال : ما حسبت أني أعيش حتى أرى هذا العدل فلما رأته داخلني من السرور
ما زال معه عقلي - فقال له المهدي : كان الواجب أن تُنصفك في بلدك ، وكان
قد صرف في نفقة طريقه عشرين ديناراً فأمر له بنخسين ديناراً وتحلل منه .

قال أبو الفضل الصوري : ومهما كان من الرقاع يحتاج إلى العرض على السلطان ،
عرضه عليه ، وأحسن السفارة والتلطف فيه ، ووقع بما يؤمر به ، فقد تحدث
في هذه الرقاع الأمور المهمة التي تنتفع بها الدولة ، وتستضر بتأخير النظر فيها ،
ويفهم من طي هذه الرقاع من جور بعض الولاة والمستخدمين ما توجب السياسة
صرفهم عملاً ولوهم منها . ومهما كان منها مما يشك السلطان في صحته ، فدب من يثق به
للكشف مع رافعه ، فإن صح قوله أنصف من خصمه ، وإن بان تمحله قوبل بما

يَرَدُّعُ أمثاله عن الكذب والتمرد؛ ويعلم الولاة والمشارفون وسائر المستخدمين أن السلطان متفرغ للنظر في قصص الناس وشكاويهم ، وقد نصب لذلك من يتفرغ له ويطالعه بالمهم منه فيكف أيديهم عن الظلم ، ويحذرون سوء عاقبة فعلهم ، ويقبل المتظلمون قولا واحدا ، وتحسن سمعة الدولة بذلك فيكون لها به الجمال الكبير .

قلت : والذي يُرفع من القصص في معنى ذلك في زماننا على ستة أنواع .

النوع الأول

منها

(ما يرفع إلى السلطان في آحاد الأيام)

وقد جرت العادة فيه أن يُقرأ على السلطان : فما أمضاه منه كُتب على ظهر القصة ما مثاله « يكتب » ثم تحمل إلى كتب السر فيعيها على بعض كتب الإنشاء ، فيكتب بمقتضاها ويخلدها عنده شاهدا له .

النوع الثاني

(ما يُرفع لصاحب ديوان الإنشاء)

وقد جرت العادة في ذلك أن رافع القصة والمحتاج إلى الأمثلة الشريفة السلطانية في مهماته ومتعلقاته إن كان من الأعيان والمعتبرين كأحد من الأمراء أو المماليك السلطانية وأكابر أرباب الأقلام ، بعث بقصته لديوان الإنشاء ، فيقف عليها صاحب ديوان الإنشاء ويتأملها وينظر ما تضمنته ، فإن كان مما يحتاج فيه إلى مخاطبة السلطان ومؤامراته ، أخذها ليقراها عليه عند حضوره بين يديه ، ويمثل

ما يأمر به فيها، فيكتب بمقتضاه، سواء طابَق سؤال السائل أم لا، ويعينها على كاتب من كُتاب الإنشاء، فيكتب بمقتضاها ويخلدُ القصةَ شاهداً عنده. وهذه المثالات ورقها من ديوان الإنشاء من المرتب السلطاني. وإن كان رافعُ القصة من غير المعتبرين كأحدِ الناس، دفع القصة إلى مدير من مدراء ديوان الإنشاء فيجعل عليها علامةً له، ويجمع كلُّ مديرٍ مامعه من القصص، وترفع إلى صاحب ديوان الإنشاء، فما كان منها غير سائق للكتابة عليه قطعه أو رده، وما كان منها سائفاً كتب عليه وعينه. وربما استشكل بعضها فأخبره ليقراه على السلطان وينظر ما يأمر به فيه فيعتمده. وإذا عينها على كاتب من كُتاب الإنشاء كتب بمقتضاها وخلدُ القصة عنده شاهداً.

النوع الثالث

(ما يُرفع من القصص بدار العدل عند جلوس السلطان للحكم في المواكب)

وقد جرت العادة في ذلك أنه إذا ترتب مجلس السلطان على ما تقدم في ترتيب المملكة أن القصص تُفترق على كاتب السرّ ومن حضر من كُتاب الدست، فيقرأ كاتب السرّ منها ما عن له قراءته، ثم يقرأ الذي يليه من كُتاب الدست، ثم الذي يليه إلى آخرهم، ويشير السلطان برأسه أو يده بإمضاء ما شاء منها، فيكتب كاتب السرّ أو كاتب الدست على تلك القصة بما فيه خلاصُ قلمه، ثم تُحمل إلى ديوان الإنشاء فيعينها على من يشاء من كُتاب الإنشاء فيكتبها، ويخلدُ تلك القصص عنده شاهداً.

النوع الرابع

(ما يُرْفَعُ مِنْهَا لِلنَّائِبِ الْكَافِلِ ، إِذَا كَانَ ثُمَّ نَائِبٌ)

وقد جرت العادة أن النائب يكون عنده كاتبٌ من كُتَّابِ الدَّسْتِ يجلس بين يديه لقراءة القِصَصِ عليه ، وتنفيذ ما يُكْتَبُ عنه . فإذا رُفِعَت القِصَّةُ إلى النائب الكافل قرأها عليه كاتبُ الدَّسْتِ وأمثل أمره فيها ، وأصلح في القِصَّةِ ما يجب إصلاحه ، وضرب على ما يجب الضربُ عليه ، وزاد بين سطوره ما تقتضيه الزيادة ؛ ثم تُدْفَعُ القِصَّةُ إلى النائب الكافل ، فيكُتَبُ على حاشيتها في الوَسْطِ آخِذاً من جهة أسفلها إلى جهة أعلاها بقلمٍ مختصر الطُّومار مأمثاله « يُكْتَبُ » ثم تحملُ بعد ذلك إلى كاتب السرفيعينها على بعض كُتَّابِ الإنشاء فيكُتَبُها .

النوع الخامس

(ما يُرْفَعُ مِنَ الْقِصَصِ إِلَى الْأَتَابِكِ ، إِذَا كَانَ فِي الدَّوْلَةِ)

أَتَابِكُ عَسْكَرٍ : وَهُوَ الْأَمِيرُ الْكَبِيرُ)

وغالب ما يكون ذلك إذا كان السلطان طفلاً أو نحو ذلك . وقد جرت العادة أن يكون عند الأتابك كاتبٌ من كُتَّابِ الدَّسْتِ أيضاً ، فإذا رُفِعَت القِصَّةُ إلى الأتابك : فإن كان الأمر فيها واضحاً تخلص حقاً أو نحوه ، كتب كاتبُ الدَّسْتِ على حاشيتها ما تقتضيه الحال في ذلك من غير قراءتها على الأتابك . وإن كان الأمر فيها غير واضح كما إذا كان الأمر راجعاً إلى مُنَازَعَةِ خَصْمَيْنِ ونحو ذلك ، قرأها على الأتابك وأمثل أمره فيها ، وكتب عليها ما برز به مرسومه . وفي كلتا الحالتين جرت العادة في زماننا [أنه يعمد] إلى أشهر حريف في أسم الأتابك فيرقمه في آخر ما يكتبه أو تحته ؛ كما كان يُكْتَبُ عن برقوق قبل السلطنة (ق) وعن إيتمش (ش) وعن نوروز (ن) ونحو ذلك .

النوع السادس

(ما يُرْفَعُ مِنْهَا لِلدَّوَادِرِ لِعَلَّقِ عَنْهُ الرِّسَالَةُ عَنِ السُّلْطَانِ بِهِ)

وَأَعْلَمُ أَنَّ الْعَادَةَ كَانَتْ جَارِيَةً فِي الزَّمَنِ الْمَتَقَدِّمِ أَنَّ السُّلْطَانَ إِذَا أَمَرَ بِكِتَابَةِ شَيْءٍ عَلَى لِسَانِ أَحَدٍ مِنَ الدَّوَادِرِ ، حَمَلَ بَرِيدِيٌّ مِنَ الْبَرِيدِيَّةِ الرِّسَالَةَ لِذَلِكَ عَنْ ذَلِكَ الدَّوَادِرِ إِلَى كَاتِبِ السَّرِّ فَيَسْمَعُ كَلَامَ الْبَرِيدِيِّ وَيَكْتُبُ عَلَى الْقِصَّةِ إِنْ كَانَتْ أَوْ وَرَقَةً مَفْرُودَةً مِثَالَهُ : «حَضَرَتْ رِسَالَةٌ عَلَى لِسَانِ فُلَانِ الْبَرِيدِيِّ بِكَذَا وَكَذَا» وَيَعِينُهُ عَلَى مَنْ يَكْتُبُهُ مِنْ كُتَّابِ الْإِنْشَاءِ . وَلَمْ يَزَلِ الْأَمْرُ عَلَى ذَلِكَ إِلَى الدَّوَالَةِ النَّاصِرِيَّةِ «مُحَمَّدُ بْنُ قَلَاوُونَ» فَأَفْرَدَ الْمُقَرَّرُ الشَّهَابِيُّ بْنُ فَضْلِ اللَّهِ صَاحِبُ دِيْوَانِ الْإِنْشَاءِ كَاتِبًا مِنَ كُتَّابِ الْإِنْشَاءِ لِعَلْقِ الرِّسَالَةِ ، فَصَارَ يَكْتُبُ مَا كَانَ كَاتِبُ السَّرِّ يَكْتُبُهُ مِنْ ذَلِكَ عَلَى الْقِصَصِ أَوْ الْوَرَقَةِ الْمَفْرُودَةِ ثُمَّ تُرْفَعُ إِلَى كَاتِبِ السَّرِّ فَيَكْتُبُ عَلَيْهَا بِالْأَمْرِ بِكِتَابَتِهَا ، وَيَعِينُهَا عَلَى مَنْ يَكْتُبُ بِمَقْتَضَاهَا ، وَتُخَلَّدُ الْقِصَّةُ أَوْ الْوَرَقَةُ الَّتِي عُلِّقَتْ فِيهَا الرِّسَالَةُ عِنْدَهُ شَاهِدًا لَهُ . وَاسْتَمَرَ ذَلِكَ إِلَى مُبَاشَرَةِ الْقَاضِي فَتِيحِ الدِّينِ بْنِ شَاسٍ أَحَدِ كُتَّابِ الدِّسْتِ عِنْدَ الدَّوَادِرِ ، وَالدَّوَادِرُ يَوْمَئِذٍ الْأَمِيرُ يُونُسُ النَّوْرُوزِيُّ ، فَأَذِنَ لَهُ كَاتِبُ السَّرِّ فِي تَعْلِيْقِ الرِّسَالَةِ عَنِ الْأَمِيرِ يُونُسِ الدَّوَادِرِ عَلَى ظُهُورِ الْقِصَصِ وَغَيْرِهَا فَفَعَلَ . وَكَانَ يَكْتُبُ عَلَى حَوَاشِي الْقِصَصِ فِي وَسْطِ الْقِصَّةِ آخِذًا مِنْ جِهَةِ الْيَمِينِ إِلَى جِهَةِ الْيَسَارِ بِمِثْلَةِ إِلَى الْأَعْلَى بِقَلَمٍ دَقِيقٍ مُتَلَاصِقِ الْأَسْطُرِ مِثَالَهُ : «رَسِمَ بِرِسَالَةِ الْجَنَابِ الْعَالِي الْأَمِيرِيِّ الْكَبِيرِيِّ الشَّرَفِيِّ يُونُسِ الدَّوَادِرِ الظَّاهِرِيِّ - ضَاعَفَ اللَّهُ تَعَالَى نِعْمَتَهُ - أَنْ يُكْتُبَ مِثَالُ شَرِيفٍ بِكَذَا أَوْ تَوْقِيعُ شَرِيفٍ بِكَذَا» وَمَا أَشْبَهَ ذَلِكَ ، وَيُؤَرِّخُهُ بِيَوْمِ الْكِتَابَةِ ، ثُمَّ تَحْمَلُ إِلَى كَاتِبِ السَّرِّ فَيَكْتُبُ عَلَيْهَا بِالْأَمْرِ بِالْكِتَابَةِ ، وَيَعِينُهَا

على كاتبٍ من كُتَّاب الإنشاء، فيكتب بمقتضاها ويخلدها شاهداً عنده . وجرى الأمر على ذلك بعده إلى آخر وقت .

قلت : وقد كان في الدولة الفاطمية كاتبٌ مفرد لتعليق الرسالة عن الخليفة، يسمى صاحبَ القلم الدقيق ، يعلق ما تبرز به أوامر الخليفة في الرقاع وحواشي القصص ، وتحمل إلى ديوان الوزارة ، فيتمدها الوزير ، ويبرز أمره إلى ديوان الإنشاء باعتمادها وكتابة ما فيها ، على ما تقدم ذكره في ترتيب الخلافة الفاطمية بالديار المصرية في المقالة الثانية .

الفصل الثاني

(في تعيين كيفية كتابة صاحب ديوان الإنشاء على الرقاع)

والقصص ، وتعيينها على كُتَّاب الإنشاء)

ويختلف الحال في ذلك باختلاف حال الكاتب المعين عليه وحال الرقعة المعينة . وأما اختلافه باختلاف حال من يعين عليه . فإنه إن كان المعين عليه كاتباً من كُتَّاب الدست ، كتب له كاتب السر في التعيين : « المولى ، القاضي ، فلان الدين ، أعزّه الله تعالى » وربما رفع قدره على ذلك فيكتب له : « المولى ، الأخ ، فلان الدين ، أعزّه الله تعالى » . وإن كان من كُتَّاب الدرّج : فإن كان كبيراً كتب له : « المولى فلان الدين » . وإن كان صغيراً ، كتب له : « الولد فلان الدين » وربما وقع التمييز لبعض كُتَّاب الدست أو كُتَّاب الدرّج للتقدم والرجحان في كتبهم : « المولى ، الشيخ فلان الدين » أو « الشيخ فلان الدين » .



وأما اختلافه باختلاف حال المكتوب الذى يعين ، فإنه إن كان قصة بظاها
خط السلطان «يُكْتَب» فوضع كتابة التعيين تحت خط السلطان بظاها القصة ،
ولا كتابة له عليها غير ذلك .

وإن كان رُقعةً جميعها بخط كاتب السر ، فإنه يكتب فيها «يكتب بكذا وكذا»
ثم يكتب التعيين بأول ذيلها .

وإن كان قصة رفعت إلى كاتب السر ، فإنه يكتب على حاشيتها في أطرافها
أخذاً من جهة أسفل القصة إلى أعلاها ما مثاله : «يُكْتَب بذلك» أو «يكتب
بكذا وكذا» ثم يُكْتَب التعيين بحاشيتها أسفل ذلك في عرض الحاشية مُمَيْلاً للكتابة
إلى جهة الأعلى قليلاً .

وإن كان قصة عليها خط النائب الكافل ، فإنه يكتب عليها بالتعيين ليس إلا ،
وموضع التعيين فيها بحاشية القصة أسفل خط النائب .

وإن كان قصة قد كتب بهامشها مرسوم الأتابك أو عُلق بحاشيتها رسالة
الدوادار ، كُتِب في جهة أعلى القصة : «يكتب بذلك» وعلى التَّوْب منه التعيين .
وإنما يُكْتَب هنا في جهة أعلى القصة وفيما عليه خط النائب الكافل في جهة أسفلها
لأن التعليق الذى على الهامش فيما عُلق عن مرسوم الأتابك أو رسالة الدوادار بحاشية
كاتب الدست الذى فى خدمته ، بخلاف ما عليه خط النائب بنفسه .

وإن كان الذى يقع فيه التعيين قائمة من ديوان الوزارة ، أو ديوان الخاص
أو ديوان الإستدار ، كتب بهامش القائمة من أعلاها مقابل كتابة المتحدث على ذلك
الديوان ما مثاله : «يُكْتَب بذلك» ثم يكتب التعيين تحته على القُرْب منه .

وإن كان الذي يقع فيه التعيين مربعة إقطاع من ديوان الجيش، كتب بالتعيين في آخرها مقابل التاريخ من الجهة اليمنى، ولا كتابة له عليها غير ذلك.

قلت: وقد جرت عادة كتاب السر في زماننا أنه يكتب على القصص ونحوها، "يكتب بذلك" أو "يكتب بكذا وكذا" على ما تقدم بيانه بغير لام في أوله. وكذلك الوزير وناظر الخاص والإستدار يكتبون بغير لام في الأول.

أما القضاة في الإذن بكتابة المحاضر ونحو ذلك فإنهم يكتبون "ليكتب" بإثبات اللام في أوله. وهذه اللام تسمى لام الأمر وقد صرح الإمام أبو جعفر النحاس في "صناعة الكتاب" أنه لا يجوز حذفها. وعلى ذلك ورد لفظ القرءان الكريم كما في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ لِيَقْضُوا تَفَهُمَ وَيُوقُوا نُذُورَهُمْ وَيَطُوفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ﴾.

وقوله: ﴿ثُمَّ لِيَقْطَعَ فَلْيَنْظُرْ هَلْ يُدْهِبَنَّ كَيْدَهُ مَا يَغِيبُ﴾ ونحو ذلك. وحكى جمال الدين ابن هشام في المغنى [جواز حذفها في الشعر كقوله:

فَلَا تَسْتَطِلُّ مِنِّي بَقَائِي وَمُدَّتِي * وَلَكِنْ يَكُنْ لِلْخَيْرِ مِنْكَ نَصِيبُ!

وقسوله:

مُحَمَّدٌ تَفِدَ نَفْسَكَ كُلَّ نَفْسٍ * إِذَا مَا خِفْتَ مِنْ شَيْءٍ تَبَالًا! [(٢)

الطرف الثاني (٢)

(في كتابة الملخصات والإجابة عنها من الدواوين السلطانية)

قد تقدم في الكلام على ما ينظر فيه صاحب الديوان أنه لما كان صاحب ديوان الإنشاء يضيق زمنه عن استيعاب حال الكتب الواردة من الملكة لوفورها واتساع

(١) بيض في الأصول لهذه الجملة، وقد نقلناها من المغنى (ج ١ ص ٣٢٢) والشاعر يحاطب ابنه لما تمى موته.

(٢) لم يتقدم له تقسيم بالأطراف في هذا الباب ولم يذكر الأول حتى يكون هذا ثانيا له نعم قال في عنوان

... منكم في كتاب الملخصات فهو مما وعد به وجل من لا يسهر.

الدولة وكثرة المكاتيب ، ناسب أن يتخذ كاتباً يتصفح الكتب الواردة ويتأملها ، ويلخص مقاصدها ؛ قال أبو الفضل الصوري في "تذكرته" : والرسم في ذلك أن الكاتب الذي يُقيمه صاحب الديوان يتسلم الكتب الواردة ويُخرج معانيها على ظهورها ، ملخصاً الألفاظ الكثيرة في اللفظ القليل ، غير مخل بشيء من المعنى ولا محزف له ، مُسقطاً فضول القول وحشوه ، كالدعاء والتصدير والألفاظ المترددة .

قال : ويُخرج أيضاً ما يختص بديوان الخراج ، من الأمور التي ترد ضمن الكتب في معنى الخراج في أوراق يُعين فيها الكتب التي وصلت فيها وتاريخها والجهة التي وردت منها ، وينصها على هيتها ، ويوجهها إلى ديوان الخراج ، فيجاب عنها منه ، ويستدعى من متولى ديوان الخراج الجواب عنها ؛ ثم يُعرض جميع ذلك على الملك ، ويستخرج أمره بإمضاء المكاتبه به أو بغيره . فإن كان بخط مخالف للعربي : كالرومي والفرنجي والأرمني وغيرها ، أحضر من يعرف ذلك الخط ممن يوثق به لترجمه في ظهره ، فإن كان ذلك المترجم يُحسن الخط العربي ، كتب بخطه في ظهر الكتاب ما مثاله « يقول فلان : إني حضرت إلى ديوان الإنشاء وتسلمت الرقعة أو الكتاب الذي هذا الخط بظاهره ، وسئلت عن تفسيره فذكرت أنه كذا وكذا » ويسرده إلى آخره « وبذلك أشهدت على نفسي » ويشهد عليه شاهدان : « هذا الذي ذكره بلا زيادة ولا نقص » .

وإن كان الكتاب مشحوناً بالكلام بطناً وظهراً ، نقله بخطه بالقلم الذي هو مكتوب به ، وترجمه على ظاهره بخطه بالعربي . وإن لم يحسن الكتابة بالعربي . كتب عنه الكاتب محضر من الشاهدين وأشهد عليه ليهاب أو يُحجم فيما يقول ، أو يغيره أو ينقصه لأن أكثر من يترجم على مذهب صاحب الخط ، فربما كتم عنه أوداجاً فيه . فإذا خوف بالإشهاد عليه وخشى أن غيره قد يقرؤه على غير الوجه

الذي أشهد به على نفسه ربما أدى الأمانة فيه ، فإذا نُحِصَتِ المَكاتِبُ بظاهاها ،
سُلِّمَت إلى مترلي الديوان ليقابل ظاهرها بباطنها : فإن وجده أخل فيها بشيء ،
أضافه بخطه وأنكر عليه إهماله ليتنبه في المستقبل ، فإن لم يكن فيها خلل عرضه
على الملك وأعتمد أمره فيه ، وكتب تحت كل فصل منها ما يجب أن يكون جوابا
عنه على أحسن الوجوه وأفضلها ، ثم يسلمها إلى من يكتب الجواب عنها ممن يعرف
أصطلاحه بذلك ، ثم يقابل الجواب بالتخريج وما وقع به تحته : فإن وجد فيها خلا
سنة ، أو مبهلا ذكره ، أو سهوا أصاحه ، وإن رآها قد كتبت على أفضل الوجوه
وأسدّها ، لم يفوت فيها معنى ولم يزد إلا لفظا يمتق به كتابه ويؤكد به قوله ، عرضها
على الملك حينئذ ليعلم ، ثم استدعى من يتولى الإصاق فالصقها بحضوره ، وجعل
على كل منها بطاقة يُشير فيها إلى مضمونها : لئلا يُسأل عن ذلك بعد الإصاقها
فلا يعلم ما هو ، ثم يسلمها إلى من يتولى تنفيذها إلى حيث أهلت له ، وتسلم النسخ
المخصصة إلى من يؤمّله لحفظها وترتيبها .

قلت : قد تبين بما تقدم من كلام أبي الفضل الصوري [ما كان عليه الحال
في زمنه] والذي عليه حال الديوان في زماننا فيما يتعلق بذلك أن الكتب الواردة
إلى الأبواب السلطانية من أهل المملكة وغيرها من سائر الممالك يتلقاها أكبر
الدواريّة : وهو مقدم ألف على ما تقدم ذكره في الكلام على ترتيب الديار المصرية ،
ويحضر القاصد المحض للكتاب من بریدی أو غيره ، ثم يناوله السلطان فيفرض ختامه ،
وكتيب السرّ جالس بين يديه ، فيدفعه السلطان إليه ، فيقرؤه عليه ويستصحبه معه
إلى الديوان : فإن كان الكتاب عربيا دفعه كاتب السرّ إلى نائبه أو من يُخصه
بذلك ليخلص معناه : فينعم النظر فيه ، ويستوفي فصوله ، ويلخص مقاصدها ،

(١) في الاصول ثم عرضها ولكن زيادة ثم في الكلام نقصه والظاهر أنها زيادة من قلة النسخ تأمل .

ويكتب لكل ديوان من الدواوين التي يرفع إليها متعلق ذلك الكتاب ملخصاً بالفصول المتعلقة به في ورقة مفردة، ليجاوب عليها متولى ذلك الديوان بما رسم له من الجواب عنها .

وأعلم أن الذي تكتب له الملخصات في زماننا من الدواوين السلطانية خمسة دواوين . وهي : ديوان الإنشاء ، وديوان الوزارة ، وديوان الجيش ، وديوان الخاص ، وديوان الإستدارية : وهو الديوان المفرد .

والطريق إلى كتابة الملخصات أن يحذف ما في صدر الكتاب من الحشو على ما تقدم في كلام أبي الفضل الصوري ، ثم يعمد إلى مقاصد الكتاب فيستولي فصوله ويتصورها بذهنه ، ثم ينظر في متعلقات تلك الفصول ، ويكتب لكل ديوان من الدواوين المتقدمة ملخصاً بما يتعلق به من الفصول في فصل واحد أو أكثر بحسب ما تقتضيه قلة الكلام وكثرتة .

وكيفية كتابته أن يترك من رأس الوصل قدر ثلاثة أصابع بياضاً ، ثم قدر إصبعين بياضاً عن يمينه ، وقدر إصبعين بياضاً عن يساره ، ويكتب في صدره ما مثاله : « ذكر فلان في مكاتبته الواردة على يد فلان المؤرخة بكذا وكذا » يمد لفظ « ذكر » بين جانبي الوصل ، ويكتب باقى الكلام تحتها من أول الوصل إلى آخره في العرض من غير خلو بياض « أنه أتفق من الأمر ما هو كذا وكذا » أو « أنه سأل في كذا وكذا » . ثم ينحلي بياضاً قدر أربعة أصابع مثلاً ويكتب في وسط الدرَج بخلو بياض من الجانبين ، « وذكر » على نحو ما تقدم ، ثم يكتب باقى الكلام من أول الوصل إلى آخره ، ويفعل ذلك بكل فصل في الكتاب يتعلق بذلك الديوان المختص بذلك الملخص ، ويكتب في آخر كل فصل « وقد عرض على المسامع الشريفة » و« مهما برزت به المراسيم الشريفة كان العمل بمقتضاه » ونحو ذلك .

ثم إن كان الملخص لديوان الإنشاء، كُتِبَ بأعلى الموصل من ظاهره من الجانب الأيسر منه مأمثاله «ديوان الإنشاء». وإن كان لديوان الجيش كتب هناك مأمثاله «ديوان الجيش». وكذا ديوان الخاص وسائر الدواوين المتقدمة الذكر. فإذا كتبت الملخصات، وقف عليها كاتب السر: فما كان منها متعلقاً بديوان الإنشاء عرضه على السلطان وأستمطر جوابه عنه، فيكتب مقابله في الملخص «يُكْتَبُ بِذَلِكَ» أو «يكتب بكذا وكذا» أو «رُسم بذلك» أو «رُسم بكذا وكذا». وما كان منها متعلقاً بديوان الوزارة بعث به إلى الوزير؛ وما كان منها متعلقاً بديوان الجيش بعث به إلى ناظر الجيش؛ وما كان منها متعلقاً بديوان الخاص بعث به إلى ناظر الخاص: ليقرأ كل منهم ملخصه على السلطان وينظر ما يأمر به فيه، فما كان كتب به بجانب الفصل الذي كُتِبَ به في الملخص «أَمْضَى ذَلِكَ» أو «لم يمض» أو «رسم بكذا وكذا» ونحو ذلك: وسائر الدواوين على هذا النمط.

وإن كان الكتاب غير عربي: فإن كان بالتركية المغلية ونحوها كالكتب الواردة عن بعض القانات من ملوك الشرق، فإنه يتولى ترجمتها من يوثق به من أخصاء الدولة: من الأمراء أو الخاصية ونحوهم، ممن يعرف ذلك اللسان؛ ثم يقرأ ترجمته على السلطان، ويعتمد ما يأمر به في جوابه ليكتب به. وإن كان بالرومية أو الفرنجية ونحوهما من اللغات المختلفة، تُرجم على نحو ما تقدم، وكتب ملخصه وقُرئ على السلطان وأُلتمس جوابه؛ وكتب كاتب السر على الملخص بما رُسم فيه.

الباب الرابع

من المقالة الثالثة

(في الفَوَاتِحِ وَالْحَوَاتِمِ وَاللَّوَا حِقِ ، وفيه فصلان)

الفصل الأول

(في الفَوَاتِحِ ، وفيه ستة أطراف)

الطَّرْفُ الْأَوَّلُ

(في البِسْمَلَةِ ، وفيه ثلاث جُمَل)

الجملة الأولى

(في أصل الأفتاح بها)

كانت قريش قبل البعثة تكتب في أول كتبها « بِاسْمِكَ اللَّهُمَّ » والسبب في كتابتهم ذلك ما ذكره المسعودي في « مروج الذهب » عن جماعة من أهل المعرفة بأيام الناس وأخبار من سلف : كابن دأب ، والهيثم بن عدي ، وأبي مخنف لوط بن يحيى ، ومحمد بن السائب الكلبي : أن أمة بن أبي الصلت الثقفي خرج إلى الشام في نفر من ثقيف وقريش في غير لهم ، فلما قفلوا راجعين [نزلوا منزلاً واجتمعوا لعشائهم ، إذ] أقبلت حية صغيرة حتى دنت منهم فخصبها بعضهم بحجر في وجهها فرجعت ، فشدوا سفرتهم ، ثم قاموا فشدوا على إبلهم وأرتحلوا من منزلهم ، فلما برزوا من المنزل ، أشرفت

(١) في الاصول وغيرهم ، وهو تصحيف والتصحيح عن المسعودي في مروج الذهب ج ١ ص ٣٣ .

(٢) الزيادة عن مروج الذهب ج ١ ص ٣٣ لينضح الكلام .

عليهم عجوز من كَثِيبِ رَمَلٍ متوكئةً على عَصَا، فقالت : مامنكم أن تطعموا رحيبة^(١) اليتيمة الصغيرة التي باتت لطعامكم عليلةً؟ قالوا : وما أنت؟ قالت أم العوام، أرملت منذ أعوام، أما ورب العباد، لتفرقن في البلاد ! ثم ضربت بعصاها الأرض وأثارت بها الرمل، وقالت : أطيلي إياهم، وفرقي ركبهم ! فوثبت الإبل كأن على ذروة كل منها شيطاناً، ما يملكون منها شيئاً حتى أفرقت في الوادي، فجمعوها من آخر النهار إلى غدوة، فلما أناخوا الرواحل طلعت عليهم العجوز وفعلت كما فعلت أولاً وعادت لمقالمها الأولى، فخرجت الإبل كما خرجت في اليوم الأول، فجمعوها من غد . فلما أناخوا ليرحلوها، فعلت العجوز مثل فعلها في اليوم الأول والثاني فنفرت الإبل، وأمسوا في ليلة مضمرة ويئسوا من ظهورهم، فقالوا أُمِيَّةُ ابن أبي الصلت : أين ما كنت تُخبرنا به عن نفسك وعلمك؟ [فقال : أذهبوا أتم في طلب الإبل ودعوني^(٢)]. فتوجه إلى الكَثِيبِ الذي كانت تأتي منه العجوز حتى هبط من ثنيتيه الأخرى، ثم صعد كَثِيباً آخر حتى هبط عنقه، ثم رفعت له كنيسةً فيها قناديل ورجل معترض مضطجع على بابها، وإذا رجل جالس أبيض الرأس والمخبة، قال أُمِيَّةُ : فلما وقفتُ قال لي : [إنك لمتبوع، قلتُ أجل، قال فمن أين يأتيك صاحبك؟ قلت : من أذني اليسرى . قال : فبأي القباب يأمرك؟ قلت : بالسواد . قال : هذا خطيب الحزن، كدت والله أن تكونه ولم تفعل . إن صاحب النبوة يأتيه صاحبه من قبل أذنه اليمنى، فيأمره بلباس البياض، فإ[حاجتك؟^(٣) فحدثته حديث العجوز . فقال : هي امرأة يهودية هلك زوجها منذ أعوام، وإنا لن نزال

(١) في المسعودي ج ١ ص ٣٣ "رحيمة الحاربة اليتيمة" وفي الأغانى "رحيمة" بالجيم

(٢) الزيادة عن الأغانى .

(٣) الزيادة عن المسعودي ج ١ ص ٣٤ . وهو على هذا النحو في الأغانى .

تفعل بكم ذلك حتى تهلككم إن استطاعت - قال أمية : قلت فما الحيلة ؟ - قال :
 آجمعوا ظهركم فإذا جاءكم وفعلت ما كانت تفعل ، فقولوا سبعا من فوق وسبعا من
 أسفل " باسمك اللهم " فإنها لن تضركم . فرجع أمية إلى أصحابه فأخبرهم بما قيل له
 وجاءتهم المعجوز ففعلت كما كانت تفعل فقالوا سبعا من فوق وسبعا من أسفل باسمك
 اللهم فلم تضرهم . فلما رأت الإبل لا تتحرك ، قالت : قد علمتكم صاحبكم ،
 ليبيضن الله أعلاه وليسودن أسفله . وساروا فلما أدركهم الصبح ، نظروا إلى أمية
 قد برص في غرته ورقبته وصدره وأسود أسفله . فلما قدموا مكة ذكروا هذا
 الحديث ، فكتبت قريش في أول كتبها " باسمك اللهم " فكان أول ما كتبها أهل
 مكة وجاء الإسلام والأمر على ذلك .

قال إبراهيم بن محمد الشيباني : ولم تزل الكتب تُفتح باسمك اللهم حتى نزل قوله
 تعالى : ﴿ إِنَّهُ مِنْ سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴾ فاستفتح بها رسول الله
 صلى الله عليه وسلم وصارت سنة بعده . وروى محمد بن سعد في طبقاته ،
 أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يكتب كما تكتب قريش " باسمك اللهم " ،
 حتى نزل عليه ﴿ وَقَالَ أَرْكَبُوا فِيهَا بِسْمِ اللَّهِ جَمْرًا هَامًا ﴾ . فكتب باسم الله ،
 حتى نزل ﴿ قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوْ ادْعُوا الرَّحْمَنَ ﴾ . فكتب « بسم الله الرحمن » حتى نزل
 ﴿ إِنَّهُ مِنْ سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴾ فكتب « بسم الله الرحمن الرحيم » .
 وذكر في " مواد البيان " نحوه .

وعن سفیان الثوري أنه كان يكره للرجل أن يكتب شيئاً حتى يكتب
 « بسم الله الرحمن الرحيم » . وعن هشام بن عروة عن أبيه أنه كان يكره أن يكتب

(١) في مروج الذهب ج ١ ص ٣٤ " عذارية " وكذلك في الأغاني .

كُتِبَ أَوْ عِيْرَهُ حَتَّى يَبْدَأَ بِ«بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ» . وَعَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ أَنَّهُ كَانَ يَقُولُ : لَا يَصْلُحُ كِتَابٌ إِلَّا أَنْ يَكُونَ أَوَّلُهُ «بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ» .

وهذه الأحاديث والآثار كلها ظاهرة في استحباب الابتداء بالبسملة فيما يكتب به من أصناف المكاتبات والولايات وغيرها ، وعلى ذلك مصطلح كتاب الإنشاء في القديم والحديث ، إلا أنهم قد اصطَلَحُوا على حذفها من أوائل التوقيعات والمراسيم الصغارة ، كالتي على ظهور القصاص ونحوها ، وكأنهم أخذوا ذلك من مفهوم ما رواه أبو داود وابن ماجه في سنتهما وأبو عوانة الأسفراييني في مسنده عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : «كُلُّ أَمْرٍ ذِي بَالٍ لَا يُبْدَأُ فِيهِ بِبِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ فَهُوَ أَقْطَعُ» يعني ناقص البركة ، وما يكتب في التوقيعات والمراسيم الصغارة ليس من الأمور المهمة فناسب ترك البسملة في أولها . لكن قد ذكر محمد بن عمر المدائني في كتاب «القلم والدواة» أن أهل العلم كرهوا حذف البسملة من التوقيعات والسراحات وذمموه . وقد كان القاضي علاء الدين الكركي كاتب السر في الدولة الظاهرية «برقوق» في أول سلطنته الثانية أمر بأن يكتب في أولها بسملة بقلم دقيق ، ثم بطل ذلك بعد موته وبقى الأمر على ما كان عليه أولاً . ثم قد اختلف في كتابتها أمام الشعر : فذهب سعيد بن المسيب والزهرري إلى منع ذلك . وذهب سعيد بن جبيرة وإبراهيم النخعي إلى جوازه . ويروى مثله عن ابن عباس رضي الله عنه . قال أبو جعفر النحاس في «صناعة الكتاب» : ورأيت علي بن سليمان يميل إليه . قال محمد بن عمر المدائني : ولا بأس إن يكن بين الشعر وبينها كلام ، مثل أنشدني فلان الفلاني وشبه ذلك ، فاما أن يصله بها فلا يجوز .

(١) في الاصول أن يكون ولكن باباه المعنى وبقية الكلام تأمل .

الجملة الثانية

(في الحث على تحسينها في الكتابة وما يجب من ترتيبها في الوضع)

أما الحث على تحسينها في الكتابة، فينبى للكاتب أن يبالغ في تحسينها في الكتابة ما استطاع تعظيماً لله تعالى . فقد روى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « من كتب بسم الله الرحمن الرحيم أحسنه الله إليه » . وعن واصل مولى أبي عيينة قال : سمعت حمادا يقول : كانوا يحبون أن تحسن بسم الله الرحمن الرحيم .



وأما ما يجب من ترتيبها ، فأقول ما يجب من ذلك إطالة الباء لتدل على الألف المحذوفة منها لكثرة الاستعمال ، ثم إتيان السين بأصنافها الثلاث ، غير سريلى لها إرسالاً كما يفعله بعض الكتاب فقد ذكره ذلك أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه وزيد بن ثابت والحسن وابن سيرين ، حتى يروى أن عمر رضى الله عنه ضرب كتاباً على حذف السين منها - ففيل له : فيم ضربك عمر ؟ - فقال : في سين ، بخرى مثلاً . ويروى أن غلاماً لعمر بن عبد العزيز كتب إليه من مصر كتاباً ولم يجعل لبسم الله الرحمن الرحيم سينا ، فكتب إليه عمر يأمره بالقدوم عليه ، فلما قدم قال : اجعل لبسم الله الرحمن الرحيم سينا وأنصرف إلى مصر . وكذلك لا يمد الباء قبل السين ثم يكتب السين بعد المدة ، كما يفعله بعض كتاب المغاربة فقد روى محمد بن عمر المدائنى من حديث شعيب بن [أبي] الأشعث أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « إذا كتب أحدكم بسم الله الرحمن الرحيم فلا يمدّها قبل السين . يعنى الباء » وعن ليث عن مجاهد يرفعه إلى النبي صلى الله عليه وسلم نحوه . ويروى مثله عن ابن عمر ، وابن سيرين . وعن عبد العزيز بن عبد الله وعبد الله بن دينار وغيرهما

أن العلماء كانوا يكرهون ذلك وينهون عنه أشد النهي حتى روى عن الضحاك
 ابن مزاحم أنه قال : وددت أني لو رأيت الأيدي تُقطع فيه . نعم يستحب المد بين
 السين والميم كما هو عادة كتاب المصريين وأهل المشرق . وكذلك استحسنا مد الحاء
 من الرحمن قبل الميم وقالوا : إنه من حسن البيان ، حتى يروى أن عمر بن عبدالعزيز
 كتب إلى عماله إذا كتب أحدكم بسم الله الرحمن الرحيم فليمد الرحمن . وهذا مما
 يتعاطاه كتاب المغرب دون كتاب مصر وأهل المشرق . أما غير ذلك من وجوه
 التحسين فيأتي الكلام عليه في الكلام على الخط إن شاء الله تعالى .

الجملة الثالثة

(في بيان موضعها من المكتوب ، ويتعلق به أمران)

الأمر الأول

(تقدمها في الكتابة)

فيجب تقديمها في أول الكلام المقصود : من مكاتبة أو ولاية أو منشور إقطاع
 أو غير ذلك ، تبركا بالابتداء بها وتيمنا بذكرها ، عملا بالأخبار والآثار المتقدمة في الجملة
 الأولى . على أنه قد اختلف في معنى قوله تعالى حكاية عن بلقيس حين أتى إليها
 كتاب سليمان عليه السلام : ﴿ إِنِّي أُنقِيَ إِلَى كِتَابٍ كَرِيمٍ إِنَّهُ مِنْ سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ
 الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ أَلا تَعْلَمُونَ عَلَى وَأَتُونِي مُسْلِمِينَ ﴾ : فذهب بعض المفسرين إلى أن قوله
 ﴿ إِنَّهُ مِنْ سُلَيْمَانَ ﴾ من كلام بلقيس ، وإياها حكيت الكتاب بقودسا : وإنه بسم الله

(١) قد مضى الكلام على الخط في أوائل الجزء الثالث من هذا الكتاب وبين هناك أوضاع البسمة وكيفية

كتابتها أرواح بيان فعمل ما هنا سهو عما فات .

الرحمن الرحيم إلى آخر الآية، فيكون ابتداء الكتاب بسم الله الرحمن الرحيم، ويكون ذلك احتجاجاً على وجوب تقديمها. وذهب آخرون إلى أن قوله ﴿ إِنَّهُ مِنْ سُلَيْمَانَ ﴾ بداية كتاب سليمان، فيكون سليمان عليه السلام قد بدأ في كتابه باسمه. فإن قيل كيف ساغ على ذلك تقديم اسمه على اسم الله تعالى في الذكر مع أن الأنبياء عليهم السلام أشد الناس أدباً مع الله تعالى؟ فالجواب ما قيل: إنه كان عادة ملوك الكفر أنه إذا ورد عليهم كتاب بما يكرهون ربما مزقوا أعلاه أو تفلوا فيه، فجعل سليمان عليه السلام اسمه تقيّةً لاسم الله تعالى فذكره أولاً. ومن هنا اصطحح الكتاب في الكتب الصادرة عن ملوك الإسلام إلى ملوك الكفر بكتابة القاب الملك المكتوب عنه في وصل فوق البسملة، تأسياً بسليمان عليه السلام.

أما ما يكتب في طرة الولايات من العهود والتقاليد وغيرها، فإنه في الحقيقة جزء من المكتوب، فلا يوصف بأنه شيء مقدم على البسملة. وأما الطغرة التي كانت توضع في مناشير الإقطاعات في وصل بين وصل الطرة والبسملة فيها القاب السلطان على ما سيأتي في الكلام على كتابة المناشير في موضعه إن شاء الله تعالى، فإنها كتابة أجنبية مكتوبة بخط غير الكاتب فلم تُنسب في الحقيقة إلى التقديم. على أن ذلك قد بطل في زماننا. وهاتان المسئلتان المتعلقةتان بالطغرة المكتوبة في المناشير ومكاتبات أهل الكفر مما سأل عنه الشيخ جمال الدين بن نباتة في رسالته التي كتبها إلى كتاب ديوان الإنشاء بالشام، في مباشرة الشيخ شهاب الدين محمود الحلبي، حين بلغه أن بعضهم وقع فيه.

الأمْر الثاني

(إفرادها في الكتابة)

قال محمد بن عمر المدائني في كتاب "القلم والدواة": ينبغي للكاتب أن يُفرد البسمة في سطر وحدها، تبيلاً لآسم الله تعالى وإعظاماً وتوقيراً له؛ ثم ساق بسنده إلى أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم "نهى أن يُكتب في سطرٍ بسم الله الرحمن الرحيم غيرها". وعلى هذه الطريقة جرى كُتاب الإنشاء في مكاتبتهم وسائر ما يصدر عنهم. أما النسخ وكتب الوثائق فربما كتبوا بعدها في سطرها «الحمد لله» أو «الصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم» ونحو ذلك. وكذلك يكتب القضاة «الحمد لله» في علامات الثبوت في المكاتيب الشرعية.

الطرف الثاني

(في الحمد لله)

لما كان الحمد مطلوباً في أوائل الأمور طلباً للتيمن والتبرك، عملاً بما رواه الراوون لحديث البسمة المتقدم من رواية أبي هريرة رضي الله عنه أنه صلى الله عليه وسلم قال: «كلُّ أمرٍ ذي بالٍ لا يبدأ فيه بحمد الله فهو أجذم» أصطلح الكُتاب على الابتداء به في الكثير مما يكتبونه من المكاتبات والولايات وغيرها مما له شأن وبال: كمكاتبات أكثر الملوك من قانات الشرق، وكل ما تضمن نعمة من المكاتبات ونحو ذلك، وكالبيعات والعهود والتقاليد على رأي من يرى أفتاحها بالخطب، وغير ذلك مما يأتي ذكره فيما بعد إن شاء الله تعالى. بل ربما كُتبت الحمد المرات المتعددة إلى السبع في الخطبة الواحدة، على ما سيأتي ذكره في موضعه

إن شاء الله تعالى . وأتوا بالحمد لله بعد البسمة تأسياً بكتاب الله تعالى ، من حيث إن البسمة آية من الفاتحة كما هو مذهب الشافعي رضي الله عنه ، أو فاتحة لها - وإن لم تكن منها - كما هو مذهب غيره . أما سائر المكتبات والولايات المفتحة بغير الحمد ، وإنما حذف منها الحمد استصغاراً لشأنها ، إذ كان الابتداء بالحمد إنما يكون في أمرٍ له بال كإدلال عليه الحديث المتقدم ، وسيأتي الكلام على كل شيء من ذلك في موضعه إن شاء الله تعالى . قال في "الصناعتين" : وإنما أفتتح الكلام بالحمد لأن النفوس تتشوق للثناء على الله تعالى ، والافتتاح بما تتشوق النفوس إليه مطلوب . وربما أتى الكتاب بالحمد بعد البسمة : « فكتبوا » أما بعد حمد الله ، أو « أما بعد فالحمد لله » فاما الصيغة الأولى فالحمد مقدم فيها معنى وإن لم يذكر لفظاً لأن قوله أما بعد حمد الله يقتضى تقدّم حمد الله ، وأما الصيغة الثانية فإنها تقتضى تقدّم شيء على الحمد ، ولا شك أن المقدم هنا هو البسمة على ما سيأتي في الكلام على أما بعد فيما بعد إن شاء الله تعالى .

ثم قد يستعمل الحمد بصيغة الفعل كقولهم في المكتبات : فإني أحمد إليك الله . وقد اختلف في أي الصيغتين أبلغ : صيغة الحمد لله ، أو صيغة أحمد الله : فذهب المحققون إلى أن صيغة الحمد لله أبلغ : لما فيها من معنى الاستغراق والثبوت والاستمرار على ما هو مقرر في علم المعاني . وذهب ذاهبون إلى أن صيغة أحمد الله أبلغ : لأن القائل الحمد لله حاكٍ لكون الحمد لله ، بخلاف القائل أحمد الله فإنه حامدٌ بنفسه ، ولذلك يؤتى بالتحميد ثانياً في الخطب بصيغة الفعل .

وله في الاستعمال ثلاث صيغ :

الصيغة الأولى - « يحمده أمير المؤمنين » فيما إذا كان ذلك صادراً عن الخليفة في مكتبة أو غيرها .

للسيغة الثانية - « نحمده » إما بنون الجمع الحقيقية كما إذا كان ذلك صادراً عن
 (١) مثل أن يؤتى بذلك في بيعة خليفة أو نحوها، أو بنون الجمع للتعظيم كما إذا
 كان ذلك صادراً عن السلطان نحو ما يقع في خطب التقاليد والتواقيع في زماننا .

الصيغة الثالثة - « أحمدّه » بلفظ الإفراد ، كما إذا كان ذلك صادراً عن واحد
 فقط حيث لا تعظيم له .

الطرف الثالث

(في التشهد في الخطب)

قد جرت عادة المتأخرين بالإتيان بالتشهد بعد التحميد في الخطب ويكون تابعا
 لصيغة التحميد : فإن كان قد قيل يحمده أمير المؤمنين ، قيل بعده : ويشهد ؛
 وإن كان قد قيل نحمده ، قيل بعده : وتشهد ؛ وإن كان بعد حمد الله ،
 قيل والشهادة له بالجزء عطفاً على حمد . على أن الخطب الموجودة في مكاتبات
 المتقدمين لا تشهد فيها . ومستند المتأخرين في ذلك ما رواه أبو داود والترمذي
 وصححه البيهقي أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « كلُّ خطبة ليس فيها تشهد
 فهي كأيدي الجذماء » .

(١) رياض في الأصول ولعله "عن متعددين" .

الطرف الرابع

(في الصلاة والسلام على النبي صلى الله عليه وسلم وعلى آله

وصحبه في أوائل الكتب)

لا نزاع في أن الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم مطلوبة في الجملة ، وناهيك في ذلك قوله تعالى في مُحْكَم التنزيل : ﴿ إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾ والأحاديث الواردة في الحث على ذلك أكثر من أن تُحْصَرَ ، فناسب أن تكون في أوائل الكتب ، تيمناً وتبركاً . وقد جاء في تفسير قوله تعالى : ﴿ وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ ﴾ أن المعنى ما ذُكِرْتُ إلا وذُكِرْتَ معي . فإذا أُتِيَ بالحمد في أول كتاب ، ناسب أن يُؤتى بالصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم في أوله ، إتياناً بذكره بعد ذكر الله تعالى . وقد روى من حديث ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : ” مَنْ صَلَّى عَلَيَّ فِي كِتَابٍ لَمْ تَزَلِ الصَّلَاةُ جَارِيَةً لَهُ مَا دَامَ اسْمِي فِي ذَلِكَ الْكِتَابِ ” . قال الشيخ عماد الدين في تفسيره : إلا أنه ضعيف ، ضعفه المحدثون . قال محمد بن عمر المدائني في ” كتاب القلم والدواة ” : وقد رأينا بعض الكتب لا يرى الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم في الكتب ، فبأعوا بأعظم الوزر مع ما فاتهم من الثواب .

وأما السلام عليه صلى الله عليه وسلم بعد الصلاة ، فقد قال الشيخ محيي الدين النووي في كتابه ” الأذكار ” : وإذا صلى على النبي صلى الله عليه وسلم فليجمع بين الصلاة والتسليم ولا يقتصر على أحدهما فلا يقال صلى الله عليه فقط ، ولا عليه

السلام فقط . قال الشيخ عماد الدين بن كثير : وهذا منترع من قوله تعالى :
﴿ إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ ﴾ الآية .

وأما الصلاة على الآلِ والصحبِ بعد الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم . فقد نقل الشيخ عماد الدين بن كثير في تفسيره الإجماع على جواز الصلاة على غير الأنبياء عليهم السلام بطريق التبعية ، مثل أن يقال : اللهم صل على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وأزواجه وذريته ونحو ذلك . ثم قال : وعلى هذا يُخرج ما يكتبونه من قولهم : وصلواته على سيدنا محمد وآله وصحبه فلا نزاع فيه ، وإنما الخلاف في جواز إفراد غير الأنبياء عليهم السلام بالصلاة : فأجازه قوم محتجين بنحو قوله تعالى : ﴿ وَصَلِّ عَلَيْهِمْ ﴾ وقوله صلى الله عليه وسلم : ” اللهم صل على آل أبي أوفى “ . ومنعه آخرون احتجاجاً بأن الصلاة صارت شعاراً للأنبياء عليهم السلام فلا يلحق بهم غيرهم ، فلا يقال : أبو بكر صلى الله عليه وسلم وإن كان المعنى صحيحاً ، كما لا يقال : محمد عز وجل ، وإن كان عزيزاً جليلاً .

ثم الصحيح من مذهب الشافعي رضي الله عنه أن ذلك لا يجوز في غير التبعية . وحكى النووي في ” الأذكار “ فيه قولاً بأنه كراهةٌ تحريم . وقولاً بأنه كراهةٌ تنزيه ، وقولاً بأنه خلاف الأولى ، ورجح كونه كراهةً تنزيه ، لأنه شعار أهل البدع .

وأما السلام على غير الأنبياء ، فحكى النووي عن أبي محمد الجويني منعه في الغائب من حيٍّ وميتٍ وأنه لا يفرد به غير الأنبياء . فلا يقال : على عليه السلام . بخلاف الحاضر فإنه يُخاطب به .

إذا علمت ذلك فالصلاة وتوابعها في أوائل الكتب قد تكون بعد التحميد في الخطبة كما في الولايات [والمكاتب] المفتحة بالخطب من البيعات والعهود والتقاليد والتفاويض

والتواقيع والمراسيم وغيرها، وكما في الكتب المفتحة بالخطب. وقد تكون في صدور المكاتبات المفتحة بغير الخطب. كما كان يكتب في القديم في صدور المكاتبات «وأسأله أن يصلي على محمد عبده ورسوله» وهو مما أحدثه الرشيد في المكاتبات. قال في «ذخيرة الكتاب»: وكان ذلك من أجل مناقبه. وكان الخلفاء الفاطميون بمصر يقولون عن لسان الخليفة: ويسأله أن يصلي على جده محمد، ويخصون الصلاة بعده بأمير المؤمنين على رضي الله عنه على طريقة الشيعة.

الطرف الخامس

(في السلام في أول الكتب)

إنما جعل السلام في ابتداء الكتب وضدورها لأنه تحية الإسلام المطلوبة لتأليف القلوب، فكما أنه يفتتح به الكلام طلباً للتأليف كذلك تفتتح به المكاتبات وتصدر طلباً للتأليف، إذ يقول صلى الله عليه وسلم: «ألا أنبئكم بشيء إذا فعلتموه تحاببتم! أفشوا السلام بينكم». قال في «الصناعتين»: وتقول في أول كتابك: «سلام عليك» وفي آخره «والسلام عليك» والمعنى فيه أن الأول نكرة إذ لم يتقدم له ذكر والثاني معرفة يشار به إلى السلام الأول على حد قوله تعالى: ﴿كَمَا أَرْسَلْنَا إِلَى فِرْعَوْنَ رَسُولًا فَعَصَى فِرْعَوْنُ الرَّسُولَ فَأَتَى فِي الْأَوَّلِ بِتَنْكِيرِ الرَّسُولِ وَفِي الثَّانِي بِتَعْرِيفِهِ. وَكَذَلِكَ قَالَ تَعَالَى فِي سُورَةِ مَرْيَمَ فِي قِصَّةِ يَحْيَى عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿وَسَلَامٌ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ وَيَوْمَ يَمُوتُ وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيًّا﴾ لعدم تقدم ذكر السلام؛ ثم قال بعد ذلك في قصة عيسى عليه السلام: ﴿وَالسَّلَامُ عَلَى يَوْمَ وُلِدَتْ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا﴾ وإلى ذلك يشير أحمد بن يوسف بقوله: اكتب في أول كتابك

سلام عليك وأجعلهُ تَحِيَّةً ، وفي آخره « والسلامُ عليك » وأجعله ودًا . وذلك أن سلام التحية يكون ابتداءً فيكون نكرةً ، وسلام الوداع يكون انتهاءً فيكون معرفةً لرجوعه إلى الأول . وقد ذكر بعض العلماء أن يقال في الابتداء : عليك السلام ، احتجاجاً بما روي عن أبي مُكَيْمٍ الأَسَدِيِّ أنه قال « أتيتُ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم فأنشدته :

يَقُولُ أَبُو مُكَيْمٍ صَادِقًا : * عَلَيْكَ السَّلَامُ أَبَا الْقَاسِمِ !

فقال : يا أبا مُكَيْمٍ عليك السلامُ تَحِيَّةُ الْمَوْتَى » . وجعل ابن حاجب النعمان من ذلك قول عبدة بن الطيب :

عَلَيْكَ سَلَامُ اللَّهِ قَيْسَ بْنَ عَاصِمٍ * وَرَحْمَتُهُ مَا شَاءَ أَنْ يَتْرَحَهَا

قال ابن حاجب النعمان : ويكتبُ السلامُ باسقاط الألف في صدر الكتاب وعجزه . قال أبو جعفر النحاس : وقولهم في أول الكتاب سلامٌ عليك ، بالرفع ويجوز فيه النصبُ والاختيارُ الرفعُ وإن كان النعارة قد قالوا : إن ما كان مشتقاً من فعل فالاختيار فيه النصبُ نحو قولك سَقِيًّا لَكَ : لأن معنى السلام في الرفع أَمُّ ، إذ ليس يريدُ أَفْعَلُ فعلاً ، فيكون المعنى تَحِيَّةً عَلَيْكَ بنصب تحية . وقيل : سلامٌ عليك بمعنى سلامٌ لك . وسيأتي الكلامُ على إتباع السلام الرحمة في الكلام على الطوائف فيما بعدُ إن شاء الله تعالى .

الطَّرْفُ السَّادِسُ

(في أما بعد)

اعلم أن «أما بعد» تُستعمل في صُذور المكاتبات والولايات وربما استُعملت في ابتدائها . وهي مركبة من لفظين أحدهما أما والثاني بعد . فأما «أما» فحرف شرط و«بعد» ظرف زمان إذا أُفرد بني على الضم ، قال تعالى : ﴿لِلَّهِ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدِهِمْ﴾ وأجاز الفراء أما بعداً بالنصب والتنوين ، وأما بعدُ بالرفع والتنوين . وأجاز هشام أما بعد بفتح الدال ومنعه النحاس وقال : إنه غير معروف .

ثم أما تقع في كلام العرب لتوكيد الخبر ، والفاء لازمة لها : لتصل ما بعدها بالحرف الملاصق لما قبلها ، فتقول أما بعدُ أطل الله بقاءك ! فإني قد نظرتُ في الأمر الذي ذكركه . ويجوز أما بعدُ فاطال الله بقاءك إني نظرتُ في ذلك ، فتثبت الفاء في أطل وإن كان معترضا لقربه من أما ، ويجوز أما بعد فاطال الله بقاءك فإني نظرت ، ويجوز أما بعد ثم أطل الله بقاءك فإني نظرت حكى ذلك كله النحاس ، ثم قال : وأجودها الأوّل وهو اختيار النحويين . قال : وأجودُ منه أما بعدُ فإني نظرت أطل الله بقاءك . فإن أضيفت بعدُ إلى ما بعدها فتحت فتقول أما بعدُ حمد الله ونحو ذلك . قال في «ذخيرة الكتاب» وإذا كانت بعد البسمة فمعناه أما بعد قولنا «بسم الله الرحمن الرحيم» نقد كان كذا وكذا .

وقد اختلف في أول من قال أما بعدُ : فقيل داود عليه السلام ، وبه فسّر فصل الخطاب في قوله تعالى : ﴿وَأَتَيْنَاهُ الْحِكْمَةَ وَفَصَّلَ الْخِطَابِ﴾ على أحد الأقوال ، وقيل أول من قالها كعب بن لؤي جد النبي صلى الله عليه وسلم ، وقيل أول من قالها قس بن ساعدة الإيادي . قال سيبويه : ومعناها منهما كُنْ من شيء .

الفصل الثاني

(في الخواتم والأواحق ، وفيه سبعة أطراف)

الطرف الأول

(في الاستثناء بالمشيئة : بأن يكتب إن شاء الله تعالى ، وفيه جملتان)

الجملة الأولى

(في الحث على كتابة إن شاء الله تعالى)

اعلم أنه يستحب للكاتب عند انتهاء ما يكتبه : من مكاتبة أو ولاية أو غيرها أن يكتب " إن شاء الله تعالى " تبركا ورغبة في نجاح مقصد الكتاب ، فقد ورد الحث على التعليق بمشيئة الله تعالى والنذب إليه ، قال تعالى : ﴿ وَلَا تَقُولَنَّ لِشَيْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَلِكَ غَدًا إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ ﴾ . وذم قوم [على ترك الاستثناء] فقال : ﴿ إِنَّا بَلَوْنَاهُمْ كَمَا بَلَوْنَا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ إِذْ أَقْسَمُوا لَيَصْرِمُنَّهَا مُصْبِحِينَ وَلَا يَسْتَأْذِنُونَ فَطَافَ عَلَيْهَا طَائِفٌ مِنْ رَبِّكَ وَهُمْ نَائِمُونَ فَأَصْبَحَتْ كَالصَّرِيمِ ﴾ إلى آخر القصة . قال أصحاب السير : كان باليمن رجل له جنة يأخذ منها قوت سنته ويتصدق بالباقي . وكان يترك للمساكين ما أخطأ المنجل من الزرع أو القطف من العنب والنخل وما بقي على البساط الذي ينسط تحت النخلة ، فلما مات شح بنوه على المساكين بما كان يتركه أبوهم وحلفوا على قطعها في الغلس كيلا يدركهم الفقراء ، فأصابها نار في الليل فاحترقت وأصبحت كالصريم يعني الليل العظيم . قال المفسرون : والمراد بقوله : ﴿ وَلَا يَسْتَأْذِنُونَ ﴾ أنهم لم يقولوا إن شاء الله تعالى . قال الزمخشري :

(١) الزيادة عن الضو .

وُسِّمَى آسْتِثْنَاءً وَإِنْ كَانَ بِمَعْنَى الشَّرْطِ لِأَنَّهُ يُؤَدِّي مُؤَدَّى الْإِسْتِثْنَاءِ مِنْ حَيْثُ إِنْ مَعْنَى قَوْلِكَ لِأَخْرَجَنَّ إِنْ شَاءَ اللَّهُ وَلَا أَخْرُجُ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ وَاحِدٌ .


وَأَعْلَمُ أَنَّ الْإِسْتِثْنَاءَ لَا يَدْخُلُ عَلَى مَا ضُفِيَ فَلَإِ يَقَالُ مَا فَعَلْتُ ذَلِكَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ ، وَإِنَّمَا يَدْخُلُ عَلَى مُسْتَقْبَلٍ فَتَقُولُ لَا أَفْعَلُ ذَلِكَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ ، عَلَى حَدِّ قَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ لَقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّوْيَا بِالْحَقِّ لَتَدْخُلُنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ ﴾ . وَكَذَلِكَ كُلُّ مَا فِيهِ مَعْنَى الْإِسْتِقْبَالِ ، كَمَا قَالَ تَعَالَى حِكَايَةً عَنْ يُوسُفَ عَلَيْهِ السَّلَامُ : ﴿ وَقَالَ آدُخُلُوا مِصْرَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ ﴾ وَنَحْوِ ذَلِكَ .

أَمَّا مَا وَرَدَ مِنْ ذَلِكَ بِلَفْظِ الْمَضِيِّ مِثْلَ قَوْلِ الْقَائِلِ لِزَوْجَتِهِ أَنْتِ طَالِقٌ إِنْ شَاءَ اللَّهُ فَإِنَّهُ وَإِنْ لَمْ يَكُنْ مُسْتَقْبَلًا لَفْظًا ، فَإِنَّهُ مُسْتَقْبَلٌ مَعْنَى ، إِذْ مَعْنَاهُ الْإِنْشَاءُ وَإِلَّا مَا وَقَعَ بِهِ الطَّلَاقُ . إِذَا عَلِمْتَ ذَلِكَ ، فَلَفْظُ "إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى" فِي آخِرِ الْمَكَاتِبِ أَوْ الْوَلَايَةِ وَنَحْوِهَا يَكُونُ مَعْلَقًا بِآخِرِ الْمَكْتُوبِ مِمَّا يَنَابِسُ ذَلِكَ ، كَتَعْلُقِهَا بِالتَّأْيِيدِ مِنْ قَوْلِهِ وَاللَّهُ تَعَالَى يُؤَيِّدُهُ بِمَنِّهِ وَكَرَمِهِ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى ، وَنَحْوِ ذَلِكَ .

الجملة الثانية

(فِي مَحَلِّ كِتَابَتِهَا وَصُورَةٍ وَضَعَهَا فِي الدَّرَجِ)

لَا نِزَاعَ فِي أَنَّهَا أَوَّلُ خَاتِمَةٍ تُكْتَبُ مِنْ خَوَاتِمِ الْمَكْتُوبِ ، فَحَلُّهَا مِنَ الدَّرَجِ أَسْفَلَ الْمَكْتُوبِ ، فِي وَسْطِ الْوَصْلِ ، مَكْتَنَفَةٌ بِيَاضٍ عَنْ يَمِينِهَا وَشِمَالِهَا ، وَبَيْنَهَا وَبَيْنَ السَّطْرِ الْآخِرِ مِنَ الْمَكْتُوبِ كَمَا بَيْنَ سَطْرَيْنِ أَوْ دُونَهُ .

وَقَدْ جَرَتْ عَادَةُ الْكُتَّابِ فِي كِتَابَتِهَا بِأَنَّهَا إِنْ كَانَتْ بِقَلَمِ الرَّقَاعِ كَمَا فِي الْقَطْعِ الصَّغِيرِ ، كَتَبَتْ مَعْلَقَةً مُسَلَّسَةً عَلَى هَذِهِ الصُّورَةِ  أَوْ مَا قَارِبَهَا ، وَإِنْ كَانَتْ بِقَلَمِ

جليل كالثلث ونحوه ، كُتِبَتْ واضحة مبيّنة ، والغالب فيها أن تكونَ على هفوه الصورة انشائيّاً قال جمال الدين بن شيث في "معالم الكتابة" : ولا يُضيف الكاتبُ إليها شيئاً في سطرها ، بل تكون مفردةً في سطرٍ واحدٍ .

الطَّرْفُ الثَّانِي

(في التاريخ ، وفيه ثمانُ جمل)

الجملة الأولى

(في معناه)

وقد اختلف في أصل لفظه : فذهب قومٌ إلى أنه عربيّ ، وأن معناه نهايةُ الشيء وآخره ، يقال فلانٌ تاريخُ قومه إذا انتهى إليه شرفهم ، وعليه يدلُّ كلامُ صاحب "موادّ البيان" وأبنِ حاجب النعمان في "ذخيرة الكتاب" ونقل الشيخ علاء الدين بن الشاطر في "زيجه" عن بعض أهل اللغة أن معناه التأخير فيكون مقلوباً منه . وذهب آخرون إلى أنه فارسيّ ، وأن أصله «مادزور» فعزب مورخ ، ثم جعل اسمه التاريخ ، وإليه يرجع كلامُ السلطان عماد الدين صاحب حماة رحمه الله في تاريخه ، ويقال منه أرخت وورّخت بالهمزة والواو لغتان ، ولذلك قالوا في مصدره تأريخ وتاريخ ، كما يقال تأكيد وتوكيد . قال في "ذخيرة الكتاب" : أرخت لغة قيس ، وورّخت لغة تميم . قال أبو هلال العسكري في كتاب "الأوائل" : ولا تكاد ورّخت تستعمل اليوم ، وكأنت الحجاب كانوا قد رفضوا هذه اللغة في زمانه وإلا فهي لغة مستعملةٌ إلى الآن ، إلا أنها لما غلبت في ألسنة العوام

ابْتَدَلَتْ . قَالَ الشَّيْخُ « أَثِيرُ الدِّينِ أَبُو حَيَّانَ » فِي شَرْحِ التَّسْهِيلِ : وَالتَّارِيخُ هُوَ عَدَدُ اللَّيَالِي وَالْأَيَّامِ بِالنَّظَرِ إِلَى مَا مَضَى مِنَ السَّنَةِ أَوْ الشَّهْرِ وَإِلَى مَا تَبَقِيَ مِنْهُمَا ، قَالَ فِي « مَوَادِّ الْبَيَانِ » : وَهُوَ مُحَقَّقٌ لِلخَبَرِ ، دَالٌّ عَلَى قُرْبِ عَهْدِ الْكِتَابِ وَبُيُودِهِ .

الجملة الثانية

(في وجه الاحتياج إليه)

قال محمد بن عمر المدائني في كتاب " القلم والدواة " : أجمعت العلماء والحكماء والأدباء والكتّاب والحساب على كتابة التاريخ في جميع المكتبات . قال صاحب " نهاية الأرب " : ولا غنية عنه ، لأن التاريخ يستدل به على بُعد مسافة الكتاب وقربها ، وتحقيق الأخبار على ما هي عليه . وقد قال بعض أئمة الحديث : لما استعملوا الكذب استعملنا لهم التاريخ . وقد أصطلح الكتّاب على أنهم يؤرّخون المكاتبات والولايات ونحوها مما يصدر عن الملوك والنواب والأمراء والوزراء وقضاة القضاة ومن ضاهاهم ، بخلاف المكاتبات الصادرة عن آحاد الناس ، فإنه لم تجر العادة فيها بكتابة تاريخ .

الجملة الثالثة

(في بيان أصول التواريخ)

قال القضاة في " عيون المعارف في تاريخ الخلائف " : كانت الأمم السالفة تُورّخ بالحوادث العظام ويملك الملوك : فكان التاريخُ بهبوط آدم عليه السلام ، ثم بمبعث نوح ، ثم بالطوفان ، ثم بنار إبراهيم عليه السلام .

ثم تفرق بنو إبراهيم : فأرخ بنو إسحاق بنار إبراهيم إلى يوسف ، ومن يوسف إلى مبعث موسى عليه السلام ، ومن موسى إلى ملك سليمان عليه السلام . ثم بما كان من الكوائن . ومنهم من أرخ بوفاة يعقوب عليه السلام . ثم بخروج موسى من مصر بنى إسرائيل ، ثم بخراب بيت المقدس .

وأما بنو إسماعيل ، فأرخوا ببناء الكعبة . ولم يزالوا يؤرّخون بذلك حتى تفرقت بنو معد . وكان كلاً ما خرج قوم من تهامة أرخوا بخروجهم . ثم أرخوا بيوم الفجار . ثم بعام الفيل .

وكان بنو معد بن عدنان يؤرّخون بغلبة جرهم العالقي وإخراجهم إياهم من الحرم . ثم أرخوا بأيام الحروب : حرب بني وائل ، وحرب البسوس ، وحرب داحس . وكانت حمير وكهالان يؤرّخون بملوكهم التبابعة ، وبنار ضار : وهي نار ظهرت ببعض حرب اليمن . وبسبب الحرم . ثم أرخوا بظهور الحبشة على اليمن .

وأما العوالان والروم . وكانوا يؤرّخون بملك بختنصر ، ثم أرخوا بملك دقلطيانوس القبطي .

وأما الفرس فكانوا يؤرّخون بآدم عليه السلام . ثم أرخوا بقتل دارة وظهور الإسكندر عليه . ثم بملك زدرج . والذي ذكره السلطان عماد الدين صاحب حماة في تاريخه في دائرة اتصال التواريخ القديمة بالهجرة عشرون تاريخاً ، ذكر ما بينها وبين الهجرة من السنين . إلا أنه لم يراع الترتيب في بعضها . وأهمل منها تاريخ زدرج لوقوعه بعد الهجرة .

و. حملة فالتواريخ على قسمين :

القسم الأول

(ما قبل الهجرة ، وقد أوردت منه تسعة عشر تاريخاً)

الأول - من هبوط آدم عليه السلام . وقد اختلف فيما بينه وبين الهجرة
اختلافاً فاحشاً : فمقتضى ما في التوراة اليونانية على اختيار المؤرخين أن بينهما
سنة آلاف سنة ومائتين وست عشرة سنة ، وعلى اختيار المنجمين أن بينهما
خمسة آلاف وسبعمائة وتسعا وستين سنة .

ومقتضى ما في التوراة السامرية على اختيار المؤرخين خمسة آلاف ومائة وسبع
وثلاثون سنة ، وعلى اختيار المنجمين ينقص عن ذلك .

ومقتضى ما في التوراة العبرانية ، على اختيار المؤرخين أن بينهما أربعة آلاف
وسبعمائة وإحدى وأربعين سنة ، وعلى اختيار المنجمين ينقص مائتين وتسعا
وأربعين سنة .

الثاني - من الطوفان . وبينه وبين الهجرة ثلاثة آلاف وتسعمائة وأربع
وتسعون سنة على اختيار المؤرخين ، وعلى اختيار المنجمين ثلاثة آلاف وسبعمائة
وخمس وعشرون سنة وثلاثمائة وستة أيام .

الثالث - من تبلل الألسن . وبينه وبين الهجرة على اختيار المؤرخين ثلاثة
آلاف وثلاثمائة وأربع وستون سنة ، وعلى اختيار المنجمين ينقص عن ذلك مائتين
وتسعا وأربعين سنة .

(١) في تاريخ أبي الفداء المطبوع ونسماة .

(٢) في تاريخ أبي الفداء المطبوع وأربع سنين .

الرابع - من مولد إبراهيم عليه السلام، وبينه وبين الهجرة على اختيار المؤرخين ألفان وثمانمائة وثلاث وتسعون سنة، وعلى اختيار المنجمين ينقص عن ذلك مائتين ونسباً وأربعين سنة.

الخامس - من بناء إبراهيم الكعبة، وبينه وبين الهجرة ألفان وسبعمائة وثلاث وسبعون سنة^(١).

السادس - من وفاة موسى عليه السلام، وبينه وبين الهجرة على اختيار المؤرخين ألفان وثلثمائة وثمان وأربعون سنة.

السابع - من عمارة سليمان عليه السلام بيت المقدس، وبينه وبين الهجرة ألف وثمانمائة وستون سنة^(٢).

الثامن - من ابتداء ملك بختنصر، وبينه وبين الهجرة ألف وثلثمائة وتسع وستون سنة، قال صاحب حمة: بلا خلاف.

التاسع - من تخريب بختنصر بيت المقدس، وبينه وبين الهجرة ألف وثلثمائة وخمسون سنة.

العاشر - من ملك فيليبس أبي الإسكندر، وبينه وبين الهجرة تسعمائة وخمس وأربعون سنة ومائة وسبعة عشر يوماً.

الحادى عشر - من غلبة الإسكندر على ملك فارس وقتل دارة ملك الفرس، وبينه وبين الهجرة تسعمائة وأثنان وثلاثون سنة ومائتان وتسعون يوماً^(٣).

(١) في المختصر وتسعون.

(٢) في المختصر وقريب سنتين والظاهر أنه تصحيف.

(٣) في المختصر وأربع وثلاثون.

الثاني عشر - من مولد المسيح عليه السلام . وبينه وبين الهجرة ستمائة وإحدى وثلاثون سنة .

الثالث عشر - من ملك أردبالونص^(١) . وبينه وبين الهجرة خمسمائة وتسع وستون سنة .

الرابع عشر - من ملك أردشير أول ملوك الأكاسرة من الفرس . وبينه وبين الهجرة أربعمائة وأثنان وعشرون سنة .

الخامس عشر - من خراب بيت المقدس المرة الثانية . وبينه وبين الهجرة ثمانمائة وست وأربعون سنة^(٢) .

السادس عشر - من ملك دقلطيانوس : آخر عبدة الأصنام من ملوك الروم على القبط . وبينه وبين الهجرة ثلثمائة وسبع وثلاثون سنة وأحد وعشرون يوماً .

السابع عشر - من غلبة أغشطش ملك الروم على قلوبطرا ملكة اليونان ومصر . وبينه وبين الهجرة مائتان وخمسون سنة ومائتان وستة وأربعون يوماً .^(٣)

الثامن عشر - من عام الفيل ، وهو العام الذي ولد فيه النبي صلى الله عليه وسلم . وبينه وبين الهجرة ثلاث وخمسون سنة وشهران وثمانية أيام .

(١) في المختصر أدريانس وبالجملة في المختصر المطبوع لابن الفداء ج ١ ص ١٢٥ مخالفة لما في أسرنا القبطية نص .

(٢) في مختصر أبي الفداء ج ١ ص ١٢٥ خمسمائة وثمانية وخمسون وكان لمضى أربعين سنة من رفع المسيح .

(٣) في المختصر ستمائة واثنان وخمسون سنة وهو رأسه بالصواب لأن غلبة أغشطش على نلوبطرا قبل مولد المسيح بأحدى وعشرين سنة .

التاسع عشر - من مبعث النبي صلى الله عليه وسلم . وبينه وبين الهجرة
ثلاث عشرة سنة^(١) وشهران وثمانية أيام .

القسم الثاني

(مابعد الهجرة)

وفيه تاريخ واحد، وهو من هلاك يزيدجرد آخر ملوك الفرس . وكان بعد الهجرة
بعشر سنين وثمانية وسبعين يوماً .

الجملة الرابعة

(في أصل وضع التاريخ الإسلامى وبنائه على الهجرة دون غيرها)

وقد اختلف في أصل ذلك : فحكى أبو جعفر النحاس في "صناعة الكتاب"
عن محمد بن جرير : أنه روى بسنده إلى ابن شهاب أن النبي صلى الله عليه وسلم
لما قدم المدينة - وقدمها في شهر ربيع الأول - أمر بالتاريخ . وعلى هذا فيكون
ابتداء التاريخ في عام الهجرة . قال النحاس : والمعروف عند العلماء أن ابتداء التاريخ
بالهجرة كان في خلافة عمر بن الخطاب رضى الله عنه .

ثم اختلف في السبب الموجب لذلك : فذكر النحاس أن السبب فيه أن عامل
عمر بن الخطاب رضى الله عنه باليمن قدم عليه فقال : أما تورخون كتبكم؟ فاتخذوا
التاريخ . ووافقه على ذلك صاحب "مواد البيان" . وذكر أبو هلال العسكري
في كتابه "الأوائل" أن السبب فيه أن أبا موسى الأشعري كتب إلى عمر بن الخطاب

(١) في الأصل ثلاث وعشرون سنة وشهر وثمانية أيام وهو تحريف والتصحيح من مختصر أبي الفداء . . .

رضى الله عنه : إنه يأتينا من قبل أمير المؤمنين كُتِبَ لاندري على أيها نعمل قد قرأنا [كتاباً منها] ^(١) محله شعبان ، فما ندري في أيّ الشَّعبانينِ الماضى أو الآتى ، فأحدثَ عمرُ التاريخ . وتبعه على ذلك ابنُ حاجب النعمان في ” ذخيرة الكُتاب ” . وذكر صاحبُ حماة في تاريخه : أنه رُفِعَ إلى عمر رضى الله عنه صكُّ محله شعبانُ فقال : أيُّ شعبان ، لاندري الذى نحنُ فيه أم الذى هو آتٍ ، ثم جمع وجوه الصحابة وقال : إنَّ الأموالَ قد كثُرتْ ، وما قَسَمناه منها غيرَ مؤقتٍ فكيف التوصلُ إلى ما يُضبطُ به ذلك ؟ - فقالوا : يجب أن نعرف ذلك من أمور الفُرس ، فاستحضر الهرمزان وسأله - فقال : إن لنا حساباً نُسميه (مائة زور) ومعناه حساب الشهور والأيام فعيل عمرُ التاريخ .

الجملة الخامسة

(في بيان صورة آبتدائهم وضع التاريخ من الهجرة)

قال في ” ذخيرة الكُتاب ” : لما أراد عمرُ التاريخَ ، جمع الناسَ للمشورة ، فقال بعضهم : تُورِّخُ بمبعثِ النبيِّ صلى الله عليه وسلم - وقال بعضهم : بل بوفاته - وقال بعضهم : بل بهجرته من مكة إلى المدينة : لأنها أولُ ظهورِ الإسلامِ وقوته . فصوبه عمر وأجمع رأيه عليه ؛ وكان النبيُّ صلى الله عليه وسلم قد وُلِدَ في عام الفيلِ المقدم ذكره في التواريخ القديمة . قال في ” ذخيرة الكُتاب ” : وكان وقوعُ ذلك في اليوم الثاني عشر من شُباط سنة ثمانمائة وأثنتين وثمانين لذي القرنين . وبِعِثَ النبيُّ صلى الله عليه وسلم على رأس أربعين سنةً من ولادته ، وأقام بمكة بعد النبوة عشر سنين ؛

(١) بياض بالاصول والتصحيح من الضوء للؤلؤف .

(٢) ينظر ذلك مع ما تقدم من أن بين المبعث والهجرة ثلاث عشرة سنة .

ثم هاجر إلى المدينة في شهر ربيع الأول بعد عشر^(١) من النبوة، وقدم المدينة لاثنتي عشرة ليلة منه .

ثم بعد اتفاقهم على التأريخ من الهجرة اختلفوا في الشهر الذي تقع البداية به : فأشار بعضهم بالبداية برمضان لشرفه وعظمه - فقال عمر بل بالمحرم : لأنه منصرف الناس من حَجَّهم ، فرجعوا القهقري^(٢) ثمانية وستين يوماً، وهي القدر الذي مضى من أول المحرم [إلى ذلك الوقت] واستقر تاريخ الإسلام من الهجرة .

قال القضاعي في "عيون المعارف" : وكان ذلك في سنة تسع عشرة أو ثمانين عشرة من الهجرة .

قلت : وأستقرت تواريخ الأمم على أربعة تواريخ ، ابتداء بعضها مقدم على ابتداء بعض .

أولها - غلبة الإسكندر على الفرس . وعليه تاريخ السريان والروم إلى زماننا .
والثاني - ملك دقلطيانوس ملك الروم على القبط . وعليه تاريخ القبط إلى زماننا .

والثالث - الهجرة النبوية على صاحبها أفضل الصلاة والسلام . وعليها مدار التاريخ الإسلامي .

والرابع - هلاك يزيدجرد آخر ملوك الفرس . وبه تؤرخ الفرس إلى زماننا، وقد تقدم بيان بعد ما بين تاريخ كل من غلبة الإسكندر وملك دقلطيانوس وبين الهجرة في القبلي، وبعد ما بين تاريخ يزيدجرد وبين الهجرة في البعدي في الكلام

(١) ينظر ذلك مع ما تقدم من أن بين المبعث والهجرة ثلاث عشرة سنة .

(٢) الزيادة من الضو .

على أصول التواريخ، مع ما سبق في المقالة الأولى في بيان ما يحتاج إليه الكاتب من ذكر مقدار سنة كل منها وعددها من الأيام، وسيأتي الكلام على استخراج بعضها من بعض فيما بعد إن شاء الله تعالى .

الجملة السادسة

(في كيفية تقييد التاريخ في الكتابة بزمن معين، وهو ضربان)

الضرب الأول

(التاريخ العربي)

ومدَّاره الليالي دون الأيام: لأن سني العرب قمرية، والقمر أول ما يظهر للأبصار هلالاً في الليل، فتكون الليالي بهذا الاعتبار سابقةً للأيام، إذ اليوم عندهم عبارة عن النهار، وهو إما من طلوع الفجر على ماورد به الشرع في الصوم ونحوه، وإما من طلوع الشمس على رأى المنجمين . قال أبو إسحاق الزجاجي في كتابه " الجمل " : وإنما حُمل على الليالي دون الأيام لأن أول الشهر ليله، فلو حُمل على الأيام سقطت منه ليلة . قال الشيخ أثير الدين أبو حيان في " شرح التسهيل " : واستغني بالليالي عن الأيام للعلم أن مع كل ليلة يوماً، فإذا مضى عدد من الليالي مضى مثله من الأيام، فيجوز أن يُستغني بذكر أحدهما عن الآخر . وقد ذكر جمال الدين عبد الرحيم ابن شيث في كتابه " معالم الكتابة " : أن كُتِبَ السلطان والأعيان تؤرَّخ بالليالي، والكُتِبَ من الأدنى إلى الأعلى تؤرَّخ بالأيام . ولم أعلم من أين أخذ ذلك ولا ما مستنده فيه .

إذا علم ذلك فلكتابه التاريخ ثلاثة اعتبارات :

الاعتبار الأول

(أن يؤرخ ببعض ليالي الشهر، وله ست حالات)

الحالة الأولى

(أن تقع الكتابة في الليلة الأولى من الشهر، أو في اليوم الأول منه)

فإن كانت الكتابة في الليلة الأولى منه فقد ذكر أبو جعفر النحاس في "صناعة الكتاب" أنه يكتب «كُتِبَ غُرَّةَ شَهْرٍ كَذَا، أو [أول] لَيْلَةٍ مِنْ كَذَا، أو مُسْتَهَلَّ شَهْرٍ كَذَا، أو مَهَلَّ شَهْرٍ كَذَا». وحكى الشيخ أثير الدين أبو حيان مثل ذلك عن بعضهم، وزاد أنه يكتب أيضا «كُتِبَ أَوَّلَ شَهْرٍ كَذَا».

قال النحاس : ولا يجوز حينئذ لليلة خلت ولا مضت لأنهم في الليلة بعد . قال في "ذخيرة الكتاب" : وربما كتب بعض الكتاب عملة الاستهلال «لليلة [تخلو]» .

وإن كانت الكتابة في اليوم الأول وهو النهار الذي يلي الليلة الأولى من الشهر، كتبت «لليلة خلت أو مضت من شهر كذا» . قال النحاس : ويجوز كتبت «لغرة الشهر أو لأول يوم من الشهر» ومنع أن يقال حينئذ : أول ليلة من شهر كذا، أو مُسْتَهَلَّ شَهْرٍ كَذَا، أو مَهَلَّ شَهْرٍ كَذَا، موجهًا لذلك بأن الاستهلال إنما يقع في الليل . وتبعه على ذلك ابن حجب النعمان في "ذخيرة الكتاب" وصاحب "مواد البيان" وبه جزم الشيخ جمال الدين بن هشام في ورقاته في الوراق . وكلام ابن مالك في التسهيل يؤهم جواز ذلك فإنه قد قال : فيقال أول الشهر، كتبت لأول

(١) الزيادة من النسخ .

(٢) ياصر بالاصول . والتصحيح عن الضوء للؤلؤ .

ليلة منه، أو لغزته أو مهله أو مستهله . وأول الشهر أعم من اليوم والليلة بل هو إلى الليلة أقرب، لأن الليلة سابقة بالأولية .

قال الشيخ أثير الدين : ومفتتح الشهر أول يوم منه . ومقتضى كلامه أنه يؤرخ بالمفتتح في اليوم الأول من الشهر دون الليلة وفيه نظر، بل الظاهر جواز استعماله فيهما، بل الليلة بالمفتتح أولى لسبقها اليوم كما تقدم، اللهم إلا أن يُراعى فيه موافقة المفتتح لليوم في التذكير دون الليلة لتأنيثها . قال في "مواد البيان" : والعرب تُسمى أول ليلة من الشهر النخيرة، ولكن لا تستعمله الكتاب في التواريخ .

الحالة الثانية

(أن تقع الكتابة فيما بعد مضيّ اليوم الأول من الشهر إلى آخر العشر)

فإن كان قد مضى منه ليلتان . كُتِبَ « لليتين خلتا من شهر كذا، أو لليتين مضتا منه » قال في "ذخيرة الكتاب" : ولا يكتب ليوم خلا ولا ليومين خلوا : لأن ذكر الليالي في باب التاريخ أغلب، كما تقول ليلة السبت وليلة الأحد، فتضيف الليلة إلى اليوم لأنها أسبق، ولا تضيف اليوم إلى الليلة .

وحكى الشيخ أثير الدين أبوحيان أنه إذا مضى من الشهر يوم كُتِبَ «ليوم مضى» وإذا مضى يومان «كُتِبَ ليومين مضيا» . والتحقيق في ذلك أنه يختلف الحال فيه باختلاف الكتابة في الليل والنهار : فإن كتبت في الليلة الثانية . ناسب أن يكتب «ليوم خلا من شهر كذا» لأنه إن كتبت لليتين خلتا فهو في الليلة الثانية بعد، وإن كتبت لليلة خلت لم يظهر الفرق بينه وبين الكتابة في اليوم الأول من الشهر . وإن كتبت في اليوم الثاني من الشهر، ناسب أن يكتب لليتين خلتا أو مضتا . وإن كان

قد مضى من الشهر ثلاث ليال، كَتَبَ لثلاثِ خَلَوْنَ أو مَضَيْنَ من شهر كذا، أو لثلاثِ ليالِ خَلَوْنَ أو مَضَيْنَ . ويجوز فيه لثلاثِ خَلَتْ أو لثلاثِ ليالِ خَلَتْ على قلة . وكذا في الباقي إلى العشر فتقول : لعشرِ خَلَوْنَ أو مَضَيْنَ ، أو لعشرِ ليالِ خَلَوْنَ أو مَضَيْنَ ، أو لعشرِ ليالِ خَلَتْ أو مَضَتْ على اللغة القليلة .

الحالة الثالثة

(ان تقع الكتابة فيما بعد العشر إلى النصف)

فيكتب لإحدى عشرة خلت أو مضت من شهر كذا . أو لإحدى عشرة ليلة خلت أو مضت ، ويجوز فيه لإحدى عشرة خلون أو لإحدى عشرة ليلة خلون على قلة . وكذا في الباقي إلى النصف من الشهر . قال الشيخ أثير الدين أبو حيان : فإن صرح بالميز وكان مذكراً ، أعيد الضمير عليه فيقال : لاحت عشر يوماً خلاً أو مضى ونحو ذلك .

الحالة الرابعة

(أن تقع الكتابة في الخامس عشر من الشهر)

فيكتب « كَتَبَ لِنِصْفِ شَهْرٍ كَذَا » . قال النحاس : وأجازوا لخمس عشرة ليلة خلت أو مضت . وكلام ابن مالك في « التسهيل » يشير إلى جواز لخمس عشرة ليلة خلت أو مضت [أو بقيت^(١)] على رأى من يجوز التاريخ بالباقي . ولو حذف ذكر الليلة فقال : لخمس عشرة خلت أو مضت أو بقيت صح . قال في « التسهيل » والتاريخ بالنصف أجود .

(١) الزيادة لازمة لصح الكلام .

الحالة الخامسة

(أن تقع الكتابة فيما بعد النصف من الشهر إلى الليلة الأخيرة منه)

وفيه لاهل الصناعة مذهبان :

المذهب الاول - أن يؤرخ بالماضي من الشهر كما في قبل النصف ، فيقال :
 لست عشرة خلت أو مضت ، أو لست عشرة ليلة خلت أو مضت . وكذا إلى
 العشرين فيقال : لعشرين خلت أو مضت ، أو لعشرين ليلة خلت أو مضت ،
 وكذا في البواق إلى آخر التاسع والعشرين ، فيكون التاريخ في جميع الشهر من أوله
 إلى آخره بالماضي دون الباقي فراراً من الجهول إلى المحقق ، وهو مذهب الفقهاء
 لأنه لا يعرف هل الشهر تام أو ناقص . قال النحاس : ورأيت علي بن سليمان
 يختاره . قال في " ذخيرة الكتاب " : وهو أثبت ورجحته أقوى . ثم لا شك أن من
 يرى التاريخ باليوم يجوز لسته عشر يوماً خلا أو مضى من شهر كذا ، وكذا فيما بعده .

المذهب الثاني - أن يؤرخ بما بقي من الشهر . وللمؤرخين فيه طريقان :

الطريق الاول - أن يحزم بالتاريخ بالباقي فيكتب لأربع عشرة ليلة بقيت
 من شهر كذا ، ثم لثلاث عشرة ليلة بقيت ، وهكذا إلى الليلة الأخيرة من الشهر ،
 فيكتب لليلة بقيت ، وهو مذهب الكتاب . قال النحاس : ورأيت بعض العلماء
 وأهل النظر يصوبونه ، لأنهم إنما يكتبون ذلك على أن الشهر تام ، وقد عرف
 معناه وأن كاتبه وقارئه إنما يريد إذا كان الشهر تاماً فلا يحتاج إلى التلطف به .
 قال محمد بن عمر المدائني : واحتجوا لذلك بأن معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه :
 حين كتب عن النبي صلى الله عليه وسلم لابن الحضرمي كتب في آخر الكتاب :

« وكتب معاوية بن أبي سفيان لثلاث ليالٍ بقين من ذى القعدة بعد فتح مكة سنة ثمان » ثم قرأه عثمان بن عفان رضى الله عنه والناس حوله . قال النحاس : وقد وقع مثل ذلك في كلام النبوة . فقد ورد في الحديث أن النبي صلى الله عليه وسلم قال في ليلة القدر : « التمسوها في العشر الأواخر لسابعة تبقى أو لخامسة تبقى » . وهذا الحديث الذى أستشهد به النحاس ثابتٌ فى الصحيح فلا نزاع فى العمل به .

الطريق الثانى - أن يُعَلَّقَ التاريخُ بالباقي على شرط . فيكتب لأربع عشرة إن بقيت ، أو لأربع عشرة ليلة إن بقيت ، وعلى ذلك فى الباقي ، فراراً من إطلاق التاريخ بما لا يُعَلَمُ تمامه أو نقصه وتعليقاً له على حكم التمام ، وكأنه يقول : لأربع عشرة ليلة بقيت من الشهر إن كان تماماً . ومن يرى التاريخ بالأيام يجوز لأربعة عشر يوماً تبقى من شهر كذا ، وكذا فى الجميع .

الحالة السادسة

(أن تقع الكتابة فى الليلة الأخيرة من الشهر أو فى اليوم الأخير منه)

فإن كان فى الليلة الأخيرة منه كتب « لآخر ليلة من شهر كذا ، أو فى سَلَخِ شهر كذا ، أو فى أنسلاخه » . وإن كان فى اليوم الآخر منه كتب « لآخر يوم من شهر كذا ، أو فى سَلَخِهِ أو أنسلاخه أيضا » . ولم يختلفوا هنا فى جواز التاريخ باليوم . قال ابن حاجب النعمان : وذلك أن الشهر يتدئ بابتداء الليالي وينقضى بانقضاء النهار . وذكر صاحب «مواد البيان» أن الذى كان كُتِبَ مصرىستعملونه بالديار المصرية أن يُجعل شهر ثلاثين يوماً وشهر تسعة وعشرين ، وهذا جنوح منهم إلى الاعتبار النجومى ، ولا معمول على ذلك فى الشريعة .

قلت : وكتاب زماننا قد أهملوا النظر في ذلك بحملة وعولوا على التاريخ بالأيام، واقفين عند حدّ اليوم الذي ينتهي إليه العدّد من الشهر عند الكتابة فيكتبون في اليوم الأول : كُتِبَ في مستهلّ شهر كذا ، ثم في ثاني شهر كذا أو ثالثه إلى العشر؛ ثم في حادى عشره وثاني عشره إلى العشرين ، ثم في العشرين من شهر كذا ، أو الحادى والعشرين ، والثاني والعشرين إلى التاسع والعشرين . وفي اليوم الأخير من الشهر يكتبون في سلخ شهر كذا لا يعرفون غير ذلك .

ثم مما يستحسن في التاريخ أنه إذا وقعت الكتابة في يوم مشهور - كأيام المواسم - أرخ به ، مع قطع النظر عن عدد ما مضى من الشهر أو بقي منه . فيكتب في اليوم الأول من شوال « كُتِبَ في يوم عيد الفطر » وفي تاسع ذى الحجة « كُتِبَ في يوم عرفة » وفي عاشره « كُتِبَ في يوم عيد النحر ، أو في يوم عيد الأضحى » وفي حادى عشره « كُتِبَ في يوم القَر » - بفتح القاف ، سمي بذلك لأن الناس يستقرون فيه مِنى ، وفي ثاني عشره « كُتِبَ في يوم النفر الأول » لأن الجميع ينفرون فيه من منى ، وفي ثالث عشره « كُتِبَ في يوم النفر الثاني » .

الاعتبار الثاني

(أن يؤرخ بحملة من أيام الشهر)

فإن أرخ بعشر من الشهر، بناه على التانيث : فيكتب « كُتِبَ في العَشر الأولى ، أو في العَشر الأوَّل - بضم الهمزة وفتح الواو جمع أوَّل^(١) . أو كتب في العَشر الوُسْطى أو في العَشر الوُسْط - بضم الواو وفتح السين جمع وُسْطى ، أو كتب في العَشر الأخرى

(١) لعل الصواب " جمع أول " .

أوفي العشر الآخر - بضم الهمزة وفتح الخاء جمع آخرية . قال الشيخ أبو حيان :
 ولا يُكْتَبُ العَشرُ الأوَّلُ ولا الأوسَطُ ولا الآخِرُ . وقال بعض النحويين يُكْتَبُ
 «وكتب في العَشرِ الآخِرَةِ أو الأوائِرِ» ولا يُكْتَبُ الأخرى ولا الأخر: لتلايتبس بالآخر
 بمعنى الثاني أو الآخر بمعنى الثواني . وقد تقدم في الكلام على أيام الشهر أن العرب
 تسمى ليالي الشهر كُلِّ ثلاث منها باسم ، وقد تقدم ذكر أسمائها هناك . فإذا وقعت
 الكتابة في ثلاث منها ، كالفرر: وهي الثلاث الأولى من الشهر، والدآدى : وهي الثلاث
 الأخيرة منه ، كان للكاتب أن يؤرخ بها كما يؤرخ بعشر من الاغشار الثلاث ، بل
 الثلاث أقرب لمعرفة التاريخ من العشر . وقد أشار إلى ذلك الشيخ أبو حيان
 في «شرح التسهيل» فقال : وإن أرخ بالثلاث الأخيرة من الشهر كتب الدآدى .
 وإذا كان في السنة أيام مشهورة^(١) ، أرخ بها كالأيام المعلومات : وهي العشر الأولى
 من ذى الحجة ، والأيام المعدودات : وهي أيام التشريق على ما تقدم ذكره في موضعه ،
 كان للكاتب أن يؤرخ بها .

الاعتبار الثالث

(أن يؤرخ بأجزاء اليوم أو الليلة)

وأكثر ما يحتاج الكاتب إلى ذلك في تاريخ بطائق الحمام ، وقد سبق في الكلام
 على الأيام أن كل واحد من الليل والنهار اثنتا عشرة ساعة زمانية ، تطول بطول
 أحدهما وتقصر بقصره ، ولكل ساعة منها اسم مخصوص ، كالشروق : وهو أول ساعات
 النهار ، والغروب : وهو آخر ساعاته ، والشفق : وهو أول ساعات الليل ، والصبح
 وهو آخر ساعاته . فينبغي للكاتب إذا كتب بطاقة من بطائق الحمام أن يكتب

(١) عبارة الضو. ص ١٠٤ : «ولانزاع في أنه يجوز التاريخ بالأيام المشهورة في السنة كالأيام المعلومات الخ»
 وهي أوضح .

الساعة التي كتبت فيها من ساعات النهار ، أما ساعات الليل فلا يتأتى فيها ذلك ، لأن الحمام لا يُسرح في الليل ، اللهم إلا أن تدعو الضرورة إلى التاريخ بساعة من ساعات الليل في بعض المكاتبات فيؤرخ بها .

قلت : وهذا الترتيب قد تركه كُتَّابُ زماننا ، وصاروا يؤرخون بالساعات المشهورة عندهم ، كالأولى من النهار ، أو الثانية ، أو وقت الظهر ، أو وقت العصر ، ونحو ذلك .

الضرب الثاني

(التاريخ العجمي)

ومداره الأيام دون الليالي ، لأن سنتهم مع اختلافها في الشهور ومبادئها ومقاطعها شمسية ، والشمس محل ظهورها النهار دون الليل ، فلذلك أرخوا بالأيام . قال أبو هلال العسكري في كتابه "الأوائل" : قال أحمد بن يحيى البلاذري : حضرت مجلس المتوكل ، وإبراهيم بن العباس يقرأ الكتاب الذي أنشأه في تأخير النوروز ، والمتوكل يتعجب من حسن عبارته ولطف معانيه والجماعة تشهد له بذلك ، فدخلتني نقابة ، فقلت : يا أمير المؤمنين في هذا الكتاب خطأ ! فأعادوا النظر ، وقالوا : ما زاه فما هو ؟ - قلت : أرخ السنة الفارسية بالليالي ، والعجم تؤرخ بالأيام ، واليوم عندهم أربع وعشرون ساعة تشتمل على الليل والنهار ، وهو جزء من ثلاثين جزءا من الشهر ، والعرب تؤرخ بالليالي ، لأن سنينهم وشهورهم قمرية ، وأبتداء الهلال بالليل - قال : فشهدوا بصحة ماقلته ، وأعترف به إبراهيم . وقال : ليس هذا من علمي .

قلت : وأكثر ما يُحتاج إلى ذلك في تحويل السنين ونقل النيروز عند دوران السنين ، كما في كتاب إبراهيم بن العباس المقدم ذكره ، وكذلك في كتابة الهدن فسيأتي أنه يجمع فيها بين التاريخ العربي والعجمي جميعاً ، ويجب فيه تقديم العربي على العجمي ، مثل أن يكتب « كُتِبَ لعشرِ خلونَ من المحرم سنة ثمانمائة » موافقاً للعاشر من توت من شهور القبط ، أو العاشر من تشرين الأول من شهور السريان ، أو العاشر من ينير من شهور الروم ، أو العاشر من أفرودين ماه ، من شهور الفرس ونحو ذلك .

الجملة السابعة

(في تقييد التاريخ بالسنة)

قد علمت أن فائدة التاريخ إنما تحقق بذكر السنة بعد اليوم والشهر ، وإلا فلا يُعلم من أي السنين . فإذا كتب يوم كذا من شهر كذا كتب بعد ذلك ، سنة كذا ، سواء كان التاريخ عربياً أو عجمياً ، أو مرّجاً منهما . مثل أن يكتب سنة كذا من الهجرة الموافق لكذا من سني الروم أو سني الفرس .

ثم للكاتب في كتابة تاريخ السنة مصطلحان .

المصطلح الأول — أن يكتب « سنة كذا » فيحتاج إلى حذف الهاء من العدد ، على قاعدة حذفها من عدد المؤنث ، مثل أن يكتب سنة ست وثمانمائة ونحو ذلك ، وعلى هذا أصطلح كتاب الديار المصرية وبلاد المشرق .

المصطلح الثاني — أن يكتب « عام كذا » فيحتاج إلى إثبات الهاء في العدد على قاعدة إثباتها في عدد المذكر ، مثل أن يكتب « عام ست وثمانمائة » وعلى نحو ذلك

يَجْرَى كُتَابُ الْغَرْبِ غَالِبًا ، لِمَا يُقَالُ : إِنَّ الْعَامَ يُخْتَصُّ بِالْخِصْبِ وَالسَّنَةَ
تُخْتَصُّ بِالْمَحَلِّ عَلَى مَا تَقَدَّمَ ذِكْرُهُ فِي الْكَلَامِ عَلَى السَّنِينَ فِيمَا يَحْتَاجُ إِلَيْهِ الْكَاتِبُ
فِي الْمَقَالَةِ الْأُولَى .

الجملة الثامنة

(في معرفة بعض التواريخ من بعض)

قد ذكر في " مواد البيان " أن من جملة أدب الكاتب العلم بتواريخ سني العالم
وأستخراج بعضها من بعض في كل وقتٍ من أوقات اليوم الذي هو فيه من كل
شهرٍ وسنة من سني الأمم . وقد تقدم أيضا أن المستعمل من التواريخ في زماننا بين
الأمم أربعة تواريخ ، بعضها أقدم من بعض .

أولها - تاريخ غلبة الإسكندر . وهو التاريخ الذي تؤرخ به السريان والروم
والفرنجية ومن في معانهم إلى الآن ، وهو بعد الطوفان فيما حرره الشيخ علاء الدين
ابن الشاطر في " زيجه " بثلاثة آلاف وسبعمائة وخمس وثلاثين سنة وثلثمائة
وعشرين يوما .

الثاني - التاريخ من ملك دقلطيانوس . وهو الذي يؤرخ به القبط إلى الآن .
وربما عبروا عنه بتاريخ الشهداء ، إشارة إلى تسميتهم الذين قتلهم دقلطيانوس
من القبط شهداء . وهو بعد غلبة الإسكندر بثمانمائة وأربع وتسعين سنة وثلثمائة
وأثنين وثلاثين يوما .

الثالث - التاريخ من الهجرة ، وعليه تاريخ الإسلام . وهي بعد ملك دقلطيانوس
بثلاثمائة وست وثلاثين سنة وثلثمائة وأحد وعشرين يوما .

الرابع - التاريخ من هلاك يزدجرد آخر ملوك الفرس . وقد تقدم أنه بعد الهجرة بعشر سنين وثمانية وسبعين يوماً .

فأما التاريخ السرياني والرومي وهو الذي مبدؤوه من غلبة الإسكندر فقد تقدم أن شهور السريانيين اثنا عشر شهراً ، وهي : تشرين الأول - تشرين الثاني - كانون الأول - كانون الثاني - شباط - آذار - نيسان - أيار - حزيران - تموز - آب - أيلول . منها سبعة أشهر كل شهر منها أحدٌ وثلاثون يوماً ، وهي : تشرين الأول ، وكانون الأول ، وكانون الثاني ، وأذار ، وأيار ، وتموز ، وآب ، وأربعة أشهر كل شهر منها ثلاثون يوماً ، وهي : تشرين الثاني ، ونيسان ، وحزيران ، وأيلول . ومنها واحدٌ ثمانية وعشرون يوماً : وهو شباط ، فتكون أيام سنه ثلثمائة وخمسة وستين يوماً ، ويضاف إليها ربع يوم مراعاةً للسنة الشمسية ، فتصير ثلثمائة وخمسة وستين يوماً وربع يوم ينقص جزءاً يسيراً ، ومن أجل ذلك يعدون ثلاث سنين بسائط ^(١) يكون شباط فيها تسعة وعشرين يوماً : لإضافة ربع اليوم في السنين الأربع إليه ، وتكون السنة فيها ثلثمائة وستة وستين يوماً .

وقد تقدم أيضاً أن شهور السنة الرومية تُضاهى شهور السنة السريانية في عدد الأيام ، بل هي هي ، إلا أن الروم يُسمون أشهرهم بأسماء غير أسماء شهور السريان ، ويكون أول شهورهم موافقاً لكانون الثاني ، وهو الشهر الرابع من شهور السريان ، ويكون آخر شهورهم موافقاً لكانون الأول .

(١) كذا في الاصول ويظهر أن فيه سقطاً من النسخ والاصل "يعدون ثلاث سنين بسائط" وستة كية

يكون الخ كما يؤخذ من نظيره في التاريخ القبطي تأمل .

وأسماء شهورهم : يَنير، فَبراير، مارس، ابريل، مايه، يونيه، يوليه، أغشت، شتبر، أكتوبر، نونبر، دجنبر . ولا فرق في شيء منها سوى اختلاف الأسماء وأبتداء رأس السنة، وحينئذ فيكون الكلُّ فيها في التاريخ واحدا .



وأما التاريخ القبطي : وهو الذي مبدؤه من ملك دقلطيانوس ، فقد تقدم أن شهور السنة القبطية اثنا عشر شهراً . وهي : توت، بابه، هتور، كيهك، طوبه، أمشير، برمهاث، برموده، بشنس، بثونه، أبيب، مسرى . وكل شهر منها ثلاثون يوماً من غير اختلاف ، ثم بعد مسرى خمسة أيام يسمونها أيام النسيء ، فتكون أيام سِتِّهم ثلاثاً وخمسة وستين يوماً، وتزيد بعد ذلك رُبْعَ يوم في كل سنة كما في التاريخ الرومي ، وقد أصطلحوا على أن يعدّوا منها ثلاث سنين بسائط ، كل سنة منها ثلاثمائة وخمسة وستون يوماً لا زيادة فيها ، والرابعة كبيسة تكون أيام النسيء فيها ستة أيام وزيادة رُبْعَ يوم ، وتصير أيام تلك السنة ثلاثمائة وستة وستين يوماً ، على نحو ما تقدم في السرياني والرومي .



وأما التاريخ العربي : وهو الذي مبدؤه الهجرة ، فقد تقدم في الكلام على الشهور في المقالة الأولى أن شهور سنة العرب اثنا عشر شهراً . وهي : المحرم، صفر، ربيع الأول، ربيع الآخر، جمادى الأولى، جمادى الآخرة، رجب، شعبان، رمضان، شوال، ذو القعدة، ذو الحجة . وأنها قمرية مدارها رؤية الهلال ، إلا أن المنجمين اعتمدوا فيها على الحساب دون الرؤية لتصحيح حساب التواريخ ونحوها ، وجعلوا فيها شهراً تاماً عدده ثلاثون يوماً ، وشهراً ناقصاً عدده تسعة وعشرون يوماً ، على ترتيب شهور السنة ، فالمحرم عندهم تام ، وصفر ناقص ، وربيع الأول تام ،

وربيعُ الآخرِ ناقصٌ، وجمادى الأولى تامٌ، وجمادى الآخرة ناقصٌ، ورجب تامٌ،
 وشعبان ناقصٌ، ورمضان تامٌ، وشوال ناقصٌ، وذو القعدة تامٌ، وذو الحجة ناقصٌ .
 فيكون من السنة ستة أشهر تامة وستة أشهر ناقصة، وتكون السنة حينئذ ثلثمائة يوم
 وأربعاً وخمسين يوماً؛ ويلحقها بعد ذلك كسرٌ في كل سنة، وهو خمسٌ يوم وسُدسٌ
 يوم، فتصير السنة ثلثمائة يوم وأربعة وخمسين يوماً وخمسٌ يوم وسُدسٌ يوم مفترقة^(١)
 في ثلاثين سنة؛ ويجعلون الكبيسة سنةً بعد سنة ثم سنةً بعد سنتين، ثم سنةً بعد
 سنة، وعلى هذا الترتيب إلى آخر الثلاثين، فتكون الكائنات هي: الثانية، والخامسة،
 والسابعة، والعاشر، والثالثة عشرة، والخامسة عشرة، والثامنة عشرة، والحادية
 والعشرين، والرابعة والعشرين، والسادسة والعشرين، والتاسعة والعشرين . فتكون
 كل سنة منها ثلثمائة وخمسة وخمسين يوماً، ويجعل الزائد فيها في ذى الحجة، فيكون
 فيها ثلاثين يوماً وباقي سني الثلاثين بسائط، كل سنة منها ثلثمائة وأربعة وخمسون
 يوماً، وذو الحجة فيها تسعة وعشرون يوماً، بناء على الأصل في أن يكون شهر تاماً
 وشهر ناقصاً .



وأما التاريخ الفارسي : وهو الذي مبدؤه من هلاك يزيدجرد، فقد تقدم في الكلام
 على الشهور أن سني الفرس اثنا عشر شهراً، كل شهر منها ثلاثون يوماً . وهي :
 افرودين ماه، أرديهشماه، حردادماه، تيرماه، تردماه، شهريرماه، مهرماه، أبان ماه،

(١) كذا في الأصول وعبارة الضو. ص ١٥٦ "ويجتمع من هذا الخمس والسادس يوم في كل ثلاث
 سنين فتصير السنة ثلثمائة وخمسة وخمسين يوماً ويبقى من ذلك بعد اليوم الذي اجتمع شيء، فيجتمع منه ومن
 خمس اليوم وسدسه في السنة السادسة يوم واحد وكذلك إلى أن يبقى الكسر أحد عشر يوماً عند تمام ثلاثين
 سنة وتسمى تلك السنين بكائنات العرب" وهي أوضح .

أدرماه ، ذى ماه ، بهمن ماه ، اسفندارماه . وبين أبان ماه وأدرماه خمسة أيام تسمى المسترقة بمثابة أيام النسيء في آخر سنة القبط ، وبمقتضى ذلك تكون سنتهم ثلثمائة وخمسة وستين يوماً ، وليس فيها زيادة ولا نقص . فلا بد من معرفة هذه الأصول لاستخراج تواريخ بعض السنين المذكورة من بعض .

ثم مما يجب تعرفه بعد ذلك أن تعلم أن التاريخ السرياني والرومي سنونه سريانية أو رومية على ما تقدم ، فيعتبر فيها ما يعتبر في السنين السريانية والرومية من عدد الأيام والكائنات ، والتاريخ القبطي سنونه قبطية فيعتبر فيها ما يعتبر في السنين القبطية من الأيام والكائنات ، والتاريخ العربي سنونه عربية فيكون على ما تقدم في السنين العربية من عدد الأيام والكائنات ، والتاريخ الفارسي سنونه فارسية فيعتبر فيها ما يعتبر في السنين الفارسية من عدد الأيام ، ولا كيسة فيها .

إذا علمت ذلك فإذا أردت استخراج بعض هذه التواريخ من بعض ، فانظر التاريخ المعلوم عندها عندك ، كالتاريخ العربي مثلاً عند الإسلاميين فاجعل السنين الساقطة من التاريخ المعلوم أياماً ، وزد عليها ماضياً من السنة المكسورة من الشهور والأيام إلى اليوم الذي تريد أن تعلم موافقته لمثله من التاريخ المجهول ، ثم انظر : فإن كان التاريخ المعلوم أقدم من التاريخ المجهول ، فانقص من أيام التاريخ المعلوم ما بين التاريخين من الأيام فما بقي فهو أيام التاريخ المجهول . وإن كان التاريخ المجهول أقدم ، فزد ما بين التاريخين من الأيام فما بقي فهو أيام التاريخ المعلوم . فما بلغ فهو أيام التاريخ المجهول . فإذا علمت أيام التاريخ المجهول بزيادة ما بين التاريخين على أيام التاريخ المعلوم أو نقصانها منه على ما تقدم . فاحصل ما حصل معك من أيام التاريخ المجهول الذي تريد استخراجها ، فما كان فهو السنون الساقطة

للتاريخ الذي تريد أستخرجه ، فإن بقيَ شيءٌ من الأيام بعد السنين التامة ، نخذ منها لكل شهر عددَ أيامه ، وما بقى من الأيام دونَ شهر فهو الماضي من أيام الشهر الذي يلي ذلك .

مثال ذلك إذا أردت ان تستخرج التاريخ السرياني أو الرومي الموافق لآخر سنة ثمانمائة من الهجرة ، فقد تقدم لك أن التاريخ السرياني والرومي مبدؤه من غلبة الإسكندر على الفرس ، وهو قبل الهجرة بتسعمائة سنة واثنتين وثلاثين سنة ومائتين وسبعة وثمانين يوماً ، وذلك ثلثمائة ألف يوم وأربعون ألف يوم وسبعمائة يوم ، فاحفظ ذلك ، ثم أبسط الماضي من سني الهجرة وهو ثمانمائة سنة أياماً ، بأن تضرب الثمانمائة في عشرة آلاف وستمائة وأحد وثلاثين يوماً ، وهي بسط السنة العربية من حين كسرها الزائد على أيامها ، وهو خمس يوم وسدس يوم ، يكون ثمانية آلاف ألف وحمسمائة ألف وأربعة آلاف وثمانمائة ، فاقسمه على ثلاثين وهي مخرج الكسر الذي هو الخمس والسادس ، يخرج بالقسمة مائتا ألف وثلاثة وثمانون ألفاً وأربعمائة وثلاثة وتسعون ، وهو عدد أيام الثمانمائة سنة ، فأضفه على ما بين غلبة الإسكندر والهجرة من الأيام ، وهو ثلثمائة ألف وأربعون ألفاً وسبعمائة يوم ، يكون الجميع ستمائة ألف وأربعة وعشرين ألفاً ومائة وثلاثة وتسعين ، فاجعل تلك الأيام سنين سريانية . بأن تضرب تلك الأيام في أربعة ، يحصل منها ألفاً ألفاً وأربعمائة ألف وستة وتسعون ألفاً وسبعمائة وأثنان وسبعون يوماً ، فاقسمه على ألف وأربعمائة وأحد وستين ، يخرج بالقسمة ألف وسبعمائة وثمانية ، وهي سنون تامة ، ويفضل بعد ذلك ألف وثلثمائة وأربعة وثمانون ، فاقسمها على أربعة ،

(١) الذي تقدم له " مائتين وتسعين يوماً " .

يخرج ثلثمائة وستة وأربعون يوما ، يكون ذلك أحد عشر شهرا ، من أول تشرين الأول وأحد عشر يوما من الشهر الثاني عشر من الشهور السريانية وهو أيلول ، فيكون آخر يوم من سنة ثمانمائة هجرية موافقا لليوم الحادي عشر من أيلول سنة ألف وسبعمائة وتسع من السريانية .

وإن أردت أن تستخرج التاريخ القبطي لآخر سنة ثمانمائة ، فقد تقدم أن التاريخ القبطي ابتدأه من ملك دقلطيانوس على القبط ، وهو قبل الهجرة بثلثمائة وسبع وثلاثين سنة وثلثمائة وعشرين يوما ، بحملة أيامه مائة ألف يوم وثلاثة وعشرون ألف يوم وأربعمائة يوم وتسعة أيام ، فأضف أيام الماضي من سى الهجرة : وهو مائتا ألف وثلاثة وثمانون ألفا وأربعمائة وثلاثة وتسعون على ما تقدم في التاريخ السرياني [على ما قبل الهجرة^(١)] وهو مائة ألف وثلاثة وعشرون ألفا وأربعمائة وتسعة أيام ، يكون المجموع أربعمائة ألف وستة آلاف وتسعمائة يوم ويومين ؛ فاجعله سنين قبطية ، بأن تضرب ذلك في أربعة عدد فخرج كسر السنة القبطية ، وهو الربع الزائد على الخمسة وستين ، يكون ألف ألف وستمائة ألف وسبعة وعشرين ألفا وستمائة وثمانية ؛ فاقسمه على ألف وأربعمائة وأحد وستين ، يخرج بالقسمة ألف ومائة وأربعة عشر ، وهو عدد السنين القبطية التامة ، ويبقى بعد ذلك أربعة وخمسون ؛ فاقسمه على الأربعة المذكورة يخرج بالقسمة أربعة عشر ، وهي أيام من الشهر الأول من السنة القبطية الناقصة ، فيكون آخر يوم من سنة ثمانمائة للهجرة موافقا لربع عشر شهر توت سنة ألف ومائة وخمس عشرة من السنين القبطية .

(١) الزيادة لازمة لتوضيح المقام وهي مرادة للؤلؤ .

وإن أردت أن تستخرج التاريخ الفارسي لآخر سنة الثمانمائة المذكورة ، فقد تقدم أن ابتداء التاريخ الفارسي بعد الهجرة بعشر سنين وثمانين يوماً ، وجملة أيامه ثلاثة آلاف يوم وثمانمائة يوم وأربعة وعشرون يوماً ، فأسقطها من الحاصل من أيام النسيء الماضي من الهجرة إلى آخر الثمانمائة ، يكون الباقي بعد ذلك مائتي ألف وتسعة وسبعين ألفاً وثمانمائة وتسعة وستين يوماً ، فأقسمها على ثلثمائة وخمسة وستين ، يخرج لك سبعمائة وستة وستون سنة ، وهو عدد السنين الفارسية التامة ، ويفضل بعد ذلك مائتان وتسعة وسبعون يوماً ، نخذ لكل شهر عدد أيامه : وهو ثلاثون يوماً ويبقى تسعة أيام ، منها خمسة أيام في نظير الخمسة الأيام الزائدة في آخر أبان ماه المعروفة بالمستترقة ، يبقى أربعة أيام من شهر ذى ماه : وهو الشهر العاشر من شهورهم ، فيكون آخر يوم من ثمانمائة من الهجرة موافقاً لليوم الرابع من ذى ماه من شهور الفرس سنة سبعمائة وسبع وستين .

فلو فرض أنه مضى من سنة إحدى وثمانمائة ستة أشهر مثلاً ، فأجعل الأشهر شهراً تاماً وشهراً ناقصاً على ما تقدم ، تكون أيامها مائة وسبعة وسبعين يوماً فأضفها على أيام الثمانمائة ، وأفعل فيها ما تقدم ذكره ، لا يتغير العمل في شيء من ذلك .

مثال ذلك : إذا أردت استخراج التاريخ السرياني في آخر جمادى الآخرة سنة إحدى وثمانمائة ، فأضف مائة وسبعة وسبعين : وهي أيام ستة أشهر على أيام الثمانمائة ، وهي مائتا ألف وثلاثة وثمانون ألفاً وأربعمائة وثلاثة وتسعون ، يكون المجموع مائتي ألف وثلاثة وثمانين ألفاً وثمانمائة وستين يوماً ، فأضف إليه ما بين الهجرة والتاريخ السرياني : وهو ثلثمائة ألف وأربعمائة وسبعمائة ، يحصل

(١) كذا في الاصول ولعله السنن الماضية من الهجرة .

من ذلك ستمائة ألف وأربعة وعشرون ألفاً وثلاثمائة وسبعون ، فاضربه في أربعة يخرج لك ألف وستمائة وتسعة ، ويفضل من الأيام مائة وثمانية وخمسون يوماً ، تكون سبع أدار من شهر السريان ، فيكون آخر يوم من جمادى الآخرة سنة إحدى وثمانمائة موافقاً للسابع من شهر أدار سنة ألف وسبعمائة وعشر من سني السريان .

قلت : وفي كتب الزيجات وغيرها طرق مختلفة لاستخراج التواريخ ، وجداول موضوعة لا يحتملها هذا الكتاب فليراجعها من أحتاج إلى زيادة على ذلك .

الجملة الثامنة

(في موضع كتابة التاريخ من الكتاب ، وصورة وضعه في الكتابة)

أما موضعه من الكتاب ، فقال محمد بن عمر المدائني في كتاب " القلم والدواة " :
رسموا تاريخ الكتب في آخرها ، وجعلته العامة في صدورها . والتحقيق في ذلك ما ذكره صاحب " مواد البيان " وغيره أن الكتب التي تؤرخ على ضربين :

الضرب الأول - الكتب السلطانية ، ولها حالان :

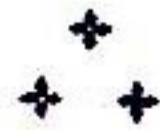
الحالة الأولى - أن يكون الكتاب في أمر تتشوف النفوس إلى معرفة اليوم الذي وقع ذلك الأمر فيه : كالحوادث العظام ، والفتوحات والمواسم ونحوها ، فيؤرخ الكتاب في صدره ، مثل أن يكتب في صدر الكتاب « كتاب أمير المؤمنين إليك ، أو كتابنا إليك يوم كذا من سنة كذا » كما كان يكتب في الزمن المتقدم في مثل ذلك .

الحالة الثانية - أن يكون الكتاب في أمر لا تتشوف النفوس إلى معرفة اليوم الذي يقع ذلك الأمر فيه ، فيؤرخ الكتاب في آخره .

الضرب الثاني - كتب الأتباع إلى الرؤساء .

والرسم فيها أن تُؤرخ في صدورها . قال في "موادّ البيان" : وذلك مثل أن يقال :
كتب العبدُ من مقرّ خدمته يوم كذا .

قلت : والذي استقرّ عليه حالُ كُتُب الزمان كتابةً التاريخ في آخر الكتاب بكل
حال ، سواء كان المكتوبُ ولايةً أو مكاتبَةً أو غير ذلك ، ولعلّ الولاياتِ
وما في معناها لم يقع الاختلافُ في كتابتها في آخر المكتوب في زمن من الأزمان .



وأما صورةُ وضع التاريخ في الكتابة ، فقد اصطُح الكُتُب على أن جعلوا التاريخ
بعد كتابة إن شاء الله تعالى في سطرين : فيكتبون « كُتِب في كذا من شهر كذا »
في سطرٍ ، ثم يكتبون « سنة كذا » في سطرٍ تحته ، وفي الكُتُب عن قضاة القضاة
يُجعل كُتُبهم جميع التاريخ في سطر واحد .

الطَّرَفُ الثَّلَاثُ

(في المُسْتَنَدَات ، وفيه جملتان)

الجملة الأولى

(في صورة ما يُكْتَب ، وهو على ضربين)

الضربُ الأوَّلُ

(ان يُضَاف إلى مرسوم السلطان ، وله خمس حالات)

الحالة الأولى - أن يكون بتلقّي كاتب السرّ ، إما بما يأمر به السلطان عند قراءته
القصة عليه ، أو بما يكتبه كاتب السرّ ويُمضيه من نفسه ، كما في خلاص الحقوق
ونحوها ، فيكتب فيه « حسب المرسوم الشريف » في سطرٍ واحد لا غير .

الحالة الثانية - أن يكون بتلق كاتب السرّ أو أحد من كتّاب الدّست بدار العدل ، عند جلوس السلطان في المواكب بالإيوان وقراءة كاتب السرّ وكتّاب الدّست قصص المظالم ونحوها عليه . فيكتب فيه « حسب المرسوم الشريف من دار العدل الشريف » سطرين أحدهما تحت الآخر ، ويكون في السطر الأول « حسب المرسوم الشريف » والباقي في السطر الثاني .

الحالة الثالثة - أن يكون برسالة الدوّادار . فيكتب فيه « حسب المرسوم الشريف » سطرًا واحدًا ، ثم يكتب تحته « برسالة الجناح العالى الأميرى الدوّادار ، الفلانى » باللقب المضاف إلى الملك كالأصيرى ونحوه « ضاعف الله تعالى نعمته » ويكون آخر السطر الأول « الأميرى الفلانى » .

الحالة الرابعة - أن يكون من ديوان الخاص . فيكتب فيه « حسب المرسوم الشريف من ديوان الخاص الشريف » ويكون « حسب المرسوم الشريف » سطرًا ، وبقاى الكلام سطرًا .

الحالة الخامسة - أن يكون بخط السلطان بظاهر قصّة . فيكتب « حسب المرسوم الشريف بالخط الشريف » سطرين ، ويكون « حسب المرسوم الشريف » سطرًا على ما تقدم ، وما بعده سطرًا .

قلت : ومما يجب التنبه له أنّ لفظ حسب الواقع في المستندات منقول اللغة فيه بفتح السين كما تقول : فعلت ذلك حسب أمرك ، ولا يجوز تسكينها بحال كما أطبق عليه علماء اللغة ، إلا ما حكاه الجوهري في « صحاحه » من جواز تسكينها في ضرورة الشعر ، على أن جُلُّ كتّاب الزمان يغلطون في ذلك فلا ينطقون بها إلا ساكنة السين ، وربما ضبطوه كذلك في الكتابة .

الضرب الثاني

(أن يجعل مستنده الإشارة، وله ثلاث حالات)

الحالة الأولى - أن يكون بإشارة النائب الكافل . فيكتب «بالإشارة العالية الأميرية الكبيرة الكافية، كافل الممالك الشريفة الإسلامية، أعلاها الله تعالى!»
سطين، ويكون آخر السطر الأول الكافية الفلانية .

الحالة الثانية - أن يكون بإشارة الوزير . فيكتب «بالإشارة العالية الوزيرية الفلانية، مدبر الممالك الشريفة أعلاها الله تعالى!» سطين، ويكون آخر السطر الأول الوزيرية الفلانية .

الحالة الثالثة - أن يكون بإشارة الإستدار . فيكتب «بالإشارة العالية الأميرية الكبيرة الفلانية، إستدار العالية، أعلاها الله تعالى!» سطين، ويكون آخر السطر الأول الكبيرة الفلانية . وقد تقدم في الكلام على الألقاب ما جرى عليه الكتاب في لفظ إستدار من التحريف، واستعملوه بلفظ إستادار، أو استاد الدار، وتجب موافقتهم عليه وإن كان خطأ جريا على المصطلح .

الجملة الثانية

(في موضع كتابة المستند)

وقد أصطلح الكتاب على أن يكتب المستند في الغالب بعد التاريخ، ويكون الظرف أو الجاز والمجورور فيه متعلقا من التاريخ بلفظ كتب، وكأنه يقول: كتب في تاريخ كذا، حسب الأمر الشريف، أو بالإشارة الفلانية . وربما كتب بحاشية المكتوب في المراسيم الصغار التي تكتب على ظهور القصاص ونحوها، وكذلك

أوراق الطَّريق ؛ وموضع كتابته يقابل بين السطرين الأولين آخذاً من جهة الأسفل إلى جهة الأعلى بحيث يكون آخرُ كتابة المستند مسامتا للسطر الأول ، فإن كان «حَسَب المرسوم الشريف» فقط ، كتبه سطرا واحدا ، وإن كان «من دار العدل» كتب «حَسَب المرسوم الشريف» سطرا ، ومن «دار العدل الشريف» سطرا تحته ، وكذلك إن كان «من ديوان الخصاص» كما يُكْتَب في أسفل الكتاب . وإن كان برسالة الدوادار ، فقد جرت العادة أن يكتب «حَسَب المرسوم الشريف» في أسفل الكتاب تحت التاريخ سطرا واحدا ، ويكتب «برسالة الجناب العالي ، الأميرى ، الكبيرى ، الفلانى ، الدوادار ، الفلانى ضاعف الله تعالى نعمته !» بالهامش في المحل المتقدم سطرين كما كان يُكْتَب بآخر الكتاب . وإن كان المستند الإشارة كتب جميعه بحاشية الكتاب في المحل المقدم ذكره سطرين على ما تقدم بيانه .

الطرف الرابع

(في الحمدلة في آخر الكتاب ، وفيه جملتان)

الجملة الأولى

(في الاصل في كتابتها)

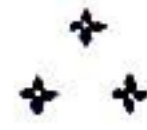
والأصل في ذلك أن الله سبحانه كما جعل الحمد مفتاحا للأمر تيمنا بالافتتاح به ، جعله ختاماً لها تيمنا بالاختتام به قال تعالى : ﴿ وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْحَقِّ وَقِيلَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ وقال جلَّت قدرته : ﴿ دَعَوَاهُمْ فِيهَا سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَامٌ وَأَخْرَجَدَعَوَاهُمْ أَنْ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ . وكان النبي صلى الله عليه وسلم إذا رجع من السفر قال : " آتِبُونَ تَائِبُونَ لِرَبِّنَا حَامِدُونَ " . قال السهيلي : ومن ثم سُمِّي النبي صلى الله عليه وسلم (أحمد) إشارة إلى أنه خاتم الأنبياء وآخر المرسلين .

ولما كان الأمر كذلك ، أصطلح الكُتَّابُ على آخِتامِ الكُتُبِ بالحمدِ تبرُّكاً .
قال ابنِ شيثٍ في ”معالمِ الكتابة“ : ولا يُحْتَمُّ بالحمدِ لله في التواقيعِ في المَظالمِ ، وربما
خُتِمَ بها في تواقيعِ الإطلاقاتِ . وقد أصطلح كُتَّابُ الزمانِ على حذفِها من آخرِ
مالا تُكْتَبُ في أولِهِ البسملةُ : كالتواقيعِ الصَّغارِ ونحوها ، على ما سيأتى في موضعه
إن شاء الله تعالى . وكأنهم يُشيرون بذلك إلى أنَّ مثل ذلك لا يُهْتَمُّ بشأنه ، فكما حذفوا
البسملةَ من أولِها حذفوا الحمدَ من آخرِها إشارةً إلى عدمِ الأهتمامِ بها كما حُذِفَتْ
من أولِ الكلامِ الذي لا يُهْتَمُّ به لأجلِ ذلك على ما تقدّمَ بيانهُ .

الجملة الثانية

(في بيان ما يُكْتَبُ وصورةِ وضعه في الكتابة)

أما ما يُكْتَبُ ، فقد أصطلحوا على أن يُكْتَبوا في حَمْدَةِ آخرِ الكُتَابِ « الحمدُ لله
وحده » وربما كُتِبوا : « الحمدُ لله ربِّ العالمين » . على أنهم لو أطبقوا على كتابتها
لكانَ أولى . فقد ذكر النوى في كتابه ”الأذكار“ أنها أفضلُ صيغِ الحمدِ ومن
أجلِ ذلك أفتِحتُ بها فاتحةَ الكتابِ التي هي أمُّ القراءانِ .



وأما وضعها في الكتابة ، فقد أصطلحوا على أن جعلوها بعدِ كتابةِ المُستندِ عن يَمَنَةِ
الدَّرَجِ ، على بُعدِ قدرِ ما بين إن شاء الله تعالى والسطرِ الآخِرِ من المكتوبِ . قال
في ”معالمِ الكتابة“ وقد تحتملُ الخروجُ عن سَمْتِ السُّطورِ .

الطرف الخامس

(في الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم في آخر الكتاب ،
وما يلحق بذلك ، وفيه جملتان)

الجملة الأولى

(في أصل إثباتها في آخر الكتب)

والأصل في ذلك مع ما تقدم في الكلام على الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم في أول الكتب في الكلام على الفواتح أنه كما ذكرت في أوائل الكتب تبرُّكا ، كذلك ذكرت في آخرها تبرُّكا . وقد قال تعالى في حقه صلى الله عليه وسلم : ﴿ وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ ﴾ فإن معناه ما ذكرت إلا ذكرت معي ، ولما آختمت الكتب بالحمد لله ، ناسب أن يُقرن الحمد بالصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم جمعاً بين ذكره وذكر الله تعالى . وقد ذكر ابن هشام في "سيرته" : أن النبي صلى الله عليه وسلم كتب في آخر عهده لعمر بن حزم حين وجهه إلى اليمن «صلى الله على محمد» .

ثم الكلام في الجمع بين الصلاة والسلام ، والصلاة على الآل والصَّحْبِ بعده صلى الله عليه وسلم في آخر الكتاب على ما مر في الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم في أول الكتاب^(١) .

قلت : فلو كتبت كتاباً لسُلطانٍ أو غيره من المسلمين إلى أحد من أهل الكُفْرِ ، فهل يؤتى بالصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم كما يؤتى بها في الكتاب إلى المسلم

(١) في الاصول "آخر" وهو خطأ من النسخ ، وعبارة الضوء على ما مر في الفواتح ، وهي أظهر .

إرغاماً للكافر بالصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم ، أو لا يُؤتى بها صيانةً لاسمه صلى الله عليه وسلم عن حصوله في يد كافرٍ ، كما يمنع من السفر بالمصحف إلى بلاد الكفر؟ لم أر من تعرض له ، والظاهر أنه يُؤتى بها إرغاماً للكافر ، ومواجهةً له بما يكره .

وقد حكى أبو هلال العسكري في كتابه "الأوائل" : أن عبد الملك بن مروان ، حين أحدث كتابة سورة الإخلاص وذكر النبي صلى الله عليه وسلم على الدنانير والدرهم ، كتب إليه ملك الروم : إنكم قد أحدثتم في طواميركم شيئاً من ذكر نبيكم ، فاتركوه وإلا أتاكم في دنائيرنا ذكر ماتكوهون ، فعظم ذلك في صدر عبد الملك ، فأرسل إلى خالد بن يزيد بن معاوية يستشيره في ذلك ، وكان أديباً عالمياً فقال له خالد : فرخ روعك^(١) يا أمير المؤمنين ، حرم دنائيرهم وأضرب للناس سكة فيها ذكر الله تعالى وذكر رسوله صلى الله عليه وسلم ولا تُعفهم مما يكرهون في الطوامير ، ففعل .

الجملة الثانية

(في بيان ما يكتب في التصلية في آخر الكتب ، وصورة وضعه في الكتابة)

أما صورة ما يكتب ، فقد أطلع الكتاب على أن يكتبوا في التصلية في آخر الكتاب بعد الحمد لله وحده ما صورته « وصلواته على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلامه » . وهي صيغة مستحسنة للإتيان بالصلاة فيها بصيغة الجمع ، والجمع بين الصلاة والسلام ، وإتباع الصلاة والسلام عليه صلى الله عليه وسلم بالصلاة والسلام على آل والصحاب . وربما أتى بعض الكتاب بالصلاة بلفظ الإفراد ، فيكتب وصلاته .

(١) أي أذهب فربك وربك ، ووقع في الأصول فرج بالجيم وهو تصحيف .

وأعلم أن الصلاة يجوز كتابتها بالألف على هذه الصورة "الصلاة" ويجوز كتابتها بالواو على هذه الصورة "الصلوة" إلا أن محل ذلك ما إذا لم تُضَف إلى ضمير نحو صلاته وصلاتك . فإن أُضِيفَتْ إلى الضمير تعيَّنَتْ كتابتها بالألف دون الواو . وربما غلط فيها بعض الكُتَّاب فكتبها بالواو .

+

وأما موضعها في الكتابة ، فقد أصطلحوا على أن يكتبوا ذلك تلو الحمد لله وحده ، يفصل بياض بينهما لتكون الجملة في أول السطر ، والتصلية في آخره .

الطرف السادس

(في الحسبة في آخر الكتاب ، وفيه جملتان)

الجملة الأولى

(في أصل كتابتها)

والأصل في ذلك ما دلَّ عليه قوله تعالى : ﴿ الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ فَانْقَلَبُوا بِنِعْمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ لِّجَعَلِ قَوْلَهُمْ : حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ سببًا لِحُسْنِ الْمَنْقَلَبِ وَالصَّوْنِ عَنِ السَّوْءِ . وَقَدْ قِيلَ : مَنْ قَالَ حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ لَمْ يَجِبْ فِي قَصْدِهِ .

الجملة الثانية

(في بيان ما يكتب في ذلك ، وكنية وضعه في الكتابة)

أما ما يكتب ، فقد أصطلح الكُتَّاب على أن يكتبوا «حسبنا الله ونعم الوكيل» باللفظ الجمع ، على أن المتكلم يتكلم بلسانه ولسان غيره من الأمة . لا أن الجمع للتعظيم : لأنه

ليس بلائق بالمقام . وكان بعض الكُتَّاب يَسْتَحِبُّ أن يكتب «حَسْبِيَ اللهُ» بلفظ الوحدة فراراً من اللَّبْس في لفظ الجمع بين التَّعْظِيم والجمع الحَقِيقِي . وقد أشار في «صناعة الكُتَّاب» إلى بعض ذلك . قال ابن شِيث في «معالم الكتابة» : وقد يتأدب الأذنى مع الأعلى ، فيأتى بالآية على نصها فيقول : ﴿ وَقَالُوا حَسْبُنَا اللهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ ﴾ فراراً من نُون الجمع التي هي للعظمة . قال : وقد يقال في مكانها : ﴿ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللهِ فَهُوَ حَسْبُهُ ﴾ ثم قال : فأما الأعلى إذا كَتَبَ للأذنى فلا يخرج عن «حَسْبُنَا اللهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ» . ثم بعض الكُتَّاب قد يكتب مع الحَسْبِلَة واوا بأن يكتب : وَحَسْبُنَا اللهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ ، ولا معنى للواو هنا ، إذ لا علاقة بين الحَسْبِلَة وما قبلها حتى يسوغ العطف عليه ، فالواجب حذفها كما نبه عليه الشيخ جمال الدين بن هشام في «ورقاته في الوراقاة» .



وأما موضع وضعها في الكتابة ، فقد اصطَلَحُوا على أن يكتبوها سطرًا واحدًا بعد سطر الحمدلة والتصلية ، ويكون بينهما في البُعد قدر ما بين إن شاء الله تعالى وبين السطر الآخر من البياض . قال ابن شِيث : وموضعها ثلثُ السطر من الجانب الأيمن إلى حيثُ يَنْتَهِي .

وأعلم أن الكُتَّاب قد اصطَلَحُوا على أن يكتبوا تحت الحَسْبِلَة صورة حاء لطيفة منكبة على هذه الصورة «حر» ولا معنى لها ، إذ هي في الأصل إشارة إلى الحَسْبِلَة نفسها ، وكأنَّ بعض الكُتَّاب كان يكتفي بها عن الحَسْبِلَة ، ثم آلتبس ذلك على بعض الكُتَّاب فأثبتها مع الحَسْبِلَة على ظَنِّ أن فيها قدرًا زائدًا عليها ، ويحتمل أنها إنما وُضِعَتْ في الأصل لسد البياض كما يُكْتَبُ بعض التوائر لسد البياض أو الفهمل بين الكلامين وغير ذلك .

الطرف السابع

(في اللواحق ، وفيه جملتان)

الجملة الأولى

(في الترتيب ، ويتعلق به أمران)

الأمر الأول

(في النَّدب إلى الترتيب)

لا نزاع في أن ترتيب الكتاب بعد الفراغ منه بإلقاء الرَّمْل ونحوه عليه مطلوبٌ ،
وفيه معنيان :

المعنى الأول - التبرُّك طلباً لنَجْح القصد ، فقد روى محمد بن عمر المدائني
في كتاب "القلم والدواة" بسنده عن إسماعيل بن محمد بن وهب عن هشام بن خالد
وهو أبو مروان الأزدي ، عن بَقِيَّة بن الوليد ، عن عطاء ، عن ابن جريح ، عن ابن عباس
عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : " تَرَبُّوا الكُتَابَ ونَحْوَهُ من أسفله فإنه أعظم
للبركة وأنجح للحاجة " . وفي حديث " إذا كتب أحدكم كتاباً فليتربه فإنه مباركٌ
وهو أنجح لحاجته " .

ومن كلام أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه : ^(١) تَرَبُّوا الكُتَابَ تَنَجُّوا .
ويؤيد ذلك ما روى أن النبي صلى الله عليه وسلم كتب كتابين إلى أهل قريتين
فترَّب أحدهما ولم يُترَّب الآخر ، فأسلمت القرية التي ترَّب كتابها . وهذا المعنى
موجود في المكاتبات والولايات وغيرها لطلب البركة والنجاح في جميع ذلك .

(١) رواية كتب اللغة "أتربوا الكتاب" .

وقد حكي ان أبادُهمان مريض مَرَضاً أَشْفَى فِيهِ ، فَأَوْصَى وَأَمَلَى وَصِيَّتَهُ عَلَى ابْنِهِ ، فَكَتَبَهَا وَأَتَرَبَهَا فَقَالَ : نَعَمْ تَرَبَهَا فَإِنَّهُ أَنْجَحُ لِلْحَاجَةِ . وَلَا فَرْقَ فِي ذَلِكَ بَيْنَ أَنْ يَكُونَ الْمَكْتُوبُ قَدْ جَفَّ أَمْ لَا : لِأَنَّ الْقَصْدَ إِنَّمَا هُوَ النَّجْحُ وَالْبَرَكَةُ .

المعنى الثاني - التجفيف لما كتبه بطرح التراب عليه كي لا يمتحي بما يصيبه قبل الجفاف ، وهذا المعنى أضعف من الأول ، ومقتضاه أنه إذا جف الكتاب لا يُتَرَّب ، وعليه عملُ كُتَّابِ الزمان . ومن هنا يَضَعُونَ الترابَ على آخر الكتاب من حيثُ إنه أقربُ عهدًا بالكتابة فيحتاج إلى التجفيف ، بخلاف أول الكتاب فإنه يكون قد جفَّ عند نهاية الكتاب غالباً ، لاسيما في الزمن الحاضر ، أومع طول الكتاب وامتداد زمن كتابته . على أن صاحب "مواد البيان" وغيره من قُدَمَاءِ الكُتَّابِ قد صرَّحُوا بأنه يستحبُّ وضع التراب أولاً على البسملة ، ثم يُمرُّه الكاتبُ منها على سائر المكتوب ليُعَمَّ الكتابُ بركة البسملة . ولقائل أن يقول إن الترتيب من آخر الكتاب إلى أعلاه لا يخلو أيضاً من بركة ، لملامسة التراب أولاً الحمدلة والصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم والحسبلة . وربما بلغ بالتراب من أسفل الكتاب إلى البسملة ثم أعاده فيجمع فيه بين البركتين .

الأمر الثاني

(فَمَا يُتَرَّبُ بِهِ الْكِتَابُ)

وقد أصطلح كُتَّابُ الزمان على الترتيب بالرَّمْلِ الْأَحْمَرِ . أما تخصيصهم الترتيب بالرمل فلأنه لا غبار فيه يعلق بالكتاب فيذهب بهجه الورق . وأما اختيارهم الأحمر دون غيره فلأنه أهدج إذا لصق بالكتاب . قال محمد بن عمر المدائني : وَكَرِهُوا وَنَهَوْا

عن تراب الحيطان، ومألوا إلى النشارة والأشنان . قال : وبلغنا أن بعض الأئمة من أهل العلم كان يُتَرَّبُ بالحديث بالصنديل ويقول : لا أطرحُ على حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم التراب . وكان حيوة بن شريح يخرج إلى الصحراء فيأخذ الطين الأسود فيدقه ويخله فيترب به . وقد صرح الرافعي وغيره من أصحابنا الشافعية أنه يحرم التريب من جدار الغير، ومعناه ظاهر لما فيه من الاغتصاب والاعتداء . وقد سبق في المقالة الأولى في الكلام على الخط ذكر أنواع الرمل، وأن من أحسنه رملاً يُؤْتَى به من صحراء ماردة، فيه سُدُورٌ صُفْرٌ كسُدُور الذهب ، يلقى في الرمل الأحمر فيترب به الأمراء والوزراء ومن في معناهم .

الجملة الثانية

(في نظر الكاتب في الكتاب وتأمله بعد الفراغ منه)

قد نصوا على أنه إذا فرغ الكاتب من كتابة الكتاب ينبغي له أن يتأمله من أوله إلى آخره ويتتبع ألفاظه ويتأمل معانيه ويصلح منها ما لعله وهم فيه الفكر أو سبق إليه القلم : ليسلم من قذح القاصح وطعن الطاعن . وقد تقدم في مقدمة الكتاب أن صاحب الديوان لا يكتفي بنظر الكاتب في ذلك ، بل يكمله إلى نظر كاتب كامل ينصبه لذلك ، ثم يتأمله هو بنفسه بعد ذلك ليتنقح الكتاب ويتهذب .

المقالة الرابعة

في المكاتبات ، وفيها بابان

الباب الأول

(في أمورٍ كُتِبَ في المكاتبات ، وفيه فصلان)

الفصل الأول

(في مقبدمات المكاتبات ، وفيه ثلاثة أطراف)

الطرف الأول

(في أصول يعتمدها الكاتب في المكاتبات)

ويتعلق المقصود منها بعشرة أصول :^(١)

الأصل الأول

(أن يأتي الكاتب في أول المكتبة بحسن الافتتاح المطلوب في سائر أنواع

الكلام : من نثر ونظم مما يوجب التحسين : ليكون داعيةً لأستماع

مابعدده . على ما تقدم بيانه في الكلام على علوم البلاغة في المقالة الأولى)

ويرجع حسن الافتتاح في المكاتبات إلى معنيين .

المعنى الأول - أن يكون الحُسن فيه راجعاً إلى المبتدأ به . إما بالافتتاح بالحمد لله

كما في بعض المكاتبات : لأن النفوس تتشوق إلى الشناء على الله تعالى ، أو بالسلام الذي

جعله الشارع مفتتح الخطاب أو نحو ذلك . وإما بالافتتاح بما فيه تعظيم المكتوب

(١) المعدود اثنا عشر كما سنقف عليه .

إليه : من تقبيل الأرض أو اليد أو الدعاء له أو غير ذلك ، فإن أمر المكاتبات مبنى على التملق وأستجلاب الخواطر وتألف القلوب ، إلى غير ذلك مما يجرى هذا المجرى ، على ما يقتضيه اصطلاح كل زمن في الابتدآت .

المعنى الثانى — أن يكون الحُسن فيه راجعا إلى ما يوجب التحسين : من سهولة اللفظ ، وصحة السبك ، ووضوح المعنى ، وتجنب الحشو ، وغير ذلك من موجبات التحسين ، كما كتب الأستاذ أبو الفضل بن العميد عن ركن الدولة بن بويه ، إلى من عصى عليه ، مفتحاً كتابه بقوله : ” كتابي إليك ، وأنا متردد بين طمع فيك وإياس منك ، وإقبال عليك وإعراض عنك ، فإنك تدل بسالف خديم أيسرها يوجب رعايه ، ويقتضى محافظة وعنايه ، ثم تشفعها بحادث غلول وخيانة ، وتبعتها بألف خلاف ومعصية ، أدنى ذلك يُحيط أعمالك ، ويسقط كل ما يرعى لك “ .

وكما كتب أبو حفص بن برد الأندلسى عن ملكه إلى من عصى عليه ثم عاد إلى الطاعة كتاباً أفتحه بقوله : ” أما بعد فإن الغلبة لنا والظهور عليك جلباك إلينا على قدمك ، دون عهد ولا عقد يمنعنا من إراقة دمك ، وليكنالنا وهب الله لنا من الإشراف على سرائر الرياسة ، والحفظ لشرائع السياسة ، تأملنا من ساس جهتك قبلنا ، فوجدنا يد سياسته نحرقاء ، وعين خدامته عوراء ، وقدم مذاراته سلاء : لأنه مال عن ترغيبك فلم ترجه ، وعن ترهيبك فلم تحشه ، فأدتك حاجتك إلى طلاب المطاعم الدنييه ، وقلة مهابتك إلى التهاك على المعاصى الوبييه “ ونحو ذلك من الأفتاحات البهجة ، والابتدآت الرائقة ، مما ستقف على الكثير منه فى خلال هذا الكتاب إن شاء الله تعالى .

الأصل الثاني

(أن يأتى فى ابتداء المكاتبه ببراءة الاستهلال المطلوب)

فى كل فن من فنون الكلام)

بان يأتى فى صدر المكاتبه بما يدل على تجزها . فإن كان الكتاب بفتح . أتى فى أوله بما يدل على التهئة . أو بتعزیه ، أتى فى أوله بما يدل على التعزیه . أو فى غير ذلك من المعانى ، أتى فى أوله بما يدل عليه : ليعلم من مبداء الكتاب ما المراد منه . كما يحكى أن عمرو بن مسعدة كاتب المأمون أمر كاتبه أن يكتب إلى الخليفة كتابا يعرفه فيه أن بقرة ولدت عجلا وجهه وجه إنسان ، فكتب : "أما بعد حمد الله خالق الأنام ، فى بطون الأنعام " . وفضلاء الكتاب وأئمتهم يعتنون بذلك كل الاعتناء ، ويرون تركه إخلالا بالصنعة ، ونقصا فى الكتابة ، حتى إن الوزير ضياء الدين بن الأثير فى المثل السائر قد عاب أبا إسحاق العجمي على جلاله قدره فى الكتابة ، وأعترافه له بالتقدم فى الصناعة ، بكتاب كتبه بفتح بغداد وهزيمة الترك فقال فى أوله :

"الحمد لله رب العالمين ، الملك الحق المبين ، الوحيد الفريد . العلي المحيد ، الذى لا يوصف إلا بسلب الصفات . ولا يُنعت إلا برفع النعوت ، الأزل بلا ابتداء . الأبدى بلا انتهاء ، القديم لا منذ أميد محدود . الدائم لا إلى أجل معدود ، الفاعل لا من مادة امتدها ، الصانع لا بألة استعملها ، الذى لا تدركه العين بأحاطها ، ولا تحده الألسن بأفواظها ، ولا تحلقه العصور بمرورها ، ولا تهزمه الدهور بمرورها . ولا تجاربه أقدام النظراء والأشكال ، ولا تراجمه مناكب القرناء والأمثال ، بل هو الصمد الذى لا كفء له ، والفرد الذى لا توأم معه ، والحي الذى لا تخترمه المنون ، والقيوم الذى لا تشغله الشؤون ، والقدير الذى لا تتوذه العضلات ، والخبير الذى

لا تُعييه المُشكلات“ ثم قال : إن هذه التحميدة لا تُناسب الكتاب الذي أفتحه بها، ولكنها تصلح أن تُوضع في صدر مُصنّف من مصنّفات أصول الدين : كتاب ”الشامل“ للجويني، أو كتاب ”الاقتصاد“ للغزالي، وما جرى مجراهما . فأما أن تُوضع في أول كتاب فتح فلا .

وأعلم أن براعة الاستهلال في المكاتبات قد تقع مع الابتداء بالتحميد ، كما في كتاب عمرو بن مسعدة المتقدم ذكره، وكما كتب أبو إسحاق الصابي عن الطائع إلى بعض ولاة الأطراف ، عند زوال الوحشة بينه وبين الأمراء ، ووقوع الصلح والاتفاق : ”أما بعد فالحمد لله ناظم الشميل ، بعد شتاته ، وواصل الحبل ، بعد بتاته ، وجابر الوهن إذا انشلم ، وكاشف الخطب إذا أظلم“ .

وقد تقع مع الابتداء بالتقيل : كما كتبت إلى بعض الرؤساء بشعر الإسكندرية ، ملوحاً إلى التعبير عنه بالثغر ، وعن الريح التي تهب عليه من جانب البحر بالملثم ، وعن مستنزه^(١) من مستنزهاته بالرمل ، وعن المساكن التي به بالقصور مع قرّبه من البحر ، ومناسبة ذكر النسيم بالثغر بما صورته : ”يقبل أرض ثغر قدرق ملثمه ، وراق مبسمه ، باناً لشكر يعترف الرمل بالقصور عن حدّه ، وتقف أمواج البحر المحيط دون عدّه“

وقد تقع مع الابتداء بالدعاء ، وتكون براعة الاستهلال في الدعاء المعطوف على مبتدأ به : بأن يكون الدعاء مناسباً للحالة المكتوب فيها ، كما نبه عليه صاحب ”المثل السائر“ وغيره ، وسيأتي الكلام على أمثلة ذلك فيما بعد إن شاء الله تعالى .

(١) عبارة الضوء . ” و بلوح بذكر مستنزه لم على البحر يسمى بالرمل ومساكن لهم في ذلك المستنزه تسمى القصور“ وهي أوضح .

ثم من المكاتبات ما يعسر معه الإتيان ببراءة الاستهلال فيما يلي ذلك من الكلام في مقدمة المكتبة قبل الخوض في المقصود ولا يهملها جملة . على أن الشيخ شهاب الدين محمود الحلبي رحمه الله قد ذكر في كتابه "حسن التوسل" أنه إن عسر عليه براءة الاستهلال، أتى بما يقارب المعنى . وبكل حال فإذا أتى ببراءة استهلال في أول مكاتبه استصحبها إلى الفراغ من الخطبة إن كان الكتاب مفتوحاً بخطبة ، وإلا استصحبها إلى الفراغ من مقدمة الكتاب الآتي بيانها .

الأصل الثالث

(أن يأتي في المكتبة المشتملة على المقاصد الجليلة بمقدمة يصدر بها

تأسيساً لما يأتي به في مكاتبه)

مثل أن يأتي في صدور كتب الحث على الجهاد بذكر افتراضه على الأمة ، وما وعد الله تعالى به من نصر أوليائه ، وخذلان أعدائه ، وإعزاز الموحدين ، وقمع الملحدين . وفي صدور كتب الفتح بإنجاز وعد الله الذي وعده أهل الطاعة من النصر والظفر ، وإظهار دينه على الدين كله . وفي صدور كتب جباية الخراج ، يصدر بحاجة قيام الملك وأسس السلطنة إلى الاستعانة بما يستخرج من حقوق السلطان في عمارة الثغور ، وتحصين الأعمال ، وتقوية الرجال ، ونحو ذلك مما يجري على هذا النمط مما سيأتي بيانه في مقاصد المكاتبات في الكلام على الآتديات والجوابات فيما بعد إن شاء الله تعالى .

فقد قيل : إنه لا يحسن بالكاتب أن يُخْلِ كلامه - وإن كان وجيزاً - من مقدمة يفتتحه بها وإن وقعت في حرفين - أو ثلاثة ، ليؤفَّ التاليف حقّه . قال

(١) نعله الاستهلال في البداية يأتي بها فيما يلي ذلك ... الخ كما هو ظاهر من بقية الكلام .

في "مواد البيان" : وعلى هذا السبيل جرت سنة الكتاب في جميع الكتب : كالفُتوح ، والتَّهاني ، والتَّعازي ، والتَّهادي ، والاستخبار ، والاستبطاء ، والإحماد ، والإذمام ، وغيرها : ليكون ذلك/بساطا لما يُريد القول فيه ، وحجةً يستظهر بها السلطان ؛ لأن كلَّ كلام لأبد له من فرش يُفرش قبله : ليكون منه بمنزلة الأساس من البُنيان .

قال : ويرجع في هذه المقدمات إلى معرفة الكاتب ما يستحقه كلُّ نوع من أنواع الكلام من المقدمات التي تُشاكلها . ثم قال : والطريق إلى إصابة المرعى في هذه المقدمات أن تُجعل مشتملةً على ما بعدها من المقاصد والأغراض ، وأن يُوضع للأمر الخاص مقدمةً خاصةً ، وللأمر العام مقدمةً عامةً ، ولا يُطوّل في موضع الاقتصار ، ولا يُقصر في موضع الإيجاز ، ولا يجعل أغراضها بعيدة المأخذ ، مُعاصرةً على المتصفح . وذلك أن الكاتب ربّما قصد إظهار القدرة على الكلام والتّصرف في وجوه المنطق ، نخرج إلى الإملاط والإشجار الذي تتبرّم منه النفوس ، ولا سيما نفوس الملوك وذوى الأخطار الجليلة .

أما الأمور التي لا تشتمل على المقاصد الجليلة : كرقاع التّحف والهدايا ونحوهما . فقد ذكر في "مواد البيان" أنه لا يجعل لها مقدمةً تكون أمامها فإن ذلك غير جائز ولا واقع موقعه . قال : ألا ترى أنهم استحسّنوا قول بعضهم في صدر رُقعةٍ مقترنةً بتّحفه في يومٍ مَهْرَجَانٍ أو نحوه : « هذا يومٌ جرت فيه العادة ، بأن تُهدى فيه العبيد إلى السادة » واستظرفوا الكاتب لإيجازه وتقريب المأخذ .

الأصل الرابع

(أن يعرف الفرق بين الألفاظ المستعملة في المكاتبات

فيضعها في مواضعها)

قال في "ذخيرة الكتاب" : يجب على الكاتب الرئيس أن يعرف مرتبة الألفاظ ومواقعها : ليرتبها ويفرق بينها فرقا يقفه على الواجب وينتهي به إلى الصواب ، فيخطب كلاً في مكاتبتة بما يستحقه من الخطاب ، فإنه قبيح به أن يكون خطابه أولاً خطاب الرئيس للمرءوس ، ويتبع ذلك بخطاب المرءوس للرئيس ، أو يبدأ بخطاب المرءوس للرئيس ثم يتبعه بخطاب الرئيس للمرءوس .

قال : ومتى استمر الكاتب على هذه المخالفة من الألفاظ والمناقضة ، نقصت المعاني ، وردت الألفاظ ، وسقطت المقاصد ، وكان الكاتب قد أخل من الصناعة بمعظمها ، وترك من البلاغة غاية محكمها . بل يجب أن يبدأ بخطاب رئيس أو نظير أو مرءوس ، ويكون ما يتخلل مكاتبتة من الألفاظ على آساق إلى آخرها وأطراد من غير مخالفة بينها ولا مضادة ولا مناقضة .

فمن ذلك الفرق بين أصدرنا هذه المكاتبة أو أصدرناها ، وبين أصدرت ، وبين صدرت . فأصدرناها أعلى بالنسبة إلى المكتوب إليه : للتصريح فيها بالضمير العائد على الرئيس التي صدرت المكاتبة عنه ، إذ الشيء يشرف بشرف متعلقه . وبلى ذلك في الرتبة أصدرت ، لاقتضائها إصداراً في الجملة ، والإصدار لا بد له من مصدر ، وذلك المصدر هو الرئيس الصادرة عنه في الحقيقة . وإنما كانت دون الأولى للتصريح بالضمير هناك دون هنا . ودون ذلك في الرتبة صدرت : لاقتضاء الحال صدورها بنفسها دون دلالة على المصدر أصلاً .

ومن ذلك الفرقُ بين «ونبدي لعلمه» وبين «ونوضَّح لعلمه» : فنبدي لعلمه أعلى بالنسبة إلى المكتوب إليه : لأن الإبداء يرجع في المعنى إلى إظهار شيءٍ خفيٍّ ، والإيضاح يرجع إلى بيانٍ مُشكِل ، وحصولُ الإشكال المحتاج إلى الإيضاح ربما دلُّ على بُعد فهم المخاطب عن المقصود ، بخلاف إظهار الخفيِّ فإنه لا ينتهي إلى هذا الحد .

ومن ذلك الفرقُ بين «علمه الكريم» وبين «علمه المبارك» فالكريم أعلى من المبارك ، لأن في الكريم عرَاقَة أصل وشرفٍ قد تُوجد في المبارك وقد يتخلف عنه .

ومن ذلك الفرقُ بين «ومرسُومنا لفلان بكذا» وبين «والمرسُوم له بكذا» : فرسومنا أعلى بالنسبة إلى المكتوب عنه لأشتماله على نون الجمع المقتضية للتعظيم ، ولذلك آخِضت بالملوك دون غيرهم ، بخلاف والمرسُوم له بكذا فإنه عارٍ عن ذلك .

ومن ذلك الفرقُ بين «والمسؤول» وبين «والمستمد» : فإن المسؤول أعلى بالنسبة إلى المكتوب إليه ^(١) ، فإن المسؤول يتضمَّن نوعَ ذلَّةٍ بخلاف الاستمداد فإنه لا يستلزم ذلك .

ومن ذلك الفرقُ بين «بلغنا» وبين «أنهى إلى علمنا» ونين «أتصل بنا» . فاتصل بنا أعلى من أنهى إلى علمنا ، لما في معنى الاتصال من التلاصق ، بخلاف الإنهاء ؛ وأنهى إلى علمنا أعلى من بلغنا : لأن البلوغ قد يكون على لسان آحاد الناس .

(١) في الاصول «عنه» والتصحيح من الضوء .

ومن ذلك الفرق بين «أنهى فلان كذا» وبين «عرفنا كذا» : فعرفنا أعلى بالنسبة إلى رافع الخبر، لأن في التعريف مزية قُرب من الرئيس، بخلاف الإنهاء فإنه لا يقتضى ذلك .

ومن ذلك الفرق بين «وردت مكاتبته» وبين «وردت علينا مكاتبته» : فوردت علينا أعلى بالنسبة إلى صاحب المكاتبه الواردة : لتخصيصها بالورود على الرئيس بخلاف الورود المطلق .

ومن ذلك الفرق بين «عبرضت علينا مكاتبتك» وبين «وقفنا على مكاتبتك» فوقفنا أعلى بالنسبة إلى صاحب المكاتبه : لأن الوقوف عليها يكون بنفسه، والعرض يكون من غيره .

ومن ذلك الفرق بين «وشكرتُ الله تعالى على سلامته» وبين «وتوالى شكري لله تعالى» : فتوالى شكري أعلى بالنسبة إلى المكتوب إليه : لما فيه من معنى التكرار ومزيد الشكر المعدوق بالاحتفال .

ومن ذلك الفرق بين «ورغبت إلى الله تعالى» وبين «وضرعت إلى الله تعالى» : فضرعت أعلى من رغبت : لما في الضراعة من مزيد التأكيد في الطلب . بخلاف الرغبة فإنها لا تبلغ هذا المبلغ .

ومن ذلك الفرق بين «وقابلتُ أمره بالطاعة» وبين «وآمنتتُ أمره بالطاعة» : فآمنتتُ أمره أعلى من قابلتُ أمره، لما في الأمتثال من معنى الإذعان والآنقياد، بخلاف المقابلة .

ومن ذلك الفرق بين «وشَفَعْتُ له» وبين «وسألتُ فيه»: فالسؤال أعلى في حق المسئول من الشَّفاعة: ^(١) لما في الشفاعة من رفعة المقام المؤدى إلى قبول الشفاعة. ومن ذلك الفرق بين «وخاطبتُ فلانا في أمره» وبين «وتحدثتُ في أمره»: فتحدثت أشد في تواضع المتكلم من خاطبت، لأن الخطاب من الألفاظ الخاصة التي لا يتعاطاها كل أحد بخلاف التحدث.

ومن ذلك الفرق بين «تَشْرِيفِي بكذا» وبين «إسعافى بكذا» [وبين «إتحافى بكذا»] ^(٢) فالإسعاف أعلى رتبة من التشريف لما فيه من دعوى الحاجة والفاقة إلى المطلوب، بخلاف التشريف؛ وإتحافى دون تشريفى لأن الإتحاف قد لا يقتضى تشريفاً.

ومن ذلك الفرق بين قوله: «نزل عنده» وبين قوله: «نزل بساحته»: فالساحة أعلى لما فيها من معنى الفُسحة والأتساع.

ومن ذلك الفرق بين «فُحِيطَ علمه بذلك» وبين «فَعَلِمَ ذلك»: فُحِيطَ علمه أعلى من يَعَلِمُ ذلك: لأن في قوله فُحِيطَ علمه بذلك نسبة إلى سعة العلم: لما فيه من معنى الإحاطة بخلاف فَعَلِمَ ذلك.

(١) عبارة الضوه "لما في السؤال من معنى الذلة وما في الشفاعة من معنى الشرف" وهي أوضح.

(٢) الزيادة من الضوه وهي ساقطة من قلم الناصح بدليل ثبوتية الكلام.

الأصل الخامس

(أن يعرف مواقع الدعاء في المكاتبات ، فيدعو بكل دعاء في موضعه)

ويتعلق النظر فيه بستة أوجه

الأول — أن يعرف مراتب الدعاء ليوقيها في مواقعها ، ويوردتها في مواردها ، ويتأني ذلك في عدة أدعية .

(منها) الدعاء بإطالة البقاء ، والدعاء بإطالة العمر : فالدعاء بإطالة البقاء أرفع من الدعاء بإطالة العمر . وذلك أن البقاء لا يدل على مدة تنقضي لأنه ضد الفناء . والعمر يدل على مدة تنقضي ؛ ولذلك يوصف الله تعالى بالبقاء ولا يوصف بالعمر . قال في " مواد البيان " : ومن هنا جعل الدعاء بإطالة البقاء أول مراتب الدعاء وخص بالخلفاء . وجعل ما يليه لمن دونهم ويتلوه الدعاء بالمد في العمر ، فيكون دون الدعاء بالإطالة ، لأن الوصف بطول الزمان أبلغ من الوصف بالمد فيه من حيث إن المد قابل للمدة الطويلة والمدة القصيرة ؛ ولذلك صارت مرتبة الطول أقرب إلى مرتبة البقاء من مرتبة المد .

(ومنها) الدعاء بدوام النعمة ، والدعاء بمضاعفتها : فالدعاء بالمضاعفة أعلى : لأن الدوام غايته استصحاب ما هو عليه ، والمضاعفة مقتضية للزيادة على ذلك .

(ومنها) الدعاء بعز الأنصار ، وبعز النصر ، وبعز النصرة . وقد اصطلح كتاب الزمان على أن جعلوا أعلاها الدعاء بعز الأنصار ، لأن عز أنصاره عز له بالضرورة مع ما فيه من تعظيم القدر ورفع الشأن ؛ إذ الأنصار لا تكون إلا للملك العظيم أو أمير كبير . والدعاء بعز النصر أعلى من الدعاء بعز النصرة : لما في الأول من

معنى التذكير وهو أرفع رتبةً من التأنيث . على أنه لو جعل الدعاء بعز النصر
أعلى من الدعاء بعز الأنصار ، لكان له وجه : لما في عز النصر من الغناء عن
عز الأنصار .

(ومنها) الدعاء بعز الأحكام ، والدعاء بتأييد الأحكام : فالدعاء بعز الأحكام
أعلى : لأن المراد بالتأييد التقوية ، فقد توجد القوة ولا عز معها .

وينبغي للكاتب أن يحتري في تنزيل كل أحد من المكتوب إليهم منزلته في الدعاء ،
فلا ينقص أحدا عن حقه ، ولا يزيده فوق حقه ، فقد قال في "مواد البيان" :
إن الملوك تسمع ببدرات المال ولا تسمع بالدعوة الواحدة

الثاني - أن يعرف ما يناسب كل واحد من أرباب المناصب الجليلة من
الدعاء فيخصه به .

فيأتي بالدعاء في المكتبة للملوك بإطالة البقاء ، ودوام السلطان ، وخلود الملك ،
وما أشبه ذلك .

ويأتي في المكتبة إلى الأمراء بالدعاء بعز الأنصار ، وعز النصر ، ومضاعفة
النعمة ، ومداومتها وماشا كل ذلك . على أن ابن شيث قد ذكر في "معالم الكتابة" :
أن الدعاء بعز النصر ومضاعفة الأقدار كان في الدولة الأيوبية مما يختص بالسلطان
دون غيره .

ويأتي في المكاتب للوزراء من أرباب الأقلام ومن في معناهم بالدعاء بسبوغ
النعماء ، وتخليد السعادة ، ودوام المجد ، وما يضاها ذلك .

ويأتي في المكاتب للقضاة والحكام بالدعاء بعز الأحكام ، وتأييد الأحكام
وما يطابق ذلك .

ويأتى في المكاتب إلى التجار بالدعاء بمزيد الإقبال، وخلق السعادة وشبه ذلك .
ويأتى في المكاتب في الإخوانيات ومكاتب النظراء من الدعاء بما يقتضيه الحال
بينهم من الود والإدلال ، بحسب ما يراه الكاتب ويؤدى إليه أجهاده . قال
في "مواد البيان" : وقد كانوا يختارون في الدعاء للأدباء أبقاك الله ، وأكرمك الله .
وفي الدعاء للابن والحرمه أبقاك الله وأمتع بك .



أما أهل الكفر فقد أصطلحوا على الدعاء لهم بطول البقاء وما في معناه . أما جواز
اصل الدعاء لهم فلما روى أن النبي صلى الله عليه وسلم استسقى فسقاه يهودى ،
فقال له : بحمك الله ، فما روى الشيب في وجهه حتى مات ، فدل على جواز الدعاء
للكافر بما لا ضرر فيه على المسلمين ما لم تنضم إليه قوة ونحو ذلك ، بل ربما كان
في طول بقائه حمل جزية أو غنيمة أو ثواب جهاد ونحو ذلك . وقد حكى أبو جعفر
النحاس في "صناعة الكتاب" : أن الشافعى رضى الله عنه قال لنصرانى : أعزك
الله ! فعوتب في ذلك ، فقال

وأعلم أنه يجب مع ذلك أن يعرف مرتبة المكتوب إليه من الدعاء ، فيدعو بعز
الأنصار لواحد ، ويدعو بعز النصر لمن دونه : لأن عز الأنصار مستلزم لعز النصر .
على أنه لو قيل : إن عز النصر أعلى لكونه دعاء لنفس الشيء بخلاف الدعاء بعز
الأنصار فإنه دعاء لشيء خارجي لكان له وجه . ويدعو بعز النصر لمن دون من
يُدعى له بعز النصر ، لأن النصر مذكر ورتبة التذكير أعلى من رتبة التانيث .

(١) بياض في الاصول بقدر كلمتين ولم يورده في الضوء ولعل الشافعى استدل بالحديث السائق .

ويدعو بدوام النعمة لواحد ويدعو بمضاعفة النعمة لمن دونه^(١) ، لأن الصيغة تقتضى مزيداً على القدر الحاصل ، بخلاف الدوام فإنه يقتضى استصحاب القدر الحاصل فقط ، وعلى هذا النهج . قال في "معالم الكتابة" : ولا يكتب عن السلطان إلى أحد من في ممالكه بلا زال ، ولا برح ، بل يختص ذلك بملك مثله . قال : ولا حرج في الكتابة بذلك عن السلطان إلى ولده إذا كان نائباً عنه في الملك . قال : وكذلك لا يدعو الأعلى للأدنى بلا زال ، ولا برح .

قلت : والذي استقر عليه الحال الكتابة عن السلطان بذلك لأكابر الثواب ، ويكتب به أكابر الدولة بعضهم إلى بعض .

الثالث - أن يعرف ما يناسب كل حالة من حالات المكاتبات ، فيأتى لكل حالة بما يناسبها من الدعاء . قال في "مواد البيان" : ينبغي أن تكون الأدعية دالة على مقاصد الكتاب : فإن كان في الهناء كان بما راجت معرفته ، وإن كان في العزاء كانت مشتقة من وصفه ، وكذلك سائر فنون المكاتبات ، فإنه متى خرج الدعاء عن المناسبة وبأن المقصود ، خرج عن جادة الصناعة وتوجه اللوم على الكاتب ، لاسيما إذا أتى بما يضاد المراد . كما حكى أبو هلال العسكري في "الصناعتين" أن بعضهم كتب إلى محبوبته : عصمنا الله وإياك مما يكره . فكتبت إليه : يا غليظ الطبع ! إن استجيب لك لم نلتق أبداً .

ويختلف الحال في ذلك باختلاف حال المكاتبات : فتارة تكون باعتبار الشيء المكتوب بسببه . كما يكتب في معنى البشارة بجلوس الملك على تخت الملك : لا زال أمره ! وأمتعته من البشارة بما يتوصح على حين الصباح بشره ، وما يترجح على ميزان الكواكب قدره ، وما يفسح من أوقات أمن لا يختلف فيها زيده وعمره .

(١) صوابه "لمن فونه" كما هو مقتضى التعليل بهدو كما يؤخذ من عبارة الصمد ص ٤٢٣ .

وكما يُكْتَبُ في البشْرِى بفتح : ولا زالت آياتُ النصرِ تُتلى عليه من صُحُفِ
البشائرِ، ونفائسِ الظفرِ تُجلى على سِرِّه في أسعدِ طائرٍ، وفوائحُ الفتحِ تُزهى به الأَسِرَّةُ
وتزهو بنوره المنَّارِ .

وكما يُكْتَبُ في التهنة بعافية، ولا بَرِحَ في بُردِ الصحةِ رافلاً ... (١) بعزمِهِ وحزمِهِ
كافلاً، والإقبالُ لحنابه العالى بالهناء بعافيته وأصلاً .

وتارة تكون باعتبار حال المكتوب إليه التي هو بصددِها .

كما يكتب لمن خرج إلى الغزو : وحفَّهُ بلُطفِهِ فلا ينجِبُ ، وهَيَّأَ النصرَ والفتحَ
القريبَ ، وجعل على يَدَيْهِ دَمَارَ الكُفَّارِ حتى لا يبقى لهم بشِدةِ بأسِهِ من السلامة
نصيب .

وكما يكتب إلى مَنْ خرج إلى الصَّيْدِ : وأمتعه بصُيُوده ، وجعل الأقدارَ من
جُنُوده ، وأراه من مَصَارِعِ أعدائه بسُيوفِهِ ورماحِهِ ما يراه من مَصَارِعِ صَيْدِهِ بِرَاتِهِ
وفُهودِهِ .

وكما يُكْتَبُ لمن خرج في سَفَرٍ : وقضى بقرْبِ رَجْعَتِهِ ، وجعله كالمَلالِ في مَسِيرِهِ
سَبَبُ رِفْعَتِهِ ، وسكَّن بقدومه أشواقَ أوليائه وأهلِ محبَّتِهِ .

وكما يُكْتَبُ لمن خرج لتخضيرِ البلادِ : وألبس البلادَ بقدومه أخضرَ الأثوابِ ،
وأحلَّهُ أشرفَ محلٍّ وأخصبَ جنابٍ .

وتارة تكون باعتبار وظيفة المكتوب إليه التي هو قائم بها

كما يُكْتَبُ إلى كافلِ المملكةِ : ولا زالت كفايةُ كَفالَتِهِ تزيدُ على الآمالِ ، وتَقَرَّبُ
إلى الله تعالى بصالحِ الأعمالِ ، وتكفُلُ ما بين أقصى الجنُوبِ وأقصى الشَّمالِ .

(١) بياض في الاصول بقدر كلمة ولعله ولا زال الزمان .

وكما يكتب إلى قاض : وفصل بين الخُصوم بأحكامه المسدّده، وأقضيته التي بها قواعد الإسلام ممّهده، وأبنيه الشرع المطهر وأركانهُ مُشَيّده .

وكما يكتب إلى متصوّف : وأعاد من بركات تجمّداته ، وأنار الليالي بصالح دَعَوَاتِهِ .

وتارة تكون باعتبار بلد المكتوب إليه وناحيته .

كما يكتب إلى نائب الشام : ولا زال النّصر حلية أيامه وشامة شاميه ، وعمامة مايجلّق على بلده المخضب من غمامه .

وكما يكتب إلى نائب حلب في زمن الحروب : ولا زال يُعدّ ليوم تسيب فيه الولدان، ويصدّ دونه كلُّ محارب بين الشهباء والميدان ، ويعمّ حلب من حلي أيامه مالا يُفقد معه إلا أسمُ ابن حمدان ، ونحو ذلك مما ينخرط في هذا السلك .

وتارة تكون باعتبار أسم المكتوب إليه أو لقبه .

كما يكتب إلى من لقبه سيف الدين : ولا زال سيفه في رقاب أعدائه مُفغّداً ، وحده يذر كلُّ ملحد ملحداً .

وكما يكتب إلى من لقبه عز الدين : ولا زال عزه دائماً ، والزمان في خدمته قائماً ، وطرف الدهر عن مراقبة سعادته نائماً .

وكما يكتب إلى من لقبه شمس الدين : ولا زالت شمس سعادته مُشرقه ، وأغصان فضله بالعوارف مُورقه ، وعيون طوارق الغير عنه في كلِّ زمن مُطربه .

وكما يكتب إلى من لقبه ناصر الدين : ونصر عزائمهم ، وشكر مكارمهم . ووفر من الحسنات مغائهم . إلى غير ذلك من الأمور التي ستقف على الكثير منها في الكلام على مقاصد المكاتبات إن شاء الله تعالى .

الرابع — ان يعرف مواضع الدعاء على المكتوب إليه ، ومن الذي يُصرَّح بذلك في المكتابة إليه . قد ذكر ابن شيث في "معالم الكتابة" أن الدعاء على الأعداء في صدور الكتب كان من عوائد مكاتبه الأذنى إلى الأعلى . مثل : وقصم ، وأذل ، وقهر ، وخضد . وكذلك المائل والمقارب ؛ فأما من الأعلى إلى الأذنى فلم يكن ذلك معروفاً عند المتقدمين ، لا سيما إذا كان الكتاب عن السلطان . ثم قال : ولكن قد أُذِلَّت الحبلُ في ذلك لأن [إني أن] قال : ولا يقال للأذنى غير كبت عدوه ، أو ضده ، أو حسوده خاصة .

ومنها — أن يعرف ما كرهه الكتاب من الدعاء فيتجنبه . وهو على ضربين :

الضرب الأول

(ما كرهوه في المكتابة إلى كل احد)

قال في "مواد البيان" : كانت عادتهم جارئة ان يتجنبوا من الأدعية ما لا محصول له ، كقولهم : جعلني الله فداك ، وقدمني إلى السوء دونك : لما في ذلك من التصنع والمآق الذي لا يرضاه السلاطان ، لأن نفس الداعي لا تسمح باستجابته . ويؤيد ما ذكره ما كتب به ابن عبد كان إلى بعض أصدقائه : جعلت فداك على الصحة والحقيقة ، لا على مجرى المكتابة ومدّهب العادة . قال في "مواد البيان" : وإنما يحسن ذلك من الخواص الذين يتحققون أن بقاءهم معدوق ببقاء رؤسائهم ، وثبات نعمهم مقرون بثبات أيام سلاطينهم ، لأنه يصدر عن عقائد مستحكمة من بذل الأنفس دونهم . وما ذهب إليه من كراهة ذلك قد نقل في "صناعة الكتاب" مثله عن مالك بن أنس ، وأخرج له بما روى عن الزبير رضى الله عنه أنه قال

(١) عذفا في السوء مرتبة خامسة وهو تسيير .

للنبي صلى الله عليه وسلم: «جُعِلْتُ فِدَاكَ - فقال له أما تركتَ أعرابيتك بعدُ !»
 على أن بعضهم قد أجاز ذلك احتجاجاً بقوله صلى الله عليه وسلم لسعد بن مالك يوم
 أحد: «إريم فِدَاكَ أبي وأمي» وبما روى عن ابن عباس رضي الله عنهما أن
 النبي صلى الله عليه وسلم قال له: «الآ أَعَلَّمَك كَلِمَاتٍ يَنْفَعُكَ اللهُ بِهِنَّ؟ قال نعم
 جَعَلَنِي اللهُ فِدَاكَ !» ولم يُنكر عليه، ونحو ذلك؛ وفي معنى ذلك كل ما يجري هذا
 المجرى ونحوه.

الضرب الثاني

(ما تختص كراهته بالبعض دون البعض، وهو نوعان)

النوع الأول - ما يختص بالرجال، فمن ذلك ما ذكره في "مواد البيان": أنهم
 كانوا لا يستحسنون الدعاء بالإمتاع نحو أمتع الله بك وأمتعني الله بك، في حق
 الإخوان. ومما يحكى في ذلك أن محمد بن عبد الملك الزيات، كتب إلى عبد الله
 ابن طاهر في كتاب: وأمتع بك؛ فكتب إليه عبد الله بن طاهر:

أحلتَ عَمَّا عَهَدْتُ مِنْ أَدَبِكَ؟ * أَمْ نِلْتَ مُلْكَ فِئْتِ فِي كِتَابِكَ؟
 أَتَعَبْتَ كَفَّيْكَ فِي مُكَاتَبَتِي * حَسْبُكَ مَا يَزِيدُ فِي تَعَبِكَ!
 إِنَّ جَفَاءَ كِتَابِ ذِي مِثْمَةٍ * يَكُونُ فِي صَدْرِهِ، "وَأَمْتَعِ بِكَ".

فأجابه محمد بن عبد الملك الزيات معتذراً بقوله:

كَيْفَ أَخُونُ الْإِخَاءَ يَا أَمَلِي؟ * وَكُلُّ شَيْءٍ أَنَالُ مِنْ سَبَبِكَ!
 إِنَّ يَكُ جَهْلُ أُنَاكَ مِنْ قَبْلِي، * فَعُدْ بِفَضْلِ عَلَيَّ مِنْ أَدَبِكَ.

على أن في كراهة الدعاء للإخوان بذلك نظراً فسيأتي في الكلام على ترتيب المكاتبات على سهيل الإجمال أن أم حبيبة بنت أبي سفيان زوج النبي صلى الله عليه وسلم [قالت]: اللهم أمتعني بزوجه رسول الله صلى الله عليه وسلم وبأبي أبي سفيان، وبأخي معاوية - في حديث طويل يأتي ذكره هناك إن شاء الله تعالى .

أما الدعاء بالإمتاع للأتباع، فقد أجازته جماعة من محققى الكُتُب، محتجين على ذلك بأنه صلى الله عليه وسلم دعا لأبي اليسر: كعب بن عبيد الله بقوله «اللهم أمتعنا به». قال ابن عفيز: فكان آخر أهل بدر وفاة، مات سنة خمس وخمسين من الهجرة .

النوع الثانى - ما يختص بالنساء . فقد ذكر «أبو جعفر النحاس» أنه لا يقال في مكاتبتهم «وأدام كرامتك» ولا «وأتم نعمته عليك» ولكن لديك، ولا «فضله عندك» ولا «وأدام سعادتك». أما منع الدعاء لمن بالكرامة، فلما حكى محمد بن عمر المدائنى أن بعض عمال زبيدة كتب إليها كتاباً يسبب ضياع لها فوقعته له على ظهر كتابه: أردت أن تدعونا فدعوت علينا، فأصلح خطاك في كتابك وإلا صرفناك عن جميع أعمالك! . فأدركه القلق، وجعل يتصفح الكتاب ويعرضه على الكُتُب فلا يجد فيه شيئاً، إلى أن عرضه على بعض أهل المعرفة فقال: إنما كرهت دعائك في صدر كتابك بقولك: وأدام كرامتك: لأن كرامة النساء دفنت - قال: رسول الله صلى الله عليه وسلم «دفن البنات من المكرمات»، فغير ذلك الحرف من كتابه وأعادته إليها فوقعته له على ظهره - أحسنت ولا تعد - . وأما كراهة وأتم نعمته عليك وإبدال ذلك بلفظ وأتم نعمته لديك، فكأنه لما يلجح فيه من ذكر العلو على النساء، وأما مع وأتم فصلاً عندك، أو وأتم سعادتك فيحتاج إلى تأمل .

(١) الذى فى « حلاصة تهذيب الكمال فى أسماء الرجال » للخرزجى (كعب بن عمرو بن عباد بن عمرو)

ويجوز فى تاريخ العروس مادة نى من ر .

الخامس - أن يتجنب الخلاف في الدعاء في فصول الكتاب، ولا يُوالى بين دَعَوَتَيْنِ منه [متفقتين] . فأما الخلاف في الدعاء، فقال أبو جعفر النحاس : هو مثل أن يقول أطل الله بقاء سيدي - بلفظ الغيبة، ثم يقول بعد ذلك : وبلغك أمك - بلفظ الخطاب . وأما الموالاة بين دَعَوَتَيْنِ^(١) ولا يأتي بهما متفقتين، فقال في "مواد البيان" : هو مثل حرس الله الأمير أعزّه الله؛ ثم يقول في الفصل الذي بعده : أعزّه الله تعالى، وما أشبه ذلك .

السادس - أن يتجنب وقوع اللبس في الدعاء . فإذا ذكر الرئيس مع عدوه مثلاً، لم يدع للرئيس حينئذ، فإنه لو ذهب يقول وقد كان من عدو سيدي - أبقاه الله - كذا، لأحتمل عود الدعاء إلى الرئيس وإلى عدوه فيقع اللبس . أما إذا ذكر الرئيس وحده كما إذا قال : وقد كنت عرفت سيدي - أبقاه الله - كذا، فإنه لا التباس .

الأصل السادس

(أن يعرف ما يناسب المكتوب إليه من الألقاب فيعطيه حقه منها)
ويتعلق الغرض من ذلك بثلاثة أمور .

أحدها - أن يعرف ما يناسب من الألقاب الأصول - المتقدمة الذكر في المقالة الثالثة عند الكلام على الألقاب المصطلح عليها بحسب ذلك الزمان : كالمقام، والمقر، والجناب، والمجلس - في زماننا، فيعطى كل أحد من المكتوب إليهم ما يليق به من ذلك، فيجعل المقام لأكابر الملوك، والمقر لمن دونهم من الملوك، وللرتبة العليا

(١) عبارة الصور، ص ٢٦٤ هكذا "وأما موالاة دَعَوَتَيْنِ متفقتين فنل أن يقول أعزّه الله تعالى ثم يقول في الفصل الذي بعده أعزّه الله تعالى" وهي أرواح .

من اهل المملكة . والجناب للرتبة الثالثة من الملوك والرتبة الثانية من اهل الدولة .
والمجلس للرتبة الرابعة من الملوك والرتبة الثالثة من اهل الدولة . ومجلس الأمير لمن
دُونَ ذلك من اهل الدولة على المصطلح المستقر عليه الحال .

الثاني - أن يعرف ما يناسب كل لقب من الألقاب الأصول من الألقاب
والنعوت التابعة لذلك؛ فيتبع كل واحد من الأصول بما يناسبه من الفروع .
الثالث - أن يعرف مقدار المكتوب إليه، فيؤفقه قسطه من الألقاب في الكثرة
والقلة بحسب ما يجرى عليه الاصطلاح . فقد ذكر في "معالم الكتابة" أن السلطان
لا يكثر في المكاتبه إليه من نعوته، بل يقتصر على الأشياء التي تكون فيه : مثل العالم
العادل . اما غير ذلك فيقع باللقبين المشهورين : وهما نعته المفرد، ونعته المضاف
إلى الدين . وأنه في الكتابة عن السلطان كلما زيد في النعوت كان أميز : لأنها على
سبيل التشریف من السلطان، ويجعل المضاف إلى الدين متوسطاً بين الألقاب
لا في أولها .

الأصل السابع

(أن يُراعى مقاصد المكاتبات ، فيأتي لكل مقصد بما يناسبه)

ومدار ذلك على أمرين :

الأمر الأول - أن يأتي مع كل كلمة بما يليق بها ، ويتخير لكل لفظة
ما يشاء كلها . قال ابن عبد ربه : وليكن ما تحتم به فصولك في موضع ذكر البلوى
بمثل : نسأل الله رفع المحذور، وصرف المكروه، واشباه ذلك . وفي موضع ذكر
المصيبة : إنا لله وإنا إليه راجعون . وفي موضع ذكر النعمة ، الحمد لله خالصاً ،

والشُّكْرُ لله واجبًا ، وما شا كل ذلك . قال في " مواد البيان " : وإذا ذكّر البلوى شفّعها بالاستعانة بالله تعالى والرُّجوع إليه فيها ، ورد الأمر إلى حوله وقوته . قال ابن عبد ربه : فإن هذه المواضع مما يتمين على الكاتب أن يتفقدتها ويحفظ فيها ، فإن الكاتب إنما يصير كاتبًا بان يضع كل معنى في موضعه ، ويُعَلِّق كل لفظ على طبقه في المعنى .

ومما يلتحق بذلك أيضا أنه إذا ذكّر الرئيس في أثناء المكتبة ، دعاه ، مثل أن يقول عند ذكر السلطان : خَلَدَ اللهُ مُلْكَهُ . وعند ذكر الأمير الكبير : عَزَّ نَصْرُهُ . أو : أَعَزَّ اللهُ تَعَالَى أَنْصَارَهُ . وعند ذكر الحاكم : أَيْدِ اللهُ تَعَالَى أَحْكَامَهُ ، وما أشبه ذلك مما يجرى هذا الجرى .

الأمر الثاني - أن يتخفى التصريح إلى التلويح والإشارة إذا أُلْجِئَ الخال إلى المكتبة بما لا يجوز كشفه وإظهاره على صراحته ، مما في ذكره على نصه هناك ستر ، أو في حكايته أطراح مهابة السلطان ، وإسماعه ما يلزم منه إخلال الأدب في حقه ، كما لو اطلق عدوه لسانه فيه بلفظ قبيح يسوء سماعه . قال في " مواد البيان " : فيحتاج المنشئ إلى استعمال التورية في هذه المواضع ، والتلطف في العبارة عن هذه المعاني ، وإبرازها في صورة تقتضى توفية حق السلطان في التوقير والإجلال والإعظام ، والتزيه عن المحاسبة بما لا يجوز إمراره على سمعه ، وإيصال المعنى إليه من غير خيانه في طي ما لا غنى به عن علمه . قال : وهذا مما لا يسفل به إلا المبرز في الصناعة ، المتصرف في تأليف الكلام .

الأصل الثامن

(أن يعرف مقدار فهم كل طبقة من المخاطبين في المكاتبات من اللسان فيخاطب كل أحد بما يناسبه من اللفظ ، وما يصل إليه فهمه من الخطاب) .
قال أبو هلال العسكري في كتابه "الصناعتين" : أول ما ينبغي أن تستعمل في كتابك مكتبة كل فريق على مقدار طبقتهم في الكلام وقوتهم في المنطق . قال : والشاهد على ذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم لما أراد أن يكتب إلى أهل فارس ، كتب إليهم بما يمكنهم ترجمته فكتب إليهم : " من محمد رسول الله إلى كسرى أبرويز عظيم فارس ، سلام على من اتبع الهدى وآمن بالله ورسوله ، وأدعوك بدعاية الله فإني أنا رسول الله إلى الناس كافة (لينذر من كان حياً ويحق القول على الكافرين) فأسلم نسلم ، وإن آيأت فأثم الجوس عليك " فسهل رسول الله صلى الله عليه وسلم الألفاظ غاية التسهيل حتى لا يخفى منها شيء على من له أدنى معرفة بالعربية .

ولما أراد أن يكتب إلى قوم من العرب ، نظم اللفظ لما عرف من قوتهم على فهمه ، وعادتهم بسماع مثله ، فكتب لوائل بن حجر الحضرمي : " من محمد رسول الله إلى الأقبال العباهلة من أهل حضرموت بإقامة الصلاة وإيتاء الزكاة : على التبعة الشاة ، والتيمة لصاحبها ، وفي الشيوب الخمس ، لا خلطاء ولا وراط ولا شناق ولا سفار ، ومن أجبى فقد أرنى ، وكل مسكر حرام " .

وقد ذكر العسكري أيضاً في باب الإطناب ما يحسن أن يكون شاهداً لذلك من القرءان الكريم - فقال : قد رأينا أن الله تعالى إذا خاطب العرب والأعراب ، أخرج الكلام مخرج الإشارة والوحي كما في قوله تعالى خطاباً لأهل مكة

﴿ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ يَخْتَقُوا ذُبَابًا وَلَوْ اجْتَمَعُوا لَهُ وَإِنْ يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا لَا يَسْتَنْقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ الطَّالِبِ وَالْمَطْلُوبِ ﴾ وقوله : ﴿ إِذَا لَذَهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَّ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ ﴾ وقوله : ﴿ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ ﴾ في أشباه كثيرة لذلك . وإذا خاطب بنى إسرائيل أو حكى عنهم ، جعل الكلام مبسوطاً ، كما في سورة طه وأشباهها ، حتى إنه قلماً تجد قصة بنى إسرائيل في القرآن إلا مطولة مشروحة ومكررة في مواضع مُعادة ، لبعده فهمهم ، وتأخر معرفتهم .

قال في "مواد البيان" : فيجب على الكاتب أن يتنقل في استعمال الألفاظ على حسب ما تقتضيه رتب الخطاب والمخاطبين ، وتوجيه الأحوال المتغيرة ، والأوقات المختلفة : ليكون كلامه مشاكلاً لكل منها ، فإن أحكام الكلام تتغير بحكم تغير الأزمنة والأمكنة ومنازل المخاطبين والمكاتبين .

قال : ولتحرى الصدر الأقر من الكُتُب إيقاع المناسبة بين كتبهم وبين الأشياء المتقدمة الذكر أستعمل كُتُب الدولة الأموية من الألفاظ العربية الفصحى ، والمتينة الجزلة ، ما لم تستعمل مثله الدولة العباسية : لأن كُتُب الدولة الأموية قصدوا ما شاكل زمانهم الذي استفاضت فيه علوم العرب ولغاتها . حتى عدت في حلة الفضائل التي يُثار على اقتنائها ، والأمكنة التي نزلها ملوكهم من بلاد العرب ، والرجال الذين كانت الكُتُب تصدر إليهم ، وهم أهل الفصاحة واللسن والخطابة والشعر .

أما زمان بنى العباس ، فإن الهمم تقاصرت عما كانت مُقبلة على تطلبه بما تقدم من العلوم المقدم ذكرها ، وشغلت غيرها من علوم الدين ، ووزن ملوكهم ديار العراق وما يجاورها من بلاد فارس ، وليس استفاضة لغة العرب فيها كاستفاضة في أرض الحجاز والشام . ومن المعلوم أن القوم الذين كانوا يكتبون عنهم لا يجارون تلك الطبقة

في الفصاحة والمعرفة بدلالات الكلام؛ فانتقل كُتَّابُها من اللفظ المتين الجزل، إلى اللفظ الرقيق السهل؛ وكذلك انتقل متأخرو الكتاب عن ألفاظ المتقدمين إلى ما هو أعذب منها وأخف، للمعنى المتقدم ذكره.

قال: وحينئذ ينبغي للكاتب أن يُراعى هذه الأحوال، ويوقع المشاكلة بين ما يكتبه وبينها، فإذا احتاج إلى إصدار كتاب إلى ناحية من النواحي، فليُنظر في أحوال قاطنيها: فإن كانوا من الأدباء البلغاء العارفين بنظم الكلام وتأليفه، فليودع كتابه الألفاظ الجزلة، التي إذا حُلَّت بها المعاني زادت نغمة في القلوب، وجلالة في الصدور. وإن كانوا ممن لا يُفرق بين خاص الكلام وعامه، فليضمن آتاه الألفاظ التي يتساوى سامعوها في إدراك معانيها، فإنه متى عدل عن ذلك ضاع كلامه، ولم يصل معنى ما كتب فيه إلى من كتبه: لأن الكلام البليغ إنما هو موضوع بإزاء أفهام البلغاء والفصحاء. فأما العوام والحشوة: فإنما يصل إلى أفهامهم الكلام العاطل من حلي النظم، العارى من كسوة التأليف، فيجب على الكاتب أن يستعمل في مخاطبة من هذه صورته أدنى رتب البلاغة وأقربها من أفهام العامة والأمم الأعجمية إذا كتب إليهم.

ثم قال: فأما الكتب المعتدة عن السلطان، فإن منها كتب الفتوحات والسلامات ونحوها، وهي محتسمة للألفاظ الفصيحة الجزلة، والإطالة القاضية بإشباع المعنى، ووصوله إلى أفهام كافة سامعيه من الخاص والعام. ومنها كتب الخراج وجبايته وأمور المعاملات والحساب، وهي لا تحتل اللفظ الفصيح، ولا الكلام الوجيز لأنها مبنية على تمثيل ما يعمل عليه، وإفهام من لا يصل المعنى إلى فهمه إلا بالبيان الشافي

في العبارة . ومنها مخاطبته السلطان عن نفسه ، فيجب فيها مخاطبته على قدر مكانه من الخدمة من الألفاظ المتوسطة ، ولا يجوز أن يستعمل فيها الفصيحة التي لا تحتل من تابع في حق متبوع : لما فيه من تعاطي التفاضل على سلطانه ، وهو غير جائز في أدب الملوك ؛ وكذلك لا يجوز فيه تعاطي الألفاظ المتبدلة الدائرة بين السوقة ، لما في ذلك من الوضع من السلطان بمقابلته إياه بما لا يشبه رتبته .

وأما الكتب الإخوانيات النافذة في التهاني والتعازي ، فإنها تحتل الألفاظ الغريبة القوية الأخذ بجامع القلوب ، الواقعة أحسن المواقع من النفوس : لأنها مبنية على تحسين اللفظ ، وتزيين النظم ، وإظهار البلاغة فيها مستحسن واقع موقعه .

قلت : والذي تراعى الفصاحة والبلاغة فيه من المكاتبات عن الأبواب السلطانية في زماننا مكاتبات ملوك المغرب : كصاحب تونس ، وصاحب تلمسان ، وصاحب فاس ، وصاحب غرناطة من الأندلس ، وكذلك القانات العظام من ملوك المشرق ومن يجرى هذا المجرى ، ممن تشتمل بلاده على العلماء بالبلاغة وصناعة الكتابة . ويظهر ذلك بالأسخبار عن بلادهم ، وبالاطلاع على كتبهم الصادرة عن ملوكهم إلى الأبواب السلطانية . بخلاف من لا عناية له بذلك : كحكام اصاغر البلدان واصحاب اللغات العجمية : من الروم والفرنج والسودان ومن في معناهم ؛ فإنه يجب خطابهم بالألفاظ الواضحة ، إلا أن يكون في بعض بلادهم من يتعاطى البلاغة من الكتاب ووردت كتبهم على نهجها فإنه ينبغي مكاتبتهم على سنن البلغاء .

الأصل التاسع

(أن يُراعى رتبة المكتوب عنه والمكتوب إليه في الخطاب ،

فيعبر عن كل واحد منهما في كل مكتبة بما يليق به ،

ويُخاطب المكتوب إليه بما يقتضيه مقامه)

فأما المكتوب عنه ، فيختلف الحال فيه باختلاف منصبه ورتبته .

فإن كان المكتوب عنه خليفة ، فقد جرت عادة من تقدم من الكُتَّاب بالتعبير عنه في الكُتُب الصادرة عن أبواب الخلافة بأمر المؤمنين ، مثل أن يقال : فجري أمر أمير المؤمنين في كذا على كذا وكذا ، وأوعز أمير المؤمنين إلى فلان بكذا ، وأقتضى رأي أمير المؤمنين كذا ، وخرج أمر أمير المؤمنين بكذا ، وتقدم أمر أمير المؤمنين إلى فلان بكذا ، وما شا كل ذلك . وربما عبر عنه بالسلطان ، مثل أن يقال في حق المخالفين : وحاربوا عما كره السلطان ، أو ومنعوا خراج السلطان وما أشبه ذلك ، يريدون الخليفة ، على ما استقيف عليه في الكُتُب التي نُوردها في المكاتب عن الخلفاء فيما بعد إن شاء الله تعالى .

وقال ابن شيث في " معالم الكتابة " : ويُخاطب بالمواقف المقدسة الشريفة ، والمقامات العالية ، ومقر الرحمة ، ومحل الشرف . وذكر المقر الشهابي بن فضل الله في " التعريف " نحوه . فقال : ويُخاطب بالديوان العزيز ، والمقام الأشرف ، والجانب الأعلیٰ أو الشريف ، وبأمر المؤمنين ، مجردة عن سيدنا ومولانا ، ومرة غير مجردة ، مع مراعاة المناسبه ، والتسديد والمقاربه . قال : وسبب الخطاب بالديوان العزيز الخُضْعَانُ عن مخاطبة الخليفة نفسه ، وتزليل الخطاب منزلة من يخاطب

نفس الديوان ، والمعنى به ديوان الإنشاء ، إذ الكُتُب وأنواع المخاطبات إليه واردةٌ^١ وعنه صادرةٌ .

وقد سبق في الكلام على الألقاب في المقالة الثالثة نقلًا عن ابن حاجب النعمان في " ذخيرة الكتاب " إنكار هذه الاستعارات والمختَرَعَات^(١) ، وسيأتي في المكتابة إلى الخلفاء ذكر ترتيبها إن شاء الله تعالى .

وإن كان المكتوب عنه ملكًا ، فقد جرت العادة أن يعبر عنه بنون الجمع للتعظيم فيقال : فعلنا كذا ، وأمرنا بكذا ، وأقتضت آراءنا الشريفة كذا ، وبرزت صراسيمنا بكذا ، ومرسومنا إلى فلان أن يتقدم بكذا . أو يتقدم أمره بكذا ، وما أشبه ذلك . وذلك أن ملوك الغرب كانوا يجرون على ذلك في مخاطباتهم ، فجرت الملوك على سَنَنِهم في ذلك . وفي معنى " الملوك في ذلك سائر الرؤساء : من الأمراء ، والوزراء ، والعلماء ، والكتّاب ، ونحوهم من ذوى الأقدار العلية ، والأخطار الجليسة ، والمراتب السنية في الدين والدنيا ، ممن يصلح أن يكون أمرًا ونهيًا ، إذا كتبوا إلى أتباعهم ومأموريهم . إذ كانت هذه النون مما يختص بذوى التعظيم دون غيرهم ، وشاهد ذلك من القرآن الكريم قوله تعالى : ﴿ حَتَّى إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ ﴾ فدعاه دعاء المفرد لعدم المشاركة له في ذلك الاسم ، وسأله سؤال الجمع لمكان العظمة . إلى غير ذلك من الآيات الواردة مَوْرِدَ الاختصاص له كما في قوله تعالى : ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّاتُ الْأَرْضَ وَمَنْ عَلَيْهَا ﴾ وقوله : ﴿ إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي الْمَوْتَى ﴾ وقوله : ﴿ نَحْنُ الْوَارِثُونَ ﴾ وغير ذلك من الآيات . قال في " معالم الكتابة " . وقد أخذ كتّاب المغرب بهذا مع ولادة أمورهم في الجمع بالميم مخاطبوا الواحد بمخاطبة الجمع مثل : أتم ، وفعلتم ، وأمرتم ، وما أشبه ذلك .

(١) في الأصول والمواضع وهو تعبير عرقى .

قلت : والامرُ في ذلك عندهم مستمِرٌ إلى الآن . قال ابن شيث : وهو غيرُ
ماصوّر به عند غيرهم .

وإن كان المكتوب عنه مرءوساً بالنسبة إلى المكتوب إليه كالتابع ومن
في معناه ، فقال في "موادّ البيان" : ينبغي أن يتحفّظ في الكتب النافذة عنه من
الإتيان بنون العظمة وغيرها من الألفاظ التي فيها تعظيمُ شأنِ المكتوبِ عنه مثل
أن يقول : أمرتُ بكذا ، أو نهيتُ عن كذا ، أو أوعزتُ بكذا ، أو تقدّمَ أمرى إلى
فلان بكذا ، أو أنهى إلى كذا ، أو خرجَ أمرى بكذا ، وما في معنى ذلك مما
لا يُخاطبُ به الأتباع رؤساءهم ، بل يعدل عن مثل هذه الألفاظ إلى ما يؤدى إلى
معناها مما لا عظمة فيه ، مثل أن يقول : وجدتُ صوابَ الرأى كذا ففعلته ، ورأيت
السياسةَ تقتضى كذا فأمضيتها ، وما أشبه ذلك ، إن كان عُرِفَ الكتابُ على الخطاب
بالتاء ، وإلا قال : وجد المملوكُ صوابَ الرأى كذا ففعله ، ورأى السياسةَ تقتضى
كذا فأمضاه ، وما يجرى هذا المجرى .



وأما المكتوب إليه ، فقال أبو هلال العسكري في كتابه "الصناعتين" : ينبغي
أن يعرف قدرَ المكتوبِ إليه من الرؤساء ، والنظرَاء ، والعلماء ، والوكلاء : ليُفرّق
بين من يكتب إليه «أنا أفعلُ كذا» ومن يكتب إليه «نحن نفعلُ كذا» (أنا) من كلام
الأشباه والإخوان ، (ونحن) من كلام الملوك ، ويفرق بين من يكتب إليه «فإن رأيتُ
أن تفعلَ كذا» وبين من يكتب إليه : (فرائك) . قال في "موادّ البيان" : وذلك
إن قولهم فإن رأيتُ أن تفعلَ كذا لفظُ النظرَاء والمساوين ، بخلاف فرائك ، فإنه لا يكتبه
إلا جليلٌ معظّم : لتضمنها معنى الأمر والتقديرُ فرائك ، بخلاف فإن رأيتُ ،
فإنه لا امر فيه ، إذ يقال : فإن رأيتُ أن تفعلَ كذا فافعله . على أن الأخص

قد انكر هذا على الكتاب ، لان اقل الناس يقول للسلطان : انظر في امرى ، ولفظه لفظ الامر ومعناه السؤال . وذكر مثله في "صناعة الكتاب" عن النحويين . قال في "مواد البيان" : ووجه الكتاب أن المشافهة تحتمل ما لا تحتمله المكتبة ، لأن المشافهة حاضر يحضر الإنسان لا يمكنه تقييده وترتيبه ، والمكتبة بخلاف ذلك ، فلا عذر لصاحبها في الإخلال بالادب . قال ابن شيث : وقد أصطلحوا على أن يكتب في أواخر الكتب : «وللآراء العالية فضل السموات والقدرة إن شاء الله تعالى» . ودون ذلك : «وللرأى السامى حكمة» ودونه : «والرأى أعلى» . ودونه : «والرأى موفق» وموفقا بالرفع والنصب . ودونه : «ورأيه» للجلس : «ورأيها» للحضرة . قال : وربما قالوا : «فإن رأى مولانا ان يكون كذا وكذا امر به او فعل» إلا أنها لا تقوم مقام قوله : والرأى اعلى . فأما لمن دونه فمحتمل . وذكر أنه كان مصطلحهم ان يقال فى آخر كتب السلطان : «فاعلم ذلك واعمل به إن شاء الله تعالى» . وأن أعيان أصحاب الأقلام كانوا يكتبونه إلى من دونهم .

قلت : والذي استقر عليه الحال أن يكتب فى مثل ذلك : «وللآراء العالية مزيد العلو» وأن تختم الكتابة للأكابر بمثل : «فنجيط علمه بذلك» ولمن دونهم : «فنجيط بذلك علما» وللأصاغر : «فليعلم ذلك ويعتمده» ونحو ذلك . قال محمد بن إبراهيم الشيبانى : إن أحتجت إلى مخاطبة الملوك والوزراء والعلماء والكتاب والأدباء والخطباء وأوساط الناس وسوقهم ، فخاطب كلاً منهم على قدر أهله وجلالته وعلوه وارتفاعه وفطنته وأنتباهه . ولكل طبقة من هذه الطبقات معان ومذاهب يجب عليك أن ترعاها فى مراسلتك إياهم فى كتبك ، وتزن كلامك فى مخاطبتهم بميزانه ، وتعطيه قسمته ، وتوفيه نصيبه ، فإنه متى أهملت ذلك واضعته ، لم آمن عليك أن تعدل بهم عن طريقهم ، وتسلك بهم غير مسلكهم ،

وَتَجْرِي شُعَاعَ بِلَاغَتِكَ فِي غَيْرِ تَجْرَاهُ ، وَتَنْظِمُ جَوْهَرَ كَلَامِكَ فِي غَيْرِ سِلْكِهِ ، فَلَا تَعْتَدُ
بِالْمَعْنَى الْجَزْلَ مَا لَمْ تَكْسُهِ لَفْظًا مُخْتَلِفًا عَلَى قَدْرِ الْمَكْتُوبِ إِلَيْهِ ، فَإِنْ إِبَاسَكَ الْمَعْنَى -
وَإِنْ صَحَّ إِذَا أُشْرِبَ - لَفْظًا لَمْ تَجْرِبْ بِهِ عَادَةُ الْمَكْتُوبِ إِلَيْهِ تَهْجِينٌ لِلْمَعْنَى ، وَإِخْلَالَ بَقَدْرِ
الْمَكْتُوبِ إِلَيْهِ ، وَظُلْمٌ يَلْحَقُهُ ، وَنَقْصٌ مِمَّا يَجِبُ لَهُ ، كَمَا أَنْ فِي آتِبَاعٍ مُتَعَارَفِهِمْ ،
وَمَا أَنْتَشَرَتْ بِهِ عَادَتِهِمْ ، وَجَرَتْ بِهِ سُنَّتِهِمْ ، قَطْعًا لِعُدْرِهِمْ ، وَخُرُوجًا عَنْ حَقِّهِمْ ،
وَبُلُوغًا إِلَى غَايَةِ مُرَادِهِمْ ، وَإِسْقَاطًا لِحُجَّةِ أَدْبِهِمْ . قَالَ أَبُو عَبْدِ رَبِّهِ : فَاْمَثِلْ هَذِهِ
الْمَذَاهِبَ وَأَجْرِ عَلَيْهَا الْقَوْمَ .

قال في "مواد البيان" : وذلك أن المعاني التي يكتب فيها وإن كان كل منها
جنسا بعينه : كالتهنئة والتعزية والاعتذار والعتاب والأستظهار ونحو ذلك ، فإنه
لا يجوز أن يخرج المعنى لكل مخاطب على صيغة واحدة من اللفظ ، بل ينبغي
أن يخرج في الصيغة المشاكلة للمخاطب ، اللائقة بقدره ورتبته . ألا ترى أنك لو خاطبت
سلطاناً أو وزيراً بالتعزية عن مصيبة من مصلب الدنيا ، لما جاز أن تبنى الكلام
على وعظاء وتبصيره وإرشاده وتذكيره وحفظه على الأخذ بحفظ من الصبر ، ومجانبة
الجزع ، وتلقى الحادثات بالتسليم والرضا ، وإنما الصواب أن تبنى الخطاب على
أنه أعلى شأناً ، وأرفع مكاناً ، وأصح حُرماً ، وأرجح حِلماً ، من أن يعزى بخلاف
المتأخر في الرتبة ، فإنه إنما يعزى تنبيهاً وتذكيراً ، وهدايةً وتبصيراً ، ويعترف الواجب
في تلقى السراء بالشكر ، والضراء بالصبر ، ونحو ذلك .

وكذلك إذا كتبت رئيساً في معنى الأستزادة والشكوى ، لا يجوز أن تأتي بمعناهما
في الأناطهما الخاصة ، بل يجب أن تعدل عن [الأناط] الشكوى إلى الأناط الشكر ،

(١) هذا الشرط غير موجود في الضوء .

(٢) لم يذكر في الضوء لفظ القوم .

وعن الفاظ الأستزادة إلى الفاظ الأستعطاف والسؤال في النظر، لتكون قد رتبت كلامك في رتبته، وانخرجت معنك مخرج من يستدعي الزيادة لا من يشكو التقصير.

قال ابن شيث في "معالم الكتابة": ولا يخاطب السلطان في خلال الكتابة إليه بسيدنا مكان مولانا، فإن سيدنا كانها خصصت بأرباب المراتب الدينية والديوانية، ومولانا تخص السلطان وحده، وإن كان من نعوت السلطان السيد الأجل.

قال: علي أن ذلك مخالف لمذهب المغاربة: فإنهم يعبرون عن ولاة أمورهم بالسادة، ويعبرون عن صاحب الأمر بسيدنا، وكأن هذا كان في زمانه، وإلا فالمعروف عند أهل المغرب والأندلس الآن التعبير عن السلطان بالمولى، يقول أحدهم مولانا فلان. وأهل مصر الآن يطلقون السادة على أولاد الملوك.

وكذلك لو وقع واقع للسلطان فنصحته لم يجز أن تُورد ذلك مورد التنبيه على ما أغفله، والإيقاظ لما أهمله، والتعريف من الصواب لما جهله: لأن ذلك من القبيح الذي لا يَحتملُهُ الرؤساء من الأتباع، ولكن تبني الخطاب على أن السلطان أعلى وأجل رأياً، وأصح فكراً، وأكثر إحاطةً بصُدُور الأمور وأعجازها، وأن آراء خدَمه جزء من رأيه، وأنهم إنما يتفرسون مخايل الإصابة بما وقفوا عليه من سلوك مذهب، والتأديب بأدبه، والارتياض بسياسته، والتنقل في خدمته، وإن مما يفرضونه في حكم الإشفاق والأهتمام، وما يُسبغ عليهم من الإنعام، المطالعة بما يجري في أوهامهم، ويحدث في أفكارهم، من الأمور التي يتخيلون أن في العمل بها مصلحةً للدولة، وعمارةً للملكة، لينصفحه بأصالة رأيه التي هي أوفر وأثبت. فإن آستصوبه أمضاه، وإن رأى خلافه ألغاه، وكان الرأي الأعلى ما يراه، إلى غير ذلك مما يجري هذا المجرى.

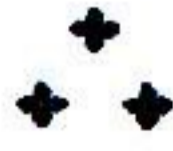
قال ابن شيث في "معالم الكتابة" : ولا يقارنُ الكاتبُ السلطانَ في تكرارِ
المواضع التي يقع الألتباسُ فيها بين الكاتب والمكتوب إليه ، لأن هاءَ الضميرِ تعود
عليهما معا لما تقدم من ذكرهما ، وإن كان في القرينة ما يدلُّ على ذلك بعد الفكرة
وإذا ابتدأ منهم بالملوك لا يقال بعد ذلك العبد ولا الخادم ، وإن كان ذلك جائزا
مع غير السلطان .

قال : ولا بأس بتكرار الإشارة إلى السلطان في المواضع التي يجمل فيها الأشتراكُ
بينه وبين المكتوب إليه ، مثل أن يقال : وكان قد ذكر كذا وكذا ، والضميرُ في كان
يصلحُ لهما معا ، فلا بدُّ هنا من ذكر الملوك ، إن كان الألتباسُ من جهة الكاتب ،
أو مولانا إن كانت الإشارةُ إلى السلطان .

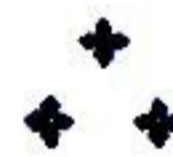
الأصل العاشر

(أن يُراعى مواقع آيات القرآن والسُّجع في الكُتُب ،
وذكر أبيات الشعر في المكاتبات)

أما آيات القرآن الكريم ، فقد ذكر ابنُ شيث في "معالم الكتابة" أنها في صدرِ
الكُتُب قد يذكرها الأذنى للأعلى في معنى ما يكتب به ، مثل قوله تعالى :
(فَلَمَّا أَنْ جَاءَ الْبَشِيرُ أَلْفَاهُ عَلَىٰ وَجْهِهِ فَارْتَدَّ بِصِيرًا) وقوله تعالى : (وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ
الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزْنَ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ) إلى غير ذلك من الآيات المناسبة
للوقائع وإن كانت في أسماء الكُتُب ، فقد استشهد بها جماعةٌ من الكُتَّاب في خلال
كتبتهم مما رأيتُه .



وأما السجع ، فقد ذكر ابن شيث : أنه لا يُفَرَّقُ فيه بين كتابِ الأعلى للأدنى وبالْعَكْسِ ، وأنه : لا يُكْتَبُ عن السلطان أليق ، لكن قد ذكر بعض المتأخرين أن الكتابة بالسجع نقص في حق المكتوب إليه ، وقضيته أنه لا يُكْتَبُ به إلا من الأعلى للأدنى ، إلا أن الذي جرى عليه مصطلح كتاب الزمان تخصيصه ببعض الكتب دون بعض من الجانبين .



وأما الشعر فيورده حيث يحسن إرادته ، ويمنعه حيث يحسن منعه ، فليس كلُّ مكتبة يحسن فيها إيراد الشعر ، بل يختلف الحال في ذلك بحسب المكتوب عنه والمكتوب إليه . فاما المكاتبات الصادرة عن الملوك والصادرة إليهم ، فقد ذكر في "مواد البيان" : أنه لا يُمَثَّلُ فيها بشيء من الشعر ، إجلالاً لهم عن شوب العبارة عن عزائم أواميرهم ونواهيهم والأخبار المرفوعة إليهم ، بما يخالف نطمها ووضعها ، ولأن الشعر صناعة مغايرة لصناعة الترسُّل ، وإدخال بعض صنائع الكلام في بعض غير مستحسن .

قلت : الذي ذكره عبد الرحيم بن شيث في كتابه "معالم الكتابة ومواضع الإصابة" أنه [يُمَثَّلُ] بالشعر في المكاتبات الصادرة عن الملوك دون غيرهم ، وهو معارض لما ذكره في "مواد البيان" . وكأنه في مواد البيان يريد الكتب النافذة عن الملوك إلى من دونهم ، أو ممن دونهم إليهم . أما الملوك والخلفاء إذا كتبوا إلى من ضاهاهم في أبهة الملك وقاربهم في علو الرتبة ، فإنه لا يمتنع التمثُّلُ بأبيات الشعر فيها ، تطريزاً للنثر بالنظم ، وجمعاً بين جنسى الكلام اللذين هما خلاصة مقاصده .

وما زالت الخلفاء والملوك السالفة يخلّون كتبهم الصادرة عنهم إلى نظرائهم في علو الرتبة بالأبيات الرقيقة الألفاظ، البديعة المعاني، للاستشهاد على الوقائع المكتوب بسببها: كما كتب أمير المؤمنين "عثمان بن عفان" رضى الله عنه حين تملاً عليه القوم واجتمعوا على قتله إلى علي بن أبي طالب كرم الله وجهه!

فإن كنت مأكولاً، فكن خيراً كل * وإلا فادرّكني ولما أمرق!

وكما كتب أمير المؤمنين علي بن أبي طالب كرم الله وجهه! إلى معاوية بن أبي سفيان، في جواب كتاب له حين جرى بينهما التنازع في الخلافة، فقال في أثناء كتابه: وزعمت أني لكل الخلفاء حسدت، وعلى كلهم بغيت، فإن يك ذلك كذلك فليست الجناية عليك، فيكون العذر إليك:

* وتلك شكاة ظاهر عنك عارها *

وعلى ذلك جرى كثير من خلفاء الدولتين الأموية والعباسية: كما حكى العسكري في "الأوائل" أن أهل حمص وثبوا بعاملها فأخرجوه، ثم وثبوا بعده بعامل آخر، فأمر المتوكل إبراهيم بن العباس^(١) أن يكتب إليهم كتاباً يحذرهم فيه ويختصر، فكتب.

أما بعد، فإن أمير المؤمنين يرى من حق الله تعالى عليه فيما قوم به من أود أو عدل به من زيع، أو لم به من شعث، ثلاثاً يقدم بعضهن أمام بعض: فأولاهن ما يستظهر به من عظة ووجهة، ثم ما يشفعه به من تحذير وتنبية، ثم التي لا ينفع حسم الداء غيرها:

أناة؛ فإن لم تغن عقب بعدها * وعيد، فإن لم يجدي، أجدت عزائمها!

(١) أى الصولى .

(٢) فى الاصول فى من يقوم به الخ . والتصحيح من "أدب اللغة" للشيخ أحمد السكندرى .

ومن كان يُكثِرُ التمثُلُ بالشعر في المكاتبات من خُلفاء بني العباس وتصدُر إليه المكاتبات كذلك «الناصر لدين الله» حتى يُحكى أن الملك الأفضل، عليّ ابن السلطان صلاح الدين يوسف بن ايوب صاحب دِمَشق حين تعصّب عليه أخوه الملك العزيز عثمانُ وعمه الملك العادل أبو بكر، كتب إلى الناصر لدين الله يستجيشه عليهما كتاباً يُشير فيه إلى ما تعتقده الشيعة من ان الحق في الخلافة كان لعلّي، وأن ابا بكر وثمان رضي الله عنهما تقدماً عليه، إذ كان الناصر يميل إلى التشيع، وكتب فيه :

مَوْلَايَ ! إِنَّ أَبَا بَكْرٍ وَصَاحِبَهُ * عُمَانٌ قَدْ غَضَبَا بِالسَّيْفِ حَقَّ عَلَيَّ !
فَانظُرْ إِلَى احْظِّ هَذَا الْإِسْمِ كَيْفَ لَقِيَ * مِنَ الْأَوَاخِرِ مَا لَاقِيَ مِنَ الْأَوَّلِ !

فكتب إليه الناصر الجواب عن ذلك، وكتب فيه :

وَإِنِّي كِتَابُكَ يَا ابْنَ يُوسُفَ نَاطِقًا * بِالْحَقِّ يُخْبِرُ أَنَّ أَصْلَكَ طَاهِرٌ !
غَضَبُوا عَلَيَّا حَقَّهُ إِذْ لَمْ يَكُنْ * بَعْدَ النَّبِيِّ لَهُ بِيَثْرَبَ نَاصِرٌ !
فَاصْبِرْ فَإِنَّ عَلِيَّ الْإِلَهَ حِسَابَهُمْ * وَأَبَشِرْ فَنَاصِرُكَ الْإِمَامُ النَّاصِرُ !

وعلى ذلك جرى الملوك القائمون على خُلفاء بني العباس في مكاتباتهم أيضا . كما كتب أبو إسحاق الصابي عن معز الدولة بن بويه، إلى عُدّة الدولة أبي تغلب كتابا يذكر له فيه خلاف قريبين له، لم يُمكنه مساعدة أحدهما على الآخر، وأستشهد فيه بقول المتلمس :

وَمَا كُنْتُ إِلَّا بِمِثْلِ قَاطِعِ كَفِّهِ * بَكْفٍ لَهُ أُخْرَى فَاصْبَحَ أَجْدَمَا !
فَلَمَّا اسْتَفَادَ الْكَفَّ بِالْكَفِّ، لَمْ يَجِدْ * لَهُ دَرَكًا فِي أَنْ تَبِينَا فَاحْجَمَا .

وعلى هذا النهج جرى الحال في الدولة الأيوبية بالديار المصرية . كما كتب القاضي الفاضل عن السلطان صلاح الدين "يوسف بن أيوب" إلى ديوان الخلافة ببغداد، عند قتل ابن رئيس الرؤساء وزير الخليفة كتابا لیسلي الخليفة عنه ، وكان ممن اساء السيرة وأكثر الفتك ، متمثلا بالبيتين المقولين في أبي حفص الخلال : وزير أبي العباس السفاح ، وكان يعرف بوزير آل محمد .

إِنَّ الْمَكَارَةَ قَدْ تَسُرُّ، وَرُبَّمَا * كَانِ السُّرُورُ بِمَا كَرِهْتَ جَدِيرًا!

إِنَّ الْوَزِيرَ وَزِيرَ آلِ مُحَمَّدٍ * أَوْدَى، فَمَنْ يَشْنَاكَ كَانَ وَزِيرًا.

وكما كتب القاضي « محيي الدين بن عبد الظاهر » عن « المنصور قلاوون » إلى صاحب اليمن في جواب تعزية ارسلها إليه في ولده الملك الصالح ، مع تعريضه في أمره له بأن الحروب مما يشغل عن المضائب في الأولاد، مستشهدا فيه بقوله :
إِذَا أَعْتَادَ الْفَتَى خَوْضَ الْمَنَائِيَا، * فَأَهْوَنُ مَا تَمْتَرُ بِهِ الْوُحُولُ!

وكما كتب صاحبنا الشيخ علاء الدين البيهقي رحمه الله عن "الظاهر برقوق" صاحب الديار المصرية، جوابا لصاحب تونس من بلاد المغرب ، وأستشهد فيه لبلاغة الكتاب الوارد عنه بقوله :

وَكَلَامٍ كَدَمَعٍ صَبَّ غَرِيبٍ * رَقَّ حَتَّى الْهَوَاءُ يَكْتَفِ عِنْدَهُ!

رَاقَ لَفْظًا، وَرَقَّ مَعْنَى، فَاضْحَى * كُلُّ سِحْرِ مِنَ الْبَلَاغَةِ عِنْدَهُ!

وعلى ذلك جرت ملوك المغرب من بني مرين وغيرهم . كما كتب بعض كتاب السلطان أبي "الحسن المريني" عنه إلى السلطان الملك الناصر "محمد بن قلاوون" صاحب الديار المصرية كتابا يُخبره في خلاله أن صاحب بجاية خرج عن طاعته فغزاه، وأوقع به وبجيوشه مآقعه ، مستشهدا فيه بقوله :

إِنْ عَادَتِ الْعَقْرُبُ ، عُدْنَا لَهَا * وَكَانَتِ النَّعْلُ لَهَا حَاضِرَهُ !

إلى غير ذلك من المكاتبات الملوكية التي لا تُحصى كثرة . بل ربما وقع التمثل بالشعر في المكاتبات عن الخلفاء والملوك إلى مَنْ دُونَهُمْ وبالعكس . كما حكى العسكري في "الأوائل" أن رافعاً رفع كتاباً إلى الرشيد ، وكتب في أسفله :

إِذَا جِئْتُ عَارَا أَوْ رَضِيتُ بِذِلَّةٍ ، * فَنَفْسِي عَلَى نَفْسِي مِنَ الْكَلْبِ أَهْوَنُ !

فكتب إليه الرشيد كتاباً وكتب في أسفله :

وَرَفَعَكَ نَفْسًا طَالِبًا فَوْقَ قَدْرِهَا * يَسُوقُ لَكَ الْحَتْفَ الْمُعَجَّلَ وَالذُّلَّ

وبالجملة فمذاهبُ الناس في التمثل بالشعر في المكاتبات الملوكية مختلفة ، ومقاصدهم متباينةٌ بحسب الأغراض ؛ ولذلك أورد الشيخ جمال الدين بن نباتة هذه المسئلة في جملة أسئلته ، التي سأل عنها كتاب الإنشاء بدمشق ، مخاطباً بها لشيخ شهاب الدين محمود الحلبي ، وهو يومئذ صاحب ديوان الإنشاء بها فقال :
وَمَنْ كَرِهَ الْأَسْتِشْهَادَ فِي مَكَاتِبَةِ الْمُلُوكِ بِالْأَشْعَارِ؟ وَكَيْفَ تَرَكَهَا عَلَى مَا فِيهَا مِنَ الْآثَارِ؟
أما المكاتبات الإخوانيات الواقعة بالتهاني ، والتعازي ، والترأور ، والتهادي ، والمداعبة ، وسائر أنواع الرقاق في فنون المكاتبات ، فقد قال في "مواد البيان" :
إِنَّهُ يَجُوزُ أَنْ تُودَعَ آيَاتُ الشَّعْرِ عَلَى سَبِيلِ التَّمَثُّلِ وَعَلَى سَبِيلِ الْإِخْتِرَاعِ ، مُحْتَجًّا بِأَنَّ الصُّدْرَ الْأَوَّلَ كَانُوا يَسْتَعْمِلُونَ ذَلِكَ فِي هَذِهِ الْمَوَاضِعِ . وَهَذَا الَّذِي ذَكَرَهُ لِاخْتِفَاءِ فِيهِ ، وَكُتِبَ الرِّسَالُ الْمَدُونَةُ مِنْ كَلَامِ الْمُتَقَدِّمِينَ وَالْمُتَأَخِّرِينَ مِنْ كُتُبِ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ شَاهِدَةٌ بِذَلِكَ ، نَاطِقَةٌ بِاسْتِعْمَالِ الشَّعْرِ فِي الْمَكَاتِبَاتِ ، وَأَشْنَاءُ وَنَهَايَاتُهَا ، مَا يَبِينُ الْبَيْتَ وَالْبَيْتَيْنِ فَأَكْثَرَ ، حَتَّى الْقِصَائِدَ الطُّوَالَ . وَأَكْثَرُ مَا يَقَعُ مِنْ ذَلِكَ الْبَيْتُ الْمَفْرُودَ وَالْبَيْتَانِ فَمَا حَوْلَ ذَلِكَ . كَمَا اسْتَشْهَدَ الْقَاضِي الْفَاضِلُ فِي بَعْضِ مَكَاتِبَاتِهِ فِي الشُّوقِ بِقَوْلِهِ :

وَمِنْ عَجَبِي أَنِّي أَحْنُ إِلَيْهِمْ ، * وَأَسْأَلُ عَنْهُمْ مَنْ أَرَىٰ وَهُمْ مَعِي !
وَتَطْلُبُهُمْ عَيْنِي وَهُمْ فِي سَوَادِهَا * وَيَشْتاقُهُمْ قَلْبِي وَهُمْ بَيْنَ أَضْغِي !

وكما كتب أيضا لبعض إخوانه في جواب كتاب :

وَكَمْ قُلْتُ حَقًّا : لَيْتَنِي كُنْتُ عِنْدَهُ ! * وَمَا قُلْتُ إِجْلَالًا لَهُ : لَيْتَهُ عِنْدِي !

وكما كتب في وصف كتاب ورد عليه مستشهدا بقوله :

وَحَسِبْتَهُ - وَالطَّرْفُ مَعْقُودٌ بِهِ - * وَجَهَ الْحَبِيبِ بَدَأَ لَوْجَهُ مُجْبِه !

وكما كتب في كتاب تعزية بصديقي مستشهدا فيه بقوله :

وَذَاكَ الَّذِي لَا يَبْرَحُ النَّهْرَ رَزْوُهُ ، * وَلَا ذِكْرُهُ مَا أَرْزَمَتْ أُمَّ حَائِلٍ .

إلى غير ذلك من المكاتبات التي لا يأخذها حصر، ولا تدخل تحت حد، مما

ستقف على الكثير منه في الكلام على مقاصد المكاتبات، إن شاء الله تعالى .

، —

الأصل الحادي عشر

(أن يأتي في مكاتباته بحسن الإختتام)

ويرجع إلى معنيين ، كما في حُسن الأفتتاح المقدم ذكره .

المعنى الأول - أن يكون الحسن فيه راجعا إلى المعنى المختتم به : إما بمعاطاة
الأدب من المرءوس إلى الرئيس ونحو ذلك ، وإما بما يقتضى التعزير والتوقير من
الرئيس إلى المرءوس ، كالأختتام بالدعاء ونحو ذلك ، مما يقع في مصطلح كل زمن .

المعنى الثانى - أن يكون الحسن فيه راجعا إلى ما يوجب التحسين من سهولة
اللفظ ، وحسن السبك ، ووضوح المعنى ، وتجنب الحشو ، وغير ذلك من موجبات

التحسين ؛ كما كتب الصحابُ بنُ عبَّاد في آخر رسالة له : ” لَئِنْ حَثَّتْ فِيمَا حَلَفْتُ ، فَلَا خَطَوْتُ لِتَحْصِيلِ مَجْدٍ ، وَلَا نَهَضْتُ لِأَقْتِنَاءِ حَمْدٍ ، وَلَا سَعَيْتُ إِلَى مَقَامِ نَخْرٍ ، وَلَا حَرَضْتُ عَلَى عُلُوِّ ذِكْرٍ “ . قال أبو هلال العسكري : فهذه اليمين ، لو سمعها عامر بن الظرب ، لقال هي اليمين الغموسُ لا القسمُ باللاتِ والعزى ومناة الثالثة الأخرى ، ونحو ذلك مما يجرى هذا الجرى .

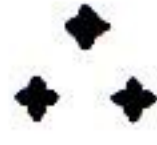
قلت : وأعتبر هذه الأصول [الأحد عشر]^(١) بعد ما تقدم آتباره في الكلام على صنعة إنشاء الكلام وترتيبه في المقالة الأولى ، من أنه لا يستعمل في كلامه ما أتت به آياتُ القرآن الكريم : من الاختصار ، والحذف ، ومخاطبة الخاص بمخاطبة العام ، ومخاطبة العام بمخاطبة الخاص ، ولا ما يختص بالشعر : من صرف ما لا ينصرف ، وحذف ما لا يحذف ، وقصر الممدود ، ومدّ المقصور ، والتقديم والتأخير ، والإضمار في موضع الإظهار ، وتصغير الاسم في موضع التعظيم ، مثل دُوَيْبِيَّةٍ ، وما شاكل ذلك مما تقدم التنبية عليه في موضعه ، فلا بد من آتباره هنا .

الأصل الثاني عشر

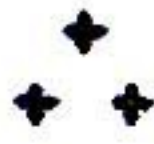
(أن يعرف مقادير قطع الورق ، وسعة الطرة والهامش ، وسعة بيت العلامة ومقدار ما بين السطور وما يُترك في آخر الكتاب)

أما مقدار قطع الورق ، فقد تقدم في المقالة الثالثة أنه يختلف باختلاف المكتوب إليهم عن السلطان ، فكلمًا عظم قدر المكتوب إليه ، عظم مقدار قطع الورق ؛ وربما روعي في ذلك قدر المكتوب عنه والمكتوب إليه جميعا .

(١) في الاصل ” العشرة “ .



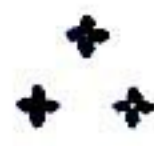
وأما طولُ الطَّرة في أعلى الكتاب ، فقد ذكر في "معالم الكتابة" أنها تُطَوَّلُ فيما إذا كان الكتابُ من الأعلى إلى الأدنى ، وتكون متوسطة من الأتباع ، وسيأتي أن المصطلح عليه في زماننا أن المكاتبات الصادرة عن السلطان تكون الطَّرة فيها ما بين ثلاثة أوصال إلى وصلين ، ومن التَّواب ومن في معنهم تكون وصلا واحدا .



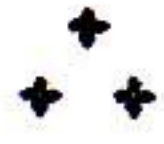
وأما مقدارُ سَعَةِ الهامش فقد سَمِعْتُ بعض فضلاء الكتاب يذكر أن الضابط فيه أن يكونَ ثلثَ عَرَضِ الدَّرَجِ المكتوب فيه .



وأما بيتُ العَلامَةِ فقد تقدّم أنه يكون مقدارَ نحوِ شِبْرٍ في كُتُبِ السلطان ، أما في غيره - حيث كانت العَلامَةُ تحت البسمة - فتكونُ نحوَ ثلاثة أصابعٍ أو أربعة .



وأما سَعَةُ ما بين السطور فقد تقدّم أنها تكون بمقدارِ نصفِ بيتِ العَلامَةِ . وذكر ابن شِيث : أنها ثلاثة أصابعٍ أو أربعة .



وأما [ما يترك في] آخر الكتاب فقد ذكر ابن شِيث أنه لا يترك في آخر المكتبة شيئا .



وأما الخطُّ فإنه كلما غلُظَ القلم وآتسعت السطور كان أنقصَ في رُتْبَةِ المكتوبِ إليه وقد ذكر في "معالم الكتابة" أن الكتب الصادرة إلى السلطان لا يكونُ بين سَطُورها أكثرُ من إصبعين .

الطَّرْفُ الثَّانِي

(في بيان مقادير المكاتبات وما يُناسبها من البَسْط والإيجاز،
وما يلائمُ كلَّ مكتبة منها من المعاني)

ولتَعَلَّمْ أن المكاتبات على ثلاثة أقسام :

القسم الأول

(ما يُكْتَبُ عن السلطان أو مَنْ في معناه من الرؤساء
إلى الأتباع . وهي على ضربين)

الضرب الأول

(ما يُعْمَلُ فيه على الإيجاز والاختصار)

وقد استحسنوا الإيجاز في خمسة مواضع :

أحدها - أن يكون المکتوبُ عن السلطان في اوقات الحروب إلى تُوَّابِ
الملك . قال في "حُسن التوسل" : فيجب أن يتوخى الإيجاز والألفاظ البليغة
الدالة على القصد ، من غير تطويل ولا بَسْطٍ يُضِيعُ المقصدَ ويفصل الكلامَ بعضه
من بعض . ولا يَعْمَدُ في ذلك إلى تهويل لأمر العدو يُضْعِفُ القلوبَ ، ولا تهوين
لأمره بحيث يحصل به الأغرار .

الثاني - أن يكون ما يُكْتَبُ به عن السلطان خبراً يريد التورية به عنه وسرَّ
حقيقته ، كإعلامهم بالحوادث الحادثة على الملوك ، والنواب المُلمِّمة بالدولة : من
هزيمة جيش ، أو تغيير رسم ، أو إحدائه ، أو تكليف الرعية ما لا يسهل عليها تكليفه

وما أشبه ذلك . قال في "مواد البيان" : فيجب أن يقصد في ذلك إلى الاختصار والإيجاز، ويعدل عن استعمال الألفاظ الخاصة بالمعنى إلى غيرها مما يحتمل التأويل، ولا تنفر الأسماع عنه، ولا تراغ القلوب به، من غير أن يحتمل كذبا صراحا، فإنه لا شيء أقبح بالسلطان، ولا أغمض لشأنه وقدره من أن يضمن كتابه ما ينكشف للعامّة بطلانه . قال وينبغي للكاتب أن يتخلص من هذا الباب التخلص الجيد الذي يزين به الأثر، من غير تصريح بكذب، وأن يخرج الباطل في صورة الحق، ويعرض سلطانه في ذلك للإحماد والتقريظ من حيث يستحق التأييد والإذمان فإن هذه سبيل البلاغة، وطريقة فضلاء الصناعة، لأن الأمر الظاهر الحسن المجمع على فضله لا يحتاج في التعبير عن حسنه إلى كذ الخاطر، وإتاع الفكر، إذ الألتكن لا يعجز عن التعبير عنه فضلا عن اللين، وإنما الفضل في تحسين ما ليس بحسن، وتصحيح ما ليس بصحيح، بضروب من التمويه والتخييل، وإقامة المعاذير، والعلل المعقبة على الإساءة والتقصير، من حيث لا يلحق كذب صريح ولا زور مطلق . وليضيق هذا المقام وصعوبة مرتقاه، أورده الشيخ جمال الدين بن نباتة في جملة مسائله التي سأل عنها كتاب الإنشاء بدمشق - فقال : وما الذي يكتب عن المهزوم إلى من هزّمه ؟ .

الثالث - أن يكون المكتوب به عن السلطان أمرا أو نهيا . قال في "مواد البيان" : فحكمها حكم التوقيعات الوجيزة الجامعة للعاني، الجازمة بالأمر أو النهي . اللهم إلا أن يكون الأمر أو النهي مما يحتاج إلى رسوم ومثل يعمل عليها، فيحتاج إلى الإطالة والتكرير، بحسب ما يؤمر به وينهى عنه دون الحذف والإيجاز.

الرابع - أن تكون الكُتُب المكتوبة عن السلطان باستخراج الخراج وجباية الأموال وتدبير الاعمال . قال في "مواد البيان" : فسيئها أن ينصّ فيها على ما رآه السلطان ودبره ، ثم يَخْتَم بِفصل مقصورٍ على التوكيد في أمثال امره وإنفاذه ، ولا يقتصر على ما تقدم ، إيجاباً للحجة ، وتضييقاً للعذر ، وحسماً لاسباب الاعتذار .

الخامس - أن يكون ما يكتب به عن السلطان إحماداً أو إذماماً ، أو وعداً أو وعيداً أو استقصاراً أو عدلاً أو توبيخاً . قال في "مواد البيان" : فيجب أن يُشبع الكلام ويمد القول ، بحسب ما يقتضيه أمر المكتوب إليه : في الإساءة والإحسان ، والاجتهاد والتقصير ، لينشرح صدر المشمر المحسن ، وينبسط أمله ورجاؤه ، ويرتدع المقصر المسيء ، ويرتجع عما يذم منه ، ويتلافى ما فرط فيه .

الضرب الثاني

(ما يعمل فيه على البسط والإطناب)

وقد استحسنا البسط في موضعين :

أحدهما - أن يكون ما يكتب به عن السلطان خبراً يريد تقرير صورته في نفوس العامة ، كالإخبار بالفتوحات المتجددة في إعلاء الدين والسلطان . قال في "مواد البيان" : فيجب أن يُشبع القول فيها ، وينبئ على الإسهاب والإطناب وتكثير الألفاظ المترادفة ، ليُعرفوا قدر النعمة الحادثة ، وتريد بصائرهم في الطاعة ، ويعلموا موضع سلطانهم من عناية الله تعالى به ، فتقوى قلوب أوليائه ، وتضعف قلوب أعدائه ؛ لأنه لو كتب كتاباً في فتح جليل يُقرأ في المحافل والمشاهد العامة على رؤوس

الأشهاد بين العامة ومن يراد تفخيم السلطان في نفسه على صورة الاختصار، لأوقع كلامه في غير رتبته، ودل ذلك على جهله. وقد أوضح الشيخ شهاب الدين محمود الحلبي رحمه الله هذا المقام في كتابه "حسن التوسل" فقال: وإذا كتب في التهاني بالفتوح فليس إلا بسط الكلام والإطناب في شكر نعمة الله تعالى، والتبري من الحول والقوة إلا به، ووصف ما أعطى من النصر. وذكر ما منح من الثبات، وتعظيم ما يسر من الفتح؛ ثم وصف ما بعد ذلك: من عزم، وإقدام، وصبر، وجلد، عن الملك وعن جيشه مما حسن وصفه ولاق ذكره، وراق التوسع فيه، وعذب بسط الكلام معه. قال: ثم كلما اتسع مجال الكلام في ذكر الواقعة ووصفها، كان احسن وأدل على السلامة، وأدعى لسرور المكتوب إليه، وأحسن لتوقع المنة عنده، واشهى إلى سمعه، وأشفى لقليل شوقه إلى معرفة الحلال. قال: ولا بأس بتحويل أمر العدو، ووصف جمعه وإقدامه، فإن في تصغير أمره تحقيراً للظفر به.

قال في "مواد البيان": ولا يحتاج للإيجاز في كتب الفتوح بما كتب به كاتب المهلب بن أبي صفرة إلى الحجاج في فتح الأزارقة، على ارتفاع خطره، وطول زمانه، وعظم صيته، من سلوكة فيه مسلك الاختصار؛ حيث كتب فيه:

«الحمد لله الذي كفى بالإسلام فقد ما سواه، وجعل الحمد متصلاً بنعماءه؛ وقضى أن لا ينقطع المزيد من فضله، حتى ينقطع الشكر من خلقه. ثم إننا كنا وعدونا على ما نرى من مختلفين، نرى منهم ما يسرنا أكثر مما يسوءنا، ويرون منا ما يسوءهم أكثر مما يسرهم؛ فلم يزل ذلك دأبنا ودأبهم: ينصرونا الله ويخذلهم، ويمحصنا ويمحقهم؛ حتى بلغ الكتاب يناديهم أجله، ففقطع دأب القوم الذين ظلموا والحمد لله رب العالمين».

فإنه إنما حَسُنَ في موضعه لمخاطبة السُّلطان به، ولغرض كانت المكاتبَةُ فيه .
قال : فإن كَتَبَ مثل هذا الكتاب عن السلطان في مثل هذا الفتح أو ما يقارِبُهُ ،
ليُوردَ على العامة ، ويُقرَّرَ في نفوسهم به قدرُ النعمة ، لم يحسُنَ موقعه ، وخرج عن
شَرطِ البلاغة بوضعه إياه في غير موضعه ، وذكر العسكريّ نحو ذلك في "الصناعتين" .

ثم قال في "حسن التوسل" : وإن كان المكتوبُ إليه مَلِكًا صاحبَ مملكة
بمفرده ، تعيَّن ان يكون البَسْطُ أكثرَ ، والإطنابُ والتهويلُ أبلغَ ، والشرحُ أتمُّ .
ثم قال : وإن اضْطُرَّ أن يكتبَ مثل ذلك إلى ملكٍ غير مسلم لكنه غيرُ محارِبٍ ،
فالحكم في ذلك أن يذكرَ من أسباب المودة ما يقتضى المشاركة في المسارَ ، وأن أمرَ
هذا العدو مع كثرتِه أخذَ بأطراف الأنامل ، وآل أمره إلى ما آل . ويُعظَّم ذكرُ
ما جرى عليه من القتل والأسر . ويقول : إن تلك عوائدُ نصرِ الله تعالى لنا ، وانتقامه
ممنَّ عادانا ،

وإن كان المكتوبُ إليه مَثَمًا بمسألة العدو ، كتب إليه بما يدل على التقرير
والتهم والتهديد في معرض الإخبار .

الثانى - أن يكون ما يكتب به عن السلطان في أوقات حركات العدو إلى أهل
الثغور ، يُعلمهم بالحركة للقاء عدوهم . قال في "حسن التوسل" : فيجب أن يبسط
القول في وصف العزائم ، وقوة الهيم ، وشدة الحمية للدين ، وكثرة العساكر والجيوش
وسرعة الحركة ، وطى المراحل ، ومعاجاة العدو ، وتخييل أسباب النصر ، والوثوق
بعوائد الله تعالى في الظفر ، وتقوية القلوب منهم ، وبسط آمالهم ، وحثهم على التيقظ ،
وحفظ ما بأيديهم ، وما أشبه ذلك . ويبرز ذلك في أمثل كلام وأجله وأمكنه ،
وأقربه من القوة والبسالة ، وأبعده من اللين والرقّة . ويبالغ في وصف الإنابة إلى الله
تعالى وأستزال نصره وتأيدته ، والرُّجوع إليه في تثبيت الأقدام ، والاعتصام به

في الصبر، والاستعانة به على العدو، والرغبة إليه في خذلانهم وزلزلة أقدامهم
وجعل الدائرة عليهم، دون التصريح ببطلان حركتهم، ورجاء تأخيرهم، وانتظار
العرضيات في ضعفهم، لما في ذلك من إيهايم الضعف عن لقاءهم، وأستشعار الوهم
والخوف منهم .

القسم الثاني

(ما يكتب به عن الأتباع إلى السلطان والطبقة العليا
من الرؤساء، وهو على ضربين)

الضرب الأول

(ما يُعمل فيه على الإيجاز والاختصار)

وقد أستحبوا الإيجاز في ثلاثة مواضع :

أحدها - أن يكون ما يكتب به من باب الشكر على نعمة يُسبغها سلطانه عليه،
وعارفة يُسديها إليه . قال في "موادّ البيان" : فسبيله أن لا يبينها على الإسهاب وتجاوز
الحد، بل يبينها على اللفظ الوجيز، الجامع لمعاني الشكر، المشتعل على أساليب الاعتراف
والاعتداد، فإن إطناب الأصاغر في شكر الرؤساء داخل في باب الإضجار والإبرام،
ولا سيما إذا رجعوا إلى خصوصية وتقدم خدمة . وكذلك لا يُكثر من الثناء عليه ،
لأن ذلك من باب الملق الذي لا يليق إلا بالأباعد الذين لم يتقدم لهم من الموات
والحرّم ما يدل على صحّة عقائدهم، ولم يُضف عليهم من النعم ما يوجب خلوص نيّاتهم .
أما إذا كان المثنى أجنبيا متكسبا بالتقريظ والثناء، فإنه لا يقبح به الإيغال والإغراق
فيهما . قال : وكذلك لا ينبغي للخاصة الإكثار من الدعاء، وتكرره في صدور الكتّاب

عند مايجرى ذكُّ الرئيس ، فإن في ذلك مشقةً وكلفةً يستثقلها الملوك . والحكم فيما يُستعمل من ذلك في الكُتب شبيهٌ بما يُستعمل شفاهًا منه . ويقبَح من خادم السلطان أن يشغل سمعه في مخاطبته إياه بكثرة الدعاء وتكريره .

الثاني - أن يكون ما يكتب به التابع إلى السلطان ونحوه في سؤالِ حُسن النظر وشكوى الفقر والخصاصة . قال : في "موادّ البيان" : فينبى القول على الإيجاز ويمزجُ الشكوى بالشكر والاعتداد بالآلاء ، والرغبة في مصاعفة الإحسان والزيادة في البرّ، والإلحاق بالطبقة الرابعة في إيلاء العوارف ، فإن ذلك أعطف لقلب الرئيس . وأدعى إلى بلوغ الغرض ، ولا يُكثر شكوى الحال ورثاتها ، وأستلاء الخصاصة والفقر عليه ، فإن ذلك يجمعُ إلى الإضرار والإبرام شكاية الرئيس بسوء حال مرءوسه . وقلة ظهور نعمته عليه ، وذلك مما يكرهه الرؤساء ويذمونه .

الثالث - أن يكون ما يكتب به التابع إلى المتبوع من باب التنصّل والاعتذار عن شيءٍ قُرف به عند رئيسه . قال في "موادّ البيان" فسبيله أن يبنى كلامه على الاختصار ، ويعيدل عن الإسهاب والإطناب ، ويقصد إلى النكت التي تُزيل ماعرض عنده من الشبهة في أمره ، وتمحو الموجدة السابقة إلى ضمير رئيسه . ولا يصرح ببراءة الساحة عن الإساءة والتقصير ، فإن ذلك مما يكرهه الرؤساء من أتباعهم . لأن عادتهم جاريةٌ بإيثار اعتراف الخدم لهم بالتقصير والتفريط ، والإقرار بالمقروف به ليكون لهم في العفو عند الإقرار موضعٌ منة مستأنفة تستدعي شكرًا وعارفةً مستجدّة تقتضى نشرًا . أما إذا أقام التابع الحجّة على براءته مما قُرف به ، فلا موضع للإحسان إليه في إقراره على منزلته والرضا عنه . بل يكون ذلك قدرًا واجبًا له ، إن منعه إياه ظلمه وتعدي عليه .

الضرب الثاني

(ما يعمل فيه على البسط والإطناب)

وقد استحبوا البسط هنا في موضع واحد : وهو ما إذا كان ما يكتب به التابع إلى السلطان واقعا في باب الإخبار بأحوال ما ينظر فيه من الأعمال ، وما يجري على يديه من المهمات . قال في "مواد البيان" فسيب له أن يوفى حقه في النحر والبيان ، ويسلك فيه طريقة يجمع فيها بين إيضاح الأغراض من غير هذر يضر ويمل ، ولا اختصار يقصر ويخل ، وأن يقصد إلى استعمال الألفاظ السهلة التي تصل معانيها إلى الأفهام من غير كلفة ، ويتجنب ما يرفع فيه تعقيد وتوعير أو إيهام ، إلا أن يعرض له في المكاتب ما يحتاج إلى التورية والكناية كما تقدم فيما إذا أطلق عدو لسانه في السلطان فإنه يحتاج إلى الكناية عنه على ما مر .

القسم الثالث

(ما يكتب به إلى الأكفاء والنظرء ، والطبقة الثانية من الرؤساء)

قال في "مواد البيان" : وسبيل مكاتبتهم أن يؤتى فيها باللفظ المساوي للمعنى من غير إيجاز ولا إطناب : لأنها رتبة متوسطة بين الرتبين المتقدمين . ولا ينبغي أن ما ذكره إنما هو عند الوقوف مع حقائق المكاتب . أما الإخوانيات المطلقة ، فإنها تكون في الطول والقصر بحسب ما بين الصديقين من المودة والقرب ، وما يعلمه كل واحد منهما من خلق الآخر ، وما توجه دأله عليه .

وسياتى في مقاصد المكاتب من أمثلة الأقسام الثلاثة ما يوضح مقاصدها ويقرب

ماخذها إن شاء الله تعالى .

الطَّرْفُ الثَّالِثُ

(في أمور تختص بالأجوبة ، وفيه جملتان)

الجملة الأولى

(في بيانِ أيِّ الأمرين من الابتداء والجواب أعلى رتبةً وأبلغُ في صناعة الكتابة)
وقد اختلف الكُتَّابُ في ذلك : فذهب أكثرُ البلغاءِ إلى أن الكُتُبَ الجَوَابِيَّةَ
أَتَعِبُ مَطْلَبًا وَأَصْعَبُ مُرْتَقَىً مِنَ الكُتُبِ الْإِبْتِدَائِيَّةِ ، وَأَنَّ فِيهَا تَظْهَرُ مَهَارَةُ الْكَاتِبِ
وِحِدْقُهُ ، لِأَسْمَا إِذَا كَانَ الْحِطَابُ مُحْتَمِلًا لِلإِعْتِذَارِ وَالإِعْتِلَالِ عَنِ أَمْثَالِ الْأَوَامِرِ
وَالنَّوَاهِي ، وَالتَّوْرِيَةِ عَزَّ نُصُوصِ الْأَحْوَالِ ، وَالإِعْرَاضِ عَنِ ظَوَاهِرِهَا ، قَائِدًا إِلَى
أَسْتِعْمَالِ الْمُغَالَطَةِ ، مُوجِبًا لِلانْفِصَالِ عَنِ الْإِحْتِجَاجِ وَالإِلْزَامِ ، وَنَحْوِ ذَلِكَ مِمَّا يُؤَدِّي إِلَى
الْخِلَاصِ مِنَ الْمَكَارِهِ .

وَاحْتِجُّوا لِتَرْجِيحِ ذَلِكَ بِوَجْهِهِ .

مِنْهَا - أَنَّ الْمُبْتَدَىَّ مُحْكَمٌ فِي كِتَابِهِ ، يَبْتَدِئُ بِالْفَازِظَةِ كَيْفَ شَاءَ ، وَيَقْطَعُهَا حَيْثُ
يَشَاءُ ، وَيَتَصَرَّفُ فِي التَّقْدِيمِ وَالتَّأخِيرِ ، وَالْحَذْفِ وَالإِثْبَاتِ ، وَالإِيْجَازِ وَالإِسْهَابِ ،
وَيَبْنِي عَلَى أَسَاسٍ يُؤَسِّسُهُ لِنَفْسِهِ ، وَالْمُجِيبُ لَيْسَ لَهُ تَقْدِيمٌ وَلَا تَأخِيرٌ ، وَإِنَّمَا هُوَ
تَابِعٌ لِعَرَضِ الْمُبْتَدَىِّ ، وَبَانَ عَلَى أَسَاسِهِ .

وَمِنْهَا - أَنَّ الْمُجِيبَ - إِذَا كَانَ جَوَابَهُ مُحْتَمِلًا لِلإِشْبَاعِ وَالتَّوَسُّعِ - مُضْطَرًّا إِلَى
اِقْتِصَاصِ أَلْفَازِ الْمُبْتَدَىِّ وَاتِّبَاعِهَا لِلإِجَابَةِ عَنْهَا ، وَذَلِكَ يُؤَدِّي إِلَى تَصَفُّحِ كَلَامِ
الْمُبْتَدَىِّ وَالْمُجِيبِ وَيَصِلُ مَا بَيْنَ الْكَلَامَيْنِ : لِأَنَّ الْكَلَامَيْنِ يَتَقَابَلَانِ فَلَا تَخْفَى رَتَبَتُهُمَا
وَالْفَاضِلُ مِنْهُمَا مِنَ الرِّذْلِ ، وَهَذَا مَرْفُوعٌ عَنِ الْمُبْتَدَىِّ .

(١) أَي حَامِلًا وَمَشْتَمَلًا .

ومنها - أن تأليف الكلام وانتظامه وأتساقه وألثامه يُقدَّر منها المبتدئ على ما لا يقدر عليه المحيَّب : لأن الجواب يفصل أجزاء الكلام ويبتدئ نظامه ويقسمه أقساماً ، لمكان الحاجة إلى استئناف القول من الفصل بعد الفصل بقول وأما كذا وأما كذا ، فظهور الصورة المستحسنة في المتصل أكثر من ظهورها في المنفصل .

أما إذا كان الجواب مقتضياً مبنياً على أمثال مأمور ، أو انتهاء عن منهي عنه ، فإنه سهل المرام ، قريب المتناول : لأنه إنما يشتمل على ذكر وصول الكتاب والعمل بما فيه .

وذهب صاحب "مواد البيان" إلى أن الابتداء والجواب في ذلك على حد واحد ، وإن كان الكاتب قد يُجيد في الابتداء ولا يجيد في الجواب وبالعكس ، محتجاً لذلك بأن كلاً من المبتدئ والمحيَّب ممتاح عن جودة الغريزة ، محتاج من البلاغة والصناعة إلى ما يحتاج إليه الآخر : لأن الكاتب يكون تارة مبتدئاً وتارة محيَّباً . وليست الإجابة بصناعة على حيالها ، ولا البداية بصناعة على حيالها ، بل هما كالنوعين للجنس ، ولا منع من أن يكون الكاتب ماهراً في نوع دون نوع .

قال : والكاتب لا يكون في الأمر الأعم كاتباً عن نفسه وإنما يكون كاتباً عن أمرٍ يأمره بالكتابة في أغراضه ويسلمها إليه منثورة ، فيحتاج إلى نظمها وضمها وإبرازها في صورةٍ محيطيةٍ بجميع تلك الأغراض من غير إخلالٍ بشيءٍ منها . فعلى المبتدئ من المشقة في إيراد أغراض المكتوب عنه في الصورة الجامعة لها مع نظمها

(١) الظاهر أن كان زائدة والأصل وأن الكاتب قد يجيد أحدهما يفيد المعنى وآخر العبارة

في سلك البلاغة مثل ما على المجيب من المشقة في توفية فصول كتاب المبتدئ حقها من الإجابة والتصرف على أوضاع ترتيبها ، بل كلفة المجيب قريبة ، لأنه يستنيط من نفس معاني كتاب المبتدئ للعاني التي يجيب بها : لأن الجواب لا يخلو من أن يكون يوافق الأبتداء أو يناقضه : فإن وافقه فالأمر سهل ، وإن ناقضه فإن كل نقيض قائم في الوهم على مقابلة نقيضه ، إلا أنه أتعب على كل حال من الموافق ، ولا شك أن الجواب بتجزئته قد خف تحمله : إذ ليس من يجمع خاطره على الفصل الواحد حتى يخرج عن جوابه كمن يجمع خاطره على الكتاب كله . ثم قال : وليس القصد مما ذكرناه مناقضة مشايخ صناعتنا ، ولكن القصد تعريف الحق الذي يجب اعتقاده والعمل عليه .

الجملة الثانية

(في بيان ترتيب الأجوبة)

وأعلم أن للجواب حالتين :

الحالة الأولى - أن يكون الجواب من الرئيس إلى المرءوس عما كتب به الرئيس إليه ، فالذي ذكره في " مواد البيان " أن للرئيس أن يئني حكاية كتاب مرءوسه إليه في جوابه على الاختصار ، ويجمع معانيه في ألفاظ وجيزة ، محيطية بما وراءها كأن يقول : وصل كتابك في معنى كذا وفهمناه .

الحالة الثانية - أن يكون الجواب من المرءوس إلى الرئيس عما كتب به الرئيس إليه ، قال في " مواد البيان " : والواجب في هذه الحالة أن يحكى فصول كتاب

(١) في الاصول " مشاج هنا عبنا " وهو تصحيف فطبع من الناسخ والتصحيح من الضوء .

رئيسه على نصحها ويقصها على وجهها من غير إخلال بشيء منها ، إعظاماً لقدر الرئيس وإجلالاً لخطابه . قال : وليس للمجيب إن مرّ في كتاب الرئيس بلفظة واقعة في غير موضعها أن يُبدلها بغيرها : لما في ذلك من الإشارة إلى أن هذا أصحّ من كتاب رئيسه في ألفاظه ومعانيه . قال : ولا يجوز الخروج عن حكاية لفظ رئيسه في كتابه بحال ، اللهم إلا أن يكون الكتابُ الواردُ على المجيب في معنى 'الشكر والتقريظ من رئيسه له والثناء عليه في قيامه بالخدمة ، فإنه لا يجوز أن يأتي به على نصه : لأنه يصير ذلك مادحاً نفسه ، ومدحُ الإنسان نفسه غيرُ سائغ ؛ ولا يجوز أن يهمل ذكره جملةً لأنه يكون قد أخلّ بما يجبُ من شكره له على تشریف رتبته بإحماده له والثناء عليه ، بل الواجبُ أن يُوقع تلك الصفة على جملةٍ تجعل نفسه بعضاً منها ، مثل أن يقول : «فأما ما وصفه من اعتداده بخادِمه في جملة من نهض بحقوق خدمته ، وقام بفرض طاعته ، فأهله لما يرفع الأقدار من إحماده وثنائه ، ويُعلي الأخطار من شكره ودُعائه» وما يضاهي هذا من العبارة التي تشتمل على معاني ألفاظ رئيسه ، فإنه إذا قصد هذا السبيل في حكاية كتاب رئيسه في هذا المعنى ، فقد جمع بين البلاغة والإتيان على معاني ألفاظ رئيسه والأدب في ترك التفخيم لنفسه بإضافته لها إلى جملة الخاصة دون إيقاع المدح عليها فقط .

قلت : هذا هو الترتيب الذي يجب اعتمادُه في الأجوبة ، فلا يجوز الخروج عنه إلى غيره ؛ على أن تُكّاب زماننا قد اطّرحوا النظر في ذلك جملةً ، وصاروا يكتبون الأجوبة بحسب التشهي : فمنهم من يحكى الكتاب الذي يقع الجوابُ عنه بنصه مطلقاً ، سواء كان من رئيس أو مرءوس وبالعكس ، مع قطع النظر عما وراء ذلك . فتنبه لهذه الجملة فإنها دقيقةٌ جليلةٌ .

الفصل الثاني

من الباب الأول من المقالة الرابعة

(في ذكر أصول المكاتبات وترتيبها، وبيان لواحقها

ولوازمها . وفيه طرفان)

الطرف الأول

(في ذكر أصولها وترتيبها . وفيه جملتان)

الجملة الأولى

(في المكاتبات إلى أهل الإسلام)

وأعلم أن المكاتبات الدائرة بين المسلمين من صدر الإسلام وإلى زماننا لا يأخذها حدٌ، ولا تدخل تحت حصر .

والمشهور استعماله منها في دواوين الإنشاء على اختلاف الأزمان خمسة عشر أسلوباً .

الأسلوب الأول

(أن تُفتَحَ الكُتُبُ بلفظ «من فلان إلى فلان»)

قال أبو هلال العسكري في كتابه "الأوائل" : وأول من كتب بذلك قس بن ساعدة الإيادي ؛ وعلى ذلك كانت مكاتبات النبي صلى الله عليه وسلم والسلف من الصحابة والتابعين رضوان الله عليهم . فكان النبي صلى الله عليه وسلم يكتب : "من محمد رسول الله إلى فلان" . ثم كتب أبو بكر الصديق رضي الله عنه في خلافته : "من أبي بكر خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم" . ثم كتب عمر بعده : "من عمر

أبن الخطاب خليفة خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى فلان» . فلما لُقِّبَ
بأمير المؤمنين زاد في ذلك لفظ «عبد الله» قبل عُمرَ، ولُقِّبَ «أمير المؤمنين» بعده؛
فكان يكتب : «من عبد الله عمر أمير المؤمنين إلى فلان» . ولم يزل الأمر على ذلك
إلى خلافة هارون الرشيد، فأمر أن يُزاد في صدور الكتب بعد «فإني أحمد إليك الله
الذي لا إله إلا هو، وأسأله أن يُصَلِّيَ على جدته محمدٍ عبده ورسوله» . بجزئ الأمر^(١)
على ذلك في زمنه وما بعده . قال أبو هلال العسكري في «الأوائل» : وكان ذلك
من أجل مناقبه . قال صاحب «ذخيرة الكتاب» : وكان الرشيد قد قال ليحيى
آن خالد : إني قد عزمت على أن يكون في كُتُبِي : «من عبد الله هارون الإمام
أمير المؤمنين عبد رسول الله صلى الله عليه وسلم» - فقال له يحيى : قد عرف الله
نيتك في هذا يا أمير المؤمنين ! [وأجزل] لك الأجر، والتعبُدُ إنما هو لله وحده
لا لغيره - قال : فاكْتُبْ «من هارون مؤلَّى محمد رسول الله» - فقال : إن المؤلَّى
ربما كان في كلام العرب ابن العم، وجزئ الله أمير المؤمنين خيراً عن هذه النية
وهذا الفكر .

الأسلوب الثاني

(أن يُفْتَحَ الكتابُ بلفظ « لفلان من فلان » أو « إلى فلان من فلان »

وبقية الصدر، والتخلص بـ «أما بعد» أو غيرها، والاختتام بالسلام

وغيره على ما تقدم في الأسلوب الأول)

وقد اختلف العلماء في جواز الابتداء في المكاتبة باسم المكتوب إليه : فذهب
جماعة من العلماء إلى جواز ذلك، محتجين بأن الصحابة رضی الله عنهم وبعض الملوك

(١) لعله جدي وسقط لفظ جده من عبارة الضوء وهي أوضح وأصرح .

كانوا يكتبون إلى النبي صلى الله عليه وسلم كذلك . كما كتب إليه خالد بن الوليد والنجاشي والمقوقس في إحدى الروايات ، على ما سيأتي ذكره في المكاتبات إلى النبي صلى الله عليه وسلم فيما بعد إن شاء الله تعالى .

وقد روى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : ” إذا كتب أحدكم فليبدأ بنفسه ، إلا إلى والد أو والدية أو إمام يخاف عقوبته ” وعن نافع قال : كانت لابن عمر إلى معاوية حاجة ، فقال له ولده : أبدأ به في الكتاب ، فلم يزالوا به حتى كتب : « بسم الله الرحمن الرحيم ، إلى معاوية من عبدالله بن عمر » . وعن الأوزاعي أنه كان يكتب إلى عمر بن عبد العزيز فيبدأ به فلا ينيكر ذلك . وعن سعيد بن عبد العزيز قال : كتب عمر (يعني ابن عبد العزيز) إلى الحجاج ، فبدأ بالحجاج قبل نفسه - فقبل له في ذلك - فقال : بدأت به لأحقن دم رجل من المسلمين . قال سعيد : فحقن له دمه . وعن بكر بن عبد الله أنه كتب إلى عامل في حاجة ، فكتب : « بسم الله الرحمن الرحيم ، إلى فلان من بكر » - فقبل له أتبدأ باسمه فقال : وما على أن أرضى صاحبي وتُقضى حاجة أنى المسلم ؟ قال في ” صناعة الكتاب ” : وعلى ذلك جرى التعارف في المكاتبة إلى الإمام .

وذهب قوم إلى كراهة ذلك ، لأنه مأخوذ عن ملوك العجم . قال ميمون ابن مهران : كان العجم يبدؤون بملوكهم إذا كتبوا إليهم . وقد روى عن العلاء ابن الحضرمي أنه كتب إلى النبي صلى الله عليه وسلم فبدأ بنفسه . وعن الربيع ابن أنس قال : ما كان أحد أعظم حرمة من رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان أصحابه يكتبون إليه يبدؤون بأنفسهم . وعلى ذلك جرى في ” نهاية الأرب ” فقال : كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وأمرأء جيوشه يكتبون إليه

كما يكتب إليهم : يبدؤون بأنفسهم . وعن ميمون بن مهران أنه قال : كان ابن عمر إذا كتب إلى أبيه كتب « من عبد الله بن عمر إلى عمر بن الخطاب » . وعن يحيى بن سعيد القطان قال : قلت لسفيان الثوري : اكتب إلى أمير المؤمنين يعني المهدي ، قال : إن كتبت إليه بدأت بنفسى - قلت : فلا تكتب إليه إذن . وهذه الأقوال كلها جانحة إلى ترجيح بدء المكتوب عنه بنفسه . قال أبو جعفر النحاس : وهذا عند أكثر الناس هو الإجماع الصحيح ؛ لأنه هو إجماع الصحابة رضى الله عنهم .

ولتعلم أن الذاهبين إلى جواز الإبتداء باسم المكتوب إليه اختلفوا : فذهب قوم إلى أنه إنما يكتب « إلى فلان من فلان » كما تقدم في كتاب ابن عمر إلى معاوية ، ولا يكتب « لفلان من فلان » . وأستشهد لذلك بما روى عن ابن عمر رضى الله عنه أنه قال : يكتب الرجل « من فلان إلى فلان » ولا يكتب لفلان ؛ وبما روى عن هشيم عن المغيرة عن إبراهيم أنه قال : كانوا يكرهون أن يكتبوا « بسم الله الرحمن الرحيم لفلان من فلان » لكن قد روى أن رجلا كتب عند ابن عمر « بسم الله الرحمن الرحيم لفلان من فلان » فقال ابن عمر : مه ! فإن أسم الله هو له إذن . ومقتضى ذلك أن الكراهة إنما هي لإيهام أن البسملة للمكتوب إليه ، لا للإبتداء باسم المكتوب إليه .

وذهبت طائفة إلى جواز أن يكتب « لفلان من فلان » واحتج لذلك بما روى عن مالك بن أنس عن عبد الله بن دينار أن ابن عمر كتب إلى عبد الملك ابن مروان : « بسم الله الرحمن الرحيم أما بعد لعبد الله عبد الملك أمير المؤمنين من عبد الله بن عمر » وهو ظاهر ، فقد كانت مكتوبة خالد بن الوليد والنجاشي والمقوقس

« لمحمد رسول الله » على ما سيأتى ذكره . وعلى ذلك كانت المكتبة للخلفاء :^(۱)
فكان يكتب لعمر بن الخطاب رضى الله عنه من عماله وغيرهم « لعبد الله عمر
امير المؤمنين » وعلى ذلك جرى الحال فى المكتبة إلى سائر الخلفاء بعده على ما ستقف
عليه فى مواضعه إن شاء الله تعالى .

الأسلوب الثالث

(ان يفتح الكتاب بلفظ أما بعد)

وعليه ورد بعض المكاتبات الصادرة عن النبي صلى الله عليه وسلم ، وعن الخلفاء
من الصحابة فمن بعدهم فى صدر الإسلام على ما سيأتى ذكره إن شاء الله تعالى .
وكانوا بعد حدوث الدعاء فى المكاتبات يتبعونها بالدعاء بطول البقاء غالباً ، فيقال :
« أما بعد أطال الله بقاءك » ونحو ذلك ؛ ثم أضرب عنها بعض الكتب بعد ذلك .
قال أبو هلال العسكري : فى كتابه « الصناعتين » : وكان الناس فيما مضى يستعملون
فى أوائل فصول الرسائل « أما بعد » وقد تركها جماعة من الكتاب فلا يكادون
يستعملونها . قال : وأظنهم ألموا بقول ابن القريّة - وقد سأله الحجاج عما ينكره
من خطابته - فقال : إنك تُكثر الردّ ، وتشير باليد ، وتستعين بأما بعد . فتحاموها لهذه
الجهة . ثم قال : فإن استعملتها أتباعا للسلف ورغبة فيما جاء فيها من التأويل
أنها فصل الخطاب ، فهو حسن ؛ وإن تركتها توخياً لمطابقة أهل عصرك ، وكراهة
للخروج عما أصلوه لم تكن ضائراً . أما الآن فقد ترك الأبتداء فى الكتب بأما بعد

(۱) فى الاصل وعلى كل حال وهو سبق قلم كما هو ظاهر .

حتى لا يكاد يُعَوَّل عليها في الابتداء كاتبٌ من كُتَّاب الزمان ، ولا يَفْتَحُ بها مكتبة .
نعم يؤتى بها في أثناء بعض المكاتبات على ماسياتى ذكره إن شاء الله تعالى .

وقد تقدم الكلام على معناها وأول من قالها في الكلام على الفواتح في المقالة الثالثة ، وكُتِّبُ المغاربة ربما أفتحوها مكاتباتهم بلفظ وبعد .

الأسلوب الرابع

(أن تفتتح المكتبة بخطبة مفتحة بالحمد لله)

وأصل هذه المكتبة مختلِّسٌ من الأسلوب الأول من قولهم : فإني أحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو . ثم جاء عبد الحميد بن يحيى كاتب مروان بن محمد : آخر خلفاء بني أمية ، وأطال التحميدات في صدور الكتب مع الإتيان بأما بعد ، وتبعه الكتاب على ذلك ؛ ثم توسعوا فيه حتى كرروا الحمد المرآت في الكتاب الواحد ، لاسيما في أما كن النعم الحادثة ، كالفُتُوحات ونحوها ؛ ثم توسع بعض الكتاب في ذلك حتى جعل الحمد لله افتتاحا ، واستمر ذلك إلى الآن . وعلى ذلك بعض المكاتبات السلطانية في زماننا ، على ما ستقف على ذلك جميعه في مواضعه إن شاء الله تعالى .

ولا خفاء في أن الحمد أفضل الافتتاحات ، وأعلى مراتب الابتداءات ، وإن لم يقع الابتداء به في صدر الإسلام ، فهو من المبتدعات المستحسنة . وحيث أفتحت المكتبة بالحمد لله كان التخلُّص منها إلى المقصود بأما بعد ، وربما وقع التخلُّص بغير ذلك ، ويكون الاختتام فيها تارةً بالسلام ، وتارةً بالدعاء ، وتارةً بغير ذلك . قال ابن شيث في " معالم الكتابة " : والتحميد في أول الكتب لا يكون إلا في الكتب

المكتوبة عن السلطان . قال : وغاية عظمة الكاتب أن يكرر التحميد ثانية وثالثة في الكتاب ، ثم يذكر الشهادتين والصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم .
قلت : والتكرار في الحمد يكون بحسب مقدار النعمة المكتوب بسببها من فتح ونحوه .

الأسلوب الخامس

(أن تفتح الكتاب بلفظ « كتابي إليك » أو « كتابنا إليك من موضع كذا ، أو في وقت كذا والأمر على كذا » وتشرح القضية ؛ وتختتم المكاتبة « بكتابنا إليك » بنحو قولك : « فإن رأيت أن تفعل كذا فعلت »
والمكاتبة « بكتابي إليك » بنحو قولك : « فرأيك
في كذا » وما يجرى هذا المجرى)

والأصل في هذه المكاتبة أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يكتب في بعض المكاتبات الصادرة عنه : « هذا كتاب من محمد رسول الله إلى فلان ، أو إلى الجماعة الفلانية » . فلما كان أيام بني بويه في أثناء الدولة العباسية ، استخرج كتابها من هذا المعنى الابتداء « بكتابي إليك » إذا كانت المكاتبة إلى النظير ومن في معناه ، والابتداء « بكتابنا إليك » إذا كانت المكاتبة عن له رتبة نون العظمة من الملوك ونحوهم ، وكانوا يتبعون ذلك بالدعاء بطول البقاء نحو « كتابي إليك أطال الله بقاءك » أو « كتابنا إليك أطال الله بقاءك » . وربما عبر « بهذه الخدمة^(١) » وما أشبه ذلك ؛ ويكون التخلُّص فيه إلى المقصد بواو الحال ، مثل أن يقال : « كتابي إليك والأمر على كذا وكذا » ونحو ذلك ؛ وربما وقع التخلُّص بخلاف ذلك . ويكون الاختتام فيه

(١) أي عبر بكتابي إليك مثلا بقوله « هذه الخدمة إليك » كما يؤخذ مما يأتي في الأسلوب الحادي عشر

تارةً بالسلام وتارةً بالدعاء ، وتارةً بغير ذلك . وكُتِّبَ المغرِبُ عدلُوا عن لفظ الأسم في كتابي إلى لفظ الفعل . مثل أن يقال : « كتبنا إليك » أو « كتبتُ إليك والأمرُ على كذا ، أو من موضع كذا » .

الاسلوب السادس

(أن تقع المكتابة بلفظ « كَتَبَ » بصيغة الفعل)

وهذه المكتابة كان يُكْتَبُ بها عن الوزراء ومن في معناهم إلى الخلفاء . فيكتب الوزير ونحوه : « كَتَبَ عَبْدُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ » أو « كَتَبَ الْعَبْدُ مِنْ مَحَلِّ خِدْمَتِهِ بِمَكَانِ كَذَا ، وَالْأَمْرُ عَلَى كَذَا وَكَذَا » . وعلى نحو من ذلك يجرى كُتِّبَ المغاربة في الكثير من كُتُبِهِمْ ، مثل « إنا كتبتنا إليكم من محل كذا » أو « كتبتُ إليك من محل كذا » وما أشبه ذلك . وهذه في الأصل مأخوذة من الأسلوب الذي قبل .

الأسلوب السابع

(أن يقع الافتتاحُ بالدعاء)

والأصل في ذلك ما حكاه أبو جعفر النحاس : ان معاوية بن أبي سفيان كتب إلى أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه عند جريان الخلاف ووقوع الحرب بينهما : « أما بعدُ عافانا الله وإياك من السوء » . ثم زاد الناس في الدعاء بعد ذلك .

وقد اختلف في جواز المكتابة بالدعاء في الجملة : فذهب ذاهبون إلى جواز ذلك كما يجوز الدعاء في غير المكتابة ، سواء تضمن الدعاء معنى الدوام والبقاء أم لا . وهو

الذى رَجَّحه محمدُ بنُ عمرَ المدائني في كتاب "القلم والدواة" وإليه يميل كلامُ غيره أيضا، وحكاه النحاسُ عن أبي جعفرِ أحمدَ بنِ سلامة، وكلامه يميل إلى ترجيحه. أما ما يتضمن معنى الدوام والبقاء، فلما روى أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لأبي اليسر كعب ابن علي^(١): "اللهم أمتعنا به" قال النحاس: وذلك دليل الجواز، بل حكي عن بعضهم أن الدعاء بطول البقاء أكمل الدعاء وأنفعه، لأن كل نعمة لا ينتفع بها إلا مع طول البقاء. ثم قال: والمعنى في الدعاء في المكاتبات التودد والتجسس؛ وقد أمر صلى الله عليه وسلم المسلمين أن يكونوا إخوانا، ومن أخوتهم ود بعضهم بعضا. وكذلك القول بما يؤكد الأخوة بينهم والمودة من بعضهم لبعض، وإذا قال له ذلك، كان قد بلغ من قلبه نهاية مبلغ مثله منه، ويكون من قال ذلك قد علم من قلبه في شأنه ما يكون من قلب مثله. وقد قال الشيخ محي الدين النووي: من قال لصاحبه - حفظا لمودة - : «أدام الله لك النعم» ونحو ذلك فلا بأس به.



وأما ما لم يتضمن معنى الدوام والبقاء: كالعزيز والكرامة، فقد روى عن كعب ابن مالك رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «من رأى منكم مقتل حمزة؟ فقلت: أعزك الله! أنا رأيتُه». وعن أنس بن مالك رضى الله عنه قال: دخل جرير بن عبد الله على النبي صلى الله عليه وسلم، فضنَّ الناسُ بمجالسهم فلم يوسع له أحداً، فرمى له رسول الله صلى الله عليه وسلم ببردته وقال اجلس عليها يا جرير، فتلقاها بوجهه ونحره فقبلها ثم ردها على ظهره، وقال: أكرمك الله

(١) سبق في صفحة ٢٩٢ من هذا الجزء، كعب بن عبيد الله والذي في "خلاصة تذهيب تهذيب الكمال" لخزرجي ص ٣٢١ أنه كعب بن عمرو بن عباد بن عمرو بن غزية بن سواد بن غنم بن كعب بن سلمة الانصاري السلمي بالفتح أبو اليسر بفتح التحتانية عقي بدرى جليل. فلعل عليه اسم أمه.

يارسول الله كما أكرمتني» فقد دعا له صلى الله عليه وسلم كعب بن مالك بالعزيز، وجرير
ابن عبد الله بالكرامة ولم يُنكر ذلك على واحدٍ منهما .

وذهب آخرون إلى أنه لا تجوز المكاتبه بالدعاء، سواء تضمن معنى الدوام والبقاء
أم لا : لأنه خلاف ماوردت به السنة وحرى عليه اصطلاح السلف .

وفصل بعضهم فقال : إن كان الدعاء مما لا يتضمن معنى الدوام والبقاء نحو
«أكرمك الله بطاعته» و «تولأك بحفظه» و «أسعدك بمعرفته» و «أعزك بنصره»
بجاز، لحديث كعب بن مالك وجرير بن عبد الله المتقدمين . وإن كان مما يتضمن
معنى الدوام والبقاء، نحو «أطال الله بقاءك» و «نساء أجلك» و «أمتع بك» وما أشبه
ذلك، لم تجز المكاتبه به .

وأحتج لذلك بحديث عبد الله بن مسعود رضى الله عنه " أن أم حبيبة بنت
أبي سفيان، زوج النبي صلى الله عليه وسلم قالت : اللهم أمتعني بزواجي رسول الله
صلى الله عليه وسلم وبأبي أبي سفيان وبأخي معاوية - فقال لها رسول الله صلى الله
عليه وسلم : لقد دعوت الله لآجال مضرورية، وأرزاق مقسومة لا يتقدم منها شيء
قبل أجله ولا يتأخر بعد أجله ! ولو سألت الله أن يقيد عذاب النار لكان خيرا لك"
و بما روى أن الزبير بن العوام رضى الله عنه ! قال للنبي صلى الله عليه وسلم :
« جعلني الله فداك » . فقال له النبي صلى الله عليه وسلم : « أما تركت أعرايتك
بعد؟ » فقد أنكر صلى الله عليه وسلم على أم حبيبة والزبير الدعاء بما فيه طول البقاء
وإذا امتنع ذلك في مطلق الدعاء، امتنع في المكاتبه من باب أولى : لمخالفة طرقها
التي وردت بها السنة . قال حماد بن سلمة : كانت مكاتبه المسلمين « من فلان
إلى فلان، أما بعد سلام عليك فإني أحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو وأسأله

أن يصلّي على محمد عبده وآل محمد « حتى أحدث الزنادقة - لعنهم الله - هذه المكتبة التي أولها « أطال الله بقاءك » .

وعن إسماعيل بن إسحاق أن أول من كتب « أطال الله بقاءك » الزنادقة . وقد قال الإمام الرافعي وغيره من أئمة أصحابنا الشافعية : إن الدعاء بالطلقة - وهي أطال الله بقاءك - لأصل له في الشرع . قال الشيخ محي الدين النووي : وقد نص السلف على كراهته . ونقل النحاس عن بعضهم : أنه استحب تقييده بالإضافة إلى شيء آخر، مثل أن يكتب « أطال الله بقاءك في طاعته وكرامته » أو « أطال الله بقاءك في أسر عيش وأنعم بال » وما أشبه ذلك .

وأعلم أن الناس قد اختلفوا في صورة الأبتداء بالدعاء : فالأقولون - لأبتداء الدعاء في المكتبات - كانوا يفتتحون بطول البقاء للخلفاء وغيرهم ، ثم توسعت الطبقة الثانية من الكتاب في المكتبة فافتتحوا بالدعاء للخلفاء والملوك بنخلود الملك ، ودوام الأيام ، ودوام السلطان وخلوده ، وما في معنى ذلك ؛ ولمن دونهم بعد النصر والنصرة والأنصار بدوام النعمة وخلود السعادة ومدّ الظل وإسباغ الظلال ، وغير ذلك مما يأتي ذكره في الكلام على مصطلح كل طبقة فيما بعد إن شاء الله تعالى .

ثم للكتاب في الخطاب بالدعاء مذهبان ^(١) :

أحدهما - أن يقع الدعاء بلفظ الخطاب ، نحو « أطال الله بقاءك ، وأعزك الله ، وأكرمك الله ، وأدام كرامتك وسعادتك » وما أشبه ذلك .

والثاني - أن يقع بلفظ الدعاء للغائب مثل : « أطال الله بقاء أمير المؤمنين » و« أطال الله بقاء سيدي » و« أطال الله بقاء مولانا » أو « أعز الله أنصار الحقام والمعقر »

(١) كذا في الأصول ولعله في الاتيان بالدعاء الخ .

أو « ضاعف الله تعالى نعمة الحنّاب » أو « أدام الله نعمة الحنّاب أو المجلس »
وما أشبه ذلك .

قال في « صناعة الكتاب » : وهو أجل الدعاء فيما أصطلحوا عليه . قال :
ورأيت علي بن سليمان ينكر ذلك ويقول : الدعاء للحنّاب جهل باللّغة ، ونحن ندعو الله
عز وجل بالمخاطبة .

الأسلوب الثامن

(أن يُفْتَحَ الكُتَابُ بِالسَّلَامِ)

« يقع التخلّص إلى المقصود بلفظ « وَبُئِي لِعَلْمِهِ » أو نحو ذلك ، ويقع الاختتام
فيه بالسّلام أيضا ، وهو منترع من قولهم في صدر المكتبة في الأسلوب الأول :
سَلَامٌ عَلَيْكَ يَا أَحْمَدُ إِلَيْكَ اللَّهُ يَا تَصَرَّفَ الكُتَابُ فِيهِ بِفَعْلُوا السَّلَامَ فِي آبْتَدَاءِ
المكتبة ، وصاروا يتبدئون بها بنحو سَلَامٌ اللَّهُ ، ورحمته وبركاته . وقد كانوا يتبدئون
المكتبة إلى الخلفاء ببغداد في الدولة الأيوبية بالديار المصرية بالسّلام في بعض
الأحيان ، وعلى ذلك استقرت المكتبة عن الخليفة الآن . وبه يُفْتَحُ بعض
المكتبات إلى مشايخ الصوفيّة . على ما سياتي في الكلام عليه في موضعه
إن شاء الله تعالى .

قال في « صناعة الكتاب » : وإنما قدموا السّلام على الرحمة لتصرفه : لأنه من
أسماء الله تعالى أو جمع سلامة . قال في « مواد البيان » : أو أسم للجنة كما في قوله
تعالى : ﴿ لَكُمْ دَارُ السَّلَامِ عِنْدَ رَبِّهِمْ ﴾ ثم عقب ذلك بأن قال : والسّلام في هذا
الموضع من السّلامة . وتقديم السلامة التي تكون في الدنيا أولى من تقديم الرحمة
التي تكون في الآخرة .

الأسلوب التاسع

(أن يُفْتَحَ الكِتَابُ بِقَبْلِ الأَرْضِ)

ويتخلص إلى المقصود بلفظ « وينهى » ويقع الاختتام بـ « طالع » أو « أنهى » وهذه المكتبة مما هو موجود في بعض مكاتبات القاضى الفاضل ، ولم أرها فيما قبله ، وكأنهم لما استعملوا في صدور المكاتبات إلى الخلفاء المكتبة بيقبل الأرض والعتبات ونحو ذلك ، استنبطوا منه ابتداء مكتبة وجعلوها لمكتبة الرؤساء من السلطان ومن في معناه بالنسبة إلى المرؤوس . والأصل في ذلك أن تحية الملوك والرؤساء والأكابر في الأمم الخالية كانت بالسجود ، كما يحيى المسلمون بعضهم بعضا بالسلام . وقد قال قتادة في قوله تعالى حكاية عن إخوة يوسف عليهم السلام : ﴿ وَخَرُّوا لَهُ سُجَّدًا ﴾ : كانت تحية الناس يومئذ سجود بعضهم لبعض ، وعليه حمل قوله تعالى : ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا ﴾ على أحد التفاسير ، وهو المرجح عند الإمام نجر الدين وغيره من المفسرين . قال الشيخ عماد الدين بن كثير رحمه الله في تفسيره : وكان ذلك مشروعا في الأمم الماضية ولكنه نسيخ في ملتنا . قال معاذ « يارسول الله ! إني قدمت الشام فرأيتهم يسجدون لأساقفتهم وعلماهم فانت يارسول الله أحق أن يسجد لك . فقال : [لا] لو كنت أمرا بشرا أن يسجد لبشر لأمرت المرأة أن تسجد لبعليها من عظم حقه عليها » . وعن صهيب : « أن معاذ [لما] قدم من اليمن سجد للنبي صلى الله عليه وسلم فقال يامعاذ [ما هذا] » قال [إن اليهود تسجد لعظمتها وعلماها ، ورأيت النصارى تسجد لقسيسها وبطارقتها ، قلت ما هذا ؟ قالوا تحية الأنبياء - فقال عليه السلام : كذبوا على أنبيائهم » .

(١) الزيادة عن تفسير ابن كثير .

(٢) الزيادة عن مفاتيح الغيب للفخر الرازي .

وعن سفيان الثوري عن سيبك بن هاني قال : دخل الجاثليقُ عليّ بن عليّ بن أبي طالب ، فأراد أن يسجدَ له ، فقال له عليّ : أَسْجُدُ لله ولا تسجدُ لي .

فلما وردت شريعةُ الإسلام بنسخ التحيّة بالسجود وغلب ملوكُ العجم عليّ الأقطار ، استصحبوا ما كان عليه الأمرُ في الأمم الخالية ، وعبروا عنه بتقبيل الأرض فراراً من أسم السجود ولورود الشريعة بالنهي عنه ، واستمر ذلك تحية الملوك إلى الآن ، فاستعار الكتابُ ذلك ونقلوه من الفعل إلى اللفظ ، فاستعملوه في مكاتباتهم إلى الخلفاء والملوك ، ثم توسّعوا في ذلك فكاتّبوا به كلٌّ من له عظمة بالنسبة إلى المكتوب عنه ، ورتّبوه مراتب عليّ ماسياتي بيانه في موضعه إن شاء الله تعالى . ولا خفاء فيما في هذه المكاتب من الكراهة .

الأسلوب العاشر

(أن يُفتحَ الكتابُ بِقَبْلِ اليد وما في معناها من الباسطِ والباسطةِ)

ويقع التخلُّص منه إلى المقصود بما يقع به التخلُّص في الأسلوب الذي قبله من لإنهاء ، ويُحتمُّ بالدعاء ونحوه .

والأصلُ في هذه المكاتب أن يُقبَلَ اليد وما في معناها مما يؤذن بالتعظيم ، والتبجيل والتكريم ، وعلوُّ القدر وزيادة الرفعة ، مع أنه ليس بممنوع في الشريعة . فقد ثبت في الصحيحين في حديث الإفك : « أنه لما أنزل الله تعالى براءة أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها ، قال لها أبوها : قومي إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقبلي يده » . ولم يكن الصديق رضي الله عنه ليأمرها بما هو ممنوع في الشريعة . وقد نصَّ الفقهاءُ

رحمهم الله على أنه يجوز تَقْيِيلُ يَدِ العالم والرجلِ الصالح ونحوهما، فاستعار الكُتَّاب ذلك ونقلوه من الفعل إلى الكتابة أيضا، كما فعلوا في تَقْيِيلِ الأَرْضِ، ورتَّبوه مراتبَ على ما سيأتي ذكره في موضعه إن شاء الله تعالى . على أن بعض الكُتَّاب قد جعل يُقَبِّلُ القَدَمَ رتبةً بين يُقَبِّلُ الأَرْضَ وَيُقَبِّلُ اليدَ وما في معناها، وهو ظاهر لكنه لم يشتهر في عُرْفِ الكُتَّاب .

الأسلوب الحادى عشر

(أن يُفْتَحَ الكِتَابُ بلفظ « صدرت المكتبة »)

ويتخلص فيها إلى المقصود بلفظ « وتوضَّح لعلمه » أو « موصَّحة لعلمه » وما أشبه ذلك . ويقع الاختتام فيها بمثل « والله الموفق » ونحو ذلك . وربما قيل فيها : « أصدرت هذه المكتبة » أو « أصدرناها » .

وأصل هذه المكتبة أنه كان يُكْتَبُ في الدولة السَلْجُوقِيَّةِ ببغداد، والدولة الأيوبيَّةِ بالديار المصرية « صدرت هذه الخدمة » أو « أصدرت هذه الخدمة » . وربما كتب « صدرت هذه الجملة » فعُدل عنه كُتِّبَ الزمان بالديار المصرية ومن قاربهم إلى التعبير بقولهم : « صدرت هذه المكتبة » . على أن نُكِّبَ الزمان بالديار المصرية إنما أخذوها من صُدِّرَ المكتبات المفتحة بالدعاء : مثل أعزَّ الله أمتار المقرِّ، حيث يقال في تصديرها « أصدرناها » ومثل « ضاعف الله نعمة الجناب » و« أدام الله نعمة الجناب أو المجلس » وما أشبه ذلك . حيث يقال في تصديرها : « صدرت هذه المكتبة » فجعلوا الصُّدُور ابتداء .

الأسلوب الثاني عشر

(أن يفتح الكتاب بلفظ « هذه المكتبة »)

ويتخلص منها إلى المقصود بنحو ما وقع التخلُّص به في الأسلوب الذي قبله ،
ويقع الأختتامُ بمثل ما وقع به آختامُه .

وهذه المكتبة مأخوذة في الأصل من آبتدائهم في الأسلوب الخامس بلفظ :
« كتابي إليك » وما في معناه ، على أن تُكَّاب الزمان إنما أخذوا ذلك من المكتبة التي
قبلها ، فجعلوا بعض الصِّدر فيها آبتداءً ، كما جعلوا جميع الصِّدر آبتداءً في الأسلوب
الذي قبلها .

الأسلوب الثالث عشر

(أن يفتح الكتاب بالإعلام)

كما يكتبُ كُتَّاب الزمان : « يعلمُ فلانٌ أنَّ الأمرُ كذا وكذا » والأختتامُ فيها بمثل
الأسلوبين اللذين قبلها ولا تخلُّص فيها ، لأنَّ الأفتتاحَ فيها موصلٌ إلى المقصود . على
أنَّ الصوابَ إثباتُ اللام في أولها ، بأنَّ يقال : « ليعلمَ فلانٌ » لأنَّ لام الأمر لا يجوز
حذفها على ما تقرَّر في آخر المقالة الثالثة . وعلى ذلك كتب غازانُ أحد ملوك بني
جنكز خان ببغداد وما معها إلى الملك الناصر « محمد بن قلاوون » صاحب الديار
المصرية ، وكتبَ الجوابُ عن الملك الناصر إليه كذلك ، على ماسياتي ذكره في موضعه
إن شاء الله تعالى .

الاسلوب الرابع عشر

(أن يفتح الكتاب بلفظ « يُخْدَم »)

مثل « يُخْدَم الجَنَابَ » أو « يُخْدَمُ المجلس » وما أشبه ذلك . ويكون التخلُّص منها بمثل : « وَيُنْهَى » أو « وَيُبْدَى » ونحو ذلك ، ويقع الأختتام فيها بالدعاء . وهذه المكتبة كانت مستعملة في مكاتبات الفاضل بقلة ، وتداولها الكتاب بعد ذلك إلى أن صارت مستعملة بين الكتاب في المكاتبات الدائرة بين أهل الدوامة في زماننا ، ثم رُفِضَتْ بعد ذلك وتركت حتى لم يستعملها منهم إلا القليل النادر .

الأسلوب الخامس عشر

(أن يُفْتَحَ الكتاب بلفظ الخِلافة أو المَقَام الذي شأنه كذا ،

أو الإمارة التي شأنها كذا)

مثل : « خِلافة فلان » أو « مَقَام فلان » أو « إمارة فلان » وما أشبه ذلك . ثم يقع التخلُّص في ذلك بمثل : « سَعَّطَم مقادها يُخْصَمها بِسَلامٍ بِفَتْه كذا وَيُبْدَى لعلها كذا » وما أشبه ذلك ، ويقع الأختتام فيها بالسلام . وهذا الأسلوب مما أختص به كتاب المغرب لا سيما المتأخرون منهم ، على ما سيأتي ذكره في موضعه إن شاء الله تعالى .

قلت : ووراء هذه الأساليب أساليب أخرى لكتاب أهل الأئمة والمغرب بالديار المصرية في الأزمنة المتقدمة ، لا يأخذها حصر ، ولا تدخل تحت حد ، وأكثر ما تكون في الإخوانيات ، وسيأتي ذكر الكثير من أنواعها في موضعه فيما بعد إن شاء الله تعالى .

الجملة الثانية

(في المكاتبات إلى أهل الكُفر، وللكُتاب فيه أسلوبان)

الأسلوب الأول

(أن تُفتَّح المكاتبة بلفظ «من فلانٍ إلى فلان»)

وعلى ذلك كتب النبي صلى الله عليه وسلم إلى أهل الكُفر، وكان يُكتب في مكاتباته صلى الله عليه وسلم : «السلامُ على من أتبع الهدى» بدل «والسلام» ويتخلَّص فيها بأقما بعد تارة، وبغيرها أخرى، وعلى ذلك جرى الخلفاء من الصحابة رضی الله عنهم، وخلفاء بني أمية، وخلفاء بني العباس، ببغداد، ومن شاركهم في الأمر من ملوك بني بويه وبني سلجوق ومن في معناهم . وتُختَم هذه المكاتبة تارة بلفظ «والسلامُ على من أتبع الهدى» إن لم يذكر السلامُ في الأول، وتارة بغير ذلك .

الأسلوب الثاني

(أن تُفتَّح المكاتبة بالدعاء)

كما يكتبُ كتاب الزمان «أطال الله بقاء الحضرة الفلانية : حضرة الملك الفلاني» أو «أطال الله بقاء الملك الفلاني» وما أشبه ذلك . وقد تقدم الخلاف في أصل جواز المكاتبة بالدعاء، وما قيل في الدعاء بطول البقاء وما في معناه : من الكراهة، وأن جماعة من العلماء والكتَّاب أجازوه .

فإن قيل : على تقدير جواز ذلك في حق المسلم، فكيف يجوز في حق الكافر .
والجواب أنه قد ورد «أبى النبي صلى الله عليه وسلم استسقى فسقاه يهودي» .

فقال له : جَمَلَك اللهُ، فما رُؤِيَ الشَّيْبُ في وَجْهِهِ حَتَّى مات « فقد دعا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ليهودىٍّ بِالْجَمَالِ ، وقد لا يكون في طول بقائه على الإسلام ضَرَرًا ، بل قد يكون فيه نَفْعٌ ، كَحَمْلِ حِزْبِيَّةٍ وَنَحْوِهِ ، وَإِنَّمَا يُمْنَعُ الدَّعَاءُ لَهُ بِالْعِزِّ وَالنَّصْرِ وَمَا فِي مَعْنَى ذَلِكَ .

تنبيه — اعلم أن الأجوبة قد تُفْتَحَ بِمَا تُفْتَحُ بِهِ الْإِبْتِدَاءَاتُ مِنَ الْأَسَالِيبِ الْمُتَقَدِّمَةِ ، ثُمَّ يُؤْتَى بِالْأَجُوبَةِ فِي أَشْأِهَا مِثْلَ أَنْ يُقَالَ : « وقد وصل كتاب المجلس أو الجَنَابِ » أو « وردت مكاتبته » أو « عَرِضَتْ مَكَاتِبُهُ عَلَى أمير المؤمنين ، أو عَلَى الْمَسَامِعِ الشَّرِيفَةِ » وما أشبه ذلك . وقد يُجْعَلُ الْجَوَابُ إِبْتِدَاءً ، فَيُفْتَحُ الْكِتَابُ بِنَحْوِ : « عَرِضَتْ مَكَاتِبُكَ عَلَى أمير المؤمنين » مثلاً كما كان يكتب في الزمن المتقدم ، أو « عَرِضَتْ الْمَكَاتِبُ الْوَاصِلَةُ مِنْ جِهَةِ الْمَجْلِسِ أَوْ الْجَنَابِ الثَّلَاثِي عَلَى الْمَسَامِعِ الشَّرِيفَةِ » أو « وردت مكاتبته » أو « وَصَلَتْ مَكَاتِبُهُ » ونحو ذلك ، وَيُؤْتَى عَلَى مَا تَضَمَّنَتْهُ الْمَكَاتِبُ وَمَا أَقْتَضَاهُ الْجَوَابُ عَنْهُ ، ثُمَّ يُؤْتَى فِي الْإِخْتِتامِ بِنَظِيرِ مَا يُؤْتَى بِهِ فِي الْمَكَاتِبِ الْمُبْتَدَأَةِ .

الطرف الثاني

(في ذكر لواحق المكاتب ولوازمها ، وفيه ستُّ جميل)

الجملة الأولى

(في الترجمة عن المكتوب عنه)

أما الترجمة عن السلطان ، فقد ذكر ابن شيث أن مصطلح الدولة الأيوبية أن يُكْتَبَ لِأَرْبَابِ خِدْمَتِهِ الْعَلَامَةَ فَإِنَّمَا أَلِيقُ بِهِ مَعَهُمْ . فإن أراد تمييزاً أحدهم ، كتب له بخطه شيئاً مكان العلامة . وأن ترجمته للمفتها ، والنفسة وذوى التنسك « أخوه »

و «ولده» . وذكر أن الأحسن أن يقال في «ولده» «محل ولده» لقوله تعالى :
 ﴿ادْعُوهُمْ لِآبَائِهِمْ﴾ أما «أخوه» فلا حرج عليه فيه : لقوله تعالى : ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾
 وقوله : ﴿فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ﴾ وذكر أنه يترجم لهؤلاء من ولي الأمر أيضا :
 «المعتَرِف بِرِكَتِهِ» و «المُتَبَرِّكُ بِدُعَائِهِ» و «المُرْتَبِنُ بِمُودَتِهِ» . وذكر أن الفقهاء
 والقضاة وذوي التنسك يترجمون عن أنفسهم بـ «الخادم» ودون ذلك «خادمه» .

قال : وربما ترفعوا عن الترجمة بهذه اللفظة مطلقا فقالوا : «الخادم بالدعاء
 الصالح» أو «الخادم بدعائه» . قال : وأهل الورع خاصة يترجمون بـ «الفقير إلى
 رحمة الله» . وربما راعوا المترجم له مثل أن يكون ولي الأمر ، فيقول : «العبد
 الفقير إلى رحمة الله» ويعنى أنه عبد الله ، ويحصل بذلك المقصود من الأدب مع
 السلطان . ومنهم من يكتب : «الداعي لدولته» و «المبتهل بدعائه الصالح لأيامه»
 و «المواظب على خدمته بالدعاء» وأمثال ذلك . قال : وأكثر الناس يرى الترجمة
 لولده ، فإن ترجم له لم يسم اسمه لأنه ليس له والدان ، ولا أقل من أن يكون بينه
 وبين من يكتب بوالده غير الأب هذا الفرق ، فاما أن يقول : «والده فلان بن
 فلان» بحيث يذكر اسم أبيه فقيح . ثم قد كانوا في الزمن الأول يكتبون بذكر اسم
 المكتوب عنه في صدر الكتاب وعنوانه ، نحو : «من فلان إلى فلان» ثم أحدث
 الكتاب في أيام بني بويه وما بعدها تراجم ربوها ، بعضها أرفع من بعض .

وقد ذكر في «ذخيرة الكتاب» لذلك مراتب في الصدور والعنوان بعضها أعلى
 من بعض ، فجعل أعلاها بالنسبة إلى المكتوب عنه أن يكتب اسمه ، ودونه
 «صديقته» ودونه «محبته» ودونه «شاكركه» ودونه «المعتد به» ودونه «أخوه»
 ودونه «وليّه» ودونه «عبدّه» ودونه «خادمه» ودونه «عبدّه وخادمه» ودونه

«العبد» ودونه «العبد الخادم» ودونه «الصنيعة» ودونه «مملوكه» ودونه «المملوك» ودونه «المملوك الصنيعة». وهو الأعلى بالنسبة إلى المكتوب إليه . ثم قال : ويتفرع من هذه الأصول فروع كثيرة لا تحصر مما يختاره الكتاب ويقترحونه ويتكرونها ، ويكاتبون به أصدقاءهم وأوداءهم حسب ما تقتضيه موداتهم وتوجبده مصافاتهم : كصفي مودته ، والمفتخر بمحبته ، والمعتمد على أخوته ، وعبد مودته ، وخادم مجده ، وشاكر أياديه ، وحامد تفضله ، والمعتمد بتطوله وما يجري هذا المجرى مما هو أوسع من أن يجمع وأكثر من أن يحصر ؛ ولكنه أكثر ما يكون بين النظراء والأقران .

ورتب عبد الرحيم بن شيث في «معالم الكتابة» ترتيباً آخر : فذكر أن الترجمة إلى ديوان الخلافة من ذوى الولايات كلهم «العبد» ومن الملوك كلهم «الخادم» وأن الترجمة إلى الملوك من الأجناد كلهم «المملوك» مع النسبة إلى أشهر ألقاب الملك : كالناصرى للناصر ، والعاذلى للعاذل ، وما جرى مجرى ذلك . ودون المملوك في الخضوع : «عبده ، وخادمه» ودونه «العبد» مفردة . ودونه «مملوكه» ودونه «العبد الخادم» لأن الثانى كأنه ناسخ للأول ؛ ودونه «الخادم» ودونه «عبده» ودونه «خادمه» ودونه «عبده وأخوه» ودونه «أخوه» ودونه «شاكر تفضله» ودونه «شاكر إحسانه» ودونه «شاكر مودته» ودونه «وليّه وصفيّه» ودونه «محبّه وواده وشاكره» . ودونه الأسم ، ودونه العلامة .

ثم قال : أما «أصغر الممالك» وما يجري مجراها ، فلا يليق من الأجانب . ورأيت في دستور صغير فى المكاتبات يعزى للمقر الشهابى بن فضل الله ، أن أكبر الآداب فى أسم المكتوب عنه بالنسبة إلى المكتوب إليه «المملوك» ثم «المملوك الرق» ثم «المملوك الأصغر» ثم «المملوك المحب» ثم «المملوك الداعى» ثم «مملوكه ومحبه» ثم «الخادم»

ثم «خادمه» ثم «أخوه» ثم «مُجِبُّه» ثم «شَاكِرُهُ» ثم «الفَقِيرُ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى» .
ولا يخفى ما في بعض هذه التراجم من التخالُف بين ما ذكره وما تقدم ذكره عن
«ذخيرة الكُتَّاب» .

والذي استقرَّ عليه الحال في زماننا في ترجمة العلامة بالقلم الشريف السلطاني
«أخوه» ثم «والده» ثم الأسم؛ وفي حق غيره «المملوك» ثم الأسم . وربما كتب
بعضهم «العبد» بدل الأسم تواضعا . على أنهم قد اختلفوا في جواز الترجمة بالعبد
والمملوك : فذهب بعضهم إلى منع ذلك ، محتجا بما روى أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
قال : «لَا يَقُولَنَّ أَحَدُكُمْ عَبْدِي وَلَا أُمَّتِي ، كُلُّكُمْ عِبْدُ اللَّهِ وَكُلُّ نِسَائِكُمْ إِمَاءُ اللَّهِ
وَلَكِنْ غُلَامِي وَجَارِيَتِي» . والذي عليه العمل جواز ذلك احتجاجا بقوله تعالى :
(ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا عَبْدًا مَمْلُوكًا لَا يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ) والاستدلال به لا يخلو من نزاع ؛
وقضاة القضاة يكتبون «الداعي» .

الجملة الثانية

(في العُنْوَانِ ، وفيه سبع لغات)

حكاه صاحب «ذخيرة الكُتَّاب» . واقتصر في «صناعة الكُتَّاب» على ذكر
بعضها : إحداهما عُنْوَانٌ - بضم العين وواو بعد النون . والثانية عُنْيَانٌ - بضم العين
وياء تحية بعد النون . والثالثة عُنْيَانٌ - بكسر العين . والرابعة عُنْوَانٌ - بضم العين
ولام بدل النون . والخامسة عُنْوَانٌ - بفتحها . والسادسة عُنْوَانٌ - بكسرها .
والسابعة عُنْيَانٌ بالكسر مع إبدال الواو ياء ، ويجمع عُنْوَانٌ على عُنَاوِينَ ، وَعُنْوَانٌ
على عُنَاوِينَ . وينال : عَمَّتْ كَتَّابٌ عُنْوَانٌ وَعُنَاوِينُهُ نَلْوَانَةٌ ، وَعَمَّتْهُ بَنُو نِينَ الْأُولَى

منهما مشددة تَعْنِينَا، وَعَنْتَهُ بنون مشددة بعدها ياء تَعْنِيَةٌ، وَعَنْتَهُ أَعْنُوهُ عَنُوا بفتح العين وسكون النون، وَعُنُوا بضمهما وتشديد الواو.

وَأَخْتَلَفَ فِي أَشْتِقَاقِهِ : فَمَنْ قَالَ عُنْوَانٌ، جَعَلَهُ مَأْخُودًا مِنَ الْعُنْوَانِ بِمَعْنَى الْأَثَرِ، لِأَنَّ عُنْوَانَ الْكُتَابِ [أَثْرِيَانِ] ^(١) مِمَّنْ هُوَ وَإِلَى مَنْ هُوَ. قَالَ النَّحَّاسُ : وَأَكْثَرُ الْكُتَّابِ لَا يَعْرِفُ غَيْرَ هَذَا، وَأَحْتَجُّوا لِذَلِكَ بِقَوْلِ الشَّاعِرِ يَذْكُرُ قَتْلَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ «عُمَانَ بْنَ عَفَّانٍ» رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ :

صَحُّوا بِأَشْمَطِ عُنْوَانِ السُّجُودِ بِهِ * يَقَطِّعُ اللَّيْلَ تَسْبِيحًا وَقُرْءَانًا

وَزَعِمَ بَعْضُهُمْ أَنَّ الْعُنْوَانَ مَأْخُودٌ مِنْ قَوْلِ الْعَرَبِ : عَنَتِ الْأَرْضُ تَعْنُو إِذَا أَخْرَجَتِ النَّبَاتَ، وَأَعْنَاهَا الْمَطْرُ إِذَا أَظْهَرَ نَبَاتَهَا. قَالَ النَّحَّاسُ : فَيَكُونُ عُنْوَانٌ عَلَى هَذَا فُعْلَانًا يَنْصَرِفُ فِي النَّكْرَةِ وَلَا يَنْصَرِفُ فِي الْمَعْرِفَةِ. وَقِيلَ هُوَ مَأْخُودٌ مِنْ عَنَّ يَعْنُ، إِذَا عَرَّضَ وَبَدَأ. قَالَ النَّحَّاسُ : فَعَلِيَ هَذَا يَنْصَرِفُ فِي النَّكْرَةِ وَالْمَعْرِفَةِ لِأَنَّهُ فُعْلَالٌ.

وَمَنْ قَالَ : عُلوَانٌ، أَبْدَلَ مِنَ النُّونِ لِأَمَّا، كَمَا فِي صَيْدَلَانِي وَصَيْدَنَانِي، فَيَكُونُ الْأَشْتِقَاقُ وَاحِدًا. وَقِيلَ عُلوَانٌ مُشْتَقٌّ مِنَ الْعَلَانِيَةِ، لِأَنَّهُ خُطُّ ظَاهِرٌ عَلَى الْكُتَابِ.

وَمَنْ قَالَ : عُنْيَانٌ وَعُنْيَانٌ، جَعَلَهُ مِنْ عَنَيْتِ فُلَانًا بِكَذَا إِذَا قَصَدْتَهُ. قَالَ فِي «مَوَادِّ الْبَيَانِ» : وَالْعُنْوَانُ كَالْعَلَامَةِ، وَهُوَ دَالٌّ عَلَى مَرْتَبَةِ الْمَكْتُوبِ إِلَيْهِ مِنَ الْمَكْتُوبِ عَنْهُ. وَالْأَصْلُ فِيهِ الْإِخْبَارُ عَنْ أَسْمِهِمَا حَتَّى لَا يَكُونَ الْكُتَابُ مَجْهُولًا، وَالمُرَادُ أَنَّهُ يَكْتُبُ فِيهِ «مَنْ فُلَانٌ إِلَى فُلَانٍ» أَوْ «لِفُلَانٍ مِنْ فُلَانٍ» قَالَ : وَلَمْ يَزَالُوا يَكْتُبُونَ بِأَسْمَائِهِمْ إِلَى أَنْ وُلِيَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ الْخِلَافَةَ وَلَقَّبَ بِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ،

(١) الزيادة من الضوء، للزلف ص ٢٤١.

(٢) عبارة الضوء والمعنى فيه وهو مراده بما هنا.

فكتب : « من عبد الله أمير المؤمنين عمر بن الخطاب » . ثم وقع الاصطلاحُ على
العنونة للرؤساء والنظرء والمرءوسين والأتباع بالأسماء ؛ ثم تغير هذا الرسم أيضا .
وكان المأمون يكتب في أول عنوانات كتبه : بسم الله الرحمن الرحيم ، فكانت
تكتب قبل اسم المكتوب إليه والمكتوب عنه . وقد ذكر أبو جعفر النحاس أن
ذلك بقي إلى زمانه ، وكان بعد الثلاثمائة . قال في "مواد البيان" : ثم بطل بعد
ذلك . قال : والأصل فيه أن يُبتدأ باسم المكتوب عنه ثم باسم المكتوب إليه
وهو الترتيب الذي تشهد به العقول : لأن نَفوذَ الكتاب من المكتوب عنه إلى
المكتوب إليه كمنشئ الشيء وخروجه من ابتداء إلى نهاية . فابتدأوه من المكتوب
عنه ، وآنهأوه إلى المكتوب إليه ؛ ولفظ « من » يتقدم لفظ « إلى » بالطبع : لأن
حرف « من » ينبئ عن منشئ الشيء ، و « إلى » حرف يُخبر عن النهاية التي عندها قرارُ
الشيء ؛ والإبتدآت في الأشياء قبل النهايات .

قال : وعلى هذا كانت كتب رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن سلف من الأمم
الماضية ؛ ثم عرض للناس رأي في تغير هذا الرسم إلى غيره ، ففرقوا بين مراتب
المكاتب من الرؤساء والعظماء والخدم والأتباع بتقديم اسم المكتوب إليه إذا قصدوا
إعظامه وإجلاله وتأخير اسم المكتوب عنه ، ورأوا أنه الصواب الصحيح .
على أن كتاب زماننا يقتصرون في أكثر عنواناتهم على ذكر المكتوب إليه دون
المكتوب عنه ولا يذكرون المكتوب عنه إلا في مكاتبات خاصة قليلة . قال
في "صناعة الكتاب" : ولا يتكفى المكتوب عنه على نظيره ، بل يتسمى له ولن
فوقه ، ثم يقول : المعروف بأبي فلان . وإن كانت كنيته أشهر من اسمه واسم

(١) أبيه ، جاز أن يكتب كنيته بغير ألف ويجريها مجرى الأسم . قال النحاس : وإن كان الكتاب إلى اثنين أحدهما أكبر من الآخر ، فيقدم الأكبر ، وكذلك لو كان إلى ثلاثة . قال أبو جعفر النحاس : وقد استحسنت جماعة أن يصغر اسم المكتوب عنه على عنوانات الكتب ، ورأوا أن ذلك تواضع . وما ذكره هو المستعمل في المكاتبات الجارية عليه حكم الدواوين إلى زماننا . والأصل في ذلك ما ذكره النحاس أن الحاج ابن يوسف كتب إلى عبد الملك بن مروان وهو خليفة في طومار : « لعبد الله عبد الملك أمير المؤمنين » ثم كتب في طرته بقلم ضئيل : من الحاج بن يوسف ، بجري الكتاب على أسلوبه فيما بعد .

قال في " معالم الكتابة " : ولا يكثر النعوت ولا الدعاء على العنوان للسلطان ولا للكبراء ، أما من الأعلى إلى الأدنى فحسن^(٢) . وقد تقدم في مقدمة الكتاب أن صاحب ديوان الإنشاء هو الذي يعنون الكتب السلطانية ، وأنها كانت لاتعنون قبل كتابة السلطان عليها علامته ، والذي استقر عليه الحال في كتب السلطان وما في معناها من المشتملة على الألقاب أن تكتب الألقاب في العنوان ، ويدعى فيها بدعوة واحدة وهي المفتحة بها المكاتبه .

(١) عبارة الضوء « جاز أن يكتب كنيته ويجريها ... الخ » وهي واضحة ولكن قد ورد في مسالك الأبصار في كتاب اقطاع النبي صلى الله عليه وسلم إلى تميم الداري وذكره المؤلف فيما تقدم أن الكنية فيه بغير ألف ونص على ذلك ، فلعل مراده أن الكنية في هذه الكتب تكتب بغير ألف فيقال في أبي بكر بو بكر .

(٢) لأن ذلك يؤذن بتشريف المكتوب إليه كما تقدم .

الجملة الثالثة

(في طي الكتاب وختمه)

أما طيه فمعروف ، وهو أن يُلفَّ بعضُه على بعض لفاً خاصاً . والطيُّ في اللغة خلافُ النَّشْرِ . ويقال : طوى الكتاب يطويه طياً ، ومنه قوله تعالى : ﴿ يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ السَّجِلِّ لِلْكُتُبِ ﴾ . والترتيب في ذلك أن تكون الكتابة إلى داخل الكتاب : لأن المقصود صَوْنُ المكتوبِ فيه .

ثم للناس في صورة الطي طريقتان :

الطريقة الأولى - أن يكون لفة مدوّراً كأنبوبة الرنح ، وهي طريقة كُتِّبَ الشَّرق من قديم الزمان وإلى الآن .

والطريقة الثانية - أن يكون طيه مبسوطاً في قدرٍ عَرِضٍ أربعة أصابع مطبوقة ، وعلى ذلك كان الحال جارياً في الدولة الأيوبية بالديار المصرية . فقد ذكر عبدالرحيم ابن شيث من كُتِّبَ دولتهم : أن طي الكُتِّبِ السلطانية يكون عَرِضَ أربعة أصابع ، وكذلك من العليّة إلى من دونهم . أما الكتاب من الأدنى إلى الأعلى فلا يُتجاوزُ به عَرِضُ إصبعين ، وهذا ظاهر في أن الطي يكون عَرِيضاً لمدوّراً ، وهي طريقة أهل المغرب والروم والفرنج .

+ +

وأما ختمه . فالختم مصدر ختم . يقال : ختم الكتاب يختمه ختماً ، ومعناه الطبع ، ومنه قوله تعالى : ﴿ خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ ﴾ والمراد شدُّ رأس الكتاب والطبع عليه بالخاتم . حتى لا يطلع أحدٌ على ما في باطنه حتى يفضّه المكتوبُ إليه ، على ما سيأتي ذكره إن شاء الله تعالى . وهو أمر مطلوبٌ مرغَّبٌ فيه ، فمن كلام عمر

رضى الله عنه : « طينة خير من ظنة » . يعني أن ختم الكتاب بطينة خير من ظنة تقع في الكتاب بالنظر فيه أو زيادة أو نقص ، والظنة التهمة . ومن كلام غيره : « اختم تسلم » . ومن كلام غيره : « إن طينت وإلا وقعت » . يعني إن طينت الكتاب وإلا وقعت في المحذور . ويقال : إن في ختم الكتاب تعظيماً للكتوب إليه . قال بزرجهر أحد ملوك الفرس : من لم يختم كتاباً فقد استخف بصاحبه ، وجهل في رأيه . وقد قيل : إن أول من ختم الكتاب سليمان عليه السلام ، وقد فسّر قوله تعالى حكاية عن بلقيس : ﴿ إِنِّي أُلْقِيَ إِلَيْكَ كِتَابٌ كَرِيمٌ ﴾ بأنه مختوم . وعلى نهجه في ذلك جرت ملوك العجم . قال في « مواد البيان » : ولم تزل كتب العرب منشورة حتى كتب عمرو بن هند الصحيفة إلى المتلمس ، فقرأها ولم يوصلها ، فختمت العرب الكتب من حينئذ . وقد ورد في الحديث « أن النبي صلى الله عليه وسلم أراد أن يكتب إلى بعض العجم فقبل له يارسول الله إنهم لا يقرءون كتاباً غير مختوم ، فأمر أن يتخذ له خاتم حديد ، فوضعه في إصبعه ، فاتاه جبريل عليه السلام فقال له انبذه من إصبعك ، فنبذه وأمر أن يتخذ له خاتم نحاس فوضعه في إصبعه فاتاه جبريل عليه السلام فقال انبذه من إصبعك فنبذه ، ثم أمر أن يتخذ له خاتم ، فأتخذ له خاتم من فضة فحتم به ، وكتب إلى من أراد أن يكتب من الأعاجم ، ونقش عليه « محمد رسول الله » ثلاثة أسطر ، وكان الخاتم في يد رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى قبضه الله تعالى ، ثم تحتم به أبو بكر رضي الله عنه حتى قبض ، ثم تحتم به عمرو بن الخطاب رضي الله عنه حتى قتل ، ثم تحتم به عثمان رضي الله عنه ، فبينما شذوات يوم على بئر أريس من بئر المدينة ، إذ عبث بالخاتم فسقط من يده ، فزح كل ما كان في البئر

(١) قال « في إرشاد السارى » شرح صحيح البخارى ج ٨ ص ٣٦٢ لا ينصرف على الأصح . ونقل

صاحب « تاج العروس » عن ابن مالك جواز صرفه . وقال ابن فارس الهمزة والراء والسين ليست عربية .

من الماء فلم يُوجد ، فلما يئس منه أمر أن يُصاغ له خاتمٌ مثله وينقش عليه «مُحَمَّدُ رَسُولُ اللَّهِ» ففعل ذلك وتختّم به . هكذا أورده صاحب «ذخيرة الكتاب» وبعضه في الصحيح . وقيل : إن نقش الخاتم الذي آتخذه كان «آمَنْتُ بِالَّذِي خَلَقَ فَسَوَّى» . وقيل : كان نقشه «لَتَصْبِرَنَّ أَوْلَتِنَا مَنْ» .

ثم كان لكل من الخلفاء بعد عثمان رضى الله عنه خاتمٌ يختم به ، عليه نقشٌ مخصوصٌ : فكان نقشُ خاتمِ أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضى الله عنه «الْمَلِكُ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ» ونقش خاتمِ ابنه الحسن «لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ الْمُبِينُ» ونقش خاتمِ معاوية بن أبي سفيان «لِكُلِّ عَمَلٍ ثَوَابٌ» وقيل : «لَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ» ونقش خاتمِ يزيد بن معاوية «رَبَّنَا اللَّهُ» ونقش خاتمِ معاوية بن يزيد «الدُّنْيَا غُرُورٌ» ونقش خاتمِ مروان بن الحكم «اللَّهُ ثِقَتِي وَرَجَائِي» ونقش خاتمِ عبد الملك بن مروان ، «آمَنْتُ بِاللَّهِ مُخْلِصًا» ونقش خاتمِ الوليد بن عبد الملك «يَا وَلِيدُ إِنَّكَ مَيِّتٌ وَمَحَاسِبٌ!» ونقش خاتمِ عمر بن عبد العزيز «عَمْرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ» ونقش خاتمِ يزيد بن عبد الملك «قِنِي السَّيِّئَاتِ يَا عَزِيزُ» ونقش خاتمِ هشام بن عبد الملك «الْحُكْمُ لِلْحَكَمِ الْحَكِيمِ» ونقش خاتمِ الوليد بن يزيد «يَا وَلِيدُ أَحْذِرِ الْمَوْتَ» ونقش خاتمِ يزيد بن الوليد «يَا زَيْدُ قُمْ بِالْحَقِّ» ونقش خاتمِ إبراهيم بن الوليد «تَوَكَّلْتُ عَلَى الْحَيِّ الْقَيُّومِ» ونقش خاتمِ مروان بن محمد «أَذْكُرِ اللَّهَ يَا غَافِلُ» .

وكان نقشُ خاتمِ السَّفَّاحِ : أولِ خلفاء بني العباس «اللَّهُ ثِقَةٌ عَبْدِ اللَّهِ» ونقشُ خاتمِ المهدي^(١) «حَسَنَى اللَّهُ» ونقش خاتمِ الرشيد «العِظْمَةُ وَالْقُدْرَةُ لِلَّهِ» . وقيل : «كُنْ مِنَ اللَّهِ عَلَى حَذَرٍ» ونقش خاتمِ الأمين «مُحَمَّدٌ وَاثِقٌ بِاللَّهِ» ونقش خاتمِ المأمون

(١) لم يذكر نقش خاتمِ المنصور والمهادي .

”سَلِّ اللهُ يَمِطِيكَ“ ونقش خاتم المعنصم ”اللهُ ثقةُ أبي إسحاق بن الرشيد وبه يؤمن“
 ونقش خاتم الواثق ”اللهُ ثقةُ الواثق“ ونقش خاتم المتوكل ”على الحى - أتكالى“
 ونقش خاتم المنتصر ”يوتى الحذر من مأمينه“ ونقش خاتم المستعين ”فى الاعتبار
 غناء عن الاختبار“ ونقش خاتم المعتز ”الحمد لله رب كل شىء وخالق كل شىء“
 ونقش خاتم المهتدى ”من تعدى الحق ضاقت مذهبُه“ ونقش خاتم المعتمد
 ”السعيد من وعظ بغيره“ ونقش خاتم المعتضد ”الأضطرار يزيل الاختيار“ ونقش
 خاتم المكتفى ”بالله على بن أحمد يثق“ ونقش خاتم المقتدر بالله ”الحمد لله الذى
 ليس كمثل شىء وهو خالق كل شىء“ ونقش خاتم القاهر ”محمد رسول الله صلى الله
 عليه وسلم“ ونقش خاتم المتقى ”المتقى لله“ كلقبه للخلافة، ونقش خاتم المستكفى
 ”المستكفى بالله يثق“ ولم أقف على نقش خاتم أحد من الخلفاء غير هؤلاء .

وأعلم أنه كان للختم فى أيام الخلفاء ديوان مفرد يعبر عنه بديوان الخاتم .
 وقد اختلف فى أول من اتخذ ديوان الخاتم : فروى محمد بن عمر المدائنى فى كتاب
 ”القلم والدواة“ بسنده إلى ابن عمر رضى الله عنه أنه قال : لم يكن أبو بكر ولا عمر
 يلبسون خواتم^(١) ولا يطبعون كتابا ، حتى كتب زياد بن أبى سفيان إلى عمر بن
 الخطاب رضى الله عنه : إنك تكتب إلينا بأشياء ليست لها طواع ، فاتخذ عند
 ذلك عمر طابعا يطبع به ، ونحزم الكتاب ولم يكن قبل يُنحزم .

ومقتضى ذلك أن يكون أول من اتخذ الختم عمر بن الخطاب رضى الله عنه ،
 ويكون لبسه خاتم النبى صلى الله عليه وسلم لغير الختم . وذكر الطبرى فى تاريخه :
 أن أول من اتخذ ذلك معاوية بن أبى سفيان فى خلافته ، وذلك أنه أمر لعمر بن

(١) اسم صيغة الجمع للتعظيم أو أراد به ما فوق الواحد

الزبير بمائة ألف من عند زياد، ففتح الكتاب وجعل المائة مائتين؛ فلما رفع زيادُ حسابَهُ أنكر ذلك معاويةً؛ وطلب عمراً فحسبه حتى قضاها عنه أخوه عبدُ الله ابنُ الزبيرِ وأتخذ معاويةُ حينئذ ديوانَ الختم، ونحزم الكتاب ولم يكن قبل يُنحزم. قال القاضي «وليُّ الدين بن خلدون» في تاريخه: وديوان الختم عبارةٌ عن الكتابِ القائم على إنفاذ كتب السلطان. قال: وهذا الخاتم خاصٌ بديوان الرسائل، وكان ذلك للوزير في أيام الدولة العباسية. ويشهد لذلك قولُ الرشيد ليحيى بن خالد لما أراد أن يستوزر جعفرًا، ويستبدل به من الفضل أخيه: إني أحول الخاتم من يميني إلى شمالي، فكنتُ بالخاتم عن الوزارة، لأنضمام ديوان الرسائل إلى الوزير إذ ذاك. ثم اختلف العرفُ بعد ذلك، فصار ليس إليه الرسائل في الدولة.

ثم للختم ثلاثُ صور:

الصورة الأولى - أن يُلصق رأسُ الكتاب بنوع من أنواع اللصاق، كالكتيحاء المدافاة بالماء، والنشا المطبوخ ونحو ذلك. وهذا هو المستعملُ بالديار المصرية وبلاد المشرق من قديم الزمان وهلمَّ جرًّا إلى زماننا؛ والمستعملُ بالدواوين هو النشادون غيره، لنصاعة بياضه وشدة لصاقه. قال في "مواد البيان": ويجب أن يكون اللصاق خفيفًا كالدهن لئلا يتكسّر ويكثف في جانب الورق. وقد كانت عادتهم في بلاد المشرق أيام الخلفاء أن يُختم بخاتم الخليفة، بأن يُفمس في طين معد لذلك أحمر الصبغ، ويختم به على طرفي اللصاق، ليقوم مقامَ علامة الخليفة. وكان هذا الطين يجلب إليهم من سيراغ من بلاد فارس، وكأنه مخصوصٌ بها؛ وعلى نهج الخلفاء جرى الملوك حينئذ. والذي استقر عليه الحال الآن بالديار المصرية ونحوها من البلاد الشرقية الاقتصارُ على مجرد اللصاق اكتفاء بما فيه من الضبط وظهور

فَضَّهُ إِنْ قُضِيَ . وهذه المسئلة مما سأله الشيخ جمال الدين بن نباتة كُتَّاب ديوان الإنشاء بدمشق مخاطبا به للشيخ جمال الدين محمود الحلبي - فقال : ومن ختم الكتاب بالطين وربطه ؟ ومن غير الطين إلى النشا وضبطه ؟ . وقد سبق الكلام في النشا وسائر أنواع اللصاق في الكلام على آلات الدواة في المقالة الأولى .

الصورة الثانية - أن يُخزَم الكتابُ من وسطه بالأشفار حتى تنفذ في بعض طيات الكتاب ثم تخرج من وجه الورق أيضا ، ويدخل فيه دسرة من الورق كالسير الصغير ويقط طرف الدسرة ، ثم يلصق على ذلك بشمع أحمر ، ثم يختم عليه بخاتم يظهر نقشه فيه ، ويسمى هذا النوع من الختم الخزَم - بالخاء والزاي المعجمتين - أخذاً من خزم البعير ، وهو أن يُثقب أنفه ويجعل فيه خيط أو نحوه . ولعل هذه الطريقة من الختم هي التي كان عليها الخال حين أحدث الختم في صدر الإسلام ، ويدل على ذلك قول ابن عمر رضي الله عنه في رواية الطبري المتقدمة : وخزم الكتاب ولم يكن قبل الختم . وعلى هذا الآن أهل المغرب والروم والفرنج ومن في معناهم .

الصورة الثالثة - أن يلف على الكتاب بعد طيه قِصاصة من الورق كالسير في عرض رأس الخنصر ، وتلف على الكتاب ثم يلصق رأسها ، ويكون ذلك في الرقاع الصغيرة المترددة بين الإخوان ، وتسمى القِصاصة التي يلصق بها سحاة - بفتح السين وبالمد ، وتقال بكسر السين أيضا ، وربما قيل سحاية ، ويقال فيه : سحوت الكتاب

(١) مراد المؤلف بالدرسرة الدسارأي المسارأو الخيط من الليف وجاري العامة في تعبيرهم عنه بالدرسرة .

(٢) الذي تقدم عن الطبري أن أول من اتخذ الختم والخزم معاوية وأما رواية ابن عمر التي تفيد أن أول من اتخذ الختم والخزم عمر فقد رواها محمد بن عمر المدائني في الكلام سهواً واشتباهاً .

أَسْحُوهُ سَحْوًا ، وَسَحَّيْتَهُ بِالتَّشْدِيدِ أُسْحِيهِ تَسْحِيَةً فَهُوَ مَسْحُوٌّ وَمَسْحِيٌّ وَمَسْحَىٌّ ؛ وَالْأَمْرُ
 مِنْ سَحَوْتُ الْكِتَابَ أُسْحِعُ ، وَمِنْ سَحَّيْتَهُ بِالتَّشْدِيدِ سَحَّ ، وَأَصْلُهُ مِنَ السَّحْوِ وَهُوَ الْقَشْرُ .
 يُقَالُ : سَحَوْتُ اللَّحْمَ عَنِ الْعَظْمِ إِذَا قَشَرْتَهُ .

الجملة الرابعة

(فِي حَمْلِ الْكِتَابِ وَتَأْدِيَتِهِ)

وهو من جملة الأمانات الداخلة في عموم قوله تعالى : ﴿ إِنْ اللَّهُ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا
 الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا ﴾ . وَقَدْ رُوِيَ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ : مِنْ أَعْظَمِ
 الْأَمَانَةِ أَدَاءُ الْكِتَابِ إِلَىٰ أَهْلِهِ . قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ عَمْرِو المَدَائِنِيِّ : حَمْلُ الْكِتَابِ أَمَانَةٌ ،
 وَتَرْكُ إِيْصَالِهِ خِيَانَةٌ . وَقَدْ رُوِيَ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : " مَنْ بَلَغَ كِتَابَ
 غَايِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ إِلَىٰ أَهْلِهِ أَوْ كِتَابَ أَهْلِهِ إِلَيْهِ ، كَانَ لَهُ بِكُلِّ حَرْفٍ عِتْقٌ رَفِيَةٌ وَأَعْطَاهُ
 اللَّهُ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ وَكُتِبَ لَهُ بَرَاءَةٌ مِنَ النَّارِ " . وَقَدْ نَطَقَ الْفَرَّاءُ الْكَرِيمُ بِتَأْدِيَةِ الْهُدُودِ
 كِتَابَ سُلَيْمَانَ عَلَيْهِ السَّلَامُ إِلَىٰ بَلْقَيْسَ ، حَيْثُ قَالَ حِكَايَةً عَنْ سُلَيْمَانَ : ﴿ اذْهَبْ بِكِتَابِي
 هَذَا فَأَلِّقْهُ لِيهِمْ ﴾ إِلَىٰ أَنْ قَالَ : ﴿ قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ إِنِّي أُلْقِيَ إِلَيَّْ كِتَابٌ كَرِيمٌ ﴾ .

وقد وردت الأحاديث بأن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يَبْعَثُ كُتُبَهُ مَعَ رُسُلِهِ
 إِلَى الْمُلُوكِ : فَبَعَثَ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ حُدَّاقَةَ إِلَىٰ كِسْرَى أَبْرُويز ملكِ الْفَرَسِ ؛ وَبَعَثَ
 دِحْيَةَ الْكَلْبِيَّ إِلَىٰ قَيْصَرَ ملكِ الرُّومِ ؛ وَبَعَثَ حَاطِبَ بْنَ أَبِي بَلْتَعَةَ إِلَىٰ الْمُقَوْقِسِ
 صَاحِبِ مِصْرَ ؛ وَبَعَثَ عَمْرُو بْنَ أُمَيَّةَ الضَّمْرِيَّ إِلَىٰ الضُّحَّاكِ ملكِ الْحِمْشَةِ ؛ وَبَعَثَ
 شُجَاعَ بْنَ وَهْبِ الْأَسَدِيِّ إِلَىٰ الْحَارِثِ بْنَ أَبِي شَمْرِ الْفَسَّانِيِّ ؛ وَبَعَثَ سَلِيطَ بْنَ عَمْرُو

(١) فِي الضُّوِّ " الْجَانِي "

إلى هُوذة بن عليّ صاحب اليمامة ؛ وبعث العلاء بن الحضرميّ إلى المنذر بن ساوى ملك البحرين ؛ وبعث عمرو بن العاص إلى عبد وجيفر^(١) آبنى الجَلنديّ ملكي عُمان . قال ابن الجوزي : وبعث جرير بن عبد الله البجليّ إلى ذى الكلاع الحميريّ .

وأعلم أنه يجب أن يكون حاملُ الكتاب المؤدّي له عن الملك ونحوه وإفِرَ العقل ، شديدَ الشّكيمة في الجواب ، طلق اللسان في المُحاورَة ، فإنه لسانُ ملكه ، وترجمانُ مُرسِله ، وربما سأله المكتوبُ إليه عن شيءٍ أو أورد عليه اعتراضاً فيكون بصدده إجابته . وقد قيل : إنه يُستدلُّ على عقل الرجل بكتابه ورسوله . ومن غريب ما يُروى في ذلك ما ذكره ابنُ عبد الحَكَم : أن النبيّ صلّى الله عليه وسلم لما بعث حاطبَ ابنِ أبي بلتعة إلى المقوقس صاحب مصر ، وبلغه كتاب النبيّ صلّى الله عليه وسلم ، قال له : مامنعه أن يدعو عليّ فيسلط عليّ ؟ - قال له حاطبٌ : مامنع عيسى أن يدعو عليّ من أبي عليه أن يفعل ويفعل ؟ فوجم ساعةً ثم استعادها ، فأعادها عليه حاطبٌ ، فسكت . ويُروى : أنه حين سأله عن أمر النبيّ صلّى الله عليه وسلم في حرب قومه ، وذكر له أن الحرب تكون بينهم سجّالاً : تارة له وتارة عليه ، قال له المقوقس : النبيّ يُغلب ! فقال له حاطب : فالإله يُصلب ! - يشير بذلك إلى ماتزعمه النصارى من أن المسيح عليه السلام صلب مع دعواهم فيه أنه إله .

وذكر السهيليّ أن دحية الكلبيّ حين دخل على قيصر بكتاب النبيّ صلّى الله عليه وسلم ، قال له دحية : هل تعلمُ أن كان المسيح يُصلّى ؟ قال نعم ، قال : فإني أدعوك إلى من كان المسيح يُصلّى له ، وأدعوك إلى من دبر خلق السموات والأرض والمسيح في بطن أمه . فالزمه من صلاة المسيح أنه عبدُ الله تعالى ، وضمّن ذلك بيتاً من أبيات له فقال :

(١) كذا في "المواهب اللدنية" أيضاً . والذي في القاموس عبد الله .

فَقَرَّرْتُهُ بِصَلَاةِ الْمَسِيحِ ، * وَكَانَتْ مِنَ الْجَوْهَرِ الْأَحْمَرِ !

وَيُحْكِي أَنَّ بَعْضَ مَلُوكِ الرُّومِ كَتَبَ إِلَى خَلِيفَةِ زَمَانِهِ يَطْلُبُ مِنْهُ مَنْ يَنَظُرُ عُلَمَاءَ النَّصْرَانِيَّةِ عِنْدَهُ فَإِنْ قَطَعَهُمْ أَسْلَمُوا ، فَوَجَّهَ إِلَيْهِ بِالْقَاضِي أَبِي بَكْرِ بْنِ الطَّيِّبِ الْمَالِكِيِّ ، وَكَانَ مِنْ أُمَّةِ عُلَمَاءِ زَمَانِهِ ، فَلَمَّا حَضَرَ الْمَجْلِسَ وَاجْتَمَعَ لَدَيْهِ عُلَمَاءُ النَّصَارِيِّ ، قَالَ لَهُ بَعْضُهُمْ : إِنَّ مَعْتَقَدَكُمْ أَنَّ الْأَنْبِيَاءَ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ مَعْصُومُونَ فِي الْفِرَاشِ ، وَقَدْ رُمِيَتْ عَائِشَةُ بِمَا رُمِيَتْ بِهِ : فَإِنْ كَانَ مَارُمِيَتْ بِهِ حَقًّا ، كَانَ نَاقِضًا لِأَصْلِحِكُمُ الَّذِي أَصَلَّمْتُمُوهُ فِي عِصْمَةِ الْأَنْبِيَاءِ فِي الْفِرَاشِ ، وَإِنْ كَانَ غَيْرَ حَقٍّ كَانَ مُؤَثِّرًا فِي إِيمَانِ مَنْ وَقَعَ مِنْهُ . فَقَالَ الْقَاضِي أَبُو بَكْرٍ : امْرَأَتَانِ حَصِيدَتَانِ رُمِيَتَا بِالْفِرْيَةِ ، إِحْدَاهُمَا لَهَا زَوْجٌ وَلَا وُلْدٌ لَهَا ، وَالْأُخْرَى لَهَا وُلْدٌ وَلَا زَوْجٌ لَهَا . يُشِيرُ بِالْأُولَى إِلَى عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا ، وَبِالثَّانِيَةِ إِلَى مَرْيَمَ عَلَيْهَا السَّلَامُ ، فَسَجَدُوا لَهُ عَلَى عَادَةِ تَحِيَّتِهِمْ فِي ذَلِكَ ، إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الْوَقَائِعِ الَّتِي لَا تُحْصَى كَثْرَةً .

فَإِذَا كَانَ الرَّسُولُ مَتَمِّكًا مِنْ عَقْلِهِ ، عَالِمًا بِمَا يَأْتِي وَمَا يَذُرُّ ، كَفَى مَلِكَهُ مَثُونَةً غَيْبَتَهُ ، وَأَجَابَ عَنْ كُلِّ مَا يُسْأَلُ عَنْهُ ، وَإِذَا كَانَ بِخِلَافِ ذَلِكَ أَنْعَكَسَتْ الْقِضِيَّةُ ، وَرَجَعَ عَلَى مُرْسَلِهِ بِالْوَبَالِ . ثُمَّ إِنَّ أَقْتَضَى رَأَى الْمَلِكَ زِيَادَةً فِي الرِّسَالَةِ عَلَى الرَّسُولِ الْوَاحِدِ فَعَلَّ : لِيَتَعَاوَنَا عَلَى مَا فِيهِ الْمَصْلَحَةُ ، وَيَتَشَاوَرَا فِيمَا يَفْعَلَانِ ، فَقَدْ ذَكَرَ السَّهْبِيُّ : أَنَّ جَبْرًا مَوْلَى أَبِي ذَرِّ الْغِفَارِيِّ كَانَ رَسُولًا مَعَ حَاطِبِ بْنِ أَبِي بَلْتَعَةَ إِلَى الْمُقَوْقِسِ . وَإِنْ أَقْتَضَى الْحَالُ إِرْسَالَ أَكْثَرِ مِنْ اثْنَيْنِ أَيْضًا فَعَلَّ ، فَقَدْ ذَكَرَ ابْنُ الْجَوْزِيِّ أَنَّ أَبَا بَكْرَ الصَّدِيقَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِي خِلَافَتِهِ بَعَثَ إِلَى قَيْصَرَ ثَلَاثَةَ رُسُلٍ ، وَهُمْ : هِشَامُ ابْنُ الْعَاصِ ، وَنُعَيْمُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ ، وَرَجُلٌ آخَرٌ .

(١) فِي شَرْحِ الْمَوَاهِبِ النَّبَوِيَّةِ ج ٣ ص ٣٩٨ عَنْ السَّهْبِيِّ مَا نَصَّهُ "مَوْلَى أَبِي رَهْمِ الْغِفَارِيِّ وَهُوَ وَهْمٌ فَالَّذِي

فِي الْأَسْتِيعَابِ وَالْإِصَابَةِ وَيُرِيدُ أَنْ جَبْرًا كَانَ مِنَ التَّبِطُّ وَنَهْ رَسُولِ الْمُقَوْقِسِ بِمَارِيَةِ إِلَيْهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ."

ومما يجب التنبيه عليه أنه يحرمُّ على حامل الكتاب النظر فيه ، والأطلاع على ماتضمُّنه . قال محمد بن عمر المدائني : في فِضِّ الكتابِ إثمٌ وسوءُ أدبٍ ، وساق بسنده إلى معاذِ بنِ جبَلِ رضى الله عنه أنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "من أطلع في كتاب أخيه بغير إذنه ، أطلعه طلعةً في النار" .

الجملة الخامسة

(في فِضِّ الكتابِ وقراءته)

أما فِضُّه فالمراد فكُّ ختمه وفتحُه ، والفِضُّ في أصل اللغة الكسر والتفريق . ومن الأول ما ثبت في الصحيح من قول القائلة لابن عمِّها في قصة الثلاثة الذين دعوا الله بأحبِّ أعمالهم : « اتَّقِ اللهَ ولا تُفِضْ الخاتمَ إلا بحقِّه » تريد إزالة بكارتها . ومن الثاني (هم الذين يقولون لا تُفِضُوا على من عند رسول الله حتى ينفِضُوا) . وقد تقدم في الكلام على ترتيب المملكة في المقالة الثانية أن الرسول أو البريدي الواصل إلى باب السلطان يقدمه الدوادار إلى السلطان ، ثم يتناول الكتاب منه ويمسحُ به وجه من حضر على يده ، ثم يدفعه إلى السلطان فيفِضُ ختامه ، ثم يتناوله الدوادار من السلطان ويدفعه إلى كاتب السر ، فيقرؤه على السلطان .

وأعلم أن لفيض الكتاب حالتين :

الحالة الأولى - أن يكون محتوماً باللصاق بالنشا على طريقة المشاركة وأهل الديار المصرية ، فيشقُّ ظاهره على القرب من محلِّ اللصاق بسكين ثم يفتح .

الحالة الثانية - أن يكون مخزوماً مسمراً بدسرة من الورق على عادة المغاربة ومن جرى مجراهم ، فيرفع الختم الملتصق عليه من الشمع ، وتقلع الدسرة ويفتح الكتاب .



وأما قراءة الكُتُب فإنه يجب أن يكون مَنْ يقرأ الكُتُب على الملوك ومَنْ في معانهم ماهراً في القراءة، فصيح اللسان في النطق، رقيق حاشية اللسان في حسن الإيراد، قوى المَلَكَة في استخراج الخطوط المختلفة، سريع الفهم في إدراك المعاني الخفية، وأن تكون قراءته على رئيسه - من سلطان أو غيره - بحسب ما يؤثر ملكه أو أميره سماعه من السرعة والبُطء، وأن يكون ذلك بصوت غير خفي بحيث يعسر سماعه، ولا مرتفع بحيث يُعَدُّ صاحبه خارجاً عن أدب المخاطبة للأكابر، وأن يُقَرَّب لمن يقرأ عليه فهم المقاصد التي اعتاصت عليه إذا سألها عنها، أو غلب على ظنه أنها لم تصل إلى فهمه، بحسن إيراد، وتلطيف عبارة يحسن موقعها في النفوس ويجل وقعها في الأذهان .

الجملة السادسة

(في كراهة طرْح الكتاب بعد تخزيقه : وهو فضُّه ،

وحفظه بعد ذلك في الإضبارة)

أما كراهة طرْحه فقد قال محمد بن عمر المدائني في كتاب "القلم والدواة": كرهوا تخزيق الرسائل ورميها في الطُّرُق والمزابل، خوفاً على أسم الله تعالى أن يُداس، أو تلحقه النجاسة والأدناس . قال : وفي رفع ما طرِح من الكُتُب أعظم الرغائب وأجل الثواب، وساق بسنده إلى أمير المؤمنين علي بن أبي طالب كرم الله وجهه أنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "ما من كتاب يُلقى ببُقعةٍ من الأرض فيه

أسم من أسماء الله إلا بعث الله إليه سبعين ألف ملك يحفوناه بأجنحتهم ويقدسونه ،
حتى يبعث الله إليه ولياً من أوليائه فيرفعه من الأرض . ومن رفع كتاباً من الأرض
فيه اسم من أسماء الله تعالى ، رفع الله اسمه في عليين وخفف عن والديه العذاب
وإن كانا مشركين . . . و يروى : « من رفع قرطاساً من الأرض فيه مكتوب
« بسم الله الرحمن الرحيم » إجلالاً له أن يداس ، أدخله الله الجنة وشفعه في عشرين
من أهل بيته كلهم قد وجب له النار » .



وأما حفظه في الإضبارة فهو أمر مطلوب ، والإضبارة عبارة عن ورقة تلتف على
جملة من الكتب قد جمعت في داخلها ويلصق طرفها بالنشا . والقاعدة فيها أن
تلوى الكسرة من أسفلها ، وإن طال بعضها في طية وقصر بعض جعل التفاوت
في الطول والقصر من أعلاها . قال في « صناعة الكتاب » : ومعناها الجمع ، لأنها
يجمع بعضها إلى بعض . ومنه قيل : تضر القوم إذا تجمعوا ، ورجل مضرب الخلق
أى مجتمعهم ، وناقاة مضبرة ومضبورة ، وضرب الفرس إذا جمع قوائمه ووثب . ويقال
للإضبارة أيضاً إضامة^(١) بكسر الهمزة وتشديد الميم لضم بعضها إلى بعض ، والمعنى
فيها صيانة الكتب وحفظها عن الضياع . وقد جرت عادة كتّاب ديوان الإنشاء
بالديار المصرية أن يجعل لكل شهر إضبارة تجمع فيها الكتب الواردة على أبواب
السلطان من أهل المملكة وغيرهم ، ويكتب عليها « شهر كذا » . وقد سبق القول
في مقدمة الكتاب أن الديوان كان له في زمن الفاطميين كاتب يكتب الكتب

(١) كذا في الأصول والضوء والذي في أمهات اللغة بهذا المعنى في مادة ض م م « إضامة » أى بكسر
الهمزة وتخفيف الميم بينهما ألف فتنه .

الواصلة وَيُسْط عليها جرائد ، كما يكتبُ الكتبَ الصادرة عن الأبواب السلطانية وَيُسْط عليها جرائد ، وأن ذلك بطل في زماننا وصار الأمرُ قاصراً فيها على حفظ الكتب في الإضبارات ، متى احتيج إلى الكشف عن كتاب منها ، أخذ بالحدس أنه ورد في السنة الفلانية ، وتُكشَفُ إضباراتها واحدةً بعد واحدة حتى يقع العُثورُ عليه ، ولا خفاء فيما في ذلك من المشقة ، بخلاف ما إذا كان لها جرائد مبسوطه ، فإنه يسهُلُ الكشف منها ، ويستدلُّ بتاريخه على إضبارنه فتُخْرَجُ ويقع الكشفُ منها ، ولكن أهمل ذلك في جملة ما أهمل .

الباب الثانى

من المقالة الرابعة

(فى مصطلحات المكاتب الدائرة بين كُتَّاب أهل الشرق والغرب

والديار المصرية فى كل زمن من صدر الإسلام

وهلمَّ جرًّا إلى زماننا، وفيه ستة فصول)

الفصل الأول

(فى الكُتُب الصادرة عن النبيّ صلى الله عليه وسلم، وفيه ثلاثة أطراف)

الطرف الأول

(فى ذكر ترتيب كُتُبهِ صلى الله عليه وسلم فى الرسائل على سبيل الإجمال)

كان صلى الله عليه وسلم يفتِّح أكثر كُتُبِهِ بلفظ «من محمد رسول الله إلى فلان»

وربما أفتتحها بلفظ «أما بعد» وربما أفتتحها بلفظ «هذا كتاب» وربما أفتتحها

بلفظ «سلم أنت» .

وكان يصرِّح فى الغالب باسم المكتوب إليه فى أول المكاتب، وربما أكتفى

بشهرته^(١) . فإن كان المكتوبُ إليه ملكًا كتب بعد ذكره اسمه «عظيم القوم الفلانيين»

وربما كتب «ملك القوم الفلانيين» وربما كتب «صاحب مملكة كذا» .

وكان يعبر عن نفسه صلى الله عليه وسلم فى أثناء كُتُبِهِ بلفظ الأفراد . مثل : «أنا»

و «لى» و «جاءنى» و «وفد على» وما أشبه ذلك ، وربما أتى بلفظ الجمع مثل

«بلغنا» و «جاءنا» ونحو ذلك .

(١) أى بما أشتهر به كالقبيصر ونحوه .

وكان يخاطبُ المكتوبَ إليه عند الإفراد بكاف الخطاب . مثل : « لك »
و « عليك » وتاء المخاطب . مثل : « أنت قلتَ كذا وفعلتَ كذا » . وعند التثنية
بلفظها مثل : « أنتما » و « لكما » و « عليكما » . وعند الجمع بلفظه . مثل : « أتم »
و « لكم » و « عليكم » وما أشبه ذلك .

وكان يأتي في صدور كُتبه بالسلام . فيقول في خطاب المسلم « سلامٌ عليك »
وربما قال : « السلامُ على من آمنَ بالله ورسوله » وفي خطاب الكافر : « سلامٌ
على من أتبع الهدى » وربما أسقط السلام من صدر الكتاب .

وكان يأتي في صدور الكتب بالتحميد بعد السلام . فيقول : « فإني أحمدُ إليك
الله الذي لا إلهَ إلا هو » وربما تركه ، وقد يأتي بعد التحميد بالتشهد وقد لا يأتي به .
وكان يتخلص من صدر الكتاب إلى المقصود تارةً بأما بعد وتارةً بغيرها .

وكان يختم كُتبه بالسلام تارةً ، فيقول في خطاب المسلم : « والسلامُ عليك ورحمة
الله وبركاته » وربما اقتصر على السلام . ويقول في خطاب الكافر : « والسلامُ على
من أتبع الهدى » وربما أسقط السلام من آخر كُتبه .



أما عنونة كُتبه صلى الله عليه وسلم ، فلم أقف فيها على نصٍّ صريح ، والذي يظهر
أنه صلى الله عليه وسلم كان يُعنون كُتبه بلفظ : « من عهد رسول الله إلى فلان »
على نحو ما في الصدر ، وتكون كتابته « من عهد رسول الله » عن يمين الكتاب ،
و « إلى فلان » عن يساره ، وعليه يدلُّ ما تقدّم من كلام صاحب " موادّ البيان " في
الأصل الثاني عشر من أصول المكاتبات حيثُ ذكر في الكلام على العنوان أن
الأصل أن يُبتدأ باسم المكتوب عنه ويثنى باسم المكتوب إليه ، ثم قال : وعلى هذا
كانت كُتبت رسول الله صلى الله عليه وسلم .

الطرف الثاني

(في كتبه صلى الله عليه وسلم إلى أهل الإسلام ،

وهو على ثلاثة أساليب)

الأسلوب الأول

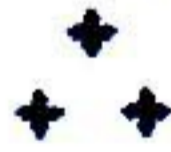
(أن يفتح الكتاب بلفظ «من عهد رسول الله إلى فلان»)

فمن ذلك كتابه صلى الله عليه وسلم إلى خالد بن الوليد، في جواب كتابه إليه صلى

الله عليه وسلم بإسلام بني الحارث وهو على ما ذكره ابن إسحاق في سيرته :

”من عهد رسول الله إلى خالد بن الوليد :

سلام عليك، فإني أحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو . أما بعد فإن كتابك
جاءني مع رسوك ، يُخبرني أن بني الحارث قد أسلموا قبل أن تُقاتلهم ، وأجابوا
إلى مادعوتهم إليه من الإسلام ، وشهدوا أن لا إله إلا الله ، وأن محمدا عبده ورسوله ،
وأن قد هداهم الله بهداه ، فبشرهم وأنذرهم ، وأقبل وليقبل معك وفدكم ، والسلام
عليك ورحمة الله وبركاته“ .



ومن ذلك كتابه صلى الله عليه وسلم إلى المنذر بن ساوى ملك البحرين من جهة
الفرس ، في جواب كتابه إليه صلى الله عليه وسلم . ونسخته على ما ذكره السهيلي
في ”الروض الأنف“ :

”من محمد رسول الله إلى المنذر بن ساوى .

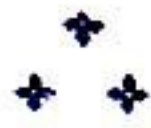
سلام عليك ، فإننى أحمد إليك الله الذى لا إله إلا هو ، وأشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا عبده ورسوله . أما بعد فإننى أذكرك الله عز وجل ، فإنه من ينصح فإنما ينصح لنفسه ، وإنه من يطع رُسلى ويتبع أمرهم فقد أطاعنى ، ومن نصح لهم فقد نصح لى ، وإن رُسلى قد أشنوا عليك خيرا ، وإنى قد شفعتك فى قومك فأترك للمسلمين ما أسلموا عليه ، وعفوت عن أهل الذنوب فاقبل لهم ، وإنك مهما تصلح فلن نغزلك ، ومن أقام على مجوسيته فعليه الجزية“ .



ومن ذلك كتابه صلى الله عليه وسلم إلى فروة بن عمرو الجذامى . ونسخته على ما ذكره ابن الجوزى فى ”كتاب الوفاء“ .

”من محمد رسول الله إلى فروة بن عمرو .

أما بعد ، فقد قدم علينا رسولك ، وبلغ ما أرسلت به ، وخبر عما قبلكم خيرا ، وأنانا بإسلامك وأن الله هدأك بهداه“ .



ومن ذلك كتابه صلى الله عليه وسلم إلى طهفة النهدي وقومه . ونسخته فيما حكاه ابن الأثير فى ”المثل السائر“ :

”من محمد رسول الله إلى بنى نهيد .

السلام على من آمن بالله ورسوله . لكم يابنى نهيد فى الوظيفة الفريضة ، ولكم الفارض والفريش ، وذو العنان الركوب والفلو الضبيس ، لا يمنع سرحكم ، ولا يعضد

(١) يروى بالفاء وبالعين فأما بالفاء فيكون المراد بها المريضة وأما بالعين فهى التى أصابها آفة أو كسراه

من شرح الزرقانى للواهب ج ٤ ص ١٩٢ .

طَلْحُكُمْ ، وَلَا يُجْبَسُ دَرُّكُمْ مَالْمُ تُضْمِرُوا الْإِمَاقَ ، وَتَأْكُلُوا الرَّبَاقَ . مَنْ أَقْرَبَ
[بِمَا فِي هَذَا الْكِتَابِ] ^(١) فَلَهُ [مِنْ رَسُولِ اللَّهِ] ^(١) الْوَفَاءُ بِالْعَهْدِ وَالذِّمَّةُ ، وَمَنْ أَبَى
فَعَلَيْهِ الرَّبْوَةُ .

وهذا الكتاب مما يحتاج إلى شرح غريبه ليفهم . « فالوظيفة » النصاب في الزكاة وأصله
الشيء الراتب . « والفريضة » الهزيمة المسنة ، والمراد أنها لا تؤخذ منهم في الزكاة
بل تكون لهم . « والفريش » بالفاء والشين المعجمة ما أنبسط من النبات وفرش
على وجه الأرض ولم يقم على ساق ، وقد يطلق على الفرس إذا حمل عليها بعد النتاج
أيضا . « وذوالعنان الركوب » الفرس الذلول ، « والفلقو » المهر الصغير وقيل الفطيم
من جميع أولاد الحافر . « والضيس » بالضاد المعجمة والباء الموحدة والسين المهملة
العسر الصعب الذي لم يرض . « والسرح » السارحة وهي المواشي ، والمعنى أنها لا تمنع
من المرعى . والعصد القطع . والطلع شجر عظام من شجر العضاة . والدر اللبن ،
والمراد ذوات الدر من المواشي ، أراد أنها لا تحشر إلى المصدق وتمنع المرعى إلى أن
تجتمع الماشية ثم تعد لما في ذلك من الإضرار . و « الإماق » تخفف ، من أماق الرجل
إذا صار ذامقة وهي الحمية والأنفة ، وقيل مأخوذ من الموق وهو الحلق ، والمراد
إضممار النكت والغدر أو إضممار الكفر . و « الرباق » بالراء المهملة والباء الموحدة
والقاف جمع ربقة ، وهي في الأصل اسم لعروة تجعل في الحبل وتكون في عنق
البيمة أو يدها تمسكها ، والمراد هنا نقض العهد وأستعار الأكل لذلك ، لأن البيمة
إذا أكلت الربقة خلصت من الشدة . و « الربوة » بكسر الراء الزيادة ، والمراد هنا الزيادة
في الفريضة الواجبة عليه كالعقوبة له .

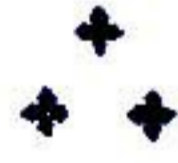
(١) الزيادة من « المثل السائر » . رواية « الشفا » كما في الأصل .



ومن ذلك كتابه صلى الله عليه وسلم إلى أكيدر دومة فيما ذكره أبو عبيدة، وهو :
 ” من محمد رسول الله لا أكيدر دومة حين أجاب إلى الإسلام ، وخلع الأنداد
 والأصنام ، مع خالد بن الوليد سيف الله في دومة الجندل وأكافها : إن لنا الضاحية
 من الضحل والبور والمعامي وأغفال الأرض والحلقة والسلاح والحافر والحصن .
 ولكم الضامنة من النخل ، والمعين من المعمور ، لا تعدل سارحتكم ، ولا تعد فاردتكم ،
 ولا يحظر عليكم النبات ، تقيمون الصلاة لوقتها ، وتؤتون الزكاة بحقها ، عليكم بذلك
 عهد الله والميثاق “ .

وهذا الكتاب أيضا مما يحتاج إلى معرفة غريبه : فالأنداد جمع نداء بكسر النون
 وهو ضد الشيء الذي يخالفه في أموره ، ويناديه أي يخالفه ، والمراد ما كانوا يتخذونه
 آلهة من دون الله تعالى . والأصنام جمع صنم : وهو ما اتخذ إلهًا من دون الله ، وقيل :
 ما كان له جسم أو صورة ، فإن لم يكن له جسم ولا صورة فهو وثن . والأكاف
 بالنون جمع كنف بالتحريك وهو الجانب والناحية . والضاحية بالضاد المعجمة والحاء
 المهملة الناحية البارزة التي لاحائل دونها ، والمراد هنا أطراف الأرض ، والضحل
 بفتح الضاد المعجمة وسكون الحاء المهملة القليل من الماء ، وقيل الماء القريب
 من المكان ، وبالتحريك مكان الضحل . والبور الأرض التي لم تزرع ، وهو بالفتح
 مصدر وصف به ، وبالضم جمع بوار : وهو الأرض الخراب التي لم تزرع . والمعامي
 المجهولة من الأرض التي ليس فيها أثر عمارة ، واحدها معمي . وأغفال الأرض
 بالغين المعجمة والفاء الأرض التي ليس فيها أثر يعرف كأنها مفعول عنها . والحلقة
 بسكون اللام السلاح عامًا ، وقيل الدروع خاصًا ، والسلاح ما أعد للحرب من آلة

الحديد مما يُقاتل به ، والسيف وحده يسمى سلاحا . والضامنة من النخل بالضاد المعجمة والنون ما كان داخلا في العِمارة من النخيل وتضمته أمصارهم وقُراهم ، وقيل سميت ضامنة لأن أربابها ضمّوا عمارتها وحفظها ، فهي ذات ضَمَانٍ كعِيشة راضية بمعنى ذاتِ رِضًا . والمعِين من المعمور الماء الذي ينبع من العين في العاصر من الأرض . وقوله : لا تُعدّل سارحتكم بالذال المعجمة ، أي لا تُصرف ما شيتكم وتمأل عن الرغى ولا تمنع . وقوله : ولا تُعدّ فاردتكم أي لا تُضمّ إلى غيرها وتُحشّر إلى الصدقة حتى تعدّ مع غيرها وتحسب . والفاردة الزائدة على الفريضة . وقوله : ولا يُحظر عليكم النبات بالطاء المعجمة ، أي لا تُمنعون من الزرع والمرعى حيث شتم ، والحظر المنع .



ومن ذلك كتابه صلى الله عليه وسلم إلى وائل بن حجر وأهل حضر موت ، وهو :
 ”من مجد رسول الله إلى الأقبال العباهلة من أهل حضر موت ، بإقامة الصلاة ، وإيتاء الزكاة . على التبعة الشاة ، والتيمة لصاحبها ، وفي السيوب الخمس ، لا خلّاط ولا وراط ولا سناق ولا شغار ، ومن أجبي فقد أربى ، وكلُّ مسكرٍ حرامٌ“ .
 وذكر القاضى عياضٌ في ”الشفاء“ أن كتابه لهم : « إلى الأقبال العباهلة ، والأزواع المشايب . وفي التبعة شاة ، لا مقورة الألياط ، ولا ضناك ، وأنطوا التبعة ، وفي السيوب الخمس ، ومن زنى مم بكر فاصقعه مائة وأستوفضوه عاما ، ومن زنى مم تيب فضرجه بالأضاميم ، ولا توصيم في الدين ، ولا عمّة في فرائض الله تعالى ، وكلُّ مسكرٍ حرامٌ ، ووائل بن حجر يترقل على الأقبال » .

(١) صوابه بالذال المهملة كما يفيد المعنى وقد أورده صاحب اللسان ج ١٣ - في مادة ع دل بالذال المهملة فانظره .

وهذا الكتاب في معنى ما تقدم من الاحتياج إلى شرح غريبه . الأقبال بالقاف والياء المشناة تحت جمع قَيْل : وهو الملك . والعبادة الذين أقرؤا على ملكهم لا يزالون عنه ، وحضرموت بلدة في اليمن في أفصاها ، وقيل هي أحد نخالينها . والتبعة بالمشناة من فوق ثم المشناة من تحت والعين المهملة أسم لأدنى ما تجب فيه الزكاة من الحيوان : كالتمس من الإبل والأربعين من الغنم . قال ابن الأثير : وكأنها الجملة التي للسعاة عايبا سبيل من تاع يتبع إذا ذهب إليه . والتبعة بالكسر الشاة الزائدة على الأربعين حتى تبلغ الفريضة الأثرى ، وقيل هي الشاة التي تكون لصاحبها في منزله يحلبها وليست بسائمة ، وهي بمعنى الداجن . والسُّيُوب الرِّكَّاز أخذ من السَّيْب وهو العطاء ، قاله أبو عبيدة ، وقيل هي سمى سمروق الذهب والفضة التي تسيب في المعدن بمعنى تتلون وتطهر . وقال الزمخشري : هي جمع سَيْب ، يريد به المال المدفون في الجاهلية أو المعدن لأنه من فضل الله تعالى لمن أصابه . والخلاط بالكسر مصدر خالط ، يقال : خالطه يخالطه خلاطا وخالطة ، والمراد أن يخالط الرجل إبله بإبل غيره أو بقره أو غنمه لينزع حنق الله تعالى منها ، ويعسر المصدق فيما يجب له . والوراط بالكسر أيضا أن تجعل الغنم في وهدة من الأرض لتخفوا على المصدق ، ماخوذ [من الورطة] وهي الهقة من الأرض . والشناق بكسر الشين المشاركة في الشنق بفتح النون : وهو ما بين الفريضتين من كل ما تجب فيه الزكاة ، وهو ما زاد من الإبل على الخمس إلى التسع ، وما زاد على العشر إلى أربع عشرة ، والمراد أن لا تؤخذ الزيادة على الفريضة . قال ابن الأثير : ويجوز أن يكون معناه المشاركة في الشنق والشنقين ، وهو بمعنى الخلاط المتقدم ذكره . لكن جملة على الأول أولى ، لتعدد المعنى . والشغار بكسر الشين وبالغين المعجمة نكاح معروف في الجاهلية ، وهو أن يزوج الرجل أبنته أو أخته على أن يزوجه بنته أو أخته ، ويكون بضع كل

منها صدقاً للأخرى . والأدواع جمع راع : وهم الحسان الوجوه من الناس .
 وقيل : الذين يروعون الناس أي يفزعونهم بشدة الهيبة . قال ابن الأثير : والأقل
 أوجه . وقوله : ومن أجبي هو بالحيم والباء الموحدة : وهو بيع الزرع قبل بدو
 صلاحه . وقيل هو أن يغيب إبرة عن المصدق أخذاً من أجباته إذا واريته .
 وقيل هو أن يبيع من الرجل ساعةً فإن معلوم إذا أجل معلوم ثم يشتريها منه بالنقد
 بأقل من الثمن الذي باعها به ، ومعنى الربى وقع في الربا . والمشايب السادة الرؤس
 الزهر الألوان الحسان المناظر واحدها مشبوب . والمقورة الألباط المسترخية
 الجلود لهزاتها والأقورار الأسترخاء في الجريد . والألباط جمع ليط : وهو قشر العود ،
 شبه به الجراد لالتزاقه باللحم . والذئب الكسر الكثير اللحم ، ويقال الذكر والأثني
 فيه سواء ، والمراد أنه لا تؤخذ المفردة في السن كما لا تؤخذ الهزيلة . وقوله :
 وأنظوا هو بلفظة أهل اليمن بمعنى أعلوا ، خاطبهم صلى الله عليه وسلم بانتمهم . والشبجة
 بشاء مثناة بعدها باء موحدة ثم جيم هي بياض من المال التي ليست من خياره
 ولأردائه ، أخذاً من شجة الناقة وهو ما بين الكاهل إلى الظهر . وقوله ثم بكر جرى
 فيه على لغة أهل اليمن حيث يُبدلون لام التعريف ميما . قال ابن الأثير : وعلى هذا
 فتكون راء بكر مكسوة من غير تنوين لأذ أصله من البكر ، فلما أبدلت الألف واللام
 ميما بقيت الحركة بهاها ، ويكون قد آست مل النكر موضع الأبيكار . قال : والأشبه
 أن تكون بكر متوزنة ، وقد أبدلت نون من ياء ، لأن النون الساكنة إذا كان بعدها باء
 قلبت في اللفظ ميما نحو عنبر ومبر ، وقد كون التقدير ومن زنى من بكر . وقوله
 فاستعوه هو بالصاد المهملة والقاف أي أضربوه ، وأصل الصقع الضرب على الرأس ،
 وقيل الضرب بيطن الكف . وقوله : واستوفضوه هو بالفاء والضاد المعجمة أي
 أنفود ، أخذاً من قولهم : استوفضت الإبل إذا تفرقت [في رعيتها] وقوله : فصرجوه -

بالضاد المعجمة والجيم أى أَدْمُوهُ بالضرب، ويطلق الضرج على الشق أيضا .
والأضاميم بالضاد المعجمة الحجارة واحدا إضمامة، والمراد أَرْجُمُوهُ بالحجارة . والتوصيم
بالصاد المهملة الفثرة والتوانى، أى لَاتَفْتَرُوا فى إقامة الحدود ولا تَتَوَانُوا فيها . وقوله :
ولأُعْمَةِ فى فرائض الله - أصل العمة الستر، أى لَأُسْتَرُ فرائضُ الله ولا تُخْفَى،
بل تُظَهَّر وَيُجَهَّرُ بها وتُعلن . وقوله : يَتَرَفَّل - أى يَسُودُ وَيَتَرَأَسُ ، استعارة من
تَرَفِيل الثوب وهو إسباغُه وإرساله ، والأقبال الملوك وقد تقدم الكلامُ عليه .

الأسلوب الثانى

(أن تفتح المكاتبه بلفظ « هذا كتاب » ويذكر المقصد فيما بعد،

وهو قليل الوقوع فى المكاتب)

ومن ذلك كتابه صلى الله عليه وسلم لقبيلة همدان من اليمن ، فيما ذكره ابن هشام
وهو: "هذا كتاب من محمد رسول الله لمخلاف، خاريف وأهل جناب الهضب وحقاف
الرميل ، مع وافدها ذى المشعار،^(١) لمالك^(٢) بن نمط ولمن أسلم من قومه، على أن لهم
فِرَاعَهَا وِوَهَاطَهَا [وعزازها] ما أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة، يا كلون علافها، ويرعون
عافيتها، لكم بذلك عهد الله وذيماؤ رسوله ، وشاهدكم المهاجرون والأنصار" .

وذكر القاضى عياض فى "الشفاء" أن فى كتابه إليهم : "إن لكم فِرَاعَهَا وِوَهَاطَهَا
وعزازها، تا كلون علافها وترعون عفاءها،^(٣) لنا من دفتهم وصرامهم ما سلموا بالميثاق

(١) كذا فى الامهات اللغوية أيضا وفى شرح الزرقانى على المواهب ج ٤ ص ٣٩ أنه ذوالمشعار

بالمعجمتين أو المهملتين .

(٢) فى المواهب مالك بدون لام الجر وأعربه النارج بدلا مما قبله .

(٣) ضبطه صاحب اللسان بالقصر وضبطه الزرقانى وملا على قارى بالمد .

والأمانة، ولهم من الصدقة الثلب والناب والفصيل والفارض والداجن والكبش الحورى، وعليهم فيها الصالغ والقارح^(١).

وهذا من نسبة ما تقدم مما يحتاج إلى شرح غريبه : فالفراع بالكسر جمع فرعة^(١)، وهو ما ارتفع من الأرض . والوهاط جمع وهطسة : وهى ما أطمأن من الأرض ؛ والعلاف بالكسر - جمع علف بكبل وجبال، والمراد ما تعتلفه الدواب من نبات الأرض ؛ والغزاز - ما صلّب من الأرض وأشدّ وحشش، ويكون ذلك فى أطرافها ؛ والعماء العافى - وهو ما ليس لأحد فيه ملك ، من قولهم : عفا الأثر إذا درس ، والدفع - نتاج الإبل وما يُنتفع به منها ، سُمى دِنًا لأنه يُتخذ من أوبارها ما يُستدفاً به ، والمراد هنا الإبل والغنم . والصرام - النخل ، وأصله قطع الثمرة ؛ والثلب من ذكور الإبل - الذى هريم وتكسرت أسنانه . والناب - المسنة من إناثها . والفصيل من أولاد الإبل - الذى فصل عن أمه من الرضاع . والفارض - المسن من الإبل ، والمراد أنه لا يُؤخذ منهم فى الزكاة . والداجن - الشاة التى يعلفها الناس فى منازلهم ؛ والكبش الحورى منسوب إلى الحور وهى جلود تُتخذ من جلود الضأن . وقيل : هو ما دُبغ من الجلود بغير القرظ . والصالغ بالصاد المهملة والغين المعجمة : وهو من البقر والغنم الذى كمل وأتتهى ، ويكون ذلك فى السنة السادسة ، ويقال : بالسنين بدل الصاد . والقارح الفرس الذى دخل فى السنة الخامسة .

(١) فى الأصول بالفتح وهو سبق قلم .

الأسلوب الثالث

(أن تفتتح المكاتبة بلفظ « سَلِّمْ أَنْتَ »)

فمن ذلك كتابه صلى الله عليه وسلم إلى المنذر بن ساوى . وهو فيما ذكره أبو عبيد
في « كتاب الأموال » : « سَلِّمْ أَنْتَ ، فَإِنِّي أَحْمَدُ إِلَيْكَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ .
أَمَّا بَعْدُ ، فَإِنَّ مَنْ صَلَّى صَلَاتَنَا وَأَسْتَقْبَلَ قِبَلَتَنَا وَأَكَلَ ذَيْحَتَنَا ، فَذَلِكَ الْمُسْلِمُ
لَهُ ذِمَّةُ اللَّهِ وَذِمَّةُ الرَّسُولِ ؛ فَمَنْ أَحَبَّ ذَلِكَ مِنَ الْجُوسِ فَإِنَّهُ آمِنٌ ، وَمَنْ أَبَى فَإِنَّ
عَلَيْهِ الْجَزِيَّةَ » .

الطرف الثالث

(في كُتُبِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى أَهْلِ الْكُفْرِ لِلدَّعَايَةِ إِلَى الْإِسْلَامِ ،
وهو على ثلاثة أساليب)

الأسلوب الأول

(أن يُفْتَتِحَ الْكِتَابُ بِلَفْظِ « مِنْ مَجْدِ رَسُولِ اللَّهِ إِلَى فُلَانٍ »)

كما في الأسلوب الأول من كُتُبِهِ إِلَى أَهْلِ الْإِسْلَامِ)

فمن ذلك كتابه صلى الله عليه وسلم إلى هِرَقْلَ : وهو قِصْرٌ ، وقيل
نائبه بالشام .

وهو على ما ثبت في الصحيحين . « مِنْ مَجْدِ رَسُولِ اللَّهِ إِلَى هِرَقْلَ عَظِيمِ الرُّومِ ،
سَلَامٌ عَلَى مَنْ اتَّبَعَ الْهُدَى » .

أما بعد، فإنني أدعوك بدعاية الإسلام، أسلم تسلم، أسلم يؤتكَ اللهُ أجرَكَ مرتين، فإن توليت فإن عليك إثم الأريسيين، ويأهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم إلا نعبد إلا الله ولا نُشرك به شيئاً ولا يتخذ بعضنا بعضاً أرباباً من دون الله فإن تولوا فقولوا أشهدوا بأننا مسلمون .

وذكر أبو عبيد في "كتاب الأموال" : أن كتابه صلى الله عليه وسلم إلى هيرقل كان فيه .

"من محمد رسول الله إلى صاحب الروم، إني أدعوك إلى الإسلام: فإن أسلمت فلك ما للمسلمين وعليك ما عليهم، وإن لم تدخل في الإسلام فأعط الجزية، فإن الله تعالى يقول: قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله ولا يدينون دين الحق من الذين أوتوا الكتاب حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون وإلا فلا تحل بين الفلاحين وبين الإسلام أن يدخلوا فيه أو يعطوا الجزية".

قال أبو عبيد: وأراد بالفلاحين أهل مملكته، لأن العجم عند العرب كلهم فلاحون لأنهم أهل زرع وحرث .

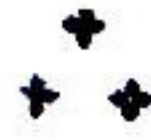
وفي مسند البزار أنه صلى الله عليه وسلم كتب إليه: « من محمد رسول الله إلى قيصر صاحب الروم » .



ومن ذلك كتابه صلى الله عليه وسلم إلى كسرى أبرويز^(١): ملك الفرس فيما ذكره ابن الجوزي، وهو:

(١) بفتح الواو وكسرهما ويقال له أبرواز ومعناه بالعربية المظفر - اه الزرقاني على المواهب ج ٣ ص ٣٨٩ .

” من عهد رسول الله إلى كسرى عظيم فارس .
سلام على من أتبع الهدى وآمن بالله ورسوله ، وأدعوك بدعاية الله عز وجل
فإني أنا رسول الله إلى الناس كافة ، لأنذر من كان حياً ويحق القول على الكافرين ،
وأسلم تسلم فإن توليت فإن إثم المجوس عليك “ .



ومن ذلك كتابه صلى الله عليه وسلم إلى المقوقس صاحب مصر . وهو فيما ذكره
أبن عبد الحكم .

(١)

” من عهد رسول الله إلى المقوقس عظيم القبط ، سلام على من أتبع الهدى .
أما بعد ، فإني أدعوك بدعاية الإسلام ، فأسلم تسلم ، وأسلم يؤتك الله أجرك
مرتين ، فإن توليت فعليك إثم القبط . يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا
وبينكم ألا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئاً ولا يتخذ بعضنا بعضاً أرباباً من دون الله
فإن تولوا فقولوا أشهدوا بأنا مسلمون “ .

وذكر الواقدي أن كتابه إليه كان بخط أبي بكر الصديق رضي الله عنه ، وأن فيه

” من عهد رسول الله إلى صاحب مصر .

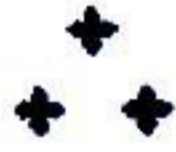
أما بعد ، فإن الله أرسلني رسولا وأنزل عليّ قرآنا ، وأمرني بالإعذار والإنذار
ومقاتلة الكفار حتى يدينوا يديني ويدخل الناس في مليتي ، وقد دعوتك إلى الإقرار
بوحدينته ، فإن فعلت سعدت ، وإن أبيت شقيت ، والسلام “ .

(١) اسمه بريح بن مينا بن قرقوب كما ذكره الزرقاني على المواهب ج ٣ ص ٣٩٧ .



ومن ذلك كتابه صلى الله عليه وسلم إلى النجاشي: مَلِكِ الْحَبَشَةِ . وهو فيما ذكره
أبن إسحاق :

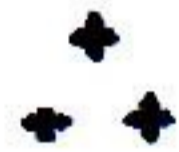
” من محمد رسول الله إلى النجاشي مَلِكِ الْحَبَشَةِ ، إني أحمدُ إليك الله الملك
القدوس السلام المؤمن المهيمَن ، وأشهدُ أن عيسى ابنُ مريمَ البتولِ الطيبةِ الحَصِينَةِ ،
حملته من روحه ونفخه ، كما خلق آدمَ بيده . وإني أدعوك إلى الله وحده لا شريكَ له ،
وأن تتبني وتؤمن بالذي جاءني ، فإني رسولُ الله ، وإني أدعوك وجنودك إلى الله
عز وجل ، وقد بلغتُ ونصحتُ ، فاقبلوا نصحي . وقد بعثتُ إليكم ابنَ عمي جعفرًا
ومعه نفرٌ من المسلمين ، والسلامُ على من أتبع الهدى“ .



ومن ذلك كتابه صلى الله عليه وسلم إلى هُوذة^(١) بن علي : صاحب اليمامة ، وكان
نصرانياً . وهو فيما ذكره السهيلي .

” من محمد رسول الله إلى هُوذة بن علي .

سلامٌ على من أتبع الهدى . وأعلمُ أن ديني سيظهرُ إلى منتهى الخلف والحافر ،
فأسلم تسلم ، وأجعل لك ماتحت يديك“ .



ومن ذلك كتابه صلى الله عليه وسلم إلى نصارى نجران . وهو فيما ذكره صاحب
” الهدى المحمدي“ .

(١) هو بفتح الهاء كما في الصحاح ونقل الدميري ضمها والواو ساكنة على كل حال .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ، إِلَهَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ .

أما بعد ، فَإِنِّي أَدْعُوكُمْ إِلَى عِبَادَةِ اللَّهِ مِنْ عِبَادَةِ الْعِبَادِ ، وَأَدْعُوكُمْ إِلَى وِلَايَةِ اللَّهِ ^(١) مِنْ وِلَايَةِ الْعِبَادِ ، فَإِنِ أَيْتُمُ فَالْجُزْيَةَ ، فَإِنِ أَيْتُمُ فَقَدْ آذَنْتُمْ بِحَرْبِ الْإِسْلَامِ .

وَمِنْ ذَلِكَ كِتَابُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى جَعْفَرِ وَعَبْدِ أَبِي الْإِمْلَادِي مَلِكِ عُثْمَانَ .

وهو : « مِنْ عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ إِلَى جَعْفَرِ وَعَبْدِ أَبِي الْجَلَنْدِيِّ ، سَلَامٌ عَلَى مَنْ تَبَعَ

الهدى .

أما بعد ، فَإِنِّي أَدْعُوكُمْ بِدِعَايَةِ الْإِسْلَامِ ، أَسْلِمًا تَسْلِمًا ، فَإِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَى النَّاسِ كَاثَرَةً لِأَنْذَرُ مَنْ كَانَ حَبًا وَيَحِقُّ الْقَوْلُ عَلَى الْكَافِرِينَ ، وَإِنَّكَ إِنِ أَقْرَبْتُمْ بِالْإِسْلَامِ وَلَيْتَكُمْ ، وَإِنِ أَيْتُمًا أَنْ تُقْرَأَ بِالْإِسْلَامِ فَإِنَّ مُذَكِّمًا زَائِلٌ عَنْكُمْ ، وَخَيْلٌ تَدْرُسُ بِأَسْبَابِكُمْ ، وَأَنْظَهُرُ نَبِيَّتِي فِي مُبْحِكِكُمْ . وَكُتِبَ أَبِي بِنُ كَعْبٍ » .

وفي رواية ذكرها أبو عبيد في " كتاب الأموال " أنه كتب إليهما .

" مِنْ عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ لِعِبَادِ اللَّهِ أَسِيدِ بْنِ مَلِكِ عُثْمَانَ ، وَأَسِيدِ عُثْمَانَ : مَنْ كَانَ مِنْهُمْ بِالْبَحْرَيْنِ ، إِنَّهُمْ إِنْ آمَنُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوْا الزَّكَاةَ وَأَطَاعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَأَعْطَوْا حَقَّ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَتَسَكَّوْا نُسُكَ الْمُسْلِمِينَ ، فَإِنَّهُمْ آسُونَ ، وَإِنْ لَمْ يَأْسَلُوا عَلَيْهِ ، غَيْرَ أَنَّ مَالَ بَيْتِ الدَّارِ ثِنْيًا لِلَّهِ وَرَسُولِهِ ، وَإِنَّ عُشُورَ النَّخْلِ صَدَقَةٌ ، وَنِصْفَ عُشُورِ الْحَبِّ ، وَإِنَّ لِلْمُسْلِمِينَ نَصْرَهُمْ وَنَصَحَتَهُمْ ، وَإِنَّ لَكُمْ عَلَى الْمُسْلِمِينَ مِثْلَ ذَلِكَ ، وَإِنَّ لَكُمْ أَرْحَاءَ يَطَّيْحُونَ بِهَا " .

(١) كذا في الاصول وفي "مفتاح الأفكار" بحرب والسلام .

قال أبو عبيد : وبعضهم يرويه لعباد الله الأسبين اسماً اجمياً نسبهم إليه .
قال : وإنما سُموا بذلك لأنهم نُسبوا إلى عبادة فرس ، وهو بالفارسية أسب فنُسبوا
إليه ، وهم قومٌ من الفُرس وفي رواية من العرب .



ومن ذلك كتابه صلى الله عليه وسلم إلى مُسيمة الكذاب في جواب كتابه إليه
صلى الله عليه وسلم : أنه إن جعل له الأمر بعده آمن به .

وهو : « من شهد رسول الله إلى مُسيمة الكذاب : السلام على من أتبع الهدى
أما بعد ، فإن الأرض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين .

الأسلوب الثاني

(أن يُتبع التثنية بنظ « أما بعد » وهو أقل وقوعاً مما قبله)

فإن ذلك يشابه صلى الله عليه وسلم إلى أهل بصرى ، ودينهم النصرانية .

وهو فيما ذكره ابن الجوزي .

« بسم الله الرحمن الرحيم ، إليه إبراهيم وإسحاق ويعقوب .

أما بعد : فإني أدعوكم إلى عبادة الله من عبادة العباد ، وأدعوكم إلى ولاية الله
من ولاية العباد ، فإن أبيتم فالجزية ، فإن أبيتم فقد آذنتكم بحرب الإسلام .^(١)

(١) كذا في الأصول والمناقب لما تقدم له في اختتام الكتب ما في "مفتاح الأفكار" وهي "بحر

والسلام" .

الأسلوب الثالث

(أن يُفتح الكتاب بلفظ « هذا كتاب »)

فمن ذلك كتابه صلى الله عليه وسلم مع رِفاعَةَ بنِ زيدٍ إلى قومه . وهو فيما ذكره ابن إسحاق .

« هذا كتاب من محمد رسول الله لِرِفاعَةَ بنِ زيدٍ ، إني بعثته إلى قومي عامةً ومن دخل فيهم ، يدعُوهُم إلى الله وإلى رسوله ، فمن أقبل منهم فبي حزبي الله وحزب رسوله ، ومن أدبر فله أمان شهرين » .

قلت : وقد كتب صلى الله عليه وسلم إلى جماعة غير من تقدم ، لم أقف على صورة ما كتب إليهم ، بكبلة بن الأيهم الغساني ، وذو الكلاع الحميري وغيرهم ، وستاتي كتبه صلى الله عليه وسلم في معنى الولايات والإقطاعات والمهدن والأمانات في مواضعها إن شاء الله تعالى .

الفصل الثاني

من الباب الثاني من المقالة الرابعة

(في الكُتُب الصادرة عن الخلفاء ، وهي على قسمين)

القسم الأول

(المكاتباتُ إلى أهل الإسلام ، وفيه تسعة أطراف)

الطرف الأول

(في الكُتُب الصادرة عن الخلفاء من الصحابة رضی الله عنهم ، وفيه جملتان)

الجملة الأولى

(في المكاتبات الصادرة عن أبي بكر الصديق رضی الله عنه)

وكانت تُفتح بلفظ: « من أبي بكر خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى فلان »
وباقى الكتاب من نسبة كُتُب النبي صلى الله عليه وسلم من التصدير بالسَّلام
والتَّحْمِيد ، والتَّخْلُصُ بآما بعد ، والاختتام بالسَّلام وما يجرى هذا المجرى ، مع لزوم
الخطاب بالكاف وتاء المخاطب للواحد ، وبالثنائية للثنتين ، والجمع للجماعة . وعنوانها
« من أبي بكر خليفة رسول الله » في الجانب الأيمن ثم « إلى فلان الفلاني »
في الجانب الأيسر على ما يقتضيه الترتيب المتقدم .

وهذه نسخة كتابه رضی الله عنه إلى أهل الردة حين ارتدوا عن الإسلام بعد
وفاة النبي صلى الله عليه وسلم .

وهو على ما ذكره صاحب "نهاية الأرب"

"من أبي بكر خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى من بلغه كتابي هذا من عامة وخاصة ، أقام على الإسلام أو رجع عنه :

سلام على من أتبع الهدى ، ولم يرجع بعد الهدى إلى الضلالة والعمى ، فإنني أحمد إليكم الله الذي لا إله إلا هو ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمدا عبده ورسوله ، وأقرب ما جاء به [وأكفر من أبي وأجاهده] .

أما بعد ، فإن الله أرسل محمدا بالحق من عنده إلى خلقه بشيرا ونذيرا ، وداعيا إلى الله بإذنه وسراجا منيرا ، لينذر من كان حيا ويحق القول على الكافرين ، يهدي الله للحق من أجاب إليه ، وضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم بإذنه من أدبر عنه حتى صار إلى الإسلام طوعا وكرها ، ثم توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقد نفذ لأمر الله ، ونصح لأُمَّته ، وقضى الذي عليه ، وكان الله قد بين له ذلك ولأهل الإسلام في الكتاب الذي أنزله ، فقال : ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ﴾ وقال : ﴿وَمَا جَعَلْنَا لِبَشِيرٍ مِنْ قَبْلِكَ الْخُلْدَ أَفَإِنْ مِتَّ فَهُمْ الْخَالِدُونَ﴾ وقال للمؤمنين : ﴿وَمَا جَعَلْنَا لِرَسُولٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ آتَّخَذْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَىٰ عَقْبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ﴾ فمن كان يعبد محمدا فإن محمدا قد مات ، ومن كان يعبد الله وحده لا شريك له فإن الله بالمرصاد ، حتى قيوم لا يموت ولا تأخذه سنة ولا نوم ، حافظ لأمره ، منتقم من عدوه بحزبه ، وإني أوصيكم بتقوى الله وحفظكم ونصيبيكم من الله ، وما جاء به نبيكم ، وأن تهتدوا بهديه ، وأن تعتصموا بدين الله ، فإن من لم يهد الله ضل ، وكل من لم يعافه مبتلى ، وكل من لم ينصره مخذول .

فَمَنْ هَدَاهُ اللَّهُ كَانَ مُهْتَدِيًّا ، وَمَنْ أَضَلَّهُ كَانَ ضَالًّا : ﴿مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَنْ يُضِلِّ فَلَنْ تَجِدَهُ لِيًّا مَرْشِدًا﴾ ولم يُقْبَلْ منه في الدنيا عملٌ حتى يُقَرَّبَ به ، ولم يُقْبَلْ له في الآخرة صَرْفٌ ولا عدلٌ .

وقد بلغني رجوعٌ من رجوع منكم عن دينه بعد أن أقرب بالإسلام وعمل به ، أغتراراً بالله وجهالةً بأمره ، وإجابةً للشيطان ، وقال الله جل ثناؤه : ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِي وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلًا﴾ . وقال جل ذكره : ﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا إِنَّمَا يَدْعُو حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾ وإني أنفذت إليكم فلاناً في جيش من المهاجرين والأنصار والتابعين بإحسان ، وأمرته أن لا يُقاتل أحداً ولا يقتله حتى يدعوه إلى داعية الله ، فمن استجاب له وأقر وكف وعمل صالحاً ، قبل منه وأعانته عليه ، ومن أبى أمرته أن يُقاتله على ذلك ، ولا يُبقي على أحد منهم قدر عليه ، وأن يحرقهم بالنيران ، ويقتلهم كل قتيلاً ، ويسبي النساء والذراري ، ولا يقبل من أحد إلا الإسلام ، فمن آمن فهو خير له ، ومن تركه فلن يعجز الله . وقد أمرت رسولي أن يقرأ كتابي في كل مجمع لكم ، والداعية الأذان ، فإن أذن المسلمون فاذنوا ، كفوا عنهم ، وإن لم يؤذنوا [عاجلوهم ، وإن أذنوا] ^(٢) سلوهم ما عليهم ، فإن أبوا عاجلوهم ، وإن أقرؤا قبل منهم وحملهم على ما ينبغي لهم .

(١) في العبريقية ج ٢ ص ٧٠ وتاريخ الطبري ج ٣ ص ٢٢٦ "فمن اتبعه" .

(٢) الزيادة من رواية الطبري ج ٣ ص ٢٢٦ .

الجملة الثانية

(في المكاتبات الصادرة عن بقية الخلفاء من الصحابة رضوان الله عليهم)

وهي على أسلوبين :

الأسلوب الأول

(أن يُفْتَحَ الكِتَابُ بلفظ « من فلان إلى فلان »)

يقال إن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه لما صارت الخلافة إليه بعد أبي بكر، كان يكتب في كتبه : « من عمر بن الخطاب خليفة خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى فلان » فلما نلَّقَ بأمر المؤمنين على ما تقدم في المقالة الثالثة، أثبت هذا اللَّقْبَ في كتبه، وزاد في آبدائها لفظ « عبد الله » قبل اسمه، ليكون اسمه نعتاً له^(١)، فكان يكتب : « من عبد الله عمر بن الخطاب أمير المؤمنين إلى فلان » وبقى الكتاب على ما مرَّ في كُتُبِ النبي صلى الله عليه وسلم والصدِّيق بعده في التصدير والتعبير عن نفسه بلفظ الإفراد، مثل أنا ولي وعلى، وعن المكتوب له بكاف الخطاب : مثل لك وعليك، وتاء المخاطب : مثل قلت وفعلت، وتبعه الخلفاء على ذلك . وعنوانها « من عبد الله فلان أمير المؤمنين » في الجانب الأيمن، ثم « إلى فلان الفلاني » في الجانب الأيسر كما تقدم ترتيبه .

فمن ذلك ما كتب به أمير المؤمنين عمر رضي الله عنه إلى عمرو بن العاص وهو يومئذ أمير مصر، وهو :

(١) منه " عبد "

« من عبد الله عمر أمير المؤمنين إلى عمرو بن العاص : سلامٌ عليك .
 أما بعد ، فقد بلغني أنه فشت لك فاشيةً من خيل وإبل وبقرٍ وعبيد ، وعهدى
 بك قبل ذلك ولا مال لك ، فاكُتِبَ إلى من أين أصلُ هذا المالِ » .



ومن ذلك ما كتب به معاوية بن أبي سفيان في خلافته إلى ابنه يزيد ، وقد
 بلغه مقارفته اللذات ، وأنهما كهُ على الشهوات ، وهو :

« من معاوية بن أبي سفيان أمير المؤمنين إلى يزيد بن معاوية .

أما بعد ، فقد أدت ألسنة التصريح إلى أذن العناية بك ما جَعَّ الأمل فيك ،
 وباعد الرجاء منك إذ ملأت العيون بهجةً ، وأقلوب هيبةً ، وترامت إليك آمالُ
 الراغبين ، وهم المتنافسين ، وشحَّت بك فتیان قريش وكهول أهلك ، فما يسوغ لهم
 ذكرك إلا على الجرة المهوَّعة ، والكظ الحشء . اقتحمت البوائق ، وانقدت للمعاير ،
 واعتضتها من سمو الفضل ، ورفيع القدر ؛ فليتك يزيد إذ كنت لم تكن . سررت يافعاً
 ناشئاً ! وأنكلت كهلاً ضالماً ، فواحرزناه عليك يزيد ! وياحرصدر المثلِك بك !
 ما أشمت فتیان بنى هاشم ! وأذل فتیان بنى عبد شمس ! عند تفاوض المفاخر ودراسة
 المناقب ! فمن لصلاح ما أفسدت ، ورتق ما فتقت ؟ هيات نحشت الدربة وجه
 التصبر بك ، وأبت الجناية إلا تحدرًا على الألسن ، وحلاوة على المناطق ، ما أربح
 فائدة نالوها ، وفرصة أنتهزوها ! يا أنبه يزيد للفظه ، وشاور الفكره ، ولا تكن إلى
 سمعك أسرع من معناها إلى عقلك . وأعلم أن الذى وطأك وسوسة الشيطان ،
 وزخرفة السلطان ، مما حسن عندك قبَّحه ، وأخلوى عندك مُرَّه ، أمرٌ شرَّك فيه

السَّوَادُ وَنَافِسُكَ الْأَعْبُدُ، لِأَثَرَةِ تَدْعِيهَا أَوْ جَبَّتْهَا لَكَ الْإِمْرَةُ، وَأَضَعْتَ بِهَا مِنْ قَدْرِكَ، فَأَمَكَنْتَ بِهَا مِنْ نَفْسِكَ؛ فَكَأَنَّكَ شَانِيٌ نَفْسِكَ، فَمِنْ لِهَذَا كَلِمَةُ؟ .

اعْلَمْ يَا زَيْدُ أَنَّكَ طَرِيدُ الْمَوْتِ وَأَسِيرُ الْحَيَاةِ، بَلَّغْنِي أَنَّكَ آتَمَّخَذْتُ الْمَصَانِعَ وَالْمَجَالِسَ لِلْمَلَاهِي وَالْمَزَامِيرِ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيحٍ آيَةً تَعْبَثُونَ وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ﴾ وَأَجْهَرْتَ الْفَاحِشَةَ حَتَّى آتَمَّخَذْتُ سَرِيرَتَهَا عِنْدَكَ جَهْرًا .

اعْلَمْ يَا زَيْدُ أَنَّ أَوَّلَ مَا سَلَبَكَ الشُّكْرَ مَعْرِفَةُ مَوَاطِنِ الشُّكْرِ لِي عَلَى نِعَمِهِ الْمَتَظَاهِرَةِ، وَآلَائِهِ الْمُتَوَاتِرَةِ، وَهِيَ الْجَرْحَةُ الْعُظْمَى، وَالْفَجْعَةُ الْكُبْرَى: تَرُكُ الصَّلَوَاتِ الْمَفْرُوضَاتِ فِي أَوْقَاتِهَا، وَهُوَ مِنْ أَعْظَمِ مَا يَخْدُثُ مِنْ آفَاتِهَا، ثُمَّ آسَتْحَسَانُ الْعُيُوبِ، وَرُكُوبُ الذُّنُوبِ، وَإِظْهَارُ الْعَوْرَةِ، وَإِبَاحَةُ السَّرِّ. فَلَا تَأْمُنْ نَفْسَكَ عَلَى سِرِّكَ، وَلَا تَعْقِدْ عَلَى فِعْلِكَ. فَمَا خَيْرُ لَذِيَّةٍ تُعْقِبُ النَّدَمَ، وَتُعْفَى الْكَرَمَ؟ وَقَدْ تَوَقَّفَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ بَيْنَ شَطْرَيْنِ مِنْ أَمْرِكَ، لَمَّا يَتَوَقَّعُهُ مِنْ غَلْبَةِ الْآفَةِ وَأَسْتِهْلَاكِ الشَّهْوَةِ. فَكُنِ الْحَاكِمَ عَلَى نَفْسِكَ، وَأَجْعَلِ الْمَحْكُومَ عَلَيْهِ ذِهْنَكَ تَرَشُّدًا إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى. وَلِيَبْلُغْ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ مَا يَرِدُ شَارِدًا مِنْ نَوْمِهِ، فَقَدْ أَصْبَحَ نُصَبَ الْأَعْتِرَالِ مِنْ كُلِّ مُؤَانِسٍ، وَدُرَاةً الْأَلْسِنِ الشَّامِتَةِ، وَفَقَّكَ اللَّهُ فَأَحْسَنَ .

الأسلوب الثاني

(أَنْ يُفْتَتَحَ الْكِتَابُ بِلَفْظِ «أَمَّا بَعْدُ»)

وَهُوَ عَلَى مَا تَقَدَّمَ خِلاَ الْإِبْتِدَاءِ وَالتَّصْدِيرِ بِالسَّلَامِ وَالتَّحْمِيدِ، وَيَكُونُ الْإِفْتِتَاحَ فِيهِ بِالْمَقْصِدِ، كَمَا كَتَبَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عُمَانُ بْنُ عَفَّانَ إِلَى عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ كَرَّمَ اللَّهُ وَجْهَهُ حِينَ خَرَجَ إِلَى الْيَنْبُوعِ وَأَخْتَلَفَ النَّاسُ عَلَى عُمَانِ .

(١) لَعَلَّهِ دَرِيئَةٌ وَهِيَ الْحَلْقَةُ الَّتِي يَتَعَلَّمُ عَلَيْهَا الطُّعْنُ .

أما بعدُ، فقد بلغ السيلُ الزَّبِيَّ (١) [وجاوز] الحِزَامُ الطُّبَيِّينَ، وطَمِعَ في كُلِّ من كان يضعف [عن الدفع] عن نفسه، ولم يَغْلِبْكَ مِثْلُ مُغَلَّبٍ، فأقْبِلْ إلى صَدِيقًا كُنْتَ أو عَدُوًّا :

فإن كُنْتُ مَا كُوَلَّا، فكنْ خَيْرًا كَلِي * وإلا فأدْرِكْنِي ولَمَّا أَمَزَّقْ

الطرف الثاني

(في الكُتُبِ الصادرة عن خلفاء بني أمية)

وهي على ما تقدم من الكُتُبِ عن الخلفاء من الصحابة في التصدير والتعبير، إلا أنه يعبر عن الخليفة بأمر المؤمنين، وربما عبر عنه بلفظ الإفراد . مثل : فعلتُ وأفعلُ وما أشبه ذلك ؛ أما الخطاب للمكتوب له فيكاف الخطاب وتاء المخاطب ، مثل : إنك أنتَ قلتَ كذا، وفعلتَ كذا، وما أشبه ذلك . وعنوانها : «من عبد الله فلان أمير المؤمنين» في الجانب الأيمن ، ثم «إلى فلان الفلاني» في الجانب الأيسر . ثم هي على أسلوبين :

الأسلوب الأول

(أن يفتتح الكتاب بلفظ «من عبد الله فلان أمير المؤمنين إلى فلان»)

كما كتب عبد الملك بن مروان إلى الحجاج بن يوسف - وقد بلغه تعرُّضه لأنس ابن مالك رضى الله عنه - «من عبد الله عبد الملك بن مروان أمير المؤمنين إلى الحجاج ابن يوسف

(١) الزيادة عن الضوء .

أما بعدُ، فَإِنَّكَ عَبْدٌ عَلَتْ بِكَ الْأُمُورُ فَطَفَيْتَ، وَعَلَوَتْ فِيهَا حَتَّى جُرْتَ حَدَّ قَدْرِكَ،
وَعَدَوَتْ طَوْرَكَ . وَأَيْمُ اللَّهِ لَا نَعْمِزَنَّكَ كَبْعُضِ نَعْمَزَاتِ اللَّيْثِ النَّعَالِبِ ! وَلَا رَكُضَنَّكَ
رَكُضَةٌ تَدْخُلُ مِنْهَا فِي وَجَعَاءِ أُمَّكَ ، اذْكُرْ مَكَايِبَ آبَائِكَ فِي الطَّائِفِ، إِذْ كَانُوا
يَنْقَلُونَ الْمَجَارَةَ عَلَى أَعْنَاقِهِمْ، وَيَحْفِرُونَ الْآبَارَ وَالْمَنَاهِرَ بِأَيْدِيهِمْ ! ، قَدْ نَسِيتَ مَا كُنْتَ
عَلَيْهِ أَنْتَ وَآبَاؤُكَ مِنَ الدَّنَاءَةِ وَاللُّؤْمِ وَالضَّرَاعَةِ . وَقَدْ بَلَغَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ اسْتِطَالَةَ مَنْكَ
عَلَى أَنْسِ بْنِ مَالِكِ بُرْءَةَ مِنْكَ عَلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ، وَغِرَّةَ بِمَعْرِفَةِ غَيْرِهِ وَنَقْمَاتِهِ وَسَطَوَاتِهِ
عَلَى مَنْ خَالَفَ سَبِيلَهُ ، وَعَمَدَ إِلَى غَيْرِ مَحَجَّتِهِ ، وَنَزَلَ عِنْدَ سُخْطِهِ ، وَأَظْنُكَ أَرَدْتَ
أَنْ تَرُوزَهُ بِهَا فَتَعْلَمَ مَا عِنْدَهُ مِنَ التَّغْيِيرِ وَالتَّنْكِيرِ فِيهَا ، فَإِنْ سَوَّغْتَهَا مَضَيْتَ قُدَمَا ،
وَإِنْ غَصِبْتَ بِهَا وَلَيْتَ دُبْرًا أَيُّهَا الْعَبْدُ الْأَخْفَشُ الْعَيْنِينَ ، الْأَصَكُّ الرَّجْلِينَ ، الْمَسْوُوحُ
الْجَاعِرَتَيْنِ ، وَلَنْ يَخْفَى عَنْ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ نَبُؤُكَ ، وَلِكُلِّ نَبِيٍّ مُسْتَقَرٌّ وَسَوْفَ تَعْلَمُونَ .

الأسلوب الثاني

(أن يفتح الكتاب بلفظ «أما بعد» ويقع الشروع منه في المقصد)

كما كتب يزيد بن معاوية إلى أهل المدينة النبوية - على ساكنها أفضل الصلاة
والسلام ، والتحية والإكرام - وقد بلغه خلافهم عليه .

«أما بعدُ، فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا يَقُومُ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بَأْنَفِهِمْ، وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ
سُوءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُ وَمَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَالٍ . إِنِّي وَاللَّهِ قَدْ لَبِستُكُمْ فَأَخَلَقْتُكُمْ !
وَرَفَعْتُكُمْ عَلَى رَأْسِي ، ثُمَّ عَلَى عَيْنِي ، ثُمَّ عَلَى قَمِي ، ثُمَّ عَلَى بَطْنِي ، وَأَيْمُ اللَّهِ لَئِنْ وَضَعْتُكُمْ

(١) في مفتاح الأفكار ص ١٨١ "طمت" وهي أقرب إلى المعنى وفيه في آخر الكتاب زيادة فراجع .

(٢) في "مفتاح الأفكار" فليك لعنة الله من عبد أخفش الخ .

تحت قدمي لأطانتكم وطأة أقل بها عددكم ، وأترككم بها أحاديث تُنسخ منها أخباركم كأخبار عادٍ وثمودٍ .

وكما كتب عمر بن عبد العزيز إلى عدي بن أرطاة ، وهو عامله على بعض النواحي .

”أما بعد ، فإذا أمكتك القدرة على المخلوق ، فأذكر قدرة الخالق عليك ! وأعلم أن مالك عند الله مثل ما للرعية عندك“ .

وكما كتب يزيد بن الوليد المعروف بالناقص إلى مروان بن محمد - وقد بلغه عنه تلکؤ في بيعته - .

”أما بعد ، فإني أراك تقدم رجلاً وتوخر أخرى ، فإذا أتاك كتابي فاعتمد على أيهما شئت والسلام“ .

قلت : ولم يزل الأمر في المكاتب في الدولة الأموية جارياً على سنن السلف ، إلى أن ولي الوليد بن عبد الملك ، بجود القراطيس ، وجلل الخطوط ، ونغم المكاتب ، وتبعه من بعده من الخلفاء على ذلك ، إلا عمر بن عبد العزيز ، ويزيد بن الوليد المقدم ذكره ، فإنهما جرياً في ذلك على طريقة السلف ، ثم جرى الأمر بعدهما على ماسنه الوليد بن عبد الملك ، إلى أن صار الأمر إلى مروان بن محمد آخر خلفائهم ، وكتبه عبد الحميد بن يحيى - وكان من اللسن والبلاغة على ما أشتهر ذكره - فأطال الكتب وأطنب فيها ، حيث اقتضى الحال تطويلها والإطناب فيها ، حتى يقال : إنه كتب كتاباً عن الخليفة جاء وقرّ جميل ، واستمر ذلك فيما بعده .

الطرف الثالث

(في الكتب الصادرة عن خلفاء بني العباس ببغداد
وولاية العهد بالخلافة، وفيه ثلاث جمل)

الجملة الأولى

(في بيان ترتيب كُتُبهم في الرسائل على سبيل الإجمال)

كانوا يفتتحون أكثر كُتُبهم بلفظ « من فلان إلى فلان » وتارة بـ « أما بعد » وربما أفتتحوها بغير ذلك ؛ فأما أفتتحوها بلفظ من فلان إلى فلان فكان يُكتب عنهم في أول دولتهم كما كان يُكتب عن خلفاء بني أمية ، وهو « من عبد الله فلان أمير المؤمنين ، سلامٌ عليك ، فإن أمير المؤمنين يحمّدُ إليك الله الذي لا إله إلا هو » ثم يتخلّص إلى المقصود بلفظ أما بعد . إلا أنهم زادوا بعد أسم الخليفة لفظ « الإمام الفلاني » بلقب الخلافة ، فكان يقال : « من عبد الله الإمام الفلاني أمير المؤمنين » فلما صارت الخلافة إلى الرشيد زاد بعد التحميد « ويسأله أن يصليَ على محمد عبده ورسوله صلى الله عليه وسلم » فلما ولىَّ ابنه الأمين آكتنى في كتبه وتبعه من بعده من الخلفاء على ذلك .

وقد اختلف في تقديم الأسم والكنية واللقب ، والذي رتبّه أبو جعفر النحاس في « صناعة الكُتّاب » تقديم الأسم على الكنية وتقديم الكنية على اللقب . مثل أن يقال : « من عبد الله فلان أبي فلان الإمام الفلاني أمير المؤمنين » ثم قال : وهذه المكاتبه هي التي أصطلح عليها في الأمور السلطانية التي تُنشأ بها الكُتُب من الدواوين ، إلا أن بعض العلماء قد خالفهم في هذا ، وقال : الأولى أن يبدأ

باللقب، مثل أن يقال «من الراضى» أو «المتوكل» وما أشبه ذلك، كما قال الله جل وعز : ﴿إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ﴾ وذلك لأن اللقب لا يشاركه فيه غيره، فكان أولى أن يُبدَأَ به .

وترتيب المكاتبة على ما ذكره في «صناعة الكتاب» أن يكتب : «من عبد الله فلان أبو فلان الإمام الفلاني أمير المؤمنين، سلامٌ عليك ؛ فإن أمير المؤمنين يحمّدُ إليك الله الذي لا إلهَ إلا هو، ويسأله أن يصلّيَ على محمد عبده ورسوله» . ثم يفصل ببياض يسير، ويكتب «أما بعدُ فإن كذا وكذا» ؛ ثم يأتي على المعنى ، فإذا فرغ من ذلك وأراد أن يأمر بأمر، فصل ببياض يسير، ثم يكتب : «وقد أمر أمير المؤمنين بكذا ورأى أن يكتب إليك بكذا» ، فيؤمر بامثال ما أمر به والعمل بحسبه ؛ ثم يفصل ببياض ويكتب : فاعلم ذلك من رأى أمير المؤمنين ، وأعمل به ، إن شاء الله تعالى . «وكتب فلان بن فلان» باسم الوزير وأسم أبيه ، يوم كذا ، من شهر كذا ، من سنة كذا . وقد يكتب في أواخر المكاتبة بعد استيفاء المقصد : « هذه مناجاةُ أمير المؤمنين لك » أو « هذه مفاوضةُ أمير المؤمنين لك » .

ويقال : في السلام على أعلى الطبقات من المكتوب إليهم « والسلامُ عليك ورحمة الله » وربما قيل : « ورحمة الله وبركاته » .



وأما افتتاحها بلفظ أما بعد، فغالب ما يقع في الكتب المطالمة كالنشرى بالفتوح وغيرها. ثم تارة يعقب البعديّة بالحمد لله، إما مرة أو أكثر. وغالب ما يكون ثلاث، وتارة يعقب بغير الحمد .



وأما الافتتاح بغير هذين الافتتاحين ، فتارةً يكونُ بالدعاء ، وتارةً يكون بغيره ، ويكون التعبير عن الخليفة في كتبه الصادرة عنه « بأمر المؤمنين » على ما تقدم في خلافة بني أمية .

ثم إن كان المكتوبُ إليه معينا ، فالذي كان عليه الحال في أول دولتهم أن يُكْتَبَ إليه باسمه ، ثم لما تغلب بنو بويه على الخلفاء وغلبوا عليهم ، وعلت كلمتهم في الدولة وتلقبوا بفلان الدولة وفلان الملة ، فكان يُكْتَبُ إليهم بذلك في الكتب إليهم ، ثم لما كانت الدولة السلاجوقية في أواخر الدولة العباسية ببغداد ، استعملوا كثرة الألقاب للمكتوب إليه عن الخليفة في صدر المكتبة . قال في "مواد البيان" : ولا يخاطبُ أحدٌ عن الخليفة إلا بالكاف . وقد يخاطبُ الإمام وزيره في المكتبة الخاصة بما يرفعه فيه عن خطاب المكتبة العامة الديوانية ، ويتصرف في ذلك ويزاد ويُنقص على حسب لطافة محل الوزير ومنزله من الفضل والجلالة .

قال في "ذخيرة الكتاب" : ويكون الدعاء من الخليفة لمن يكتبه على قدر موضعه من خدمته ومحله عنده ، وقد تقدم أن أعلى الدعاء كان عندهم بإطالة البقاء ، ولذلك كان يُدعى للملك بنو بويه فمن بعدهم بلفظ : «أطال الله بقاءك» وقد تقدم في المقالة الثالثة في الكلام على مقادير قطع الورق وما يناسب كل قطع من الأقلام أنه إن كانت المكتبة عن الخليفة ترك الكاتب من رأس الدرّج قدر ذراع بيضا ، ثم يكتب «بسم الله الرحمن الرحيم» ثم يكتب في سطر ثانٍ يلاصقها ويخرج يسيرا ، من عبد الله إلى آخر التصدير الذي يليه أما بعد ، وأن التصدير يكون في سطرين

بينهما فضاءً. قدرَ شبر، لا يزيد عن ذلك ولا ينقص؛ ثم يترك بعد هذين السطرين فضاءً بنصف ما بين الأولين فيما ذكره في "موادّ البيان" : وبقدرة فيما ذكره في "ذخيرة الكتاب" ثم يقول : أما بعد، ويأتى على المكتابة إلى آخرها على هذا النحو .

أما عُنُونُهُ كُتِبَهُمْ ، فكانت في أول دولتهم : « من عبد الله فلان الإمام الفلاني أمير المؤمنين » في الجانب الأيمن ، وفي الجانب الأيسر « إلى فلان بن فلان » . ثم زاد المأمون في أول عُنُونَاتِهِ « بسم الله الرحمن الرحيم » . ولما تكتفى الأمين في كتبه بعد ذلك زِيدَتِ الكُنيَةُ في العنوان ، فكان يكتب في الجانب الأيمن « بسم الله الرحمن الرحيم : من عبد الله فلان أبي فلان الإمام الفلاني » وفي الجانب الأيسر ، « إلى فلان ابن فلان » . وقد تقدّم في الكلام على ترتيب المكتابات أن البسمة بقيت في العُنُونَةُ إلى زمن النحاس في خلافة الراضي ، وأن صاحب "موادّ البيان" ذكر أنها بطلت منه بعد ذلك .

قال النحاس : فإن كان المكتوبُ إليه من موالى بني هاشم ، نُسِبَ إلى ذلك . وإن لم يكن ينسب إليهم تُرِكَ .

الجملة الثانية

(في الكُتُبِ العامَّةِ ، وهي على أسلوبين)

الأسلوب الأول

(أن يفتح الكتابُ بلفظ « من فلان إلى فلان »)

بأن يكتب « من عبد الله فلان أبي فلان الإمام الفلاني أمير المؤمنين إلى آخر المكتابة على ما تقدّم ترتيبه .

وهذه نسخة كتاب من ذلك كتب به أبو إسحاق الصابي عن الطائع لله إلى صمصام الدولة بن عضد الدولة بن بويه بسبب كردويه، الخارج عن الطاعة، وليس فيه تكنية للخليفة وهو .

من عبد الله « عبد الكريم الإمام الطائع لله أمير المؤمنين » إلى صمصام الدولة وشمس الملة أبي كاليبجار بن عضد الدولة وتاج الملة مولى أمير المؤمنين .

سلام عليك ، فإن أمير المؤمنين يحمّد إليك الله الذي لا إله إلا هو ، ويسأله أن يصلّى على محمد عبده ورسوله صلّى الله عليه وسلم .

أما بعد - أطلّ الله بقاءك - فإن أمير المؤمنين وإن كان قد بوأك المنزلة العليّاء ، وأنا لك من أثرته الغاية القصوى ، وجعل لك ما كان لأبيك عضد الدولة وتاج الملة رحمة الله عليه من القدر والمحل ، والموضع الأرفع الأجل ، فإنه يُوجب لك عند بذلك أثراً يكون لك في الخدمه ، ومقام حمد تقومه في حماية البيضة ، إنعاماً يظاهاه ، وإكراماً يتابعه ويواتره . والله يؤيدك من توفيقه وتسديده ، ويمدك بمعونته وتأيديه ، ويخيّر لأمر المؤمنين فيما رأيه مستمراً عليه من مزيدك وتمكينك ، والإبقاء بك وتعظيمك ، وما توفيق أمير المؤمنين إلا بالله عليه يتوكّل وإليه يُنيب .

وقد عرفت - أدام الله عزك - ما كان من أمر كردويه كافر نعمة أمير المؤمنين ونعمتك ، وجاحد صنيعته وصنيعتك ، في الوثبة التي وثبها ، والكبيرة التي ارتكبها ، وتقريره أن ينتهز الفرصة التي لم يمكّنه الله منها ، بل كان من وراء [ذلك] دفعه وردّه عنها ، ومعاجلتك إياه الحرب التي أصلاه الله نأرها ، وقنعه عارها وشنارها ، حتى أنهزم والأوغاد الذين شركوه في إثارة الفتنه على أقبح أحوال الذلة والقيلة ، بعد القتل الذريع ، والإثخان الوجيع ، فالحمد لله على هذه النعمة التي جلّ موقعها ، وبان على

الخاصة والعامّة أثرها، ولزم أمير المؤمنين خصوصاً والمسلمين عموماً نشرها، والحديث بها، وهو المسؤل إقامتها وإدامتها برحمته .

وقد رأى أمير المؤمنين أن يُجَازِيكَ عن هذا الفتح العظيم ، والمقام المحيد الكريم ؛
 بِخَلْعِ تَامَّةٍ ، وَدَابَّتَيْنِ وَمُرَكَّبَيْنِ ذَهَبًا مِنْ مَرَّأِكِبِهِ ، وَسَيْفٍ وَطَوِّقٍ وَسِوَارٍ مَرِصَعٍ ؛
 فَتَلَقَّى ذَلِكَ بِالشُّكْرِ عَلَيْهِ ، وَالأَعْتِدَادِ بِنِعْمَتِهِ فِيهِ ، وَالأَبْسَ خَلَعَ أمير المؤمنين وَتَكَرَّمَتَهُ ،
 وَسِرُّ مِنْ بَابِهِ عَلَى حَمَلَاتِهِ ، وَأَظْهَرَ مَا حَبَّأَكَ بِهِ لِأَهْلِ حَضْرَتِهِ ، لِيُعِزَّ اللَّهُ بِذَلِكَ وَلِيَّهِ
 وَوَلِيِّكَ ، وَيُذِلَّ عَدُوَّهُ وَعَدُوَّكَ ؛ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى ، وَالسَّلَامُ عَلَيْكَ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ .
 (وكتب أحمد بن محمد ثمان إن بقيت من شهر ربيع الأول سنة خمس وسبعين وثلثمائة)
 أطال الله بقاءك ، وأدام عزك ، وأحسن حفظك وحياطتك ، وأمتع أمير المؤمنين
 بك ، وبالنعمة فيك وعندك .



وهذه نسخة كتاب آخر من ذلك أيضا، كتبت به عن المقتفي لأمر الله إلى السلطان
 مسعود بن محمد بن ملكشاه السلجوقي في تعزية بولد مات له ؛ وفيه تكنية الخليفة
 وتقديم الكنية على الأسم وكثرة الألقاب للمكتوب إليه وهو .

” من عبد الله أبي عبد الله محمد المقتفي لأمر الله أمير المؤمنين ، إلى شاهنشاه
 المعظم مولى الأمم ، مالك رقاب العرب والعجم ؛ جلال دين الله ، ظهير عباد الله ؛
 حافظ بلاد الله ، معين خليفة الله ؛ غياث الدنيا والدين ، ناصر الإسلام والمسلمين ؛
 محيي الدولة القاهره ، معز الملة الزاهره ، عماد الملة الباهره ، أبي الفتح « مسعود
 ابن محمد ملكشاه » قسيم أمير المؤمنين .

سلام عليك ، فإن أمير المؤمنين يحمّد إليك الله الذي لا إله إلا هو ، ويسأله أن
يصلّي على محمد عبده ورسوله ويُسَلِّمَ تسليماً .

أما بعد ، أطل الله بقاءك ! وأدام عزك وتأييدك وسعادتك ونعمتك ، وأحسن
حفظك وكلاءك ورعايتك ، وأمتع أمير المؤمنين بك ، وبالنعمة الجليلة والموهبة
الجزيلة والمنحة النفيسة فيك وعندك ، ولا أخلاه منك ! ، فإن أولى من أدرع للحوادث
جُبة الأَصْطِبار ، ونظر أحوال الدنيا في قلبها بعين الاعتبار ، ورجع إلى الله تعالى
في قدره وقضائه ، وسَلِّمَ لأمره الذي لا راد له في آمتحانه وأبتلائه ، وعرف أن له
سبحانه في كل ما يُجْرِيه على عبادِهِ حِكْمَةً باطنية ، ومصالحةً كامنة ، من خير عاجل
ينشره ، وثوابٍ آجل يُؤخّره لهم إلى يوم الجزاء ويُدخِره ، وفائدةٍ هو أدرى بها وأعلم ،
وفعله فيها أتقن وأحكم : مَنْ خَصَّه بما خصك الله به من الدين الراجح ، والخلق
الصالح ، والمعتقد الواضح ، والنعم التي جادك في كل يومٍ مقامٍ سحائبها ، وآتست
بين يديك عند مضايق الأمور رحابها ، وأنست إذا استوحشت من العاجزين عن
ارتباطها بالشكر صحابها ، والمناقب التي فرغت بها صهوات المجد ، وتملكت رِقَّ الثناء
والحمد ، وعلوت فيها عن المساجل والمطاول ، وبعد ما حضر لك منها عن أن تناله يدُ
القائم المحاول . وتأدى إلى حضرة أمير المؤمنين - أمتعه الله ببقائك ، ودافع له عن
حوبائك - نبأ الحادثة بسليتك الذي اختار الله له كريم جواره ، فأحب له الانتقال
إلى محلّ الفوز ومداره ، فوجد لذلك وجوماً موفراً ، وهماً للسكون منقراً ، وتوزعاً
تقتضيه المشاركة لك فيما ساويته (؟) والمساهمة الحاصلة في كل ما حلا من الأمور وأمر ،
وأمر عند ورود هذا الخبر بالتصدى للجزاء ، وإعلان ما يعلن عن مقاسمتك في الضراء
- دفعها الله عنك - والسراء ، ونذب جمعا من الخدم المطيفين بشريف سُدته ،

المختصين بعزير خدمته ؛ بتعزيتصونه لباس التعزیه ، ويستدنى بتقمصه عازب
التسليه ؛ إبانة عن أنصاف الهمم الإمامية إليك فيما خص وعم من حالك ، وأستجلايه
لك دواعي المسار في حلك وترحالك ؛ وكون الأفكار الشريفة موكلة بكل ما حمى من
الروائع قلبك ، وأعدب شربك ؛ وأنت حقيق بمعرفة هذه الحال من طويته لك
ونيته ، ورأيه فيك وشفقته ، ورعاية مصلحتك منه بعين كاليه ، ورجوعه من المحافظة
في حقتك إلى ألفة بالصفاء حاله ؛ وتلقى الرزية التي أراها الله وقضاها ، وأنفذ مشيئته
فيها وأمضاها ؛ بالصبر المأمور به والأحتساب ، والتسليم الموعد عليه بجزيل الثواب ؛
علما أن الأقدار لا تغالب ، وغريمها لا يطالب ؛ وان الله تعالى إذ قال لنبيه صلى الله
عليه وسلم - وهو سيد البشر - (إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ) فلا سبيل لأحد من
خلقه إلى البقاء ، ولا وجه للخلود في دار الفناء ؛ ولا دافع لحكمه جلت عظمته فيما
قدره من الآجال ، وسبق في علمه من الروائع في دار الابتلاء والأحوال ؛ وما يزال
التطلع واقعا إلى وصول جوابك الدال على السلوة التي هي الأليق بك ، والأدعى
إلى حصول بغيرتك من قضاء الله وأدبك ؛ لتحط الأتسمة مع وصوله في رحالها ،
وتؤذن لصرف الغيوم الجارية لأجلك بارتحالها .

هذه مناجاة أمير المؤمنين لك ، أدام الله تأييدك ! وأمتع بك ! إن شاء الله تعالى ،
والسلام عليك ورحمة الله .

الأسلوب الثاني

(أن يكون الإفتاح بلفظ «أما بعد» وهو على نوعين)

النوع الأول

(أن يعقب البعدية «الحمد لله» ؛ وهو على ضربين)

الضرب الأول

(أن يتعدّد الحمد في أول الكتاب)

ويكون ذلك في الكتب المؤذنة بمحصل نعمة ظاهرة : كالفتوح ونحوها . ويقع التعدّد فيها بحسب ما تقتضيه النعمة ؛ وغالب ما يكون ثلاث مرات ، وربما وقع التحميد في أول الكتاب وآخره .

وهذه نسخة كتاب من هذا النوع كتبت بهيئاً عن المعتصم إلى ملوك الآفاق من المسلمين عند قبض الأفشين على بابك ملك الروم ، وهي :

أما بعد ، فالحمد لله الذي جعل العاقبة لدينه ، والعصمة لأوليائه ، والعز لمن نصره ، والفلج لمن أطاعه ، والحق لمن عرف حقه ؛ وجعل دائرة السوء على من عصاه وصدف عنه ، ورغب عن ربوبيته ، وأبتغى لها غيره . لا إله إلا هو وحده لا شريك له . يحمده أمير المؤمنين حمد من لا يعبد غيره ، ولا يتوكل إلا عليه ، ولا يفوض أمره إلا إليه ؛ ولا يرجو الخير إلا من عنده ، والمزيد إلا من سعة فضله ؛ ولا يستعين في أحواله كلها إلا به . ويسأله أن يصلّي على محمد عبده ورسوله ، وصفوته من عباده ، الذي ارتضاه لنبوته ، وأبتعته بوحيه وأختصه بكرامته ؛ فأرسله بالحق شاهداً ومبشراً ونذيراً ، وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً . والحمد لله الذي توجه

لأمير المؤمنين بصنعه ، فيسر له أمره ، وصدق له ظنه ، وأنجح له طلبته ، وأنفذ له
 حيلته ، وبلغ له محبته ، وأدرك المسلمون بثأرهم على يده ، وقتل عدوهم ، وأسكن
 روعتهم ، ورحم فاقتهم ، وآانس وحشتهم ، فأصبحوا آمنين مطمئنين مقيمين
 في ديارهم ، متمكنين في أوطانهم ؛ بعد القتل والخوف والتشريد وطول العناء ، وتتابع
 البلاء ؛ منأن الله عز وجل على أمير المؤمنين بما خصه به ، وصنعا له فيما وفقه لطلبه ،
 وكرامة زادها فيما أجرى على يده ؛ فالحمد لله كثيرا كما هو أهله ، ونرغب إلى الله
 في تمام نعمه ودوام صنعه ، وسعة ما عنده بتمه ولطفه ؛ ولا يعلم أمير المؤمنين - مع
 كثرة أعداء المسلمين وتكثفهم إياه من أقطاره ، والضغائن التي في قلوبهم على أهله ،
 وما يترصدونه من العداوة ، وينطوون عليه من المكيدة ، إذ كان هو الظاهر عليهم ،
 والآخذ منهم - عدوا كان أعظم بليته ، ولا أجل خطبا ، ولا أشد كلبا ، ولا أبلغ
 مكيدة ، ولا أرمى بمكروه ، من هؤلاء الكفرة الذين يغزوه المسلمون ، فيستعلون
 عليهم ، ويضعون أيديهم حيث شاءوا منهم ، ولا يقبلون لهم صلحا ، ولا يميلون معهم
 إلى موادعة ؛ وإن كان لهم على طول الأيام وتصرف الحالات وبعض ما لا يزال
 يكون من فترات ولاية الثغور أدنى دولة من دولات الظفر وخلسة من خلس
 الحرب ، كان بما لهم من خوف العاقبة في ذلك منغصا لما تعجلوا من سروره ،
 وما يتوقعون من الدوائر بعد ، مكذرا لما وصل إليهم من فرحة .

فأما اللعين بابك وكفرته ، فإنهم كانوا يغزون أكثر مما يغزون ، وينالون أكثر
 مما ينال منهم ؛ ومنهم المنحرفون عن الموادعة ، المتوحشون عن المراسلة ؛ ومن
 أدبلوا من تتابع الدول ، ولم يخافوا عاقبة تدريكهم ، ولا دائرة تدور عليهم . وكان مما
 وطأ ذلك ومكته لهم أنهم قوم أبدؤا أمرهم على حال تشاغل السلطان ، وتتابع من
 الفتن ، وأضطراب من الحبل ، فاستقبلوا أمرهم بعزة من أنفسهم ، وضعف

وَأَسْتِثَارَةٌ مِّمَّنْ بَارَاهُمْ ، فَأَجْلَوْا مِنْ حَوْلِهِمْ لِتَخْلُصَ الْبِلَادُ لَهُمْ ؛ ثُمَّ أُحْرِبُوا الْبِلَادَ لِيَعِزَّ مَطْلَبُهُمْ ، وَتَشْتَدَّ الْمُؤْنَةُ وَتَعْظُمَ الْكُلْفَةُ ، وَيَقْوُوا فِي ذَاتِ أَيْدِيهِمْ ؛ فَلَمْ يَتَوَافَ إِلَيْهِمْ قُوَادُ السُّلْطَانِ إِلَّا وَقَدْ تَوَافَتْ إِلَيْهِمُ الْقُوَّةُ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ ، فَاسْتَفْجَلَ أَمْرُهُمْ ، وَعَظُمَتْ شَوْكُهُمْ ، وَاشْتَدَّتْ ضَرُورَاتُهُمْ وَاسْتَجْمَعَ لَهُمْ كَيْدُهُمْ ، وَكَثُرَ عَدَدُهُمْ وَأَعْتَدَادُهُمْ ، وَتَمَكَّنَتِ الْهَيْبَةُ فِي صُدُورِ النَّاسِ مِنْهُمْ ، وَتَحَقَّقَ فِي نَفْسِهِمْ أَنْ كُلَّ مَا يَعِدُّهُمْ الْكَافِرُ وَيُمَيِّنُهُمْ أَخْذٌ بِالْيَدِ . وَكَانَ الَّذِي بَقِيَ عِنْدَهُمْ مِنْهُ كَالَّذِي مَضَى ، وَبِدُونِ هَذَا مَا يَخْتَدِعُ الْأَرِيْبَ وَيُسْتَنْزِلُ الْعَاقِلَ وَيَعْتَقِلُ الْفِطْنَ ، فَكَيْفَ يَمُنُّ لِفِكْرَةِ لَهُ ، وَلَا رُويَةً عِنْدَهُ ؟

هذا مع كل ما يقوم في قلوبهم من حسد أهل النعم ، ومنافستهم على ما في أيديهم ، وتقطعهم حسرات في إثرها اخصوا به ، وأنهم إن لا يكونوا يرون أنفسهم أحق بذلك ، فإنهم يرون أنهم فيه سواء .

ولم يزل أمير المؤمنين قبل أن تُفْضِيَ إِلَيْهِ الْخِلاَفَةُ مَاذَا عُنُقَهُ ، مَوْجَّهًا هِمَّتَهُ إِلَى أَنْ يُؤَيِّئَهُ اللَّهُ أَمْرَ هَؤُلَاءِ الْكَافِرَةِ وَيَمْلِكَهُ حَرِيمَهُمْ ، وَيَجْعَلُهُ الْمَقَارِعَ لَهُمْ عَنْ دِينِهِ ، وَالْمُنَاجِزَ لَهُمْ عَنْ حَقِّهِ ، فَلَمْ يَكُنْ يَأْلُو فِي ذَلِكَ حِرْصًا وَطَلْبًا وَاحْتِيالًا ؛ فَكَانَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَا بِيْ ذَاكَ لَضَنَّهُ بِهِ ، وَصِيَّانَتِهِ بِقَرْبِهِ ، مَعَ الْأَمْرِ الَّذِي أَعَدَّهُ اللَّهُ لَهُ وَآثَرَهُ بِهِ ؛ وَرَأَى أَنْ شَيْئًا لَا يَفِي بِقِيَامِ الدِّينِ وَصَلَاحِ الْأَمْرِ .

فلما أفضى الله إلى أمير المؤمنين بخلافته وأطلق الأمر في يده ، لم يكن شيء أحب إليه ولا أخذ بقلبه من المعاجلة للكافر وكفرته ، فأعزه الله وأعانه الله ، فله الحمد على ذلك وتيسره ، فأعد من أمواله أخطرها ، ومن قواد جيشه أعلمهم بالحرب وأنهضهم بالمعضلات ، ومن أوليائه وأبناء دعوته ودعوة آبائه - صلوات الله

عليهم - أحسنهم طاعة ، وأشدّهم نكايّة ، وأكثرهم عدّة . ثم أتبع الأموال بالأموال ، والرّجال بالرّجال ، من خاصّة مواليه وعدد غلمانه ، وقبل ذلك ما أتكل عليه من صنّع الله جلّ وعزّ ، ووجه إليه من رعبته . فكيف رأى الكافر اللّسين وأصحابه الملاعين ؟ ألم يكذب الله ظنونهم ، ويشف صدور أوليائه منهم ؟ يقتلونهم كيف شاءوا في كل موطن ومعترك ، مادامت عند أنفسهم مقاومة .

فما ذلّوا وقتلوا وكرهوا الموت ، صاروا لا يتراءون إلا في رؤوس الجبال ومضايق الطّرق وخلف الأودية ومن وراء الأنهار ، وحيث لاتألم الخيل ، حصنا للطاولة وانتظاراً للدوائر ، فكادهم الله عند ذلك وهو خير الكائدين ، وأستدرجهم حتى جمعهم إلى حصنهم معتصمين فيه عند أنفسهم ، فجعلوا اعتصامهم حين لهم ، وصنّع لأوليائه وإحاطة منه به تبارك وتعالى ، بجمعهم وحصرهم لكي لا تبقى منهم بقية ولا ترجى لهم عاقبة ، ولا يكون الدين إلا لله ، ولا العاقبة إلا لأوليائه ، ولا التمس والنكس إلا لمن خذله .

فما حصرهم الله وحبسهم عليهم ودانتهم مصارعهم ، ساطهم الله عليهم كيده واحدة ، يخطفونهم بسيوفهم ، وينتظموهم برماحهم ، فلا يجدون ملجأ ولا مهرباً ، ثم أمكنهم من أهاليهم وأولادهم ونسائهم وحرمهم وصيروا الدار دارهم والمحلة محلّتهم ، والأموال قسماً بينهم ، والأهل إماءً وعبيداً . وفوق ذلك كله ما فعل بهؤلاء وأعطاهم من الرحمة والثواب ، وما أعدّ لأولئك من الخزي والعقاب ، وصار الكافر بابك لا فيمن قتل فسليم من ذلّ الغلبة ، ولا فيمن نجحاً فعان في الحياة بمض العوض ، ولا فيمن أصيب ، فيشتغل بنفسه عن المصيبة بما سواه ، لكنه سبحانه وتعالى أطلقه وسدّ مذاهبه ، وتركه ملدداً بين الذل والخوف ، والغصّة والحسرة ، حتى إذا ذاق

طعمَ ذلك كله وفهمه، وعرف مَوْقع المصيبة، وظنَّ مع ذلك كله أنه على طريق من النجاة، فأضرب الله وجهه، وأعمى بصره، وسدَّ سبيله، وأخذ بسمعه وبصره، وحازه إلى مَنْ لا يرقُّ له، ولا يرى لمصرعه؛ فأمثل ما أمر به الأَفْسِين (حيدر بن طاوس) مولى أمير المؤمنين في أمره؛ فبتَّ له الجبائل، ووضع عليه الأرصاد، ونصب له الأشرار حتى أظفره الله به أسيراً ذليلاً موثقاً في الحديد، يراه في تلك الحالة مَنْ كان يراه ربّاً، ويرى الدائرة عليه مَنْ كان يظنُّ أنها ستكون له. فالحمد لله الذى أعزَّ دينه، وأظهر حجته، ونصر أوليائه وأهلك أعداءه، حمداً يُقضى به الحق، وتتمُّ به النعمة، وتتصل به الزيادة. والحمد لله الذى فتح على أمير المؤمنين وحقَّق ظنه، وأنجح سعيه، وحاز له أجر هذا الفتح وذُخره وشرفه، وجعله خالصاً لتسامه وكمالِه بكل الصنع وأحسن الكفاية، ولم يربوساً فيه ما يُقذى عينه، ولا خلا من سُرور يراه، وبشارة تتجدد له عنه، فما يدرى أمير المؤمنين ما متع فيه من الأمل، أو ما ختم له من الظفر؛ فالحمد لله أولاً! والحمد لله آخرًا! والحمد لله على عطاياه التى لا تُحصى، ونعمه التى لا تُنسى، إن شاء الله تعالى.



وهذه نسخة كتاب من هذا الضرب، كتب به أبو سعيد العلاء بن موصلاً عن القائم بالله، إلى عضد الدولة «ألب أرسلان» إلى مسعود بن محمود صاحب غزنة من أوائل بلاد الهند، بالبشارة بالنصر على البساسيرى وهو .

أما بعد، فالحمد لله منير الحق ومبديه، ومبيِّر الباطل ومُرديه؛ الكافل بإعزاز حزبه، وإذلال حزبه، المؤيد في نُصرة دينه خصب الدهر بعد إجماله وجدبه، الناظم شمل الشرع بعد شتاته وتفرُّقه، الحاسم داعى الفساد بعد استيلائه وتطرُّقه، ذى المشيئة النافذة الماضيه، والعزة الكاملة الوافرة والعظمة الظاهرة السادية،

والبراهين الرائعة الرائقة، والدلائل الشاهدة بواحدانيته الناطقه، حمدًا لا انتهاء
 لأمدّه، ولا إحصاء لعدده. والحمد لله الذي آتخص محمداً صلى الله عليه وسلم برسالته
 وحباه، وأولاده من كرامته ما حاز له به، الفضل وحواه، وبعثه على حين فتره
 من الرسل، وخلاء من واضح السبل، بفجاهد بمن أطاعه من عصاه، وبلغ في الإرشاد
 أقصى غايته ومداه، ولم يزل مبدياً أعلام الإعجاز، ومُلحِقاً الهوادي بالأعجاز،
 إلى أن دخل الناس في الدين أفواجا، وسلكوا في نصرتهم جدداً واضحاً ومنهاجا،
 وغدت أنوار الشرع ضاحكة المباسم، وآثار الشرك واهية الدعائم، ومناهل الهدى
 عذبة صافية. فصلى الله عليه وعلى آله الطاهرين، وأصحابه المنتخبين وخلفائه
 الأئمة الراشدين، وسلم تسليماً. والحمد لله الذي أصر إلى أمير المؤمنين من تراث النبوة
 ما أستوجبه وأستحقه، وأثار لديه من مطالع الجلال ما تملك به الفخر وأسترقه،
 ومنحه من حُسن التمكين والإظفار، وإجراء الأفضية على مراده والأقدار، ما ردَّ
 صرف الدهر عن حوزته مفلول الحد، ومدّ باع مجده إلى أقصى الغاية والحد،
 وحمى سرب إمامته من دواعي الخوف والحذر، ووقى مشرب خلافته من عوادي
 الرنق والكدر، وجعل معالم العدل في أيامه مشرقة الأوضاح والمجول، مفترّة النواجد
 عن الكمال الضافي الأهداب والذبول، مؤذنةً باستقرار أمداد السعادة، وأستمرار
 الأحوال على أفضل الرسم والعادة، وهو يستديمه من لطيف الصنع وجميله،
 ووافي الطول وجزيله، ما يزيد آراءه سداً ادا ورسادا، وأرومة عزه آتساعاً وأمّتداداً،
 ومجاري الأمور لديه آتساقاً على المراد وأطرادا، وما توفيق أمير المؤمنين إلا بالله عليه
 يتوكل وإليه يُنيب!

. ومعلوم ما أعتمده شاهنشاه المعظم بعد مسيره إلى العراق، في الجيوش التي يضيق
 بها الفضاء، ويجرى على مرادها القضاء، قاصداً تلبية الدعوة، وخاضداً شوك كل

(١) من سد عن الدين أسباب المَضرة والمعزة ، ومعتَمداً ما حمى حوزة أمير المؤمنين من الشوائب المعترضة ، وحوى أقسام الفخار في اتباع شروط الخدمة الملتزمة المفترضة ؛ من المبادرة للكمع اللعين البساسيري ولقبينه المخاذيل ، مدبراً من الاعتضاد بالله تعالى أقوى الجن وأسبع السراويل ، ليطهر الأرض من دنس كفرهم ، ويوفر الحد في فصر حدهم وحسم كيدهم ؛ فأطل على بلاد الشام متطلباً من أجهاد حذرته إلى الإمان في الحرب ، وقطع كل أحيّة وسبب ؛ ومعتزماً الائتمام إلى مصر لانتزاعها وبقية الأعمال ، من أيدي أحلاف الغواية والضلال ، وقرب الأمر فيما حاوله من ذلك ورامه ؛ اعتماده فيه صنوف التجدد وأقسامه ؛ فاعترضه من عصيان إبراهيم اينال وعقوبه ، وخروجه عن زمرة أبناء الطاعة زسروقه ؛ بإفساد اللعين إياه ، وإحاله بمكره عن مناهج هداه ، ما أحوجه إلى ترك ما هو بصدده واللحاق بأثره حذاراً من استفحال خطبه ، ویدارا إلى قل حده وغربه ؛ فعاد ذلك بتجمع الأعداء واحتشادهم ، وسلوكهم المحجة التي خصوا فيها بعدم توفيقهم ورشادهم ، وإقدامهم على فضل الإمامة المكرمة بالمحاربة ، وأطراحهم في منابذتها حكم الاحتشام والمراقبه ؛ ووقوع التظافر على المجاهرة بخلافها ، والتظاهر بشعار أشياء الغواية وأحلافها ؛ جرأة على الله تعالى واستنزاً لعقابه ، وأطراحاً لما توجبه الجناية العظيمة من توقع العذاب وأرتقابه ؛ وأدراعا للملابس الخزي في الدنيا والآخرة . وأتباعاً لداعي الضلالة المغوية في البسء والحامة ؛ فاقضى حكم الاستظهار الانتدال من دار الخلافة - بمدينة السلام - إلى (حديثة عانه) لما هي عليه من امتناع الحانب وشدة الحصانه ؛ إلى أن أسفر خطب شاهنشاه ركن الدين - أمتع الله به - عن إدراك المطالب ، وتيسر المصاعب ؛ فعاد بنصرة الدولة العباسية الإمامية القمائية مستنفداً في ذلك أقسام الوسع

(١) لعله وخاضداً شك كل من صد عن الدين وأولاه أسباب الخ .

والاجتهاد ، ومستنجدا بمعونة الله تعالى على اِبادة الكُفْر بصُنوف القِرَاع والجهاد ؛
ولم يزل ساعيا في اِزالة العار ، وانتزاع المعتصِب وارتجاع المستعار ؛ الى ان صدَّق
الله تعالى الأمل وحقَّقه ، وأصفى منهل العز من كل ما شابهُ ورَتَّقهُ ؛ وأطلع شمس
الحقِّ بعد غروبها ، ومنَّ بخضد شوكة الباطل وفلَّ غروبها .

وعاد أمير المؤمنين إلى دار مُلكه ومقرِّ مجده في يوم كذا ضافيةً على راياته
جلايبُ النُصر والظُفر ، جاريةً على إرادته تصاريُف القضاء والقَدْر ، يمينُ نقيبة
شاهنشاه الذي أدى في الطاعة الفرض الواجب ، وتمسك من المشايعة بأفضل ما تضمُّ
عليه الرواِجب ؛ وغداً للدولة عَضداً موفياً على الأمثال ، ان دَفَعه عن الإسلام وذَبَّه ،
ومتقمِّصاً للجلال ، بحُسن إخلاصه في حالتي بَعده وقُربه ؛ وما زالت ثقة أمير المؤمنين
مستحكمةً بالله تعالى عند ما ألمَّ به من تلك الحال ، وديهم من الخطب المحتفِّ به
سَطوةُ الأشتداد والأستفحال ؛ في إجرائه على ما أَلَفه من النُصر والإعزاز ، وإظهار
آلائه في تأييده والإعجاز ؛ إذ لم يكن ماعراًه أستعادةً للحقِّ المسلم إليه ، والموهبة التي
ضفَّت جلايبها عليه ؛ بل جعل الله ذاك إلى امتحان صبره سبيلاً ، وعلى وفور أجره
دليلاً ، وبإبادة كل ناعق في الفتنة كفيلاً ؛ لترداد أنوار علاء نضارة وحُسن ، وأعلام
جلاله سعادةً ويمناً ، ورباعٍ عزِّه سُكوناً وأمناً ؛ أطفأ منه جلت الآؤه في ذلك ومناً .
وتلا هذه النعمة التي جدَّت عهودَ الشرع وافية النضارة ، وأزالت عن الدين
مفاسده العارضة ومضاره ، ما سهله الله وهنَّاه ، وأجزل به صديعه الجزيل وأسناه ؛
من ظفر السزايا التي توردها لأصطلام اللعناء وأجتياحهم ، وحسم فسادهم وهدم
عراصمهم ؛ وإنجاد ما أضرموه من نار الشُّرك وشبوه ، وإبطال ما أحدثوه من رسم
الجور وسنوه ؛ وأفضى الحال إلى النُصر على الأعداء من كل جانب ، وقهر كل منحرِف
عن الرشاد ومجانِب ، وحلول التأييد على الرايات المنصورة العباسية التي لم تزل مكنوفةً

على صَرف الدهر أشياعُها وأنصارُها ؛ وإجلاءِ الحرب عن قتل اللعين البساسيري
وأخذِ رأسه ، وتكذيبِ ظَنِّه في احترازه من طوارقِ الغيرِ واحتراسِه ، وإراحةِ الأرض
وأهلِها من دَنَسِه وعُدوانِه ؛ وكونِ من ضامِّه من طبقاتِ العرب والأكراد والأترك
البغداديين والعوامِّ بين قبيلِ مُرملِ^(١) بدمِه ، وأسيرِ تَلَقَّى المنونِ بفضةِ أسفِه ونَدَمِه ،
وصريرِ^(٢) في بَقِيَّةِ من ذمَّائِه ، وهاربِ والطلبِ واقعِ من ورائِه . فأنجز اللهُ وعده في هذا
السارقِ ، والعبدِ الآبقِ ؛ الذي غرِه إمهالُ الله تعالى إياه فنسى عواقبَ الإهمالِ
في الغوايةِ ، والإمهالِ في الطغيانِ إلى أقصى الحدِّ والغايِه ؛ وحملَ رأسه إلى البابِ
العزيرِ فتقدمَ بالتطوافِ به في جانبي مدينةِ السلامِ وشهرِه ، إبانهً عن حالِه وإيضاحا
لجليَّةِ أمرِه ؛ وكُفِّيَ ما يوجبُه إقدامُه على العظائمِ التي علمَ اللهُ تعالى سوءَ مصيرِها
ومآلِها ، وحُرِّمَ الرُّشدُ في التمسُّكِ والتشبُّثِ بأذيالِها ؛ وتلكَ عاقبةُ من بغى وأعدى ،
وأترَّرَ بالغدْرِ وأرتدى ، وأمعن في الضلَّةِ وأعدى . وإلحدُّ واقعِ من بعدُ في المسيرِ
للاحتواءِ على بلادِ المخالفين الدانيةِ والقاصيةِ ، والأخذِ مع مشيئةِ الله تعالى بنواصي
كل نئةٍ طاغيةٍ عاصيةٍ .

فالحمد لله على هذه المنحة التي بشرت الإسلامَ بجبركسره ، وأنقذت الهدى من
ضيق الكُفْرِ وأسرِه ؛ وأبدت نجومَ العدلِ بعد أن أفلتت وغارت ، وأردت شيعةَ
الباطلِ بعد أن أعتدت على الحقِّ وأغارت ؛ وهو المسئولُ صلَّتْها بأمدادِ لها تقضى
إنه ذلك سائر الأعراضِ وبلوغها ، وتقضى بكمالِ رائقِ الآلاءِ وسُبوغها .

(١) أى بالراء المهملة بمعنى مطلق قال الشاعر :

ان بنى رملوني بالدم * شنشنة أعرفها من أنزم

(٢) الذمائم بالذال المعجمة والمد بقية النفس .

أقتضى مكانك - أمتع الله بك - من رأى أمير المؤمنين الذى وطأ لك معاقده
العز وهضابه ، وكلّ لديك دواعى الفخر وأسبابه ، ونحكك من إيجابه الذى وصلت به
إلى ذروة العلاء ، وصلت على الأمثال والنظراء ، إشعارك بما جدده الله تعالى من هذه
النعمة التى غدت السعود بها جمّة المناهل ، سامية المراتب والمنازل ، لتأخذ من حظّه
بها ، والشكر لله تعالى على ما تفضل به فيها بالقسم الأوفى ، كفاء ما يوجبه ولاؤك الذى
امتطيت به كاهل المجّد ، وأصطفيت به كامل السعد ، وكونك لدولة أمير المؤمنين
شهابها المشرق فى الحنّادس ، وصفيها الرافل من إخلاص مشايعتها فى أنخر الحلال
والملابس ، والله تعالى لا يخليك ، من كل ما تستدرّ به أخلاف^(١) معاليك ، ولا يعدم
أمير المؤمنين منك الوليّ الحميد السيره ، الرشيد العقيدة والسريه ، الشديّد الشاكلة
والوتيره .

هذه مناجاة أمير المؤمنين لك ، أجزاك فيها على ما عودك من التجمّل والإكرام ،
وحبّاك فيها بما هو مبشّر لك بالسعادة الوافية الأصناف والأقسام ، فتلقها بالجدل
والإستبشار ، وواصل شكر الله تعالى على ما تضمّنته من حسن مجارى الأفضية
والأقدار ، وطالع حضرة أمير المؤمنين بأنباك ، وتابع إنهاء ما يتشوف نحوه
من تلقائك ، إن شاء الله تعالى .

الضرب الثانى

(أن يتخذ التحميد فى أول الكتاب ، وهو أقلّ وقوعاً من الضرب الذى قبله)
وهذه نسخة كتاب من ذلك ، كتب به أبو إسحاق الصابى عن « المطيع لله » إلى
بعض ولاة الأطراف ، عند طاعة عبد الملك بن نوح أحد ملوك بني ساسان ، وهى :

(١) فى الأصول أعلام وهو تصحيف .

أما بعد ، فالحمد لله الوليّ بالاستحجاد ، المستحقُّ لِكُنْه الاعتقاد ، القديرِ على
تأليف الأجراد ، البصيرِ بسبُل خفايا الأحقاد ؛ ذى الحكمة فى تَبْدِيل الضغن
والسَّخِيمَة ذِمَّة ، والمُنَابَذَة عِصْمَه ، والقَطِيعَة وَصْلَه ، والشَّحْنَاء خُلَّة ؛ والحَرْج فَرْجَه ،
والشَّعَث نِضَارَةٌ وَبَهْجَه . الذى جعل الصُّلْح فَتْحًا هَنِيئًا ، والسُّلْم مَنْجَا بَهِيًّا ، والمُوَادَعَة
مَّنَا جَزِيْلًا ، والإِرْعَاء أَمْنًا جَمِيْلًا ؛ والإِقَالَة حَرْمًا لَا يُضِلُّ هِدَاه ، وَلَا تُحَلُّ قُوَاه ؛
وَلَا تُخَيِّب عَوَاقِبُه ، وَلَا تُخْفِي مَآثِرُه وَمِنَاقِبُه ؛ رَأْفَةً مِنْه بِالْخَلْق ، وَصِيَانَةً لِأَهْلِ الْحَقِّ ؛
وإِمْهَالًا فِي الْعَهْد ، وَرُخْصَةً فِي الْإِخْتِصَارِ دُونَ الْحَدِّ ؛ لِيُقْرَبَ فَيْئَةُ الْمُتَأَمِّل ، وَيُسَهَّلَ
رَجْعَةُ الْمُتَحَصِّل ؛ وَتُسْرَع رِفَاهِيَةُ الْمُسْتَبْصِر ، وَيُنْخَفَّ اجْتِهَادُ الْمَزَاوِلِ الْمُشْتَمِر ؛ وَقَدْ
قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ ﴿ وَالصُّلْحُ خَيْرٌ ﴾ وهو المسئولُ عِمَارَةُ الْإِسْلَامِ بِالسَّلَامِ ، وَالْأَنْامِ
بِالْإِسْتِقَامَةِ ؛ وَالسُّلْطَانِ بِالطَّاعَةِ ، وَالْمُلْكِ بِخُوعِ الْجَمَاعَةِ ؛ حَتَّى لَا تُزَالَ الْفِتْنَةُ مَهِيضَةً
الْجَنَاحِ ، مَرِيئَةً الْأَجْتِيَاحِ ؛ فَلَيْلَةُ الشَّبَابِ ، قَلِيلَةُ الْأَدْوَاتِ ؛ فَتَكُونُ النَّفُوسُ وَاحِدَةً ،
وَالْأَيْدِي مُتَرَاغِبَةً ؛ وَالْمَوَدَّاتُ صَافِيَةً ، وَالْمَآرِبُ مُتَكَافِيَةً مُتَضَاهِيَةً ، فِي الشُّكْرِ الَّذِي
يُزَادُ بِهِ عَنِ النَّفُوسِ ، وَيَجْمَعُ بِهِ حَرِيمُ الدِّينِ ؛ وَيُرْجَى مَعَهُ التَّأْيِيدُ ، وَيُتَّبَعُ بِوَسِيْلَتِهِ
الْمَزِيدُ ، فَقَدْ قَالَ اللَّهُ - وَقَوْلُهُ الْحَقُّ - : ﴿ لَئِنْ شَكَرْتُمْ لِأَزِيدَنَّكُمْ ﴾ وَاللَّهُ سَمِيعٌ مُجِيبٌ .
وَحَسْبُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ !

وقد علمت ما فرط من نوح بن نصر فى السَّهْوِ ، وَنُقِمَ مِنْه فِي الْهَفْوِ ؛ الَّذِي أَلْهَاهُ
عَنِ التَّقْوَى ، وَأَنْسَاهُ شِيْمَةَ الرُّقْبَى ؛ فَعَدَلَ عَنِ سَنَنِ الْقَصْدِ ، وَزَاغَ عَنْهُ عَلَى عَمْدٍ ؛
وَحَالَ عَنِ آدَابِ آبَائِهِ رَحِمَهُمُ اللَّهُ وَهُمْ الْقُدُوهُ ، وَسَجَّيَاهُمُ وَبِهِمُ الْأُسُوهُ ، وَمَا كَانَ
يُنْتَمِي بِهِ مِنَ الْوَلَاءِ ، وَيَعْتَرَى إِلَيْهِ مِنَ الْوَفَاءِ ؛ وَصَارَ أَدْنَى مَعْنَى مَنْ يُحْسُدُهُ عَلَى كَرَمِ
الْأَصْلِ ، وَيُنَافِسُهُ فِي شَرَفِ الْمَحَلِّ ؛ وَيُدْخِلُ عَلَى عَقْلِهِ مُدْخَلَ النِّصِيْحَةِ ، وَيَطَّلِعُ

(١) أى انقيادها يقال بجع لى بالحق بخوعا انقاد وبذله .

بظاها على آرائه الصريحة؛ وكل ذلك إلحاد في أمير المؤمنين وعهدته، ومروق عن أزمته، وعقوق بالبرية يشق به الباق، ولن يشق به النازح الماضي. فإن أمير المؤمنين مازال واعياً لأوامر سلفه، عارفاً بماثر خلفه؛ متجافياً لأولئك عما أبدعه، متنوّياً لهذا التجاوز عما صنعه؛ فقد كان نُمى إلى أمير المؤمنين أن عبد الملك ابن نوح مولى أمير المؤمنين سليم السريه، سيد البصيره؛ يرجع إلى رأيه وتدبيره، ولم يجذ وشمكير بن زنار، عاجله بالبور؛ مساعاً إلى ختله، ولا احتيالاً في ليّه وقتله؛ وكان لعبد الملك ركن الدولة بن مالك مولى أمير المؤمنين ظهير صدق، إن وسن أيقظه، وإن مادأيدّه؛ خلة فضل فطره الله عليها، وغريزة تميز أحسن الله إليه فيها؛ فإنه لو قال أمير المؤمنين: إنه لا مثل له استحق هذا الوصف. ولأمن أمير المؤمنين فيه الخلف. ترك لباس أبيه فزرعه، وأعتاض منه وخلعه؛ وتنصل مما كان منه منتهاكاً، فعاد عليه محتكاً؛ وأتى الأمر من طريقه، ولجأ فيه إلى فريقه؛ ركن الدولة أبو علي مولى أمير المؤمنين، أحسن الله ولايته، ومعز الدولة أبي الحسين تولى الله معونته، وأستصلحهما، وكفى، وأستخلصهما، وغنى؛ وراسل في الإنابة وإن لم يكن حائداً، والأستقالّة وإن لم يكن جانبا؛ فما ترك ركن الدولة ومعز الدولة - كلاهما الله - إجماله، وإجلال أمره؛ والقيام بخلصه، والنطق عن أمير المؤمنين بلسان مشاركته؛ وإذكار أمير المؤمنين بما لم ينسّه من تلك الوثائق، التي صدر بها كتابه، والعلائق، التي وشّع بها خطابه؛ إلى أن أجّل أباحمد نوحاً وترحم عليه، وقبل عبد الملك وأحسن إليه؛ وواصل رُسله، وأستمع رسائله؛ وقلده خراسان ونواحيها، وسائر الأعمال الجارية فيها، وعهد إليه في ذلك عهداً وميزه باللواء، وانحلّع والحباء؛ بعد أن كّنّاه بلسانه، ووفاه حدود إحسانه؛ وألحقه في ذلك بأبائه، ولم يقصّر فيه بشأوه. وكتاب أمير المؤمنين هذا وقد أطردت الحال وأستوثقت، وأمتزجت الأهواء

وَأَتَّفَقَتْ ، وَخَلَا الْمَشْرِقُ مِنَ الْأَضْطْرَابِ الَّذِي طَالَ أَمْدُهُ ، وَلَمْ يَكْدُ يَرَى أَثْرَهُ ،
وَصَارَتْ الْعَسَاكِرُ الدَّانِيَةَ وَالنَّائِيَةَ فَوْضَى لَاتِمْتَازِ ، وَلَا تَتْفَرِدُ وَتَنْحَازِ ، وَذَلِكَ صَنَعُ اللَّهِ
لَأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ فِي حَمْعِ الشَّتَاتِ ، وَتَلَافِي الْهَنَاتِ ، وَلَمْ خَلَّ التَّخَاذُلُ ، وَمُدَاوَاةُ نَقْلِ
الدَّخَائِلِ ، لِتَمَّ الْكَلِمَةُ فِي وِلَايَتِهِ ، وَتَعَمَّ النِّعْمُ فِي طَاعَتِهِ ، وَلَا يَكُونُ لِلشَّيْطَانِ سَبِيلٌ
عَلَى شِيعَتِهِ ، وَلَا طَرِيقٌ إِلَى مَكِيدَةِ أَبْنَاءِ دَعْوَتِهِ ، وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ .

فَأَحْمَدُ اللَّهَ عَلَى هَذَا النَّبِيِّ الَّذِي تَطَوَّقَ بِهِ الْمِقْدَارَ ، وَالخَبَرَ الَّذِي دَلَّتْ عَلَيْهِ الْأَخْبَارُ ؛
مِنَ الْفَتْحِ الَّذِي لَمْ يَنْغَضِهِ تَعَبٌ ، وَلَمْ يَكْدُرْهُ عَنَاءٌ ، وَلَا نَصَبٌ ؛ فَإِنَّهُ تَأَثَّرَ سَهْلًا ، وَأَتَى
رِسَالًا ؛ وَأَبْتَدَأَ عَفْوًا ، وَأَنْتَهَى خَالصًا صَفْوًا ؛ فَقَدْ قَمَعَ اللَّهُ بِهِ الْعِنْدَةَ ، وَجَمَعَ بِتَهْيِئَتِهِ
الْعَبْدَةَ ؛ وَأَذَنَ عُقْبَاهُ بِالسَّعَادَةِ ، وَبَشَّرَفِي سِيْمَاهُ بِاتِّصَالِ الْمَادَةِ ؛ وَأَنْزَلَ أَبَا الْفَوَارِسِ
عَبْدَ الْمَلِكِ بْنِ نُوحٍ مَوْلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ مِنْزَلَةً مِنْ رَأَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ أَهْلًا لِلْوَدِيعَةِ ،
وَأَمَنَهُ عَلَى الصَّنِيعَةِ ؛ وَرَتَّبَهُ مَرْتَبَةَ الْمَسْبُوحَةِ ، وَأَسْتَحْفَظَ اللَّهُ حَسَنَ الْمَوْهَبَةِ بِهِ ،
وَمَا قَدِ تَجَدَّدَ بَيْنَ أَبِي الْفَوَارِسِ وَبَيْنَهُمَا مِنَ الْإِتِّحَادِ ، الْمَتَوْلِدِ عَنِ الْإِغْتِبَاطِ وَالْأَعْتِدَادِ ؛
فَقَلَّ مِنْ شَاقَّتِهِمَا فَلَمْ يَنْدَمَ ، وَتَمَزَّدَ عَلَيْهِمَا فَلَمْ يُكَلِّمْ ؛ وَتَمَسَّكَ بِهِمَا فَلَمْ يَسْعَدَ ، وَارْتَبَعَ
أَكْفَاهُمَا فَلَمْ يُوْعَدْ ؛ وَأَجَبَ عَنْ هَذَا الْكِتَابِ بِوَصُولِهِ إِلَيْكَ ، وَمَوْقِعِ مَتَضَمَّنِهِ لَدَيْكَ ؛
وَمَا يُجَدِّدُهُ لَكَ مِنَ الْجَدَلِ ، وَأَنْقَسَاحِ الْأَمَلِ ؛ مَوْفِقًا إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .

النوع الثاني

(أَنْ لَا يَتَّعَبُ الْبَعْدِيَّةَ تَحْمِيدًا ، بَلْ يَقَعُ الشَّرُوعَ عَقْبَهَا فِي الْمَقْصُودِ)

وهذه نسخة كتاب من ذلك ، كَتَبَ بِهِ أَبُو إِسْحَاقَ الصَّابِغِيُّ عَنْ الطَّائِعِ لَهِ اللَّهِ إِلَى مِنْ
بُصْحَارٍ وَسَوَادِهَا ، وَجِبَالِ عُمَانَ وَأَعْمَالِهَا ، وَحَاضِرَتِهَا وَبَادِيَتِهَا ، بِالْأَمْرِ بِالْإِجْتِمَاعِ
عَلَى الطَّاعَةِ ، وَهِيَ :

أما بعد، فإن أمير المؤمنين للذى حمّله الله من أعباء الإمامة، وأهله له من شرف الخلافة، وأستودعه من الأمانة في حياة المسلمين، والأجتهاد لهم في مصالح الدنيا والدين، يرى أن يراعى من بعد منهم ونأى، كما يراعى من قرب ودنا، وأن يلاحظ جماعتهم بالعين الكالية، ويطلبهم بالعين الوافية، ويتصفح ظواهر أمورهم، وبواطن دواخلهم، فيحمد من سلك نهج السلامه، ويرشد من عدل عن الاستقامه، وينظم شمل الجماعة على الألفة التي أمر الله بها وحض عليها، ويزيلهم عن الفرقة التي ذمها ونهى عنها، إذ يقول جل من قائل: ﴿ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَتَازَعُوا فَنفَشُوا وَتَذَهَبَ رِيحُكُمْ ﴾ : ﴿ وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا ﴾ فلا يزال أمير المؤمنين يعترفهم ما أقرض الله عليهم من طاعة الأئمة وأولى الأمر الذين لا عصمة لمخالفهم، ولا ذمة لمعاينهم، ولا عذر لمسلم ولا معاهد نأى بجانبه عنهم، وضل بوجهه عن سبيلهم، إذ كان الإمام حجة الله على خلقه، وخليفته في أرضه، وكانت الطاعة واجبة له ولن قلده أزيمة أموره، وأستنايه في حمل الأعباء عنه، فمن آتس منه الهداية أحمده، ومن أنكر منه الغواية أرشده بالوعظ ما أكتفى به، أو بالبسط إن أحوج إليه. وإن أمير المؤمنين يسأل الله أن يوفقه للرأى السديد، ويمده بالصنع والتأييد، ويتولاه بالمعونة على كل ما ألمّ الشعث، وسدّ الخلل، وقوم الأود وعدل الميل، وأحسن العائدة على المسلمين جميعا في شرق الأرض وغربها، وسهلها وحزنها، إنه بذلك جدير، وعليه قدير، وماتوفيق أمير المؤمنين إلا بالله عليه يتوكل وإليه ينب.

وقد علمتم أن أمير المؤمنين أحسن إلى الرعية بما كان فوضه إلى عضد الدولة وتاج الملة - رحمة الله عليه - من سياستهم باديا، ثم أحسن باستخلاف عديله وسليبه صمصام الدولة وشمس الملة ثانيا، إذ كان خيرة أمير المؤمنين وصفوته، وحسامه ومجنه، والمورد المصدر عنه بالعهدين المستمرين: من أمير المؤمنين بالنص عليه، ومن

الوالد رحمه الله بالوصية إليه. وإن هذه العقود المؤكدة، والعهود المشددة؛ موجبة على الكافة طاعة من حصلت له، أو استقرت بوثائقها في يده؛ إذ لا يصح من حاكم حكم، ولا من عاقِد عقد، ولا من والٍ إقامة حد، ولا من مسلمٍ تأديّة فرض حتى يكون ذلك مبنياً على هذا الأصل، ومُدّاراً على هذا القطب، وإن كان خارج عنهما وراض بخلافهما، نخرج من دينه، أثم بربه، برئ من عصمته؛ وأنتم من بين الرعية فقد خصصتم سالفاً بحسن النظر لكم، وعُرفت الطاعة الحسنة منكم؛ فتقابلت النعمة والشكر، تقابلاً طاب به الذكر، وانتظم به الأمر؛ ثم حدثت الهفوة المعترضة قبيل، فكان أمير المؤمنين موجِباً للمعاقبة الموجبة على الجاهل الموضع في الفتنه، والمُعاتبه الممضّة على الحكيم منكم القاعد عن النصرة؛ إلى أن وردت كُتُبُ أستاذهم من بن الحسن، حاجب صمصام الدولة، باستمراركم على كلمة سواء، في نصرة الأولياء، والمحاماة دونهم؛ ومدافعة الأعداء والمُراماة لهم؛ فوقع ذلك من أمير المؤمنين أحسن مواقع، ونزل لديه أطف منازله؛ وأوجب لكم به رضاه المقترن برضا الله سبحانه، الموجب للقربة والزلفى عنده؛ وأمير المؤمنين يأمركم بالدوام على ما أنتم، والثبات على ما استأنفتم؛ والمبادرة إلى كل ما يأمركم به فلان الوالى عليكم من صمصام الدولة بالاستخلاف والتفويض، ومن أمير المؤمنين، بالإمضاء لما أمضاه، والرضا بما يرضاه، فاعلموا ذلك من رأى أمير المؤمنين وأمره، وأتتهوا فيه إلى حده ورسمه؛ وكونوا لفلان الوالى خير رعيّة، يَكُنْ لكم خير راع؛ فقد أمر فيكم بحسن السيرة، وإجمال المعاملة، وتخفيف الوطأة، ورفع المئونة؛ وجعل إليه عقاب المسيء، وثواب المحسن، ومسالمة المسالم، ومحاربة المحارب، وأمان المستامن، وإقالة المستقيل، وحمل الجماعة على سواء السبيل، إن شاء الله تعالى.

الجملة الثالثة

(في الكتب الخاصة مما يصدر عن الخلفاء ، وهي على ضربين)

الضرب الأول

(ما يكتب عن الخلفاء إلى وزراءهم)

قال في "صناعة الكتاب" : ويكتب الإمام الوزير أو من حل محله «أمتنى الله بك وبدوام النعمة عندى بك ، وبقاء الموهبة لى فيك» وما جرى هذا المجرى .

وذكر في "ذخيرة الكتاب" : أن الدعاء للوزير «أمتعنا الله بك وبدوام النعمة لنا فيك وتجديد الموهبة عندنا بك» . ثم قال : ودعا "المكتفى بالله" للقاسم بن عبد الله لما أمر بتكنيته ، وكان الكتاب بخطه «أمتنى الله بك وبالنعمة فيك» ووقع المستنصر إلى وزيره أحمد بن الحبيب «مد الله فى عمرك» . وهو قريب مما ذكره فى "صناعة الكتاب" فى ذلك كله . والذى رأيت فى مكاتبات العلاء ابن موصلاً عن «القائم بأمر الله» التصدير بما فيه تعظيم الوزير وتكريظه ، من غير ضابط فى الأبداء ، والدعاء فى أثناء ذلك بالحياطة ثم التوصل إلى المقصد .

وهذه نسخة كتاب كتب به العلاء بن موصلاً عن القائم إلى وزيره :

لما خص الله تعالى الدولة القاهرة العباسية بامتداد الرواق ، فى العز واتساع النطاق ، وأجرى لها الأقدار بما يجمع شمل الحق ويمنع من نفاق النفاق ، وأفرد أيامها بالبهاء المنير الأعلام ، والانتهاى فى قوة الأمر إلى ما يتأدى فى طاعتها بين اليقظات والأحلام ، وجعل الزمان واقفاً عند حدها فى النقض والإبرام ، ومتصرفاً على حكمها فى كل ما حاول من حالٍ ورامٍ ، وممكن لها فى الأرض حتى أذلت نواصى الأعداء قهراً

وَقَسْرًا، وَحَسْرَتْ عَنْ قِنَاعِ الْقُدْرَةِ عَلَى رَدِّ الطَّامِعِينَ فِي إِدْرَاكِ مَدَاهَا ظُلْمًا حَسْرَى؛
فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى لَمْ يُخْلِهَا كُلَّ وَقْتٍ مِنْ قَائِلٍ فِي نُصْرَتِهَا فَاعِلٌ، وَقَائِمٌ بِإِقَامَةِ حِسْمَتِهَا مِنْ
كُلِّ حَافٍ مِنَ الْأَنَامِ وَنَاعِلٍ؛ وَرَاغِبٌ فِي الذَّبِّ عَنْ حَوْزَتِهَا سِرًّا وَجَهْرًا، وَخَاطِبٌ
مِنْ خِدْمَتِهَا مَا يُرْجَى أَنْ يَكُونَ رِضَا اللَّهِ فِي الْمُقَابَلَةِ عَنْهُ أَغْلَى مَهْرًا؛ وَنَاهِجٌ جَدَدَ الرُّشْدِ
فِي الْمَنَاضِلَةِ عَنْهَا بِسَيْفِهِ وَقَلَمِهِ، وَفَارِجٌ لِلْكُرْبِ الْحَادِثَةِ فِيهَا بِنُطْقٍ فِيهِ وَسْعَى قَدَمِهِ .
وَقَدْ مَنَعَ اللَّهُ أَيَّامَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ - مِنْ كَوْنِكَ الْوَلِيِّ بِمَوَاصِلَةِ الْمَقَامَاتِ الْغُرْفِيَّاهَا،
وَالْحَلِيِّ مِنْ كُلِّ مَا يُبَايِنُ صِحَّةَ الْمَوَالَاةِ وَيُنَافِيهَا؛ وَالضَّمِينَ لِمَا عَادَ عَلَيْهَا بِأَسْتِقَامَةِ
النِّظَامِ، وَالضَّمِينَ بِمَا يُوجِدُ لِلغَيْرِ الطَّرِيقَ إِلَى وَصُولِ الْحَتْفِ إِلَيْهَا وَالْأَهْتِضَامِ؛
وَالْمُتَجَرِّدَ فِي إِمْدَادِ عِزِّهَا بِالْإِحْصَافِ وَالْإِمْرَارِ، وَالْمُتَفَرِّدَ بِإِعْدَادِ أَقْسَامِ الْمَنَاضِلَةِ
دُونَهَا فِي الْإِعْلَانِ وَالْإِسْرَارِ؛ وَالْبَاذِلَ وَسَعَهُ فِيهَا تَنْيُّهَا إِلَيْهَا أَعِنَّةَ السُّعْدِ وَلَوَاهَا، وَالْحَاذِلَ
كُلَّ مَسْتَنْجِدٍ بِهَا فِي مَا يَخَالِفُ مَحَبَّتَهَا وَهَوَاهَا؛ مَا أَوْفَى ^(١) عَلَى الْمَأْلُوفِ فِي أَمْثَالِهَا مِنْ قَبْلِ،
وَصَارَ لَكَ بِهِ عَلَى كُلِّ مَنْ سَلَفَكَ مِنَ الْأَعْضَاءِ التَّقَدُّمُ وَالْفَضْلُ؛ فَهِيَ - بِأَنَارِكَ الْحَمِيدَةِ
فِيهَا، وَإِبْكَارِكَ الْجِدِّ فِي تَشْيِيدِ مَبَانِيهَا؛ وَكَوْنِكَ كَافِيًا أَمْرَ الْمَحَامَاةِ مِنْ وَرَائِهَا، كَافًا عَنْهَا
مَا يُخَشَى مِنْ حُدُوثِ أَسْبَابِ الْفَسَادِ وَأَعْتِرَائِهَا - مَنِيعَةٌ الْجَانِبِ مَرِيعَةُ الْجَنَابِ،
سَرِيعَةٌ فِيهَا السُّعُودِ إِلَى مَا يَلْبِي نِدَاءَهَا بِأَحْسَنِ التَّلِيَّةِ وَالْجَوَابِ .

ثُمَّ إِنَّهُ وَإِنْ كَانَتْ زُلْفُكَ إِلَى حَضْرَةِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ بَادِيَةَ الْمَجُولِ وَالغُرْرِ، غَيْرَ مَحْتَاجَةٍ
إِلَى إِقَامَةِ الدَّلِيلِ عَلَيْهَا بِمَا أَتَّضَحُّ مِنْ أَمْرِهَا وَأَشْتَهَرَ، فَإِنْ فَلَانَا يُعِيدُ جِلَاءَهَا دَائِمًا
فِي أْبْهَى الْمَلَابِسِ وَأَنْضَرُهَا، وَيُجِيدُ الْجِدَّ فِي الدَّلَالَةِ عَلَى تَقَابُلِ تَخْبِرِهَا فِي الْجَمَالِ
وَمَنْظَرِهَا؛ وَيَكْشِفُ مِنْ صَفَاءِ السَّرَائِرِ فِيهَا وَالْبِوَاطِنِ، وَمَا يَطَّلِعُ عَلَيْهِ مِنْهَا فِي كُلِّ
الْمَحَالِّ وَالْمَوَاطِنِ؛ مَا يُسْهَبُ فِي وَصْفِهِ وَيُعْجَبُ سَمَاعُ ذِكْرِهِ وَيُطْرَبُ .

(١) هذا هو المنعول الثاني لمنح .

وفي هذه التوبة عاد، وقد زاد، على المعهود من شكره وجزاه، وأبان عن صلته بالوعد في ضمان النجح منك تجازيه، وأوجب على نفسه أن لا يقف عند حد فيما يؤدي إلى نشر محامدك في الأرض، وطى الجوانح لك على الإخلاص الصادق المحض.

ولما مثل بحضرة أمير المؤمنين على رسمه الذى وسم بالجمال جبينه، وأبتسم ثغر التوفيق فيه عما أصبح النجح أليف سعيه وقرينه، وبحسب فوزه من شرف الخطوة برتبة لم ينلها أحد الأقران له في الزمان، وفوته شأو أبناء جنسه يوم المضمار والرهان، كفاء ما يستوجه بغلاء قيمته في الكمال، والغناء به في كل مقام أمن حد مضائه فيه الكلال؛ أشار بذكر مقاصدك التي حزت بها من غنائم الحمد الصفايا، وشاد مباني محامدك بفضل الإبانة عن السرائر والخفايا، وتابع الثناء على كل من أفعالك التي أمسى هلاك فيها مقمرا، ووضح فيها كونك بشروط الإخلاص محبا مضمرا، وشرح من توفرك على كل قربة غراء تغرى الألسنة بمحمدك، وتنبئ عن حسن مقصدك برفع عماد الحق وعمدك، ما قامت عليه الأدلة، وأستقامت به على سنن الرشد الأهواء المضلة، وبين من إمضائك كل عزم في تهيئة القربات إلى حضرة أمير المؤمنين حالا فخالا، وإبطائك خطأ الحد فيما يراد بزلفك البالغة أقصى الغايات لديه سابقا وأتصالا، ما يضاهى المظنون في تلك العقيدة التي طامأ ألفت في نصرة الدولة القاهرة صافية المورد والمنهل، حالية من الحسنى بكل حال أتضح فيها ما ألهى عن غيرها من الوصف وأذهل؛ فقولت بما تستحقه من إحماد أشيع وأذيع، وأتبع فيه الواجب وأطيع؛ وتضاعف الأعداد بأفعالك التي أعنت بالعون منها في الجمال والأبكار، وأعدت بها الأمور في الصلاح إلى ما يؤمن بإضاحه المجد والإنكار. ومن أحق منك بكل فعال تضيء مصابيح الخير فيه، وينتشر جميل الذكر من مطاويه، وأنت للدولة الولي الأمين!، وبحفظ نظام كل أمر يختص بها الكفيل

الضّمين؛ ومن أولى منك بكلِّ حمدٍ يَفدُ إليك إمداده أرسالا، وتجدُّ منه ضالّةً تشدُّ
مثلها آمالٌ سواك فأبت بالخبيّة عَجَالًا؛ فلكَ من الحقوق ما لا يُنسى، وما يلزم أن يُرعى
في كلِّ مُصبحٍ ومُمسيٍّ. فأحسنَ اللهُ جزاءَكَ عن كونِكَ في دولته ذابًا عن المجدِّ حاميا .

فأما ما تُحدّد في معنى الأعمال على الوصف الذي قضى بزوال الخلف وأنحسامه،
واقضى رأيك إجراء الأمر على ما استصوب من اتّساقه وانتظامه ؛ فقد وقفت
عليه ، وأجيز ما أشرت إليه ؛ فأعوّض الدنيا تهون وتسهل في ضمن ما يُلحظ من
اعتناقك أحكامَ مشايعةِ الدولة التي قُمتَ بأعبائها في كلِّ أوان ، وغدت آثارك فيها
باقيةَ الذّكر والأجرِ على تقضى الأزمان ؛ فأنت المرغوبُ في الشناء ولايةً وإن شانت
الأحوال ، والمُخلص الذي لا عوّض عنه في كلِّ مقام ومقال ؛ فقد أحاط العلم بتفصيل
ذلك وجملته ، وتحقق أن الخيرة في كلِّ ما تُشير إلى سلوك طريقه وجده ؛ ولذلك
أُجيب فلان إلى الحضور والمستخدمون معه ، ولمُذن في المقابلة بالقوانين القديمة والباقي
والجرائد ، والموافقة على ما رأيتَه في البوادي والعوائد ؛ والتزّه عن كلِّ ما شدَّ عن
الحجة المؤكدة بتوفيقك وتوفّر الموجود لهذه السّنة فيه عليه ، وحسَم موادَّ استزادته
في كلِّ ما تمسك به وأشار إليه ؛ والثّقة من بعدُ مستحكمةٌ بتوفّرك على ما يرادف إليك
إمدادَ الحمد ، وتجديدك كلِّ قرّبة تنضمُّ إلى سوابقها المتجاوزة حدِّ الإحصاء والعدّ .

فأما ما تضمّنته إشارتك في حقِّ السّر الرّبيع ، فهل الصّلاح إلا من نتائج
أقوالك ؟ . وهل مساعيتك إلا موقوفة على الخير وأفعالك ؟ . وهل الموافقةُ إلا لك
في جميع آرائك وأبحاثك . وبحكم آبتدائك لاستقامة النّظام فيما قرّب وبعُد ،
والسكّون إلى إسعافك في كلِّ أمرٍ يحدث ويتجدّد ؛ ويبعثُ على ما يُعيدُ رونقَ
الحشمة من الوهن ، ويهز طاعنك في كلِّ أمرٍ يُحقّق التقدير فيها والظنّ ، فإذا

تُصَفِّحُ حَقُوقَ الْوَكَلَاءِ الْمُجْتَبَاةِ وَجَدْتَ مَوْفِرَةً عَلَى اقْتِنَاءِ الْأَجْرِ، مَصْرُوفَةً فِي وُجُوهِ الْبِرِّ الَّتِي هِيَ أَنْفَعُ الذُّخْرِ فِي غَدٍ . وَهَلِ الْأَعْوَاضُ إِلَّا عِنْدَ مَنْ يظُنُّ الدُّنْيَا بَعِيْنَهَا قِيْمَةً تَنَافَسَ ، وَهَلِ مَصِيْرَهَا إِلَّا إِلَى انْقِضَاءٍ وَلَوْ أُسْعِفَتْ بِالرَّغَائِبِ وَالنَّفَائِسِ ، غَيْرَ أَنْ الْأَحْوَالَ إِذَا كُشِفَ مَسْتَوْرُهَا أَثْبَتَ مَا يَقْتَضِي إِسْبَالَ سِتْرِ الْإِشْفَاقِ ، وَالْبُؤْسِ الْمَتَى أُعْرِبَ عَنْهَا أَشْمَتَ ذَلِكَ كُلِّ مُجَانِبٍ لِلدَّوْلَةِ مِنْ أَهْلِ النِّفَاقِ ، وَأَنْتِ الْمُعْتَمَدُ لِتُدِيرِ مَا يَصُونُ حِشْمَةَ الدَّوْلَةِ عَنِ الْبِدْءِ وَالْخَلَلِ ، وَالْمَرْجُوعُ إِلَيْهِ فِي تَحْسِينِ الْأَمْرِ فِيمَا وَقَعَ الْأَجْتِهَادُ فِيهِ حَتَّى تَيَسَّرَ قَدْرُهُ وَتَسَهَّلَ ، وَلِهَذَا تَفْصِيْلُهُ قَدْ أُوعِزَ إِلَى فُلَانٍ بِاسْتِقْصَاءِ شَرْحِهِ ، وَإِطْلَاعِكَ عَلَى حَقِيْقَةِ الْأَمْرِ وَفَصِّهِ ، فَكُنْ بِحَيْثُ الظَّنُّ فِيكَ ، تَجِدُ زَنْدَ جَمَالِكَ بِذَلِكَ أُورِي ، وَتَجِبُ لَكَ بِهِ صُنُوفُ الشُّكْرِ طَوْرًا ، إِنْ شَاءَ اللهُ تَعَالَى .

الضرب الثاني

(ما يكتب عن الخلفاء إلى وزراء الملوك)

وهي مما يؤتى في صدرها بحرف النداء غالباً . كما كتبت عن المسترشد إلى معز الدين الفضل بن محمود ، وزير معز الدين سنجر بن ملكشاه .

مَقَامُكَ يَا مِعْزَ الدِّينِ - أَحْسَنَ اللهُ حَيَاتِكَ وَكَمَّلَ مَوْهَبَتَهُ عِنْدَكَ - فِي خِدْمَةِ الدَّارِ الْعَزِيْزَةِ الَّتِي مَا زِلْتَ لِجُهْدِكَ فِيهَا بِإِذْنًا ، وَفِي جِلَابِيبِ الْمُنَاصِحَةِ رَافِلًا ، لَا يَقْبِضَنَّكَ أَنْ تُوَاوِلَ حَالًا فَخَالًا بِأَنْبَائِكَ ، وَتَسْتَدِيمَ مَا خَصِيصَتْ بِهِ مِنْ شَرِيفِ الْآدَابِ الْمُؤَيَّةِ بِكَ عَلَى أَكْفَائِكَ . وَعُرِضَ بِحَضْرَةِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ مَا وَرَدَ مِنْكَ دَالًّا عَلَى طَاعَتِكَ الْمُعْهُودَةِ ، وَمُؤَالَاتِكَ الرَّائِقَةِ الْمَشْهُودَةِ ، وَأَسْتَمْرَارِكَ عَلَى الْجَدِّ وَالْمُهَيْجِ فِيمَا حَازَ الْمَرَضَى

الشريفة الإمامية لك ، وحقَّق في الفوز بجميل الآراء أملك . وناطقًا بحال فلان المارق عن الدين ، المجاهر بمعصية الله تعالى في مخالفة أمير المؤمنين ، وما آقتضاه الرأي المعزّي بحسن سفارتك ، وسداد مقصدك في الطاعة وصفاء نيتك . وأحاط علما بمضمونه الذي لا ريب أنه ثمرة مناصحتك ، ونتيجة سعيك المضاهي نصيحة عقيدتك ؛ ومن أولى منك بهذه الحال ؟ وأنت الحول القلب ، ذو الحنكة المجرب ؛ الذي تفرد في الأنام بكاله ، وقصر أکفاؤه عن درك شأوه في الخير ومثاله ؛ ومازلت حديثًا وقديمًا موسوما ، بهذه المزية مرقوما ؛ وبغير شك أنك تُراعى مابدأت به ، وتعضد مقالک في مواردہ بما تعمدہ في مصادره ، وتحرُس ما قدمته من الاحتياط بتحريك في أواخره ؛ وتُمضي العزيمة لإتمام ما شرعت فيه ، كفاء ما يوجبہ دينك ويقتضيه ؛ جريا على وتيرتك فيما قضى للأحوال بالانتظام والآتساق ، وأذن لشمس الصلاح بالإضاءة والإشراق .

وبعد فقد عرفت ما تكرر إليك في أمر هذه الطائفة الخبيثة ، المكاشفة بمذهب الإلحاد ، المبارزة بسوء الاعتقاد ؛ بعثا على جهادها ، وكف ضررها عن الإسلام وفسادها ؛ ورفع ستر المراقبة عنها ، والانتقام لله ولرسوله منها ؛ وما يُقنع من همة معز الدولة والدين - أمتع الله ببقائه - ومن وافر عقلك ودينك ، وصدق يقينك ؛ إلا بإرهاق العزيمة في مكاشفتها ، وخوض الغمار في محاربتها ؛ والقصد لمضايقة من اعتصم منها بالقلاع ، وقتل كل من يُظفر به في سائر البقاع ؛ حميةً وأمتعاضاً للدين ، وأنفا مما استولى عليه بها من الضرر المبين ؛ فكن من وراء الحب لمعز الدنيا والدين على تيقنك هذا المثال ، والأدكار بما تفوز به مع الأمثال له في المسأل ، وأنهض في تنفيذ ما يأمرُك به في هذا الباب نهضةً من أتر رضا الله وأراده ، وبذل في صلاح معاده أجهاده ؛ فإن الله سبحانه لا يرضى منكما للانتصار لدينه بالتقصير ،

وأمر المؤمنين أمرًا بالحد فيه والتشمير؛ وقد شرفك بثقة أمر بجلها إليك من بين
يدى سُدته، وأعرب بها عن مكانك من حضرة؛ إنافة على الأمثال بقدرك،
وإضفاءً لملايس نخرتك؛ فأعرف بمكان النعمة في ذلك، وأسلك في القيام بشكرها
أوضح المسالك؛ وأديم المواصلة بمطالعتك، وقدم التوقع من إجابتك، تفز من المراضى
الشريفة بالخط الأسنى، ويجمع لك منها الاسم والمعنى، إن شاء الله تعالى.

الطرف الرابع

(في الكتب الصادرة عن خلفاء بني العباس في الديار المصرية)

بعد مصير الخلافة إليها)

وهي على ثلاثة أساليب :

الأسلوب الأول

(أن يُفتح الكتاب بلفظ « من فلان إلى فلان »)

والحكم فيها على ما كان الأمر عليه في خلافتهم ببغداد، إلا أنه زاد فيه لفظ
« ووليه » بعد لفظ « عبد الله » في أول الكتاب فيقَال في افتتاحه : « من عبد الله
ووليه أبي فلان فلان الإمام الفلاني » . ثم يقال : أما بعد حمد الله، ويؤتى على آخر
الخطبة، ثم يتخلص منها وينتختم بالأمر بامتنال ما أمر به . ويقال بعد ذلك : موقفاً
إن شاء الله تعالى . والخطاب فيه بالكاف، وربما أفتح الكتاب بآية من القرآن الكريم
مناسبة للمعنى .

وهذه نسخة كتاب كُتِب به عن الإمام المستكفي بالله "أبي الربيع سليمان ابن
الحاكم بأمر الله أحمد" إلى الملك المنوِّد هُزْبُ الدين داود ابن الملك المظفر صلاح

الدين يوسف بن رسول في الدولة الناصرية « محمد بن قلاوون » في سنة سبع وسبعائة ، حين منع صاحبُ اليمن الهديةَ ، التي جرت العادةُ بإرسالها إلى الأبواب الشريفة بالديار المصرية ، مفتحةً بآية من القرآن ، وهو :

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ ﴾ .

من عبد الله وولَّه أبي الربيع سليمان .

أما بعد حمد الله ما نَحَّ القلوب السليمة هداها ، ومُرَشِدِ العقول إلى أمر معادها ومبداها ، ومُوفِّق من آخاره إلى محجة صواب لا يضلُّ سالِكها ، ولا تُظلم عند إخلاف الأمور العظام مسالِكها ، ومُلهم من أصطفاه لاقتناء آثار السنن النبوية ، والعمل بموجبات القواعد الشرعية ، والانتظام في سلك من طوَّقته الخلافة عُقودها ، وأفاضت على سُدته الجليَّة بُرودها ، وملكته أقاصي البلاد ، وأناطت بأحكامه السديدة أمور العباد ، وسارت تحت خوافق أعلامه أعلامُ الملوك الأَكاسره ، وشيدت بأحكامه مناجعُ الدنيا ومصالح الآخرة ، وتبختر كلُّ منبرٍ من ذكره في ثوبٍ من السيادة معلَّم ، وتهللت من ألقابه الشريفة أسارى كلِّ دينارٍ ودرهم .

يتمَّده أمير المؤمنين علي أن جعلَ أمورَ الخلافة بني العباس منوطه ، وجعلها كلمةً باقيةً في عقبه إلى يوم القيامة محوطه ، ويصلى على ابن عمه محمد الذي أنعم الله بمبعثه مآثر من الفتن ، وأطفأ برسالته ما اضطرم من نار الإحن ، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه الذين حموا حمى الخلافة وذادوا عن مواردِها ، وعمدوا إلى تمهيد المعالم الدينية فأقاموها على قواعدِها ، صلاةً دائمةً الغدو والرواح ، متصلًا أولها بطرة الليل وآخرها بجبين الصباح .

هذا وإن الدين الذي فرض الله على الكافة الانضمام الى شعبه ، وأطلع فيه شمس هداية تشرق من مشرقه ولا تغرب في غربه ؛ جعل الله حكمه بأمرنا منوطاً ، وفي سلك أحكامنا مخروطاً ؛ وقلدنا من أمر الخلافة المعظمة سيفاً طال نجادُه ، وكثر أعوانه وأنجاده ؛ وفوض إلينا أمر الممالك الإسلامية وإلى حرمنا نُجُبٍ ثمراتها ، ويرفع إلى ديواننا العزيز نفياً وإثباتها ؛ يخلف الأسد إن مضى في غايه شبهه ، ويلقى في الخبر والخبر مثله .

ولما أفاض الله علينا حلة الخلافة ، وجعل محلنا الشريف محل الرحمة والرافة ؛ وأقعدنا على سدة خلافة طالما أشرقت بالخلائف من آبائنا ، وآبتهجت بالسادة الغطاريف من أسلافنا ؛ وألبسنا خلعةً هي من سواد السؤدد مصبوغة ، ومن سواد العيون وسويداوات القلوب مصوغة ؛ وأمضينا على سدتنا الشريفة أمر الخاص والعام ، وقلدنا كل إقليم من عملنا^(١) من يصلح سياستها على الدوام ؛ وأستكفينا بالكفاة من عملنا على أعمالنا ، وأتخذنا مضر دار مقامنا وبها سدة مقامنا ، لما كانت في هذا العصر قبة الإسلام ، وفئة الإمام وثانية دار السلام ؛ تعين علينا أن نتصفح بحرلة عمالنا ، ونتأمل نظام أعمالنا ؛ مكاناً مكاناً ، وزماناً زماناً ؛ فتصفحناها فوجدنا قطر اليمن خالياً من ولايتنا في هذا الزمن ؛ عرّفنا هذا الأمر من آتخذناه للملك الإسلامية عينا وقلبا ، وصدرنا ولبا ، وفوضنا إليه أمر الممالك الإسلامية فقام فيها مقاماً أشهد الأضداد ، وأحسن في ترتيب ممالكها نهاية الإصدار وغاية الإيراد ، وهو السداد الأجل ، السيد الملك الناصر المبجل ؛ لازالت أسباب المصالح على بابها جارية ؛ وسحابة الإحسان من أفق راحتها سارية ؛ فلم يعد جواباً لما ذكرناه ، ولا عذراً لما أبديناه ، إلا بتجهيز شريفة من بحافله المشهوره ، وتعيين أناس من فوارسه المدكورين ؛

(١) لعله أعمالنا (٢) جواب ولما أفاض .

يَقْتَحِمُونَ الْأَهْوَالَ ، وَلَا يَعْجَبُونَ بِتَغْيِرَاتِ الْأَحْوَالِ ؛ يَرَوْنَ الْمَوْتَ مَغْنَمًا إِنْ صَادَفُوهُ ،
 وَشَبَابَ الْمُرْهَفِ مَكْسَبًا إِنْ صَافَحُوهُ ؛ لَا يَشْرَبُونَ سِوَى الْمُدَامِ ^(١) مَدَامَهُ ، وَلَا يَلْبَسُونَ
 غَيْرَ التَّرَانِكِ عِمَامَهُ ؛ وَلَا يَعْرِفُونَ طَرَبًا إِلَّا مَا أُصْدِرَهُ صَلِيلُ الْحُسَامِ مِنْ غِنَاءٍ ، وَلَا يَنْزِلُونَ
 قَفْرًا إِلَّا وَبِتَّ سَاعَةَ نَزْوَلِهِمْ مِنْ قَنَا . وَلَمَّا وَثِقْنَا مِنْهُ بِإِنْفَادِهِمْ رَاجِعِنَا رَأَيْنَا الشَّرِيفَ ،
 فَأَقْتَضَى أَنْ يُكَاتِبَ مَنْ بَسَطَ يَدَهُ فِي مَمَالِكِهَا ، وَأَحْتَاظَ عَلِيٌّ جَمِيعَ مَسَالِكِهَا ؛ وَاتَّخَذَ
 أَهْلَهَا خَوْلًا ، وَأَبْدَى فِي خِلَالِ دِيَارِهَا مِنْ عَدَمِ سِيَاسَتِهِ خَلًّا . بَرَزَ مَرَسُومُنَا الشَّرِيفَ
 النَّبَوِيَّ أَنْ يُكَاتِبَ مَنْ قَعْدَ عَلِيٍّ تَحْتَ مُمْلَكَتِهَا ، وَتَصَرَّفَ فِي جَمِيعِ أُمُورِ دَوْلَتِهَا ؛
 وَطُوَّلَ بِأَنَّهُ وَلَدُ السُّلْطَانِ الْمَلِكِ الْمُظْفَرِ يَوْسُفَ بْنِ عَمْرِو بْنِ الَّذِي لَهُ شُبْهَةٌ تَمْسُكُ بِأَذْيَالِ
 الْمَوَاقِفِ الْمُسْتَعْصِمِيَّةِ وَهُوَ مُسْتَصْحَبُ الْحَالِ عَلِيٍّ زَعَمَهُ ؛ أَوْ مَا عَلِمَ الْفَرْقَ بَيْنَ الْأَحْيَاءِ
 وَالْأَمْوَاتِ ؟ أَوْ مَا تَحَقَّقَ الْحَالُ الَّذِي بَيْنَ النَّفْيِ وَالْإِثْبَاتِ ؟ ، أَصَدَرْنَاهَا إِلَى الرَّحَابِ
 التَّعْزِيَّةِ ، وَالْمَعَالِمِ الْيَمِينِيَّةِ تُشْعِرُ مَنْ تَوَلَّى عَنْهَا فَاسْتَبَدَّ ، وَتَوَلَّى كِبَرَهُ فَلَمْ يُعْرَجْ عَلِيٌّ أَحَدًا ؛
 أَنْ أَمْرَ الْيَمَنِ مَا بَرِحَتْ نُوَابِنَا تَحْكُمُ فِيهِ بِالْآيَةِ الصَّحِيحَةِ ، وَالتَّفْوِيضَاتِ الَّتِي هِيَ غَيْرُ
 جَرِيحَةٍ ؛ وَمَا زَالَتْ تَحْمِلُ إِلَى بَيْتِ الْمَسَالِ الْمَعْمُورِ وَمَا تَمَشَّى بِهِ الْجَمَالُ مَشْيًا وَثِيْدًا ،
 وَتَقْدِفُهُ بَطُونُ الْجَوَارِي إِلَى ظُهُورِ الْيَعْقَلَاتِ وَلِيدًا ، وَيُطَالِعُنَا بِأَمْرِ مَصَالِحِهِ
 وَمَفَاسِدِهِ ، وَبِحَالِ دِيَارِهِ وَمَعَاهِدِهِ ؛ وَلِكَ أُسُوةٌ بِاللِّدِكِ فَلَانَ ، هَلَّا آقْتَفَيْتَ مَا سَنَّه
 مِنْ آثَارِهِ ، وَنَقَلْتَ مَا دَوَّنَتْهُ أَيْدِي الزَّمَنِ مِنْ أَخْبَارِهِ .

وَأَتَّصَلُ بِمَوَاقِفِنَا الشَّرِيفَةِ أُمُورَ صَدَرَتْ مِنْكَ .

منها - وهي العظي التي ترتب عليها ما ترتب - قطع الميرة عن البيت الحرام ،
 وقد علمت أنه واد غير ذي زرع ، ولا يحل لأحد أن يتطرق إليه بمنع .

(١) المدام المطر الدائم .

ومنها - انصبابك إلى تفرغ مال بيت المال في شراء هُو الحديث، ونقض العهود القديمة بما تُبديه من حديث .

ومنها - تعطيل أجياد المنابر من عقود آسمنا، وخلق تلك الأماكن من أمور عقْدنا وحثنا؛ ولو أوضحنا لك ما اتصل بنا من أمرك لطلال، ولا تُسعت فيه دائرة المقال؛ رَسْمنا بها والسيف يودّ لو سبق القلم حده، والعلم المنصور يودّ لو فات العلم وأهتر بتلك الروابي قدّه؛ والكاتب المنصورة تختار لو بدرت عنوان الكتاب، وأهل العزم والحزم يودون إليك إعمال الركب، والجواري المنشآت قد تكوّنت من ليل ونهار، وبرزت كصور الأفيصة لكنها على وجه الماء كالأطيوار؛ وما عمدنا إلى مكاتبتك إلا للإندار، ولا أحتجنا إلى مخاطبتك إلا للإعذار؛ فأقلع عمّا أنت بصدده من الخيلاء والإعجاب، وانتظّم في سلك من استخلفناه فأخذ يمينه ما أعطى من كتاب؛ وضم بالطاعة من زعمت أنهم مقيمون تحت لواء علمك، ومنتظمون في سلك أوامر كلمك، وداخلون تحت طاعة قلمك؛ فلَسْنَا نَسْنُ الغارات على من نطق بالشهادتين لسانه وقلبه، وأمثل أوامر الله المطاعة عقله ولبه؛ ودان بما يجب من الديانة، وتقلد عقود الصلاح والتحف مطارف الأمانة؛ ولَسْنَا ممن يأمر بتجريد سيف إلا على من علمنا أنه خرج عن طاعتنا، ورفض كتاب الله ونزع عن مبايعتنا . فأصدرنا مرسومنا هذا إليه نقض عليه من أبناء حُلْمنا ما أطال مدة دولته، وشيد قواعد صولته؛ ونستدعي منه رسولاً إلى مواقفنا الشريفة، ورحاب ممالكنا المنيفة؛ لينوب عنه في قبول الولاية مناب نفسه، وليجن بعد ذلك ثمار شفقاتنا إن غرس شجر طاعتها - ومن سعادة المرء أن ينجي ثمار غرسه - بعد أن يضحبه من ذخائر الأموال ما كثر قيمة وخف حملا، وتعالى رتبة وحسن مثلاً؛ وأشرط على نفسك في كل سنة قطعة ترفعها إلى بيت المال . وإياك ثم إياك! أن تكون على هذا الأمر ممن مال؛

ورتب جيشاً مقيماً تحت علم السلطان الأجلّ الملك الناصر للقاء العدو المخذول التّار،
ألقى الله أولهم بالهلاك وآخرهم بالبوار . وقد علمت تفاصيل أحوالهم المشهورة ،
وتواريخ سيرهم المنكورة ؛ فأحرص على أن يخصك من هذا المشرب السائغ أوفر
نصيب . وأن تكون ممن جهز جيشاً في سبيل الله فرمى بسهم فله أجر كان مصيباً
أو [غير] مصيب ؛ ليعود رسولك من دار الخلافة بتقاليدها وتشاريفها حاملاً أهلة
أعلامنا المنصورة ، شاكرًا برمواقفنا المبرورة ؛ وإن أبي حالك إلا أن استمرت على
غيك ، واستمرت مرعى بغيك ؛ فقد منعناك التصرف في البلاد ، والنظر في أحكام
العباد ؛ حتى تطأ خيلنا العتاق مشمخرات حصونك ، وتعجل حينئذ ساعة منونك ؛
وما علمناك غير ما علمه قلبك ، ولا فهمناك غير ما حدسه لبك ؛ ولا تكن كالصغير
يزيده كثرة التحريك نوماً ، ولا ممن غزه الإمهال يوماً فيوماً . أعلمناك ذلك فاعمل
بمقتضاه ، موفقاً إن شاء الله تعالى .

الأسلوب الثاني

(أن يفتح الكتاب بخطبة إما مصدرةً بآية من القرآن الكريم أو دونها)

كما كتبت عن الإمام الحاكم بأمر الله أبي العباس « أحمد ابن المستكنى بالله أبي
الربيع سليمان » إلى السلطان الملك الناصر: أحمد ابن الملك الناصر محمد بن قلاوون ،
وهو بالكرك ، يستدعي حضوره إلى قلعة الجبل بالقاهرة المحروسة لتقليد السلطنة
الشريفة ، بعد خلع أخيه الملك الأشرف نوح ابن الناصر محمد ، وإمساك الأمير
قوصون ومن معه من الأمراء .

وقد ذكر صاحب "الدر الملتقط" أنه كتبه في قطع البغدادي الكامل بين يدي

الأمير قطلوبغا الفخري كافل السلطنة الشريفة . وهذه نسخته :

﴿ألم تروا أن الله سخر لكم ما في السموات وما في الأرض وأسبغ عليكم نعمه
ظاهرة وباطنة ومن الناس من يجادل في الله بغير علم ولا هدى ولا كتاب منير﴾ .

فالحمد لله الذي أسبغ نعمه الظاهرة والباطنة ، وألف قلوب أوليائه المتفقة
والمُتباينة ، وأخذ بنواصي أعدائه المُراجعة والباطنة ؛ وأعلى جده هذه الدولة القاهره ،
وأطلع في أسنة العوالي نُجومها الزاهره ؛ وحرك لها العزائم فملكّت والأُمور - بحمد الله -
ساكنه ، والبلاد - والمِنَّة لله - آمنه ، والرعايا في مكانها قاطنه ، والسيوف في أغمادها
مثلُ النيران في قلوب حُسادها كامينه . وأقام أهلَ الطاعة بالفرض ، وأستوفى بهم
القرض ، وقالوا الحمد لله الذي صدقنا وعده وأورثنا الأرض ؛ وأعزَّ أنصار المقام
الشريف العالى وأعزَّ نصره ، وأعدّ لعدوه حصره ؛ وأتى بدولته الغراء تسمو
شموسها ، وتثمر غروسها ؛ وتظهر في حُلل الصباح المشرق عروسها ، وتجيء منه بخير
راع للرعية يسوسها ؛ وبشره بالملك والدوام ، وسره بما اجتمع له من طاعة الأنام ،
وأقدمه على كرسي ملكه تظله الغمام ، وأراه يوم أعدائه وكان لا يظن أن يرى في المنام ؛
ولا يزال مؤيد الهيم ، مؤكّد الذمم ، مجدد البيعة على رقاب الأمم ؛ ولا برحت أيامه
المقبلة مُقبلةً بالنعم ، خُضراً لكاف على رَغم من كاد وغيظ من رَغم ؛ ولا فتئت عهود
سلفه الشريفة تُنشأ له كما كانت ، ورعاياه تدين له بما دانت ، وجنوده تُفديهِ من
النفوس بأعز ما ذخرت وما صانت ؛ وسعادة سلطانه تكشفُ الغم ، وتشرّ الذمم ،
وتعيد إلى أنوف أهل الأنفة الشمم ، وتحفظ ما بقي لأوليائه من بياض الوجوه
وسواد اللمم .

سَطَرها وأصدرها وقد حُقت بعوائد الله الظنون ، وصدقت الخواطر
العيون ؛ وأنجز الله وعده ، وأتمَّ سعده ؛ وجمع على مقامه الكريم قلوب أوليائه ،

وَفَرَّقَ فِرْقَ عَدُوِّهِ وَأَبَاتَهُ بِدَائِهِ ؛ وَوَطَّدَ لُرُقِيَّةَ الْمَنَارِ ، وَرَجَّلَ لَتَرْقِيَةَ الْعَسَاكِرِ ، وَهَيَّا لِمَقَاتِلِ أَعْدَائِهِ فِي أَيْدِي أَوْلِيَائِهِ السُّيُوفَ الْبَوَاتِرَ . وَأَخَذَ قُوصُونَ وَأُمْسِكَ ، وَنُهَبَ مَالُهُ وَأَسْتَهْلِكَ ؛ وَهَدِمَتْ أُنَيْتُهُ ، وَهَدَّتْ أُنَيْتُهُ ؛ وَخَرَّبَتْ دِيَارَهُ ، وَقُلِعَتْ آثَارُهُ ؛ وَأَخْلَيْتْ خَزَائِنَهُ ، وَأَخْرِجْتِ مِنْ بُطُونِ الْأَرْضِ دِفَائِنَهُ ، وَمَا مَانَعَتْ عَنْهُ تِلْكَ الرَّبَائِبُ الَّتِي ظَنَّنَا قَسَاوِرَ ، وَلَا نَاضَلَتْ تِلْكَ الْقَيْسِيَّ الَّتِي طَبَعَهَا أَسَاوِرَ ؛ وَلَا أَغْنَى عَنْهُ ذَلِكَ الْمَالُ الَّذِي ذَهَبَ ، وَلَا ذَلِكَ الْجَوْهَرُ الَّذِي كَانَ عَرَضًا لِمَنْ نَهَبَ . وَأُعِيدَ إِلَى الْمَهْدِ ذَلِكَ الطِّفْلُ الَّذِي أَكَلَ الدُّنْيَا بِاسْمِهِ ، وَقَهَرَ أَبْنَاءَهَا بِحُكْمِهِ ؛ وَمَوَّءَ بِهِ عَلَى النَّاسِ ، وَأَخْلَى لَهُ الْغَابَ وَمَا حَرَجَ مِنَ الْكِنَاسِ ؛ وَغَالَبَ بِهِ الْغَلَبَ حَتَّى وَطِئَ الرَّقَابَ ، وَدَاسَ الْأَعْتَابَ ؛ وَخَادَعَ وَدَلَّهُ الشَّيْطَانُ بِغُرُورِهِ ، وَدَلَّسَ عَلَيْهِ عَاقِبَةَ أُمُورِهِ ؛ فَاعْتَدَ بَعْتَادَهُ ، وَأَعْتَرَّ بِقِيَادِهِ ، وَأَعْتَرَّ بِأَنَّ الْأَرْضَ لَهُ وَمَاعَلِمَ أَنَّ الْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ ؛ فَأُمْسِكَ وَمَعَهُ رُءُوسَ أَشْيَاعِهِ ، وَحَصِرَتْ بِالْخَوْفِ نَفُوسُ أَتْبَاعِهِ - وَمِنْهُمْ الطَّنْبِغَا .

وَقَدْ أَحَاطَ الْعِلْمُ الشَّرِيفُ بِكَيْفِيَّةِ وَصُولِهِ وَحَقِيقَةِ الْخَبْرِ ، وَمَا قَاسَاهُ فِي طَرِيقِهِ مِنَ الْعَبْرِ ، وَدَاسَ عَلَيْهِ حَتَّى وَصَلَ مِنْ وَخْرِ الْإِبْرَةِ ؛ وَكَذَلِكَ مَنْ جَاءَ مَعَهُ ، وَخَلَفَ وَرَاءَهُ الْحَقَّ وَتَبِعَهُ ، بَعْدَ الْهَزِيمَةِ الَّتِي أَلْجَاهُمْ إِلَيْهَا خَوْفُ الْعَسَاكِرِ الْمَنْصُورَةِ الَّتِي قَعَدَتْ لَهُمْ عَلَى الطَّرِيقِ ، وَأَخَذَتْ عَلَيْهِمْ بِمَدَارِجِ أَنْفَاسِهِمْ فِي فَمِ الْمِضِيقِ ؛ وَعُبَّتْ لَهُمْ صُفُوفَ الرِّجَالِ ، وَأَعَدَّتْ لَهُمْ حُتُوفَ الْأَجَالِ ؛ وَحَبَّرَتْهُمْ فِي سَاعَةِ الْفِجَاجِ ، وَأَرْتَهُمْ بِوَارِقِ الْمَوْتِ فِي سُحْبِ الْعَجَاجِ ؛ ثُمَّ لَمْ يَصْلُوا إِلَّا وَهُمْ أَشْلَاءُ مَمْرُقَةٍ ، وَأَعْضَاءُ مَفْرُقَةٍ ؛ قَدْ قَنَى تَحْتَهُمْ الطَّاهِرَ ، وَقَنَى بِيَوْمِهِمُ الدَّهْرَ ؛ وَسَاقَتْهُمْ سَعَادَةُ سُلْطَانِ الْمَقَامِ الْعَالِيِ إِلَى شَقَاوَتِهِمْ وَهُمْ رُقُودٌ ، وَعُبَّتْ لَهُمْ الْحَيْلَ وَالخَلْعَ إِلَّا أَنَّهُمْ مَلَأُوا النُّدْلَ وَهِيَ الْقِيُودُ ؛ فَأَخَذُوا جَمِيعًا مِنْهُمْ وَكَانُوا عَلَى مُوَالَاتِهِ ، وَفَارَقُوا الْجَمَاعَةَ لِمُوَالَاتِهِ ؛ وَحَمَلُوا إِلَى الْحَبْسِ النَّاسَ الْمَكَانِ ؛ وَأَوْدَعُوا أَحْيَاءَ فِي مَنَحَدِهِ إِلَّا أَنَّهُمْ كَالْأَمْوَاتِ ، وَقَدْ نَالُوا الْمَقْصِدَ إِلَّا أَنَّهُمْ

ما آمنوا الفوات ؛ ووكل بحفظهم إلى أن يُشرف سرير الملك بقعود مقامه وعُقود أيامه الحوَالى ، وسعود زمانه الذى لا يحتم بالنجوم إلا خدم الليالى .

وهذا النصر إنما تهيأت - والله الحمد - أسبابه ، وهذا الفتح إنما فُتِحَتْ بمشيئة الله أبوابه ؛ بمِنَّة الله ونية المقام العالى لا بمِنَّة أحد ، ولا بمِنَّة بأس من أقدر ، ولا يأس من حجر ؛ وما قضى الله به من سعادة هذه الأيام ، ومضى به القدر السابق وعلى الله التمام ؛ وبمظافرة الجناب الكريم السيفى ، قطلوبغا الفخرى الساقى الناصرى ؛ أدام الله نصرته لهذه العصابة المؤيدة . وبمضياء عزائمه التى ماونت ، وقضاء قواضيه التى ما أنشنت ؛ وبموازرة من التف عليه من أكابرا الأمراء ، وبما أجمعوا عليه من مظافرة الآراء ؛ ونزولهم على النية لا يضرهم من خذلهم ، ولا يهينهم من بذلهم ؛ ولا يبألون بعساكر دمشق المقيمة على حلب ومن مال إليهم ، وتمالاً معهم عليهم ؛ ومن أنضاف إليهم من جنود البلاد ، وجيوش العناد ؛ ولا لوأهم ما كان يبعث إليهم ذلك الخائن من وعيده ، ولا ولاهم ما كاد يخطف أبصارهم من تهديده ؛ ولا بالوا بما ألَّب عليهم من جند الشام من كل أوب ، وصب عليهم سيوله من كل صوب ؛ وخادعهم بالرسائل التى ما تزيدهم عليه إلا إباء ، ولا تُشككهم أن السيف أصدق منه إنباء ، حتى وثى لا تنفعه الخدع ، ولا تنصره البدع ؛ فما أسعدته تلك الجموع التى جمعها ، ولا أجابته تلك الجنود التى سار عليها إلى مكن أجله ، ولا وقت تلك السيوف التى لم يظهر له من بوارقها إلا حمرة النجمل ؛ حتى أخذ مع طاغيته بل طاغوته بمصر ذلك الأخذ الوبيل ، وقذف به إلى مهوى هلكة سيل ذلك السبيل ؛ وقام من بالديار المصرية قيام رجل واحد ، وتظافروا على إزالة ذلك الكافر النعمة الجاحد ؛ ولم يبق من الأمراء إلا من بذل الجهد ، وجمع قلوب الرعية والجند ؛ وفعل فى الخدمة الشريفة ما لم يكن منه بد ، حتى حمد الأمر وحمد الجمر ؛ وتواترت الكتب بما عمت به البشرى

من إقامة البيعة باسمه الكريم ، وأنه لم يبق إلا من أعطى اليمين وأعطى اليمين ،
وأتم الحلف إتماماً لا يُقدَّر معه ثمين ، وأقيمت له السكة والخطبة فرُفِعَ على المنابر اسمه
وتهلل به وجوه الثقود ، وظهر على أسارير الوجود ، وضربت البشائر ، ونهبت
المسرات السرائر ، وتشوقت أولياء هذه الدولة القاهرة أدام الله سلطانها إلى حضور
ملكها ، وسفور الصباح لإذهاب ما أبقته عقابيل تلك الليلة من حلكها . والمقام العاني
ما يزداد علماً ، ولا يزداد عزماً ، وهو أدري بما في التأخير ، وبما في بعده من الضرر الكبير ،
ومثله لا يعلم ، ومنه يتعلم ، فهو أعلم بما يجب من مسابقة قدومه للبشير ، وما سيعن
من معاجلته لامتطاء جواده ظهر الخيال وبطن السرير ، فإِنَّ اللَّهَ ! في تعجيل حفظ
هذا السوام المشرد ، وضم هذا الشمل المشتت ونظم هذا العقد المبدد ، وجمع كلمة
الإسلام التي طالما أفرقت ، وأنتجاع عارض هذه النعمة التي أبرقت ، وسرعة المسير
فإن صبيحة اليوم المبارك الذي يُعرف من أوله قد أشرقت ، فما بقي ما به يُقتدر ،
ولا سوى مقدمه السعيد ينتظر .

وقد كتبناها ويدنا ممدودة لمبايعته ، وقلوب الخلق كلها مستعدة لمبايعته ، وكرسى
الملك قد أزلف له مقعده ، ومؤمل الظفر قد أنجز له موعده ، والدهر مطاوعه
والزمان مسعده ، وطوائف أوليائه ليوم لقائه تُرصد ، والعهد له قد كُتب ،
ولواء الملك عليه قد نُصب ، والمنبرُ باسمه عليه قد خُطب ، والدينارُ والدرهم هذا
وهذا له قد ضُرب ، ولم يبق إلا أن يقترب ، وترى العيون منه ما ترتقب ، ويجلس
على السرير ، ويضع المبشر ويعزم على المسير ، وتزين الأقاليم ، ويبين لتسيير شهابه
ما كان يُقرأ له في التقاويم ، لازال جيبُ ملكه على الأقطار مزرورا ، وذيل فخاره
على السماء مجرورا ، وحبلُ وليه متصلاً وقلبه مسرورا ، ومقدمه يحوزله من إرث
آبائه نعمًا جمة ومُلكا كبيرا ، إن شاء الله تعالى .

الأسلوب الثالث

(ما استقر عليه الحال في زماننا إلى خلافة الإمام

المتوكل على الله خليفة العصر)

وهو أن تفتتح المكاتبة بالسلام، ويؤتى في ألقاب المكتوب إليه بما يكتب من الألقاب عن السلطان على ماسياتي ذكره في المكاتبات السلطانيات في الباب الثاني من هذه المقالة، إن شاء الله تعالى .

مثال ذلك : أن تكون المكاتبة إلى نائب الشام مثلاً، فالذي يكتب إليه عن السلطان : «أعز الله تعالى أنصار المقر الكريم العالی» إلى آخر الألقاب الآتى ذكرها هناك، ويكتب عن الخليفة «سلام الله تعالى ورحمته وبركاته يخلص المقر الكريم العالی» إلى آخر الألقاب .

قلت : ولو سلكوا سبيل الخلفاء السابقين في المكاتبات الصادرة عنهم : من الابتداء بلفظ «من عبد الله ووليه أبي فلان فلان الإمام الفلاني أمير المؤمنين إلى فلان على ما تقدم» وأتوا في ألقاب المكتوب إليه بالألقاب المستعملة في [ذلك] الزمان في المكاتبات السلطانية : مثل أن يكتب عن الإمام المتوكل على الله محمد خليفة العصر إلى نائب الشام «من عبد الله ووليه أبي عبد الله محمد الإمام المتوكل على الله أمير المؤمنين، إلى المقر الكريم العالی الأميرى الكبيرى» إلى آخر الألقاب المقدم بيانها في المقالة الثالثة . ثم يقال : «وسلام على المقر الكريم، فإن أمير المؤمنين محمد إليه الله الذى لا إله إلا هو ويسأله أن يصلى على محمد عبده ورسوله صلى الله عليه وسلم» . ثم يقال : أما بعد، فإن كذا وكذا، ويؤتى على المقصد ويختتم بالدعاء وغيره لكان أذهب مع الصواب، وأوفق لمكاتبة الخلفاء السابقين، وأقرب إلى آقتفاء سبيلهم .

الطرف الخامس

(في الكُتُب الصادرة عن الخلفاء الفاطميين بالديار المصرية،

وفيه ثلاث جمل)

الجملة الأولى

(في الكُتُب الصادرة عنهم على سبيل الإجمال)

وقد ذكر صاحب " مواد البيان " وكان من كبار دولتهم في المكاتبات الصادرة عنهم نحو المكاتبات الصادرة عن خلفاء بني العباس ببغداد، فقال : وإن كانت المكاتب من الخليفة فينبغي للكاتب أن يفضل من الدرج قدر ذراع ثم يستفتح بسم الله الرحمن الرحيم في سطر أول : لأنها أولى ما يُستفتح به، ثم يكتب في سطر ثانٍ يلاصقها ويخرج يسيراً « من عبد الله ووليه فلان بن فلان إلى فلان » ويبدأ بذكر نعتيه إن كان الإمام شرفه بنعت : « سلامٌ عليك فإن أمير المؤمنين يحمّد إليك الله الذي لا إله إلا هو ويسأله أن يصلّي على محمدٍ خاتم النبيين وسيد المرسلين وعلى آله الأئمة المهديين ويسلم تسليماً ». ويكون هذا التصدير في سطرين، يجعل بينهما فضاء قيس شبر، ولا يزيد عن ذلك ولا ينقصه فيخرجه عن حدّه؛ ثم يترك بعد هذين السطرين فضاء نصف الذي بينهما. ثم يقول : أما بعد، و يقتض المعاني معنى معني، فإن كان أسراً أمر به الإمام قال بعد أنقضاء الكلام : وأمر أمير المؤمنين بكذا . ثم يقول بعد فصلٍ أوسع من الفصل الأول « فأعلم ذلك من أمير المؤمنين ورسمه وأعمل عليه بحسبه ». ويقول للمخاطبين من الطبقة العالية : والسلام عليك ورحمة الله، ويفرد بالسلام من دونها .

وقد كانت العادة جارية أن يقال في آخر الكتب النافذة عن الإمام « وكتب فلان بن فلان » باسم الوزير وأسم أبيه؛ ثم بطل هذا الرسم في الدولة العلوية

ولا يكتب أحد بالتصدير إلا الإمام ووليُّ عهده . وهذه المكاتب عامة للناس جميعا في الأمور السلطانية التي تُنشأ فيها الكتب من الدواوين ، ولا يخاطب أحد عن الخليفة إلا بالكاف .

الجملة الثانية

(في الكتب العامة ؛ وهي على أسلوبيين)

الأسلوب الأول

(أن يفتح الكتاب بلفظ : « من عبد الله ووليه أبي فلان

فلان الإمام الفلاني » على ما تقدم ترتيبه)

وعلى هذا الأسلوب كان الحال في ابتداء دولتهم وإلى أوساطها .

وهذه نسخة كتاب كتب به الإمام العزيز بالله نزار الفاطمي إلى عامله بمصر يبشّره بالفتح حين خرج إلى قتال القرمطي بالشام في سنة سبع وستين وثلثمائة ، مما أورده المسبّحي في تاريخه :

من عبد الله ووليه نزار أبي المنصور العزيز بالله أمير المؤمنين ، إلى حسين بن القاسم . سلام عليك ، فإن أمير المؤمنين يحمّد إليك الله الذي لا إله إلا هو ، ويسأله أن يصلي على جده محمد نبيه ورسوله صلى الله عليه ، وعلى الأئمة من عترته الأبرار ، الطاهرين المطهرين وسلم تسليما .

أما بعد ، فالحمد لله الملك العظيم ، العليم الحكيم ، ذي الطول الكريم ، والمنّ الجسيم ؛ والغزّ المديد ، والمحال الشديد ؛ وليّ الحقّ ونصيره ، وماحق الباطل ومبيّره ؛ المتكفل بالنصر والتمكين ، والتأييد والتحسين ، لأوليائه المتقين ، وخلفائه المصطفين الذابين

عن دينه ، والقائمين بحقه ، والدالين على توحيدِهِ ؛ الحاكم بإعلاء كلمتهم ، وإفلاج حُججهم وظهورهم على أعدائه المشاقين له ، الضالين عن سبيله ، الملحدين في آياته ، الجاحدين نعمه ، المنزل رجزه ، وقوارع بأسه على من عصاه فخاذه ، وصد عنه فناذه ، القاضى بالعواقب الحسنى والفوز والنعماء لمن أسلم وجهه له وتوكل عليه في أمره ، وفوض إليه حكمه ؛ كل ذلك فضلاً منه وعدلاً ، وقضاءً فصلاً ؛ وهو الحكم العدل الذى لا يظلمُ الناس شيئاً ولكنَّ الناس أنفسهم يظلمون .

فتبارك الله الغالبُ على أمره الفردُ فى ملكه ؛ سبحانه وتعالى علواً كبيراً . والحمد لله الذى آتبعَ عبده المصطفى ، وأمينه المرتضى ؛ من أكرم سنخ ونبعة ، وأظهر ملته وشرعه فى أفضل دهر وعصر ؛ وأنزل عليه كتاباً من وحيه حكماً غير ذى عوج قبيماً بديع النظام ، داخلاً فى الأفهام ، خارجاً عن جميع الكلام ، ليس كسجع الكهان ، ولا كتجوير ذوى اللسن والبيان ؛ وقد تفرقت بالأمم أهواؤهم ، وتوزعتهم آراؤهم ، فضلت أحلامهم وعميت أفهامهم وأستحوذ عليهم الشيطان ، فعبدوا الأصنام والأوثان ؛ جهلاً بعبادة الرحمن ، فدعاهم إلى الإقرار بإلههم ، وعرفهم وحدانية ربهم وكان حريصاً على إرشادهم ، جاداً فى الاجتهاد ، هاجراً للذعة والمهاد ؛ صابراً على تكذيب المشركين ، وتفنيد الملحدين ؛ ينصح لهم فيستكبرون ، ويهديهم فيضلون ، ويحذّرهم فيستهزئون ؛ حتى ظهر دينُ الله فسماً ، وطمس الكفر فأنمحق وعفا ؛ وعمت بركته ، وفضلت على الأمم أمته ، وعلت على الملل ملته ، صلى الله عليه أفضل صلاة المصلين ، وزاده شرفاً فى العالمين إلى يوم الدين .

والحمد لله الذى حباً أمير المؤمنين وأنتخبه لخلافته ، وجعله صفيه من خلقه وأمينه على عباده وهادياً إلى سبيله ، قائماً بحقه ، مقسطاً فى أرضه ؛ ذاباً عن دينه : محياً ما أماته أهل الكفر من أحكامه ؛ وأيده بنصره ، وأمدته بقوته ؛ وتكفل له بالنجح

في مسعاه ، والظفر بمبتغاه ، ونيل طلبته فيما أمه وأرتاه . وحكم بكت كل عدوله
وخزيهم ، وإذلالهم ومحقهم وخذلهم . وإيهان كيديهم ، وضرب الذلة عليهم حيث
كانوا وأين كانوا ، فلا ينق ناعق منهم بطلال ، أو يسعى بفسق وخبال ، أو يدفع
إلى آفراء على الله أو مروق عن دينه أو إذهاب ما فرض الله عز وجل من طاعة
إلا أصطلمه وأخزاه ، وأكبه لوجهه وأرداه ، وقضى عليه بالشقوة في دنياه ، وعذاب
الآخرة في أخره

والحمد لله الذي منح فأجمل ، وأعطى فأجزل ، من نعمه السابعة ، وآلائه المتابعة ،
التي لا يوازيها شكر ، ولا يدرك كنهها ذكر ، حمداً يوجب منه المزيد ، ويستدعي
المن والتجديد ، وإليه يرغب أمير المؤمنين خاضعا ويسأله راغبا حسن العون على
ما بلغ رضوانه ، وأمرى فضله وإحسانه . وتقدم أمير المؤمنين إليك بما هياه الله من
وصوله إلى مدينة الرملة على أجمل صنع والطف كناية ، وأتم أمن ، وأكل عز
وأوطد حال ، وأحسن انتظام ، وأبسط يد ، وأظهر قدرة ، وأشمل هبة ، وبما أولى
الله أمير المؤمنين في حله وظعنه ، وأرتحاله وثوائه : من نعمه العميمة ، ومواهبه
الجسيمة ، ومنحه الجليله ، ومننه الجزيله ، وانه مما يستغرق الحمد والشكر ، ويفوت
الإحصاء والنشر ، وذكر أمير المؤمنين أمر اللعين التركي وهربه من بين يديه ، وأنه لم
يلو على شيء إلى أن بلغ طبرية للذي تداخله من الفرق ، وأستولى عليه من القلق ،
ولما سكن قلبه من الرعب ، وحشاه من الرهب ، بقصد أمير المؤمنين إياه وإغذاه
السير في طلبه ومواصلته الأسباب ، ومتابعته الإداب . ووصف أمير المؤمنين ما عليه
عزمه في تتبعه وأقتفاء أثره ، والحلول بعقوته حيث قصد وحل ، لثقتة بالله ربه ،
وتوكله عليه ، وتفويضه إليه . ولم يزل جل وعز يولي أمير المؤمنين - بعد نفوذ

(١) العقوة ماحول الدار والمحلة ، انظر القاموس ، ووقع في الأصول بالفاء بدل القاف وهو تصحيف .

كتابه - من عزَّ يُؤيده، وظفر يُؤكده، ونصر يُوطئه، وآلاء يُجددُها، ومواهب يُتأبِعها، وعدو يُبدله، ومناو يُقله، وشارِدٍ يَصْرِفه إلى طاعته، ومارق يُعيدُه إلى مَوالاته، إلى أن تم له من ذلك ما واصل به حمد الله عليه، وتهياً له ما تواتر شكره له جل وعز فيه وكان مع ذلك مواصلاً إلى اللعين الإعدار، ومتابِعاً الإندار، ومحدراً له ما يُعذر، ومستدعيه إلى ما يُختار ويُؤثر، وممناً له مما يمتنى به مثله من العفو عنه، وتغمد ما جرى منه، والإقالة لعثرته، والتجاوز عن هفوته، والامتنان عليه بما رغب فيه من تقليده ناحية من نواحي الشام، وإدراج الأرزاق عليه وعلى رجاله وأصحابه، وإشاره بالفضل الجليل، واختصاصه بالطول الجزيل. فما نجح في الفاسق وعد، ولا نجح فيه وعظ، ولا وفق إلى قبول حظ، ولا أصغى إلى قبول تذكرة، ولا أناب إلى تبصره. وما زال جاداً في تهوكه، متمادياً على تمهكه، جارياً على ضلَّالته، سالكا سبيل عمَّيته، متردداً في غوايته، متلداً في جهالته، مقدرًا أن بأس الله لا يرهقه، وسطوته لا تلحقه، ورجزه لا يحمقه، وذنوبه لا ترهقه، وأجرامه لا تؤيقه. وما زال اللعين في خلال ذلك يَبْسُطُ آمال العرب ويرجئها، ويرغبها ويمنئها، بأقوال كاذبه، وآمال خائبه، ومواعيد باطله، حتى أصغى أكثرها إلى غروره، وقبول إفكه وزوره، وأجابته طائفة طاغية، ووصلت إليه متابعيه، فتوفر جمعه، وكثر عدده وأشدت طمعه، وقوى أمله، وتمكن له باستدراج الله إياه وغضبه عليه أن يورط عُصْبته ومن آخذعه بغيه وأستفزه معه جهله، ويوردهم جميعاً ونفسه الرذلة مورداً لاصدره، ولا علل بعده، فخرج من طبرية وحل بيسان، محل الحزبي والهوان، فعندها انتهى إلى أمير المؤمنين خبره وهو يومئذ في المنهل، الذي حصل فيه بعد رحيله من الرملة وهو الموضع المعروف بالطواحين. فعند ما قرب أستجرار الفاسق اللعين، وأعتد ما يعود بأطاعه، أقام في الموضع أياماً ناظراً فيما يحتاج إليه، متأهباً

لما يُريده ، وكان ذلك هو السبب الذي أطمعه . فبعث ما طمِع قاده الحينُ
 الغالب ، والقدر الجالب ؛ وما أراد الله عز وجل من استدراجه إلى موضع نكاله ،
 ومنهل وباله ؛ ورحل من يسان رحيل من استعجلته البليه ، واستدعته الرزية ؛
 فحل بموضع يُعرف بكفر سلام ، كافرًا بحدود الإسلام ، متجرئًا على الله محاربًا لنجل
 نبيه عليه السلام ؛ وأقام بها متلددا في حيرته ، مترددًا في سكرته ؛ ثم استجره سُومه ،
 وقاده حينه ولُومه ؛ إلى أن رحل فنزل بكفر سابا البريد ، فأنباه أسمها بما حل به من
 السبي المييد والحزى الشديد ؛ ثم لم يلبث أن ضرب مضاربه الماكوله ، ونصب
 أعلامه المخدولة ، وأقام صُفوفه المفلولة ؛ وأظهر آلة الحرب إقداما ، و [أخفى]
 عن اللقاء إجماما .

فأمر أمير المؤمنين بترين العساكر المنصورة والجوش المظفرة وتعبئتها على
 مراتبها ، وترتيبها على مواكبها ؛ وتقدم إلى قوادها أن لا يمشوا إلا صفاً ،
 ولا يسيروا إلا زحفاً ، وعرفهم أنه سيسير بنفسه ، ويقصد اللعين بموكبه وجمهوره
 ومن معه من حماة رجاله ؛ وأنه لا يثنيه عن الفاسق ثاب ولا يصرفه عن الاقتحام
 صارف ؛ فبدأ من عزائمهم ، وشدة شكائهم ، وخلوص بصائرهم ، وسكون
 أفئدتهم ، وثبات أقدامهم ، ما كانت به دلائل النصر واضحه ، وشواهد الفلج لائحته ؛
 وعلامات الفتح ظاهره ، وآيات النجح باهره ؛ فمشوا على ما أمروا ، وساروا على
 ما سيروا ؛ فعند ما دنوا من عدو الله أصابوه للجلاء معدا ، وفي المحاربة مجدا ؛
 وأستخاروا الله عز وجل وتدانوا للتلاق ، والأخذ بالنواصي والأعناق ؛ وقامت
 الحرب على ساق ، وتجرع منها أمر مذاق ؛ فاستطار شرارها ، وتاججت نارها ؛
 وأرتفع دخانها ، وعظم شأنها ؛ والتزم الأقران بالأقران ، وأشدت الضرب والطعان ؛

إلى أن مشى أمير المؤمنين بنفسه ، وجمهور موكبه ، متوكلاً على الله ، ما أتاه إليه بجده
عجده صلى الله عليه وسلم ، متوسلاً بتقدم وعده ، وسالف إنعامه عنده ، وقصد اللعين
غير متلوم عن مصادمته ، ولا معرج عن ملاحمته ، فقويت نفوس أوليائه وعبيده ،
ومن أشتمت عليه عساكر المنصوره ، وجيوشه المظفره بما تينوه من إقدامه ،
وشاهدوه من اعتزامة ، وحملوا على الفاسق وأحزابه ، وقذف الله في قلوبهم الرعب
فتزلزلت أقدامهم ، وأرعشت أيديهم ونجبت أفئدتهم ، ولوا الدبر منهزمين ، ومنحوا
ظهورهم مؤلّين ، وأفرقوا ثلاث فرق : فرقة قُتلت في المعركة ، وصُرعت في الملحمة ،
فاحترت رؤوسهم ، وفرقة أُحسّت وقع السيوف وإرهاق الحُتوف ، فاستأمنت تحت
الذئب والصغار ، والغلبة والأقدار ، فُبقيت عليهم الأرواح ، وحُقنت منهم الدماء .
ونزقة أسرت أسرا ، وقُيدت قيّدا ، وهرب التركي اللعين رئيس ضالّاتهم ، وعميد
كفرهم ، في شريذمة من أصحابه ، فظن أن ذلك من بأس الله يُنجيه ، ومن الأخذ
بكظمه يوقيه ، هيهات ! كما قال الله عز وجل : ﴿ هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ لِمَا تُوعَدُونَ ﴾ :
﴿ إِنْ كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً فَإِذَا هُمْ جَمِيعٌ لَدَيْنَا مُحْضَرُونَ ﴾ فاتبعه سرعان الخيل
وخطاف الرجال ، مع مفرج بن دغفل بن جراح ، فأخذه قبضا وأتى به قودا أسيرا
من سير عهد ، وذليلاً من غير عقد ، وأستولى أهل العساكر المنصوره ، والجيوش
المظفره ، على مناخه وسواده ، وما كان فيه من مال وأثاث وكراع وقناع ، وقليل
كثير ، وجيل وحفير ، فخازوه وأتسعوا به ، وأكثروا من حمد الله ، وأنصرفوا
إلى معسكرهم سالمين ، بالمغنم والظفر آمين ، لم يكلم منهم أحد ، ولم ينقص لهم عدد ،
وكان جملة ما أتوا به معهم من رؤوس الفسقة زائداً على ألف رأس ، ومن أسراهم
ثمانمائة أسير . غير من استؤمن وقت الإيقاع بهم ، ولم يُقتل من الفسقة إلا من هرب

(١) القناع معناه كثيرة ومنها السلاح وهو المراد هنا .

بُحْشَاشَةَ نَفْسِهِ مَعَ مَنْ لَاءَمَ التُّرْكِيَّةَ اللَّعِينِ ، وَصَاحِبُ عَقْدِهِ وَمُورِّطُهُ فِي هَلَاكِهِ ،
 وَقَائِدُهُ إِلَى نِقَمَاتِهِ ، وَسَائِرُهُ إِلَى مُوْبِقَاتِهِ ؛ وَهُوَ كَاتِبُهُ الْمَعْرُوفُ بِابْنِ الْحَمَارَةِ ، فَلَحِقَ
 بِطَبْرِيَّةٍ فُقِتِلَ هُوَ وَجُلُّ مَنْ كَانَ مَعَهُ وَأَحْتَرَّ رَأْسَهُ وَأُتِيَ بِهِ ، فَكَلَّمَتْ النِّعْمَةَ ،
 وَتَمَّتِ الْمَوْهَبَةُ ؛ وَتَجَدَّدَ حَمْدُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ وَأَتَصَلَ شُكْرُهُ ، لَمَّا أَوْلَاهُ مِنْ جَلِيلِ عَطَائِهِ ،
 وَكَرِيمِ حَبَائِهِ ، وَسَنِيَّ آلَائِهِ . وَكَانَ مَا آتَاهُ اللَّهُ مِنْ عَظِيمِ آيَاتِهِ ، وَأَكْبَرِ شَوَاهِدِهِ ،
 وَأَخْتِصَاصِ اللَّهِ إِيَّاهُ وَآتِنَاغِيهِ لَهُ ؛ فَالْحَمْدُ لِلَّهِ ! ثُمَّ الْحَمْدُ لِلَّهِ ! ثُمَّ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ
 عَلَيَّ عَطَائِهِ الْهَنِيِّ ، وَحَبَائِهِ السَّيِّئِ ؛ وَمَا أَيْدِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ، وَأَعَزِّ الدِّينِ ، وَقَمَعَ الْمُشْرِكِينَ ؛
 إِذْ كَانَ الْفَاسِقُ اللَّعِينُ ، التُّرْكِيَّةَ الْغَوِيَّةَ الْمَبِينِ ؛ مُثَلَّةً مِنْ تَلَلِيهِمْ وَرُكْنَا مِنْ أَرْكَانِهِمْ ،
 وَحِزْبًا مِنْ أَحْزَابِهِمْ ، وَوَثْنَا مِنْ أَوْثَانِهِمْ ، وَطَاغِيَّةً مِنْ طَوَاغِيَّتِهِمْ ؛ وَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ فِي بِلَدِ
 الْمُسْلِمِينَ يَدٌ تَضَعُ عَنْهُمْ بَأْسَ غَيْرِهِمْ ، وَلَا عَضُدٌ يَدْفَعُونَ بِهَا سِوَاهُ . وَأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ
 يَرْغَبُ إِلَى اللَّهِ عِزَّ وَجَلًّا أَنْ يُوزِعَهُ الشُّكْرَ عَلَى مَا أَوْلَاهُ ، وَيُوجِدَهُ سَبِيلًا إِلَى بُلُوغِ
 مُبْتَغَايِهِ ؛ مِنْ إِعْزَازِ الْمِلَّةِ وَالِدِّينِ ، وَإِحْيَاءِ شَرِيعَةِ جَدِّهِ سَيِّدِ الْمُرْسَلِينَ ؛ وَمَجَاهِدَةِ التُّرْكِ
 وَالْمُشْرِكِينَ ، وَقَمَعَ الظَّالِمِينَ وَالْقَانِطِينَ وَالْمَارْقِينَ ؛ حَتَّى يَكُونَ الدِّينُ كُلَّهُ لِلَّهِ ، وَيَجْمَعُ
 الْقُلُوبَ عَلَى طَاعَتِهِ بِإِذْنِ اللَّهِ .

أَمْرُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ بِتَعْرِيفِكَ ذَلِكَ ، وَتَلْخِيصِ الْكِتَابِ إِلَيْكَ ، لِتَقَفَ عَلَيْهِ وَتُدْبِعَهُ ،
 وَتَشَهَّرَهُ فِيمَا قَبْلَكَ ؛ وَتَحْمَدَ اللَّهُ عَلَى مَا مَنَعَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ مِنَ النَّصْرِ ، وَمَكَّنَهُ مِنَ الظَّفَرِ .
 فَاعْلَمْهُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى ، وَالسَّلَامُ عَلَيْكَ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ . وَكُنْتُ يَوْمَ الْخَمِيْسِ
 لَخْمِسَ لَيَالٍ بَقِيْنَ مِنَ الْحَرَمِ سِنَةٌ سَبْعٌ وَسِتِّينَ وَثَلَاثَةً .

الأسلوب الثاني

(أن يفتح الكتاب بخطبة مفتحة بالحمد لله)

وعليه كان الحال في أواخر دولتهم . وعليه جرى في "مواد البيان" في الأمثلة التي ذكرها .

وهذه نسخة كتاب مما أورده في "مواد البيان" بشارة بفتح، وهي :

الحمد لله مُدِيلِ الْحَقِّ وَمُنِيرِهِ ، وَمُذِلِّ الْبَاطِلِ وَمُبِيرِهِ ؛ مُؤَيِّدِ الْإِسْلَامِ بِيَاهِرِ
الْإِعْجَازِ ، وَقَصْمِ وَعَدِهِ فِي الْإِظْهَارِ بَوَشِيكَ الْإِنْجَازِ ؛ أَنْحَدَ كُلِّ دِينٍ وَأَعْلَاهُ ، وَرَفَضَ
كُلِّ شَرِّعٍ وَأَجْتَبَاهُ ؛ وَجَعَلَهُ نُورَهُ اللَّامِعِ ، وَظِلَّهُ الْمَتَاعِ ؛ وَأَبْتَعَتْ بِهِ السِّرَاجَ الْمُنِيرَ ،
وَالْبَشِيرَ النَّذِيرَ ؛ فَأَوْضَحَ مَنَاجِيَهُ ، وَبَيَّنَّ مَدَارِجَهُ ؛ وَأَنَارَ أَعْلَامَهُ ، وَفَصَّلَ أَحْكَامَهُ ؛
وَسَنَّ حِلَالَهُ وَحَرَامَهُ ، وَبَيَّنَّ خَاصَّهُ وَعَاقِبَهُ ؛ وَدَعَا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ ، وَحَضَّ عَلَى التَّمَسُّكِ
بِعِصْمِ دِينِهِ ؛ وَشَمَّرَ فِي نَصْرِهِ مَجَاهِدًا مَن نَدَّعَى سَبِيلَهُ ، وَعَعَدَّ عَنْ دَلِيلِهِ ؛ حَتَّى قَصَّدَ
الْأَنْصَابَ وَالْأَصْنَامَ ، وَأَبْطَلَ الْمَيْسِرَ وَالْأَزْلَامَ ؛ وَكَشَفَ غِيَابَاتِ الْإِظْلَامِ ، وَأَنْتَعَلَتْ
خَيْلُ اللَّهِ بِقَبَائِلِ الْهَامِ .^(٢)

يحمده أمير المؤمنين أن جعله من ولاة أمره ، ووقفه لاتباع سنة رسوله وأقتفاء أثره ؛ وأعانته على تمكين الدين ؛ وتوهمين المشركين ، وشفاء صدور المؤمنين ؛ وأنهضه بالمرأمة عن الملة ، والمحاماة عن الحوزة ؛ وإعزاز أهل الإيمان ، وإذلال حزب الكفران . ويسأله الصلاة على خيرته المجتبي ، وصفوته المتصفي ، مجد أفضل من ذب

(١) كذا في الأصول مضبياً عليه بعلامة التوقف ولعله وتمم وعده الخ كما يفيد السجع .

(٢) قبائل الرأس أطباقه وفي الأصول "قبائل" بالنون وهو تصحيف ياباه المعنى .

وكأفح، وجاهد وناخ؛ وحمى الدمار، وغزا الكفار. صلى الله عليه وعلى أخيه وأبن عمه علي بن أبي طالب سيفه القاطع، ومجته الدافع: وسهمه الصارذ، وناصره العاضد؛ فارس الوقائع، ومعنوس (؟) الجمائع؛ مبيد الأقران، ومبدد الشجعان. وعلى الطهرة من عترته أئمة الأزمان، وخالصة الله من الإنس والجان. وإن أولى النعم بأن يرفل في لباسها، ويتوصل بالشكر إلى لبائها؛ ويتهادى طيب خبرها، ويتفاوض بحسن أثرها؛ نعمة الله تعالى في التوفيق لمجاهدة أهل الإلحاد والشرك، وغزو أولى الباطل والإفك؛ والهجوم عليهم في عقر دارهم، وأجتثاث أصلهم وهدم منارهم؛ وأستنزاهم من معاقلهم، وتشريدهم عن منازلهم؛ وتغميض نواظرهم الشوس، وإلباسهم لباس البوس؛ لما في ذلك من ظهور التوحيد وعززه، ونحود الإلحاد وعززه؛ وعلو ملة المسلمين؛ وانخفاض دولة المشركين؛ ووضوح محجة الحق ومجته، ووضوح برهانه وآيته.

وكتب أمير المؤمنين هذا إليك، وقد أنكفأ عن ديار الفلانيين والمشركين إلى دست خلافته، ومقر إمامته؛ بعد أن غزاهم براً وبحراً، وشردهم سهلاً ووعراً، وجرعهم من عواقب كفرهم مرّاً؛ وفرق جماعتهم التي تطبق سهوب الفضاء خيلاً ورجلاً، وتضيق بها المهامة حزناً وسهلاً؛ ومزق كتابهم التي تلحق الوهاد بالنجاد، وتختطف الأبصار ببوارق الأعماد؛ وسبي الداررى والأطفال، وأسر البطاريق والأقبال؛ وأفتتح المعازل والأعمال، وحاز الأسلاب والأموال؛ وأستولى من الحصون على حصن كذا وحصن كذا. ومحامنها رسوم الشرك وعفاها، وأثبت سنن التوحيد بها وأمضاها. وغيم أولياء أمير المؤمنين ومتطوعة المسلمين من الغنائم ما أقر العيون، وحقق الظنون؛ وأنفصلوا وقد زادت بصائرهم نفاذاً في الدين، وسرأرتهم إخلاصاً في طاعة أمير المؤمنين؛ بما أولاهم الله من النصر والإظفار، والإعزاز والإظهار؛ ووضح للمشركين بما أنزله عليهم

من الخذلان، وأنالهم إياه من الهوان؛ أنهم على مضلة من الغي والعمى، وبعيد من الرشد والهدى؛ فصرعوا إلى أمير المؤمنين في السلم والموادعة، وتحمّلوا بذلاً بذلوه تفادياً من الكفاح والمقارعة؛ فأجابهم إلى ذلك متوكلاً على الله تعالى، وممثلاً بقوله تعالى إذ يقول: ﴿وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾. وعاقده طاغيتهم على كتاب هُدنة كتبه له، وأقره في يده؛ حجة مضمونة.

أشرك أمير المؤمنين ذلك لتأخذ من هذه النعمة بنصيب مثلك من المخلصين، وتعرف موقع ما تفضل الله تعالى به على الإسلام والمسلمين؛ فتحسن ظنك، وتقر عينك؛ وتشكر الله تعالى شكر المستمد من فضله، المعتد بطوله؛ وتتلو كتاب أمير المؤمنين، على كافة من قبلك من المسلمين، ليعلموا ما تولاهم الله به من نصره وتمكينه، وإذلال عدوهم وتوهمينه؛ فاعلم ذلك وأعمل به.

الجملة الثالثة

(في الكتب الخاصة، كالمكاتبة إلى الوزير ومن في معناه)

قال في "مواد البيان" بعد ذكر صورة المكاتبات العامة عنهم: وقد يخاطب الإمام وزيره في المكاتبة الخاصة بما يرفعه فيه عن خطاب المكاتبة العامة الديوانية، ويتصرف في ذلك، ويزاد وينقص على حسب لطافة محل الوزير ومزله من الفضل والحلالة. قال: وليس لهذه المكاتبة الخاصة حدود ينتهي إليها، ولا قوانين يعتمد عليها، وطريقها مستفيضة معلومة. وقد تقدم في المكاتبات الخاصة عن خلفاء بني العباس أن مكاتبة الوزير «أمتعني الله بك» في أدعية أخرى.

الطرف السادس

(في الكتب الصادرة عن خلفاء بني أمية بالأندلس)

ولم أقف على شيء من المكاتبات الصادرة عنهم ، وإن ظفرتُ بشيء منها بعد ذلك لحقته إن شاء الله تعالى .

الطرف السابع

(في الكتب الصادرة عن الخلفاء الموحدين ، أتباع المهدي بن تومرت المستمر

بقاياهم الآن بتونس وسائر بلاد أفريقيا ، وهي على أسلوبين)

الأسلوب الأول

(أن تفتتح المكاتب بلفظ « من فلان إلى فلان »)

وكان الرسم فيها أن يقال : « من أمير المؤمنين فلان » ويدعى له بما يناسبه « إلى فلان » ويدعى له بما يليق به ، ثم يؤتى بالسلام ، ثم يؤتى بالبعدية والتحميد والصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم ، والترضية عن الصحابة . ثم عن إمامهم المهدي ، ثم يؤتى على المقصود ، ويُختم بالسلام . والخطاب فيه بون الجمع عن الخليفة وميم الجمع عن المكتوب إليه .

كما كتبت عن عبد المؤمن : خليفة المهدي إمامهم إلى الشيخ أبي عبد الله محمد ابن سعد :

« من أمير المؤمنين أيده الله بنصره ، وأمده بمعاونته ، إلى الشيخ أبي عبد الله محمد ابن سعد وفقه الله ، ويسره لما يرضاه ، سلامٌ عليكم ورحمة الله وبركاته . »

أما بعد فالحمد لله الذي له الأقدار والأختيار، ومنه العون لأوليائه والإقدار،
 وإليه يرجع الأمر كله فلا يمنع منه الاستبداد والاستئثار، والصلاة على محمد نبيه
 الذي آتت ببعثته الأضواء والأنوار، وعمرت بدعوته الأنجاد والأغوار، وخصم
 بحجته الكفر والكفار، وعلى آله وصحبه الذين هم الكرام الأبرار، والمهاجرين
 والأنصار، والرضا عن الإمام المعصوم، المهدي المعلوم، القائم بأمر الله حين غيرته
 الأغيار، وتقدم الأمتعاض له والانتصار. وهذا كتابنا - كتب الله لكم نظرا يريكم
 المنهج، ويلفكم الأبهج فالأبهج، وآتاكم الله من نعمة الإيمان، وعصمة الانقياد له
 والإذعان، ما تجدون به اليقين والتلج - من حضرة مرآة كس حرسها الله تعالى،
 ولا استظهار إلا بقوته وحوله، ولا استكثار إلا من إحسانه وطوله .

ولما جعل الله هذا الأمر العظيم رحمة لخلقه، ومطية لرقبه وقرارة لإقامة حقه،
 وحمل حملته الدعاء إليه، والدلالة به عليه، والترغيب في عظيم ما عنده ونعيم مآلديه،
 وجعل الإنذار والإعذار من فصوله المستوعبة، وأحكامه المرتبة، ومنجاته المخلصة
 من الخطوب المهلكة والأحوال المعطية - رأينا أن نخاطبكم بكتابنا هذا أخذاً
 بأمر الله تعالى لرسوله في المضاء إلى سبيله، والتحرير على آغتنام النجاء وتحصيله،
 وإقامة الحجّة في تبليغ القول وتوصيله، فأجيبوا - رفعكم الله - داعي الله تسعدوا،
 وتمسكوا بأمر المهدي - رضي الله عنه - في اتباع سبيله تهتدوا، وأصبروا أعنة
 العناية إلى النظر في المال، والتفكر في نواشى التغير والزوال، وتدبروا جرى هذه
 الأمور وتصرف هذه الأحوال، وأعلموا أنه لا عزّة إلا بإعزاز الله تعالى فهو
 ذو العزّة والجلال. ولا يغرنكم بالله الغرور، فالدنيا دار الغرور، وسوق المحال، وليس
 لكم في قبول النصيحة، وأبتداء التوبة الصحيحة، والعمل بثبوت الإيمان في هذه
 العاجلة الفسيحة، إلا ما تحبون في ذات الله تعالى من الأمانة والدعة، والكرامة

المتسعة والمكانة المرفعة ، والتنعم بنعيم الراحة المتصلة والنفس الممتنعة ؛ فنحن لا نريد لكم ولسائر من نرجو إنا بته ، ونستدعي قبوله وإجابته ، إلا الصلاح الأعم ، والنجاح الأتم ؛ وتأملوا - سدّدكم الله - من كان بتلك الجزيرة - حرسها الله - من أعيانها ، وزعماء شأنها ؛ هل تخلّص منهم إلى ما يودّه ، وفاز بما يدّخره ويعدّه ، إلا من تمسك بهذه العروة الوثقى ، وأستبقى لنفسه من هذا الخير الأديم الأبقى ، وتنعم بما لقي من هذا النعيم المقيم ويلقى . وأما من أخذ إلى الأرض وأتبع هواه ، ورغب بنفسه عن هذا الأمر العزيز إلى ما سواه ؛ فقد علم بضرورة المشاهدة والاستفاضة سوء منقلبه ، وخسارة مذهبه ومطلبه ، وتنقل منه حادث الانتقام أخسر ما تنقل به ؛ وحقّ عليكم - وفقكم الله ويسركم لما يرضاه - أن تحسّنوا الاختيار ، وتصلّوا الأدكار والاعتبار ، وتبتدروا الابتدار ؛ وما حقّ من انقطع إلى هذا الأمر الموصول الواصل ، وأزمع ما يناله من خيره المحوز الحاصل ؛ أن يناله منكم شاغل يشغله عن مقصوده ، ويحيط به ما يصرفه عن محبوبه ومودوده ؛ فقد كان منكم في أمر أهل بلنسية حين إعلانهم بكلمة التوحيد ، وتعلّقهم بهذا الأمر السعيد ما كان ، ثم كان منكم في عقب ذلك ما أعمدتموه في أمر أهل لوزقة - وفقهم الله - حين ظهر اختصاصهم ، وبان إخلاصهم ؛ وليس لذلك وأمثاله عاقبة تُحمد ، فالخير خير ما يقصد ، والنجاة فيما يُترجّح عن الشر ويبعد ؛ وإنا لنرجو أن يكفكم عن ذلك وأشباهه إن شاء الله تعالى نظر موفّق ، ومتاع محقّق ، ويجذبكم إلى موالاة هذه الطائفة المباركة جاذب يسعد ، وسائق يرشد ؛ والله يئنّ عليكم بما يُنجيكم ، ويمكّن لكم في طاعته أسباب تأمليكم وترجيكم ، بمنه . والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته . وكتب في السادس عشر من جمادى الآخرة سنة ثمان وأربعين وخمسة مائة .

الأسلوب الثاني

(أن تُفَتِّحَ المَكَاتِبَ بلفظ « أما بعد »)

والأمر فيه على نحو ما تقدم في الأسلوب قبله بعد البعدية ، كما كتب أبوالميمون عن المستنصر بالله : أحدِ خلفائهم إلى بعض نُوابه ، وقد نقض العهد على بعض المهادين من النصارى .

«أما بعد حمد الله الأمر بالوفاء بالعهود ، والصلاة على سيدنا محمد المصطفى الكريم سيد الوجود ، وعلى آله وصحبه ليوث البأس وغيوث الجود ، والرضا عن الإمام المعصوم ، المهدي المعلوم ، الآتي بالنعمة الموجود ، في الزمن المحدود ، وعن خلفائه الواصلين بأمره إلى التهايم والنجود ، والدعاء لسيدنا الخليفة الإمام المستنصر بالله أمير المؤمنين بسعد تدل له النواصي ، ويهد الأقطار القواصي ، فكتبناه - كتبكم الله ممن إذا هم بأمر تدبر عواقبه ، وإذا عزم على ركوب غرر ألفى معاطبه - من فلانة كلاًها الله تعالى . وقد بلغنا ما كان منكم من اكتساح النصارى ، والزيادة على ذلك باختطاف الأسارى ، ونعوذ بالله من شهوة تغلب عقلاً ، ونخوة تعقب هواناً وذلاً ، وقد أخطأتم في فعلتكم الشنعاء من ثلاثة أوجه : أحدها أنه خلاف ما أمر الله تعالى به من الوفاء بالعهد ، والوقوف مع العقد ، والثاني عصيان الأمر العزيز وفيه التفرير بالمهج ، وترك السعة للخرج ، والثالث أنكم تثيرون على أنفسكم من شر عدوكم - قصمه الله - شرراً يستعير ، وضرراً يعدم فيه المنتصر ، فليتك إذ تحلتم بالعضيان ، ورضيتم الغدر المحترم في سائر الأديان ، بثتم للعدو إذا دهمكم ، ولقيتموه بالجانب القوي متى زحمتكم ، بل تتدربون له الفرار ، وتتركونه في محلفيكم وما آختراباً وقد جربتم مرات أنكم لا ترزءونهم ذرة ، إلا رزءوكم ألف بذرته ، ولا تصيبونهم مره ، إلا أصابوكم ألف مره ، وإلى متى

تَهُونَ فَلَا تَنْتَهُونَ ؟ وَحَتَّى تَنْتَهُونَ فَلَا تَنْتَهُونَ ؟ فَاذَا وَا فَا كَمْ كَتَبْنَا هَذَا بِحَوْلِ اللَّهِ وَقُوَّتِهِ
فَأَدُّوا مَنْ أَسْرَمْتُمْ إِلَى مَأْمَنِهِ، وَرُدُّوا مَا أَتَيْتُمْ إِلَى مَسْرَحِهِ، وَلَا تُمَسِّكُوا مِنَ الْأَسَارِيِّ
بَشَعْرَةٍ، وَلَا مِنَ الْمَاشِيَةِ بَوَبْرَةٍ، وَمَنْ سَمِعْنَا عَنْهُ - بَعْدَ وَصُولِ هَذَا الْكِتَابِ - أَنَّهُ تَعَدَّى
هَذَا الرَّسْمَ، وَخَالَفَ هَذَا الْحُكْمَ، أَنْفَدْنَا عَلَيْهِ الْوَاجِبَ، وَحَكَّمْنَا فِيهِ الْمَهَنْدَ الْقَاضِبَ،
فَلْتُسْرِعْ مِنْ نَوْمَةِ الْعَفْلَةِ إِفَاقَتِكُمْ، وَلَا تُتَعَرَّضُوا مِنَ الشَّرِّ لِمَا تَعْجِزُ عَنْهُ طَاقَتِكُمْ، وَنَحْنُ
مَتَعَرِّفُونَ مَا يَكُونُ مِنْكُمْ مَنْ تَأَنَّ أَوْ يَدَارُ، وَمُقَابِلُونَ لَكُمْ بِمَا يُصْدُرُ عَنْكُمْ مِنْ إِقْرَارٍ
وَإِنْكَارٍ، وَهُوَ يُرْشِدُكُمْ بِمَنَّةٍ. وَالسَّلَامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللَّهِ.

قلت : ثم طرأ بعد ذلك الإكثار من ألقاب خلفائهم في المكاتبات الصادرة عنهم،
والمبالغة في مدحهم، وإطرائهم على ما سيأتي ذكره في الكلام على المكاتبات الواردة
من ملوك الأقطار إلى الأبواب السلطانية بالديار المصرية فيما بعد إن شاء الله تعالى.

الطرف الثامن

(في الأجوبة، وهي على ضربين)

الضرب الأول

(ما يُضَاهِي الْأَجُوبَةَ فِي الْإِبْتِدَاءِ، وَهُوَ عَلَى أُسْلُوبَيْنِ)

الأسلوب الأول

(أَنْ يُفْتَحَ الْجَوَابُ بِلَفْظِ « مِنْ فُلَانٍ إِلَى فُلَانٍ »)

مثل أن يكتب « من عبدالله ووليه أبي فلان فلان الإمام الفلاني أمير المؤمنين »
إلى آخر الصدر على ما تقدم في الإبتدآت، ثم يقال : أما بعد، وينساق منه إلى
ذكر الكتاب الوارد وعرضه على الخليفة، وما اقتضته آراء الخلافة فيه، ويكمل

على نحو الابتداء . كما كتب عن المقتفى لأمر الله ، إلى غياث الدين مسعود بن ملكشاه السلجوقي في جواب كتابه الوارد عليه ، يخبره بأن بعض من كان خرج عن طاعته دخل فيها ، وأنحاز إليه ، وهو :

”من عبد الله أبي عبد الله محمد الإمام المقتفى لأمر الله أمير المؤمنين ، إلى فلان بالقابه .

أما بعد - أطال الله بقاءك - فإن كتابك عُرض بحضرة أمير المؤمنين مُعرباً عن أخبار سعادتك ، وجرى الأمور على إرادتك ، وبلوغ الأغراض من الوجهة التي توجهت إليها ، والأطراف التي أشرقت سعادتك عليها ، بما من ما تثق به من الطاعة الإمامية وتضميره ، وتعتقده من الإخلاص وتستشيره ، وأن ركن الدين محمداً ومن أنضم إلى جملة وانتظم في سلك موافقته لما ظفروا منك بذيام أطمأنوا إليه وسكنوا ، وأمان وثقوا به وركنوا ، أبصروا الرشد فاتبعوه ، وأستجابوا الداعي إذ سمعوه ، وأذعنوا لطاعتك مسرعين ، وأنقادوا إلى متابعتك مهطعين ، على استقرار مسيرهم تحت لوائك إلى باب همدان ليكون تقرير القواعد الجامعة للمصالح عند وصولها ، والتوفر على تحرى ما تقرب به الخواطر مع حلولها ، والآنفصال إلى من يفد إلى الأبواب العزيزة مؤتسماً بقرب الدار ، ومستسعداً بالخدمة الشريفة الإمامية المؤذنة ببلوغ الأوطار . ووقف عليه وعرف مضمونه ، وجدد ذلك لديه من الآتجاج ، والأغتباط الواضح المنهاج ، ما تقتضيه ثقته بجانبك واعتقاده ، وتعويله على جميل معتقدك وأعتاده ، واعتضاده من طاعتك بجميل لا تنقض الأيام ميممه ، وسكونه من ولائك إلى وزر لا ترزع المخاوف حرمه ، وواصل شكر الله تعالى على ما شهدت به هذه النعمة العميمة ، والموهبة الجسيمة ، من إجابة الأدعية التي مازالت جنودها نحوك مجهزة ، ووعوده - جلت عظمتة - بقبول أمثالها منجزه ، وإمدادك منها بأمداد تستدعي

لك النصر وتستنزه ، وتستكمل الحظ من كل خير وتستجزله ، وتبلغ الأمل منك
 فيمن هو العدة للممات ، والحاي لتقرير الأئس من روائع الشتات ، ومن ببقائه تكف
 عن الأمتداد أكف الخطوب ، وتطلق وجوه المسار من عقل القطوب ، ويأبى الله
 العادل في حكمه وحكمته . الرؤف بعباده وخليقته ، إلا إعلاء كلمة الحق بالهمم
 الإمامية . والإجراء على عوائد صنيعته الحفيه ، الكافلة بصلاح العباد والرعيه ،
 وقد أقيمت أسواق التهنئة بهذه البشرية . وأفادت بدلا نتابع وفوده ترى ، لاسيما
 مع الإشارة إلى قرب الأوبة التي تدني كل صلاح وتجلبه ، وتزيل كل خلل أتعب
 القلوب ونذهبه . وإلى الباري جل اسمه الرغبة في اختصاصك من عنايته بأحسن
 ما عهدته وأجمه . وصلاة آخر وقتك في نوح المساعي بأوله ، وأن لا تحلي الدار
 العزيرة من إخلاصك في ولأئها . ورغبتك في تحصيل مرضيها وشريف آرائها .

هذه مناجاة أمير المؤمنين - أدام الله تأييدك - آبتغى الله جزاءك فيها على عادة
 تكريمته ، وأعرب بها عن اعتقاده فيك وطويته ، ومكانك الأثيل في شريف
 حضرته ، وأتجاهه بنعمة الله عندك وخيرته ، فتأملها تأملا يشاكل طاعتك الصافية
 من الشوائب والأفداء . ونقها بصدق الاعتماد عليها وحسن الإصغاء ، تنز بإصابة
 قداحك . ويقرن التوفيق معذراك ومرآحك . إن شاء الله تعالى ، والسلام عليك
 ورحمة الله وبركاته .



وكي كتب بعض كتاب الناطقين عن الحافظ لدين الله : أحد خدامهم بن شمس
 الدولة أبي منصور محمد بن ظهير لدين بن نوري بن طغتكين بعلمت جوبا عن
 كتابه الوارد عنه على التخليخه . ويذكر انه حس لفخر الملك رواج وروده على الخليفة
 بالديار المصرية . ويذكر نصرته على الفرج بطن بلس . وفنه التومص ملكها .

« من عبدالله ووليه عبد المجيد أبي الميمون الإمام الحافظ لدين الله أمير المؤمنين ،
إلى الأمير فلان .

أما بعد ، فإنه عُرض بحضرة أمير المؤمنين كتابك من يفتاه ووزيره ، وصفيه
وظهيره ، السيد الأجل الأفضل ، الذي بذل نفسه في نصره الدين تقي وليانا ، وأوضح
الله للدولة الحافظية بوزارته مُجَّة وبرهانا ، وأسبغ النعمة على أهلها بأن جعله فيهم
ناظرا ولهم سلطانا ، ووقفه في حُسن التدبير ، والعمل بما يقضى بمصالح الصغير والكبير ،
وبما أعاد المملكة إلى أفضل ما كانت عليه من النضرة والبهجة ، ولم يخرج المادحون
لها إذا اختلفوا عن التحقيق وصدق اللّهجه ، فقد ساوت سياسته بين البعيد
والقريب ، وأخذ كل منهما بأجزل حظ وأوفر نصيب ، وسارت سيرته الفاضلة
في الآفاق مسير المثل ، وأستوجب من خالقه أجر من جمع في طاعته بين القول
والعمل . وشفع عرضه من وصفك وشُرك ، بحوالثاء عليك وإطابة ذكرك ، وأنهى
ما أنت عليه من الولاء ، وشُكر الآلاء ، بما يضاهاى ما ذكرته فيه مما علم عند تلاوته ،
وأصغى إليه عند قراءته . وقد أستقر بحضرة أمير المؤمنين مكانك من المشايخ ،
وموقعك من المخالصة ، وكونك من ولاء الدولة على قضية كسبتك^(١) شرقا تقيات
ظلاله ، وأفاضت عليك ملبسا جررت أذياله ، وسمت بك إلى محل لا يهاهى من
بلغه ولا يطاول من ناله ، وكنت في ذلك سالكا للمنهج القويم ، ومعتمدا ما أهل
بيتك عليه في القديم ، لا جرم أنه عاد عليك من حُسن رأى أمير المؤمنين بما تقصُر
عنه كل أمنيّه ، ويشهد لك بمخالصة جمعت فيها بين عملٍ ونيّه ، والله يضاعف

(١) في المصباح في مادة كسب "ويتعدى بنفسه إلى مفعول ثان فيقال كسبت زيدا مالا وعلما أى أنلته .

قال ثعلب وكلهم يقول كسبك فلان خيرا إلا ابن الأعرابي فإنه يقول أ كسبك بالألف .

أجرك على اعتصامك من طاعة أمير المؤمنين ، بالحبل المتين ، ويوزعك شكر ما منحك من الاستضاءة بنور الحق المبين .

فأما الأمير الأسفهلار نخر الملك رواج وبعثك له على الوصول إلى الباب ، وحضك إياه على التعلق من الخدمة بمحصد الأسباب ؛ فما كان الإذن له في ذلك إلا لأن كتابه وصل بلمتمسه ، وعرض فيه نفسه وبذل المناصحة والخدمة ، ويسأل سؤال من يعرف قدر العارفة بالإجابة إليه وموقع النعمة ؛ فأجيب إلى ذلك إسعافاً له بمراده ، وعملاً برأى الدولة فيمن يرغب إلى التحيز إليها من أقطاره وبلادها ؛ وإلا فلا حاجة لها إليه ولا إلى غيره ، لأن الله تعالى - وله الحمد - ونر حظها من الأولياء والأشياء ، والأنصار والأتباع ؛ والعساكر والجيوش والأجناد والأنجاد ، والأعوان الأقوياء الشداد ؛ وعبيد الطاعة الذين يتبارون في النصح ويتنافسون في الاجتهاد والحرص ، وسعة الأموال ، وعمارة الأعمال ، وجمع الرجال في العزائم بين الأفعال والأقوال ؛ ولو وصل المذكور لكنت المنية للدونة عليه ، والحاجة له في ذلك لا إليه ، قال الله عز من قائل : ﴿ يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا قَلَّ لَاتُؤْمِنُوا عَلَيَّ إِسْلَامُكُمْ بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلْإِيمَانِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾ .

وأما توجهه إلى طرابلس وظفره بقومصها وقتله إياه مع من بها ، وعظيم أمره فيها ؛ فالله تعالى يعز الإسلام وينشر لواءه ، ويعلي مناره ويخذل أعداءه ؛ وينشر عساكره وأجناده ، ويبلغه في أحزاب الكفر والضلال مراده ؛ وهو عز وجل يمتك من الولاء بما منحك ، ويملك في دينك ودنياك أملك ومقتحك ؛ فأعلم هذا وأعمل به ، إن شاء الله تعالى .

الأسلوب الثاني

(أن يُفْتَحَ الجواب بلفظ «أما بعد»)

كما كتب عن المقتفى إلى السلطان محمود بن محمد السلجوقي جواباً عن كتابه الوارد بإخباره باجتماعه مع عمه سنجربا ونسخته :

أما بعد فإن كتابك عُرضَ بمحضرة أمير المؤمنين ناطقاً بدرك الأوطار ، وحصول المقاصد على الآثار ، وما أنهيته من الاجتماع بعزّ الدين والدين جمع الله في طاعته شملِكما ! ووصل بالألفة والتوادد حبلكما ! ومن إكرام الوفاة الذي أنت أهله ووليّه ، وحقيق أن يتبع وشميه لديك وليّه ،^(١) والموافقة على كل حال آذنت ببلوغ الأغراض وتيسرها ، ونجاز المساعي على أتم وفاق وتقرّرها ، وانتظام الأمور على أجمل معتاد بكل مراد ، وأحسن آتساق وأطراد ، وأستقرار القواعد على الوصف الجامع أشتات الاتّفاق ، الدالّ على صدق المحافظة بينكما وفرط الإشفاق ، محفوقاً بالسعادة التي لا تزال ما تُرك في الطاعة الإمامية تملك قيادها ، وتقلّدك على الاتّصال بنجادها ، فهللت بهذا النّبيل المبهج أسرة البشري ، وأصبح الجدّل بمكانه أفعم عرفاً وأذكي نُسراً ، وقامت لأجله في عِراض الدار العزيزة مواسم ، أضحت المسرة بها مُفترّة النغور ضاحكة المباسم ، وجدير بمن كان له من الهيم الشريفة مدد واف ، ومنجد يدق في صدر كل خطب مؤاف ، أن تكتنّفه الميامن والسعود ، ويصدق في كل مرعى نخود من شجع الموعود ، وتتفاد له المصاعب ذللاً ، ويعود بمن قبيته كل عاف من الصلاح جديد مقتبلاً . ولا ينفك صنع الله جلّ اسمه لطيفاً . . .

(١) أوله على فعل نصر - الدبر - يتخف عن كبره نصر المسارح ٢٠ - دة رل ي .

(٢) لغة ، نعالف . الحح

مُحَدِّقًا مُطِيفًا ، وَالتَّوْفِيقُ مُصَاحِبَهُ أَثَى حَلِّ وَثَوَى ، أَوْ ثَنَى عِيسَانَهُ إِلَى وَجْهِ وَلَوَى ؛
 وَاللَّهُ يَمْتَعُ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ مِنْكَ بِالْعَضُدِ الَّذِي يُدْبُّ عَنْ دَوْلَتِهِ وَيَحَامِي ، وَيُنَاضِلُ دُونَهَا
 بِجُنُودِ الْإِخْلَاصِ وَيُرَامِي ؛ وَلَا يُجْلِيكَ مِنْ رِعَايَتِهِ الَّتِي لَا يَزَالُ يَسْتَقِرُّ فِيهَا إِلَيْكَ ،
 وَيَرْغَبُ إِلَيْهِ فِي إِسْبَاحِ لِبَاسِهَا عَلَيْكَ ، حَتَّى نَسْتَشِي لَكَ الْمَطَالِبَ مَعًا ، وَيَغْدُو الزَّمَانُ
 فِيهَا يَنْشَأُ مَتَّبِعًا .

هذه مفاوضة أمير المؤمنين إليك ، أدام الله تأييدك ، أجزاك فيها على مالوف
 العاده ، وجدد لك بها برود الفخار والسعادة ، فاجر على وتيرتك في إتحاف حضرته
 بطيب أخبارك ، ومجاري الأمور في إيرادك وإصدارك ؛ تُهد إليها آبتهاجا وإفرا ،
 وآبتساما يظل لثامه عن حمد الله المسند بها سافرا ؛ إن شاء الله تعالى .

الضرب الثاني

(أن يكون الافتتاح في الجواب مصدرا بما فيه معنى وصول المكاتبه إلى الخليفة)
 فقد جرت عادة المتقدمين من الكُتَّاب في التعبير عن ذلك بلفظ « العرض على
 الخليفة » ويؤتى فيه على ما تضمنه الكتاب المجاب عنه ، ثم يُنحَم كما تُنحَم الأبتدآت .
 كما كتب العلاء بن موصلايا عن القائم بأمر الله إلى « أئسز » عند ورود كتابه
 على أبواب الخلافة يتضمَّن انتظامه في سلك الطاعة وغلبته الأعداء ، وهو :
 عَرَضَ بِحَضْرَةِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ مَا وَرَدَ مِنْكَ دَالًّا عَلَى تَمَسُّكِكَ مِنَ الطَّاعَةِ الْإِمَامِيَّةِ
 بِمَا لَا تَزَالُ تُجِدُّ فِيهِ مَلَائِسَ التَّوْفِيقِ حَالًا بَعْدَ حَالٍ ، وَتَجِدُّ بِهِ مَرَارًا السَّعْدَ مُحْصَفَةً
 فِي كُلِّ حَلٍّ وَتَرَحَالٍ ؛ مُنْبِئًا عَنْ تَوْفُرِكَ عَلَى الْمَقَامَاتِ الَّتِي آتَقَمْتَ بِهَا لِلهُدَى مِنَ
 الضَّلَالِ . وَأَسْتَقَمْتَ فِيهَا حَتَّى أَجَلَّتْ عَنْ كُلِّ صَلاَحٍ مَمْتَدِّ الظَّلَالِ ؛ شَاهِدًا بِمَا أَنْتَ

عليه من موالاةٍ لا تألُو جُهدًا في آلتزام سُروطها بادئًا عائدًا ، ولا تخلو فيها من حُسن أثرٍ يكونُ لدعائم الصواب عامِدًا ، وتُرى فيه قاصدًا لاجتلابِ الخير عائدًا . ووقف عليه وقوفٌ من آرتضى ما يتوالى من قُرْبَاتِكَ التي لاتزال في إعذابٍ ورُودها ساعيا . ولما يُفِضِي إلى إعشابٍ مرعاها في طلبِ الحمد مُراعيا ، وآنتضى منك للخدمة بتلك الأعمال حُسامًا بائرا آجالَ بقايا الكُفْر هناك ، ماضيا في كل ما يُقْضَى بانفِتاحِ مجالِ آمالكِ في الدهر ومبارك ، وآعتد لك بما أناه عنك رسولُ أمير المؤمنين العائدُ من قبلك ، وأوضحه من زلفك التي شفع قولك فيها عملك ، وطالع به الرسولُ الذي نَفَّذته معه لقصدِ بابهِ ، والمُنابُ في تأكيدِ دواعي النُجْحِ وتمهيدِ أسبابهِ ، وسئل كلُّ ذلك لديه المحل الذي ستجني ثمره كلما يطيبُ ويخلو ، ويسلمُ من كل الاستزادة ويخلو ، ويعزُّ مهرُ الفوز به على غيرك ويغلو ، وتأنل لك من الرتبة بحضرتهِ ما يُدْني لك كلَّ مطلبٍ إلى مُرادك آتل ، ويُدوي قلبَ كلِّ منحرفٍ عن وفائك مائل ، وصرت من أعيان الخُلصاء الذين سَمَّت الهدى لفعالهم بالحمد ، وسَمَّت بالطاعة آمالهم إلى توكلِ هِضابِ المجد ، فما تهمُّ بك الغيرُ إلا وتتقطع دُونك أعناقها ، وترجع في جلبابِ الخيبة وحيصها إليك وإعناقها ، ولا تمتد نحوك يدٌ ضدَّ إلا ردها عنك جميلُ الآراء الشريفة فيك وغلها ، وأوجب نهلها عن موارد القصور وعلها ، وكيف لا يكون ذاك ولك في الطاعة كلُّ موقِفٍ آغْتدِي بِلَبانِ الحمد ، وآعتنى باشتهاره بلوغُ المدى في وصفهِ والحد ، فأحسن الله توفيقك فيما أنت بإزائه من إحمادٍ لهب الباطل بتلك الشَّعاب ، وإجهادِ النَّفسِ في إنحمالِ المَتاعِبِ وإذلالِ الصَّعاب ، وأمذك بالعون على ما بدأت له من جب فيما يليك ، وطبَّ أدواء الفساد في نواحيك . ومع

(١) كذا في الأصول ولعله من خلل الاستزادة وفي المختار والقاموس "استزاده استقصره" .

(٢) بياض في الأصول بهذا المقدار ولعله من جب أصول العناد الخ .

مافرت به من هذه المنحة التي قد جاز قدرها التقدير والظن ، وجاد لك الدهر فيها بما كان شح به على أمثالك وضح ، فيجب أن تستدبها ، وتحصن من النغل أديمها ، بمزيد من الخدمة تنهز الفرص بالإسراع إليه والبدار ، وتتهج أقوم الجدد في مقابلة الإيراد منه بالإصدار ، وتنفذ وسعك في كل مسعى ينثني إليك عنان الثناء معه ، وتنفق عمرك في كل أمر يجمع لك مرأى الرضا عنك ومسمعه ، لتجد من جدوى ذلك ما ينظم في السعادة شملك ، ويضحى به القياد فيما يصدق أملك أملك ، وأن تُحمد السيرة في الرعايا الذين غدوا تحت كنفك ، وتجعل الأشمال على مصالحهم معربا عن فضل شفك بالخير وكلفك ، فإنهم ودائع الله تعالى يلزم أن تحمى من ضياع يتسلط عليها في حال ، وتحميا من دز الإحسان برضا لا يخطر الفطام عنه ببال ، فلا تقفن عند غاية في إفاضة الفضل عليهم وإسباغ ظله ، وأعتادهم بتخفيف ثقل الحيف عنهم أو إزالة كُله ، ليكونوا في أفياء الأمن راتعين ، ولحرق كل ملم بحسن ملاحظتك راقعين ، فالذي يراه أمير المؤمنين في فرضك حتى يزداد بأعك طولا ، ولا يترك لك على الزمان اقتراحا ولا سولا ، يقتضى أن يتبع كل سابق إليك من الإحسان بلا حق ، ويمرغ جناب النعمى لديك عند ذر كل شارق . وكذلك يرى أن يجدد لك من تشريفه المنور مطالع الفجر ، المنوه بالذكر في الدهر ، الذي لا تزال الهيم العالية تصبو إلى الفوز به وتميل ، وتقف عند حد الرجاء والتأمل ، ما أصحب رسولك المشار إليه لتدرع من خلاله ما الشرف الأكبر في مطاويه ، وتمتطي من صهوة العزفيه ما يبعد على النظراء إدراك مراميه . ويجب أن تلتق مقدم ذلك عليك بما ينبي عن اقتران النعمة الغراء فيه ، واقصا أهلة التوفيق عندك بما تقصد في المعنى وتنتحيه ، وإذا عاد رسولك إلى باب أمير المؤمنين حسب ما ذكرت ، أصدر على يده من ضروب التشريفات ما يقتر

(١) في المصباح (الجملة بالضم الطريق والجمع جدد مثل غرفة وغرف) .

فِيكَ عُيُونَ مَنْ يَوَدُّكَ ، وَيَقَرُّ فِي مَغَانِيكَ كُلِّ سَعْدٍ يُورِي فِيهِ زَنْدُكَ ، فَاسْكُنْ إِلَى
 حَبَائِكَ بِالْمَزِيدِ مِنْ كُلِّ رُتْبَةٍ أَهَلَّتْ لَهَا ، وَكُنْ بِحَيْثُ الظَّنُّ فِيكَ نُورٌ عَيْتِكَ أَقْسَامُ
 الْحَمْدِ كُلُّهَا ، وَثِقْ بِمُتَرَادِفِ آدَاءٍ يَنْضَمُّ لَدَيْكَ شَمْلُهَا ، وَيُنْقِلُ كُلَّ كَاهِلٍ حَمْلَهَا ،
 بِإِذْنِ شَاءِ اللَّهِ تَعَالَى .

الطرف التاسع

(فِي الْكُتُبِ الصَّادِرَةِ عَنْ وِلَاةِ الْعَهْدِ بِالْخِلَافَةِ)

لَمْ أَقِفْ عَلَى مَكَاتِبِهِ صَرِيحَةِ التَّصْوِيرِ عَنْ وِلَاةِ الْعَهْدِ ، غَيْرَ أَنَّ الْإِمَامَ أَبَا جَعْفَرَ
 النَّعَّاسَ فِي "صِنَاعَةِ الْكُتَابِ" بَعْدَ أَنْ ذَكَرَ أَنَّ صُورَةَ الْمَكَاتِبَةِ عَنِ الْخَلِيفَةِ : «مَنْ
 عَبْدَ اللَّهِ أَبِي فَلَانٍ فَلَانٍ الْإِمَامِ الْفُلَانِيِّ إِلَى فَلَانٍ» أَتَّبَعَ ذَلِكَ بِأَنْ قَالَ : «وَلَيْسَ أَحَدٌ
 مِنَ الرُّؤَسَاءِ يُكَاتِبُ عَنْهُ بِالتَّصْدِيرِ إِلَّا الْإِمَامَ وَوَلِيَّ الْعَهْدِ ، وَلَمْ يَزِدْ عَلَى ذَلِكَ ، وَقَدْ فَسَّرَ
 أَبُو حَاجِبٍ النَّعَّاسُ فِي "ذَخِيرَةِ الْكُتَابِ" التَّصْدِيرَ بِأَنْ قَالَ : يَكْتُبُ «مَنْ عَبْدَ اللَّهِ
 أَبِي فَلَانٍ فَلَانٍ» بِاسْمِهِ وَكُنْيَتِهِ وَنَعْتِهِ ، وَيُقَالُ : أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَبِي فَلَانٍ .

أَمَّا بَعْدُ ، فَإِنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ يَحْمَدُ إِلَيْكَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ إِلَى آخِرِهِ ، عَلَى
 مَا تَقَدَّمَ بَيَانَهُ .

وَذَكَرَ النَّعَّاسُ فِي الْكَلَامِ عَلَى الْعُنْوَانِ مِنَ الرَّئِيسِ إِلَى الْمَرْءِ وَسُ أَنَّهُ يُحَدِّثُ
 مِنَ الْكُتَابِ عَنْ وِلَاةِ الْعَهْدِ لَفْظَ الْإِمَامِ ، وَلَفْظَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ، وَيُقَالُ فِيهِ : وِلَاةُ
 الْعَهْدِ . وَظَاهِرٌ ذَلِكَ أَنَّ الْمَكَاتِبَةَ عَنِ وِلَاةِ الْعَهْدِ مُشَابِهَةٌ لِلْمَكَاتِبَةِ عَنِ الْخَلِيفَةِ ،
 وَأَنَّ لَفْظَ وِلَاةِ الْعَهْدِ فِي الْمَكَاتِبَةِ عَنْهُ يَقُومُ مَقَامَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ فِي الْمَكَاتِبَةِ عَنِ الْخَلِيفَةِ
 نَفْسِهِ ، وَحِينَئِذٍ فَيَتَّجِهُ أَنْ تَكُونَ الْمَكَاتِبَةُ عَنْهُ «مَنْ عَبْدَ اللَّهِ أَبِي فَلَانٍ فَلَانٍ الْمُعْتَصِدُ بِاللَّهِ
 مِثْلًا وِلَاةِ عَهْدِ الْمُسْلِمِينَ . سَلَامٌ عَلَيْكَ فَإِنِّي أَحْمَدُ إِلَيْكَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ

وأسأله أن يصلي على محمد عبده ورسوله صلى الله عليه وسلم . أما بعدُ : فإن كذا وكذا»
ويؤتى على المقصد إلى آخره . وعلى ذلك يدل كلام صاحب " ذخيرة الكتاب " .
فإنه قال بعد ذكر المكاتب عن الخليفة : وكذلك المكاتب عن ولي العهد . على أن
المكاتب عن ولي العهد قد بطلت في زماننا جملةً .

الطرف العاشر

(من المكاتب عن الخلفاء المكاتب إلى أهل الكفر)

وكان الرِّسْمُ فيها أن يُكْتَبَ « من فلان إلى فلان » . ويقع التخلُّص فيها
إلى المقصود بـ «أما بعدُ» . ويختم الكتاب بلفظ «والسلام على من أتبع الهدى» .
فقد حكى أبو هلال العسكري في كتابه " الأوائل " أنه كان على الروم ملكة ،
وكانت تُلَاطِفُ الرشيدَ ولها ابنٌ صغير ، فلما نشأ فوضت الأمر إليه فعات
وأفسد . فخافت أمه على ملك الروم فقتلته ، فخرج عليها تقفور ملك الروم فقتلها
وأستولى على ملكها وكتب إلى الرشيد :

«أما بعدُ فإن هذه المرأة وضعتك موضع الشاه ، ووضعت نفسها موضع الرِّخ ،
وينبغي أن تعلم أنني أنا الشاه وأنت الرِّخ . فادِّ إلى ما كانت المرأة تُؤدِّي إليك » .
فلما قرأ الكتاب ، قال لكتابه أجيئوا عنه ، فكتبوا ما لم يرتضه ، فكتب هو إليه :

«من عبد الله هارون أمير المؤمنين ، إلى تقفور كلب الروم . أما بعدُ فقد فهمتُ
كتابك ، والجواب ما تراه لا ما تسمعه ، والسلام على من أتبع الهدى » .

ويقال : إنه كتب « الجواب ما تراه لا ما تسمعه ، وسيعلم الكافر لمن عُقبي
الدار » . ولا يخفى ما في ذلك من البلاغة مع الإيجاز .

وكما كتب عن الحافظ لدين الله : أحد خلفاء الفاطميين بمصر إلى صاحب صِقْلِيَّة^(١)
وما معها من مُلُوكِ الْفَرَنْجِ :

«من عبد الله وولَّيه عبد المجيد أبي الميمون الإمام الحافظ لدين الله أمير المؤمنين ،
إلى الملك بجزيرة صِقْلِيَّة ، وَأَنْكُورِيَّة وَأَنْطَالِيَّة وَقِلْوَرِيَّة وسترو وملف وما أنضاف
إلى ذلك ، وفقه الله في مقاصده ! وأرشده إلى العمل بطاعته في مصادره وموارده ؛
سلامٌ على من أتبع الهدى ، وأمير المؤمنين يحمّد إليك الله الذي لا إله إلا هو
ويسأله أن يصلّى على جدّه محمد خاتم النبيّين ، وسيد المرسلين ؛ صلى الله عليه وعلى آله
الطاهرين ؛ الأئمة المهديّين ؛ وسلم تسليماً .

أما بعدُ : فإنه عُرض بحضرة أمير المؤمنين الكتاب الواصل من جهتك ، ففُضَّ
ختامه وأجلبى ، وقُرئ مضمونه وتلى ؛ ووقعت الإصاحّة إلى فصوله ، وحصلت
الإحاطة بجمله وتفصيله ؛ والإجابة تأتي على أجمعه ، ولا تُخِلُّ بشيء من مستودعه ؛
أما ما أفتتحته به من حمد الله تعالى على نعمه ، وتوسيعك القول فيما أولاك من
إحسانه وكرمه ؛ فإن مواهب الله تعالى ومننه التي جعل تواليها اختبار شكر العبد
وأمتحانه على أنه بجائنة الأعين ومأنحفي الصدور عليم ، وهو القائل فيمن أنى عليهم :
(أُولَئِكَ الَّذِينَ أَمْتَحَنَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَى لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ) لا يزال مضاعفها
ومرادفها ، ومتبعاً سالفها آنفها ؛ وهو يوليها كلّاً من عبيده بقدر منزلته عنده ،
ويخصّ أصفياه بأوفى مما تمنّاه الأمل المبالغ وودّه ؛ والله تبارك وتعالى يمنحُ
أمير المؤمنين ، وآبائه الأئمة الراشدين ؛ ما غدت مستقدماتُ الحمد والشكر عند
لوازمه مستأجره ، إذ كان أفردهم دون الخليفة بأن أعطاهم الدنيا ثم أعطاهم معها

(١) في التعبير تساهل والغرض معلوم .

الآخِرِه ؛ وَأَخْتَصَّهُم مِّنْ حِبَائِهِ بِمَا لَا يُحْصِيهِ عِدَدٌ ، وَخَوَّلَهُمْ مِّنْ آلَائِهِ بِمَا لَا يُقُومُ بِشُكْرِهِ أَحَدٌ .

وَأَمَّا مَا ذَكَرْتَهُ مِنْ آفِتْحَاكِ الْجَزِيرَةِ الْمَعْرُوفَةِ بِجِرْبَةَ لَمَّا شَرَحْتَهُ مِنْ عُدْوَانِ أَهْلِهَا ، وَعُدُولِهِمْ عَنِ طُرُقِ الْخَيْرَاتِ وَسُبُلِهَا ؛ وَاجْتِرَائِهِمْ فِي الطُّغْيَانِ عَلَى أَسْبَابِ لَا يَجُوزُ التَّغَاوُلُ عَنْ مِثْلِهَا ؛ وَاسْتِعْمَالِهِمُ الظُّلْمَ تَمَرُّدًا ، وَتَمَادِيهِمْ فِي الْغِيِّ تَبَاهِيًّا فِي الْبَاطِلِ وَغُلُوبًا ، يَأْسًا مِنَ الْجَزَاءِ لَمَّا اسْتَبَطُّوهُ ، فَإِنْ مِنْ كَانَتْ هَذِهِ حَالَتُهُ حَقِيقًا أَنْ تَكُونَ الرَّحْمَةُ عَنْهُ نَائِيَةً ، وَخَلِيقًا أَنْ يَأْخُذَهُ اللَّهُ مِنْ مَّأْمِنِهِ أَخْذَةً رَائِيَةً ؛ كَمَا أَنَّهُ مَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ السَّلَامَةِ ، وَسَالَكًا سَبِيلَ الْأَسْتِقَامَةِ ؛ وَمُقْبِلًا عَلَى صَلَاحِ شَانِهِ ، وَغَيْرَ مُتَعَدِّ لِلْوَاجِبِ فِي سِرِّهِ وَإِعْلَانِهِ ؛ تَعَيَّنَ أَنْ نُوَفَّرَ مِنَ الرَّعَايَةِ سَهْمَهُ ، وَنُجْزَلَ مِنَ الْعِنَايَةِ نَصِيبِهِ وَقِسْمَهُ ؛ وَيَوْمًا مِمَّا يُقْلِقُهُ وَيُزِجُّهُ ، وَيُقْصِدُ بِمَا يُسِرُّهُ وَيُبْهَجُهُ ؛ وَيُصَانُ عَنْ أَنْ يِنَالَهُ مَكْرُوهٌ ، وَيُجْمَى مِنْ أَدَى يُلْمُ بِهِ وَيَعْرُوهُ .

وَأَمَّا شُكْرُكَ لَوْزِيرِكَ الْأَمِيرِ تَأْيِيدِ الدَّوْلَةِ وَعَضُدِهَا عِزِّ الْمَلِكِ وَفَخْرِهِ نِظَامِ الرِّيَاسَةِ ، أَمِيرِ الْأَمْرَاءِ ، فَإِنَّ مِنْ تَهْدَبَ بِتَهْدِيكَ ، وَتَخَلَّقَ بِأَخْلَاقِكَ وَتَأَدَّبَ بِتَأْدِيبِكَ ؛ لَا يُنْكِرُ مِنْهُ إِصَابَةُ الْمَرَامِيِّ ، وَلَا يُسْتَغْرَبُ عِنْدَهُ نُجْحُ الْمَسَاعِيِّ ؛ وَوَاجِبٌ عَلَيْهِ أَنْ لَا يَجْعَلَ قَلْبَهُ إِلَّا مَثْوًى لِلنِّصَائِحِ ، وَأَنْ لَا يَزَالَ عُمْرُهُ بَيْنَ غَادٍ فِي الْمَخَالِصَةِ وَرَائِحِ .

وَأَمَّا الْمَرْكَبُ الْعُرُوسِ وَوَصُولُ كِتَابِ وَيَكِلُهُ ذَاكِرًا مَا اعْتَمَدَهُ مُقَدِّمُ أُسْطُوكِ مِنْ صَوْنِهِ وَحِمَايَتِهِ ، وَحِفْظِهِ وَرِعَايَتِهِ ؛ وَإِعَادَةِ مَا كَانَ أَخَذَ مِنْهُ قَبْلَ الْمَعْرِفَةِ بِأَنَّهُ جَارٍ فِي الدِّيْوَانِ الْخَاصِّ الْحَافِظِي ، فَفِعْلٌ يَجْمَلُ عَنْكَ صَدْرَهُ ، وَيَلِيقُ بِكَ أَنْ يُنْسَبَ إِلَيْكَ ذِكْرُهُ وَخَبْرُهُ ؛ وَيَدُلُّ عَلَى عِلْمِ أَصْحَابِكَ بِرَأْيِكَ وَإِحْكَامِ مُعَاقَدَةِ الْمَوَدَّةِ ، وَيُعْرَبُ عَنْ إِشَارِكَ إِبْرَازَهَا كُلَّمَا تَقَادَمَ عَهْدُهَا فِي مَلَاسِ بِهَجَةٍ مُسْتَجَدَّةٍ ؛ وَهَذَا النَّعْلُ مِنْ

خلائقك الرضية غير مستبدع، وقد ذخرت منه عند أمير المؤمنين ما حصل في أعز مقر وأكرم مستودع، لأجرم أن أوامره خرجت إلى مقدمي أساطيله المظفرة بما يُجنيك ثمرة ما غرسته، ويعلي منار ثنائك الذي قررته على أقوى أصل وأسسته، وقد نفذت مراسيمه بإجرائك على غلاتك المستمرة في المساحة بما وجب للديوان عما وصل برسمك على مراسيمك، وبرسم الأمير تأييد الدولة وزيرك، والرسولين الواردين عن حق الورود إلى ثغر الإسكندرية حماه الله تعالى، ثم إلى مصر حرسها الله وحق الصدور عنهما، وكل ما يصل من جهتك فعلى هذه القضية .

وأما شكرك على الأسرى الذين أمر أمير المؤمنين بإطلاقهم إجابة لرغبتك، ورسم بتسييرهم إليك محافظة على مرادك وبغيتك، فأوزعنا شعارهم أنهم عتقاء شفاعتك، وأرقاء منتك، فذلك من الدلائل على ما ينطوي عليه من جميل الرأي وكريم النية، ومن الشواهد بأنه يُوجب لك مالا يُوجب لأحد من ملوك النصرانية .

وأما سؤالك الآن في إطلاق من تجدد أسره، وإنهاؤك أن ذلك مما يهيك أمره، فقد شفّعك أمير المؤمنين بالإجابة إليه على ما ألف من كريم شيمته، وسير إليك مع رسالك من تضمن الثبت ذكر عِدته، وقد علمت ما كان من أمر بهام ووصوله إلى الدولة الفاطمية خلد الله ملكها شريداً طريداً، قد نبت به أوطانه، وقذفته دياره، لا مال له ولا حال، ولا عشيرة ولا رجال، فقبلته أحسن قبول، وبلغت به في الإحسان ما يزيد على السؤل، وغمرته من الإنعام ما يقصر عن اقتراحه كل أمل، وجعلته فواضلها يقبّل الطرف بين الخيل والحول، وكانت أموره كل يوم في نمو وزياده. وأحواله تُوفي على البغية والإرادة، إلى أن جرت نوبة اقتضى التدبير في وقتها أن عُدت به الوزاره، ونيطت به السفاره، فوسوس له خاطره ما زخره

البَطْرُ وَزَيْتُهُ ، وَصُورُهُ الشَّيْطَانُ وَحَسَنُهُ ، وَأَظْهَرَ مَاظَهَرَتْ أَمَارَاتُهُ ، وَوَضَحَتْ أَدِلَّتُهُ
 وَعَلَامَاتُهُ ، فَاسْتَدْعَى قَبِيلَهُ وَأُسْرَتَهُ ، وَجِنْسَهُ وَعَشِيرَتَهُ ، بِمَكَاتِبَاتٍ مِنْهُ سِرِّيَّةً ،
 وَخَطُوطٍ عُثْرَ عَلَيْهَا بِالْأَرْمَنِيهِ ، فَكَانُوا يَصِلُونَ أَوَّلَ أَوَّلٍ ، إِلَى أَنْ أَجْتَمَعَ مِنْهُمْ عَشْرُونَ
 أَلْفَ رَجُلٍ مِنْ فَارِسٍ وَرَاجِلٍ ، وَمِنْ جَمَلَتِهِمْ أَبْنَا أَخِيهِ وَغَيْرَهُمَا مِنْ أَهْلِهِ ، فَدَلُّوهُ
 بِالْفُرُورِ ، وَحَمَلُوهُ عَلَى مَا قَضَى بِالْأَسْتِيحَاشِ مِنْهُ وَالنُّفُورِ ، وَقَوَّوْا عَزْمَهُ فِيمَا يُوَدَّى
 إِلَى أَضْطِرَابِ الْأَحْوَالِ وَآخْتِلَالِ الْأُمُورِ ، فَامْتَعَضَ الْعَسَاكِرُ الْمَنْصُورَةُ مِمَّا أَسَاءَ بِهِ
 سِيَاسَتَهُمْ ، وَأَبْوَأَ الصَّبْرَ عَلَى مَا غَيْرَ بِهِ رَسْمَهُمْ وَعَادَتَهُمْ ، فَلَمَّا رَأَى أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ذَلِكَ
 اسْتَعْظَمَ الْحَالَ فِيهِ ، وَتَيَقَّنَ أَنَّ التَّغَافُلَ عَنْهُ يَقْضِي بِمَا يَعْسُرُ اسْتِدْرَاكَهُ وَتَلَا فِيهِ ،
 فَكَاتَبَ وَلِيَّهُ وَصَفِيَّهُ الَّذِي رُبِّيَ فِي حَجْرِ الْخِلَافَةِ ، وَسَمَّا بِهِ اسْتِحْقَاقَهُ إِلَى أَعْلَى دَرَجِ
 الْإِنَافَةِ ، وَحَصَلَتْ لَهُ الرِّيَاسَةُ بِاِكْتِسَابِهِ وَأَنْتِسَابِهِ ، وَغَدَا النَّظْرُ فِي أُمُورِ الْمَمْلُوكَةِ
 لَا يَصْلُحُ لغيرِهِ وَلَا يَلِيْقُ إِلَّا بِهِ ، السَّيِّدُ الْأَجْلُّ الْأَفْضَلُ ، وَهُوَ يَوْمئِذٍ وَالِي الْأَعْمَالِ
 الْغَرْبِيَّةِ ، وَصَدَرَتْ كُتُبُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ تُشْعِرُهُ بِهَذَا الْأَمْرِ الصَّعْبِ ، وَتَسْتَكْشِفُ بِهِ
 مَا عَرَا الدَّوْلَةَ مِنْ هَذَا الْخَطْبِ ، فَاجَابَ دُعَاةَهُ ، وَلَبَّى نِدَاءَهُ ، وَقَامَ قِيَامَ مِثْلِهِ مِمَّنْ
 أَجَزَلَ اللَّهُ حُظَّهُ مِنَ الْإِيمَانِ ، وَجَعَلَهُ جَلًّا وَعِزًّا حَسَنَةً هَذَا الزَّمَانِ ، وَأَخْتَصَّهُ بِعِنَايَةِ
 قُوِيَّةٍ ، وَأَمَدَهُ بِمَوَادِّ عُلُوِيَّةٍ ، وَأَيْدَهُ بِإِعَانَةِ سَمَاوِيَّةٍ ، تَخْرُجُ عَنِ الْأَسْتَطَاعَةِ الْبَشَرِيَّةِ ،
 بِجَمْعِ النَّاسِ وَقَامَ خَطِيْبًا فِيهِمْ ، وَبَاعَثْنَا لَهُمْ عَلَى مَا يُزِلُّهُمْ عِنْدَ اللَّهِ وَيُخْطِئُهُمْ ، وَمَوْضِحًا لَهُمْ
 مَا يُخَشِي عَلَى الدَّوْلَةِ مِنَ الْأَمْرِ الْمُنْكَرِ ، فَاجْتَمَعُوا إِلَيْهِ كَأَجْتِمَاعِهِمْ يَوْمَ الْمُحْشَرِ ، وَغَضَّتْ
 النُّجُودُ وَالْأَغْوَارُ ، وَأَمْتَلَّاتِ السُّهُولُ وَالْأَوْعَارُ ، وَضَاقَتِ الْأَرْضُ عَلَى سَعَتِهَا
 بِالْخَلَائِقِ ، وَارْتَفَعَتْ فِي تَوْجِيهِهِمْ لَطْلُبِ الْمَذْكَورِ الْأَعْدَارِ وَالْعَوَائِقِ ، وَلَمْ يَبْقَ فِضَاءٌ
 إِلَّا وَهُوَ بِهِمْ شَرِيقٌ ، وَلَا أَحَدٌ إِلَّا وَهُوَ مِنْزَعِجٌ بِقَصْدِهِ وَعَلَى تَأْخُرِ ذَلِكَ قَلِقٌ . وَكَانَ
 بَهْرَامٌ وَأَصْحَابُهُ بِالْإِضَافَةِ إِلَيْهِمْ كَالشَّامَةِ فِي اللَّوْنِ الْبَسِيطِ ، وَكَالْقَطْرَةِ فِي الْبَحْرِ الْمُحِيطِ ،

وساروا مع السيد الأجل الأفضل نحوه مسارعين ، وعلى الأتقياض عليهم
متهافتين ؛ فلما شعر بذلك لم يبق له قرار ، ولاذ بالهرب والفرار ، يهجر المناهل ،
ويطوي المراحل ؛ ويرى الشroud غنا ، ويعد السلامة حلما ؛ وأستقرت وزارة
المؤمنين لهذا السيد الأجل الأفضل الذي لم تزل فيه راغبه ، وله خاطبه ؛
ونحو توليه إياها متطلعه ، وإلى نظره فيها مبادرة متسرعه ، ولم تنفك لزيينة دسيتها
مستبطنه ، وفي التلهف على تأخر ذلك معيدة مبدته ؛ فأحسن إلى الكافة قولا
وفعلا ، وعمل في حق الدولة ما لم يجعل له في الوزراء شيئا ولا في الملوك العظماء
مثلا ؛ وغدا للملّة الحنيفيّة حجة وبرهانا ، وأولى الأولياء إعزازا وتكريما والأعداء
إذلالا وإهوانا ؛ وصان الخلافة عن نفاذ حيله ، وتما غيله ؛ ومخادعة ماكر ، ومخاتلة
غادر ؛ فلذلك أنتضاه أمير المؤمنين حساما باترا ماضي الغرار ، وأجتباه هماما
في المصالح لا يطعم جفنه غير الغرار ؛ وأصطفاه خيلا وظهيرا لتساوى باطنه
وظاهره في الصفاء ، وأستخلصه لنفسه لمفآخره الجمّة التي ليس بها من خفاء ،
وأنظمت الأمور بكفآلته في سلك الوفاق ، وعمت الخيرات بوزارته عموم الشمس
بانوارها جميع الآفاق ؛ فسعدت بنظره الجُدود ، وتظاهرت ببركاته الميامن والسعود ؛
وأصبح غضن المعالي يمينه مورقا ، وعلى الملّة من يمين آرائه تائم من مسّ الحوادث
ورقى ، فآناره توفى على ضياء الصباح ، وعزماته ترضى بمضياء المهندة الصفّاح ، ومآثره
تفوت شأوالثناء وغاية الأمتداح . فآله تعالى يحفظ النعمة على الخلافة الحافظية ،
ويوزع شكره على سبوغها كافة البرية ؛ بكرمه وفضله ، ومنه وطوله .

ولما أمعن بهرام في الهرب ، وجدّت العساكر المنصورة وراءه في الطلب ؛
وضاقت عليه المسالك ، وتيقن أنه في كل وجهة يقصدها هالك ؛ عاد لمكارم الدولة

وعواطفها ، وسأل أماناً على نفسه من متالفها ، فشملتة الرحمة ، وكتب له الأمان
فعاودته النعمة ، وأختلط برجال العساكر المنصوره ، وصار حظه بعد أن كان
مبخوساً من الحُظوظ الموفوره .

وأما اعتذار الكاتب عما وجه إليه بأن من الكلام ما إذا نُقل من لغةٍ إلى لغةٍ
أخرى اضطرب مَبْنَاهُ فَأَخْتَلَّ معناه ، ولا سيما إن غُرِسَ فيه لفظٌ ليس في إحدى
اللغتين سواه ؛ فقد أبان فيما نُسِبَ إليه السهو فيه عن وضوح سببه ، وقد قُبِلَ عذره
ولم تُفكَّ يده عن التمسك به .

وأما ما سيرته إلى خزائن أمير المؤمنين تُحْفَةً وَهْدِيَّةً ، وأبنت به عن همة بدواعي
المجد مَلِيَّةً ؛ فإنه وصل وتسلم كلِّ صنف منه متولّي الخزائن المختصة به بعد عرضة
على الثبت المعطوف كتابك عليه وموافقته ، وقد أجرى رسولك في إكرامه وملاحظته
على أفضل ما يعتمد مع مثله بمنزلة من ورد من جهته ، وعلى قدر من وصل برسالته ؛
وقد سير أمير المؤمنين من أمراء دولته ، ووجوه المقدمين بحضرته ؛ الأمير المؤمن ،
المنصور ، المنتخب ، مجد الخلافة ، تاج المعالي ، نحر الملك ، موالى الدولة وشجاعها ،
ذا النجابتين ، خالصة أمير المؤمنين ، أبا منصور جعفر الحافظي رسولاً بهذه الإجابة ،
لما هو معروف من سداده ، وموصوب من مستوفق قصده ومستصوب اعتياده ،
وألقي إليه ما يذكره ويشرحه ، وعول عليه فيما يُشافه به ويوضحه ؛ وأصحه من سجاياه
والطافه ، ماتضمنه الثبت الواصل على يده ، إبانةً لمحكِّك عنده ، وموقفك منه ، ومكانك
لديه . وأمير المؤمنين متطلع إلى ورود كتبك متضمنة من سائر أنباءك وطيب أخبارك
ما يسكن إلى معرفته ، ويثق بعلم حقيقته ؛ فاعلم هذا وأعمل به إن شاء الله تعالى .

الفصل الثالث

من الباب الثاني من المقالة الرابعة

(في المكاتبات الصادرة عن الملوك ومن في معناهم مما الجارى عليه الحال

في زماننا . وهو على قسمين)

القسم الأول

(المكاتبات الصادرة عن الملوك إلى أهل الإسلام ، وفيه أطراف)

الطرف الأول

(في مكاتباتهم إلى النبي صلى الله عليه وسلم ، وفيه ثلاث جمل)

الجملة الأولى

(في ترتيب كتبهم إليه صلى الله عليه وسلم على سبيل الإجمال)

كانت أمراء سراياها صلى الله عليه وسلم ومن أسلم من الملوك تفتح المكاتبة إليه صلى الله عليه وسلم باسمه صلى الله عليه وسلم . ويثنون بأنفسهم . ويثنون بالتحميد والسلام عليه صلى الله عليه وسلم . ويثقلون إلى المقصود بأما بعد أو بعده . ويثمنون بالسلام . وملوك الكفر يبدؤون بأنفسهم . وربما بدؤوا باسمه صلى الله عليه وسلم . وكان المكتوب عنه منهم يعبر عن نفسه بلفظ الإفراد . مثل : أنا . وى . وقلت ، وفعلت . وربما عبر بعض الملوك عن نفسه بوزن الجمع . ثم إن كان المكتوب عنه مسلماً . خاطبه صلى الله عليه وسلم بلفظ الرسالة والنبوة مع كاف الخطاب وتاء المخاطب . وإن كان كافراً . خاطبه بالكاف والتاء المذكورتين . وربما خاطبه باسمه . فإن كان المكتوب عنه مسلماً ختم الكتاب بالسلام عليه صلى الله عليه وسلم .

أما عَـنُونَةُ هذِهِ الكُتُبِ ، فيظهِرُ أَنها إِن أفتُتِحَتْ ، بِاسْمِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَتُنَى بِاسْمِ المَكْتُوبِ إِلَيْهِ عُنُونَتٌ كَذَلِكَ ، فيكْتَبُ فِي الجَانِبِ الأَيْمَنِ « لِمُحَمَّدٍ رَسولِ اللهِ » أَوْ نَحْوِ ذَلِكَ ، وَفِي الجَانِبِ الأَيْسَرِ « مِنْ فلانٍ » وَإِن كَانَتْ مِمَّنْ يفتَتَحُ المَكْتَابَةَ بِاسْمِ نَفْسِهِ عُنُونَتٌ عَلَى العَكْسِ مِنْ ذَلِكَ .

الجملة الثانية

(في صورة مكاتبتهم إليه صلى الله عليه وسلم)

[وفيه أسلوبان :

الأسلوب الأول

(أن تفتتح المكاتبة باسم المکتوب إليه)^(١)

كما كتَبَ خَالِدُ بْنُ الوَلِيدِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ إِلَيْهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَاءَ سَلامِ بَنِي الحَارِثِ ، بِالكِتَابِ الَّذِي تَقَدَّمتْ إِجابَتُهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْهُ ، وَهُوَ عَلَى ما نَذَكَرَهُ ابنُ هِشامٍ فِي « السِّيرة » .

« لِمُحَمَّدِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَسولِ اللهِ مِنْ خالِدِ بْنِ الوَلِيدِ :

السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا رَسولَ اللهِ وَرِحمَةُ اللهِ وَبَرَكاتُهُ ، فَإِنِّي أَحمَدُ إِلَيْكَ اللهُ الَّذِي لا إِلَهَ إِلا هُوَ . أَمَّا بَعْدُ يَا رَسولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْكَ ، فَإِنَّكَ بَعثْتَنِي إِلى بَنِي الحَارِثِ بْنِ رَعبِ ، وَأَمَرْتَنِي إِذا أَتَيْتُهُمْ أَنْ لا أَقاتِلَهُمْ ثَلاثَةَ أَيامٍ ، وَأَنْ أَدْعُوهُمْ إِلى الإِسْلامِ ، فَإِن أَسَأُوا قَبِلْتُ مِنْهُمْ وَعَلَّمْتُهُمْ مَعالِمَ الإِسْلامِ ثَلاثَةَ أَيامٍ وَكُتابَ اللهِ وَسَنَةَ نَبِيِّهِ ، وَإِن لَمْ يُسَلِّمُوا

(١) الزيادة ساقطة من الاسول وهي لازمة لانظام الكلام وانتساقه كما يظهر من الأسلوب الثاني الآتي .

قاتلتهم . وإني قدمت إليهم فدعوتهم إلى الإسلام ثلاثة أيام كما أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وبعثت فيهم كتاباً^(١) : يا بني الحارث أسلموا تسلموا . فأسلموا ولم يُقاتلوا وأنا مقيم بين أظهرهم ، أمرهم بما أمر الله به ، وأنهاهم عمما نهاهم الله عنه ، وأعلمهم معالم الإسلام وسنة النبي حتى يكتب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم . والسلام عليك يا رسول الله ورحمة الله وبركاته ! “ .



وكما كتب النجاشي ملك الحبشة إليه صلى الله عليه وسلم في جواب كتابه صلى الله عليه وسلم إليه .

ونسخته على ما ذكره ابن إسحاق :

” إلى محمد رسول الله ، من النجاشي أصحمة ،

سلام عليك يا رسول الله ورحمة الله وبركاته ، الذي لا إله إلا هو ، الذي هداني للإسلام .

أما بعد ، فقد بلغني كتابك يا رسول الله ، فما ذكرت من أمر عيسى فورب السماء والأرض إن عيسى عليه السلام ما يزيد على ما ذكرت نفروقا ، إنه لكما قلت ، وقد عرفنا ما بعثت به إلينا ، وقدم ابن عمك وأصحابه (وفي رواية : وقد قربنا ابن عمك وأصحابه) وأشهد أنك رسول الله [صادقاً مصدقاً] ، وقد بايعتك وبايعت ابن عمك ، وأسلمت على يديه لله رب العالمين . وقد بعثت إليك يا بني ، وإن شئت

(١) في ” مفتاح الافكار “ ص ٦٦ وبعثت فيهم ركبانا قالوا يا بني الحارث . والزيادة التي في آخر

الصحيفة منه .

(١) أتيتك [بنفسى] فعلت يا رسول الله ، فإنى أشهد أن ما تقوله حق ، والسلام عليك ورحمة الله وبركاته .



وكما كتب المقوقس صاحب مصر إليه صلى الله عليه وسلم جواب كتابه الوارد عليه منه فى رواية ذكرها ابن عبد الحكم ، وهو :

”لحمد بن عبد الله ، من المقوقس عظيم القبط . سلام عليك .

أما بعد ، فقد قرأت كتابك وفهمت ما ذكرت فيه وماتدعو إليه . وقد علمت أن نبيا قد بقى وكنت أظن أنه يخرج بالشام ، وقد أكرمت رسولك وبعثت إليك بجمارين لهما مكان فى القبط عظيم وكسوة ، وأهديت إليك بغلة لتركبها ، والسلام عليك .“

ولم يزد على هذا . وزاد غيره أن فى أول الكتاب بسم الله الرحمن الرحيم . وذكر الواقدي : أن فى كتابه إليه :

باسمك اللهم ، من المقوقس إلى محمد .

أما بعد ، فقد بلغنى كتابك وفهمته وأنت تقول إن الله أرسلك رسولا ، وفضلك تفضيلا ، وأنزل عليك قرآنا مبينا ، فكشفنا عن خبرك فوجدناك أقرب داع دعا إلى الله ، وأصدق من تكلم بالصدق ، ولولا أنى ملكت ملكا عظيما ، لكنت أول من آمن بك ، لعلمى أنك خاتم النبیین وإمام المرسلين . والسلام عليك منى إلى يوم الدين .

(١) الزيادة من رواية المواهب ج ٣ ص ٣٩٥ ورواية أتيتك . قال شارحه : فى موضع المفعول

أى إتيان .

الأسلوب الثاني

(أن تفتَح المكاتبةُ باسم المكتوب عنه)

كما كتب مسيماً الكذابُ إليه صلى الله عليه وسلم الكتابَ الذي تقدمتُ إجابته
صلى الله عليه وسلم في المكاتباتِ الصادرةِ عنه، وهو :

« من مسيماً رسولِ الله إلى محمد رسولِ الله .

أما بعدُ، فإنِّي قد أشركتُ في الأسر معك، إن لنا نصفَ الأرضِ ولقريشِ نصفَ
الأرضِ، ولكن قريشاً قومٌ يعتدون .»

الجملة الثالثة

(في المكاتباتِ التي كتبتُ إليه قبلَ ظهوره صلى الله عليه وسلم وبعد وفاته)

أما الكتبُ التي كتبتُ إليه صلى الله عليه وسلم قبلَ ظهوره، فقد حكى "صاحب
الهناء الدائم بمولد أبي القاسم" أن تبعاً الأول حين مرَّ بموضع المدينة النبوية، على
ساكنها أفضلُ الصلاة والسلام والتحية والإكرام، أخبره من معه من علماء أهل
الكتاب أن هذا الموضع مهاجر نبي يخرج في آخر الزمان، فعمّر هناك مدينةً وأسكن
فيها جماعةً من العلماء، وكتب إليه كتاباً فيه :

«أما بعدُ، يا محمدُ فإنِّي آمنتُ بكِ وبربِّك وربِّ كلِّ شيءٍ، وبكتابه الذي ينزله
عليك وأنا على دينك وسنتك . آمنتُ بربِّك وربِّ كلِّ شيءٍ، وبكل ما جاء من ربِّك
من شرائع الإسلام والإيمان . وإني قلتُ ذلك، فإن أدركتُك فيها ونعمتُ، وإن لم

أَدْرِكَكَ فَاشْفَعْ فِي يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَلَا تَنْسِنِي ، فَإِنِّي مِنْ أُمَّتِكَ الْأَوَّلِينَ ، وَتَابِعْتُكَ قَبْلَ
 مَجِيئِكَ وَقَبْلَ أَنْ يُرْسَلَكَ اللَّهُ ، وَأَنَا عَلَى مِلَّتِكَ وَمِلَّةِ أَبِيكَ إِبْرَاهِيمَ ^(١) .
 وَخَتَمَ الْكِتَابَ . وَنُقِشَ عَلَيْهِ « لِلَّهِ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ
 بِنَصْرِ اللَّهِ » .

وكتب عنوانه : « إلى محمد بن عبد الله خاتم المرسلين ورسول رب العالمين صلى الله
 عليه ، من تبع الأول خير ، أمانة الله في يد من وقع إليه أن يدفعه إلى صاحبه » .
 ودفعه إلى رئيس العلماء الذين رتبهم بالمدينة ، فبقى عنده وعند بنيه يتداولونه
 واحداً بعد واحد ، حتى هاجر النبي صلى الله عليه وسلم إلى المدينة ، فليقته الذي صار
 الكتابُ إليه يومئذ من بني ذلك العالم في طريق المدينة ودفع إليه الكتاب .



وأما الكتب التي كتبت إليه صلى الله عليه وسلم بعد وفاته ، فقد جرت عادة
 الأمة من الملوك وغيرهم بكتابة الرسائل إليه صلى الله عليه وسلم بعد وفاته بالسلام
 والتحية والتوسل والتشفع به إلى الله تعالى في المقاصد الدنيوية والأخروية ،
 وتسييرها إلى تربته صلى الله عليه وسلم . وأكثر الناس معاطاة لذلك أهل المغرب
 بعد بلادهم ، وزوج أقطارهم .

ومن أحسن ما رأيت في هذا المعنى ما كتب به ابن الخطيب وزير ابن الأحمر
 بالأندلس ، وصاحب ديوان إنشائه عن سُلطانهِ يوسف بن فرج بن نصر :
 إِذَا فَاتَنِي ظِلُّ الْحَمِي وَنَعِيمُهُ ، * كَفَانِي وَحَسْبِي أَنْ يَهَبَ نَسِيمُهُ !

(١) تقدم هذا الكتاب في ج ٤ ص ٢٨٦ و ٢٨٧ من هذا المؤلف .

وَيُقْنِعُنِي أَنِّي بِهِ مَتَكَيِّفٌ : * فَرَمَزَهُ دَمْعِي ، وَجِسْمِي حَاطِمُهُ !
 يَعُودُ فُؤَادِي ذِكْرٌ مِّنْ سَكَنِ الْغَضَى * فُقِعِدُهُ فَوْقَ الْغَضَى وَيُقِيمُهُ !
 وَلَمْ أَرِ شَيْئًا كَالنِّسِيمِ إِذَا سَرَى ، * شَفَى سَقَمَ الْقَلْبِ الْمَشُوقِ سَقِيمُهُ !
 نَعَلُّ بِالتَّذْكَارِ نَفْسًا مَشُوقَةً * نُدِيرُ عَلَيْهَا كَأْسَهُ وَنُدِيمُهُ !
 وَمَا شَفَّنِي بِالْغُورِ رَنْدٌ مَرِيحٌ ، * وَلَا شَاقِي مِنْ وَحْشٍ وَجَرَةٍ رِيمُهُ ،
 وَلَا سَهْرَتٍ عَيْنِي لَبْرِقِ ثَنِيَّةٍ * مِنَ الثَّرْيَبِيدِ مَوْهِنًا فَأَشِيمُهُ .
 بَرَانِي شَوْقٌ لِلنَّبِيِّ مُحَمَّدٍ * يَسُومُ فُؤَادِي بَرَحَهُ مَا يَسُومُهُ !
 أَلَا يَا رَسُولَ اللَّهِ نَادَاكَ ضَارِعٌ * عَلَى الْبُعْدِ مَحْفُوظُ الْوَدَادِ سَلِيمُهُ
 مَشُوقٌ إِذَا مَا اللَّيْلُ مَدَّ رِوَاقَهُ * تَهْمٌ بِهِ تَحْتَ الظَّلَامِ هُمُومُهُ
 إِذَا مَا حَدِيثٌ عَنْكَ جَاءَتْ بِهِ الصَّبَا ، * شَجَاهُ مِنَ الشُّوقِ الْحَدِيثِ قَدِيمُهُ
 أَيَجْهَرُ بِالنَّجْوَى ، وَأَنْتَ سَمِيعُهَا ! * وَيَشْرَحُ مَا يَخْفَى ، وَأَنْتَ عَلِيمُهُ !
 وَتُعَوِّزُهُ السُّقْيَا ، وَأَنْتَ غِيَاثُهُ ! * وَتُتَلْفَهُ الْبَلْوَى ، وَأَنْتَ رَحِيمُهُ !
 يَنْوِرُكَ نُورِ اللَّهِ قَدْ أَشْرَقَ الْهُدَى * فَأَقَارُهُ وَضَاحَةٌ وَبُجُومُهُ !
 بِكَ أَنْهَلَّ فَضْلُ اللَّهِ فِي الْأَرْضِ سَابِغًا * فَأَنْوَأُوهُ مُتَفَقِّهُ وَغِيومُهُ !
 وَمِنْ فَوْقِ أَطْبَاقِ السَّمَاءِ بِكَ آقْتَدِي * خَلِيلُ الَّذِي أَوْطَاكَهَا وَكَلِيمُهُ !
 لَكَ الْخَلْقُ الْأَرْضِي الَّذِي بَانَ فَضْلُهُ * وَجُجِدَ فِي الذِّكْرِ الْعَظِيمِ عَظِيمُهُ !
 يَجِيئُ مَدَى عَلَيْكَ عَنِ مَدْحِ مَادِحٍ * فُوسِرُ دُرِّ الْقَوْلِ فِيكَ عَدِيمُهُ !
 وَبِإِذْنِ رَسُولِ اللَّهِ فِيكَ وَرَائَهُ ! * وَجَمْدُكَ لَا يَنْسِي الدَّمَامَ كَرِيمُهُ ،

(١) في نفع الطيب ج ٤ ص ٥١٦ ، وريحانة الكتاب "قد" وهو الارض .

وَعِنْدِي إِلَى أَنْصَارِ دِينِكَ نِسْبَةٌ * هِيَ الْفَخْرُ لَا يَخْشَى 'انتقالاً مُقِيمُهُ!
 وَكَانَ يُودِي أَنْ أَزُورَ مَبُوءًا * بِكَ أَفْتَخَرْتُ أَطْلَالَهُ وَرُسُومَهُ!
 وَقَدْ يُجْهِدُ الْإِنْسَانُ طِرْفَ اعْتِرَامِهِ * وَيُعَوِّزُهُ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ مَرُومُهُ.
 وَعُذْرِي فِي تَسْوِيفِ عَزْمِي ظَاهِرٌ * إِذَا ضَاقَ عُدْرُ الْعَزْمِ عَمَّنْ يَلُومُهُ.
 عَدْتَنِي بِأَقْصَى الْغَرْبِ عَنْ تَرْبِكَ الْعِدَا ، * جَلَالِقَةُ الشَّغْرِ الْغَرِيبِ وَرُومُهُ ،
 أَجَاهِدُ مِنْهُمْ فِي سَبِيلِكَ أُمَّةً * هِيَ الْبَحْرُ يَعْنِي أَمْرَهَا مِنْ يَرُومُهُ!
 فَلَوْلَا أَعْتِنَاءُ مِنْكَ يَا مَلْجَأَ الْوَرَى ! * لَرَبِيعَ حِمَاهُ ، وَأَسْتَبِيحَ حَرِيمُهُ !
 فَلَا تَقْطَعِ الْجَبَلَ الَّذِي قَدْ وَصَلْتُهُ ، * فَمَجْدُكَ مَوْفُورُ النَّوَالِ عَمِيمُهُ !
 وَأَنْتَ لَنَا الْغَيْثُ الَّذِي نَسْتَدِرُّهُ ، * وَأَنْتَ لَنَا الظِّلُّ الَّذِي نَسْتَدِيمُهُ !
 وَلَمَّا نَأَتْ دَارِي وَأَعْوَزَ مَطْعَمِي * وَأَقْلَقَنِي شَوْقٌ تُشَبُّ جَجِيمُهُ ،
 بَعَثْتُ بِهَا جُهْدَ الْمُقِلِّ مَعُولًا * عَلَى مَجْدِكَ الْأَعْلَى الَّذِي جَلَّ خِيمُهُ !
 [وَكَلْتُ بِهَا هَمِّي وَصِدْقَ قَرِيحَتِي * فَسَاعَدَنِي هَاءُ الرُّوْيِ وَمِيمُهُ ^(١) !]
 فَلَا تَنْسِنِي يَا خَيْرَ مَنْ وَطِئَ الثَّرَى * فَمِثْلُكَ لَا يُنْسِي لَدَيْهِ خَدِيمُهُ !
 عَلَيْكَ صَلَاةُ اللَّهِ مَا ذَرَّ شَارِقٌ ، * وَمَا رَاقَ مِنْ وَجْهِ الصَّبَاحِ وَسِيمُهُ !

إلى رسولِ الحقِّ ، إلى كافَّةِ الخلقِ ، ونعمامِ الرحمةِ الصادقِ البرقِّ ، والحائزِ في ميدانِ
 أصطفاءِ الرحمنِ قَصَبِ السَّبْقِ ، خاتمِ الأنبياءِ ، وإمامِ ملائكةِ السماءِ ، ومنَّ وجبتَ له
 النبوةُ وآدمُ بين الطَّينِ والماءِ ، شفيعِ أربابِ الذُّنُوبِ ، وطبيبِ أدواءِ القُلُوبِ ،
 ووسيلةِ الخلقِ إلى عَلامِ الغُيُوبِ ، نبيِّ الهدى الَّذِي طَهَّرَ قَلْبَهُ ، وَغَفَرَ ذَنْبَهُ ، وَخَتَمَ بِهِ

(١) الزيادة من نفع الطيب "ج ٤ ص ١٧ هـ" وكذا هوفي ربحانة الكتاب

الرسالة ربّه ، وجرى في النفوس مجرى الانفاس حبه ؛ [الشفيع ^(١)] المشفع يوم العرض ،
المحمود في ملام السماء والأرض ؛ صاحب اللواء المنشور يوم النشور ، والمؤمن على
سرّ الكتاب المسطور ، ومخرج الناس من الظلمات إلى النور ؛ المؤيد بكفاية الله
وعصمته ، الموفور حظه من عنايته وحرّمته ، الظلّ الحفّاق على أمته ؛ من لو حازت
الشمس بعض كماله ما عدمت إشراقا ، أو كان للآباء رحمة قلبه ذابت نفوسهم
إشفاقا ؛ فائدة الكون ومعناه ، وسرّ الوجود الذي بهر الوجود سناه ، وصفيّ حضرة
القدس الذي لا ينام قلبه إذا نامت عيناه ؛ البشير الذي سبق له البشري ، ورأى
من آيات ربّه الكبرى ، ونزل فيه سبحانه الذي أسرى ؛ من الأنوار من عنصر نوره
ستمّده ، والآثار تخلق وآثاره مستجدّه ؛ من طوى بساط الوحي لفقده ، وسدّ باب
الرسالة والنبوة من بعده ، وأوتى جوامع الكلم فوقفت البلغاء حسرى دون حده ؛
الذي أنتقل في الفرر الكريمة نوره ، وأضاءت لميلاده مصانع الشام وقصوره ،
وظفقت الملائكة تحييه وفودها وتزوره ؛ وأخبرت الكتب المنزلة على الأنبياء بأسمائه
وصفاته ، وأخذ عهد الأنبياء به على من اتصلت بمبعثه منهم أيام حياته ؛ المفرع
الأمع يوم الفرع الأكبر ، والسند المعتمد عليه في أهوال المحشر . ذى المعجزات
التي أثبتتها المشاهدة والحس ، وأقر بها الجن والإنس ؛ من جماد يتكلم ، وجدع لفراقه
يتألم ؛ وقمر له ينشق ، وشجر يشهد أن ما جاء به هو الحق ؛ وشمس بدعائه عن مسيرها
تحبس ، وماء من بين أصابعه يتبجس ؛ وغمام باستسقائه يصب ، وطوى بصق
في أجاجها فأصبح مأوها وهو العذب المشروب . المخصوص بمناقب الكمال وكال
المناقب ، المسمى بالحاشر العاقب ، ذى المجد البعيد المرّامى والمراقب ؛ أكرم من

(١) الزيادة عن نفع الطب (ص ٥١٧ ج ٤) المطبوع بالمطبعة الأميرية ببولاق سنة ١٢٧٩ هـ .

وكذا هو في الرجحانة .

(٢) في النسخ "الإيمان به" وكذا هو في رجحانة الكتاب .

رُفِعَتْ إِلَيْهِ وَسِيلَةُ الْمُعْتَرِفِ الْمُغْتَرِبِ، وَنَجَحَتْ لَدَيْهِ قُرْبَةُ الْبَعِيدِ وَالْمُقْتَرِبِ، سَيِّدِ
الرُّسُلِ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ الْمَطْلِبِ، الَّذِي فَازَ بِطَاعَتِهِ الْمُحْسِنُونَ، وَأَسْتُنْقَذَ
بِشَفَاعَتِهِ الْمُذْنِبُونَ، وَسَعِدَ بِاتِّبَاعِهِ الَّذِينَ لَا خَوْفَ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ. صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَا لَمَعَ بَرْقٌ، وَهَمَّعَ وَدَقَّ، وَطَلَعَتْ شَمْسٌ، وَنَسَخَ الْيَوْمُ أَمْسًا.

من عتيق شفاعته، وعبد طاعته، المعتصم بسببه، المؤمن بالله ثم به، المستشفى
بذكره كلما تألم، المفتوح بالصلاة عليه كلما تكلم، الذي إن ذكر تمثل طلوعه بين
أصحابه وآله، وإن هبَّ النسيم العاطر وجد فيه طيبَ خلاله، وإن سمع الأذان
تذكر صوت بلاله. وإن ذكر القرآن استشعر تردد جبريل بين معاهده وحلاله،
[لا ثم تربه ومؤمل قربه، ورهين طاعته وحبّه ^(١)] المتوسل به إلى رضا ربه،
« يوسف بن إسماعيل بن نصر ».

كتبت ^(١) [إليك] يا رسول الله والدمع ماح، وخيل الوجد ذات جراح، عن شوق
يزداد كلما نقص الصبر، وأنكسار لا يتأخ له إلا بدؤ مزارك الجبر، وكيف لا يعنى
مشوقك بالأمر، ويوطئ على كعبه الجمر، وقد مطلت الأيام بالقدوم على تربتك
المقدسة اللحد، ووعدت الآمال ودانت بإخلاف الوعد، وأنصرفت الرفاق والعين
بنور ضريحك ما أكتحلت، والركائب إليك ما رحلت، والعزائم قالت وما فعلت،
والنواظر في تلك المشاهد الكريمة لم تسرح، وطيور الآمال عن وكور العجز لم تبرح،
فيالها من معاهد فاز من حياها، ومشاهد ما أعطر رايها، بلاد نيظت بها عليك
التمائم، وأشرق بنورك منها النجود والتهايم، ونزل في حجراتها عليك الملك، وأنجلي
بضياء فرقانك فيها الحلك، مدارس الآيات والسور، ومطالع المعجزات السافرة

(١) الزيادة من نفع الطيب ص ٥١٨ ج ٤ وكذا هو في الريحانة.

الغُرر؛ حيثُ قُضِيَت الفروضُ وُحِتِمَت ، وأُفْتُتِحَت سورةُ الوحيِ وُخِتِمَت ؛
وَأَبْتَدِيَتِ الملةُ الحنيفيةُ وُتِمَّتْ ، وَنُسِخَتِ الآياتُ وَأُحْكِمَت . أما والذي بعثك
بالحق هادياً ، وأطلعك للخلق نورا باديًا ؛ لا يُطْفِئُ غُلِّيَ إلا شربُك ، ولا يُسَكِّنُ لَوْعِي
إلا قُرْبُك ؛ فما أسعدَ من أفاضَ من حرمِ الله إلى حريمك ، وأصبحَ بعد أداء
ما فرضتَ عن الله ضيفَ كريمك ؛ وعَفَّرَ الخدَّ في معاهدك ومعاهد أسرتك ، وتردد
ما بين دارى بعثتك وهجرتك !

وإني لما عاقتني عن زيارتك العوائق وإن كان شغلي عنك بك ، وعدتني الإعداءُ
فيك عن وصلِ سببي بسببك ، وأصبحتُ ما بين بحرٍ تتلاطمُ أمواجه ، وعدوتك كائفُ
أفواجه ، ويحجبُ الشمسَ عند الظهيرة عجاجه ؛ في طائفةٍ من المؤمنين بك ووطنوا
على الصبرِ نفوسهم ، وجعلوا التوكلَ على الله وعليك لبوسهم ؛ ورفعوا إلى مصارختك
رءوسهم ، وأستعذبوا في مرضاة الله تعالى ومرضاتك بوسهم ؛ يطيطرون من هيعةٍ
إلى أخرى ، ويتلفتون والمخاوفُ يُمْنِي وَيُسْرِي ، ويقارعون - وهم الفئة القليلةُ -
جموعاً بجموعٍ قيصرٍ وكسرى ؛ لا يبلغون من عدوِّ كالذرِّ عند انتشاره ، معشارٍ معشاره ؛
قد باعوا من الله تعالى الحياة الدنيا ، لأن تكون كلمة الله تعالى هي العليا ؛ فيالله من
سُرْبِ مَرُوعٍ ، وصریحٍ إلا عنك ممنوعٍ ، ودعاء إلى الله وإليك مرفوعٍ ؛ وصبئية حمرُ
الحواصل ، تحفقُ فوق أوكارها أجنحةُ المناصل ؛ والصليبُ قد تمطى ومدَّ ذراعيه ،
ورفعتِ الأطماعُ بضبيعه ؛ وقد حُجِبَتِ بالقتامِ السماء ، وتلاطمتُ أمواجُ الحديدِ
والبأسِ الشديدِ فالتقى الماء ؛ ولم يبقَ إلا الدماء ، وعلى ذلك فما ضعفت البصائرُ
ولا ساءتِ الظنون ، وما وعدَ به الشهداءُ تعتقده القلوبُ حتى تكاد تراه العيون ،
إلى أن تلقاك غداً إن شاء الله تعالى وقد أبلينا العذر ، وأرغمنا الكفر ، وأعملنا
في سبيلِ الله وسبيلِ البيضِ والسمر .

(١) استنبت رُفعتي هذه لتطيرَ إليك [من شوقٍ] بجنّاج خافق ، وتُسعدَ من نيتي التي
 تصحبها برقيق موافق ؛ فتؤدّي عن عبدك وتبلغ ، وتعفر الخدّ في تربتك وتمرغ ؛
 وتطيب برياً معاهدك الطاهرة وبيوتك ، وتقف وقوف الخشوع والخضوع تجاه تابوتك ؛
 وتقول بلسان التملق ، عند التثبت بأسبابك والتعلق ، منكسرة الطرف ، حذراً بهرجها
 من عدم الصّرف : ياغيث الأمه ، وغمام الرحمه ؛ ارحم غرّبتى وأنقطاعى ، وتغمّد
 بطولك قصر باعى ، وقو على هيبتك خور طباعى ؛ فكم جزّت من حجّ مهول ، وجبت
 من حزون وسهول ؛ وقابل بالقبول نياتي ، وتجلّ بالرضا إجابتي . ومعلوم من كمال
 تلك الشيم ، وسجايا تيك الدّيم ؛ أن لا تُحبّ قصد من حطّ بفنائها ، ولا يظماً
 وارد أكب على إنائها .

اللهم يا من جعلته أول الأنبياء بالمعنى وأحرهم بالصورة ، وأعطيته لواء الحمد يسير
 آدم فمن دونه تحت ظلاله المنشوره ؛ وملكّت أمته ما زوى له من زوايا البسيطة
 المعموره ، وجعلتني من أمته المجلولة على حبه المفطوره ؛ وشوقتني إلى معاهده المبروره ،
 ومشاهده المزوره ؛ ووكلت لساني بالصلاة عليه ، وقلبي بالحنين إليه ، ورغبتني
 بالتماس ما لديه ؛ فلا تقطع عنه أسبابي ، ولا تحرمني في حبه أجر ثوابي ، وتداركني
 بشفاعته يوم أخذ كتابي .

هذه يا رسول الله وسيلة من بعدت داره ، وشطّ مزاره ، ولم يجعل بيده اختياره ؛
 فإن لم يكن للقبول أهلاً فانت للإغضاء والسماح أهل ، وإن كانت ألفاظها وعرة فخنا بك
 للقاصدين سهل ؛ وإذا كان الحب يتوارث كما أخبرت ، والعروق تدس حسب ما
 إليه أشرت ؛ فلي بانتسابي إلى (سعد) عميد أنصارك مزياه ، ووسيلة أثيره حفيه ،
 وإن لم يكن لي عمل ترتضيه فلي نيه ؛ فلا تنسني ومن بهذه الجزيرة المفتحة بسيف

(١) جواب قوله ولما عاتني في أول الفقرة السابقة في الصحيفة قبل .

كلمتك ، على أيدي خيار أمتك ؛ وإنما نحنُ بها وديعةٌ تحتَ بعضِ أفعالك ، نعوذُ بوجه
 ربك من إغفالك ؛ ونستنشق من ريحِ عنايةك نفحه ، ونرتقبُ من نورِ محيا قبولك
 لمحهُ ؛ ندافع بها عدواً طغى وبنى ، وبلغ من مضايقتنا ما آبتغي ؛ فواقفُ التمحيصِ
 قد أعيت من كتب وورخ ، والبحرُ قد أصمت من استصرخ ؛ والطاغيةُ في العدوانِ
 مستبصر ، والعدوُ محلق والوليُّ مقصر . ويجاهك تدفع مالا نطيق ، وبعنايتك نعالجُ
 سقيم الدين فيفيق ؛ فلا تُفردنا ولا تُهملنا ، ونادِ ربك فينا : ربنا ولا تُحملنا ؛ وطوائفُ
 أمتك حيث كانوا عنايةً منك تكفيهم ، وربك يقول لك وقوله الحق : ﴿ وَمَا كَانَ اللَّهُ
 لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ ﴾ .

والصلاة والسلامُ عليك يا خيرَ مَنْ طافَ وسعى ، وأجاب داعياً إذا دعا ؛
 وصلّى الله على جميعِ أجزائك وآلك ، صلاةً تليقُ بجلالك وتمحقُ لكمالك ؛ وعلى
 ضجيعيك وصديقيك ، وحبيبيك ورفيقك : خليفتك في أمتك ، وفاروقك المستخلف
 بعده على جلّتك ، وصهرِكَ ذى النورينِ المخصوصِ ببرك ونحلتك ، وابنِ عمك
 سيفك المسلولِ على حلتك ، بدرِ سمائك ووالدِ أهلتك ؛ والسلامُ الكريمُ عليك وعليهم
 [كثيراً بشيراً ^(١) ورحمة الله وبركاته .

من حضرة جزيرة الأندلس غرناطة صانها الله ووقاها ، ودفع عنها بركتك كيد
 عداها .

(١) الزيادة عن "نفع الطيب" .

الطرف الثاني

(في المكاتبات الصادرة عن الأمراء من العمال وأمرء السرايا، إلى الخلفاء من الصحابة رضوان الله عليهم، وفيه جملتان)

الجملة الأولى

(في ترتيب هذه المكاتبات على سبيل الإجمال)

كانت المكاتبه إليهم تُفْتَحُ تارةً بلفظ « من فلان إلى فلان » ويؤتى في الصدر بالسلام والتحميد على نحو ما تقدم في المكاتبه عن الخلفاء . ويقع التخلُّص إلى المقصود بـ «أما بعد» وتارةً يقع الافتتاح بـ «أما بعد» ويؤتى بالمقصود تلو ذلك؛ ويعبر المكتوب عنه فيها عن نفسه بلفظ الإفراد، وعن الخليفة بأمر المؤمنين، وتختتم بالسلام على أمير المؤمنين .

الجملة الثانية

(في صورة هذه المكاتبات، وهي على أسلوبين كما تقدمت الإشارة إليه)

الأسلوب الأول

(أن تُفْتَحَ المكاتبه بلفظ « لفلان من فلان »)

وكان الرسم فيها أن يكتب : « لعبد الله فلان أمير المؤمنين ، سلامٌ عليك فإنني أحمدُ إليك الله الذي لا إله إلا هو أما بعدُ فإن كذا » .

كما كتب عمرو بن العاص إلى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه في جواب الكتاب منه إليه المقدم ذكره في المكاتبه عن الخلفاء من الصحابة، وهو: « لعبد الله عمر أمير المؤمنين ، سلامٌ عليك فإنني أحمدُ إليك الله الذي لا إله إلا هو . أما بعدُ، فإنه أتاني كتابُ أمير المؤمنين يذكر فيه فاشية مالٍ فشالي ، وانه يعرفني قبل

ذَلِكَ وَلَا مَالَ لِي ، وَإِنِّي أَعْلِمُ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَنِي بَبَلِدِ السَّعْرِ فِيهِ رَخِيسٌ ، وَأَنِّي أُعَالِجُ
 مِنَ الزَّرَاعَةِ مَا يُعَالِجُهُ النَّاسُ ، وَفِي رِزْقِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ سَعَةً . وَوَاللَّهِ لَوِ رَأَيْتُ خِيَانَتَكَ
 حَلَالًا مَا خُنْتُكَ ، فَأَقْصِرْ أَيُّهَا الرَّجُلُ فَإِنَّ لَنَا أَحْسَابًا هِيَ خَيْرٌ مِنَ الْعَمَلِ لَكَ ، إِنْ
 رَجَعْنَا إِلَيْهَا عَشْنَا بِهَا ! . وَلَعَمْرِي إِنْ عِنْدَكَ مَنْ لَا يَذُمُّ مَعْشِيَةً وَلَا تُذَمُّ لَهُ ، فَإِنْ
 كَانَ ذَلِكَ فَلَمْ يَفْتَحْ قُفْلَكَ وَلَمْ يَشْرَكَكَ فِي عَمَلِكَ ؟

الأسلوب الثاني

(أن تفتتح المكاتبة بلفظ «أما بعد» ويتوصل منه إلى المقصود)

كما كتب المغيرة بن شعبة إلى معاوية - وهو على بعض أعماله - يستعفيه
 عن العمل .

أما بعد ، فقد كبريتي ورق عظمي وأقرب أجلي وسفهي سفهاء قرئش ، فرأى
 أمير المؤمنين في عمله .

الطرف الثالث

(في المكاتبات الصادرة عن الأمراء من العمال ، وأمراء السرايا أيضا
 إلى خلفاء بني أمية ، وهي في ترتيبها على ما تقدم في المكاتبات إلى الخلفاء
 من الصحابة رضي الله عنهم . وهي على أسلوبين)

الأسلوب الأول

(أن تفتتح المكاتبة بلفظ «من فلان إلى فلان» على نحو ما تقدم في المكاتبة

عنهم إلى الخلفاء من الصحابة مع زيادة الدعاء بطول البقاء)

كما كتب الحجاج بن يوسف إلى عبد الملك بن مروان في جواب كتابه الوارد عليه
 منه ، في توبيخه له بسبب تعرضه لأنس بن مالك رضي الله عنه على ما تقدم ذكره .

«لعبدالله عبدالملك أمير المؤمنين، [أصلح الله] ^(١) أمير المؤمنين وأبقاه، وسهّل حظّه وحاطه ولا عدّمناه؛ فقد وصلني كتاب أمير المؤمنين أطال الله بقّاه، وجعلني من كل مكروه فداء؛ يذكر شتى وتوييخي بأبائي، وتعييري بما كان قبل [نزول النعمة بي] ^(٢) من عند أمير المؤمنين أتمّ الله نعمته عليه، وإحسانه إليه. ويذكر أمير المؤمنين أستطالة مني على أنس بن مالك، وأمير المؤمنين أحق من أقال عثرتي، وعفا عن ذنبي وأمهلني ولم يعجلني عند هفوتي؛ للذي جيل عليه من كريم طبائعه، وما قلده الله من أمور عباده؛ فرأى أمير المؤمنين - أصلحه الله - في تسكين روعتي، وإفراج كرتي؛ فقد ملئت رعباً وفرقا من سطواته، وحقّات نقامته؛ وأمير المؤمنين - أقاله الله العثرات، وتجاوز له عن السيئات؛ وضاعف له الحسنات، وأعلى له الدرجات - أحق من صفح وعفا، وتعمد وأبقى؛ ولم يُسمت بي عدواً مكباً، ولا حسوداً مضباً؛ ولم يُجرعني غصصاً، والذي وصف أمير المؤمنين من صنيعته إليّ، وتنويهه لي بما أسند إليّ من عمله؛ وأوطاني من رقاب رعيته، فصادق فيه مجزيّ عليه بالشكر، والتوسّل مني إليه بالولايه، والتقرّب له بالكفايه؛ وقد خضعت عند كتاب أمير المؤمنين، فإن رأيت [أمير المؤمنين] ^(٣) - طوّقتني الله بشكره، وأعانتني على تأدية حقّه، وبلغتني إلى ما فيه موافقة مرضاته، ومدّلي في أجله - أن يأمر بالكتاب إليّ من رضاه، وسلامة صدره، ما يؤمّني به من سفك دمي، ويردّ ما شرد من نومي، ويطمئنّ به قلبي فعل، فقد ورد

(١) في الأصل "سلام على أمير الخ" والتصحيح عن مفتاح الأفكار (ص ١٨٢) .

(٢) بياض بالاصول، والتصحيح عن مفتاح الأفكار . وفيه بعد لفظ أنس بن مالك مانصه .

"خادم رسول الله صلى الله عليه وسلم جرأة على أمير المؤمنين وغرة بمعرفة غيره ونقامته وسطواته على من خالف سبيله وعمد إلى غير محبته ونزل عند خطته، وأمير المؤمنين أصلحه الله من قرابته من مجد رسول الله صلى الله عليه وسلم إمام الهدى وخاتم النبيين أحق الخ" .

(٣) الزيادة عن مفتاح الأفكار .

على أمر جليل خطبه، عظيم أمره، شديد كربه . أسأل الله أن لا يُسَخِّطَ أمير المؤمنين عليّ، وأن يُبَيِّله في حزمه، وعزمه، وسياسته، وفرآسته، ومواليه، وحشمه، وعمّاله، وصنائه، ما يحمده به حسنُ رأيه، إنه وليُّ أمير المؤمنين والذابُّ عن سلطانهِ، والصانعُ له في أمرهِ، والسلام .

الأسلوب الثاني

(أن يُفْتَحَ الكِتَابُ بلفظ «أما بعد» ويُتَوَصَّلَ منه إلى المقصود)

كما كتب عبدُ الله بن عمر رضِيَ اللهُ عنهما إلى عبد الملك بن مروان في خلافته :
أما بعدُ، لعبد الله عبد الملك أمير المؤمنين من عبد الله بن عمر . سلامٌ عليك فإنِّي
أحمدُ إليك الله الذي لا إلهَ إلا هو ، وأمرني بالسمع والطاعةِ على كتاب الله وسُنَّةِ
نبيِّه فيما أستطعت .

الطَّرْفُ الرَّابِعُ

(في المكاتبات الصادرة عن الملوك ومن في معناهم إلى خلفاء
بنى العباس ، وفيها جملتان)

الجملة الأولى

(في المكاتبات العامة من الملوك إلى الخلفاء، ولها حالتان)

الحالة الأولى

(ما كان الأمرُ عليه في آبتداء دولة بنى العباس وأوساطها)

أما آبتداء دولتهم، فكان الأمرُ فيه على ما تقدم في مكاتبات العمال ونحوهم إلى خلفاء
بنى أمية ، وقد تقدم تمثيله . إلا أنه زيد فيه في صدور المكاتبات سؤال الصلاة

على النبي صلى الله عليه وسلم من حين رتبته المأمون في صدور الكتب ، وتكنية الخليفة من حين أحدثه الأمين في كتبه على ما تقدم بيانه في المكاتبات عن الخلفاء فيما سلف .



وأما أوساط دولتهم من حين ظهور ملوك بني بويه وغلبتهم على الأمر ، فلكتاب فيه أسلوبيان :

الأسلوب الأول

(أن تفتح المكتبة بلفظ «لفلان من فلان» وتصدر بالسلام والتحميد وسؤال الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم ، ويتخلص إلى المقصود بأما بعد) والرسم فيه على ما ذكره قدامة في كتاب الخراج أن يكتب : «لعبد الله فلان أبي فلان - بأسمه وكنيته ونعته - أمير المؤمنين ، سلام على أمير المؤمنين ، فإني أحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو وأسأله أن يصلي على محمد عبده ورسوله صلى الله عليه وسلم . أما بعد ، أطل الله بقاء أمير المؤمنين وأدام عزه وتأييده وكرامته وحراسته ، وأتم نعمته عليه ، وزاد في إحسانه إليه ، وفضله عنده وجميل بلائه لديه ، وجزيل عطائه له .»

وزاد في «صناعة الكتاب» : في السلام «ورحمة الله وبركاته» . قال في «صناعة الكتاب» : ثم يقال : أما بعد فقد كان كذا وكذا ، حتى يأتي على المعاني التي يحتاج إليها . وتكون المكتبة : - وقد فعل عبد أمير المؤمنين كذا - فإن زادت حاله لم يقل عبد أمير المؤمنين ، فإذا بلغ إلى الدعاء ترك فضاء وكتب : أتم الله على أمير المؤمنين نعمته وهنائه وكرامته ، وألبسه عفوّه وعافيته وأمنه وسلامته : والسلام على أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته . وكتب يوم كذا وكذا من شهر كذا من سنة كذا .

وقال الفضل بن سهل : يُدعى للخليفة :

أما بعدُ ، أطل الله بقاء أمير المؤمنين ، وأدام عزه وتأييده ، وأتم نعمته وسعادته وتوفيقه ، وزاد في إحسانه إليه ومواهبه له . ولا يكتب إليه « وجعلني فداه » ويكون أول فصوله : أخبر أمير المؤمنين - أطل الله بقاءه - أن كذا وكذا . ثم يوالى الفصول بـ « أيده الله وأدام عزه » . ونحو هذا .

وإن شئت كتبت : أما بعدُ أطل الله بقاء أمير المؤمنين ، وأدام عزه وتأييده وكرامته ، وأتم نعمته عليه ، وزاد فيها عنده وحاطه وكفاه ، وتولى له ما ولّاه .

وإن شئت كتبت : أطل الله بقاء أمير المؤمنين في العز والسلامة ، وأدام كرامته في السعادة والزيادة ، وأتم نعمته في السبوح والغبطة ، وأصلحه وأصلح على يديه ونصره ، وكان له في الأمور كلها ولياً وحافظاً .

وإن شئت كتبت : أطل الله بقاء أمير المؤمنين في أعز العز ، وأدوم الكرامة والشروع والغبطة ، وأتم نعمته في علو من الدرجة ، وشرف من الفضيلة ، ومتابع من العائدة ، ووهب له السلامة والعافية في الدنيا والآخرة .

والذي كانت عليه قاعدة ملوك بني بويه فمن بعدهم إن كان الكتاب في معنى حدوث نعمة من فتح ونحوه ، أتى بعد ذلك بالتحديد ما بين مرة واحدة إلى ثلاث مرات . ويعبر المكتوب عنه عن نفسه بلفظ الإفراد ، وعن الخليفة بأمر المؤمنين ، ويختم الكتاب بالإيناء وما في معناه .

وهذه نسخة كتاب كتب به أبو إسحاق الصابي عن عز الدولة بن بويه إلى المطيع لله عند فتحه الموصل ، وهزيمة أبي تغلب بن حمدان صاحب حلب في سنة ثلاث وستين وثلثمائة ، وهي :

(١)
 لعبد الله الفضل [الإمام] المطيع لله أمير المؤمنين، من عبده وصنيعته عز الدولة
 ابن معز الدولة مؤلى أمير المؤمنين . سلاماً على أمير المؤمنين ورحمة الله، فإنى أحمد
 إلى أمير المؤمنين الله الذى لا إله إلا هو، وأسأله أن يصلى على محمد عبده ورسوله
 صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم .

أما بعد - أطل الله بقاء أمير المؤمنين وأدام له العز والتأييد، والتوفيق والتسديد،
 والعلو والقدره، والظهور والنصره - فالحمد لله العلى العظيم، الأزل القديم، المتفرد
 بالكبرياء والملكوت، المتوحد بالعظمة والجبروت، الذى لا تحده الصفات،
 ولا تحوزه الجهات، ولا تحصره فرارة مكان، ولا يغيره مرور زمان، ولا تتمله العيون
 بنواظرها، ولا تخيله القلوب بجواظرها . فاطر السموات وما تظلل، وخالق الأرض
 وما تقبل، الذى دل بلطف صنعه، على جليل حكمته، وبين مجلى برهانه، عن
 خفى وجدانه، وأستغنى بالقدرة عن الأعوان، وأستعلى بالعزة عن الأقران . البعيد
 عن كل معاديل ومضارع، الممتنع على كل مطاول ومقارع، الدائم الذى لا يزول
 ولا يحول، العادل الذى لا يظلم ولا يجور، الكريم الذى لا يظن ولا يتجمل، الحليم الذى
 لا يعجل ولا يجهل، ذلكم الله ربكم لا إله إلا هو فادعوه مخلصين له الدين، منزل
 الرحمة على كل ولى توكل عليه، وفوض إليه، وأتمر لأوامره، وأزدجر بزواجره،
 ومحل النعمة بكل عدو صد عن سبيله وسننه، وصدف عن فرائضه وسننه، وعاده
 فى مكسب يده ومسعاة قدمه، وخائنة عينه وخافية صدره، وهو رافع رتبه النعم
 السائمه، فى أكلاء النعم السابغه، وجاهل جهلها بشكر الآنها، ذاهل ذمها عن
 طرق استيقاتها، فلا يلبث أن ينزع سرايلها صاغرا، ويتعزى منها حاسرا، ويجعل

الله كَيْدَهُ فِي تَضْلِيلٍ ، وَيُورِدُهُ شَرَّ الْمَوْرِدِ الْوَيْبِلِ ؛ إِنَّ اللَّهَ لَا يُصْلِحُ عَمَلَ الْمُفْسِدِينَ ،
وَلَا يَهْدِي كَيْدَ الْخَائِنِينَ .

والحمد لله الذي أصطفى للنُّبُوَّةِ أَحَقَّ عِبَادِهِ بِحَمْلِ أَعْبَائِهَا ، وَآرْتَدَاءِ رَدَائِهَا ؛ «مهدا»
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ ، وَعَظَّمْ خَطْرَهُ وَكْرَمَ بِفَصْدَعِ بِالرِّسَالَةِ ، وَبَالَغْ فِي الدَّلَالَةِ ؛
وَدَعَا إِلَى الْهُدَايَةِ ، وَنَجَّى مِنَ الْغَوَايَةِ ؛ وَنَقَلَ النَّاسَ عَنْ طَاعَةِ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ، إِلَى
طَاعَةِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ؛ وَأَعْلَقَهُمْ بِجَبَائِلِ خَالِقِهِمْ وَرَازِقِهِمْ ، وَعِصْمَةِ مُحْيِيهِمْ وَمُمِيتِهِمْ ؛
بَعْدَ آتِحَالِ الْأَكَاذِبِ وَالْأَبَاطِيلِ ، وَأَسْتِشْعَارِ الْمُحَالَاتِ وَالْأَضَالِيلِ ؛ وَالتَّهْوُوكِ
فِي الْأَعْتِقَادَاتِ الذَّائِدَةِ عَنِ النَّعِيمِ ، السَّائِقَةِ إِلَى الْعَذَابِ الْأَلِيمِ ؛ فَصَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
مِنْ نَاطِقٍ بِالْحَقِّ ، وَمُنْقِذٍ لِلخَلْقِ ؛ وَنَاصِحٍ لِلرَّبِّ ، وَمُؤَدِّ لِلْفَرْضِ ؛ صَلَاةً زَاكِيَةً نَامِيَةً ،
رَائِحَةً غَادِيَةً ؛ تَزِيدُ عَلَى آخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ ، وَتَعَاقِبِ الْأَعْوَامِ وَالْأَدْوَارِ .

والحمد لله الذي آتَجَبَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ [أَطَالَ اللَّهُ بَقَاءَهُ] ^(١) مِنْ ذَلِكَ السَّنَخِ الشَّرِيفِ ،
وَالْعُنْصُرِ الْمُنِيفِ ؛ وَالْعِزَّةِ الثَّابِتِ أَصْلُهَا ، الْمَتَدِّ ظِلُّهَا ؛ الطَّيِّبِ جَنَاهَا ؛ الْمَمْنُوعِ حِمَاهَا ؛
وَحَازِلِهِ مَوَارِيثَ آبَائِهِ الطَّاهِرِينَ ، صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ أَجْمَعِينَ ؛ وَأَخْتَصَّهُ مِنْ بَيْنِهِمْ
بِتَطَاوُلِ أَمَدِ الْخِلَافَةِ وَأَسْتِخْصَافِ حَبْلِهَا فِي يَدِهِ ؛ وَوَقَّتَهُ لِإِصَابَةِ الْفَرْضِ مِنْ كُلِّ
مَرْمَى يَرْمِيهِ ، وَمَقْصِدِ يَنْتَجِيهِ ؛ وَهُوَ - جَلَّ ثَنَاهُ - الْحَقِيقُ بِإِتْمَامِ ذَلِكَ عَلَيْهِ ،
وَالزِّيَادَةِ فِيهِ لَدَيْهِ . وَأَحْمَدُهُ سَبْحَانَهُ حَمْدًا أَبْتَدَيْتُهُ ثُمَّ أَعِيدَهُ ؛ وَأَكْرَرَهُ وَأَسْتَرِيدُهُ ؛
عَلَى أَنْ أَهْلَ رُكْنِ الدَّوْلَةِ أَبَا عَلِيٍّ ، وَعَضُدَ الدَّوْلَةِ أَبَا شَجَاعٍ مَوْلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ، وَأَهْلَتْنِي
لِلْأَثَرَةِ عِنْدَهُ الَّتِي بَدَّدْنَا فِيهَا الْأَكْفَاءَ ، وَفُتْنَا فِيهَا الْقُرْنَاءَ ؛ وَتَقَطَّعَتْ دُونَهَا أَنْفَاسُ
الْمُنَافِسِينَ ، وَتَضَرَّمَتْ عَلَيْهَا أَحْشَاءُ الْحَاسِدِينَ . وَأَنْ أَوْلَانِي فِي كُلِّ مَغْرَى فِي خِدْمَةِ

(١) الزيادة من مختارات الصابي .

أمير المؤمنين أغزوه، ومنحى أنحوه، وثأى أرابه، وشعث ألمه، وعدو أرغمه،
وزائع أقومه، أفضل ما أولاه عباده السليمة غيوبهم، النقية جيوبهم، المأمونة
ضمايرهم، المشحوذة بصائرهم، من تمكين يد، وتثبيت قدم، ونصرة راية، وإعلاء
كلمة، وتقريب بغيه، وإنالة أمنيته، وكذلك يكون من إلى [ولاء] أمير المؤمنين
اعتراؤه، وبشعاره اعتراضه، وعن زناده قدحه، وفي طاعته كدحه، والله ولي
[بإدامة] ما خولنيه من هذه المنقبه، وسوغنيه من هذه الموهبه، وأن يتوجه
أمير المؤمنين في جميع خدمه الذابين عن حوزته، المتمين إلى دعوته، يمين الطائر،
وسعادة الطالع، ونجاح المطلب، وإدراك الأرب، وفي أعدائه الغامطين لنعمته،
الناقضين موثيق بيعته، بإضرع الحد، وإتعاس الحد، وإخفاق الأمل، وإحباط
العمل، بقدرته.

ولم يزل مولانا أمير المؤمنين [أطال الله بقاءه] ينكر قديما من "فضل الله" بن
ناصر الدولة أحوالا حقيقا مثلها بالإنكار، مستحقا من ارتكبا الإعراض،
وأنا أذهب في حفظ غيبه، وإجمال محضره، وتمحل حججه وتلفيقها، وتأليف
معاذيره وتميقها، مذهبي الذي أعتم به كل من جرى مجراه من ناشئ في دولته،
ومقتد بنعمته، ومنتسب إلى ولايته، ومشتهر بصنيعته، وأقدر أن أستصلحه
لأمير المؤمنين - أطال الله بقاءه - وأصلحه لنفسه بالتوقيف على مسالك الرشاد،
ومناهج السداد، وهو يريني أن قد قيل وأرعوى، وأبصر وأهتدى، حتى رغبت
إلى أمير المؤمنين فيما شفني متفضلا فيه، من تقليده أعمال أبيه، والقناعة منه
في الضمان بميسور بدله، وإيثاره به على من هو فوقه من كبراء إخوته وأهله.

(١) الزيادة من المختارات.

فلما بلغ هذه الحال، أَلَطَّ بِالْمَالِ، وَخَاسَ بِالْعَهْدِ، وَطَرَّقَ لَفْسِخَ الْعَقْدِ؛ وَأَجْرَى إِلَى أُمُورِ كَرِهَتْهَا، وَنَفَدَ الصَّبْرَ مِنِّي عَلَيْهَا؛ وَخِفتُ أَنْ أُسْتَمِرَّ عَلَى الْإِغْضَاءِ عَنْهَا وَالْمَسَاحَةِ فِيهَا، فَيَطْلِعَ اللَّهُ مِنِّي عَلَى إِضَاعَةِ الْأَحْتِيَاظِ فِي أَمْرِ قَلْدَنِي أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ زِمَامَهُ، وَضَمَّنِي دَرَكَهُ، وَإِرْخَاءِ لَبِّ رَجُلٍ قَبِيلٍ فِي الْأَعْتِمَادِ عَلَيْهِ رَأْيِي، وَعَوَّلٍ فِي أَخْذِهِ بِمَا يَلْزَمُهُ عَلَى نَظَرِي وَأَسْتِيفَائِي - فَتَنَاوَلَهُ بِأَطْرَافِ الْعَدْلِ مُلَوَّحًا، ثُمَّ بِأَثْبَاجِهِ مُفْصِحًا مُصْرَحًا.

وَرَسَمْتُ لِعَبْدِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ النَّاصِحِ أَبِي طَاهِرٍ أَنْ يُجِدَّ بِهِ وَبُوسَطَائِهِ وَسُفَرَائِهِ فِي حَالٍ، وَيَدْخُلَ عَلَيْهِ مِنْ طَرِيقِ الْمَشُورَةِ وَالرَّفْقِ فِي أُخْرَى، وَيَتَقَلَّلَ مَعَهُ بَيْنَ الْحُسُونَةِ الَّتِي يَقْفُو فِيهَا أُخْرَى، وَاللَّيْنِ الَّذِي لَا يَجُوزُ أَنْ يُجَسَّهَ مِنِّي، تَقْدِيرًا لِأَنْثَنَائِهِ، وَزَوَالِ الْنَوَائِيهِ؛ فَفَعَلَ ذَلِكَ عَلَى رَسْمِهِ فِي التَّائِي لِكُلِّ فَاسِدٍ حَتَّى يَصْلُحَ، وَلِكُلِّ آبٍ حَتَّى يَسْمَعَ، وَلَمْ يَدَّعِ التَّنَاهِيَّ فِي وَعْظِهِ، وَالنَّهَادِيَّ فِي نُصْحِهِ وَتَعْرِيفِهِ سُوءَ عَاقِبَةِ الْجَهَّاجِ، وَمَغْبِيَةِ الْإِحْرَاجِ؛ وَهُوَ يَزِيدُ طَمَعًا فِي الْأَمْوَالِ وَشَرًّا، وَعَمَى فِي الرَّأْيِ وَعَمَّهَا؛ إِلَى أَنْ كَادَ أَمْرُنَا مَعَهُ يَخْرُجُ عَنْ حَدِّ الْأَنْتِظَارِ، إِلَى حَدِّ الرِّضَا بِالْإِصْرَارِ؛ فَاسْتَأْنَفْتُ أَدْرَاعَ الْحَزْمِ، وَأَمْتَطَاءَ الْعَزْمِ؛ وَنَهَضْتُ إِلَى أَعْمَالِ الْمَوْصِلِ وَعِنْدِي أَنَّهُ يُغْنِينِي عَنِ الْإِتْمَامِ، وَيَتَلَقَّانِي بِالْإِعْتَابِ وَيُنْقَادُ إِلَى الْمُرَادِ، وَيَتَجَنَّبُ طُرُقَ الْعِنَادِ.

فَإِذَا عَرَفَ خَبَرَ مَسِيرِي، وَجَدَّ فِيهِ وَتَشْمِيرِي؛ بَرَزَ بِرُوزِ الْمَخَالِفِ الْمَكْشِفِ، وَتَجَرَّدَ تَجَرَّدَ الْمَوَاقِفِ؛ وَهُوَ مَعَ ذَلِكَ إِذَا أَرَدَدْتُ مِنْهُ قُرْبًا، أَرَدَادَ مِنِّي رُجْبًا؛ وَإِذَا دَلَّقْتُ إِلَيْهِ ذِرَاعًا، نَكَّصَ عَنِّي بَاعًا.

وتوافت إلى حضرتي وجوه القبائل من عَقِيلٍ وشَيْبَانَ وغيرهما في الجمع الكَثِيفِ
من صَعَالِيكِهِمَا ، والعَدَدِ الكَثِيرِ من صَنَادِيدِهِمَا ؛ دَاخِلِينَ فِي الطَّاعَةِ ، مُتَصَرِّفِينَ
فِي عَوَارِضِ الخِدْمَةِ .

فلما شارفتُ الحَدِيثَةَ ، أَنْتَقَضَتْ عِزَائِمُ صَبْرِهِ ، وَتَقَوَّضَتْ دَعَائِمُ أَمْرِهِ ؛ وَبَطَلَتْ
أَمَانِيَهُ وَوَسَاوِسُهُ ، وَأَضْحَمَلَتْ خَوَاطِرُهُ وَهَوَاجِسُهُ ؛ وَأَضْطَرَبَ عَلَيْهِ مِنْ ثِقَاتِهِ وَغِلْمَانِهِ
مَنْ كَانَ بِهِمْ يَعْتَصِدُ ، وَعَلَيْهِمْ يَعْتَمِدُ ؛ وَبَدَّؤُوا بِخِذْلَانِهِ وَالْأَخْذِ لِنُفُوسِهِمْ ، وَمُفَارَقَتِهِ
وَالطَّلِبِ بِمَحْظُوظِهِمْ ؛ وَحَصَلَ مِنْهُمْ بِحُضْرَتِي إِلَى هَذِهِ الْغَايَةِ زُهَاءٌ خَمْسِمِائَةَ رَجُلٍ
ذَوِي خَيْلٍ مُخْتَارَةٍ ، وَأَسْلِحَةٍ نَسَاكِيَةٍ ؛ فَصَادَفُوا عِنْدِي مَا أَمَلُوا مِنْ فَائِضِ الْإِحْسَانِ ،
وَغَايِرِ الْأَمْتِنَانِ ؛ وَذَكَّرُوا عَمَّنْ وَرَاءَهُمْ مِنْ نُظَرَائِهِمْ التَّنَزِّيَ إِلَى الْإِنْجِدَابِ ، وَالْحَرِصَ
عَلَى الْأَسْتِثْمَانِ ؛ وَأَنْهُمْ يَرِدُونَ وَلَا يَتَأَخَّرُونَ ، وَيُبَادِرُونَ وَلَا يَتَلَوَّمُونَ .

ولمَّا رَأَى ذَلِكَ ، لَمْ يَمَلِكْ نَفْسَهُ أَنْ مَضَى هَارِبًا عَلَى طَرِيقِ سِنْجَارٍ ، مِنْكَشِفَا
عَنْ هَذِهِ الدِّيَارِ ؛ قَانِعًا مِنْ تِلْكَ الْأَمَالِ الْخَائِبَةِ ، وَالظُّنُونِ الْكَاذِبَةِ ؛ بِسَلَامَةِ حُشَّاشَةٍ
هِيَ رَهِينَةٌ غَيْبًا ، وَصَرِيعةٌ بَغْيًا .

وَكَانَ أَنْهَزَامُهُ بَعْدَ أَنْ فَعَلَ الْفِعْلَ السَّخِيفَ ، وَكَادَنَا الْكِبْدَ الضَّعِيفَ ؛ بِأَنْ أُغْرِقَ
سُفُنَ الْمَوْصِلِ وَعَرُوبَهَا ، وَأُحْرَقَ جَسْرُهَا وَأَسْتَدْمَ^(٢) إِلَى أَهْلِهَا ؛ وَتَزَوَّدَ مِنْهُمْ اللَّعْنُ
الْمُطِيفَ بِهِ أَيْنَ يَمُّ ، الْكَائِنَ مَعَهُ حَيْثُ خَيْمٌ .

وَدَخَلَتْهَا يَوْمِي هَذَا - أَيْدِ اللَّهِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ - دُخُولَ الْغَنَامِ الظَّافِرِ ، الْمُسْتَعْلِي
الظَّاهِرِ ؛ فَسَكَّنتُ نُفُوسَ سُكَّانِهَا ، وَشَرَّحْتُ صُدُورَ قُطَّانِهَا ؛ وَأَعْلَمْتُهُمْ مَا أَمْرِي

(١) نوع من السفن الرواكد كان في دجلة ولكنه عبر عنها في القاموس بالعربات . أى فواحدتها
عربة بالتحريك .

(٢) أى فعل ما يذم عليه .

به أمير المؤمنين - [أدام الله عزه] وأعلى الله أمره - من تأنيس وحشتهم ، ونظم
ألفتهم ، وضم نسرهم ، ولم شعثهم ؛ وإجمال السيرة فيهم في ضروب معاملاتهم وعلقتهم ،
وصنوف متصرفاتهم ومعايشهم ؛ فكثر منهم الشاء والدعاء ؛ والله سامع ما رفعوا ،
ومجيب ما سألوا .

وأجلت حال هذا الجاهل - أيد الله أمير المؤمنين - عن أقبح هزيمه ، وأذل
هزيمه ، وأسوأ رأى ، وأنكر اختيار ؛ لأنه لم يلقني لقاء البائع بالطاعة ، المعتذر
من سالف التفريط والإضاعة ؛ ولا لقاء المصدق لدعواه في الاستقلال بالمقارعة ،
المحقق لزعمه في الثبات للدفاعه ؛ ولا كان في هذين الأمرين بالبر التقي ، ولا الفاجر
الغوي ، بل جمع بين نقيصة شقاقه وغدره ، وفضيحة جنبه وخوره ؛ متنكبا للصلاح ،
عادلا عن الصواب ؛ قد ذهب عنه الرشاد ، وضربت بينه وبينه الأسداد ، وأنزله
الله منزلة مثله ممن أساء حفظ الوديعه ، وجوار الصنيعه ؛ وأستوجب نزعهما منه
وتحويلهما عنه .

وتأملت - أيد الله مولانا أمير المؤمنين - أمره بالتجريب ، وتصفحته على التقلب ؛
فإذا هو الرجل الذي أطاع أبوه فيه هوى أمه ، وعصى دواعي رأيه وحزمه ؛ وقدمه
من ولده على من هو أنس رشدا ، وأكبر سنا ، وأثبت جاشا ، وأجرأ جنا ، وأشجع
قلبا ، وأوسع صدرا ؛ وأجدد بخايل النجابه ، وشمائل اللبابه .

فلما اجتمعت له أسباب القدرة والثروة ، وأمكنته مناهز الغرة والفرصة ، وثب
عليه وثبة السرحان ، في ثلة الضان ؛ وجزاه جزاء أم عامر لمجيرها ، إذ فرته بأنبيائها
وأظايرها ؛ واجتمع [هو] وأخوه من الأمم ، المرتضيع معه لبان الإثم ؛ المكنى

(١) هي فاطمة بنت أحمد الكردية وكانت مالكة أمر ناصر الدولة . من هامش مختارات الصابي المطبوعة .

أبا البركات - وليس بأب لها ، ولا حرى بشيء منها - على أن نَسَرَ عنه وعَقَّاه ،
 وقَبَضًا عليه وأوثَقاه ؛ وأقرَّاه من قَلْعَتِهِمَا بحيث تُقَرُّ العُتَاهُ ، وتُعاقَبُ الجُنَاهُ ؛ ثم أتبعًا
 ذلك باستحلالِ دمه ، وإفاضة مُهْجَتِهِ ، غير راعِيَيْنِ فِيهِ حَقَّ الأَبُوهِ ، ولا حَانِيَيْنِ عَلَيْهِ
 حُنُوَ البُنُوهِ ؛ ولا متذمِّمِينَ من الإقدامِ عَلَى مِثْلِهِ مِمَّنْ تَقَدَّمَتْ عِنْدَ سُلْطَانِهِ قَدْمُهُ ،
 وتوَكَّدَتْ أَوَاصِرُهُ وَعِصْمُهُ ؛ ولا راحِمِينَ لَهُ من ضَعْفِ شَيْخُوخَتِهِ ، وذَهَلِ كِبَرَتِهِ ؛
 ولا مُضْغِيَيْنِ إِلَى وَصِيَّةِ اللَّهِ إِيَّاهُمَا ، التي نَصَّهَا فِي مُحْكَمِ كِتَابِهِ ؛ وَكَرَّرَهَا فِي آيَةٍ وَبَيَّنَّاتِهِ
 إِذْ يَقُولُ : ﴿ أَشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَى الْمَصِيرِ ﴾ وإذ يَقُولُ : ﴿ وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا
 إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبُلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا آفٌ
 وَلَا نَهْرُهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا وَأَخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذَّلَّةِ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ أَرْحَمُهُمَا
 كَمَا رَبَّيْتَنِي صَغِيرًا ﴾ .

فبأى وَجْهِ يَلْقَى اللَّهُ قَاتِلُ وَالِدِ حَدِيبٍ قَدِ أَمَرَ أَنْ لَا يَنْهَرَهُ ؟ وبأى لِسَانٍ يَنْطِقُ
 يَوْمَ يُسْأَلُ عَمَّا اسْتَجَارَهُ فِيهِ وَفَعَلَهُ ؟ وتالله ! لو أن بَمَكَانِهِ عَدُّوا لَهُمَا قَدِ قَارَضَهُمَا
 الدُّحُولُ ، وقَارَعَهُمَا عَنِ النَّفُوسِ ؛ لَقَبِحَ بِهِمَا أَنْ يَلُومَا ذَلِكَ اللُّؤْمَ عِنْدَ الظَّفَرِ بِهِ ،
 وَأَنْ يَرْكَبَا تِلْكَ الخُطَّةَ الشَّنْمَاءَ فِي الأَخْذِ بِنَاصِيَتَيْهِ ؛ ولم يَرْضَ « فَضَّلُ اللَّهُ » بِمَا
 أَنَاهُ إِلَيْهِ حَتَّى اسْتَوْفَى حُدُودَ قَطْعِ الرَّحْمِ ، بَانَ تَتَبَعَ أَكْبَرَ إِخْوَتِهِ السَّالِكِينَ خِلَافَ

(١) فِي سَنَةِ سِتِّ وَخَمْسِينَ وَثَلَاثِينَ قَبَضَ أَبُو تَغْلِبِ بْنِ نَاصِرِ الدَّوْلَةِ بْنِ حَمْدَانَ عَلَى أَبِيهِ وَحَبَسَهُ فِي قَلْعَةٍ
 وَذَلِكَ لِأَنَّهُ كَانَ قَدْ بَلَغَ مِنَ الكِبَرِ عِتْيًا وَسَاءَتِ أَخْلَاقُهُ وَضَيَّقَ عَلَى أَوْلَادِهِ وَخَالَئِهِمْ فِي أَهْوَائِهِمْ فَضَجَرُوا مِنْهُ
 وَكَانَ مِنْ جَمَلَةٍ مَا خَالَفَهُمْ فِيهِ أَنَّهُ عِنْدَ وَفَاةِ مَعزِ الدَّوْلَةِ وَوَلَايَةِ ابْنِهِ بِخِتَارِ عَزَمُوا عَلَى قَصْدِ المَرَاقِ فَسُيِّمُوا قَاتِلًا
 أَنْ مَعزِ الدَّوْلَةِ قَدْ خَلَفَ لَوْلَدِهِ مِنَ المَالِ مَا يَمُكِّنُ مَعَهُ مِنَ الظُّهُورِ فَاصْبَرُوا حَتَّى يَتَفَرَّقَ مَا لَهُ فَوَسَّبَ عَلَيْهِ أَبُو تَغْلِبِ
 وَوَضَعَهُ فِي مَحْبَسٍ فَفَضَبَ بَعْضَ إِخْوَتِهِ وَوَقَعَ الخِلَافَ بَيْنَهُمْ وَانْتَشَرَ أَمْرُهُمْ . وَكَانَ نَاصِرِ الدَّوْلَةِ يَسْتَنْصِرُ بِابْنِهِ
 حَمْدَانَ عَلَى أَبِي تَغْلِبِ وَأَبِي بَرَكَاتٍ فَنَقَلَاهُ إِلَى القَلْعَةِ كَوَاشِي وَتَوَفَّى فِي الإِعْتِقَالِ فِي رَبِيعِ الأَوَّلِ سَنَةِ ثَمَانٍ وَخَمْسِينَ
 وَثَلَاثِينَ أَهْ مِنْ هَامِشِ المَخْتَارَاتِ المَطْبُوعَةِ .

سَبِيلَهُ ، المتبرئين إلى الله من عظيم ما اكتسب ، ووخيم ما احتقَب ؛ لما غضبوا
لأبيهم ، وأمتعضوا من المستحل فيه وفيهم : فقبض على محمد بن ناصر الدولة حيلة
وغيلة ، وغدرا ومكيدة ؛ ونابذ حمدان بن ناصر الدولة مُنابذةً خار الله له فيها ، بأن
أصاره من فناء أمير المؤمنين إلى الجانب العزيز ، والحرز الحرّيز ؛ وأن أجرى الله على
يده الحرب الواقعة بينه وبين المعروف بكنيته أبي البركات ، التي لقاه الله فيها تحسه ،
وأتلف نفسه ؛ وصرعه بعقوقه وبغيه ، وقنعه بعاره ونخزيه ؛ وهو مع ذلك لا يتعظ ،
ولا يتزع ولا يقلع ولا يزدجر ؛ إصراراً على الجرائر التي الله عنها حسيبه ، وبها طليبه ؛
والدنيا والآخرة مُرصدتان له بالجزاء المحقوق عليه ، والعقاب المسوق إليه .

وأعظم من هذا كله - أيد الله أمير المؤمنين - خطبا ، وأوعر مسلكا ولحبا ، أن
من شرائط العهد الذي كان عهد إليه ، والعقد الذي عُقد له ؛ والضمان المخفف
مبلغه عنه ، المأخوذ عفوه منه ؛ أن يتناهى في ضبط الثغور وجهاد الروم وحفظ
الأطراف ، ورم الأكلاف ؛ فما وفى بشيء من ذلك ، بل عدل عنه إلى الاستئثار
بالأموال واقتطاعها ، وإحرازها في مكائنها وقلاعها ؛ والضن بها ذون الإخراج
في وجوهها ، والوضع لها في حقوقها ؛ وأن ترانخى في أمر عظيم الروم مهملا ، وأطرح
الفكر فيه مغفلا ؛ حتى هجم في الديار ، وأثر الآثار ؛ ونكى القلوب ، وأبكى العيون ؛
وصدع الأكباد ، وأحر الصدور ؛ فما كان عنده فيه ما يكون عند المسلم القارئ لكتاب
الله إذ يقول : ﴿ إِنْ لَمْ يَنْتَهِ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنْ لَمْ يَلْتَمِسُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيُقْتَلُوا وَيُقْتَلُوا وَعَدَا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَى
بِعَهْدِهِ مِنْ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بَبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾ بل صدق
عن ذكر الله لاهيا ، وعدل عن كتابه ساهيا ؛ وأستفسخه ذلك البيع والعقد ، وتجزه
الوعد لا الوعد ، ولاطف طاغية الروم وهاداه ، وماره وأعطاه ؛ وصانعه بمال

المسلمين الذي يلزمه - إن سلم دينه وصح يقينه - أن ينفقه في مرابطهم ، ويذب به عن حريمهم ؛ لا أن يعكسه عن جهته ، ويلفته عن وجهته ؛ بالنقل إلى عدوهم ، وإدخال الوهن بذلك عليهم . وقاد إليه من الخيل العتاق ما هو الآن عون للكفر على الإيمان ، ونجدة للطاغية على السلطان ؛ وكان فيما أئخفه به الخمر التي حذر الله عليه أن يشربها ويسقيها ، وتعبده بأن يحتنبا ويحتويها ؛ وصلبان ذهب صاغها له وتقرّب بها إليه تقرّباً قد باعده الله فيه عن الإصابة والأصالة ، وأدناه من الجهالة والضلالة ؛ حتى كأنه عامل من عمّاله ، أو بطريق من بطارقتة .

فأما فشله عن مكافحته ، ولهجه بملاطفته ، فزيد الذي أمره الله به في قوله تعالى :
 ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قَاتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُمْ مِنَ الْكُفَّارِ وَلْيَجِدُوا فِيكُمْ غِلْظَةً وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ ﴾ .

وأما نقله ما نقل من الخيل من ديار المسلمين إلى ديار أعدائهم ، فنقيض قوله عز وجل
 ﴿ وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ ﴾ .

وأما إهداؤه الخمر والصلبان ، فخلافة عليه تبارك اسمه ، إذ يقول : ﴿ إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تَفْلِحُونَ ﴾ .

كل ذلك عناداً لرب العالمين ، وطمساً لأعلام الدين ؛ وضناً بما يُحامي عليه من ذلك الحطام ، المجموع من الحرام ، المشر من الآثام ، المقتطع من فناء الإسلام . وقد فعل الآن بنو والعساكر التي معي ومن نضم من أولياء أمير المؤمنين الذين هم إخوته وصحبه - إن كان مؤمناً ، وأنصاره وحزبه - إن كان مؤمناً ؛ من توعير المسالك وتغريق العروب ، وتضييق الأوقات ، وأستهلاك الأزواد ؛ ليوصل إلينا الضر ، ويلحق بنا الجهد ؛ فعل العدو المبين ، المخالف في الدين ؛ فهل يجتمع

[في أحد من المساوي - أيد الله أمير المؤمنين - ما اجتمع^(١) في هذا الناد العائد ، والشاذ الشارد ؟ ، وهل يُطَمَع من مثله في حق يقضيه ، أو فرض يوديه ، أو عهد يرعاه ، أو ذمام يحفظه ، وهو لله عاص ، وإمامه مخالف ، ولوالده قاتل ، ولرحمه قاطع ؟ كلاً والله ! بل هو الحقيق بأن تُثنى إليه الأئمة ، وتُشرع نحوه الأئمة ، وتُنصب له الأوصاد ، وتُسجد له السيوف الحداد ، ليقطع الله بها دابرَه ، ويحبب غاربه ، ويصرعه مصرع الأئيم المليم ، المستحق للعذاب الأليم ، أو ينفى إلى الحق ، إفاعة الداخل فيه بعد خروجه ، العائد إليه بعد مُروقته ، التائب المنيب ، النازع المستقيل ، فيكون حكمه شبيهاً بحكم الراجع عن الردة ، المحمول على ظاهر الشريعة ، والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم .

فالحمد لله الذي هدانا لهذا لم كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله ، ووقف بنا على السبيل المنجية لنا ، والمقاصد المفضية إلى رضاه ، البعيدة من سخطه .

والحمد لله الذي أعز أمير المؤمنين بالنصر ، وأعطاه لواء القهر ، وجعل أوليائه العالين الظاهرين ، وأعداءه السافلين الهابطين ، وهنأه الله هذا الفتح ولا أخلاه من أشكال له تقفوه وتتبعه ، وأمثال تكلوه وتشفعه ، وأصلاً فيها إلى ما وصل فيه إليه من حيازته مهناً ، لم يسفك فيه دم ، ولم ينتهك محرم ، ولم ينل جهده ، ولم يمسس نصب .

أنهيت إلى أمير المؤمنين ذلك ، ليضيف صنع الله له فيه ، إلى السالف من عوارفه عنده وأياديه ، وليجدد من شكره جلّ وعلا ما يكون داعياً إلى الإدامة والمزيد ، مقتضياً للعون والتأييد ، إن شاء الله تعالى .

(٢)
[وكتب يوم الجمعة لتسع ليال خلون من شهر ربيع الآخر سنة ثلاث وستين وثلثمائة]

(١) الزيادة عن مختارات رسائل الصابي المطبوعة (ج ١ - ص ٩١) وهي لازمة لانظام الكلام .

(٢) الزيادة من مختارات رسائل الصابي .

الأسلوب الثاني

(أن تفتتح المكاتبه بلفظ « كتابي للخليفة والحال على كذا وكذا » ويدعى للخليفة

بطول البقاء في أثناء ذلك ، ويعبر الملك المكتوب عنه عن نفسه

بلفظ الإفراد مع التصدير بالعبودية ، ويخاطب الخليفة

بأمير المؤمنين ويحتم بالدعاء ونحوه)

كما كتب أبو الفرج البغيا عن السلطان أبي تغلب بن ناصر الدولة أحد ملوك بني حمدان بحلب وما معها ، جواباً للكتاب الوارد عليه من الطائع أو المطيع بالكنية والخلع ما صورته :

« كتابي - أطال الله بقاء أمير المؤمنين - وعبد أمير المؤمنين مستديم بشكر الله تعالى مدد النعم المتظاهرة عليه ، والمنع المتناصرة لديه ، بحميد رأيه أدام الله علوه وتقديمه - معترف بما طوقته به السعادة من عوارف تشريفه ، متمسك من الطاعة بما أحله كنف إحسانه ، متوصل بالطرف إلى الاستزادة من طوله وأمتانه .

والحمد لله رب العالمين ، وصلى الله على سيد المرسلين ، محمد وآله الطاهرين .

ووصل كتاب أمير المؤمنين - أدام الله نصره - مشتملاً على فوائد الإرشاد والتوقيف ، مقترنا بخصائص التكرمة والتشريف ، فاقتديت من أوامره - أعلاها الله تعالى ! - بأهدى دليل ، وسلكت في شكر ما أعمدني من إثاره أوضح سبيل ، وبرزت لسائر من أختارني - أيده الله - لسياسته من الخاصة والعامة في الحلل الحالية بسيمات تشريفه وإكرامه ، متدرعا ثوبي هديه وسكنته ، ومختلاً منهما بين كنفه دفاعه ومعونته ، ومتقلداً غضبه الذي هز النصر غراره ، وأطلق المضاء سفاره ،

وعالياً على عُقُ الزمان ، بامتطاء ما حَبَّأني به من الجملان ؛ مسترقِّ النية بالرغبة إليه ،
ومستخديم النطق بالثناء عليه ؛ ومقتصماً أثر أسلاف في خدمته وخدمة آباءه المؤمنين ،
من الخلفاء الراشدين ، صلوات الله عليهم أجمعين ؛ واقْتفاء مذهبهم في الذب عن فِئَةِ
الخلافة والمُرَامة دُونَ المِلَّة ، والاجتهاد في طاعة الأئمة .

فالحمد لله الذي جعل صنائع أمير المؤمنين مستقرّة عند مَنْ يرتبطها بعلائق الشكر ،
ويحرسها بالتوفّر على ما أفاد الإجماع وجميل الذّكر ؛ وأدام علو أمير المؤمنين ! وأيدنا
بِعزّ دولته ، وبَسَط بالتمكين قُدْرته ، وحرس من الغير سلطانه ، وقرن بنفّاذ الأمر يده
ولسانه ؛ ولا أخلاه من وليّ ينشيه ويصنعه ، وشكور يُعليه ويرفعه ؛ وعزم يحمد أثره
ويرتضيه ، ورأي بالتوفيق يُبرمه ويُمضيه . ووفّقني من القيام بحقوق خدمته ،
والتمسك بفرائض طاعته ؛ والمعرفة بمواقع أصطناعه وتفضله ، والأعداد بمنع إنعامه
وتطوّله ؛ لما يستريدني من أيّديه وآلائه ، ويحرس على مكاني من جميل آرائه ،
إنه جواد كريم .

وقد آذنتُ مَنْ بَعْد وَقُرْب برفع أمير المؤمنين - أدام الله بسطته - ذِكْرِي عن
تعريف الأسم بنباهة الكُنية ، وإصدار ذلك إلى الأسماع من شريف عبارته ،
والإذن فيه لسائر مَنْ يذكُرني بحضرتة ، زاد الله في جلالته . وتقدّمتُ بإثبات ذلك
على عُنوانات الكُتب أمثالاً لأمره ، وأخذاً بإذنه ، ووقوفاً عند رسمه ؛ عارفاً قدر
النعمة والموهبة فيه . وأعتدّتُ بما أعلمنيه أمير المؤمنين من نيابة فلان عبده
وما توخّاه من محمود السّفارة ، وحُسن الوساطة ، ووجدتُ ما يجمعني وإيّاه من
الإخلاص في ولاء أمير المؤمنين أقرب الأنساب ، وأوكّد الأسباب ؛ في تأكّد
الألفة ، وتثبيت قواعد الطاعة ؛ والله يحرس أمير المؤمنين في كافّة رعيته ، وخاصّة
أوليائه وصنائع دولته ؛ من اختلاف الآراء ، وتشدّب الأهواء ؛ ويُعينني من النهوض

بمفترضات أياديه ، وواجبات ما يُسديهِ إلى ويُولِيهِ ؛ [على] ما قَرَّبَ منه وإليه ،
وأزَلَفَ عنده ولَدَيْهِ ؛ بمنه ومَشِيئَتِهِ ، وحَوْلِهِ وقُوَّتِهِ .

+
+

الحالة الثانية — من مكاتبات الملوك إلى خلفاء بني العباس ما كان عليه الأمرُ
في آخر دولتهم ببغداد .

والحال فيه مختلف : فتارةً يفتتح بالدعاء للديوان العزيز ، وتارةً بالدعاء لما يعود
عليه ، وتارةً بالصلاة ، وتارةً بالسلام . وربما أفتتحت المكاتبُ بآية من القرآن
الكريم مناسبة للحال .

قال المقر الشهابي بن فضل الله في كتابه " التعريف " : والصدرُ نحو العبد
أو المملوك أو الخادم يُقبل الأرض ، أو العتبات ، أو مواطئِ المواقف أو غير ذلك .
ويخاطب الخليفة في أثناء الكتاب بالديوان العزيز ، وبالمواقف المقدسة أو المشرفة ،
والأبواب الشريفة ، والباب العزيز ، والمقام الأشرف ، والجانب الأعلى أو الشريف ،
وبأمير المؤمنين مجرّدة عن سيدنا ومولانا ، ومرةً غير مجرّدة مع مراعاة المناسبه
والتسديد والمقاربه . ويختتم الكتاب تارةً بالدعاء ، وتارةً بطالع أو أنهى أو غيرهما مما
فيه معنى الإنهاء .

قال : وأختلِفَ فيما يخاطبُ به المكتوب عنه عن نفسه : فكتب صلاح الدين
أبن أيوب « الخادم » وكتب بنوه والعاذل أخوه « المملوك » وكتب الكامل بن العادل
« العبد » وجرى على هذا أبنه الصالح . وكتب الناصر بن العزيز « أقل الممالك »
وكتب الناصر داود « أقل العبيد » ؛ وكان علاء الدين خوارزم شاه يكتب « الخادم
المطواع » وتبعه على ذلك أبنه جلال الدين ، وكانت أم جلال الدين تكتب
« الأمة الداعية » . هذا على شتم أنوف الخوارزمية وعلو شأنهم .

وعنوان هذه المكاتبات على اختلافها « الديوانُ العزيزُ ، العالی ، المولوی ،
السیدی ، النبوی ، الإمامی ، الفلانی (بلقب الخلافة) أدامَ اللهُ أيامَه ، أو خلدَ
الله أيامَه ، أو أدامَ اللهُ سلطانه » على مناسبه ما في صدر الكتاب .
ثم هو على ستة أساليب :

الأسلوب الأول

(أن تفتح المكاتبه بالدعاء للديوان العزيز)

قال في "التعريف" : والمراد بالديوان ديوان الإنشاء ، لأن المكاتب عنه
صادرة وإليه واردة . قال : وسبب مخاطبتهم بالديوان الخضعان عن مخاطبة
الخليفة نفسه ، ويكون الدعاء للديوان بما فيه معنى دوام العز والسلطان وبسط
الظل وما أشبه ذلك . مثل : أدام اللهُ أيامَ الديوان العزيز ، أو أدام اللهُ سلطان
الديوان العزيز ، أو خلد اللهُ أيامَ الديوان العزيز ، أو خلد اللهُ سلطانَ الديوان العزيز ،
وأدام اللهُ ظلَّ الديوان العزيز ، وخذ اللهُ ظلَّ الديوان العزيز ، وبسط اللهُ ظلَّ الديوان
العزيز ، وما أشبه ذلك .

وهذه نسخة كتاب كتب به القاضي الفاضل عن السلطان «صلاح الدين يوسف
ابن أيوب» صاحب الديار المصرية ، إلى الناصر لدين الله الخليفة يومئذ ببغداد ،
بفتح القدس وما معه ، واقتلاع ذلك من أيدي الفرنج وإعادته إلى ما كان عليه
من الإسلام ، وهي :

«أدام اللهُ أيامَ الديوان العزيز النبوي الناصري ، ولا زال مظفر الحد بكل
جاحد ، [غني^(١)] التوفيق عن رأى كل رائد ، موقوف المساعي على اقتناء مطلقات

(١) بياض في الاصول والتصحيح من رسائل القاضي الفاضل الفنوغرافية .

المحامد، مستيقظ النصر والسيف في جفنه راقدا، وارد الجود والسحاب على الأرض غير وارد، متعدد مساعي الفضل وإن كان لا يليق إلا بشكر واحد، [ماضي حكم القول بعزم لا يمضي إلا بنسل غوي وریش راشد^(١)] ولا زالت غيوث فضله [إلى الأولياء^(١)] أنواء إلى المرباع وأنوارا إلى المساجد، وبعوث رعبه إلى الأعداء خيلا إلى المراقب وخيالا إلى المراقد .

كتب الخادم هذه الخدمة تلوماصدر عنه مما كان يجرى مجرى التبشير بصبح هذه الخدمة، والعنوان لكاتب وصف هذه النعمة؛ فإنها بحر للأقلام فيه سبح طويل، ولطف الحق للشكر فيه عبء ثقيل، وبشرى للخواطر في شرحها مآرب، ويسرى للأسرار في إظهارها مسارب؛ والله في إعادة شكره رضا، وللنعمة الراهنة به دوام لا يقال معه هذا مضي. وقد صارت أمور الإسلام إلى أحسن مصايرها، وأستببت عقائد أهله على بصائرهما؛ وتقلص ظل رجاء الكافر المبسوط، وصدق الله أهل دينه فلما وقع الشرط حصل المشروط؛ وكان الدين غريبا فهو الآن في وطنه، والفوز معروضا فقد بذلت الأنفس في ثمنه؛ وأمر أمر الحق وكان مستضعفا، وأهل ربه وكان قد عيف حين عفا؛ [وجاء أمر الله وأنوف أهل الشرك راغمه^(١)] فأدبلت السيوف إلى الآجال وهي نائمة، وصدق وعد الله في إظهار دينه على كل دين، وأستطارت له أنوار أبانت أن الصباح عندها حيان الحين؛ وأسترد المسلمون ثراثا كان عنهم أبقا، وظفروا بقظة بما لم يصدقوا أنهم يظفرون به طيفا على النأي طارقا؛ وأستقرت على الأعلى أقدامهم، وخفقت على الأقصى أعلامهم، وتلاقت على الصخرة قبلهم، وشفيت بها وإن كانت صخرة كما تشفى بالماء غلهم .

(١) الزيادة من رسائل الفاضل الفوتوغرافية المحفوظة بدار الكتب الخديوية نمرة ٢٢٩٤ أدب ص ٣٥ .

ولما قدم الدين عليها عرف منها سُويْدَاءَ قلبه ، وهنَّا كَفُّهَا المجرُّ الأَسْوَدُ بَيْتٌ
عِصْمَتِهَا من الكافر بِمَجْرِبِهِ ، وكان الخادم لا يَسْعَى سَعْيَهُ إِلَّا لِهَذِهِ العُظْمَى ، ولا يُقَاسِي
تلك البُؤْسَى إِلَّا رَجَاءَ هذه النعمى ، ولا يُنَاجِزُ من آسَمَّطَلَه في حَرْبِهِ ، ولا يُعَاتِبُ بِأَطْرَافِ
القنَّا من تَمَادَى في عَتْبِهِ ، إِلَّا لتكونَ الكَلِمَةُ مجموعَه ، والدعوةُ إلى سامعِهَا مرفُوعَه ؛
فتكون كلمةُ الله هي العُلْيَا ، وليفوز بِجَوْهَرِ الآخِرَةِ لا بِالْعَرَضِ الأَدْنَى من الدنيا ؛
وكانت الألسنةُ رِجْمًا سَلَقَتْهُ فَأَنْضَجَ قُلُوبَهَا بِالْأَحْتِقَارِ ، وكانتِ الخواطرُ رِجْمًا غَلَّتْ
عليه مَرَّاجِلُهَا فَأَطْفَأَهَا بِالْأَحْتِمَالِ وَالْأَصْطِبارِ ؛ وَمَنْ طَلَبَ خَطِيرًا خَاطِرًا ، وَمَنْ رَامَ
صَفْقَةً رابحةً تَجَاسَرُ ، وَمَنْ سَمَّا لِأَنْ يُجَلِّيَ عَمْرَةَ غَامِرًا ؛ وَإِلَّا فَإِنَّ القُعودَ يُلِينُ تحتَ نُيُوبِ
الأعداءِ المَعَاجِمِ فتَعْضُّهَا ، وَيُضَعِفُ في أَيْدِيهَا مَهْرَ القوائِمِ فتُقْضُّهَا ؛ هذا إلى
كونِ القُعودِ لا يَقْضِي فَرَضَ الله في الجِهَادِ ، ولا يُرْعَى به حَقُّ الله في العبادِ ؛ ولا يُوفَى
به واجبُ التقليدِ الذي تَطَوَّقَهُ الخادمُ من أئمةٍ قَضَوْا بِالْحَقِّ وبه كانوا يَعْدِلُونَ ،
وخلفاءُ الله كانوا في مثلِ هذا اليومِ يَسْأَلُونَ ؛ لا جَرَمَ أَنَّهُمْ أَوْرَثُوا سُورَهُمْ وَسِرِّيهِمْ
خَلْفَهُم الأَطْهَرِ ، وَتَجَلَّهَمُ الأَكْبَرِ ؛ وَبَقِيَّتِهِمُ الشَّرِيفِ ، وَطَلَعْتِهِمُ المُنِيفِ ، وَعُلُوَّانَ صَحِيفَةِ
فَضْلِهِمْ لا عَدِمَ سِوَادَ العِلْمِ وَبِياضَ الصَّحِيفِ ؛ فَمَا غَابُوا مَّا حَضَرَ ، [ولا غَضُّوا] ^(١) لَمَّا
نَظَرُوا ، بل وصلَّهْمُ الأَجْرُ لَمَّا كانَ به موصولًا ، وشاطرَوه العملَ لَمَّا كانَ عنه منقولًا
ومنه مقبولًا ؛ وَخَلَصَ إِلَيْهِمْ إلى المضاجعِ ما أَطْمَأَنَّتْ بِهِ جُنُوبُهَا [وإلى الصَّفائِحِ
ما عَبَقَتْ بِهِ جُنُوبُهَا] ^(١) وفازَ منها بِذِكْرِ لا يَزَالُ اللَّيْلُ به سَمِيرًا ، والنهارُ به بَصِيرًا ؛ وَالشَّرْقُ
يَهْتَدِي بِأَنْوَارِهِ ، بل إنَّ أبدى نُورًا من ذاته هَتَفَ به الغَرْبُ بأنَّ واريه ؛ فَإِنَّهُ نورٌ
لا تُكِنُّهُ أَغْصاقُ السُّدْفِ ، وَذَكَرَ لِأَنْوارِهِه أوراقُ الصُّحُفِ .

(١) الزيادة من رسائل الفاضل الفوتوغرافية المحفوظة بدار الكتب الخديوية نمرة ٢٢٩٤ أدب ص ٣٥ .

وهي لازمة كما لا يخفى .

وكتاب الخادم هذا وقد أظفر الله بالعدو الذي تشظت قناته شققا، وطارت فرقه فرقا، وفل سيفه فصار عصا، وصدعت حصاته وكان الأكثر عددا وحصا، فكلت حملاته وكانت قدرة الله تُصرف فيه العنان بالعيان، عقوبة من الله ليس لصاحب يد بها يدان، وعثرت قدمه وكانت الأرض لها حليفه، وغضت عينه وكانت عيون السيوف دونها كسيفه، ونام جفن سيفه وكانت يقظته تُريق نطف الكرى من الجفون، وجدعت أنوف رماحه وطالما كانت شامخة بالمنى أو راعفة بالذنون، وأضحيت الأرض المقدسة الطاهرة وكانت الطامث، والرّب المعبود الواحد وكان عندهم الثالث، فيبوت الشرك مهذومه، ونيوب الكفر مهتومه، وطوائفه المحاميه، مجتمعة على تسليم البلاد الحاميه، وشجعانه المتوافيه، مدعنة ببذل المطامع الوافيه، لا يرون في ماء الحديد لهم عُصره، ولا في فناء الأفيّة لهم نُصره، وقد ضربت عليهم الذلة والمسكنه، وبدل الله مكان السيئة الحسنه، ونقل بيت عبادته من أيدي أصحاب المشامة إلى أيدي أصحاب الميمنه .

وقد كان الخادم لقيهم اللقاة الأولى فأمده الله بمداركته، وأنجده بملائكته، فكسرهم كسرة ما بعدها جبر، وصرعهم صرعة لا يعيش معها بمشيئة الله كُفر، وأسر منهم من أسرت به السلاسل، وقتل منهم من فتكت به المناصل، وأجلت المعركة عن صرعى من الخيل والسلاح [والكفار، وعن أنصاف محيل فانه قتلهم بالسيوف الأفلاق والرماح الأكسار، فنيّلوا بشار من السلاح ونالوه أيضا بشار]، فكم أهلة سيوف تقارضن الضراب بها حتى عادت كالعراجين، وكم أنجم رماح تبادلت الطعان حتى صارت كالمطاعين، وكم فارسية ركض عليها فارسها السهم إلى اجل فاختلسه، وفغرت تلك القوس فاها فإذا فوها قد نهش القرن

على بُعد المسافة فافتَرَسَه ؛ وكان اليومُ مشهوداً ، وكانتِ الملائكةُ شهوداً ؛ وكان الكُفْرُ مفقوداً ، والإسلامُ مولوداً ، وجعل اللهُ ضلوعَ الكُفَّارِ نارَ جهنَّمَ وقوداً ؛ وأسِرَ الملكُ وبِيدِهِ أوثقُ وثائقِهِ ، وآكُدُ وصليهِ بالدينِ وعلائقِهِ : وهو صليبُ الصَّلْبوتِ ، وقائدُ أهلِ الجَبْرُوتِ ؛ وما دُهِمُوا قَطُّ بأمرٍ إلا وقام بين دُهانِهم يَبْسُطُ لهم باعَهُ ، ويحزُّضُهُم وكان مدُّ اليدينِ في هذه الدَّفْعَةِ وداعَهُ ؛ لا جرمَ أنهم تهافتَ على نارِهِم فرأشُهُم ، وتجمَّعَ في ظلِّ ظلامِ خَشاشُهُم ؛ فيقاتلون تحت ذلك الصَّليبِ أصلبَ قتالٍ وأصدقِهِ ، ويرونَهُ ميثاقاً يَبْنُونَ عليه أشدَّ عقيدٍ وأوثقِهِ ، ويعدُّونَهُ سُوراً تَحْفِرُ حوافِرُ الخيلِ خندَقَهُ .

وفي هذا اليومِ أُسِرَتْ سرائُهُم ، وذهبتْ دُهانُهُم ؛ ولم يُفْلِتْ معروفٌ إلا القومِصَ وكان لَعَنَهُ اللهُ ملياً يومَ الظَّفَرِ بالقتالِ ، ويومَ الخِذْلانِ بالأحتيالِ ؛ فنجاً ولكن كيفَ ، وطار خَوْفاً من أن يلحقَهُ منسَرُ الرُيحِ وجناحُ السَّيفِ ، ثم أخذه اللهُ بعد أيامٍ بيدهِ ، وأهلكَهُ لموعدهِ ؛ فكان لِعِدَّتِهِمْ فَذالكِ ؛ وانتقلَ من ملكِ الموتِ إلى مالِكِ .

وبعد الكسرةِ مرَّ الخادمُ على البلادِ فطَوَّأها بما نَشَرَ عليها من الرايةِ العباسيةِ السوداءِ صِبْغاً ، البيضاءِ صُنْعاً ، الخافقةِ هي وقلوبُ أعدائِها ؛ الغالبةِ هي [وعزائمُ أوليائها] ^(١) المستضاءِ بأنوارها إذا فتحَ عَيْنَها البِشْرَ ، وأشارتْ بأناملِ العَذَباتِ إلى وجهِ النَّصْرِ ؛ فافتتحَ بلدَ كذا وكذا وهذه أمصارٌ ومُدُنٌ ، وقد تسمى البلادِ بلاداً وهي مزارعُ وفُدُنٌ ؛ وكلُّ هذه ذواتُ معاقِلٍ ومعاقِرٍ ، وبحارٍ وجزائرٍ ؛ وجوامِعَ ومنايرٍ ، وجموعٍ وعساكرٍ ؛ يتجاوزها الخادمُ بعد أن يُحْرِزَها ، ويتركها وراءَهُ بعد أن يَنْبَهِزَها ؛ ويحصِدُ منها كُفْراً ويزرعُ إيماناً ، ويحطُّ من منائرِ جوامِعِها صُلباناً ويرفعُ أذاناً ؛ ويبدِّلُ المذابِحَ

(١) الزيادة من رسائل الفاضل .

مناير والكائس مساجد، ويؤى بعد أهل الصلبان أهل القرءان للذب عن دين الله
مقاعد؛ ويُقر عينه وعيون أهل الإسلام أن تعلق النصر منه ومن عسكره بجار
ومجور، وأن ظفر بكل سور ما كان يخاف زلزاله وزياله إلى يوم النّفخ في الصور.
ولما لم يبق إلا القدس وقد آجمع إليها كل شريد منهم وطريد، واعتصم بمنعتها
كل قريب منهم وبعيد، وظنوا أنها من الله مانعهم، وأن كنيستها إلى الله شافعهم؛
فلمّا نازلها الخادم رأى بلداً كبلاد، وجمعاً كيوم التناد، وعزائم قد تألفت وتألّت
على الموت فزلت بعرضته، وهان عليها موردُ السيف وأن تموت بغصته؛ فزاول البلد
من جانب فإذا أودية عميقة، ولجج وعرة غريقه، وسور قد أعطف عطف السوار،
وأبرجة قد نزلت مكان الواسطة من عقد الدار؛ فعدل إلى جهة أخرى كان للطامع
عليها معرج، ولخيل فيها متوج؛ فزل عليها، وأحاط بها وقرب منها؛ وضربت
خيمته بحيث يناله السلاح بأطرافه، ويزاحمه السور بأكافه؛ وقابلها ثم قاتلها،
ونزلها ثم نازلها؛ وبرز إليها ثم بارزها، وحاجزها ثم ناجزها؛ فضمها ضمة ارتقب
بعدها الفتح، وصدع أهلها فإذا هم لا يصبرون على عبودية الجذ عن عتق الصفح؛
فراسلوه ببذل قطعة إلى مده، وقصدوا نظرة من شدة وانتظاراً لنجده؛ فعرفهم
في لحن القول، وأجابهم بلسان الطول؛ وقدم المنجنيقات التي تتولى عقوبات
الحصون عصياً وحبالها، وأوترهم قسيها التي تضرب فلا تفارقها سهامها ولا يفارق
سهامها نصالها؛ فصاحت السور بأكافه فإذا سهمها في شأياً شرفاتها سواك،
وقدم النصر نسرًا من المنجنيق يُخلد إخلاده إلى الأرض ويعلو علوه إلى السماء؛
فشج مرادع أبراجها، وأسمع صوت عجيجها، ورفع مثار عجاجها، فأخلى السور من
السياره، والحرب من النظاره؛ فأمكن النّقاب، أن يسفر للحرب النّقاب، وأن يعيد

(١) كذا في الرسائل أيضا بغير ذكر جواب لما الأولى وهو مفهوم من المقام .

الحجر إلى سيرته من التراب ؛ فتقدم إلى الصخر فمضع سرده ، بانياب معوله ، وحل عقده ، بضربه الأنحرق الدال على لطافة أمته ، وأسمع الصخرة الشريفة حينه واستغاثته إلى أن كادت ترق لمقبايه ؛ وتبرا بعض الحجارة من بعض ، وأخذ الخراب عليها موثقا فلن تبرح الأرض ؛ وفتح في السور باب سد من نجاتهم أبوابا ، وأخذ نقب في حجره قال عنده الكافر : يَا لَيْتِي كُنْتُ تُرَابًا ؛ فحينئذ يئس الكفار من أصحاب الدور ، كما يئس الكفار من أصحاب القبور ، وجاء أمر الله وغرهم بالله الغرور .

وفي الحال خرج طاغية كفرهم وزمام أمرهم ابن بارزان سائلا أن يؤخذ البلد بالسلم بالأعنه ، وبالأمان لا بالسطوه ؛ وألق بيده إلى التهلكة ، وعلاه ذل الملكة بعد عز الملكة ؛ وطرح جبينه في التراب وكان حيناً لا يتعاطاه طارح ، وبذل مبلغاً من القطيعة لا يطمح إليه طرف آمل طامح ؛ وقال : ها هنا أسارى مؤمنون يتجاوزون الألوف وقد تعاقد الفرنج على أنهم إن هجمت عليهم الدار ، وحملت الحرب على ظهورهم الأوزار ؛ بدى بهم فجعلوا ، وثنى بنساء الفرنج وأطفالهم فقتلوا ، ثم استقتلوا بعد ذلك فلم يقتل خصم إلا بعد أن ينتصف ، ولم يسئل سيف من يده إلا بعد أن تنقطع أو ينقص ؛ وأشار الأمراء بالأخذ بالميسور ، من البلد المأسور ؛ فإنه إن أخذ حرباً فلا بد أن تفتح الرجال الأنجاد ، وتبذل أنفسها في آخر أمرٍ قد نبيل من أوله المراد . وكانت الجراح في العساكر قد تقدم منها ما اعتقل الفتكات ، واعتاق الحركات ، فقبل منهم المبدول عن يدهم صاغرون ، وأنصرف أهل الحرب عن قدرة وهم ظاهرون ، وملك الإسلام خطة كان عهدُه بها دمنة سكان ، فخدمها الكفر إلى أن صارت روضة جنان ؛ لا جرم أن الله أخرجهم منها وأهبطهم ، وأرضى أهل الحق .

وأَسْخَطَهُمْ، فَإِنَّهُمْ - خَذَلِمَ اللَّهُ - حَمَوَهَا بِالْأَسَلِ وَالصَّفَاحِ [وَبَنَوَهَا بِالْعَمَدِ وَالصَّفَاحِ]^(١)
 وَأَوْدَعُوا الْكِنَاسَ بِهَا. وَتَتَّعَتْ الدِّيُوبَةُ وَالْإِسْتَبَارِيَّةُ مِنْهَا كُلَّ غَرِيْبَةٍ مِنَ الرُّخَامِ الَّذِي
 يَطْرُدُ مَأْوَهُ، وَلَا يُطْرِدُ لِأَلْوَاهِ، قَدْ لَطَفَ الْحَدِيدُ فِي تَجْزِيعِهِ، وَتَفَنَّنَ فِي تَوْشِيْعِهِ،
 إِلَى أَنْ صَارَ الْحَدِيدُ، الَّذِي فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ، كَالذَّهَبِ الَّذِي فِيهِ نَعِيمٌ عَتِيدٌ، فَمَا تَرَى
 إِلَّا مَقَاعِدَ [لِلرِّيَاضِ لَهَا مِنْ بِيَاضِ التَّرْخِيمِ رَفْرَاقٌ، وَعَمَدًا كَالْأَشْجَارِ لَهَا مِنْ
 التَّنْبِيْتِ أَوْرَاقٌ]^(١).

وَأَوْزَعِ الْخَادِمُ بَرْدَ الْأَقْصَى إِلَى عَهْدِهِ الْمَعْهُودِ، وَأَقَامَ لَهُ مِنَ الْأَيْمَةِ مَنْ يُؤْفِيهِ
 وَرَدَّهُ الْمُرُودَ، وَأُقِيمَتِ الْخُطْبَةُ يَوْمَ الْجُمُعَةِ رَابِعَ شَهْرِ شَعْبَانَ، فَكَادَتِ السَّمَوَاتُ
 يَتَفَطَّرْنَ لِلسُّجُومِ لَا لِلوُجُومِ، وَالْكَوَاكِبُ يَنْثَرْنَ لِلطَّرْبِ لَا لِلرُّجُومِ، وَرُفِعَتْ إِلَى اللَّهِ
 كَلِمَةُ التَّوْحِيدِ وَكَانَتْ طَرَائِقُهَا مَسْدُودَةً، وَظَهَرَتْ قُبُورُ الْأَنْبِيَاءِ وَكَانَتْ بَيْنَهُمُ بِالنَّجَاسَاتِ
 مَكْدُودَةً؛ وَأُقِيمَتِ الْخَمْسُ وَكَانَ التَّثْلِيثُ يُقْعِدُهَا [وَجَهَرَتِ الْأَلْسُنُ بِاللَّهِ أَكْبَرُ وَكَانَ
 سِحْرُ الْكُفْرِ يَعْقِدُهَا]^(١) وَجُهِرَ بِاسْمِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ فِي قُطْبِهِ الْأَقْرَبِ مِنَ الْمَنْبَرِ، فُرِحَّ بِهِ
 تَرْحِيبَ مَنْ بَرَّ بِرَّ، وَخَفَقَ عَلامَهُ فِي حِفَافِيهِ، فَلَوْ طَارَ بِهِ سُورًا لَطَارَ بِجَنَاحِيهِ .

وَكِتَابُ الْخَادِمِ وَهُوَ مُجْدٍ فِي آسْتِفْتَاكِ بَقِيَّةِ الثُّغُورِ، وَآسْتِشْرَاحِ مَا ضَاقَ بِتَمَادِي
 الْحَرْبِ مِنَ الصُّدُورِ، فَإِنَّ قُوَى الْعَسَاكِرِ قَدْ آسْتُنْفِدَتْ مَوَارِدُهَا، وَأَيَّامَ الشِّتَاءِ
 قَدْ مَرَدَّتْ مَوَارِدُهَا، وَالْبِلَادُ الْمَأْخُودَةُ الْمَشَارُ إِلَىهَا قَدْ جَاسَتِ الْعَسَاكِرُ خِلَالَهَا،
 وَنَهَبَتْ ذَخَائِرَهَا وَأَكَلَتْ غِلَالَهَا . فَهِيَ بِلَادٌ تُرْفَدُ وَلَا تُسْتَرْفَدُ، وَتُجْمُ وَلَا تَسْتَنْفَدُ،
 وَيُنْفَقُ عَلَيْهَا وَلَا يُنْفَقُ مِنْهَا، وَتُجْهَزُ الْأَسَاطِيلُ لِبَحْرِهَا، وَتَقَامُ الْمَرَابِطُ لِبَرِّهَا، وَيُدَابُّ
 فِي عِمَارَةِ أَسْوَارِهَا وَمَرَمَّاتِ مَعَاقِلِهَا؛ وَكُلُّ مَشَقَّةٍ فَهِيَ بِالْإِضَافَةِ إِلَى نِعْمَةِ الْفَتْحِ

(١) الزيادة من نسخة الرسائل الفتوغرافية .

محمّلة ، وأطاع الفرنج فيما بعد ذلك مذهبها غير مُرجئة ولا مُعتزلة ، فلن يدعوا دعوة
يرجو الخادم من الله أنها لا تسمع ، ولن تزول أيديهم من أطواق البلاد حتى تُقطع .
وهذه البشائر لها تفاصيل لا تكاد من غير الألسنة نتشخص ، ولا بما سوى
المشاهدة نتلخص . فلذلك نفذنا لسانا شارحا ، ومبشرا صادحا ، ينشر الخبر على
سياقته ، ويعرض جيش المسرة من طليعته إلى ساقته .

الأسلوب الثاني

(أن يفتتح الكتاب بالدعاء لغير الديوان بما فيه تعظيم الخليفة)

كما كتب القاضي الفاضل عن الملك الناصر « صلاح الدين يوسف بن أيوب »
إلى ديوان الخلافة ببغداد .

أسعد الله عظماء الأملاك بالانتساب إلى الخدمة الشريفة النبوية ، وأوزعهم
ما أمرهم به من طاعتها . وخلد ملك الديوان العزيز النبوي مادامت الأفلاك قائمه ،
والنجوم ناجمه ، ونقع بغنائمها ^(١) غلّ الآمال الحائمه ، وفسر بمكارمها حلم الأمانى
الحالمه ، ورتق بتدبيراتها المعصومة فتوق النوب المتعاضمه ، وأظهر على أيدي
أوليائها معجزات نصرها ، وصرف الأيام والليالي بين المرضيين لله نهيها وأمرها ،
وأودع بركات السماء والأرض بمودعها ومستقرها .

المملوك - وان كان قد يسر الله له مذ أطلقت عدبة لسانه خدمة الدولة العباسية ،
فتفسح في وسيع مآثرها ، وتخير من بديع جواهرها ، وامتاح من نيمير زواجرها .
فإنه لا يعتذر عن الحصر الذي اعتراه في وصف المنعم عليه به من الخطاب الشريف ،

(١) أى الخدمة النبوية والمراد بها الخلافة .

الذى لولا أن عصمة الموالاة تُثبَّتُ فُوَادَهُ الخافِقُ ، وتسدُّ لسانه الناطق ، لما تعاطى
وصف ما أعطاه من كتابه المرقوم ، وسبق إليه من سحابة المُرْكُوم ، فإنه مما يَسِفُ
عنه الأملُ ناكصا وهو كسير ، وينقلبُ دونه البصرُ خاسئًا وهو حسير ، إلا أن الإنعامَ
الشريفَ يبدأ الأولياءَ بمالو وكلهم إلى أمانيتهم تهيبت أن تتعاطى حظيته ، ولو فوضه
إلى راحتهم لنكلت عن أن تترقى نصيته ، ولا غرو للسحاب أن يُصاغ قطره الثرى ،
والفجر أن يُشْرِقَ نوره على عين الكرى والسرى .

فالحمد لله الذى قرب على المملوك منال الآمال ، وثبت حصة فواده لما لا تستقلُّ
بجملة صم الجبال . ويستنيب عن جهر الشكر بسر الأذعية ، ويقتصر على ما يُفِضِي به
إلى المحارب وان لم يُقَصِّر عما يقصه فى الأنديه ؛ ويُطالع بأن مملوك الخدمة
وأبن مملوكها أخذ الكتاب بقوة ، وشمر لخدمة أشرف خلافة لأشرف نبوه ، وتلقاه تلقى
أبيه الأول الكلمات ؛ ورأى إطلاع الله لأمير المؤمنين على ما فى ضميره من طاعته
إحدى المعجزات والكرامات ، وسَمِعَ المشافهة خاشعا متصدعا ، وأشمَل عليها بفهمه
ساميا طرفه متطلعا .

ولقد أشبه هذا الكتابُ الكريمُ بيعةً أخذت عليه ، مدَّ إليها يده آخذا بكتنا يديه .
والمملوك يرجو بل يتحقق أن هذا العبدَ المشارَ إليه سيوفى على سابقه من عبيد الدولة
العباسية فى الزمان ، ويكون بمشيئة الله أسبقَ منهم بالإحسان .

وقد صدرت خدمتان من جهته وبعدهما تصدرا الخدم ، ولا يالوجهدا فى الخدمتين
مباشرا بيده السيفَ ومستنابا عنها العلم ، وله نُصرة باقية فى الولاء وهو غنى بها
عن النصير ، وسريرة بادية فى الطاعة هو إليها أسكنُ منها إلى كل مُشير . يعود
المملوك إلى ما لا يزال يفتح به الصلوات المفروضة ، ويختتم به الختمات المعروضة :

من الدعاء الصالح الذي [وان] أغنى الله وليه عنه فقد أحوج ذوى العقائد السليمة إليه :
 لأنه مُزَكَّ لأعمالهم ؛ بل متمم لإسلامهم ، وكيف لا يدعون لمن يدعون به يوم يدعى
 كلُّ أناس بإمامهم ؛ فيقول : - جمع الله لأمر المؤمنين طاعة خلقه ! ، وأذلُّ رقاب
 الباطل سيفُ حقه ! ، وجعل الله ما هو قبضته في الأخرى قبضة أمير المؤمنين
 في الأولى ! من الأرض التي هي موطوءة كالسماوات العلى ، وأدام نعمه على
 هذه الأمة بإمامته ، وأظهر كرامة نبيه عليه السلام بما يظهره من كرامته ؛ وعجل
 لمن لا يقوم بفرض ولايته إقامة قيامته ، ورد بسيفه التي لا تُردُّ ما الإسلام ممطوئ
 به من ظلامته ، وأقام به مناهج الدين لأهله ، وأظهره بمظاهرتة على الدين كله ،
 حتى يلقي الله وما خلف في الدنيا كافرا ، ولا ضميرا إلا بالتوحيد عامرا ، ولا بلدا
 إلا وقد بات الإسلام به أهلا وقد أصبح منه الكفر دائرا ، إن شاء الله تعالى .

الأسلوب الثالث

(أن يبدأ آية من كتاب الله تعالى تناسب الحال)

كما كتب القاضي الفاضل ، عن السلطان « صلاح الدين يوسف بن أيوب »
 إلى الخليفة المستضيء ببغداد بشرى بفتح بلد من بلاد النوبة والنصرة عليها :

(« نَمَد كَتَبْنَا فِي الزُّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ ») :
 (« سَلَامٌ قَوْلًا مِنْ رَبِّ رَحِيمٍ ») : (« فَرُوحٌ وَرِيحَانٌ وَجَنَّةٌ نَعِيمٌ ») . وصلاة يتبعها
 تسليم ، وكأس يمزجها تسنيم . وذكر من الله سبحانه في الملا الأعلى ورحمة الله وبركاته
 معلومة من النشأة الأولى على مولانا الإمام « المستضيء بالله » المستضيء بأنواره ،
 المستضاف بداره ، الداعي إلى الحق وإلى طريق مستقيم ، الراعى للخلق كما يرعى

النسيم النسيم ، العام فضله ، التام عدله ، المطروق مورد فوائده ، المصدوق في مورد ثنائه ، المحقوق من كل ولي بولائه ، ابن السادة الغر ، والقادة الزهر ، والذادة الخمس ، والشادة للحق على الأوس ، سقاة الكوثر وزمزم والسحاب ، وولاة الموسم والموقف والكتاب ، والموصول الأنساب [يوم] إذا تُفخ في الصور فلا أنساب ، والصابرون على حساب أنفسهم فهم الذين يُؤتون أجرهم بغير حساب .

مملوك العتبات الشريفة وعبدها ، ومن أشتمل على خاطره ولاؤها وودها ، وكانت المشاهدة لأنواره العلية التي يودها ، ومن يقرب بفرض الله سبحانه فرضها ، ويسابق بطاعته إلى جنة وصفها الله تعالى بقوله ﴿ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ﴾ : يلثم وجه ترابها ، ويرى على بُعد دارها الأنوار التي ترى بها ، ويقف لديها وقوف الخاضع ، ويضع أثقال الآثام عن ظهره منها بأشرف المواضع للواضع ، ويُجبت إليها إخبات الطامح الطامع ، ويرجو فضلها رجاء الطامع الطامع . ولولا أن الكتاب حجاب بينه وبين المهابة التي تحول بين المرء وقلبه ، والجلالة التي هو في تعظيمها على نور من ربه ، لكان خاطره في قبضة الهلع أسيرا ، ولا نقلب إليه البصر خاسئا حسيرا ، ولكن قلته قد تشاجع ، أن كان لسانه عن الإبانة قد راجع . فيقول :

إن الله قد رفع ملة الإسلام على الملل ، وكفل نصرها وكفى ما كفل ، وحمى ملكها وحمل ، وجعل لها الأرض في أيدي المخالفين ودائع ، ومكن يده من أعناقهم فهي إما تعقد الأغلال أو تصوغ الصنائع ، والحق بها قائم العمود ، والسيف الكفاية لازم العمود ، والبشائر تمسك الصباح وتخلق الدجى ، والحيل على طول ما تشتمل الوحا تتعل الوجى ، والأيام زاهره ، والآيات باهره ، وعزة أوليائها قاهره ، وذلة أعدائها ظاهره ، وعنايات الله لديها متوالية متظاهره . إذا تغرب أسماها يوما عن

مِنْبِرٍ أُعِيدَ إِلَى وَطَنِه غَدًا ، وَإِذَا أُوقِدَتْ نَارُ فِتْنَةٍ فِي مَعْصِيَتِهَا أُوقِدَتْ فِي طَاعَتِهَا
نَارٌ هُدَى .

وقد كان النيلُ قَدَمَا قَرَّتْ عَنِ الْقُرَاتِ أَبْنَاءُوه ، وَتَحَصَّنَتْ غُلَّ الْمُؤْمِنِينَ عَنْهُ
فَلَمْ يَنْغَلِ إِلَيْهَا مَأْوُهُ ، وَكَادَتْ السَّمَاءُ لِأُتْعِينِهِ بِمَطَرِهَا ، وَالْأَرْضُ لِأُتُوشِيهِ بِزَهْرِهَا ،
وَالْأَعْنَاقُ قَدْ تَهَاصَرَدُونَ انْرَاجِينَ بَدُو مَعْصِيَهَا ، وَالْقُلُوبُ قَدْ لَازَتْ بِأَسْتَارِ الْجِدَارِ
مَعْصِيَهَا ، وَالْأَوْثَانُ مَنْصُوبَةٌ ، وَالْآيَاتُ مَغْصُوبَةٌ ، وَالتَّيْجَانُ بِغَيْرِ أَكْفَائِهَا مِنَ الْهَامَاتِ
مَعْصُوبَةٌ ، وَاللِّدِينُ أَدْيَانًا ، وَالْمَذَكَّرُونَ بِالْآيَاتِ يَخْرُونَ عَلَيْهَا صَمًّا وَعُغْمِيَانًا ، وَالْعَادِلُونَ
بِاللهِ قَدْ وَطَنُوا السِّنَّةَ وَصَرَّحُوا عَقَائِدَ ، وَالْمَعْتَدُونَ قَدْ أَضَلُّوا فِعَالًا وَضَلُّوا مَقَاصِدَ ،
وَكَرَاسِيٌّ خِلَافَةَ اللهِ قَدْ أُلْقِيَ عَلَيْهَا أَجْسَادٌ كَانَتْ تَقْعُدُ مِنْهَا مَقَاعِدَ ، وَمَنَابِرُ كَلِمَاتِ اللهِ
قَدْ كَادَ كَيْدُهُمْ يَأْتِي بُنْيَانَهَا مِنَ الْقَوَاعِدِ ، وَجَرَتْ عَلَى بُنْيَانِهَا أَسَدُ نُبُوهِ ، وَقَصُرَتْ
الْأَيْدِي فَلَاحِدٌ سَوَاطِئُهَا وَوَحْدٌ سَطْوُهُ ، ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبٌ (فَهِيَ كَالْمِجْرَارَةِ أَوْ أَشَدَّ قَسْوَهُ)
وَغَرَّتِ الْإِيَّامُ وَمَا وَعَدَتْ ، وَأُورِدَتْ الْهَيْمُ وَمَا أَصْعَدَتْ ، وَطَغَى طُوفَانُ الطُّغْيَانِ
وَالْعَاصِمُ ، وَسَمَا بِنَاءُ الْبُهْتَانِ وَالْهَادِمُ ، وَضَاقَتِ الصُّدُورُ ، وَرَحَلَتْ بِغَلِيلِهَا إِلَى الْقُبُورِ ،
وُظِنَ أَنْ طَى دَوْلَتَهُمْ مَعْدُوقٌ بِالنُّشُورِ ، حَتَّى إِذَا جَلَّاهَا اللهُ لَوْقِيَهَا ، وَأَنْجَزَ جَمُوعَ
الضَّلَالِ إِلَى مِيعَادِ شَتَا ، وَأَرَاهِمُ آيَةَ مَعْدِلَتِهِ (وَمَا زِيَرِهِمْ مِنْ آيَةٍ إِلَّا هِيَ أَكْبَرُ مِنْ أُخْتِهَا)
(وَجَاءَ الْحَقُّ وَظَهَرَ أَمْرُ اللهِ وَهُمْ كَارِهُونَ) : (وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا فِيهَا وَبِاطِلٌ
مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ) .

كَانَتْ نِعْمَةً مِنْ اللهِ يُعْمَلُ عَلَى الْمَمْلُوكِ أَنْ أَنْتَجِبَهُ مِنْ بَيْنِ أَهْلِ أَرْضِهِ ، وَأَنْتَجِبَهُ
لِإِقَامَةِ مَا بَاطِلٌ مِنَ قَرَضِهِ ، وَيَسْرَهُ لِمَا يَسْرَهُ مِنْ نُصْرَةِ الْحَقِّ وَأَهْلِهِ ، وَبَشْرَهُ

(١) كَذَا فِي الْأَصُولِ بِهَذَا الرَّسْمِ وَلَمْ نَعْرِ عَلَى هَذِهِ الرَّسَالَةِ فِي الرَّسَائِلِ .

بما بَشَّرَهُ من لواء النصر ومدَّ من ظِلِّهِ ، وألهمه الهِمَّةَ التي أَفْتَرَعَ منها بَكْرًا ، ومنحه
النُّصْرَةَ فما يَسْتَطِيعُ العَدُوُّ صُرْفًا ولا نَصْرًا . مَكَّنَهُ من صِيَّاصِيهِمْ فَجَلَّهَا ، ومن دِمَائِهِمْ
فَطَلَّهَا ، ومن سِيُوفِهِمْ فَجَلَّهَا ، ومن أَقْدَامِهِمْ فَاسْتَرَّهَا ، ومن مَنَارِ دُعَاتِهِمْ فَجَعَلَ تَدَاعِيَهَا ،
ومن أَنْفُسِ أَعْدَائِهِمْ فَكَثَّرَتْنَاهَا ، وَأَبْرَزَ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ القِتْلُ إِلَى مَضَاجِعِهِمْ ،
وَيَسَّرَ الَّذِينَ كُتِبَ لَهُمُ العَفْوُ إِلَى مَنَافِعِهِمْ ، وَثَرَّ خَرَزَاتِ المُلْكِ من تِيَجَانِيهَا ، وَفَضَحَ
عَلَى يَدِهِ وَبَلْسَانِهِ مَا زَوَّرْتَهُ من أَنْسَابِهَا ، وَحَاسَبَهَا فَأَظْهَرَ زَيْفَ حِسَابِهَا ، وَتَقَلَّهَا من
ظُهُورِ أَسْرَتِهَا إِلَى بَطُونِ تُرَابِهَا ، وَعَمَدَ إِلَى أَهْلِ دَعْوَتِهَا الَّذِينَ بَسَقُوا بِسُوقِ النخْلِ
فَاعْلَاهُمْ عَلَى جُدُوعِهَا ، وَحَمَلَتْ قُلُوبُهُمْ فُوفَ الحَقْدِ فَأَخْرَجَهَا من أَكْثَامِ طُلُوعِهَا ، فَهَلْ
تَرَى لَهُمُ من بَاقِيهِ ، أَوْ تَسْمَعُ لَهُمُ من لَآغِيهِ ، أَوْ تَجِدُ إِلَيْهِمْ من صَاحِيهِ ، فَاصْبَحُوا
لَا تُرَى إِلَّا مَسَاكِينُهُمْ أَوْ مَسَاكِينُهُمْ ، وَحُصِدُوا حَصْدَ الحَشِيشِ ثُمَّ لَا تُخَافُ سِيُوفُهُمْ
وَلَا سَكَاتِ كَيْنُهُمْ ، وَأَسْتَنْزِلُوا من عِقَابِ اللُّوحِ ، وَسَجِنُوا فِي الهَمِّ من طُولِ مُدَاوِمَةِ عِقَابِ
الرُّوحِ ؛ ثُمَّ تَدَارَكُوا إِلَى الدَّرَكِ ، وَأَشْتَرَكُوا فِي الشَّرْكِ ، وَأَقْفَرَتْ مِنْهُمْ عِرَاصُ ، وَزَهَدَتْ
فِيهِمْ خَوَاصُ ، وَعُلِمَ أَنَّ لَيْسَ لِلَّهِ غَالِبٌ ، وَأَنَّ لَيْسَ يُفَوِّتُهُ طَالِبٌ ، وَأَنَّ المُلْكَ لِلَّهِ
وَحدَهُ ، وَأَنَّ الوَيْلَ لِمَنْ تَجَاوَزَ أَمْرَهُ وَحَدَّهُ .

وَكَانَ المَمْلُوكُ مِنْ عَطَلٍ مِنْ أَوْلِيَانِهِمْ ، وَأَبْطَلٍ مِنْ أَدِيَانِهِمْ ، فَاتْرَا بِحَسَنَةِ يَنْظُرُ إِلَى
حَسَنَاتِ خَلِيلِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي كَيْدِهِ الأَصْنَامِ وَتَكْسِيرِهَا ، وَتَضْلِيلِهِ عَابِدِيهَا
وَتَكْفِيرِهَا . وَعَمَدَ المَمْلُوكُ إِلَى المَحَاضِرِ بِجَمْعِهَا ، وَإِلَى المَنَابِرِ فَرَفَعَهَا ، وَالجُمُعَةِ فَأَطَاعَ
مِنْ شَرَعِهَا ، وَأَسْمَاءِ صَحَابَةِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَوَصَلَهَا بِاسْمِهِ وَمَا قَطَعَهَا ،
وَعَمُومَتِهِ رِضْوَانِ اللَّهِ عَلَيْهِمْ فَتَلَاهَا لَهُ وَأَتْبَعَهَا ، وَأَشَادَ بِاسْمِ أَمِيرِ المُؤْمِنِينَ لِتَكُونَ
الصَّلَاةُ جَامِعَةً ، وَالدُّكْرَى شَامِلَةً وَالْإِمَامَةُ لِلْجَمَاعَةِ شَارِعَةً ، وَالهَدَايَةُ لِلضَّلَالَةِ صَارِعَةً ،
فَعَادَتْ لِلْمَلَّةِ أَعْيَادُ ، وَأَخْضَرَتْ لِلنَّدْرِ أَعْوَادُ ، وَأُنْجِزَ لِلْأُمَّةِ مِيعَادُ .

وبعد ذلك تحاشدت أولياء الذاهبين وتنادت، وتساعت نحو مستقر المملوك وتعادت
﴿وإذ زين لهم الشيطان أعمالهم وقال لا غالب لكم اليوم من الناس وإني جار لكم
فلما تراءت الفئتان نكص على عقبيه وقال إني بريء منكم﴾ وكانوا حمية حامية
من بني حاتم كالجراد أرجلا ، إلا أن الله أصلها بنيرانه ، وكالماء مدا إلا أن الله
أغرقها بطوفانه ، وكالنمل لونا وطرقا إلا أن الله حطمها بسليمانه ، مع من أنضم
إليهم من ألقاف وأطراف ، وأوشاب وأوباش : من جندى كسبه سيفه ذل ، وطرده
عن مواقف الكرام وبمجال الخزي أحله ، ومن أرمى كانوا يفرعون إلى نصره
نصرانته ، ويعتمدون منه على ابن معموديته ، ومن عامى أجابهم لفرط عماءه وتفريط
عاميته ، فملا العيون سوادهم الأعظم ، ووراءهم بأس الله الذي لا يرد عن أجرم ،
فأمطرتهم السيوف مطرا كانوا غناء لسيوله الجوارف ، وعصفت بهم الأعنة عصفا
كانوا هباء لهوجه العواصف ؛ ﴿فظلت أعناقهم لها خاضعين﴾ وعوتبت الأنفس
والأرؤس ﴿فقالنا أتينا طائعين﴾ . وظلت قحاف بني حاتم تحت غرابان الفلاغربانا ،
وشوهدت ظلمات بعضها فوق بعض أفعالا وألوانا ؛ وصفت موارد السلطان
من القذى ، وطفى ذلك الفحم فلا يجد التفاق بعده ما لتعلق به الجدى ، وبلغت
الغايات في كشف كل أذى ، لا بضرب بموعيد يقال فيه إذا .

وكتب المملوك ، واسم أمير المؤمنين قد كتب سطره على جبين النقدين ، وسمع
لفظه من قم المنبرين بالبلدين ، ومد كل منبريدا بل يدين ؛ فحين سمع الناس قالوا
حقا ما قاله ذو اليدنين ، وصارت تلك الأسماء دبر الآذان ووراء الظهور ، وحصلت
المحبة العباسية سرا من أسرار القلوب إذا حصل ما فى الصدور ، والخلائق مباحية
متابعة وافية بعهد متوافية ، داخلون فى الحق أفواجا ، سالكون منه شرعة
ومنهاجا .

والحمد لله الذى جعل أمير المؤمنين إماما خلّقه ، ووارثا لأرضه ولم يذّر فوق الأرض
منازعا لحقه ، ولا مناهبا لأرضه ، وأرتجع له الحقّ الذى كان نادا ، وردّ عليه الأمر
الذى لم يكن له غير الله رادا ، وبلغ كلّ مؤمن من إعلاء كلمة الإيمان به ما كان له
وآدا ، وأخذ بيد انتقامه من كان عن سبيله صادّا ، والإسلام قد استنار كمنشأته ،
والزمان قد استدار كهيئته ، والحقّ قد قرّ في نصّابه ، والأمر قد فرّ عن صوابه .
فقد وفى الله القرّار له بزمانه ، وأخذ بيده ما روى عن ابن عمه صلى الله عليه وسلم
وأصفى من لسانه .

فالحمد لله الذى صدّقه وعده ، وأورثه الأرض وحده ، وجدّد علاه وأعلى جدّه ،
وأسعد نجمه وأنجم سعده ، ووعدّه نُجْحَه وأنجح وعده ، وأورده وصفه وأصفى ورده .
المملوك ينتظر الأمثلة ليتمثلها ، والأمانة ليتحمّلها ، والتقليدات المطاعة ليتلوها ،
والتشريفات الشريفة ليجلّوها ، والسواد ليجلّي الحلك عن ضمائر المبطلين ، والسيف
الحالى لحكمه فى رقاب المعطلين ، والآراء الشريفة فصل برهانها ، وفضل سلطانها ،
وأمرها الذى لا يخرج حين يخرج عن عزّ الملة وتوطيد بُنيانها ، وعزمها الذى يرفع
حين يرفع ظلمة أذنانها . إن شاء الله تعالى .

الأسلوب الرابع

(أن يتبدأ الكتاب بالصلاة)

كما كتب القاضى الفاضل ، عن الملك الناصر "صلاح الدين يوسف بن أيوب" ،
إلى الخليفة ببغداد ، فى البشرى بفتح بلده من بلاد النوبة أيضا ، وانهمزام ملكها
بعساكره .

صلواتُ الله التي أعدها لأوليائه وذخرها ، وتحياته التي قذف بسُهبها شياطينَ أعدائه ودحرها ، وبركاته التي دعا بها كلَّ موحد فاجاب ، وأنقشع بها غمامُ النعم وظلام الظلم فأنجاب عن أنجاب ، وزكاته التي هي للمؤمنين سكن ، وسلامه الذي لا يعترى الموقنين في ترديده حصر ولا لكن - على مولانا عاقد ألوية الإيمان ، وصاحب دور الزمان ، وساحب ذيل الإحسان ، وغالب حزب الشيطان ؛ الذي زلزلت إمامته قدم الباطل ، وحلت خلافته ترائب الدهر العاطل ، واقتضت سيوفه ديون الدين من كل غريم ماطل ، وأمضت غرب كل عزم للحق مفلول وأطلعت غارب نجم كل هدى آفل ، وشفعت يقظات استغفاره إلى غافر ذنب كل غافل ؛ وعلى آبائه الغاية والمفرع ، والملاذ في وقت الفرع ، والقائمين بحقوق الله إذ قعد الناس ، والحاكين بعذل الله إذ عدم القسطاس ، والمستضيئين بأنوار الإلهام الموروثية من الوحي إذا تجز الأقباس ، والصابرين في البأساء والضراء وحين الباس ؛ خزان الحكم ، وحفاظها ، ومعاني النعم ، وألفاظها ، وأعلام العلوم المنشورة إلى يوم القيامة ، وكالتي السروح المنتشرة من كلا سيد الإمامه ؛ ومن لا ينفذ سهم عمل إلا إذا سُحِدَ بمواليتهم ، ولا يتألق صبح هداية إلا إذا استصبح السارى بدلالاتهم .

المملوك يقبل الأرض بمطالع الشرف ومنزله ، ومرابع المجد ومعاقله ؛ ومجالس الجود ، ومحال السجود ؛ ومختلف أنباء الرحمة المنزله ، ومرسى أطواد البسيطة المترزله ؛ ومفتر مباسم الإمامه ، ومجزر مساحب الكرامه ؛ ومكان جنوح أجنحة الملائك ، ومشتجر مناسك المناسك ، حيث يدخلون من كل باب مسلمين ، ويتبعهم ملوك الأرض مستسلمين ؛ ومشاهد الإسلام كيوم أنزل فيه اليوم أكلت لكم دينكم - وينعقد على الولاية فأما غيره فله قوله : قاتلوا الذين يلونكم ؛ ويناجها

(١) كذا في الأصول مضبا عليه وفي الضوء "المنتشرة بيد الامامة" .

بلسان جلي الإخلاص الصادق عقيدته، وأنشط الولاء السابق عقيلته، وأرهف الإيمان الناصع مضاربه، وفسح المعتقد الناصح مذاهبه، فأعرب عن خاطر لم يختر فيه لغير الولاء خطر، وقلب أعانه على ورود الولاء [أن] صفاء المصافاة فيه فطره - ويخبر أنه ما وهن عما أوجبته آلاؤه ولا وهى، ولا آنتى عزمه عن أن يقف حيث أظلت سدرة المنتهى، ووضحت الآيات لأولى النهى . والله سبحانه يزيل عنه في شرف المثول عوائق القدر وموانعه، ويكشف له عن قناع الأنوار التي ليست همته بما دون نظرها قانعه - وكان توجه منصوراً بجيش دعائه، قبل جيش لوائه، وبعسكر إقباله، قبل عسكر قتاله، وبنصال سُلطان، قبل نصال أجفانه، لاجرم أن كئاب الرعب سارت أمام الكئاب، وقواضب الحذر غمضت في جفونها عيون القواضب - وسار أولياء أمير المؤمنين الذين تجمّعوا من كل أمه، وتداعوا بلسان النعمة، وتصرفوا بيد الخدمه، وصالوا بسيف العزمه، متواخية نيأتهم في الإقدام، متألفة طويباتهم في طاعة الإمام، كالبنيان المرصوص أنتظاماً، وكالغاب المشجر أعلاماً، وكالنهار المانع حديدًا وهاجاً، وكالليل الشامل عجّاجاً عجّاجاً، وكالنهج المتدافع أصحاباً، وكالمشط المطرد أصطحاباً، والأرض ترحل برجلهم لما ترفعه الحوافر من غيومها، والسماء تنزل نزولهم لما تضعه الدوابل من نجومها، فما أنتشرت رياضها المزهره، وغياضها المشجره، إلا دلت على أن السحاب الذي سقاهم كريم، والإنعام الذي غمّهم عظيم، والدنيا التي وسعتهم من عزمهم تظعن وتقيم .

ولما علم العدو أن الخطب المظنون قد صرح خطابه، والأمل المخدوع قد صفر وطابه، راسل ورأى سلّ السيوف يُغمده، وما كَرَّ وما كَرَّ لعلمه أن الحنف يعمده، وأن دفع هاربا هائبا، وخضع كائبا كاذبا، فمضى المملوك قُدماً، وحمله ظلمه وقد خاب من حمل ظلماً، وأجابه بأنه إن وطئ البساط برجله وإلا وطئه برأسه، وإن قدم

على المملوك بأمله وإلا أقدمه بيأسه، وإن لم يُظهر أثر التوبة وإلا أقام عليه الحدَّ بسكرة الموت من كأسه؛ فلم يخرج من مراوغة تحتها مغاوره، ومكاسرة وراعتها مكاشره؛ فاستخار الله في طلبه، وأتتهز فيه فرصة شغل قلبه بريبه، ولم يغتره ما أملي له في البلاد من ثقليه؛ وسار ولم يزل مقتحما، وتقدم أول العسكر محتديما؛ وإذا الدار قد ترحل أهلها منها فبانوا، وظعنوا عن ساحتها فكانهم ما كانوا؛ ولم يبق إلا مواقد نيران رحلت قلوبهم بضرامها، وأثافي دهم أعجبت المهابة مارت سغبهم عن طعامها؛ وغربان بين كأنها في الديار ما قطع من رءوس بني حامها، وعوافي طير كانت تنظر من أشلائهم فطر صيامها؛ وعادت الرسل المنفذة لاقتفاء آثارهم وأداء أخبارهم؛ ذاكرة أنهم لبسوا الليل حدادا على النعمة التي خلعت، وغسلوا بماء الصبح أطاع نفيس كانت قد تطلعت؛ وأنهم طلّعوا الأوعار أوعالا والعقاب عقبانا، وكانوا لمهابط الأودية سيولا ولأعالي الشجر قضبانا - فرأى المملوك أن الكتاب فيهم قد بلغ أجله، والعزم منهم قد نال أمله، والفك بهم قد عمل منصله؛ وأن سيوف عساكر أمير المؤمنين منزّهة أن تريق إلا دماء أكفائها من الأبطال، وأن تلقى إلا وجوه أنظارها من الرجال؛ وأن المذكورين تمثل حطمه سليمان عليه السلام وجنوده، ورمّل أطاره العاصف الذي يسحفه ويقوده - وأصدر هذه الخدمة والبلاد من معرفتهم عاريه، والكلمة بانخفاضهم غالية عليه، وبوיד الله على أعدائه عاديه، وأنفس المخاذيل في وثاق مهابته العالية عانيه - فرأى المملوك أن يرتب بعده الأمير فلانا ليبدل الأمانات، لسوق أهل البلاد ومزارعيها، ويفصل المحاكمات، بين متابعي السلطنة ومطواعيها، ويفسح مجال الإحسان لمعاودي المواطن ومراجعيها؛ فيعمر من البلاد ما قد شغرت، ويشير بالأمنه من لا شعر؛ فإن مقام المملوك ومن معه من عساكر تمنع الشمس من مطلعها،

(١) هو بالقاء من قولهم سحفت الريح السحاب إذا ذهبت به والقاف في الأصول تصحيف .

وترد جرية البحر عن موقعها ، مما يضر بالغلل وينسفها ، ويحجف بالرعايا
ويُفسفها .

فالحمد لله الذي جعل النصر لائذاً بأعطاف أعتامه ، وأنامل الرغب السائر إلى
الأعداء محرقة عذبات أعلامه ، والعساكر المناضلة بسلاح ولائه ، تُغني باسمائها عن
مُرَهفاتها ، والكاتب المقاتلة بشعارِ علائه ، تقرأ كُتب النصر من حماتها .

الأسلوب الخامس

(أن يبدأ الكتاب بالسلام)

كما كتب القاضي الفاضل عن السلطان "صلاح الدين" أيضاً ، يعتذر له عن تأخر
الكتب ، ويذكر له خبر صاحب قسطنطينية وصاحب صقلية من ملوك النصرانية
من الروم والفرنج :

سلامُ الله الأطيب ، وبركاته التي يستدرها الحُضر والغيب ، وزكواته التي ترفع
أولياءه إلى الدرَج ، ونعمه التي لم تجعل على أهل طاعته في الدين من حرج - على
مولانا سيد الخلق ، وساد الخرق ، ومسدد أهل الحق ، ولايس الشعار الأطهر
سوادا ، ومستحق الطاعة التي أسعد الله من خصه بها بدءاً ومعاداً ، ومولى الأمة الذي
تشابه يوم نداءه وبأيسه إن ركض جوداً أو جواداً ، وواحد الدهر الذي لا يُثنى ،
وإليه القلوب تُثنى ، ولا يقبل الله جمعاً لا يكون لولائه جمع سلامة لا جمع تكسير ،
ولا استقبال قبلة ممن لا تكون محبته في قلبه تُقيم وأسمه في عمله إلى الله يسير ، مولانا
أمير المؤمنين ، وعلى آبائه المائي الأرض عدلاً ، الملاء أهلاً وفضلاً ، والضارين فيصلاً
والقائلين فضلاً ، ومن تقول الجنة لأهلها بهم أهلاً ، المخصوصين بالعناية الإلهية ،

الحاكمين فكلُّ أمةٍ بطاعتهم مأمورةٌ وعن معصيتهم منبهةٌ ، والمشرِّف في الأسارى على أسرة الشرف فكم ملات البهو مناظرهم البهية .

المملوك - يخدم الحرم الشريف باحترامه ، والفناء الكريم بإعظامه ، والبساط المقبل بطول آستلامه ، والستر الذي أسبله الله على العباد بتحيته وسلامه ، وينهى أنه آخر الخدم عن أن ينتظم الأوقات المتجددة ، ويقتضب الحالات المتجردة ، والرسل عن أن تتوارد دراكا ، وتتوالى وشاكا ، والإنهاءات عن أن تثبت بالمقامات الشريفة النبوية ، ومجالس العرض العلية ، ما انتهت إليه الأقدار ، وما أفضى إليه من كثير المناجح وقليل الأعداء ، فإن أدب الأمل عن المطالعة كالصوم لا يفض ختامه ، ولا يحل نظامه ، إلا بعيد يطلع هلاله مبشرا ، ويبت خبره في الآفاق معطرا ، فلو أن متكلفا أفر قبل مواعده ، وورد الماء قبل مواعده ، لكان مفسدا لعقده ، ناكحا لعهده .

كذلك المملوك أمسك حين كانت الأخبار بجانبه مشتبه ، والحقائق لديه غير متوجهة ، فإن طاغية الكفر بقسطنطينية وصقلية كانا قد أوقدا للحرب نارا ، ورفعا لها أوزارا ، واتخذا لها أسطولا جاريا وعسكرا جرارا ، وتباريا ولم يزد الله الظالمين إلا تبارا ، وكتبا إلى الفرنج بعد أن هزمهم بالنجدة والنصرة ، وتضمننا لهم الخروج والكره ، ويصفان ما استعدا به بما لا يعبر عنه إلا بالكثرة ، واستطارت الشناعة وتداولتها الألسن ، وخرجت من الأفواه حتى لقد كادت تدخل فيما رآته الأعين ، وورد إلى المملوك رسول من طاغية القسطنطينية وهو أقدم ملوك النصرانية قدما ، وأكثرهم مالا متما ، فعرض عليه موادعة يكون بها عسكره مودعا ، ويكون له بها مفرعا ، له ولصاحب صقلية الذي زعم أنه أصل للشر يكون الشرم منه مفرعا ، فلم ين ولم يجب إلى السلم ، ولم يزعه أن عسكره خذله الله مبار في البروفى اليم ، إن شاء الله تعالى .

الأسلوب السادس

(أن تفتح المكتبة بخطبة مفتحة بالحمد لله)

وذلك يختص بالفتوح وغيره مما حدث فيه نعمة ، وربما بدأت بآية من كتاب الله ، كما كتب العماد الأصفهاني عن السلطان " صلاح الدين يوسف بن أيوب " إلى الناصر لدين الله ببغداد يفتح القدس :

﴿ ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر أن الأرض يرثها عبادي الصالحون ﴾ .
الحمد لله على ما أنجز من هذا الوعد ، على نصرته لهذا الدين الحنيف من قبل ومن بعد ؛ وعلى أن أجرى هذه الحسنة التي ما أشتمل على شبهها كرام الصحائف ، ولم يجادل عن مثلها في المواقف ؛ في الأيام الإمامية الناصرية زادها الله غررا وأوضاحا ، ووالى البشائر فيها بالفتوح غدوا ورواحا ؛ ومكن سيوفها في كل مازق ، من كل كافر ومارق ، ولا أخلاها من سيرة سرية تجمع بين مصلحة مخلوق وطاعة خالق ، وأطال أيدي أوليائها لتحمي بالحقيقة حمي الحقائق ، وأنجزها الحق وقذف به على الباطل الزاهق ، وملكها هوادي المغارب ومرامي المشارق ؛ ولا زالت آراؤها في الظلمات مصابح ، وسيوفها للبلاد مفتح ، وأطراف أسنتها لدماء الأعداء نوازح .

والحمد لله الذي نصر سلطان الديوان العزيز وأيده ، وأظفر جنده الغالب وأنجده ، وجلا به جلايب الظلماء وجدد جرده ؛ وجعل بعد عسر يسرا ، وقد أحدث الله بعد ذلك أمرا ، وهون الأمر الذي ما كان الإسلام يستطيع عليه صبرا ، وخوطب الدين بقوله : ﴿ ولقد مننا عليك مرة أخرى ﴾ : فالأولى في عصر النبي صلى الله عليه وسلم والصحابة ، والأخرى هذه التي عتق فيها من رق الكآبه ؛ فهو قد أصبح حرا فالزمان كهيته أستدار ، والحق بمهجة قد أستنار ؛ والكفر قد ردما كان عنده من

المُسْتَعَار ، وَغُسِلَ ثَوْبُ اللَّيْلِ بِمَا جَرَّ الْفَجْرُ مِنْ أَنْهَارِ النَّهَارِ ؛ وَأَتَى اللهُ بِنِيَانِ الْكُفْرِ
 مِنَ الْقَوَاعِدِ ، وَشَفَى غَلِيلَ صُدُورِ الْمُؤْمِنِينَ بِرَقْرَاقِ مَاءِ الْمَوْرِدَاتِ الْبَوَارِدِ . أَنْزَلَ
 مَلَائِكَةً لَمْ تَظْهَرِ لِلْعُيُونِ الْأَلْحِظَةِ ، وَلَمْ تَخَفْ عَنِ الْقُلُوبِ الْحَافِظَةِ ؛ عَزَّتْ سِيَمَا
 الْإِسْلَامِ بِمَسْوَمِهَا ، وَتَرَادَفَ نَصْرُهُ بِمُرْدَفِهَا ، وَأَخَذَتِ الْقُرَى وَهِيَ ظَالِمَةٌ فَتْرَى مُتْرِفِهَا
 كَأَنَّ لَمْ تُؤَوِّ فِيهَا ؛ فَكَمْ أَقْدَمَ بِهَا حَيْرُومٌ ، وَرَكَضَ فَاتَّبَعَهُ سَحَابٌ عَجَّاجٌ مَرْكُومٌ ، وَضَرَبَ
 فَإِذَا ضَرْبُهُ كِتَابُ جِرَاحِ مَرْقُومٍ ؛ وَإِلَّا فَإِنَّ الْحُرُوبَ إِنَّمَا عَقِدَتْ سِجَالًا ، وَإِنَّمَا جَمَعَتْ
 رِجَالًا ، وَإِنَّمَا دَعَتْ خِيفًا وَثِقَالًا ؛ فَإِنَّمَا سَيُوفٌ تَقَاتِلُ سَيُوفًا ، أَوْ زُحُوفٌ تَقَاتِلُ
 زُحُوفًا ؛ فَيَكُونُ حَدُّ الْحَدِيدِ بِيَدٍ مُذَكَّرًا وَبِيَدٍ مَوْثِقًا ، وَيَكُونُ السَّيْفُ فِي الْيَدِ الْمَوْحِدَةِ
 يُغْنِي بِالضَّرْبَةِ الْمَوْحِدَةِ وَفِي الْيَدِ الْمَثَلَّةِ لَا يُغْنِي بِالضَّرْبِ مَثَلًا ؛ وَذَلِكَ أَنَّهُ فِي فِتْنَتَيْنِ
 التَّقَاتَا ، وَعَدُوتَيْنِ لَغَيْرِ مَوْدَّةٍ أَعْتَقَتَا . وَإِنْ هَذِهِ النَّصْرَةُ إِنْ زُوِيَتْ عَنْ مَلَائِكَةِ اللهِ
 بُحِدَتْ كِرَامَاتُهُمْ ، وَإِنْ زُوِيَتْ عَنِ الْبَشَرِ فَقَدْ عُمِرَتْ قَبْلِهَا مَقَامَاتُهُمْ ؛ فَمَا كَانَ
 سَيْفٌ يَتَّقِظُ مِنْ جَفْنِهِ قَبْلَ أَنْ يَنْبَهَ الصَّرِيحُ ، وَلَا كَانَ ضَرْبٌ يُطِيرُ الْهَامَ قَبْلَ ضَرْبِ
 يَرَاهُ النَّاطِرُ وَيَسْمَعُهُ الْمُصِيخُ ، فَكَمْ قَرْيَةٌ كَانَتْهَا هِجْرَةُ الْمَوْتِ وَبِهَا التَّارِيخُ ، وَكَمْ طَعْنَةٌ
 تَخَّرَ لَهَا هِضَابُ الْحَدِيدِ وَلَهَا شَمَارِيخُ .

وَالْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَعَادَ الْإِسْلَامَ جَدِيدًا تَوْبُهُ ، بَعْدَ أَنْ كَانَ جَدِيدًا حَبْلُهُ ، مُبِيضًا
 نَصْرُهُ ، مُحَضَّرًا نَصْلُهُ ، مَتَسِعًا فَضْلُهُ ، مَجْتَمِعًا شَمْلُهُ . وَالْحَادِمُ يَشْرَحُ مِنْ نَبَأِ هَذَا الْفَتْحِ
 الْعَظِيمِ ، وَالنَّصْرِ الْكَرِيمِ ؛ مَا يَشْرَحُ صُدُورَ الْمُؤْمِنِينَ ، وَيَمْنَحُ الْحُبُورَ لِكَاثَةِ الْمُسْلِمِينَ ؛
 وَيُكَبِّرُ الْبَشْرَى بِمَا أَنْعَمَ اللهُ بِهِ - مِنْ يَوْمِ الْخَمِيسِ الثَّلَاثِ وَالْعِشْرِينَ مِنْ رَبِيعِ الْآخِرِ

(١) أَيْ مِنْطَرَعًا قَالَ الشَّاعِرُ .

أَبِي حَبِي لِيَأْنِ يَسْبِيَا * وَأَمْسَى حَلْبًا حَلْفًا جَدِيدًا

فَمَا فِي الْأَصْلِ وَالنَّصْرُ مِنَ الْخَاءِ الْهَمْزَةُ الْمَسَالُ مِنَ النَّاسِ .

إلى يوم الخميس منسلخه - وتلك سبع ليالٍ وثمانية أيامٍ حُسوماً سَخَّرها الله على الكُفَّارِ ﴿قَتَرَى الْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَى كَأَنَّهُمْ أُعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ﴾ ورايتها إلى الإسلام ضاحكة كما كانت من الكُفْر بآيه ، فيوم الخميس الأول فُتِحَتْ طَبْرِيَّةٌ وفاض رِيُّ النُصْر من بُحَيْرَتِهَا ، وَقَضَتْ على جَسْرِهَا الفَرَنْجُ فَقَضَتْ نَحْبَهَا بِحَيْرَتِهَا ؛ وفي يوم الجمعة والسبت كَسِرَ الفَرَنْجُ الكِسْرَةَ التي ما لهم بعدها قائمه ، وأخذ الله أعداءه بأيدي أوليائه أخذ القُرَى وهي ظالمه . وفي يوم الخميس منسلخ الشهر فُتِحَتْ عَكَا بالأمان ، وُرِفِعَتْ بها أعلام الإيمان ؛ وهي أم البلاد ، وأختُ إرَمَ ذاتِ العِمَادِ ؛ وقد أصبحت كأن لم تَغَنَّ بالكفر وكان لم تفتقر من الإسلام .

وقد أصدر هذه المطالعة و صليبُ الصَّلْبُوتِ مَأْسُورٌ ، وقلبُ ملكِ الكُفْرِ الأَسِيرِ جيشُهُ المَكْسُورُ مَكْسُورٌ ؛ والحديدُ الكافرُ الذي كان في الكفر يَضْرِبُ وجهَ الإسلامِ ، قد صار حديداً مُسَلِّباً يُفَرِّقُ خُطُواتِ الكُفْرِ عن الأقدامِ ؛ وأنصارُ الصليبِ وِجَارُهُ ، وَكُلُّ مَنْ المَعْمُودِيَّةُ عُمُدُهُ والذِّيرُ دَارُهُ ؛ قد أحاطت به يدُ القَبْضَةِ ، وأخذَ رَهْناً فلا تُقْبَلُ فيه القَنَاطِيرُ المَقْنَطَرَةُ من الذهبِ والفضَّةِ ؛ وطَبْرِيَّةٌ قد رُفِعَتْ أعلامُ الإسلامِ عليها ، وَنَكَّصَتْ من عَكَا مِلَّةُ الكُفْرِ على عَقَبِيَّهَا ، وَعَمَّرتُ إلى أن شهِتَ يومَ الإسلامِ وهو خيرُ يومِيَّهَا ؛ بل ليس من أيامِ الكُفْرِ يومٌ فيه خيرٌ ، وقد غَسِلَ عن بلادِ الإسلامِ بدماءِ الشُّرْكِ ما كان يتخلَّلُهَا فلا ضَرَرَ ولا ضَيْرَ ؛ وقد صارت البَيْعُ مَسَاجِدَهُمْ بها من آمنَ باللهِ واليومِ الآخِرِ ، وصارت المَنَاحِرُ مَوَاقِفَ لِحُطْبَاءِ المَنَابِرِ ، وَأَهْتَرَّتْ أرضُهَا لوقوفِ المسلمينِ فيها وطالما ارتجَّتْ لمواقِفِ الكافرِ ، والبأسُ الإِمَامِيَّ الناصِرِيُّ قد أمضى مِشْكَاتَهُ على يَدِ الخَادِمِ حتَّى بالدِقِّ في الكائِسِ ، وإن عَزَّ أولُ الإسلامِ بِحَطِّ تاجِ فَاِرسِ ، فكم حَطَّتْ سِيوفُهُ في هذا اليومِ من تاجِ فَاِرسِ .

فأما القتلى والأسارى فإنها تزيد على ثلاثين ألفاً .

وأما فرسان الديوية والاستبارية فقد أمضى الله حكمه فيهم وقطع بهم سيوف نار المجيم ، ووصل الراحل منهم إلى الشقاء المقيم ، وقتك بافرنس كافر الكفار ، ومشيد لنار ، من يده في الإسلام كما كانت يد الكليم ، وأفترت النصرة عن ثغر عكا بحمد الله الذى يسر فتحها ، وتسلمتها الملة الإسلامية بالأمان وعرفت في هذه الصفقة ربحتها .
وأما طبرية فافترتها يد الحرب فأنهزت الحرب جرحها .

فالحمد لله حمدا لا تضرب عليه الحدود ، ولا تُزكى بأزكى منه العقود ، وكأنه بالبيت المقدس وقد دنا الأقصى من أقصاه ، وبلغ الله فيه الأمل الذى علم أن يُحصيه وأحاط بأجله وأقصاه ، لكل أجل كتاب ، وأجل العدو هذه الكتاب الجامع ، ولكل عمل ثواب ، وثواب من هدى لطاعته جنات نعيمه الواسع ، والله المشكور على ما وهب ، والمسئول في إدامة ما استيقظ من جد الإسلام وهب .

وقد توجه من جانبه الأمير رشيد الدين دام تأييده في إهداء هذه البشري نيابة عن الخادم ، ووصف ما يسهه الله لأوليائه من العزائم . والبلاد والمعاقل التي فتحت هي : « طبرية ، عكا ، الناصرة ، صفورية ، قيسارية ، نابلس ، حيفا ، معلية ، القزله ، الطور ، الشقيف ، وقلاع بين هذه كثيرة . والولد المظفر تقي الدين بصور وحصن تبين . والأخ العادل سيف الدين نصره الله قد أوفت (؟) بالوصول من عنده من عنده من العساكر فينزل في طريقه على غزوة وعسقلان ، ويجهز مراكب الأسطول المنصور ويكثر عددها ، ويسير بها إلى ثغر عكا المحروس ويشحنها بالرجال ويوفر سلاحها وعددها ، والنهوض إلى القدس فهذا أوان فتحه ولقد دام عليه ليل الضلال ، وقد آن أن يستقر فيه الهدى مشكور الإحسان ، إن شاء الله تعالى .

الجملة الثانية

(في المكاتبات الخاصة، إلى خلفاء بني العباس)

قال أبو جعفر النحاس : وقد يكتبُ الإمامُ بغير تصدير إذا لم يكن ذلك في شيء من الأمور التي سبيلها أن تُنشأ الكتبُ بها من الدواوين . كما كتب القاسمُ بن عبد الله إلى المكتفي مهنتاً له بالخلافة :

بسم الله الرحمن الرحيم ، والسلامُ عليك يا أمير المؤمنين ورحمةُ الله وبركاته ، وأسألُ الله أن يعظّمَ بركةَ هذا الأمرِ على أمير المؤمنين وعلى الأمة كافةً .

قال : والمستعملُ في هذا الوقت في مكتبة الوزير الإمام :

أطال الله بقاء أمير المؤمنين ! وأعزّه وأيده ، وأتمّ نعمته عليه ، وأدام كرامته له .

ثم قال : وربما استُحسنتْ مكتبة المرء وس إلى الرئيس على غير ترتيب الكتاب .

كما كتب إبراهيم بن أبي يحيى إلى بعض الخلفاء يعزّيه :

أما بعدُ فإنَّ أحقَّ من عَرَفَ حقَّ الله عليه فيما أخذ منه ، مَنْ عَظُمَ حقُّ الله عليه فيما أبواه له ، وأعلم أنَّ أجر الصابرين فيما يُصابون أعظمُ من النعمة عليهم فيما يُعاقون فيه .

الطرف الخامس

(في المكاتبات الصادرة إلى الخلفاء الفاطميين بالديار المصرية)

قد ذكر في "مواد البيان" أن المستعمل في دولتهم أن يقال بعد البسملة : أفضل صلواتِ الله وبركاته ، وأشرفِ رضوانه وتحياته ، على مولانا وسيدنا الإمام الفلاني أمير المؤمنين ، وعلى آبابه الطاهرين ، وأبنائه الأكرمين - إن كان له أبناء - فإن لم

يكن له أبناء قيل مكان الأكرمين : المنتظرين . ثم يقال بعد قضاء واسع : كتب عبد الموقف النبوي خلد الله ملكه ، من مقر خدمته بناحية كذا ، وأمور ما عُدق به ورد إلى نظره منتظمة بسعادة مولانا أمير المؤمنين - صلوات الله عليه وعلى جده - والحمد لله رب العالمين ، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله الطاهرين وسلم تسليماً .

ثم يقال : العبد يُنهي كذا وكذا ينص الأغراض التي بُني الكتابُ على إنهاؤها وشرح حالها . قال : فإن كان الكتاب مبنياً على المطالعة ببعض الأخبار ، قيل في آخره بعد قضاء يسير : ” أنهي العبد ذلك ليستقر علمه بالموقف الأشرف ” إن شاء الله تعالى .

وإن كان مبنياً على الاستمرار في بعض الأحوال ، قيل في هذا الموضع : ” ولمولانا أمير المؤمنين صلى الله عليه الرؤى العالی في ذلك ” إن شاء الله تعالى .

وهذه نسخة كتاب من هذا النمط في جواب عن كتاب ورد من الخليفة بالسؤال عن المكتوب عنه في مرضه ، وهو :

صلواتُ الله الزاكِية ، وتحياؤه الذكِيَّة الذاكِية ؛ وسلامه الذي يتنزل على الروح بالروح ، ويُؤذن من رضا الله بأشرف موهوبٍ وأكرم ممنوحٍ ، وبركائه التي فيها للمؤمنين سكن ، وبشفاعتها تُتقبل أعمال المؤمن بقبول حسن - على إمام الحق المنظور المعنى عن المنتظر ، وحجة الله التي أرسلها نذيراً للبشر ، وخليفة الله الذي نزلت بمدحه مرتلاتُ السور ، قبل مراتب السير ، وبعثه الله بالنور الذي لا يُمكن الكافر من إطفائه ، وبرهان الله الذي لا يطعم الجاحد في إخفائه ، ونائب النبوة ووارثها ، ومحيي القلوب وباعثها ، ومفيض أسرار الأنوار وناقثها ، سيدنا ومولانا الإمام الفلاني : ولا زالت الأقدار له جنوداً وجُدوداً ، والجديدان يسوقان إليه من أيامهما ولياليهما إماءً وعبيداً ، وعلى آبائه الذين سبقَتْ لهم من ربهم الحُسنى ، ورغبوا عن عرض هذا الأدنى ، ولا تتم ولا تُهم على الحيان ، ولا يُمُّ للثقلين أن ينفذوا ما لم يكونوا منهم

بِسُلْطَانٍ - وَعَلَىٰ أَبْنَائِهِ وَجْوهُ الْهَدْيِ الْبَارِزَةِ مِنَ الْأَيْدِي، وَأَيْدِي النَّدَىٰ وَالْأَعْيُنِ
وَالْأَسْنَةِ .

كتب عبد الموقف النبوي - خلد الله ملكه من مقتر خدمته بالمكان الفلاني ،
وأمر ما عُدق به ورد إلى نظره على أتم حالٍ وأكمله ، وأحسن نظام وأجمله ، بسعادة
مولانا أمير المؤمنين ، صلواتُ الله عليه وعلى جده وآبائه الطاهرين . العبد يُنهي
أنه لو أخذ في شكر المنن التي تُرقيه في كل يوم لهضاب بعيدة المرتقى ، وتورده جَمَاتٍ
قريبة المستقى ، وتوجب على لسانه أن يبذل جهداً من آسرتسل وعلى قلبه أن يبذل
جهداً من آتقى ، لقصر به الوصف ، وأعياء من ورق الجنة الخصف ، وكيف يُجاري
من يده ديمةُ الله بقلمه ، أو كيف يترجح بحر الجود الذي يمدّه سبعةُ أبحرٍ نعمه ،
ولما ورد عليه التشریف بالسؤال الذي أحياءه بنسيم رَوْحِهِ ، ونفخ فيه من رُوحِهِ ،
فوقع له ساجداً ، وثاب إلى السجود عائداً ، وبذل مع ضراعتِهِ الأبتهالَ جاهداً ،
وأخلص فرض الولاء معتقداً ورفع لواء الحمد عاقداً ، وكشف عنه الضر ، وأطلعت
على وجهه النعم الغمر ، وتكافيت الأنداد في محل عيشه فحلي الحلو ومر المتر ، وأنتهى
من الدعوات إلى ما أنتهى به المرض ، وتقلل منه الجوهر الذي عُزل به العرض ،
وصاح بمهجته السهام التي نفذ بها الغرض ، وكاد يشاهده مرتفعاً به الضنى والألم ،
فعلت أنواره في ظلمته مالا تفعل الأنوار في الظلم ، ولم يرد قبله حلواً الأول والآخر ،
بأمون الموارِد والمصادر ، مضمون الشفاء في الباطن والظاهر ، عادت القلوب
على الأجسام بفضله ، وسطت العافية على الأسقام بفضله بل بفضله ، والله سبحانه
ملكه أعناق البلاد ، كما أجرى على يديه أرزاق العباد ، إن شاء الله تعالى . وكتب
في يوم كذا من شهر كذا من سنة كذا .

الطرف السادس

(في المكاتبات الصادرة عن الملوك ومن في معانهم
إلى خلفاء بني أمية بالأندلس)

وكانت المكاتب إليهم بالافتتاح بالدعاء بطول البقاء، مع الإطناب في الإطراء في شأن الخليفة ومدحه والثناء عليه والدعاء له، والخطاب فيه للخليفة بأمر المؤمنين منعتاً بمولاي وسيدى ونحو ذلك؛ والتعبير عن المكتوب عنه بلفظ الوحدة من تاء المتكلم ونحوها. كما كتب أبو المطرف بن المثنى من إنشائه عن المنصور إلى هشام ابن الحكم يخبره بجران الصلح بينه وبين الموفق، بعد ما كان بينهما من عداوة:

أطال الله بقاء أمير المؤمنين! مولاي وسيدى وسيد العالمين، وابن الأئمة الراشدين؛ عزيزاً سلطانه، منيراً زمانه، ساميةً أعلامه، ماضيةً أحكامه؛ ظاهرًا على من ناواه، قاهرًا لمن عاداه؛ كما يحب - أيد الله أمير المؤمنين مولاي وسيدى على أحسن ما يكون عليه.

العبد المخلص، والمولى المتخصص؛ الذي حسن مضمرة، وأستوى سره وجهره؛ ولاح أستبصاره وجده، وتناهى سعيه وجهده؛ في مضمار الجرى إلى الطاعة، وبذل إذعانه وأنقياده، وأستعبد إمكانه وإجهاده؛ فيما يفى بتمكين الإمامة المهديّة، والخلافة المرضية، ويشد مباني المملكة المصدقة لتبشير اليمن والبركة؛ والله سبحانه وليّ العون والتأييد، والملى بالتوفيق والتسديد، لاربّ غيره.

وبعد - أبق الله أمير المؤمنين - فإن كتابي إليه سلف مُعربًا عن التزغة التي كانت بيني وبين الموفق مملوكه، وقد بما نزع الشيطان بين المرء وصديقه، والأخ وشقيقه؛ وضرب ساعيا بالتشتيت والتشغيب، والتبعيد والتقريب؛ بين الأب الحاني الشفيق،

والابن البرّ الرفيق ، ثم يعودُ ذُو البصائر والنهي ، وأولو الأحلام والحجّاء ، إلى ما هو
للشّخفاء أذهب ، وبالتجامل أولى وأوجب . وكتابي هذا وقد نسخ الله بيننا آية
الافتراق ، بالاتصال والاتفاق ، ومحاسمة التباين والخلاف ، وبدوّ التآلف والإنصاف ؛
وعادت النفوس إلى صفائها ، وأنطوت على وفائها ، وخبث نار الفتنة ، وأمتد رواق
الهدنة ؛ وثبتت الأسباب الراسخة ، والأواصر العاطفة بأزمة قلوبنا إلى معاهد الخلة
القديمة ، ومواطن العشرة الكريمة ؛ والمعروف من الأمتزاج في كلّ الأحوال والتشابك
وجلاء الشك باليقين ، وقرت بالانتظام العيون ، وصرنا في القيام بدعوة أمير المؤمنين
مولانا وسيدنا رضيّ لبان ، وشريكى عنان ؛ وألفى تناصر ، وحليفى تظافر ؛ فنحن
عن قويس واحدة في نصرتها نرمي ، ومن ورائها ندودُ جاهدين ونحمي ؛ قد فُتت الجياد
في السبق إلى الطاعة ، وأحرزنا قصب السبق في المظاهرة والمشايعة ؛ فما نفثنا نسعى
في تمهيدها ونذهب ، ولا ننفك نكدح لها وننصب ؛ والله الكفيل بانجادنا بعزته
وقدرته ، وحوله وقوته ؛ لا إله إلا هو .

وإن الذي عقده الله تعالى لنا ، وحسمه من دواعى القطيعة عنا ؛ ما أطرد وتأثى ،
وسنح وتها ؛ إلا بسعد طائر أمير المؤمنين سيدنا ومولانا أعزه الله ، ويمن نقيبته ،
فمن تمسك بعروته وعاد بعصمته ، فقد فاز قدحهُ ، وتبلج في ظلم الأمور صبحه ؛
وأستدل بأوضح الدليل ، وعرض بالرأى الأصيل ؛ وأستنار بأضواء سراج ، وسلك
على أقصد منهاج ؛ ولم يزابل الرشاد آراءه ، وصاحب السداد أنحاءه . والله تقدس اسمه
لا يزال يعرفنا من سعادة الدعوة الزكية ما يصلح به أحوالنا ، ويفسح به آمالنا ، بمنه .

ولما أتاح الله من السلم ما أتاحه ، وأزاح من المكروه ما أزاحه ؛ لم أجد في فسحة
ولا غنى ولا سعة ؛ من إطلاع أمير المؤمنين مولاي وسيدي من ذلك على الجليله ،

وإعلامه بالصورة؛ فأنهضتُ إلى حضرته العالية ذا الوزارتين عبد الرحمن بن مطروح رسولى وعبدى وخاصتى مملوكه لينهى إليه الحال على حقيقتها، ويوفىها بكليتها؛ وأقرنُ به رسولَ الموفق، متحملاً مثل ما تحمله رسولى، ومتقلداً كالذى تقلده، ولأمير المؤمنين مولاي وسيدى الفضل العميم فى الإصغاء إليهما، والوعى عنهما. والسماع منهما جميع ما يُوردانه ويوضحانه، ويستوفيانه ويشرحانه، والتطول بالمراجعة فيه، بما يستوجبُه ويقتضيه، واصلاً لعزيمته وأياديه، إن شاء الله تعالى.

الطرف السابع

(فى المكتبة الصادرة إلى خلفاء الموحدين بالمغرب، القائم بقاياهم الآن بتونس وما معها من سائر بلاد أفريقيا . وفيه ثلاثة أساليب)

الأسلوب الأول

(أن تُفتَح المكتبة بالدعاء، وهى على ضربين)

الضرب الأول

(أن تكون المكتبة من ملكٍ آخر)

والرسم فيه أن تُفتَح بالدعاء المناسب للحال، ويعبر المكتوب عنه عن نفسه بنون الجمع ويخاطب المكتوب إليه بأمير المؤمنين . كما كتب القاضى الفاضل عن السلطان «صلاح الدين يوسف بن أيوب» إلى المنصور يعقوب بن يوسف بن عبد المؤمن: أحد خلفائهم فى سنة خمس وثمانين وخمسمائة، يستجيشه على الروم الفرنج القاصدين بلاد الشام والديار المصرية . وهو :

فتح الله بحضرة سيدنا أمير المؤمنين ، وسيد العالمين ، وقسيم الدنيا والدين ،
 أبواب الميادين ، وأسباب المحاسن ، وأحله من كفايته في الحرم الآمن ، وأنجزه
 من نصرة الحق ما الله له ضامن ، وأصلح به كل رأى عليه الهوى رائن ، ومكن له
 في هذه البسيطة بسطه ، وزاده بالعلم غبطه ، حتى يكون للأنبياء بالعلم وللأرض
 بالعزم وإرثنا ، وحتى يُشيد بجادٍ قديما من مجده الذي لا يزال بفض الحديث حادثا .

كان من أوائل عزمنا وفواتح رأينا عند ورودنا الديار المصرية مفاتحة دولة سيدنا ،
 وأن نتيمن بمكاتبها ، وتترين بمخاطبتها ، ونهض إليها أمائل الأصحاب ، ونستسقى
 معرفتها استسقاء السحاب ، وندتجعها بالخواطر ونجعل الكتب رسلها ، وأيدي الرسل
 سبلها ، ونمسك طرفا من جبل الجهاد يكون بيد حضرة سيدنا العالية طرفه ، ونمسح
 غرة سبقي وارثها ووارث نورها سلفه ، ونتجاذب أعداء الله من الجانيين ، لاسيما
 بعد أن بُنا عنه نيابتين في نوبتين : فالأولى تطهير الأرضين المصرية واليمينية من ضلالة
 أغضت عيون الأيام على قذاتها ، وأنامت عيون الأنام بلئعة يقظتها بكرأها ، ونيابة
 ثانية في تطهير بيت المقدس ممن كان يعارض برجسه تقديسه ، ويزعج ببناء ضلاله
 تأسيسه ، وما كان إلا حجة إسلام فخرج منها المسلمون نُجوج أبيهم آدم من الجنة ،
 وأعقبهم فيها إبليس الكفر وما أجارته مما أعقبه اللعنه ، وما كانت لنا بذلك قوة
 بل لله القوة ، ولا لنا على الخلق منة بل لله المنه .

ولما حطت لدين الكفر تيجان ، وحطمت لذويه صلبان ، وأخرس الناقوس
 الأذان ، ونسخ الإنجيل القراءان ، وفكت الصخرة من أسرها ، وخف ما كان على
 قلب الحجر الأسود بخفة ما كان على ظهرها ، وذلك أن يد الكفر غطتها وغمرتها .
 فله الحمد أن أحرم الصخرة بذلك البنيان المحيط ، وطهرها ما طر من دم

الْكُفْرُ وَمَا كَانَ لِيُطَهَّرَهَا الْبَحْرُ الْمَحِيطُ ؛ فَهُنَاكَ ^(١) غَلِبَ الشَّرْكُ وَأَنْقَلَبَ صَاغِرًا ،
وَاسْتَجَاشَ كَافِرٌ مِنْ أَهْلِهِ كَافِرًا ؛ وَأَسْتَغْضَبَ أَنْفَارَهُ النَّافِرَهُ ، وَأَسْتَصْرَخَ نَصْرَانِيَّتَهُ
الْمُتَنَاصِرَهُ ؛ وَتَظَاهَرُوا عَلَيْنَا وَإِنَّ اللَّهَ مَوْلَانَا ، وَطَارَرُوا إِلَيْنَا زُرَافَاتٍ وَوُحْدَانًا ؛ فَلَمْ يَبْقَ
طَاغِيَةٌ مِنْ طَوَاغِيِهِمْ ، وَلَا أُثْفِيَّةٌ مِنْ أُنَافِيِهِمْ ؛ إِلَّا أَلْجَمَ وَأَسْرَجَ ، وَأَجْلَبَ وَأَرْجَحَ ، وَخَرَجَ
وَأُخْرَجَ ، وَجَادَ بِنَفْسِهِ أَوْ بَوْلَدِهِ ، وَبَعَدَدَهُ وَبَعُدَّهُ ؛ وَبَذَاتِ صَدْرِهِ وَبَذَاتِ يَدِهِ ،
وَبِكِتَابِهِ بَرًّا ، وَبِمَرَآكِبِهِ بِحْرًا ؛ وَبِالْأَقْوَاتِ لِلنَّخِيلِ وَالرِّجَالِ ، وَالْأَسْلِحَةِ وَالْجُنَنِ لِلْيَمِينِ
وَالشَّمَالِ ؛ وَبِالنَّقْدِينَ عَلَى اخْتِلَافِ صِنْفَيْهِمَا فِي الْجَمْعِ ، وَأَثْلَافِ وَصْفَيْهِمَا فِي النَّفْعِ ؛
وَأَنْهَضَ أَبْطَالَ الْبَاطِلِ ، مِنْ فَارِسٍ وَرَاجِلٍ ؛ وَرَامِحٍ وَنَابِلٍ ، وَحَافٍ وَنَاعِلٍ ،
وَمُوقِفٍ وَمُقَاتِلٍ ؛ كُلُّ خَرَجٍ مَتَطَوَّعًا ، وَأَهْطَعَ مُسْرِعًا ، وَأَتَى مُتَبَرِّعًا ، وَدَعَا نَفْسَهُ قَبْلَ أَنْ
يُسْتَدْعَى ؛ وَسَعَى إِلَى حَتْفِهَا قَبْلَ أَنْ يُسْتَسْعَى ؛ حَتَّى ظَنَنَّا [أَنْ] فِي الْبَحْرِ طَرِيقًا يَبَسًا ،
وَحَتَّى تَبَيَّنَّا أَنَّ مَاوِرَاءَ الْبَحْرِ قَدْ خَلَا وَعَسَا ؛ وَقَلْنَا : كَيْفَ تَتْرَكَ ، وَقَدْ عَلِمَ أَنَّهُ يُدْرَكَ ؛
وَزَادَتْ هَذِهِ الْحُشُودُ الْمُتَوَافِيَةَ ، وَتَجَافَتْ عَنْهَا الْهَيْمَةُ الْمُتَجَافِيَةَ ؛ وَكَثُرَتْ إِلَى أَنْ خَرَجَتْ
مِنْ سِجْنِ حَضْرَاهَا ، وَمَسْتَقَرَّ كُفْرُهَا ، وَبَقِيَّةُ نَفْسِهَا - وَهُوَ صُورٌ - فَنَازَلَتْ نَفْرَعَا
فِي أَسْطُولٍ مَلَكَ بِحْرَهُ ، وَجَمَعَ سَلَكَ بَرَهُ - فَهَضُنَا إِلَيْهِ ، وَنَزَلْنَا عَلَيْهِمْ وَعَلَيْهِ ؛ فَضَرَبَ
مَعَنَا مَصَافًا قُتِلَتْ فِيهِ فُرْسَانُهُ ، وَجُدَلَتْ شُجْعَانُهُ ، وَخُذِلَتْ صُلبَانُهُ ؛ وَمَاوَى الضَّرْبِ
بَيْنَ حَاسِرِ الْقَوْمِ وَدَارِعِهِمْ ، وَبَرَزَ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ إِلَى مَضَاجِعِهِمْ ؛ فَهُنَاكَ
لَاذُوا بِالْخَنَادِقِ يَحْفِرُونَهَا ، وَإِلَى السَّائِرِ يَنْصُبُونَهَا ؛ وَأَخْلَدُوا إِلَى الْأَرْضِ مُتَنَاقِلِينَ ،
وَحَمَلُوا أَنْفُسَهُمْ عَلَى الْمَوْتِ مُتَحَامِلِينَ ، وَظَاهَرُوا بَيْنَ الْخَنَادِقِ ، وَرَاوَحُوا بَيْنَ الْمَجَانِقِ ؛
وَكَأَنَّ يَجْنُ الْقَتْلُ مِنْ عَدَدِهِمْ مِائَةً أَوْ صِلَهَا الْبَحْرُ مِنْ يَصِلُ وَرَاءَهُ بِالْفِ ، وَكُلَّمَا قَلُّوا
فِي أَعْيُنِنَا فِي زَحْفٍ ، قَدْ كَثُرُوا فِيمَا يَلِيهِ مِنَ الزَّحْفِ ؛ وَلَوْ أَنَّ دُرْبَةَ عَسَا كَرْنَا فِي الْبَحْرِ

(١) لعل هذا هو جواب الشرط أول الفقرة .

كدرتبا في البر، لعجل الله منهم الانتصاف وأستقل واحدنا بالعشرة ومائتنا بالألف، وقد أشهر خروج ملوك الكفار في الجمع الجم، والعدد الدهم، كأنهم إلى نصب يوفضون، وعلى نار يعرضون، ووصولهم على جهة القسطنطينية - يسر الله فتحها - على عزم الإتمام إلى الشام في منسلخ الشتاء ومستهل الصيف، والعساكر الإسلامية لهم تستقبل، وإلى حربهم تنتقل، فلا يؤمن على ثغور المسلمين أن يتطرق العدو إليهم وإليها، ويفرغ لها ويتسلط عليها، والله من ورأيهم محيط. وإذا قسمت القوة على تلقى القادم وتوقى المقيم، فربما أضر بالإسلام انقسامها، وثلمه والعياذ بالله اثلامها.

ولما مخض النظر زبده، وأعطى الرأي حقيقة ما عنده، لم نزل مكاثرة البحر إلا بحراً من أساطيله المنصورة فإن عددها واف، وشطرها كاف، ويمكنه - أدام الله تمكينه - أن يمد الشام منه بعد كفيف، وحد رهيف، ويعهد إلى واليه أن يقيم إلى أن يرتبع ويصيف، ويمكنه أن يكف شطرا لأسطول طاغية صقلية ليحص جناح قلوعه أن تطير، ويعقل عباب بحره أن يغير، ويعتقله في جزيرته، ويجرى إليه قبل جريرته، فيذهب سيدنا وعقبه بشرف ذكر لا ترد به المحامد على عقبها، ويقوم على الكفر قيامة يطلع بها شمس النصر من مغربها، فإذا نفذ طريقه وعلم الناس بموفده، أوردوا وأصدروا في مؤرده، وشخص المسلم والكافر: هذا ينتظر بشرى البدار، وهذا يستطلع لمن تكون عقي الدار، وخاف وطأة من يصل من رجال الماء من وصل من رجال النار. ولو بزقت عليهم بازقة غربية لأغرقهم طوفانها، ولو طلعت عليهم جارية بحرية لتعقت فيهم بالشتات غربانها.

وما رأينا أهلاً لهذه العزمة إلا حضرة سيدنا أدام الله صدق محبة الخير فيه،^(١) إذ كان منحه عادة في الرضى به وقدرته على الإجابة، ورغبة في الإنابة، ولاية لأمر

(١) كذا في الأصول ولم نعر عليها في رسائل القاضي الفاضل.

المسلمين ، ورياسة للدين والدنيا ، وقيامًا لسلطان التوحيد القائم بالموحدين ،
وغضبًا لله ولدينه ، وبذلاً لمذخوره في الذب عنه دون ما عوده ، والآن فقد خلا
الإسلام بملائكته ، لما خلا الكفر بشياطينه ، وما أجلت السوابق إلا لإطلاقها ،
ولا أثلت الذخائر إلا لإنفاقها ، وقد آستشرف المسلمون طلوعها من جهته المحروسة
جارا من الأساطيل تغشى البحار ، وليالي من المراكب تركب من البحر النهار ،
وإذا خفقت قلوبها خفقت للقلاع قلوب ، وإذا نجافت جنوبها عن الموج تجافت
من الملاعين جنوب ، فهي بين نغر كفر تعقله وتحصره ، وبين نغر إسلام تفرج
عنه وتتصره ، يكون بها مصائب عند المسلمين (؟) وتظل قلائد المشركين لغربان بحره
طرائد ، ويمضى سيف الله الذي لا يعدم في كل زمان فيعلم معه أن سيف الله خالد ،
أعز الله الإسلام بما يزيد حضرة سيدنا من ممرها ، فيما مدد عليها من ظلها ،
وبما يسكنه من حرزها ، فيما يبسط على الأعداء بها من بأسها ويُنزل بهم من
رجزها ، وبما يجرده من سيوفها التي تقطع في الكفر قبل سلها وهزها .

وقد أوفدناه على باب حضرة سيدنا ، وهو الداعي المسمع ، والمبلغ المقنع ،
والمجمع المستجمع ، علمناه أمرا يسرا ، وبأناه الصدر فكان وجها ، وأودعناه السر
فكان صدرا .

الضرب الثاني

(أن تكون المكاتبه صادرة عن بعض الأتباع)

والرسم فيه أن تفتح المكاتبه بالدعاء بطول البقاء ، مثل أن يكتب أحد أتباعه
إليه ، ويعبر المكتوب عنه عن نفسه بلفظ الأفراد ، وعن الخليفة بأمر المؤمنين .
كما كتب أبو الميمون عن بعض أهل دولتهم إلى بعض خلفائهم جواب كتاب ورد
بالكشف عن عامل نغر شقورة .

« أطال الله بقاء أمير المؤمنين ، وناصر الدين والدنيا بفضله العميم ، ولا برحت
مصالح العباد بباله الكريم جائلةً مائله ، وسيرته الحميدة لدانهم وقاصيهم شاملةً
كافله ، ولا زال الله في أرضه بالقسط قائماً ، وعلى ما ينفع الناس محافظاً دائماً .
كتبته - أيد الله أمره ! صدر جمادى الأولى ، سنة أربع وعشرين وخمسمائة ، بعد
أمثال ما حده ، والانتها إلى ماوجب الانتهاء عنده ، من أمر ثغر شقورة حرسه الله !
على ما أنص مناقله ، وأعرض مراتبه ومنازله ، وذلك أن كتابه العزيز وافاني على
يد رجل من أهلها فيه فصول رفعها ، وأحاديث سطرها وجمعها ، وأندرج الكتاب
المرفوع بذلك طيه ، لينظر إليه من ادعى عليهم رفعه ، ويستبين حقيقته أو وضعه ،
وبإبطاء هذا الرفع سبقته الأنباء ، وأستقرت عند جمعها الأفاض والأئمة ، فاجتمعوا
إلى عاملهم فلان وفقه الله ، وحضرهم حاكم الجهة أبقاه الله ، وتبعوا تلك الوجوه
بالرد لها ، والإنكار على القائم بها ، وعقدوا في كل عقد منها عقداً يناقضه ،
وأستظهروا بشهادات تنافيه وتعارضه ، وأندرجت العقود ، ثابتة في كتاب الحاكم على
السبيل المعهود في إثبات العقود ، فثبتت عندي لثبوتها عنده ، وخاطبوني مع ذلك
متبرين من هذا الرفع ، واضعين له في عقله ودينه بأحط المواضع ، وصرحوا بارتضائهم
بسيرة عاملهم وأغباطهم بحمايته وسداد نظره ، وعلى تئفة ذلك وصل هذا الرفع
بالكتاب العزيز وما أندرج طيه على ما قدمت ذكره ، فاستأنفت النظر ، وأعدت
العمل ، وخاطبت الحاكم والأعيان والكافة هنالك بما ورد في أمرهم ، وأردفت
الكتاب المرفوع ليقفوا على نصه ، وينظروا إلى شخصه ، فراجعوني أنه لا مزيد عندهم
على ما قدموه ، ولا خلاف فيما تقدموه وأحكموه ، وأحالوا على ما تثبت به العقود ،
وهي من الناس المقاطع والحدود ، فأقتضى النظر إعلام أمير المؤمنين وناصر الدين
أعلى الله أمره ، حسب ما حده ، بما وقعت عليه الحال ، ليرتفع الإشكال ،

ولا يتعلق بهذه الحبيبة البال ، وقد أدرجتُ إلى حضرته السامية الكتب المذكورة لتعرض عليها ، وتستقر الجلية منها لديها ، إن شاء الله .

وأندرجت العقودُ إلى الفقيه فلان قاضي الحضرة وفقه الله ، والله يشكرُ أمير المؤمنين وناصر الدين تحرّيه وأجتهاده ، وتوفيقه وسداده ، ويوالي من والاه ، ويكيد من عاداه . ولو كانت الحال بشقورة على ماصوره هذا الرفع لما أنطوت عنى أسرارها ، ولا [خفيت على] على البعد أخبارها ، وسفوف إلى فلانة ^(١) بين ، وهو متشرع متدين ، وعضده على ما هو بسبيله في ذلك الثغر متعين ، والله ييسر الجميع إلى ما يقضى حقوق النعمة ، ويُقيم فروض الخدمة ، بعونه وقدرته ! .

الأسلوب الثاني

(أن تفتح المكاتبه بالقاب الخليفة نفسه ثم يوتى بالصدر معبرا عن المكتوب ، عنه بالعبد . ومخاطبا للخليفة بيمين الجمع للتعظيم ، ويختتم الكتاب بالسلام . وهو على ضربين)

الضرب الأول

(أن يوصف الخليفة بالمقام)

كما كتب أبو الميمون أيضا عن بعض أهل دولتهم إلى الناصر لدين الله أحد خلفائهم :

المقام الأعلى ، المقدس ، المكرم ، الإمامي ، الطاهر ، الزكي ، مقام الخليفة المؤيد بنصر الله ، الإمام « الناصر لدين الله » كلاً الله جلالهم ، وفيأ ظلالهم ، وبوأ وفود السعود ووجود الظهور والصعود مواطهم المقدسة وحلالهم .

(١) كذا في الأصول وعليه علامة توقف ولعله وتغلف والى فلانة الخ والمراد براءته مما نسب إليه .

عندهم المتقلب في نعمتهم ، المتقرب إلى الله عز وجل بالمناصحة في خدمتهم ،
المتسبب إلى الزلنى عندهم بالتزام طاعتهم ، والاعتصام بعصبتهم ، فلان .

كتب عبدُ المقامِ الأعلى ، والندى الذي أسس بنيانه على تقوى من الله ورضوان
وأحتوى على الفضائل وأستولى ، من موضع كذا حماه الله تعالى ؛ وجنانه لطاعتكم
قُطب ، ولسانه بشكر نعمتكم رطب ؛ فبتلك رجاء الفوز ، وبها ابتغاء نيل الآمال
والحوز ؛ وكيف لا يطاوعه الجنان ، وشكر اللسان مستعد لإدراك الإحسان ؛ وللمقام
الأسنى عوارف ، لا يتقلص ظلها الوارف ، وقطرات بالرحمة مسطرات بمذرار سبحاتها
الواكف ؛ وقد كانت للعبد سهام ، فاضت عليه بها من النعمة رهام ؛ ثم جزر الماء
باسترجاعها الآن ، وسقى العبد بانتزاعها كأس الحزن ملاءت ؛ وردت لك بهذه
الجهة أنقطاع المواساه ، وأمتناع الألسن بالمكابدة لشطف العيش والمقاساه ؛
وإلى المقام الأعلى الأسنى نفع حين نفع ، ونذهب حين نرجو ونهرب ، ونلجا
فلا تؤخر طلباتنا ولا ترجا ، وخدمة العبد هذه تتوب عنه في تقبيل ذلك المقام الأسمى ،
والتعرض لما عهد لديه من نفحات الرضى ، والتضرع في إدراك ما جزر من تلك
المنة ، وغيب من فيض تلك النعمى ؛ وينهى من رغبته في بركة تلك الأدعية ،
التي هي للخيرات كالأوعيه ؛ ما يرجوه بشفاعة تأكد الأمتنان ، ومجرد عوارف الرافة
والحنان ؛ إن شاء الله تعالى .

والرب تعالى يبقى المقام الأعلى والنصر له مظاهر ، والخير لديه متظاهر ،
والسعد لوليّه ناصر ، ولعدوه قاهر ، بحول الله تعالى وقوته لا رب غيره ، ولا خير
إلا خيره ؛ والسلام .

الضرب الثاني

(أن يعبر عن الخليفة بالحضرة)

كما كتب أبوالمطرف بن عميرة عن صاحب أرغون من الأندلس إلى المستنصر بالله أحد خلفائهم ، يستأذنه في وفادة صاحب أرغون من الأندلس أيضا على أبواب الخلافة مغاضباً لأهل مملكته :

الحضرة الإمامية المنصورة الأعلام ، الناصرة للإسلام ، المخصوصة من العدل والإحسان بما يجلو نوره متراكم الإظلام ؛ حضرة سيدنا ومولانا الخليفة الإمام المستنصر بالله أمير المؤمنين ، أبي يعقوب ابن سادتنا الخلفاء الراشدين ؛ وصل الله لها إسعاد القدر ، وإنجاد النصر والظفر ؛ ولا زال مقامها الأعلى سامي النظر ، مبارك الورد والصدور ؛ ويفيض منه الجود ، فيض المطر ، ويحيط به السعود ، إحاطة الهالة بالقمر .

نشأة أيامها الغر ، وربى إنعامها المواظب على الحمد والشكر ، المشرف باستخدامها الذي هو نعم العون على التقوى والبر ، عبدها وابن عبدها فلان .

سلام الله الطيب المبارك وتحياته ، تخص المقام الأشرف الأعلى ورحمة الله وبركاته . وبعد فكتب العبد - كتب الله للمقام الأعلى فتوحا يعم جميع الأمصار ، وسعوداً يقضي بقل السمر الطوال والبيض القصار - من بلنسية ، وبركاته تظهر ظهور النهار ، وتفيض على البلاد والعباد فيض الأنهار ، فالخلق من وارد في سلسالها المعين ، وراج للذي منها وهو من رجائه على أوضح مراتب اليقين ؛ والله يبقى عز الإسلام بجنائه ، ويعيننا على أمثال أوامره المباركة معشر عبيده وأرقائه ! بمنه .

(١) وقد تقرر له من المقام الكريم - أدام الله علوه ، وكبت عدوه ، أمر بالسك -
وطال ماله في البلاد الأرغونية من زعامة في شأوها برز ، ولغايتها أحرز ، وكان
قد كفّل صاحب أرغون في الزمان المتقدم كفالة دار أمرها عليه ، وألقى زمامها
إليه ، وتفرد منها بعيب وحمله ، وخطة بلغ منها أملة ، ثم إنه حط من رتبته ،
وتأكدت المبالغة في نكته ، لقضية عرضت له مع أهل أرغون ، فلفظته تلك
الجنّات ، وأزعجه أمر لم يمكنه عليه الثبات ، ورأى أن يلجأ بحاله إلى المقام الباهر
الأنوار ، العزيز الجوار ، فواصل هذا الموضع قبل مقدم العبد عليه ، مقرراً ما نزل به ،
ومستأذناً في الوجه الذي تعرض لطلبه ، فأذن له في مقصده ، وأنصرف عن التأهب
للحركة من بلده ، ثم لما وصل العبد هذه الجهة وفرغ هو من شأنه أقبل متوجّهاً إلى
الباب الكريم ، ومتوسّلاً بأمله إلى فضله العميم ، والظاهر من حنقه على أهل أرغون
وشدة عداوته لهم ، وما تأكّد من القطيعة بينه وبينهم ، أنه إن صادف وقت فتنه
معهم ووجد ما يؤمّله من إحسان الأمر العالی أيده الله فينتهي من نكائتهم والإضرار
بهم إلى غاية غريبة الآثار ، مفضية به إلى درك الشار ، وكثير من زعماء أرغون
ورجالها أقاربه وفرسانه ، وكلّهم في حبله حاطب ، ولإنجاده متى أمكنه خاطب ،
وللقام الكريم أعلى الرأي فيه أبقاه الله شافياً للعلل ، وكافياً طوارق الخطب الجلل ،
مأمولاً من ضروب الأمم وأصناف الملل ، وهو سبحانه يديم سعادة جدّه ، ويخصّه
من البقاء الذي يسرّ أهل الإيمان ويضعف بهجة الزمان بأطوله وأمدّه ،
والسلام .

(١) كذا في الأصول بالاهمال وعليه علامة التوقف ، ولم نهت إليه .

الأسلوب الثالث

(أن تُفتَحَ المكتبةُ بأوصافِ الخلافةِ والثناءِ عليها، والخطابُ فيه بأمير المؤمنين

وعن المكتوب عنه بنون الجمع)

وهذه المكتبة من المكاتبات البديعة المُسْفِرة عن صُبْحِ البلاغة .

ونسختها بعد البسمة على ما كتب به ابن الخطيب عن سلطانه ابن الأحمر صاحب الأندلس إلى المستنصر بالله أبي إسحاق إبراهيم خليفة الموحدين يومئذ بالأندلس . والاستفتاح :

الخلافةُ التي أرتفع عن عقائدِ فضلها الأصيلِ القواعدِ الخِلافِ ، واستقلت مَبَانِي
نخريها الشائعِ وعِزُّها الذائعِ على ما أسسه الأسلافُ ؛ ووجب لحقها الجازمِ وفرضها
اللازمِ الاعترافِ ؛ ووسعت الآملين لها الجوانبُ الرحيبَةُ والأكثافُ ، فامتأجنا بعلائها
المُنِيفِ ، وولآئها الشريفِ ، كما أمتزج الماءُ والسُلافُ ؛ وشأؤنا على مجدها الكريمِ ،
وفضلها العميمِ ، كما تأرجت الرِّياضُ الأفوافِ [لَمَّا زارها الغمامُ الوكَّافِ^(١)] ودُعَاؤنا بطولِ
بقائها ، وأتصالِ علائها ، يَسْمُو به إلى قرعِ أبوابِ السمواتِ العُلا الاستشراقِ ؛
وحرصنا على تَوْفِيَةِ حقوقها العظيمةِ ، وفواضيلها العميمةِ ، لا تحصره الحدودُ ولا تُدرِكه
الأوصافُ ؛ وإن عَدَّر في التقصيرِ ، عن نيلِ ذلك المرامِ الكبيرِ ، الحقِّ والإنصافِ . خلافةُ
وَجْهَةٌ تعظيمنا إذا توجَّهت الوجوهُ ، ومَنْ نُؤثره إذا همَّنا ما نرجوه ، ونُقَدِّيه ونُبَدِّيه
إذا اسْتُمْنِحَ المحبوبِ وأسْتُدْفِعَ المكروهُ ؛ السلطانِ [الخليفة^(١)] الجليلِ ، الكبيرِ ، الشهيرِ ،
الامامِ ، الهامِ ، الأعلى ، الأوحدِ ، الأضعَدِ ، الأُسعدِ ، الأسمى ، الأعدلِ ، الأفضلِ ،
الأسنى ، الأظهرِ ، الأظهرِ ، الأرضي ، الأحفلِ ، الأكلِ ، أمير المؤمنين أبي إسحاق

(١) الزيادة من كتاب "ريحانة الكتاب" المخطوط المحفوظ بدار الكتب الخديوية تحت نمرة ٤

أدب ش .

أبن الخليفة الإمام البطل الهام؛ عين الأعيان، وواحد الزمان؛ الكبير، الشهير؛
 الطاهر، الظاهر؛ الأوحى، الأعلى، الحسيب، الأصيل، الأسمى، العادل،
 الحافل، الفاضل، المعظم، الموقر، الماجد، الكامل، الأرضي، المقدس، أمير المؤمنين
 أبي يحيى أبي بكر، ابن السلطان الكبير، الجليل، الرفيع، الماجد، الظاهر، الطاهر،
 المعظم، الموقر، الأسمى، المقدس، المرحوم أبي زكريا، ابن الخليفة الإمام، المجاهد الهام
 [الكبير الشهير، الخطير، بطل الميدان، مَفخر الزمان، الطاهر الظاهر، الأَمْضى المقدس
 الأرضي أمير المؤمنين أبي إسحاق ابن الخليفة^(١)] الهام الامام ذى الشهرة الجامحة، والمفآخر
 الواضحة؛ علم الأعلام، نحر السيف والأقلام؛ المعظم، الممجّد، المقدس، الأرضي،
 أمير المؤمنين، المستنصر بالله أبي عبد الله بن أبي زكريا ابن عبد الواحد بن أبي حفص
 أبقاه الله. ومقامه مقام إبراهيم رزقا وأمانا، لا ينحس جَلْبُ الثمرات إليه وقتنا ولا يُعِين
 زمانا، وكان على من يتخطف الناس من حوله مؤيدا بالله معانا. معظم قدره العالى
 على الأقدار، ومقابل داعى حقه بالابتدار؛ المثنى على معاليه المخلدة الآثار،
 فى أصونة النظام والنثار، ثناء الروضة المعطار على الأمطار؛ الداعى إلى الله بطول
 بقائه فى عصمة منسدة الأستار، وعزّة ثابتة المَرَكز مستقيمة المَدَار، وأن يختم له
 بعد بلوغ غايات الآجال ونهايات الأعمار، بالزلفى وعُقْبى الدار.

سلام كريم كما حملت نسمة الأسمار، أحاديث الأزهار، وروت نُغورُ الأقاحى
 والبحار، عن مسلسلات الأنهار، وتجلّى على منصبة الأشتهار، وجه عروس النهار،
 [ينحس خلافتكم الكريمة النّجار^(١)] العزيزة الجار، ورحمة الله وبركاته.

أما بعد حمد الله الذى أخفى حكمته البالغة عن أذهان البشر، فعجزت عن قياسها،
 وجعل الأرواح كما ورد فى الخبر، أجنادا مجنّدة تَحِنُّ إلى أجناسها. مُنجد هذه

(١) الزيادة من "ريحانة الكتاب".

الملة ، من أوليائه الحلة ، بمن يروض الآمال بعد شماسها ، وَيَسِّرُ الأَغْرَاضَ قَبْلَ
 آتَمَاسِهَا ، وَيُعْنِي بِتَجْدِيدِ المَوَدَّاتِ فِي ذَاتِهِ وَأَبْتِغَاءِ مَرْضَاتِهِ عَلَى حِينِ إِخْلَاقِ لِبَاسِهَا ،
 المَلِكِ الحَقِّ وَاصِلِ الأَسْبَابِ بِحَوَلِهِ بَعْدَ آتَمَاتِ أَمْرَاسِهَا ، وَمُعْنِي النُّفُوسَ بِطَوَلِهِ
 بَعْدَ إِفْلَاسِهَا - حَمْدًا يُدِرُّ أَخْلَافَ النِّعَمِ بَعْدَ إِبْسَاسِهَا ، وَيُنَشِّرُ رَمَمَ الآمَالِ مِنْ أَرْمَاسِهَا ،
 وَيُقَدِّسُ النُّفُوسَ بِصِفَاتِ مَلَائِكَةِ السَّمَوَاتِ بَعْدَ إِبْلَاسِهَا .

وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى سَيِّدِنَا وَمَوْلَانَا مُحَمَّدٍ رَسُولِهِ سِرَاجِ الهِدَايَةِ وَنَبْرَاسِهَا ، عِنْدَ
 أَقْتِنَاءِ الأَنْوَارِ وَأَقْتِبَاسِهَا ، مَطَهَّرِ الأَرْضِ مِنْ أَوْضَارِهَا وَأَدْنَسِهَا ، وَمُصْطَفَى اللهِ مِنْ
 بَيْنِ نَاسِهَا ، وَسَيِّدِ الرُّسُلِ الكِرَامِ مَا بَيْنَ شَيْثِهَا وَإِبَاسِهَا ، الآتِي مُهَيِّمًا عَلَى آثَارِهَا
 فِي حِينِ فَتْرَتِهَا ، وَمِنْ بَعْدِ نَضْرَتِهَا وَأَسْتِنَاسِهَا ، مُرْغِمِ الضَّرَاجِمِ فِي أَخْيَاسِهَا ، بَعْدَ أَفْتَرَارِهَا
 وَأَفْتَرِاسِهَا ، وَمَعْفَرِ أَجْرَامِ الأَصْنَامِ وَمُضْمِتِ أَجْرَاسِهَا .

وَالرِّضَا عَنْ آلِهِ وَأَصْحَابِهِ وَعِزَّتِهِ وَأَحْزَابِهِ حِمَاةِ شِرْعَتِهِ البِيضَاءِ وَحُرَاسِهَا ، وَمُلْقِحِي
 غِرَاسِهَا ، لُبُوثِ الوَغَى عِنْدَ أَحْتِدَامِ مِرَاسِهَا ، عُرْهُبَانِ الرِّجَاءِ تُتَكَفَّلُ بِمَنَاجَاةِ السَّمِيعِ
 العَلِيمِ ، فِي وَحْشَةِ اللَّيْلِ البَهِيمِ ، بِإِبْنِاسِهَا ، وَتَفَاقُوحِ نَوَاسِمِ الأَسْحَارِ عِنْدَ الأَسْتِغْفَارِ
 بِطِبِّ أَنْفَاسِهَا .

وَالدُّعَاءُ لِخِلَافَتِكُمُ العَلِيَّةِ المَسْتَنْصِرِيَّةِ بِالسَّعَادَةِ الَّتِي تَشَعُّعُ أَيْدِي العِزَّةِ القَعَسَاءِ مِنْ
 أَكْوَاسِهَا ، وَلَا زَالَتِ العِصْمَةُ الإِلَهِيَّةُ كَفِيلَةً بِاحْتِرَامِهَا وَأَحْتِرَاسِهَا ، وَأَنْبَاءِ الفُتُوحِ ،
 المُؤَيَّدَةِ بِالمَلَائِكَةِ وَالرُّوحِ ، رِيحَانِ جُلَاسِهَا ، وَآيَاتِ المَفَاحِرِ ، الَّتِي تَرَكَ الأَوَّلُ لِلآخِرِ ،
 مَكْتَتِبَةَ الأَسْطَارِ بِأَطْرَاسِهَا ، وَمِيَادِينِ الوُجُودِ مَجَالًا لِجِيَادِ جُودِهَا وَبَاسِهَا ، وَالعِزُّ
 وَالعَدْلُ مَنْسُوبِينَ لِنُفْسَاطِهَا وَقِسْطَاسِهَا ، وَصَفِيحَةُ النُّصْرِ العَزِيزِ تُفِيضُ كَفُّهَا
 المُؤَيَّدَةُ بِاللَّهِ عَلَى رِيَاسِهَا ، عِنْدَ أَهْتِيَاجِ أَضْدَادِهَا وَشِرَّةِ إِنْكَاسِهَا ، لِأَتَهَابِ البِلَادِ
 وَأَتَهَاسِهَا ، وَهَبُوبِ رِيَاحِ رِيَاحِهَا وَتَمَرُّدِ مَرْدَاسِهَا .

فإننا كتبناه إليكم - كتب الله لكم من كتائب نصره أمدادا تُدْعَنُ أعناقُ الأنام،
 لطاعة ملككم المنصورِ الأعلامِ ، عند إحساسها ، وآتاكم من آيات العِناياتِ آيةً
 تُضْرِبُ الصخرةَ الصَّماءَ ممن عصاها بعصاها فتبادر بانجاسها - من حمراءِ غرناطة -
 حرسها الله - وأيامُ الإسلامِ ، بعناية الملك العلامِ ، تحتفل وفودُ الملائكة الكرامِ
 لولائمها وأعراسها ، وطواعينُ الطَّعانِ ، في عدوِّ الدينِ المُعانِ ، تجدد عهدُها
 بِعامِ عَمَواِسِها .

والحمدُ لله حمداً يُعيد شوارِدَ النِّعمِ ، ويستدرُّ مواهبَ الجُودِ والكرمِ ، ويؤمِّنُ من
 أنتكاب الجُدودِ وأنتكاسِها ، ولِيَّ الآمالِ ومِكاسِها . وخلافتكم هي المثابَةُ التي
 يُزهِى' الوجودُ بمحاسنِ مجدها زهُوَّ الرِّياضِ بورِدِها وآسِها ، وتُسَمِّدُ أضواءَ الفضائلِ من
 مِقباسِها ، وتروى رُواةُ الإفادةِ والإجادةِ غريبَ الوجودِ عن صَحَّاكها وعَبَّاسِها ،
 وإلى هذا أعلى اللهُ معارجَ قَدْرِكُمْ وقد فَعَلَ ، وأنطق بِجُجَجِ نَحْرِكُمْ من أحتفى' وأنتعل ؛
 فإنه وصلنا كتابكم الذي حَسِبناه على صنائعِ الله لنا تيممةً لا تَلْقَعُ بعدها عينٌ ، وجعلناه
 على حُلِّ مواهبِهِ قِلادةً لا يُحتاج معها زِينٌ ، ودَعَوناه من جِيبِ الكِتابَةِ آيةً بيضاءَ الكِتابَةِ
 لم يبق معها شكٌّ ولا مِينٌ ، وقرأنا منه وثيقةً ودَّ هُضمِ فيها عن غريمِ الزمانِ دِينٌ ؛
 ورأينا منه إنشاءً ، خَدَمَ اليراعُ بين يديه وشَاءَ ، وأخترع بهِمِيانَ عُقدته مَشَاءَ ، وسِئِلَ
 عن معانيهِ الأَختراعُ فقال : إِنَّا أنشأناهنَّ إنشاءً ؛ فأهلاً به من عَرَبِيٍّ أتى يَصِفُ
 السائحَ وألبانه ، وَيُبينُ فَبِحُسْنِ الإبانةِ أَدَى الأمانه ، وسِئِلَ عن حِيَّه فانتَمى إلى كِتابِهِ ؛
 وَأفصحَ وهو لا يَنبِيسُ ، وتهلَّتْ قَسِماتِهِ وِليلُ حِبرِهِ يَعِيسُ ؛ وكأَنَّ خاتمةَ المُقفلِ على
 صِوانِهِ ، المُتَحَفِ بيا كر الوردِ في غيرِ أوانِهِ ، رَعَفَ مِنْ مَسكِ عُنوانِهِ . والله من قَلَمِ

(١) ضبب عليه في الاصول بعلامة التوقف ولم نهتد الى تثقيفه .

دَبَّحَ تِلْكَ الْحُلَّلَ ، وَنَقَعَ بِجُحَاجِ الدَّوَاةِ الْمُسْتَمِدَّةِ مِنْ عَيْنِ الْحَيَاةِ الْغُلَّلَ ؛ فَلَقَدْ تَخَارَقَ فِي الْجُودِ ، مُقْتَدِيًا بِالْخِلَافَةِ الَّتِي خُلِّدَتْ نَفْرُهَا فِي الْوُجُودِ ؛ بِخَادِ بَسْرِ الْبَيَانَ وَبُأَبَاهِ ، وَسَمَّحَ فِي سَبِيلِ الْكَرَمِ حَتَّى بَمَاءِ شَبَابِهِ ؛ وَجَمَعَ لِفَرْطِ بَشَاشَتِهِ وَفَهَامَتِهِ ، بَعْدَ شَهَادَةِ السَّيْفِ بِشَهَامَتِهِ ، فَمَشَى مِنَ التَّرْحِيبِ فِي الطَّرْسِ الرَّحِيبِ عَلَى أُمَّ هَامَتِهِ .

وَأَكْرَمَ بِهِ مِنْ حَكِيمٍ أَفْصَحَ بَمَلْفُوزِ الْإِكْسِيرِ ، فِي الْلَفْظِ الْيَسِيرِ ، وَشَرَحَ بِلِسَانِ الْخَبِيرِ ، سِرَّ صِنَاعَةِ التَّدْيِيرِ ؛ كَأَنَّمَا خَدَمَ الْمَلَكَةَ السَّاحِرَةَ بِتِلْكَ الْبِلَادِ ، قَبْلَ اشْتِجَارِ الْخِلَادِ ، فَآثَرْتَهُ بِالطَّارِفِ مِنْ سِحْرِهَا وَالتَّلَادِ ؛ أَوْ عَثَرَ بِالْمَعْلَقَةِ ، وَتِيكَ الْقَدِيمَةَ الْمَطْلُوقَةَ ؛ بِدَفِينَةِ دَارِ ، أَوْ كَتَرْتَحْتَ جِدَارِ ، أَوْ ظَفِرَ لِبَانِي الْحَنَايَا ، قَبْلَ أَنْ تَقْطَعَ بِهِ عَنْ أَمَانِيهِ الْمَنَايَا ، بِبِدْيَعِهِ ، أَوْ خَلَّفَ جَرَجِيرَ الرُّومِ ، قَبْلَ مَنَازِلَةِ الْقُدُومِ ، عَلَى وَدِيْعِهِ ؛ أَوْ أَسْهَمَهُ أَبْنُ أَبِي سَرْحِ ، فِي نَسَبِ الْفَتْحِ وَسَرْحِ ؛ أَوْ حَسَمَ لَهُ رَوْحُ بْنُ حَاتِمٍ بِبُلُوغِ الْمَطْلَبِ ، أَوْ غَلَبَ الْحِظْوِظَ بِخُدْمَةِ آلِ الْأَغْلَبِ ؛ أَوْ خَصَّصَهُ زِيَادَةُ اللَّهِ بِمَزِيدِ ، أَوْ شَارَكَ الشَّيْعَةَ فِي أَمْرِ أَبِي يَزِيدِ ؛ أَوْ سَارَ عَلَى مِذَاجِ ، فِي مُنَاصِحَةِ بَنِي صِنْهَاجِ ، وَفَضَّحَ بِتَخْلِيدِ أَمْدَاحِهِمْ كُلِّ هَاجِ .

وَأَعْجَبَ بِهِ ! وَقَدْ عَزَزَ مِنْهُ مَثْنَى الْبَيَانِ بِثَالِثِ ، بِجَلَبِ سِحْرِ الْأَسْمَاعِ ، وَأَسْتَرْقَاقِ الطَّبَاعِ بَيْنَ مَثَانِي الْإِبْدَاعِ وَمَثَالِثِ . كَيْفَ آقْتَدَرَ عَلَى هَذَا الْمُجِيدِ ، وَنَاصِحِ مَعَ التَّثْلِيثِ مَقَامِ التَّوْحِيدِ ؛ نَسْتَغْفِرُ اللَّهَ وَإِلَى الْعَوْنِ ، عَلَى الصَّمْتِ وَالصَّوْنِ ، فَالْقَلَمِ هُوَ الْمَوْحَدُ قَبْلَ الْكَوْنِ ، وَالْمُتَّصِفُ مِنْ صِفَاتِ السَّادَةِ ، أَوْلَى الْعِبَادَةِ ، بِضُمُورِ الْجِسْمِ وَصُفْرَةِ اللَّوْنِ ؛ إِنَّمَا هِيَ كِرَامَةٌ فَارُوقِيَّةٌ ، وَأَنَارَةٌ مِنْ حَدِيثِ سَارِيَّةٍ وَبَقِيَّةٍ ؛ سَفَرَتْ وَجْهَهَا فِي الْأَعْقَابِ ، بَعْدَ طُولِ الْإِنْتِقَابِ ، وَتَدَاوُلِ الْأَحْقَابِ ، وَلِسَانُ مُنَابِ ، عَنْ كَرِيمِ جَنَابِ ؛ وَإِصَابَةُ السَّهْمِ لِسِوَاهِ مُحْسُوبَةٍ ، وَإِلَى الرَّامِي الَّذِي سَدَّدَهُ مَنْسُوبَةٍ ؛ وَلَا تُشْكِرُ

على الغمام بارقه، ولا على المتحققين بمقام التوحيد كرامة خارقه، فما شاءه الفضل من غرائب بروجد، ومحاريب خلق كريم رجع الشكر فيها وسجد. حديقه بيان استنارت نواسم الإبداع من مهبتها، واستنارت غمام الطباع من مصبتها، فأتت أكلها مرتين بإذن ربها؛ لا، بل كتيبة عز طاعت بقنا الألفات سطورها، فلا يرومها التقد ولا يطورها، ونزعت عن قسي الثنونات خطوطها، وأصطفت من بياض الطرس وسواد النفس بلق تحوطها.

فكأس المدير، على الغدير، بين الخورنق والسدير، تقامر بنرد الحباب، عقول ذوى الألباب، وتغرق كسرى في العباب، وتهدى وهى الشمطاء نشاط الشباب؛ وقد أسرج ابن سريج وألجم، وأفصح الغريض بعد ما جمجم، وأعرب الناي الأتجم؛ ووقع معبد بالقضيب، وشرعت في حساب العقدة بنان الكف والخضيب؛ وكان الأنايل فوق مثاليث العود ومثانيه، وعند إغراء الثقيل بثانيه، وإجابة صدى الغناء بين مغانيه، المرآود تشرع في الوشى، أو العناكب تُسرع في المشى؛ وما الخبر بنيل الرغائب، أو قدوم الحبيب الغائب؛ لا بل إشارة البشير، بكم المشير على العشير - بأجلب للسرور، من زائره المتلقى بالبرور؛ وأدعى للجبور، من سفيره المبهج للسفور؛ فلم ترمثله من كتيبة كتاب تُجنب الجرد [تمرح^(١)] في الأرسان، وتتشوف مجالى ظهورها إلى عرائس الفرسان؛ وتهز معاطف الأرتياح، من صهيلها الصراح، بالنغمات الحسان، إذا وجدت الصريح نازعت أثناء الأعتنه، وكأثرت بأسنة آذانها مشرعة الأسنة، فإن أدعى الظلم أشكالها فهو ظالم، أو نازعها الظبي هواديتها وأكفالتها فهو هاذ أو حالم، وإن سُئل عن عُيوب الفرر والأوضاح، قال مشيرا إلى وجوهها الصباح، جلدة بين العين والأنف سالم؛ من كل عبلى الشوى،

(١) الزيادة من "الريحانة".

مُسَابِقٍ لِلنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ، سَامِي التَّلِيلِ، عَرِيضٍ مَا تَحْتَ الشَّلِيلِ، مَمْسُوحَةٍ أُعْطَاهُ
بِمَنْدِيلِ النَّسِيمِ البَلِيلِ : مِنْ أَحْمَرَ كَالْمُدَامِ . يُجْلَى عَلَى النَّدَامِ عَقِبِ الْفِدَامِ، أُتْحِفَ
لَوْنُهُ بِالْوَرْدِ، فِي زَمَنِ الْبَرْدِ، وَحَيَّ أَفْقُ مُحْيَاهُ بِكَوْكَبِ السَّعْدِ، وَتَشَوَّفُ الْوَاصِفُونَ
إِلَى عَدَاةِ مَحَاسِنِهِ فَأَعَيْتُ عَلَى الْعَدَاةِ، بِحَرِّ سَاجِلِ الْبَحْرِ عِنْدَ الْمَدَاةِ، وَرِيحُ تَبَارِي الرِّيْحِ عِنْدَ
الشَّدَاةِ، بِالذَّرَاعِ الْأَشَدِّ، حَكَمَ لَهُ مَدِيرُ فَلَكَ الْكَفَلُ بِاعْتِدَالِ فَضْلِ الْقَدَاةِ، وَمِيْزُهُ قَدْرُهُ
الْمَيِّزُ يَوْمَ الْأَسْتَبَاقِ، بِقَصَبِ السَّبَاقِ، عِنْدَ أَعْتِبَارِ الْحَدَاةِ، وَوَلَدٌ مَخْتَطٌ غُرَّتْهُ أَشْكَالُ
الْجَمَالِ، عَلَى الْكَمَالِ، بَيْنَ الْبَيَاضِ وَالْحُمْرَةِ وَتَقَاءِ الْحَدَاةِ، وَحَفِظَ رَوَايَةَ الْخَلْقِ الْوَجِيهَ
[عَنْ جَدِّهِ الْوَجِيهَ] (١) وَلَا تُتَكَرَّرُ الرِّوَايَةُ عَلَى الْحَافِظِ بْنِ الْحَدَاةِ - وَأَشْقَرُ أَبِي الْخَلْقِ وَالْوَجْهَ الطَّلُقِ
أَنْ يَحْقِرَ كَأَنَّمَا صَبِغَ مِنَ الْعَسْجِدِ، وَطُرْفَ بِالذَّرْوَةِ وَأُنْعَلَ بِالزَّبْرَجَدِ، وَوَسِمَ فِي الْحَدِيثِ
بِسِمَةِ الْيَمْنِ وَالْبُرْكَهَةِ، وَأَخْتَصَّ بِفَلْجِ الْخِصَامِ، عِنْدَ اشْتِجَارِ الْمَعْرَكَةِ، وَأَنْفَرَدَ بِمُضَاعَفِ
السَّهَامِ [الْمَنْكُسِرَةِ عَلَى الْهَامِ] (١) فِي الْفَرَائِضِ الْمَشْتَرَكَةِ، وَاتَّصَفَ فَلَكَ كَفَلُهُ بِحَرَكَتِي
الْإِرَادَةِ وَالطَّبْعِ مِنْ أَصْنَافِ الْحَرَكَهَةِ، أَصَغَى إِلَى السَّمَاءِ بِأَكْثَرِ الْمُلْهَمِ، وَأَعْرَبَ لِسَانُ
الصَّهِيلِ، عِنْدَ التَّبَاسِ مَعَانِي الْهَمْزِ وَالتَّسْهِيلِ، بَيَانِ الْمُبْهَمِ، وَفَتِنَتِ الْعَيُونُ مِنْ ذَهَبِ
جِسْمِهِ، وَجُلْحَيْنِ نَجْمِهِ بِحُبِّ الدِّيْنَارِ وَالذَّرْهِمِ، فَإِنْ أَنْقَضَ فَرَجَمَ أَوْ رِيحُ لَهَا هَجْمُ،
وَإِنْ أَعْتَرَضَ فَشَفَقَ لِأَحَبِّهِ لِلنَّجْمِ نَجْمٌ - وَأَصْفَرَ قَيْدَ الْأَوَايِدِ الْحَرَّةِ، وَأَمْسَكَ الْمَحَاسِنَ
وَأَطْلَقَ الْغُرَّةَ، وَسُئِلَ مَنْ أَنْتَ فِي قُوَادِ الْكُتَّابِ، وَأُولَى الْأَخْبَارِ الْعَجَائِبِ،
فَقَالَ أَنَا الْمُهَلَّبُ بْنُ أَبِي صُفْرَةَ، نَزَّجَسَ هَذِهِ الْأَلْوَانَ، فِي رِيَاضِ الْأَكْوَانِ،
تَحِيًّا بِهِ وَجُوهِ الْحَرْبِ الْعَوَانَ، أَغَارَ بِنَخْوَةِ الصَّائِلِ، عَلَى مُعْصَفَاتِ الْأَصَائِلِ فَارْتَدَاهَا،
وَعَمَدَ إِلَى خِيُوطِ شُعَاعِ الشَّمْسِ، عِنْدَ جَانِحَةِ الْأَمْسِ، فَالْحَمُّ مِنْهَا حُلَّتْهُ وَأَسْدَاهَا،
وَأَسْتَعَدَّتْ عَلَيْهِ مَلِكُ الْمَحَاسِنِ فَمَا أَعْدَاهَا، فَهُوَ أَصِيلٌ تَمَسَّكَ بِذَيْلِ اللَّيْلِ عُرْفُهُ

(١) الزيادة من الريحانة .

وذيله ، وكوكب يُطلعه من القتام ليله ، فيخسده فرقد الأفق وسهيله - وأشهب
تغشى من لونه مضاضه ، وتسربل منه لأمة فضفاضه ، قد احتفل زينه ، لما رقيم
بالنبال بحينه ، فهو الأشمط ، الذي حقه لا يغمط ، والذراع المسارع ، والأعزل
الذارع ، وراق الهضاب الفارع ، ومكتوب الكتبية البارح ، وأكرم به من مراتض
سالك ، ومجتهد على غايات السابقين الأولين متهالك ، وأشهب يروي من الخليفة ،
ذى الشيم المنيفة ، عن مالك - وحباري كلما سابق وباري ، استعار جناح الحباري ،
فإذا أتممت هذه الحسبه ، قيل من هنا جاءت النسبه ، طرد النمر ، لما عظم
أمره وأمر ، فنسخ وجوده بدمه ، وأبتره الفروة ثم لطحه بدمه ، وكان مضاعف
الورد نثر عليه من طبقه ، أو الفلك ، لما ذهب الحلك ، مخرج فيه بياض صبحه بحمرة
شفقه - وقراطسي حقه لا يجهل ، حتى ماترقى العين فيه تشهل ، إن نزع عنه جلّه ،
فهو نجم كله ، أنفرد بمادة الألوان ، قبل أن تشوبها يد الأكوان ، وتمزجها أقلام
الملوان ، يتقدم منه الكتبية المقيلة لواء ناصع ، أو أبيض ماصع ، ليس وقار
المشيب ، في ريعان العمر القشيب ، وأنصت الآذان من صهيله المطيل المطيب ،
لما ارتدى بالبياض إلى نغمة الخطيب ، وإن تعبت منه للتأخير المتعب ،
قلنا الواو لا ترتب ، ما بين فحل وحره ، وبهرمانه ودوره ، ويالله من آبتسام غره ،
ووضوح يمين في طره ، وبهجة للعين وقره ، وإن ولع الناس بامتداح القديم ،
وخصوا الحديث بفري الأديم ، وأوجب المتعصب ، وإن أبى المنصب ، مرتبة
التقديم ، وطمح إلى رتبة المخدم طرف الحديم ، وقرن المثري بالقديم ، وبخس
في سوق الحسد الكيل ، ودجى الليل ، وظهر في فلك الإنصاف الميل ، لما تذكرت
الحيل ، بجى ، بالوجيه والخطار ، والذائد وذى الخمار ، وداحيس والسكب ،
والأبجر وزاد الركب ، والجموح واليحموم ، والكميت ومكتوم ، والأعوج وحلوان ،

ولاحق والغضبان ، وعفور (؟) والزعفران ، والمحبر ، واللعب ، والأغر والغراب ،
 وشعلة والعقاب ، والفياض واليعسوب [والمذهب واليعسوب ، والصموت
 والقطيب ، وهيدب والصيب وأهلوب^(١)] وهذاج ، والحرون وخراج ، وجلوى ،
 والجناح والأحوى ، ومجاج والعصا ، والنعامه ، والبلقاء والحمامه ، وسكاب والجراده ،
 وحوصاء ، والعراده . فكم بين الشاهد والغائب ، والفروض والرغائب ، وفرق ما بين
 الأثر والعيان ، غني عن البيان ، وشتان بين الصريح والمشتبه ، والله القائل في مثلها
 « خذ ما تراه ودع شيئا سمعت به » والناسخ يختلف به الحكم ، وشر الدواب عند
 التفضيل بين هذه الدواب الصم البكم ، إلا ماركبه نبي ، أو كان له يوم الافتخار برهان
 خبي ، ومفضل ما سمع على ما رأى غني ، فلو أنصفت محاسنها التي وصفت
 لأفضمت حب القلوب علفا ، وأوردت ماء الشيننة نطفيا ، وأخذت لها من عذر
 الحدود الملاح عذر موشيه ، وعلت بصفير الحان القيان كل عشيته ، وأنعت
 بالأهله ، وغطيت بالرياض بدل الأجله .

إلى الرقيق ، الخالق بالحسن الحقيق ، تسوقه إلى مثوى الرعاية روقة الفتيان
 رعاته ويهدي عقيقتها من سبجه أشكالا تشهد للمخترع سبحانه بإحكام مخترعاته ،
 وقفت ناظر الاستحسان لايريم ، لما بهره منظرها الكريم ، وتخامل الظلم وتضائل
 الرميم ، وأحرس مقوله اللسان وهو بملكات البيان الحفيظ العليم ، وناب لسان الحال ،
 عن لسان المقال ، عند الاعتقال ، فقال يخاطب المقام الذي أطلعت أزهارها غمام
 جوده [وأفتضت أختيارها بركة وجوده^(١)] : لو علمنا أيها الملك الأصيل ،
 الذي كرم منه الإجمال والتفصيل ، أن الثناء يوازيها لكلنا لك بئلك ،

(١) الزيادة من "ريحانة الكتاب".

أو الشكر يُعادِلها ويُجازِيها لتعرضنا بالوشل إلى نيل نيلك ، أو قلنا : هي التي أشار إليها مستصرخ سلفك المستنصر بقوله : أدرك بخيلك ، حين شرق بدفعه الشُّرق ، وأنهمز الجمع وأستولى الفرق وآتسع فيه والحكم لله الخرق ؛ ورأى أن مقام التوحيد بالمظاهرة على التثليث ، وحزبه الخبيث ، هو الأولى والأحق .
والآن قد أغنى الله بتلك النيّة ، عن إنجاد الطّوال الردينيّة ، وبالدهاء من تلك المثابة الدينيّة إلى ربّ البنيّة ، عن الأمداد السنيّة ، والأجواد تخوض بحر الماء إلى بحر المنيّة ، وعن الجرد العربيّة في مقاود الليوث الأبيّة . وجدد برسم هذه الهدية ، مراسم العهود الأوديّة ، والذم الموحديّة ، لتكون علامة على الأصل ، ومكذّبة لدعوى الوقف والفضل ، وإشعاراً بالألفة التي لا تزال ألفها ألف الوصل ، ولا مَها حراماً على النّصل .

وحضرين يدينا رسولكم فلان فقرّر من فضلكم ، مالا يُنكره من عرف علو مقداركم ، وأصالة داركم ، وفلك إبداركم ، وقطب مداركم ؛ وأجبناه عنه بجهد ما كُنّا لنقنع من حناه المهتصر ، بالمقتضب المختصر ، ولا نُقابل طولَ طوله بالقصر ، لولا طروء الحصر .

وقد كان بين الأسلاف - رحمة الله عليهم ورضوانه - ودُّ أبرمت من أجل الله معاقده ، ووُثرت للخلوص ، الجليّ النصوص ، مضاجعهُ القارة ومرآقده ، وتعاهدت بالجميل توجع لفقده فاقده ؛ أبي الله إلا أن يكون لكم الفضل في تجديده ، والعطف بتوكيده ؛ فنحن الآن لا ندرى أيُّ مكارمكم نذكر ، أو أيّ فواضلكم نُشرح أو نُشكر ، أمفاتحتكم التي هي عندنا في الحقيقة فتحة ، أم هديتكم وفي وصفها للأقلام سبحة ، ولعدو الإسلام بحكمة حكمتها كبح ، إنما نكل الشكر لمن يُوفّي جزء الأعمال

البره، ولا يَخَسُ مِثْقَالَ الذَّرَّةِ ولا أدنى [من] مِثْقَالَ الذَّرَّةِ، ذى الرحمة الثَّوَّة، والألطفِ المتصلة المستمرة، لا إلهَ إلا هو .

وإن تَشَوَّقتم إلى الأحوال الراهنة، وأسباب الكُفْرِ الواهية بقدره الله الواهنة، فنحن نُظَرِّفكم بِظَرْفِها، ونُظَلِّعكم على سبيل الإجمال بِظَرْفِها، وهو أننا لم أعاد الله من التَّحْيِص، إلى مثابة التَّخْصِص، من بعد المَرَامِ العويص، كحلنا بتوفيق الله بَصَرِ البصيره، ووقفنا على سبيله مساعي الحياة القَصِيره، ورأينا كما نُقِل إلينا، وكرَّر على مَنْ قَبَلنا وعلينا، أن الدنيا - وإن غَرَّ الغُرُور، وأنام على سُرر الغفلة السُّرُور، فلم يَنفَع الخُطُور على أحداث الأحاب والمُرُور - جَسْرُ يَعبَر، ومتاعٌ لا يُغْبَط من حُبِّ به ولا يُجَبَّر، إنما هو خبر يُجَبَّر، وأن الحَسرة بمقدارها على تركه تجبر، وأن الأعمار أحلام، وأن الناس نيام، ورُبَّمَا رَحَلَ الرَّاحِل عن الخان، وقد جَلَّه بالأذى والدخان، أو ترك به طيباً، وثناءً يقوم بعده للآتى خَطِيباً، فجعلنا العدل في الأمور مَلَاكاً، والتفقد للثغور مِسْوَكا، وَضَجِيعَ المِهَاد، حديثَ الجهاد، وأحكامه مَنَاطِ الأجتِهاد، وقوله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى تِجَارَةٍ﴾ من حُجَجِ الأستِهاد، وبادرنا من الحُصُونِ المُضَاعَةِ وجنحُ التَّقِيَّةِ دَامِس، وسا كُنْها بَأْس، والأعصمُ في شَعَفَاتِها من العِصْمَةِ يَأْس، فزَيْنًا بِيضِ الشُّرُفَات، ثنَاياها، وأفَعَمْنَا بِالْعَذْبِ الفِرَات، رَكَياها، وَغَشِينَا بِالصَّفِيحِ المُضَاعَفِ أبوابها، وأحتسبنا عند مَوْفَى الأَجُورِ ثوابها، وبيَّضنا بناصع الكِلْسِ أثوابها، فهي اليوم تُوهِمُ حَسَّ العِيَان - أنها قَطَعُ من بِيضِ العِنَان، تكاد تَتَاوَلُ قُرْصَ البدرِ بالبَّان، متكفلةً للؤمن من فَرَعِ الدنيا والآخرة بالأمان، وأقرضنا الله قَرْضاً، وأوسعنا مَدُونَةَ الجِيشِ عَرْضاً، وفرضنا إنصافه مع الأهلة فرضاً، وآسَدْنَا من التوكُّلِ على الله الغنى الحميد إلى ظلِّ لواء،

وَنَبَذْنَا إِلَى الطَّاغِيَةِ عَهْدَهُ عَلَى سِوَاءٍ ؛ وَقَلْنَا : رَبَّنَا أَنْتَ الْعَزِيزُ وَكُلُّ جَبَّارٍ لِعِزِّكَ ذَلِيلٌ ، وَحِزْبُكَ هُوَ الْكَثِيرُ وَمَا سِوَاهُ قَلِيلٌ [أَنْتَ الْكَافِي ، وَوَعْدُكَ الْوَعْدُ الْوَاقِي ، فَافْضِ عَلَيْنَا مَوَازِعَ الصَّابِرِينَ ^(١)] وَاصْبِرْنَا مِنَ الْفَائِزِينَ بِمَحْظُوظِ رِضَاكَ الظَّافِرِينَ ، وَثَبَّتْ أقدامَنَا وَأَنْصَرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ .

فَتَحَرَّكْنَا أُولَى الْحَرَكَاتِ ، وَفَاتِحَةَ مُصْحَفِ الْبَرَكَاتِ ؛ فِي خِيفٍ مِنَ الْحُشُودِ ، وَأَقْتَصَارِ عَلَى مَا بِحَضْرَتِنَا مِنَ الْعَسَاكِرِ الْمُظْفَرَةِ وَالْجُنُودِ ؛ إِلَى حِصْنِ آشِ الْبَازِي الْمِطْلِ ، وَرِكَابِ الْعَدُوِّ الضَّالِّ الْمِضِلِّ ، وَمُهْدِي نَفَثَاتِ الصَّلِّ ؛ عَلَى آمْتِنَاعِهِ وَأَرْتِفَاعِهِ ، وَمُؤَيِّفَاتِهِ ؛ وَمَا بَدَّلَ الْعَدُوِّ فِيهِ مِنْ أَسْتَعْدَادِهِ ، وَتَوْفِيرِ أَسْلِحَتِهِ وَأَزْوَادِهِ ، وَأَنْتَخَابِ أَنْجَادِهِ ؛ فَصَلَبْنَا بِنَفْسِنَا نَارَهُ ، وَزَاخَمْنَا عَلَيْهِ الشَّهْدَاءَ نُصَابِرُ أَوَارِهِ ؛ وَنَلَقْنَا بِالْجَوَارِحِ الْعَزِيزَةِ سِهَامَهُ الْمَسْمُومَةَ ؛ وَجَلَامِدَهُ الْمَلْمُومَةَ ، وَأَحْجَارَهُ ؛ حَتَّى فَرَعْنَا بِمَحُولٍ مَنْ لَاحَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِهِ أَبْرَاجَهُ الْمُنِيعَةَ وَأَسْوَارَهُ ، وَكَفَفْنَا بِنِ الْبِلَادِ أضرارَهُ ، بَعْدَ أَنْ اسْتَضَفْنَا إِلَيْهِ حِصْنَ السَّهْلَةِ جَارَهُ ؛ وَرَحَلْنَا عَنْهُ بَعْدَ أَنْ شَحَّنَاهُ رَابِطَةً وَحَامِيَهُ ، وَأَزْوَادًا نَامِيَهُ ؛ وَعَمَلْنَا بِيَدِنَا فِي رَمِّ مَائِلَمِ الْقِتَالِ ، وَبَقَرْنَا مِنْ بُطُونِ مَسَالِحِهِ الرِّجَالَ ، وَأَقْتَدَيْنَا بِنَبِينَا صَلَوَاتِ اللَّهِ عَلَيْهِ وَسَلَامِهِ فِي الْخَنْدَقِ لَمَّا حَمَى ذَلِكَ الْمَجَالَ ، وَوَقَعَ الْأَرْتِجَازُ الْمُنْقُولُ خَبْرَهُ وَالْأَرْتِجَالَ ، وَمَا كَانَ لِيَقِرَّ لِلْإِسْلَامِ مَعَ تَرْكِهِ الْقَرَارِ ، وَقَدْ كُتِبَ الْجَوَارِحُ ، وَتَدَاعَى الدَّعْرَةُ وَتَعَاوَى الشَّرَارُ .

وَكَأَنَّ أَعْرَافَنَا الْجِهَةَ الْغَرْبِيَّةَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ بِمَدِينَةِ بُرْغَةِ الَّتِي سَدَّتْ بَيْنَ الْقَاعَتَيْنِ : مَالِقَةَ وَرُنْدَةَ الطَّرِيقِ ، وَأَلْبَسَتْ ذُلَّ الْفِرَاقِ ذَلِكَ الْفَرِيقِ ، وَمَنْعَتْهُمَا أَنْ يُسَيِّفَا الرِّيقَ ؛ فَلَا سَبِيلَ إِلَى الْإِلْمَامِ ، لَطِيفِ الْمَنَامِ فِي الْأَحْلَامِ ، وَلَا رِسَالَةَ إِلَّا فِي أَجْنَحَةِ

(١) الزيادة من "ريحانة الكتاب".

هَدَى الْحَمَامَ ؛ فَيَسِّرُ اللَّهُ فَتْحَهَا ، وَتَجَلَّ مَنَحَهَا ؛ بَعْدَ حَرْبٍ أَنْبَتَتْ فِيهَا النُّحُورُ ،
وَتَزَيَّنَتْ الْحُورُ ؛ وَتَبِعَ هَذِهِ الْأُمَّ بَنَاتُ شَهِيرِهِ ، وَبُقِعَ لِلزَّرْعِ وَالضَّرْعِ خَيْرُهُ ، فَشَفِيَّ
الثَّغْرِ مِنْ بُوْسِهِ ، وَتَهَلَّلَ وَجْهُ الْإِسْلَامِ بِتِلْكَ النَّاحِيَةِ بَعْدَ عُبُوسِهِ .

ثم أعملنا الحركة إلى مدينة الجزيرة على بُعد المدى، وتعلقها على بلاد العدا،
وأقتحام هؤل الفلا وغول الردا؛ مدينة بنتها حص فأوسعت الدار، وأغلت الشوار،
وراعت الأستكار، وبسطة الأعمار؛ ربح إلينا قصدًا على البعد، والطريق
الجمع؛ ما أسفت به المسلمين، من استئصال طائفة من أسراهم مروا بها آمنين،
وبطائرهما المشؤم متيمنين؛ قد أنهكهم الإعتقال، والقيود الثقال؛ وأضرعهم
الإسار، وجللهم الإنكسار؛ فخذلواهم في مصرع واحد، وتركواهم عبرة للرأى
والمشاهد؛ وأهدوا بوقيعتهم إلى الإسلام ثكل الواحد، وبرة الماجد؛ فكبسناها
كبسا، وبفأناها بإلهام من لا يضل ولا ينسى؛ فصبحتنا الخيل، ثم تلاحق الرجل
كما جن الليل، وحقق بها الويل؛ فأبيح منها الدمار، وأخذها الدمار، ومحقت
من مصانيعها البيض الأهله وخسفت الأعمار، وشفيت من دماء أهلها الضلوع
الحرار، وسلطت على هياكلها النار، وأستولى على الآلاف العديدة من سببها
الإسار، وأنتهى إلى إشبيلية الثكلي المغار، فجلل وجوه من بها من بكار النصرانية
الصفار، وأستولت الأيدي على ما لا يسعه الوصف ولا تقله الأوقار .

وعدنا والأرض تموج سبيا، لم تترك بعفرين شبلا ولا بوجرة ظبيا؛ والعقائل
حسرى، والعيون تبهرها الصنع الأسرى، وصبح السرى قد حمد من بعد بعد المسرى،
فسبحان الذى أسرى . [ولسان الحمية ينادى، فى تلك الكائنات المختربة والنوادي،
بالتارات الأسرى]^(١)

(١) الزيادة من "ربحانة الكتاب" .

ولم يكن إلا أن نُفِّلت الأنفال ، ووُسمت بالأرضاخ الأغفال ، وتميزت الهوادي والأكفال ، وكان إلى غزو مدينة جيان الاحتفال ؛ قدنا إليها الجرد تلاعب الظلال نشاطا ، والأبطال تفتح الأخطار رضا بما عند الله وأغبطا ، والمهندة الزرق تسبق إلى الرقاب استلالا واختراطا ، والردينية السمر تسترط حياة النفوس استراطا ، وأزحنا العلل عمن أراد جهادا منجيا غباره من دخان جهنم ورباطا ، وناديننا الجهاد الجهاد ، يا أمة الجهاد ، راية النبي الهاد ، الجنة الجنة تحت ظلال السيوف الحداد ؛ فهز النداء إلى الله تعالى كل عامر وغامر ، وأثمر الجهم من دعوة الحق إلى أمر أمر ، وأتى الناس من الفجوج العميقة رجالا وعلى كل ضامر ؛ وكاثرت الرايات أزهار البطاح لونا وعدا ، وسدت الحشود مسالك الطريق العريضة سدا ؛ ومدت بحرها الزاخر مدا ، فلا يجد لها الناظر ولا المناظر حدا .

وهذه المدينة هي الأم الولود ، والجنة التي في النار لسكانها من الكفار الخلود ؛ وكرسى الملك ومجنبتة الوسطى من الممالك باءت بالمزايا العديدة ونجحت ، وعند الوزن غيرها من أمات البلدان رجحت ؛ غاب الأسود ، وجرحت الحيات السود ؛ ومنصب التماثيل الهائله ، ومعلق النواقيس الصائله .

وأديننا إليها المراحل ، وعينا لتجار المحلات المستقلات منها الساحل ؛ ولما أكتبنا جوارها ، وكدنا نلمح نارها ، تحركنا ووشاح الأفق المرقوم ، بزهر النجوم ، قد دار دائره ؛ والليل من خوف الصباح ، على سرحه المستباح ، قد شابت غدائه ، والنسر يرفرف باليمن طائره ، والسماك الراح يثار ثغر الإسلام نائره ؛ والنعام راعده فرائص الجسد ، من خوف الأسد ؛ والقوس يرسل سهم السعاده ، بوتر العاده ، إلى أهداف النعم المعاد . والجوزاء عابرة نهر المجره ، والزهرة تغار من الشعري العبور بالضره ؛

وعُطَّارِدُ يُسَدِي فِي حَيْلِ الْحُرُوبِ عَلَى الْبَلَدِ الْمَحْرُوبِ وَيُلْحِمُ ، وَيُنَاطِرُ عَلَى أَشْكَالِهَا
الْهَنْدِسِيَّةِ فَيُفْجِمُ ، وَالْأَحْمَرِ يَبْهَرُ ، وَالْعَلَمَ الْأَبْيَضُ يَفْرِي وَيَنْهَرُ ، وَالْمَشْتَرِي يُبْدِي فِي فَضْلِ
الْجِهَادِ وَيُعِيدُ ، وَيُزَاحِمُ فِي الْخَلْفَاتِ عَلَى مَالِ السَّعَادَةِ مِنَ الصَّفَاتِ وَيَزِيدُ ، وَزُحَلُ
عَلَى الطَّالِعِ مَتْرَحَلُ ، وَعَنْ الْعَاشِرِ مَرْتَحَلُ ، وَفِي زَلْقِ السُّقُوطِ وَحَلُ ، وَالْبَدْرُ
يُطَارِحُ حَجَرَ الْمَنْجِنِيقِ ، كَيْفَ يَهْوِي إِلَى النَّيْقِ ، وَمَطْلَعُ الشَّمْسِ يَرْقُبُ ، وَجِدَارُ
الْأَفُقِ يَكَادُ بِالْعَيْونِ عَنْهَا يُنْقَبُ .

وَلَمَّا فَشَا سِرُّ الصَّبَاحِ ، وَأَهْتَرَّتْ أَعْطَافُ الرِّيَاطِ لِتَحِيَّاتِ مَبَشِّرَاتِ الرِّيَاحِ ، أَطَّلْنَا
عَلَيْهَا إِطْلَالَ الْأَسْوَدِ عَلَى الْفِرَاسِ ، وَالْفُجُولِ عَلَى الْعِرَاسِ ، فَنَظَرْنَا مَنْظَرًا يَرُوعُ بِأَسَا
وَمَنْعَهُ ، وَيَرُوقُ وَضَعًا وَصَنَعَهُ ، تَلَقَّعَتْ مَعَاقِلُهُ الشَّمَّ لِلسَّحَابِ يَبْرُودُ ، وَوَرَدَتْ مِنْ
غَدِيرِ الْمُزْنِ فِي بُرُودِ ، وَأَسْرَعَتْ لِأَخْتِطَافِ أَزْهَارِ النُّجُومِ وَالذَّرَاعِ بَيْنَ النِّطَاقِ مَعَاصِمُ
رُودُ ، وَبَلَدًا يُعْبِي الْمَسَاحِ وَالذَّرَاعِ ، وَيَنْتَظِمُ الْمَحَانِي وَالْأَجَارِعِ ، فَقَلْنَا : اللَّهُمَّ نَفِّهِ أَيْدِي
عِبَادِكَ ، وَأَرِنَا فِيهِ آيَةً مِنْ آيَاتِ جِهَادِكَ ، فَتَزَلْنَا بِسَاحَتِهَا الْعَرِيضَةَ الْمُتُونِ ، تُزُولُ
الغَيْثُ الْهَتُونِ ، وَتَيْمَّنَّا مِنْ فَحْصِهَا الْأَفْجِجِ بِسُورَةِ التَّيْنِ وَالزَّيْتُونِ ، مَتْرَبَةٌ مِنْ أَمَانِ
الرَّحْمَنِ لِلْبَلَدِ الْمَفْتُونِ ، وَأَعْجَلْنَا النَّاسَ بِحِمِيَّةِ نَفْسِهِمُ النَّفِيسِ ، وَسَجِيَّةِ شَجَاعَتِهِمُ الْبَيْسِ ،
عَنْ أَنْ تُبَوِّئَ لِلْقِتَالِ الْمَقَاعِدَ ، وَنُذِنِي بِإِسْمَاعِ شَهْرِ النَّفِيرِ مِنْهُمْ الْأَبَاعِدِ ، وَقَبْلَ أَنْ يَلْتَقِيَ
الْحَدِيمُ بِالْمَخْدُومِ ، وَيَرْكَعُ الْمَنْجِنِيقُ رُكْعَتِي الْقُدُومِ ، فَدَفَعُوا مَنْ أَضْحَرَ إِلَيْهِمُ مِنَ الْفُرْسَانِ ،
وَسَبَقَ إِلَى حَوْمَةِ الْمِيدَانِ ، حَتَّى أَمْحَرُوهُمْ فِي الْبَلَدِ ، وَسَلَبُوهُمْ لِبَاسَ الْجِلْدِ ، فِي مَوْقِفِ
يُذْهِلُ الْوَالِدَ عَنِ الْوَلَدِ ، صَارَتْ السَّهَامُ فِيهِ غَمَامًا ، وَطَارَتْ كَأَسْرَابِ الْحَمَامِ تُهْدِي
حَمَامًا ، وَأَضْحَتِ الْقَنَا قِصْدًا ، بَعْدَ أَنْ كَانَتْ شِهَابًا رَصْدًا ، وَمَاجَ بَحْرُ الْقَتَامِ بِأَمْوَاجِ
النُّصُولِ ، وَأَخَذَ الْأَرْضَ الرَّجْفَانُ لَزْزَالَ الصَّبَاحِ الْمَوْصُولِ ، فَلَا تَرَى إِلَّا شَهِيدًا

تُظَلِّلُ مَضْرَعَهُ الحُورَ ، وَصَرِيحًا تَقْدِفُ بِهِ إِلَى السَّاحِلِ أَمْوَاجَ تِلْكَ البُحُورِ ، وَنَوَاشِبَ
تَبَايُهَا الوُجُوهُ الوَجِيهَةُ عِنْدَ اللَّهِ وَالنُّحُورَ ، فَالْمَقْضَبَ ، فَوَدَّهُ يُحْضَبُ ، وَالأَسْمَرَ ،
غُصْنَهُ يَسْتَمِرُّ ، وَالمِغْفَرَ ، حِمَاهُ يَحْفَرُ ، وَظُهُورَ القِيسَى تُقْصَمُ ، وَعِصَمَ الجُنْدِ الكَوَافِرِ
تُقْصَمُ ، وَوَرَقَ اللَّيْلِ ، فِي المَنْقَلَبِ ، يَسْقُطُ ، وَالبُتْرَ تَكْتَبُ وَالسُّمْرَ تَنْقُطُ ، فَاقْتَحِمِ
الرَّبِضَ الأَعْظَمَ لِحِينِهِ ، وَأَظْهَرَ اللَّهِ لِعَيُونِ المُبْصِرِينَ وَالمُسْتَبْصِرِينَ عِزَّةَ دِينِهِ ،
وَتَبْرَأَ الشَّيْطَانَ مِنْ خَدِينِهِ ، وَنُهَبَ الكُفَّارَ وَخُدِلُوا ، وَبِكُلِّ مَرْصِدٍ جُدُّلُوا ، ثُمَّ دُخِلَ
البَلَدُ بَعْدَهُ غِلَابًا ، وَجُلَّ قِتْلًا وَاسْتَلَابًا ، فَلَا تَسَلْ ، إِلَّا الظُّبَى وَالأَسْلَ ، عَنْ قِيَامِ
سَاعَتِهِ ، وَهَوَلِ يَوْمِهَا وَشَنَاعَتِهِ ، وَتَخْرِيْبِ المَبَائِتِ وَالمَبَانِي ، وَغِنَى الأَيْدِي مِنْ خَزَائِنِ
تِلْكَ المَغَانِي ، وَتَقِلِ الوُجُودَ الأَوَّلِ إِلَى الوُجُودِ الثَّانِي ، وَتَخَارِقِ السِّيفُ بَحَاءَ بَغِيرِ
المَعْتَادِ ، وَنَهَلَتْ القَنَا الرُّدَيْنِيَّةُ مِنَ الدَّمَاءِ حَتَّى كَادَتْ تُورِقُ كالأَغْصَانِ المِغْتَرَسَةِ وَالأَوْتَادِ .
وَهَمَّتْ أَفلاكُ القِيسَى وَنَحَّتْ ، وَأَرْنَتْ حَتَّى بَحَّتْ ، وَنَفِدتْ مَوَادُّهَا فَشَحَّتْ
بِمَا أَلَحَّتْ ، وَسَدَّتْ المَسَالِكَ جُنْثُ القَتْلِ فَمَنَعَتِ العَايِرَ ، وَاسْتَأْصَلَ اللَّهُ مِنْ عَدُوِّهِ
الشَّافَةَ وَقَطَعَ الدَايِرَ ، وَأَزْلَفَ الشَّهِيدَ وَأَحْسَبَ الصَّابِرَ ، وَسَبَقَتْ رُسُلُ الفَتْحِ الَّذِي
لَمْ يُسْمَعْ بِمِثْلِهِ فِي الزَّمَنِ العَايِرِ ، تَنْقُلُ البُشْرَى مِنْ أَفْوَاهِ المَحَابِرِ ، إِلَى آذَانِ المَنَابِرِ .
أَقْمْنَا بِهَا أَيَّامًا نَعْقِرُ الأشْجَارَ ، وَنَسْتَأْصِلُ بِالتَّخْرِيْبِ الوِجَارَ ، وَلِسَانُ الأَنْتِقَامِ ،
مِنْ عِبَادَةِ الأَصْنَامِ ، يُنَادِي بِالثَّارَاتِ الإسْكَندَرِيَّةِ تَسْفِيًا مِنَ الفُجَّارِ ، وَرَعِيًا لِحَقِّ
الجَارِ ، وَقَفَلْنَا وَأَجْنِحَةُ الرَايَاتِ ، بِرِيَّاحِ العِنَايَاتِ ، خَافِقَهُ ، وَأَوْفَاقَ التَّوْفِيقِ ،
النَّاشِئَةَ مِنْ خَطُوطِ الطَّرِيقِ ، مُوَافِقَهُ ، وَأَسْوَاقَ العِزِّ بِاللهِ نَافِقَهُ ، وَحَمَلَاءَ الرِّفْقِ
مِصَاحِبَةَ - وَالحَمْدُ لِلَّهِ - مُرَاقِقَهُ ، وَقَدْ ضَاقَتْ ذُرُوعُ الجِبَالِ ، عَنْ أَعْنَاقِ الصَّهْبِ
السَّبَالِ ، وَرُفِعَتْ عَلَى الأَكْفَالِ ، رُدْفَاءُ كِرَائِمِ الأَنْفَالِ ، وَقَلْقَلَتْ مِنَ النِّوَاقِيسِ أَجْرَامُ

الجبال بالهندام والاحتيال ؛ وهلك بمهلك هذه الأمّ بناتٌ كُنَّ يرتضعن نُدِيَّهَا الحوافل
ويستوثرن حَجْرَهَا الكافل ؛ شَمِلَ التَّخْرِيْبُ أسوارَهَا ، وَعَجَّلَتِ النَّارُ بَوَارَهَا .

ثم تحركنا بعدها حركة الفتح ، وأرسلنا دِلَاءَ الإِدْلَالِ قبل المَنَحِ ، فبَشَّرَتْ بِالْمَنَحِ ؛
وقصدنا مدينةً أُبْدَةَ وهي ثانية الجناحين ، وكُبرى الأختين ، ومساهمة جِيَّانَ
في حين الحين ؛ مدينة أخذت عَرَضَ الفِضَاءِ الأخرق ، وتمشّت فيه أرباضها تَمَشَّى
الكتابة الجامحة في المَهْرَقِ ؛ المشتِمة على المتاجر والمكاسب ، والوضع المتناسب ،
والفَلَجِ المُعْبِي رَيْعِهِ عمل الحاسب ، وكُوارة الدبر اللّاسِبِ ، المتعددة اليعاسب ؛
فإنّاخ العَفَاءُ بربوعها العاصِره ، ودارت كُؤُوسُ عَقَارِ الحُتُوفِ ، بِنَانِ السِوْفِ ،
على متديريها المعاقرة ، وصَبَحَتْهَا طلائعُ الفاقرة ، وأغرِيت ببطون أسوارها عُوجُ
المعاول الباقره ؛ ودخلت مدينتها عَنُوةُ السيف ، في أسرع من خَطرة الطّيفِ ،
ولا تسأل عن الكيف ؛ فلم يبلغ العَفَاءُ من مدينة حافله ، وعقيلة في حُللِ المحاسن
رافله ؛ ما بلغ من هذه البائسة التي سجدت لألهة النيران ابراجها ، وتضائل بالرغام
مِعراجها ؛ وضفت على أعطافها ملايسُ الحِذْلانِ ، وأقفر من كائسها كُؤُوسُ
الغِزْلانِ .

ثم تأهبنا لغزو أمّ القرى الكافره ، ونخزائن المَزائِنِ الوافره ، ورَبَّةِ الشُّهْرَةِ السافره ؛
[والأنباء المسافره] ^(١) قُرْطَبَةَ وما أدراك ماهيه ، ذاتُ الأرجاء الحالية الكاسيه ، والأطوادِ
الراسخة الراسيه ، والمباني المباهية والزهراء الزاهيه ، والمحاسن غير المتناهيه ؛ حيثُ هالةُ
بدر السماء ، قد آستدارت من السور المشيد البناء ؛ ونهرُ الحجرة من نهرها الفياض ،
المسلول حُسامه من عُمودِ الفياض ؛ قد لصق بها جارا ، وفلكُ الدُولابِ المعتدلُ

(١) الزيادة من "ريحانة الكتاب" .

الانقلاب قد أستقام مدارا، ورجع الحنين اشتياقا إلى الحبيب الأول وأدكارا،
 حيث الطود كالتاج، يزدان بلجين العذب المجاج، فيزرى بتاج كسرى ودارا، حيث
 قيسى الجسور المديره، كأنها عوج المطى الغريه، تعبر النهر قطارا، حيث آثار العامرى
 المجاهد، تعبق بين تلك المعاهد، شدى معطارا، حيث كرائم السحاب، تزور عرائس
 الرياض الحباب، فتحمل لها من الدر نثارا، حيث شمول الشمال تدار على الأدواح،
 بالغدو والرواح، فترى الفصون سكارى وما هي بسكارى، حيث أيدى الأفتاح،
 تفتض من شقائق البطاح، أبارا، حيث ثغور الأقاح الباسم، تقبلها بالسحر
 زوار النواسم، فتخفي قلوب النجوم الغيارى، حيث المصل العتيق قد رحب مجالا
 وطل منارا، وأزرى ببلاط الوليد آحتقارا، حيث الظهور المثاره بسلاح الفلاح
 تجب عن مثل أسمة المهارا، والبطون كأنها لتدميث الغائم بطون العذارى، والأدواح
 العالية تخترق أعلامها الهادية بالجداول الخبارا، فاشئت من جو صقيل،
 ومعرس للحسن ومقيل، ومالك للعقل وعقيل. ونحائل تم فيها للبلابل من قال وقيل،
 وخفيف يجاوب بثقيل. وسنايل تحكى من فوق سوقها، وقضب بسوقها، الهمزات
 فوق الألفات، والعصافير البديعة الصفات، فوق القضب المؤتلفات، تميل بهبوب
 الصبا والجنوب، مائلة الجيوب بدرر الجبوب. وبطاج لاتعرف عين المحل، فتطلبه
 بالدخل، ولاتصرف فى خدمة بيض قباب الأزهار، عند أفتتاح السوسن والبهار،
 غير العبدان من سودان النخل، وبجر الفلاحة الذى لا يدرك ساحله، ولا يبلغ
 الطية البعيدة راحله، إلى الوادى، وسمر النوادى، وقرار دموع الغوادى، المتجاسر
 على تحطيه، عند تمطيه، الجسر العادى، والوطن الذى ليس من عمرو ولازيد،

والفرا الذي في جوفه كلُّ صيد؛ أقلُّ كرسية خلافة الإسلام، وأعار بالرُصافة والجسر
دار السلام، وما عسى أن تُطنب في وصفه ألسنة الأقلام، أو تُعبر به عن ذلك الكمال
فنون الكلام .

فأعملنا إليها السرى والسير ، وقُدنا إليها الخيل وقد عقد الله بنواصيا الخير .

ولما وقفنا بظاهرها المبهت المعجب ، وأصطفنا بخارجها المنبت المنجب ؛
والقلوب تلمس الإعانة من منعم مجزل ، وتستزل مدد الملائكة من منجد مُنزَل ،
والركائب واقفة من خلفنا بمغزل ، تتناشد في معاهد الإسلام : قفا نَبك من ذِكْرِي
حبيبٍ ومَنزِل - برز من حاميتها الحامية ، ووقود النار الحامية ، وبقية السيف
الوافرة على الحصاد النامية ، قطع الغائم الهامية ، وأمواج البحور الطامية ، وأستجنت
بظلال أبطال المجال أعداد الرجال الناشبة والرامية ؛ وتصدى للزوال ، من صناديدها
الصهب السبال ، أمثال الهضاب الراسية ، تجنُّها جنن السوابغ الكاسية ؛ وقواميسها
المفادية للصلبان يوم بوسها بنفوسها المواسية ، وخنازيرها التي عدتها عن قبول
مُحجج الله ورسوله سُتور الظلم الغاشية ، وصُخُور القلوب القاسية ؛ فكان بين الفريقين
أمام جسرها الذي فرق البحر ، وحلي بلجينه ولائ زينه منها النحر ؛ حربٌ لم تنسج
الأزمان على منوالها ، ولا أنت الأيام الحبالى بمثل أجنة أهوالها ؛ من قاسها بالفجار
أفك وجحر ، أو مثلها بجفر الهباءة خرف وهجر ، ومن شَبَّها بحربٍ داحس والغبراء
فا عرف الخبر ، فليسأل من جرب وخبر ؛ ومن نظرها بيومِ شعبِ جبله ، فهو
ذوبله ؛ أو عادها بطن عاقل ، فغير عاقل ؛ أو احتج بيومِ ذى قار ، فهو إلى المعرفة
ذو افتقار ؛ أو ناضل بيوم الكديد . فسهمه [غير السديد] ؛ إنما كان مقاما غير معتاد ،

ومرعى نفوس لم يف بوصفه لسان مُرتاد، وزلزال جبال أوتاد، ومتلف مذخور
لسلطان الشيطان وعتاد، أعلم فيه البطل الباسل، وتورد الأبيض الباتر وتاود الأسمر العاسل،
ودوم الجلمد المتكاسل، وأنبعث من حدب الحنية إلى هدف الرمية الناشر النَّاسِل،
ورويت لمرسلات السهام المراسل، ثم أفضى أمر الرماح إلى التشاجر والارتباك،
ونشبت الأسننة في الدروع نشب السمك في الشباك، ثم اختلط المرعى بالهمل،
وعزّل الرديني عن العمل، وعادت السيوف من فوق المفارق تيجانا، بعد أن شقت
غدر السوانج خلجانا، وأخذت جداول الدروع فصارت بحرا، وكان التعانق فلا ترى
إلا نحرًا يلازم نحرًا، عناق وداع، وموقف شمل ذي أنصداع، وإجابة منادٍ إلى
فراق الأبد وداع، وأستكشفت مآل الصبر الأنفس الشفافه، وهبت بريح النصر
الطلائع المبشرة الهفافة، ثم أمد السيل ذلك العباب، وصقل الاستبصار الألباب،
وأستخلص العزم صفوة اللباب، وقال لسان النصر: أدخلوا عليهم الباب، فأصبحت
طوائف الكفار، حصائد مناجل الشفار، فمفارقهم قد رضى حرماتها بالاعقار،
ورءوسهم مخطوطة في غير معالم الاستغفار، وعلت الرايات من فوق تلك الأبراج
المستطرفة والأسوار، ورُفرف على المدينة جناح البوار، لولا الأتباء إلى الحد والمقدار،
والوقوف عند اختفاء سر المقدار.

ثم عبرنا نهرها، وشددنا بأيدي الله قهرها، وضيقتنا حصرها، وأقمتنا بها أياما
تحموم عقبان البنود على فريستها حياما، وترمي الأرواح بيوارها، وتسلط النيران
على أقطارها، فلولا عائق المطر، لحصلنا من فتح ذلك الوطن على الوطر، فرأينا
أن نروضها بالأجتاث والانتساف، ونوأي على زروعها ورُبوعها كرات رياح
الاعتساف، حتى يتها للإسلام لوك طعمتها، ويتها بفضل الله إرث نعمتها،

ثم كانت عن موقفيها الإفاضة من بعد نحر النحور ، وقذف جمار الدمار على العدو المدحور ، وتدافعت خلفنا السابقات المستقلات تدافع أمواج البحور .

وبعد أن ألمحنا على جناتها المصحرة ، وكرومها المشتجرة ، إلحاح الغريم ، وعوضناها المنظر الكريه من المنظر الكريم ، وطاف عليها طائف من ربنا فأصبحت كالصريم ، وأغرينا حلاق النار بحم الجحيم ، وراكنا في أجواف أجواها غمام الدخان ، تذكّر طيبة البان ، بيوم الغيم ، وأرسلنا رياح الغارات لا تذر من شيء أتت عليه إلا جعلته كالريم ، وأستقبلنا الوادي يهول مدا ، ويروع سيفه الصقيل حدا ، فبسر الله من بعد الإعواز ، وأنطلقت على الفُرصة [بتلك الفرصة] أيدى الأتهاز ، وسألنا من ساءله أسد بن الفرات فافق برُجحان الجواز فعم الأكتساح والاستباح جميع الأحواز ، فأدب المصون ، وأتتهب القرى وهدمت الحصون ، واجتثت الأصول وحطمت الغصون ، ولم نرفع عنها إلى اليوم غارة تُصالحها بالبوس ، وتطلع عليها غررها الضاحكة باليوم العبوس ، فهي الآن تجرى السوابق ومجز العوالى ، على التوالى ، والحسرات تتجدد في أطلالها البوالى ، وكأن بها قد صرعت ، وإلى الدعوة المحمدية قد أسرعت بقدره من لو أنزل القرآن على الجبال لخشعت من خشية الله وتصدعت ، وعزرة من أذعنت الجبارة لعزّه وخنعت ، وعدنا والبؤد لا يعرف اللف نشرها ، والوجوه المجاهدة لا يخالط التقطيب بشرها ، والأيدى بالعروة الوثقى معتلقه ، والألسن بشكر نعم الله منطلقه ، والسيوف في مضاجع الغمود قلقه ، وسرايل الدروع خلقه ، والجياد من رذها إلى المرابط والأوارى ردّ العوارى حنقه ، وبعبرات الفيظ المكظوم محتنقه ، تنظر إلينا نظر العائب ، وتعود من ميادين المراح والأختيال تحت حُلل السلاح عود

(١) الزبادة من "ريحانة الكتاب" .

الصَّبِيانِ إِلَى الْمَكَاتِبِ ؛ وَالطَّبْلُ بِلِسَانِ الْعِزِّ هَادِرٌ ، وَالْعَزْمُ إِلَى مُنَادِي الْعَوْدِ الْحَمِيدِ
مَبَادِرٌ ، وَوَجُودُ نَوْعِ الرَّمَاحِ ، مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ الْكِفَاحِ ، نَادِرٌ ، وَالْقَاسِمُ تَرْتَّبٌ بَيْنَ يَدَيْهِ مِنْ
السَّبِي النَّوَادِرِ ، وَوَارِدُ مَنَهْلِ الْأَجُورِ ، غَيْرُ الْمُحَلَّلِ وَلَا الْمَهْجُورِ ، صَادِرٌ ، وَمُنَاطِرُ الْفَضْلِ
الْآتِي عَقِبَهُ أُخِيهِ الثَّانِي عَلَى الْمَطْلُوبِ الْمُوَاتِي مُصَادِرٌ ؛ وَاللَّهُ عَلَى تَيْسِيرِ الصَّعَابِ
وَتَخْوِيلِ الْمِنَنِ الرَّغَابِ قَادِرٌ ؛ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ ، فَمَا أَجْمَلَ لَنَا صُنْعَهُ الْخَفِيَّ ! وَأَكْرَمَ بِنَا لُطْفَهُ
الْحَفِيَّ ! اللَّهُمَّ لَا تُنْحِصِ ثَنَاءً عَلَيْكَ ، وَلَا تَلْجَأْ مِنْكَ إِلَّا إِلَيْكَ ، وَلَا نَلْتَمِسْ خَيْرَ الدُّنْيَا
وَالْآخِرَةِ إِلَّا لَدَيْكَ ، فَاعِدْ عَلَيْنَا عَوَائِدَ نَصْرِكَ يَا مُبْدِيَّ يَا مُعِيدَ ، وَأَعِنَّا مِنْ وَسَائِلِ
شُكْرِكَ عَلَى مَا نَتَّالِ بِهِ الْمَزِيدَ ، يَا حَيُّ يَا قَيُّوْمُ يَا فَعَّالًا لِمَا يُرِيدُ .

وَقَارَنْتُ رِسَالَتِكُمُ الْمِيمُونَةَ مِنْهُ لَدَيْنَا حَدَقٌ فَتَحَ بَعِيدَ صَيْتِهِ ، مَشْرَبٌ لَيْتُهُ ، وَخَفَرٌ
مِنْ فَوْقِ النَّجُومِ الْعَوَائِمِ مَبِيْتُهُ ، عَجِبْنَا مِنْ تَأْتِي أَمَلِهِ الشَّارِدِ ، وَقَلْنَا الْبَرَكَةَ فِي قُدُومِ الْوَارِدِ ،
وَهُوَ أَنَّ مَلِكَ النَّصَارِيِّ لَا طَفْنَا بِجَمَلَةٍ مِنَ الْحُصُونِ كَانَتْ مِنْ مَمْلَكَةِ الْإِسْلَامِ
قَدْ غُصِبَتْ ، وَالتَّمَاثِيلُ فِيهَا يُبَيِّتُ اللَّهُ قَدْ نُصِبَتْ ؛ أَدَاهَا اللَّهُ بِمُحَاوَلَتِنَا الطَّيِّبَ مِنْ
الْحَبِيثِ ، وَالتَّوْحِيدَ مِنَ التَّثْلِيثِ ؛ وَعَادَ إِلَيْهَا الْإِسْلَامُ عَوْدَةَ الْأَبِ الْغَائِبِ ، إِلَى الْبَنَاتِ
الْحَبَائِبِ ؛ يَسْأَلُ عَنْ شُؤْنِهَا ، وَيَمْسَحُ دُمُوعَ الرَّقَّةِ عَنْ جُفُونِهَا ؛ وَهِيَ لِلرُّومِ خُطَّةٌ
خَسِيفٌ قَلَمًا آرْتَكُبُوهَا فِيمَا نَعْلَمُ مِنَ الْعُهُودِ ، وَنَادِرَةٌ مِنْ نَوَادِرِ الْوَجُودِ ؛ وَالِىَّ اللَّهُ عَلَيْنَا
وَعَلَيْكُمْ عَوَارِفَ الْجُودِ ! ، وَجَعَلْنَا فِي مَحَارِبِ الشُّكْرِ مِنَ الرَّكْعِ السُّجُودِ ! .

عَرَفْنَاكُمْ بِجَمَلَاتِ أُمُورِ تَحْتَهَا تَفْسِيرٌ ، وَيَمُنُّ مِنَ اللَّهِ وَتَيْسِيرٌ ، إِذْ آسْتِيفَاءُ الْجَزَائِيَّاتِ
عَسِيرٌ ؛ لِنُسْرِكُمْ بِمَا مَنَحَ اللَّهُ دِينَكُمْ ، وَنَتَوَجَّعُ بِعِزِّ الْمَلَّةِ الْحَنِيفِيَّةِ جَبِينَكُمْ ، وَنَخْطُبُ بَعْدَهُ
دَعَاءَكُمْ وَتَأْمِينَكُمْ ؛ فَإِنَّ دَعَاءَ الْمُؤْمِنِ لِأَخِيهِ بظَهْرِ الْغَيْبِ سِلَاحٌ مَاضٍ ، وَكِفِيلٌ بِالْمَوَاهِبِ
الْمَسْئُولَةِ مِنَ الْمُنْعِمِ الْوَهَّابِ مَبْفَاضٍ ؛ وَأَنْتُمْ أَوْلَى مَا سَاهَمَ فِي بَرِّ ، وَعَامِلٌ اللَّهُ بِمُخْلِصٍ

سِرِّ ، وأين يذهب الفضل عن بَيْتِكُمْ ، وهو صفة حَيْكَمٍ وَثْرَاتٍ مَيْتِكُمْ ، ولكم مَزِيَّةُ الْقِدَمِ ، ورسوخُ الْقَدَمِ ، والخِلافةُ مَقْرَهًا إِيوَانِكُمْ ، وأصحابُ الإمامِ مالِكٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ مَسْتَقْرَهًا قِيْرَوَانِكُمْ ، وهجِيرُ الْمَنَابِرِ ذِكْرُ إِمَامِكُمْ ، والتوحيدُ أَعْلَامُ أَعْلَامِكُمْ ، والوقائعُ الشَّهِيرَةُ فِي الْكُفْرِ مَنْسُوبَةٌ إِلَى أَيَّامِكُمْ ، والصحابَةُ الْكِرَامُ فَتَحَةُ أَوْطَانِكُمْ ، وَسُلَالَةُ الْفَارُوقِ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَشَائِحُ سُلْطَانِكُمْ ، ونحن نستكثر من بركة خِطَابِكُمْ ، وَوُصْلَةِ جَنَابِكُمْ ، ولولا الأعداء لَوَالَيْنَا بِالْمَتْرِيدَاتِ تَعْرِيفَ أَبْوَابِكُمْ .

والله عز وجل يتولى عنا من شُكْرِكُمْ الْمَحْتَمُومِ ، مَا قَصَّرَ الْمَكْتُوبُ مِنْهُ عَنِ الْمَكْتُومِ ، وَيُبَيِّنُكُمْ لِإِقَامَةِ الرُّسُومِ ، وَيُجِلُّ مَحَبَّتَكُمْ مِنْ الْقُلُوبِ مَحَلَّ الْأَرْوَاحِ مِنَ الْجُسُومِ ، وهو سبحانه يَصِلُ سَعْدَكُمْ ، وَيَحْرُسُ مَجْدَكُمْ ، وَيُوَالِي نِعْمَهُ عِنْدَكُمْ .

والسلامُ الْكَرِيمِ ، الطَّيِّبِ الْبُرِّ الْعَمِيمِ ، يَخْصِمُكُمْ كَثِيرًا أَثِيرًا ، مَا أَطْلَعَ الصَّبْحُ وَجْهَهَا مُنِيرًا ، بعد أن أرسل النسيمَ سَفِيرًا ، وكان الوميضُ الباسمِ ، لِأَكْوَابِ الْغَنَائِمِ ، عَلَى أَزْهَارِ الْكِنَائِمِ مُدِيرًا ، وَرَحْمَةُ اللهِ وَبَرَكَاتُهُ ، إِي شَاءَ اللهُ تَعَالَى .

الطرف الثامن

(فِي الْمَكَاتِبَاتِ الصَّادِرَةِ عَنِ الْأَمْرَاءِ مِنَ الْعَمَالِ وَأَمْرَاءِ السَّرَايَا)

فِي صَدْرِ الْإِسْلَامِ إِلَى مَنْ فِي مَعْنَاهُمْ)

وكان الغالبُ فِي مَكَاتِبَاتِهِمُ الْإِفْتِاحُ بِأَمَّا بَعْدَ وَالتَّعْبِيرُ عَنِ الْمَكْتُوبِ عَنْهُ بِلَفْظِ الْوَحْدَةِ ، وَخِطَابُ الْمَكْتُوبِ إِلَيْهِ بِالْكَافِ .

كما كتب الْحَجَّاجُ بْنُ يُونُسَ إِلَى الْمُهَلَّبِ بْنِ أَبِي صُفْرَةَ ، وَهُوَ يَوْمَئِذٍ نَائِبٌ عَنِ الْحَجَّاجِ عَلَى بَعْضِ الْأَعْمَالِ وَالْحُرُوبِ .

أما بعد، فإنك تراخى عن الحرب حتى تأتيك رُسلى ويرجعون بعدرك، وذلك أنك
 تُمسك حتى تبرأ الجراح وتُنسى القتلى ويجم الناس، ولو كنت تلقاهم بذلك الحد
 لكان الداء قد حُسم، والقرن قد قُصم، ولعمري ما أنت والقوم سَواء، لأن من
 ورائك رجالاً، وأمامك أموالاً، وليس للقوم إلا ما معهم، ولا يدرك الوجيف
 بالديب، ولا الظفر بالتعذير.

وكما كتب المهلب إلى الحجاج مجيباً له عن ذلك .

أما بعد، فإننى لم أعطِ رُسلك على قول الحق أجراً، ولم أحتج فيهم مع المشاهدة
 إلى تلقين . فذكرت أنى أجم القوم، ولا بد من راحة يستريح فيها الغالب ويحتال
 المغلوب . وذكرت أن فى الجِسام تُنسى القتلى وتبرأ الجراح، وهيهات أن يُنسى
 ما بيننا وبينهم، يابى ذلك قتل من لم يَجِن، وقروح لم تعرق، ونحن والقوم على حالة
 وهم يرقبون منا حالات، إن طمعوا حاربوا، وإن ملؤا وقفوا، ونطلب إذا هربوا،
 فإن تركتني فالداء بإذن الله محسوم، وإن أعجبتني لم أطعك ولم أعص وجعلت
 وجهى إلى بابك، وأنا أعود بالله من سخطة ومقت الناس .

الطرف التاسع

(فى المكاتبِ الصادرة عن الملوکِ ومن فى معناهم، إلى الملوکِ ومن فى معناهم،
 على ما كان عليه مصطلح أهل المشرق، وهو على ثلاثة أضرب)

الضرب الأول

(أن تكون المكاتبَةُ عن ملك إلى غير ملك)

ورسمهم أن يفتح الكتاب بلفظ « كتابنا إليك فى يوم كذا، ومن مكان كذا،
 والأمر على كذا وكذا » ويذكر الحال التى عليها المكتوبُ عنه حينئذ أوالتى عليها .

الخليفة إن كان المكتوب عنه من أتباع الخليفة، أو التي عليها الملك إن كان من أتباع الملك ونحو ذلك؛ ويكون التعبير في هذه المكاتب عن المكتوب عنه بنون الجمع، والخطاب للمكتوب إليه بالكاف. ولا يقال في المكتوب إليه في هذه الحالة: سيدي ومولاي، ولا سيدنا ولا مولانا. وبذلك يكتب عن الملوك ومن في معناهم من سائر الرؤساء إلى المرءوسين.

ثم هو على مرتبتين:

المرتبة الأولى - أن يُراعى جانب المكتوب إليه في الرتبة بعض المراعاة.

كما كتب أبو إسحاق الصابي عن صمصام الدولة بن عضد الدولة بن ركن الدولة ابن بويه، إلى صاحب كافي الكفاة إسماعيل بن عباد وزير نجر الدولة، في الشفاعة في شخص من بعض أزمه:

كاتبنا - أدام الله تأييد صاحب الجليل كافي الكفاة - وإن وثقنا من المسؤولين بالإيجاب والإجابة، ومن المأمورين بالامتثال والطاعة؛ فإننا نخص بكتبنا الصادرة عنا في المآرب العارضة لنا، من خصبت^(١) من كلا الفريقين نهضة إليها، وظهرت مبارته عليها؛ وإذا آتينا إليه - أدام الله عزه - في ذلك عددنا مع ما قدم الله عندنا من رتبته في الطبقة الأولى، وميزنا مع ما وفر الله علينا من طاعته عن الطبقة الأخرى؛ وأنسنا منه عادة مشكورة في أتباع محبوبنا، والإسعاف بمطلوبنا؛ ليسلس لنا إلى مخاطبته قياد يتقاعس عن سواه، وتنبسط منا في مكاتبته أنامل نتجدد عن لايجري مجراه؛ ولا سيما إذا كان ذلك في مكرمة يطيب ثاؤها، ومنقبة يُشاد بناؤها؛ والله يمدّه ويمدنا فيه من طيب السجايا، وصالح العطايا؛ بما هو الوليُّ به، والحقيق بالشكر عليه.

(١) لعله حصصت أو وضعت أو نحو ذلك.

وكتابنا هذا - أدام الله عزَّه الصاحب الجليل كافي الكفاة - مبنًى على إذكره بحق لنا رعيتاه ، وذيما من أجله أوجبناه ؛ وذلك أسدً لإحكامه وألزم لإيجابه ، وأوكد لأسبابه ؛ وقد عرَّف مكان أبي منصور يزداها دار بن المرزبان من خدمتنا ، وموقعه في جملتنا ، وتوفَّر حظُّه من جميل رأينا ، وخالص اعتقادنا ؛ ومن أوجه وسائله لدينا ، التي أوجبت له ذلك علينا ، أنا لانزال عده عليه ، من الاعتداد باحسان الصاحب الجليل كافي الكفاة إليه ، وإلى أبيه من قبله ، والاعتراف بأنه أيدته الله أبو عذرة صنعه ، والسابق إلى الجذب بضبعه ؛ ولمن كان أقر له من ذلك معروف لا ينكر ، ودخل من الثناء عليه في إجماع لا يُحرق ؛ فقد بين عن نفسه أنه ممن يطبق حمل المن ، ويحسن مصاحبة النعم ؛ ويستحق أن تُقرَّ عنده أسلافها ، وتُدَّرَّ عليه أخلافها ؛ إذ لم يُذهله الربوع فيها عن التوحيد من اصطرافها وأنصرافها ، ولم يُلهيه التوسط لها عن حيطة أطرافها وأكافئها . ومن لنا اليوم بالشكور الذي لا يغمط ، والذُّكور الذي لا ينسى ؟ والعليم بما يلزمه ، والقَّوم بما يحقُّ عليه . وأعلمنا حال قريبين له يقال لهما الفرکان بن حرزاد ، ورستم بن يزد ؛ وأنها تصرفاني بعض الخدمة تصرفاً تزيلاً فيه عن نهج السداد ، وسنن الرِّشاد ؛ وأقتضى ذلك أن طلباً بالتقويم والتهذيب ، وولجاً مضيق القصاص والتأديب ؛ وأنه قد مضت لهما فيه مدَّة طويلة في مثلها ما صلح المعاقب ، واكتفى المعاقب ؛ وسؤاله لهما ، ومرادنا له فيهما ، شفاعة الصاحب الجليل كافي الكفاة إلى مولانا الأمير السيد شاهنشاه نخر الدولة في أن يسعهما العفو ، ويدركهما العطفُ إما باستخدام يتطوقان به المن ، ويأذن لهما بانصراف إلى الوطن ؛ وقد أستظهرنا بكتاب كتبتاه في أمرهما : هذا الكتاب يشتمل عليه ، حتى إذا وجب أن يجعله الصاحب الجليل كافي الكفاة ذريعة إلى

(١) كذا في الأصول ولعله أنه لا يزال بعد ما عليه من الاعتداد الخ .

الغرض ، ومطيةً إلى المقصد ؛ أمضى في ذلك رأيه ، وعقد عليه تديبه . فإن رأى
الصاحب الجليل أن يتوصل في هذا الأمر إلى ما يُشاكل عادته عندنا في الأمور
الواردة عليه فعل ، وتوحي في الجواب أن يكون متضمناً لذكر الفعل دون القول ،
والإنجاز دون الوعد ؛ إن شاء الله تعالى .



وكما كتب الصابي عن صمصام الدولة المقدم ذكره ، إلى الصاحب بن عباد أيضاً
في حالة أخرى ، بسبب ردِّ إقطاع إلى أبي جعفر محمد بن مسعود قرين كتاب
إلى نحر الدولة

كاتبنا والسلامة لدينا رهنه ، وعادةً الله لإقرارها ضامنه ؛ والحمد لله رب العالمين ،
والصاحب الجليل كافي الكفاة - أدام الله تأييده - يعلم أنه لم يزل لمالكنا أفنيةً
تقام بها أسواق المكارم ، وتمجياً بها سنن المحامد ؛ وقد جعله الله بتفضله الحافظ
لجمال ذلك علينا ، والضاربٍ بسهمه فيه معنا ؛ فالحمم لله على أن قرن الحظوظ التي
خولنا ، والمنازل التي نولنا ، بالخلائق الخليفة بها ، الداعية إلى استقرارها ، والطرائق
المطرقة إلى ثباتها واستمرارها ، وأن زان أيامنا هذه الحاضرة ، بأثار الصاحب
كافي الكفاة أدام الله عزه فيها الناظره ؛ ومساعيه الرشيدة ، وأفعاله المستقيمة ،
وأحاديثه الجميلة ؛ وإياه نسال أن يُجربنا وكل ناصح على أفضل ما عودنا وأحسن
ما أولاه ومنحنا بقدرته .

وإذا كان مولانا الأمير السيد شاهنشاه نحر الدولة ، وفلك الأمة ؛ بالمحل الذي
أهله لله له : من استعذاب الإحسان إلى أوليائه ، وأفترض الإفضال على نصحاءه ؛
وكان الصاحب الجليل بالحال التي هو بها من القيام بما حمل به المناب فيه عنه ،

(١) في الاصل « من القيام قد بكل له والمناب الخ » وهو تحليط من الناصح .

فقد وجب أن تكون الرعاية لذوي الحرمات مستحكمة الأسباب ، ثابتة الأطناب ، واضحة الأعلام ، ماضية الأحكام ، ولا سيما فيمن تعلق منا بالعناية ، وأخذ من ذمامنا بالوثيقة ، و « أبو جعفر محمد بن مسعود » أيده الله جامع للوات ، التي يستحق بها اجتماع العنايات ، سالفًا صالحًا في الخدمة ، وسابقة متمكنة في الجملة ، وأشتملاً على كل ما وجبت به الحقوق ، ولزمت به الرعايات . وذَكَرَ أنه كانت له بنواحي الجبل تسويغات ومعايش أنعم بها مولانا الأمير السيد نخر الدولة عليه في حال بعد حال ، وشرفه بها في مقام بعد مقام ، منها كذا وكذا ، وإذا جمع الجميع كان قليلاً في جنب ما يفيضه مولانا الأمير السيد شاهنشاه نخر الدولة ، وفلك الأمة على خدمته : من جليل عوارفه الجارية على يد صاحب الجليل كافي الكفاة أدام الله تأييده ، والواصله إلى مستحقيها بلطيف توصله ، وجميل معتقده . وكان موقعه جليلاً عند أبي جعفر محمد بن مسعود أيده الله في جنب ما يصلح من شأنه ، ويُقيم من جاهه ، ويرب من معاشه ، ويُلم من حاله . وقد كتبنا إلى مولانا في ذلك كتاباً مجملًا قصرناه على الرغبة إليه ، في رد هذه المعاش عليه ، وعوّنا على صاحب الجليل في إخراج أمره العالی بذلك له ، وإحكام المناشير والوثائق بجميعة ، والتقدم بمكاتبة العمال والولاة بتقوية أيدي أصحابه ، في استيفاء ما يجب من الأسلاف والبقايا ، على الأكرة والمزارعين ، والوكلاء والمعاملين ، وتأکید الكتب بغاية ما تؤكد به أمثالها ، ويبلغ به أبو جعفر محابه كلها . فإن رأى صاحب الجليل أن يأتي في ذلك كله ما يجده ويعدّه ويرعاه ويحفظه ، جارياً على المألوف من مثابرتة على ما عاد علينا وعليه معنا بطيب الذكر والبشر ، وثبأ اليوم والغد ، فقد أنفذنا بهذا الكتاب ركائب لنا دلالة على خصوص متضمنه في تعلقه بالأهتمام منا ، فعل إن شاء الله تعالى .

الضرب الثاني

(أن تكون المكاتبه من ملك إلى ملك)

ورسمهم في ذلك أن يُفْتَحَ الكُتَابُ بلفظ : كُتِبَ والأمرُ على كذا وكذا ، ويُؤْتَى بالتعبير عن المكتوب عنه في أثناء الكُتَابِ بلفظ الإفراد دون الجمع ، وهنا يَفْتَحُ شأنُ المكتوب إليه ، فيعبرُ عنه بمولاي وسيدى ، ومولانا وسيدنا ، ونحو ذلك .

ثم هو على مراتب :^(١)

المرتبة الأولى

(أن يكون المكتوب إليه ملكاً أيضاً)

فيخاطبه على قدر مقامه بالسيادة أو غيرها مع الدعاء بما يناسبه : من طول البقاء ونحوه ؛ ثم تارة يقع التعرض فيها بذكر الطلب و برفع الحال التي هو عليها ، وتارة لا يقع التعرض إلى ذلك - كما كتب أبو إسحاق الصابي عن عز الدولة ، بن معز الدولة ، ابن بويه ، إلى عضد الدولة بن بويه في طلب الصلح ، وقد جرى بينهما اختلاف .

كُتِبَ - أطال الله بقاء مولانا الملك الجليل المنصور عضد الدولة - من العسكر بظاهر سوق الأهواز ، ومولانا أمير المؤمنين مشمولاً بالكفاية والتأييد ، مخصوصاً بالعز والتمكين ؛ يجرى على أفضل ما عود الله خلفاءه في أرضه ، وأجباءه في رعاية خلقه ؛ من التكفل لهم بالإظهار والإداله ، وتوليهم بالإعلاء والإنافه ؛ وأنا مستظل بكنف طاعته ، مستكن في حرم مشايعته ؛ شاكر لله على بلائه ، مثن عليه بالائه ؛ راغب

(١) لم يذكر في الأصول غير الأولى ويظهر أن التقسيم سهو فان المقسم هو الكتابة من ملك إلى ملك وهو

إليه أن يعصمني في مولانا الملك الجليل المنصور وفي نفسي من كل مكروه
ومستهجن ، ويوفقي وإياه لكل مستحب ومستحسن ، ويعيدنا من المقام على
الفرقة ، والزوال عن سنن الأئمة ، وهو المحمود رب العالمين .

والحقوق بين مولانا الملك وبينى فيما قررتنا منا اللحمه ، وأكده العضمه ، وأثنته
الأسلاف ، ونشأت عليه الأخلاف ، حقيقة بأن لاتسرع إليها دواعى النفس ،
ولا تتمكن منها ملهمات النسخ ، ولا يئيم للشيطان عليها ما يحاوله بترغه ، ويتوصل إليه
بكيده ، وأن تتزاح العوارض عنها ، وتضمحل دون التأثير فيها ، وأن نعتقد جميعا
أن بتقارضنا رعايتها ثبات النعم المتصلة بها ، فلا يستنكف مستنكف منا أن
يخفض جناحه لأخيه ، ويفض من حماحه في مقاربة ذويه ، إذ كان ذلك حاميا
له في أهول الأحوال مما هو أشد خفضا ، وأبلغ رضا ، وأسوأ مغبة ، وأنكر عاقبة .

وقد علم مولانا الملك المنصور بالشاقب من تأمله ، والصحيح من تميزه وتدبره ،
أن دولتنا - حرسها الله - مبنية على أسس الترافد والتعاقد ، موضوعة على قاعدة التوازن
والتظافر ، وأن مشيختنا وبيادتنا رضوان الله عليهم جعلوا الائتلاف رتاجا بين
الأعداء وبينها ، ثم إن مفتاحه هو الخلاف المتطرق لهم عليها ، ولو حدث التنافر
في أيام رياسة أضعفنا منة ، وأوهننا عقدة ، وأحدثنا سنا ، وأقلنا حنكة ، لكان ذلك
أقل في التعجب من أن يعرض في رياسة أحصينا رأيا ، وأسدنا تدبيرا ، وأوفانا
حكما ، وأكلنا حزما . وقد تكررت - أيد الله مولانا - على ذات بيننا قوارض
أحتقرناها حتى أمثلا الإناء من قطرها ، وأستقينا منها على العظيمة التي لا ثواء بعدها ،
وبنا أعود على نفسى بلوم في ابتداء قبيح ابتدائه ، ولا بمركب شنيع ركبته ولا حق
أطرحته ، ولا أستصلاح تركته ، ولا أدفع مع ذلك أننى قابلت لما تضاعف بالأقل

الأيسر ، وجازيت لما ترادف بالأذون الأثر ، إلا أني ما آثرت كثيره ولا قليله ، ولا آثرت دقيقه ولا جليله ؛ لكنه لم يصلح في السيرة - وقد أشفينا على التراخف للحرب ، والتدائف للطعن والضرب - أن أستعمل ما كنت عليه من توفية الحقوق ، وإقامة الرسوم ، فبراني الأولياء الذين بهم تُحمى البيضة ، وتُحاط الحوزة ؛ متناقض الفعلين ، متنافي المذهبين ؛ وكنت في ذلك الفعل الذميمة ، والرأي الذي ليس بمستقيم ؛ مقتدياً لا مبتدياً ، ومُتبعاً لا مبتدعاً . ولو وقف بي مولانا الملك الجليل قبل أواخر الخفاء ، وعطف معي إلى أول شرائع الصفاء ؛ لكانت عريكتي عليه ألين ، وطريقه إلى ارتباط طاعتي وولائي أقصد ؛ لكنه أيده الله أقام على ما لا يليق به من مجانبتي ومغالظتي ، وبث الحبائل لي ودس المكائد إلى ، ومتابعته الجواسيس والكتب إلى الأولياء في عسكري الذين هم أولياؤه ، إن أنصف وعدل ، ونصحأؤه ، إن أحسن وأجمل .

وكان الأشبه بمولانا لو كنت الغالط عليه ، والباعث لهذه الأسباب إليه ، أن يسوسني سياسة الحكيم ، ويستخلصني استخلاص الكريم ؛ إذ كنا لم نقدمه معشر أهل البيت علينا ، ونوله أزيمة أمورنا ؛ إلا لياسو جروحنا ، ويجهر كسورنا ؛ ويتعهد مسيئنا ، ويستميلنا قرفنا ؛ فاما أن يحاول منا استباحة الحرم ، وإركاب المركب العظيم ؛ فكيف يجوز أن تدوم على هذا طاعه ، أو تصلح عليه جماعه ؛ أو يفضي عليه مغض ، أو يصفح عنه صالح ؟ . وكان من أشد هذه الحفوة وأفظعها ، وأقساها وأغلظها ؛ أن عاد رسولي من حضرته خالياً من جواب بما كتبت إليه ، وما أعرف له أيده الله في ذلك عذراً يبسطه ، ولا سلك منه السبيل التي تشبهه ؛ وبالله جهد القسم ومنهاها ، وأجلها وأوفاهها ؛ لقد سار مولانا أمير المؤمنين أطال الله بقاءه ، وسرت إلى هذا الموضع ، واعتقادنا لا يجاوز حفظ الحدود والأطراف ، وحياطة النهايات

والأكناف ، والأغلب علينا أن مولانا الملك - أدام الله تأييده - لا يتجاوز معي
 بالمعاتب اللطيفة ، والمخاطبة الجميلة ، والأستدعاء مني لما يسوغ له أن يطلبه ولى أن
 أبدله ، من تعفية السالف ، وإصلاح المستأنف ، وتوفية للحق في رتبة لا أضنُّ بها
 عليه ، ولا أستكثر النزول عنها له ، وتقرير أصل بيننا يكونُ أيده الله به معقلا
 لي وموثلا ، وأكون نائباً له ومظفراً - إلى أن بدأ الأصحاب بالعيث في هذه البلاد ،
 وألحوا عليها بالفارات ، وأعتدوها بالنكيات ، وكان هذا كالرشاش الذي يؤذن
 بالانسكاب ، والوميض الذي يُوعد بالأضطرام - وأوجبت قبل المقابلة عليه والشروع
 في مثله في حق مولانا الملك الجليل ، الذي لا أدع أن أحفظ منه ما دعاني إلى
 إضاعته ، وأتمسك بما أضطرنى إلى مفارقتة ، أن أقدم أمام الالتقاء على الحرب التي
 هي سجال كما يعلم ، إبلاغ نفسي عُذرها وإعطاء المقادة منها ، داعيا له إلى طاعة الخالق
 والإمام ، وصلة اللثم والأرحام ، وحقن الدماء والمهيج ، وتسكين الدهماء والرهج ،
 وثني العنان عن الموزد الذي لا يدري وارده كيف يصدر عنه ، ولا يثق بالسلامة منه ،
 وتعريف ما يريد مني لأتبعه ما لم يكن ثالياً لي ، وعائدا بالوهن على ، والله الشاهد
 على شهادة قد علم إخلاصي فيها ، وسماحة ضميري بها ، وأنني أكره أن أنال منه ،
 كما أكره أن ينال مني ، وأنا لم من أن أظهر عليه ، كما أنا لم أن يظهر على ، وأحب أن
 يرجع عني وأرجع عنه ، وقد ألتقت قلوبنا ، وتألف على الجميل شملنا ، وطرفت أعين
 الأعدى عنا ، وأنحسمت مطامعهم فينا ، فإن فعل ذلك فحقيق به الفضل ، وهو لعمر
 الله له أهل ، ولا عُذره في أن لا يفعله ، وقد وسع الله ماله ، ووفر حاله ، وأغناه
 عما يلتمسه الصغلوك ، ويخاطر له السبروت ، وجعله في جانب الغنى والثروة ،
 والحزم والحيلة ، وإن أبي فكاتبى هذا حجة عند الله الذي تستزل منه المعونة وعند
 الناس الذين تلمس منهم العصبية ، وقد أنفذت به إسفندار بن خسرويه وإبراهيم

آبن كالى ، وهما نِقَتَاىِ وَأَمِينَاىِ ، لِيُؤَدِّيَاهُ وَيُشَافِهَاهُ عَنِّي بِمَثَلٍ مُتَضَمِّنِهِ وَتَجَوَّاهُ ؛
وَاللَّهُ يُعِيدُنَا فِي مَوْلَانَا الْمَلِكِ الْجَلِيلِ مِنْ أَنْ يَخْتَارَ إِلَّا أَوْلَى الْأَمْرَيْنِ وَالْيَقِيمَا بَدِينِهِ
وَمُرُوءَتِهِ ، وَهُوَ وُلِيُّ مَا يَرَاهُ فِي الْأَمْرِ بِتَعْجِيلِ الْإِجَابَةِ بِمَا أَعْمَلُ عَلَيْهِ ، وَأَتَيْهِ
بِالتَّدْبِيرِ إِلَيْهِ ، إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .

الضرب الثالث

(أن تكون المكتوبة عن دُونِ الْمَلِكِ إِلَيْهِ)

ورسمهم فيه أن يُبْتَدَأَ بِلَفْظِ كِتَابِي ، وَالدُّعَاءِ لِلْمَكْتُوبِ إِلَيْهِ بِطَوْلِ الْبَقَاءِ وَنَحْوِ ذَلِكَ ،
وَيَخَاطَبُ فِي أَوَّلِ الْكِتَابِ بِمَوْلَانَا الْمَلِكِ السَّيِّدِ الْأَجَلِّ ، وَفِي أَثْنَاءِ الْكِتَابِ بِالسَّيِّدِ
وَالْمَلِكِ وَنَحْوِ ذَلِكَ ؛ وَيُعْبَرُ عَنِ الْمَكْتُوبِ عَنْهُ بِلَفْظِ الْإِفْرَادِ :

كَمَا كَتَبَ أَبُو إِسْحَاقَ الصَّابِي عَنْ الْأَمِيرِ نَصْرُخُوزِ فِيرُوزِ بْنِ عَضُدِ الدَّوْلَةِ إِلَى
آبْنِ عَمِّهِ شَرِيفِ الدَّوْلَةِ يَذْكُرُ لَهُ حَالَهُ مَعَ أَخِيهِ صَمَّصَامِ الدَّوْلَةِ .

كِتَابِي - أَطَالَ اللَّهُ بَقَاءَ مَوْلَانَا الْمَلِكِ السَّيِّدِ الْأَجَلِّ ، شَرِيفِ الدَّوْلَةِ ، وَزَيْنِ الْمِلَّةِ ،
وَالسَّلَامَةَ لِي شَامِلَةً بِمَا مَدَّهُ اللَّهُ تَعَالَى عَلَيَّ مِنْ ظِلَّةِ الظِّلِيلِ ، وَرَأْيِهِ الْحَسَنِ الْجَمِيلِ ؛
وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ . وَقَدْ تَأَدَّى إِلَى مَوْلَانَا الْمَلِكِ السَّيِّدِ مِنْ أَخْبَارِي مَا اسْتَفَنِي بِهِ
عَنْ تَطْوِيلِ الْمَقْصَلِ ، وَأَكْتَفِي بِهِ عَنْ إِجْمَالِ الْمُجْمَلِ ؛ وَذَلِكَ أَنْ أَسْفَارَ بَنُ كَرْدُويِهِ
وَعَبْدَ الْعَزِيزِ بْنِ بَرْسَفِ الْكَافِرِينَ لِنَعْمَاءِ اللَّهِ وَنِعْمَةِ الْمَلِكِ السَّعِيدِ عَضُدِ الدَّوْلَةِ أَبِينَا
رَحِمَةً اللَّهُ عَلَيْهِ قَبْلَنَا ، الْغَامِطِينَ لِمَا تَظَاهَرَ عَلَيْهِمَا مِنْ إِحْسَانِنَا وَإِفْضَالِنَا ؛ هَجَمَا عَلَيْنَا
مُخْدَعَةً تَظَافَرَا عَلَيْهَا ، وَشُبُهَةً جَدَّبَانِي إِلَيْهَا ؛ وَأَبْرَمًا كَذِبًا مِنْ الْقَوْلِ لَمْ أَظُنَّهَا يُقَدِّمَانِ

على مثله ، ولا يتفوهان بإطلابه ؛ فأصغيت إليهما إصغاء الوائق بهما لا المنخِيع لهما ؛
فلما أنزلاني على حكمهما ، وأوثقاني بحيث لا أستطيع مخالفتهما ؛ ظهرت الحيلة ،
ووضحت الغيلة ؛ وفاتني الاختبار ، وغلبني المقدار ؛ فجرى ما كانت عاقبته خذلان الله
إياهما ، وإنزاله بأسه ونقمته عليهما ؛ وخلاصي بسلامة الصدر ، واتضح الغدر ،
من جباثلهما المنصوبه ، وأشراكهما المبتوثة . ولما حصلت في كنف الملك السيد
ضمصام الدولة أفالي العثره ، وقيل مني المعذره ؛ وأحلتني من دراه وحماء بحيث
لم أعدم عاده ، ولا أنقطعت عني مآذه ؛ وكانت الحال تُوجب مقامي فيها إلى أن
تنعفى آثار الفتنة التي أثارها ذانكما الحبيثان الجانيان .

ثم ورد فلان في الرسالة ، وتمم الله على يده عقد الصلح والمسالمة ؛ فأخرجت
عن الاحتجاب إلى الظهور ، وعن الاحتجار إلى البروز ؛ وأنزلت من الدار المعمورة
في جانب يصل إلى منه سبب وصوله على العموم دون الخصوص ، وعاملني الملك
السيد ضمصام الدولة بما يليق بفضله متبعا في ذلك مقاطعة السيف بينه وبينى ؛
وطاعة مولانا الملك السيد الأجل شرف الدولة في أمرى ، وجدد عندي من الإنعام
والتوسعة والإيثار والتكرمة آخرا ماشفع تلك الشفقة أولا ؛ ولقيني فلان دفعات ،
وشافهني مرّات ؛ وتمحل عني إلى مولانا الملك موالاتي الشكر كثيرا ، وأعتدادا
طويلا عريضا ؛ ودعاء الله يسمع مرفوعه ، ويُجيب مسموعه ؛ بمنه وقدرته ،
وحوله وقوته .

والآن فإذ قد جمع الله الكلمه ، ووكد الألفة وحرس النعمه ؛ وحصن الدولة
وأخرج عنها من كان يسب الفتنة ، ويُسدى ويُير في الفرقه ؛ فإني واثق بالله جل
وعز وبما ترقى الحال إليه في غاية محبوبى ، ونهاية مطلوبى ؛ وأقاصى ما تبلغه

أُمْنِيَّتِي ، وَتَسْمُوْا إِلَيْهِ هِمَّتِي ، وَتَقْتَضِيهِ أُخُوَّتِي وَعِصْمَتِي ؛ وَلِلَّهِ الْمَشِيئَةُ ، وَمِنْهُ الْمَعْوَنَةُ ؛
 فَإِنْ رَأَى مَوْلَانَا الْمَلِكُ السَّيِّدُ أَنْ يَسْكُنَ إِلَى سُكُونِي ، وَيَطْمَأَنِّئِنِّي إِلَى طَمَأْنِينَتِي ،
 وَيُجِرِّيَ إِلَيَّ غَايَةَ فَضْلِهِ وَطَوْلَهُ فِي الْأَمْرِ الَّذِي أَحْسَنَ فِيهِ وَأَجْمَلَ : لِيَشْمَلَنَا إِنْعَامُهُ ،
 وَيَتَّظَاهَرَ عَلَيْنَا أَمْتَانُهُ ؛ وَأَسْتَوْفِي بَقِيَّةَ حَظِّي مِنْ ثَمَرَةِ ذَلِكَ وَعَائِدَتِهِ ، وَجَدْوَاهِ
 وَفَائِدَتِهِ ؛ وَيَأْمُرَ بِتَشْرِيفِي بِكُتَابِهِ ، وَتَاهِيلِي بِجَلِيلِ خِطَابِهِ ؛ وَتَصْرِيفِي بَيْنَ أَمْرِهِ
 وَنَهْيِهِ ، فَعَلَّ ، إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .

تم الجزء السادس . يتلوه إن شاء الله تعالى الجزء السابع

وَأَوَّلُهُ الطَّرْفُ الْعَاشِرُ

(فِي الْمَكَاتِبَاتِ الصَّادِرَةِ عَنْ مَلُوكِ الدِّيَارِ الْمِصْرِيَّةِ)

وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ . وَصَلَاتُهُ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ خَاتَمِ الْأَنْبِيَاءِ وَالْمُرْسَلِينَ

وَأَلِهِ وَصَحْبِهِ وَالتَّابِعِينَ وَسَلَامُهُ

وَحَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ

”استدراك لمافات“

نُبّه في صفحة (٥٤) من الجزء الثالث من كتاب صبح الأعشى هذا على بعض كلمات مطموسة بالخبر لم نهتد إليها عند طبع ذلك الجزء . أما وقد عُثِرَ الآن في بعض المكتبات الأهلية على أصل ذلك الجزء فرؤى تكميلاً للفائدة إثبات المطموس هنا ليصلحه القارئ في مواضعه إن أراد . وتسهيلاً لمعرفة مواضع البياض من أول نظرة قد نقلت الصفحة بتمامها وجعل ما كان ساقطاً لطمسه بين قوسين هكذا () . وهي :

يجهز بریدی بطلب هذه الأقلام من ولاة الوجه القبلي ، ويؤتى بها فتحفظ عند كاتب السر ويبرئ منها ما يحتاج إليه (في كتابة السلطان و) يوضع في دواته بقدر الحاجة . قال في ”منهاج الإصابة“ : ولا بد فيه (من ثلاثة شقوق أو أكثر) بقدر ما يحتاج إليه في محّ القلم الجبر في القرطاس .

وَأَعْلَمُ أَنَّ لِلْكَتَابِ فِيهِ طَرِيقَتَيْنِ — إِحْدَاهُمَا طَرِيقَةُ الثُّلُثِ ، فَتَجْرِي الْحَالُ فِيهِ عَلَى الْمِيلِ إِلَى (التقوير — و) الثَّانِيَةِ طَرِيقَةُ الْمُحَقَّقِ ، فَتَجْرِي الْحَالُ فِيهِ عَلَى الْمِيلِ إِلَى (البسط دون التقوير وسيأتي إيضاح الطر) يفتين وكيفية (تشكيل حروفهما فيما بعد إن شاء الله تعالى .

وقد ذكر السمرري في أرجوزته اختصاص قلم الطومار بأمور : أحدها أن مستداراته كلها تكون بوجه القلم ، والمدات بسنّه ، والتعاريق بوجهه منفتلا فيها على اليمين — الثاني أن الميم منه تكون مفتوحة مدوّرة) والفاء والقاف فيه (أوساطها محدّدة وجنباها) مدوّرة — الثالث (أن يكون البياض بين الأحرف كمثلته بين السطور) — الرابع أن يكون (الفضل من جانبي القرطاس متسلويا في المقدار — الخامس أن لا يكون) فيه صاد مدوّرة (ولا) كاف مشكولة .

وذكر المولى زين الدين شعبان الآثاري في ألفيته (أنه يدخل) فيه الترويس في الألف ، والباء ، والجيم ، والدال (والراء ، والطاء ، والكاف المجموعة) واللام والنون في الأفراد والتركيب عند الابتداء وأنه (لا يجهوز فيه) الطمس في شيء من عُقده كالصاد ، والطاء ، والفاء ، والقاف ، والميم ، والهاء ، والواو ، واللام ألف المحققة بحال ، والمعنى فيه أن الطمس لا يليق بالخط الجليل .